

﴿ فهرست الجزء السادس من تفسير البحر المحيط

لأبي حيان رحمه الله ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

﴿ كتاب التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ﴾

تأليف أوحد البلغاء المحققين، وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنة ٧٥٤ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا * وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٤٩
نور الله ضريحه * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول

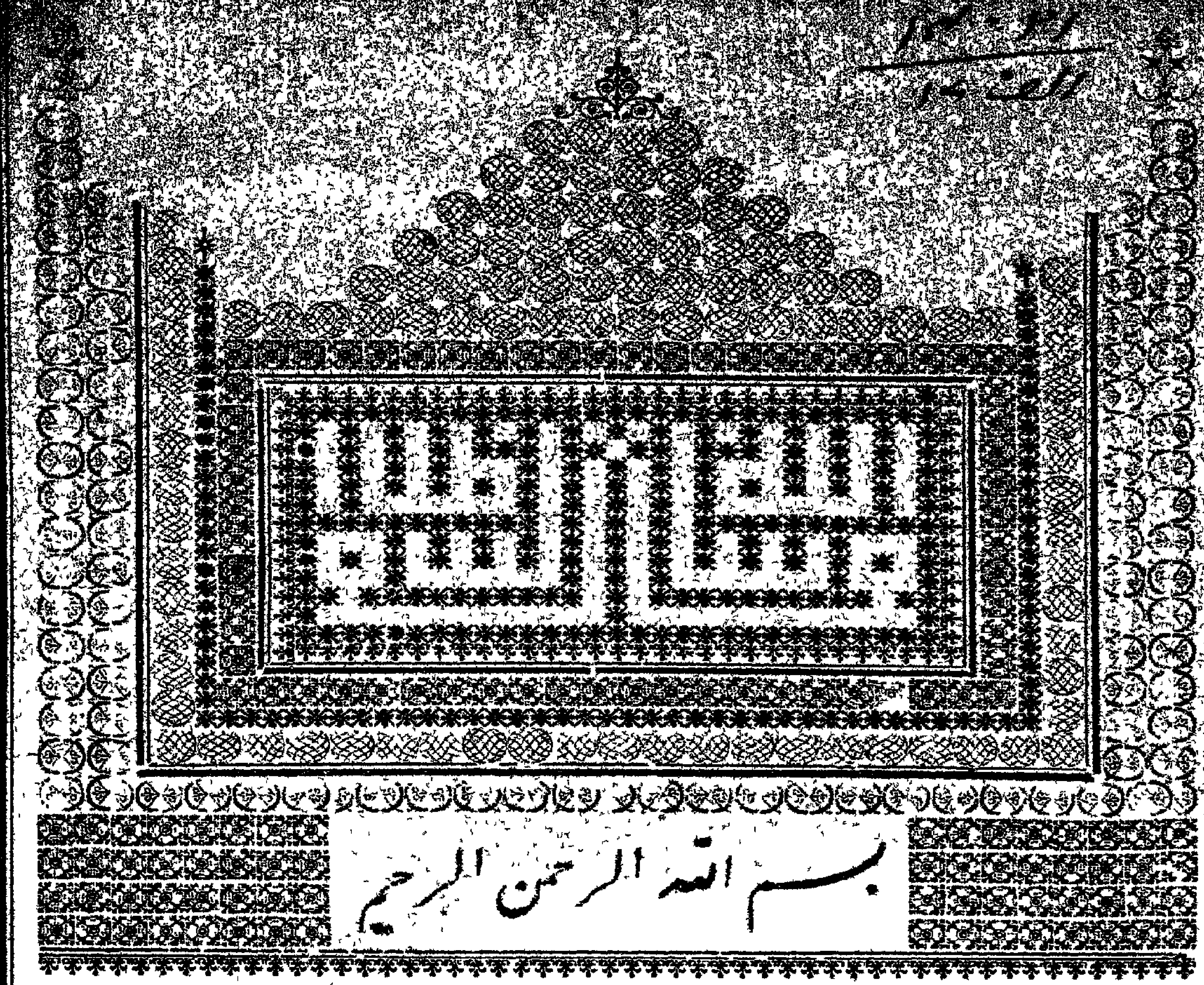
طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن بثغر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

وخدمة لكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة واحضرنا أصولا معتمدة معولا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتبخانة
الخديوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



﴿ سورة الاسراء مائة واحدى عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير * وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا
من دونى وكيلا * ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا * وقضينا الى بنى اسرائيل فى
الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا * ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها
فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا *
عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا * ان هذا القرآن يهدى
للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين
لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا *
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا * وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * من

﴿ سورة الاسراء ﴾ ... ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ... ﴾ ... سبب نزولها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فأنزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية الا آيات اختلف فيها ذكرت في البحر * ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى التكذيب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفاله به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام على سبحان في البقرة * وأسرى بمعنى سرى وانتقل من ضمير الغيبة في قوله بعبده الى ضمير المتكلم في قوله لنريه والظاهر أن هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه * والمسجد الاقصى بيت المقدس وسمي الاقصى لانه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة و ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ صفة مدح لازالة اشتراك عارض و بركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل (٣) الذين كانوا في ذلك القطر والدنياوية من كثرة الاشجار والانهار وطيب الأرض وفي الحديث انه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وفي اضافته تعالى عبده لضميره تشريف عظيم وكثيرا ما أتى التشريف بلفظ العبد كقوله تعالى نعم العبد وان عبادي ليس لك عليهم سلطان واذكر عبادنا ابراهيم ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يامعشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر ويصفه لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس طلعت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء و ... البيت المعمور وسدرة المنتهى ﴿ ... هو السميع ... ﴾ ... وفيه التفات من ضمير

اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا * وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا * من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ * جاس يجوس جوسا وجوسانا تردد في الغارة قاله الليث * وقال أبو عبيدة جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل * وقال الفراء قتلوا * قال حسان ومنا الذي لاقى لسيف محمد * فجاس به الأعداء عرض العساكر * وقال قطرب نزلوا * قال الشاعر فجسنا ديارهم عنوة * وأبناء ساداتهم موثقينا * وقيل داسوا ومنه * اليك جسنا الليل بالمطي * وقال أبو زيد الجوس والحوس والعوس والهوس الطواف بالليل فالجوس والحوس طلب الشئ باستقصاء * حظرت الشئ منعته ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴾ سبب نزول سبحان الذي أسرى بعبده ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش الاسراء به وتكذيبهم له فأنزل الله ذلك تصديقا له وهذه السورة مكية * قال صاحب الغنيان باجماع * وقيل إلا آيتين وان كادوا ليفتنونك وان كادوا ليستفزونك * وقيل إلا أربع آيات وقوله واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وقوله وقل رب

المتكلم الى ضمير الغائب في انه وآتينا معطوف على الجملة السابقة من تنزيهه سبحانه وبراءته من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر أو غيره ولما ذكر تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسراء واراءته الآيات ذكر تشريف موسى صلى الله عليه وسلم بايتائه التوراة والكتاب هنا التوراة والظاهر عود الضمير في وجعلناه على الكتاب وأن لا تكون تفسيرية ولا نهى وأن يكون مصدرية تعليلا أي لأن لا تتخذوا ولا نفي * وانتصب ذرية على النداء أي يا ذرية فرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على أن تكون بدلا من الضمير في تتخذوا على قراءة من قرأ بياء الغيبة * قال ابن عطية ولا يجوز في القراءة بالتاء لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى ما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان في بدل بعض من كل و بدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان من بدل شيء من شيء وهما العين واحدة فان كانت تفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم تفد التوكيد فذهب جمهور البصريين المنع

(الدر) ﴿سورة بني اسرائيل﴾ (ش) سبحان علم للتسبيح (٤) كعثمان علم للرجل (ع) ولم يصرف لأن في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا (ح) يعنيان والله أعلم انه اذا لم يضف كقوله * سبحان من علقمة الفاخر * وأما اذا أضيف فلو فرضنا انه علم لنوى تنكيره ثم يضاف وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية (ع) ويظهر ان أسرى هي معداه بالهمزة الى مفعول محذوف تقديره اسرى الملائكة بعبده لانه لا يقلق أن يسند أسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى اذ هو فعل يعطى النقلة كمشى وجرى واحضر وانتقل ولا يحسن اسناد شيء من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث أتيته سعيا وأتيته هرولة حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي الحوادث وأسرى في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل هذه اللفظة فانه ألزم للنقلة من أتيته وأتى الله بنيانهم من القواعد (ح) انما احتاج (ع) الى هذه الدعوى اعتقاد انه اذا كان أسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شيء ذهب اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه قيامك وقيام زيد [illegible] ليس كذلك لتنسب عنده باء التعدية بباء الحال فباء الحال يلزم فيه المشاركة اذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة فقمت بزيد والباء للتعدية كقولك أقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك أن تقوم أنت (ع) ويحتمل أن يكون أسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله بنورهم (ح) يعني أن يكون التقدير سرت ملائكته [illegible] وهو مبني على اعتقاده انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وأيضا [illegible] معا همزة [illegible] بمعنى واحد الا ترى ان قوله فأسر بأهلك وان أسر بعبادي قرئ [illegible] بالمصرح على المحذوف

أذ جلى مدخل صدق وزاد مقابل قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله الآية * وقال قتادة إلا ثماني آيات أنزلت بالمدينة وهي من قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخرهن * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها انه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده وتقدم الكلام على سبحان في البقرة * وزعم الزمخشري انه علم للتسبيح كعثمان للرجل * وقال ابن عطية ولم ينصرف لان في آخره زائدتين وهو معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا انتهى ويعنيان والله أعلم انه اذا لم يضف كقوله
* سبحان من علقمة الفاخر * وأما اذا أضيف فلو فرضنا انه علم لنوى تنكيره ثم يضاف وصار اذ ذاك تعريفه بالاضافة لا بالعلمية * وأسرى بمعنى سرى وليست الهمزة فيه للتعدية وعديا بالباء ولا يلزم من تعديته بالباء المشاركة في الفعل بل المعنى جعله يسرى لان السرى يدل على الانتقال كمشى وجرى وهو مستحيل على الله تعالى فهو كقوله لذهب بسمعهم أي لأذهب سمعهم فأسرى وسرى على هذا كسقى وأسقى اذ كانا بمعنى واحد وبذلك قال المفسرون معناه سرى بعبده * وقال ابن عطية ويظهر ان أسرى معداة بالهمزة الى مفعول محذوف تقديره أسرى الملائكة بعبده لانه يقلق أن يسند أسرى وهو بمعنى سرى الى الله تعالى إذ هو فعل يعطى النقلة كمشى وجرى وأحضر وانتقل فلا يحسن اسناد شيء من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث أتيته سعيا وأتيته هرولة حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من نفي

الحوادث وأسرى في هذه الآية تحرج فصيحة كما ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل هذه
اللفظة فانه ألزم للنقلة من أثبته وأبى الله بيانهم انتهى وانما احتاج ابن عطية الى هذه الدعوى اعتقاد
انه اذا كان أسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول وهذا شيء ذهب
اليه المبرد فاذا قلت قمت بزيد لزم منه قيامك وقيام زيد عنده وهذا ليس كذلك التبست عنده باء
التعدية بباء الحال فباء الحال يلزم فيه المشاركة إذ المعنى قمت ملتبسا بزيد وباء التعدية مرادفة للهمزة
فقمت بزيد والباء للتعدية كقولك أقمت زيدا ولا يلزم من اقامتك أن تقوم أنت * قال ابن عطية
ويحتمل أن يكون أسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله تعالى ذهب الله بنورهم يعني
أن يكون التقدير لسرت ملائكته بعبده فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهذا مبني على
اعتقاد انه يلزم المشاركة والباء للتعدية وأيضا فوارد القرآن في فأسر بقطع الهمزة ووصلها
يقتضي انهما بمعنى واحد ألا ترى أن قوله فأسر بأهلك وان أسر بعبادي قرئ بالقطع والوصل
ويبعد مع القطع تقدير مفعول محذوف إذ لم يصرح به في موضع فيستدل بالمصرح على المحذوف
* والظاهر ان هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قص ذلك على
أم هانئ قالت لا تحدث الناس بها فيكذبوك ولو كان مناما ما استنكر ذلك وهو قول جمهور أهل
العلم وهو الذي ينبغي أن يعتقد وحديث الاسراء مروي في المسانيد عن الصحابة في كل أقطار
الاسلام وذكر انه رواه عشرون من الصحابة * قيل وما روي عن عائشة ومعاوية انه كان مناما
فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن في ذلك حجة لانهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ
ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حدثا به عنه * وعن الحسن كان في المنام
رؤيا رآها وقوله بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقال أبو القاسم سليمان الأنصاري لما وصل محمد
صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله اليه يا محمد بم أشرفك
قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فأنزل فيه سبحان الذي أسرى بعبده الآية انتهى وعنه قالوا عبد
الله ورسوله وعبد إذا أضيف إليه تعالى هو إضافة تشريف واختصاص * وقال الشاعر

لا تدعني الا بيا عبدها * لانه أشرف أسمائي

* وقال العلماء لو كان للرسول صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة ونصب
ليلا على الظرف ومعلوم أن السرى لا يكون في اللغة الا بالليل ولكنه ذكر على سبيل التوكيد
* وقيل يعني في جوف الليل فلم يكن إدلاجا ولا ادلاجا * وقال الزمخشري أراد بقوله ليلا بلفظ
التنكير تقليل مدة الاسراء وانه أسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة
وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي
بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك يعني الأمر بالقيام في بعض الليل انتهى والظاهر ان من
المسجد الحرام هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه وهو قول أنس وروي من الحجر * وقيل من بين
زمزم والمقام وقيل من شعب أبي طالب وقيل من بيت أم هانئ وقيل من سقف بيته عليه
السلام وعلى هذا [illegible]
الهجرة بعام * وقالت عائشة [illegible]
[illegible] عليه السلام [illegible]

ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك في كلام العرب * وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح التسهيل وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التي نجاهم الله بها من الغرق والظاهر أن الضمير في انه عائد على نوح صلى الله عليه وسلم أي كونوا موحدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح الذي أنتم ذريته من حمل معه

بسنة والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ووقع لشريك بن أبي نمر في الصحيح
ان ذلك كان قبل أن يوحى اليه ولا خلاف بين المحدثين ان ذلك وهم من شريك * وحكى الزمخشري
عن أنس والحسن انه كان قبل المبعث * وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الرعيني في تاريخه
أسري به من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السماء قبل مبعثه بثمانية عشر شهرا ويروى انه كان
نائما في بيت أم هانيء بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانيء وقال مثل
لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانيء بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن
يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحديث الاسراء * فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين
مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر
فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي
الصديق رضي الله تعالى عنه ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس
فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها
وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية * فقال قائل منهم والله هذه الشمس قد شرقت * وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت
يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك
الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي
الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وهذا على قول من قال ان هذه الليلة هي ليلة المعراج
وهو قول ابن مسعود وجماعة وذهب بعضهم الى أن ليلة المعراج هي غير ليلة الاسراء والمسجد
الأقصى مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من
الكعبة * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ويكون
المقصد اظهار العجب في الاسراء الى هذا البعد في ليلة انتهى ولفظة الى تقتضي أنه انتهى الاسراء به
الى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله * والذي باركنا حوله صفة مدح لازالة
اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا
في ذلك القطر ونواحيه ونواديه والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الارض وفي الحديث
أنه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس * وقرأ الجمهور لنريه بالنون
وهو التفات من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في
آياتنا وهي رؤيا عين والآيات التي أريها هي العجائب التي أخبر بها الناس واسراؤه من مكة
وعروجه الى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح * وقال ابن عطية ويحتمل
أن يريد لنري محمدا للناس آية أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع
فتكون الرؤية على هذه رؤية القلب * قال الزمخشري انه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله
العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك * وقال ابن عطية وعيد من الله للكفار
على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم في أمر الاسراء فهي اشارة لطيفة بليغة الى ذلك أي هو
السميع لما تقولون البصير بأفعالكم * ولما ذكر تشريف الرسول صلى الله عليه وسلم
بالاسراء وارائه الآيات ذكر تشريف موسى بايتائه التوراة وآتينا معطوف على الجملة السابقة من

﴿وقضينا الى بنى اسرائيل﴾ الآية قضى يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء أو الانفاذ تعدى بالى أى أوحينا أو أنفذنا الى بنى اسرائيل فى القضاء المحتوم المبتوت واللام فى لتفسدن جواب قسم فاما أن يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم فى الارض وعلوهم ثم أقسم تعالى على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة فحذف متعلق قضينا وأبقى منصوب القسم المحذوف ويجوز أن يكون قضينا أجرى مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله لاقومن مرتين أولاهما قتل زكريا ونشره فى الشجرة بالمنشار والثانية حبس أرمياحين أنذرهم سخط الله ﴿فاذا جاء وعد أولاهما﴾ أى موعود أولاهما والوعد قد سبق بذلك والموعود هو العقاب والضمير فى أولاهما عائد على المرتين ﴿عبادا لنا﴾ قال ابن عباس غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل وقيل بخت نصر وروى أنه دخل قبل فى جيش من الفرس وهو خامل يسير فى مطبخ الملك فاطلع من

(٧)

تنزيه الله تعالى و براءته من السوء ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة فى الخبر أو غيره * وقال ابن عطية عطف قوله وآتينا على ما فى قوله أسرى بعبده من تقدير الخبر كأنه قال أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا وآتينا * وقال العكبرى وآتينا معطوف على اسرى انتهى وفيه بعد والكتاب هنا التوراة والظاهر عود الضمير من وجعلناه على الكتاب ويحتمل أن يعود على موسى ويجوز أن تكون تفسيرية ولا نهى وأن تكون مصدرية تعليلا أى لأن لا يتخذوا ولا نفى ولا يجوز أن تكون ان زائدة ويكون لا تتخذوا معمولا لقول محذوف خلافا لمجوز ذلك اذ ليس من مواضع زيادة ان * وقرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة يتخذوا بالياء على الغيبة وباقى السبعة بتاء الخطاب والوكيل فعيل من التوكل أى متوكلا عليه * وقال الزمخشرى ربا تكلون اليه أموركم * وقال ابن جرير حفيظا لكم سواى * وقال أبو الفرج بن الجوزى قيل للرب وكيل لكفايته وقيامه بشؤون عباده لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل انتهى * وانتصب ذرية على النداء أى يا ذرية أو على البدل من وكيلا أو على المفعول الثانى ليتخذوا ووكيلا فى معنى الجمع أى لا يتخذوا وكلاء ذرية أو على اضمار أعنى * وقرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على أن يكون بدلا من الضمير فى يتخذوا على قراءة من قرأ بياء الغيبة * وقال ابن عطية ولا يجوز فى القراءة بالتاء لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى وما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك أنه ان كان فى بدل بعض من كل و بدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان فى بدل شئ من شئ وهما العين واحدة وان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الأخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك فى كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح كتاب التسهيل وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التى نجاهم بها من الغرق * وقرأ زيد بن ثابت وأبان بن عثمان وزيد بن على ومجاهد فى رواية بكسر الذال ذرية وقرأ مجاهد أيضا بفتحها وعن زيد بن ثابت ذرية بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعلية كمطية والظاهر ان الضمير فى انه عائد على نوح قال سلمان الفارسى كان يحمد الله على طعامه * وقال ابراهيم شكره اذا أكل قال بسم الله فاذا فرغ قال الحمد لله * وقال قتادة كان اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله * وقيل الضمير فى انه عائد على موسى انتهى ونبه على الشكر لأنه يستلزم التوحيد اذ النعم التى يجب الشكر عليها هى من عند الله تعالى فكأنه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم الله مقتدين بنوح لأنكم ذرية من حمل معه ﴿وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ وتعلق ... فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

(الدر)

(ح) قرأت فرقة ذرية من حملنا برفع ذرية وخرج على أن يكون بدلا من الضمير فى تتخذوا على قراءة ياء الغيبة (ع) ولا يجوز فى القراءة بالتاء لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز (ح) ما ذكره من اطلاق انك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج الى تفصيل وذلك انه ان كان فى بدل بعض من كل و بدل اشتمال جاز بلا خلاف وان كان فى بدل شئ من شئ وهما لعين واحدة فان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو مررت بكم صغيركم وكبيركم وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك فى كلام العرب وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح كتاب التسهيل

عليهم باسن بيتوتكي منام بعثه الفرس لأنه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر للملك الأعظم فلما كان بعد سنة جعله الملك رئيس جيش و بعثه لخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قدمات فملك موضعه واستمرحاله حتى ملك الارض بعد ذلك والبعث هنا الارسال والتسلط ﴿أولى بأس شديد﴾ أى قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم وعددهم ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ أسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم لتخريب المساجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ أى منجزا ماوقع به الوعد من العقاب ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ هذا اخبار من الله لبنى اسرائيل فى التوراة وجعل رددنا موضع نرد اذوقت إخبارهم لم يقع الامر بعد لكنه لما كان وعد الله فى غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضى * والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حين تابوا ورجعوا عن الفساد ملكوا بيت المقدس وقيل الكرة قتل بخت نصر واستنقاذ بنى اسرائيل اسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر فى سبب ذلك أن ملكا غزا أهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بنى اسرائيل أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وبقى بقيتهم عنده ببابل فى الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بنى اسرائيل وطلبت منه أن يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء فرجعوا (٨) الى أحسن ما كانوا عليه وانتصب نفيرا على التمييز فقيل

عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ قضى يتعدى بنفسه الى مفعول كقوله فلما قضى موسى الأجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء أو الانفاذ تعدى بالى أى وأوحينا أو أنفذنا الى بنى اسرائيل فى القضاء المحتوم المبتوت وعن ابن عباس معناه أعلمناهم وعنه أيضا قضينا عليهم وعنه أيضا كتبنا * واللام فى لتفسدن جواب قسم فاما أن يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم فى الأرض وعلوهم ثم أقسم على وقوع ذلك وأنه كائن لامحالة فحذف متعلق قضينا وأبقى منصوب القسم المحذوف ويجوز أن يكون قضينا أجرى مجرى القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضاء الله لأقومن * وقرأ أبو العالية وابن جبير فى الكتب على الجمع والجمهور على الافراد فاحتمل أن يريد به الجنس والظاهر أن يراد التوراة * وقرأ ابن عباس ونصر بن على وجابر بن زيد لتفسدن بضم التاء وفتح السين مبنيا للمفعول أى يفسدكم غيركم * فقيل من الاضلال * وقيل من الغلبة * وقرأ عيسى لتفسدن بفتح التاء وضم السين

النفير والنافر واحد واصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته وجواب وان أسأتم قوله فلها على حذف مبتدإ ولها خبره تقديره فالاساءة لها ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ أى المرة الآخرة فى افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره بعثناهم عليكم ليسوؤا وقرئ ﴿ليسوؤا﴾ بلام كى وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين وقرئ لنسوء بالنون الى للعظمة وفيها ضمير يعود على الله والظاهر أنه أريد بالوجوه الحقيقية لان آثار الأعراض النفسانية فى القلب تظهر على الوجه ففى الفرح يظهر الاسفار والاشراق وفى الحزن يظهر الكلوح والغبرة ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساؤهم بالقتل والسبى والنهب فحصلت الاساءة للذوات كلها ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أى مسجد بيت المقدس ومعنى ﴿كما دخلوه أول مرة﴾ أى بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب الى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ﴿وليتبروا﴾ أى يهلكوا وقال قطرب يهدموا * وقال

[illegible] ولعل الظاهر أن مفعوله يتبروا أى يهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار ويحتمل أن تكون مصدرية [illegible] ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصى [illegible] وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ثم ذكر ما أعد لهم فى الآخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا والحصير السجن [illegible] يتقمه على الرجل كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

أي فسدتم بأنفسكم بارتكاب المعاصي مرتين أولاهما قتل زكرياء عليه السلام قاله السدي عن أشياخه وقاله ابن مسعود وابن عباس وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا ولا يسمعون من زكريا * فقال الله له قم في قومك أوح على لسانك فلما فرغ مما أوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها حتى قطعوه في وسطها * وقيل سبب قتل زكريا أنهم اتهموه بمريم قيل قالوا حين حملت مريم ضيع بنت سيدنا حتى زنت فقطعوه بالمنشار في الشجرة * وقيل شعياء قاله ابن اسحاق وان كان زكرياء مات موتا ولم يقتل وان الذي دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار في وسطها هو شعياء وكان قبل زكرياء وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قيل يحيى بن زكرياء وقصد قتل عيسى ابن مريم أعلم الله بني اسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله تعالى في الرسل وفي الكتب وغير ذلك وأنه سيرسل عليهم أمة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم الأولى من الظهور فتقع منهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم فيبعث الله عليهم أمة أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا ودل الوجود بعد ذلك على هذا الأمر كله قيل وكان بين آخر الأولى والثانية مائتا سنة وعشر سنين ملكا مؤيدا ثابتا * وقيل سبعون سنة * وقال الكلبي لتعصن في الأرض المقدسة ولتعلن أي تطغون وتعظمون * وقرأ زيد بن علي عليا كبيرا في الموضعين بكسر اللام والياء المشددة * وقرأ الجمهور علوا والصحيح في فعول المصدر أكثر كقوله وعتو عتوا كبيرا بخلاف الجمع فان الاعلال فيه هو المقيس وشذ التصحيح نحو بهو وبهو خلافا للفراء اذ جعل ذلك قياسا فاذا جاء وعد أولاهما أي موعد أولاهما لأن الوعد قد سبق ذلك والموعود هو العقاب * وقال الزمخشري معناه وعد عقاب أولاهما . وقيل الوعد بمعنى الوعيد * وقيل بمعنى الموعد الذي يراد به الوقت والضمير في أولاهما عائد على المرتين * وقرأ الجمهور عبادا * وقرأ الحسن وزيد بن علي عبيدا * قال ابن عباس وقتادة هو جالوت من أهل الجزيرة * وقال ابن جبير وابن اسحاق هو سنحاريب وجنوده من أهل بابل * وقيل بخت نصر وروي أنه دخل قبل في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بني اسرائيل على ما لم يعلمه الفرس لأنه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك فلما كان بعد مدة جعله الملك رأس جيش وبعثه وخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك موضعه واستمرت حاله حتى ملك الأرض بعد ذلك * وقيل هم العمالقة وكانوا كفارا * وقيل كان المبعوثون قوما مؤمنين بعثهم الله وأمرهم بغزو بني اسرائيل والبعث هنا الارسال والتسليط * وقال الزمخشري معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة اليه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون الله أرسل اليهم في ذلك رسولا أمره بغزو بني اسرائيل وتكون البعثة بأمر ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقى في نفس الملك الذي غزاهم انتهى * أولي بأس شديد أي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة عددهم * وقرأ الجمهور

والذي يظهر أنها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة ولكنه على معنى النسب كقوله تعالى السماء منفطر به أي ذات انفطار

فحاسوا بالجيم * وقرأ أبو السمال وطلحة فحاسوا بالحاء المهملة * وقرئ فتجوسوا على وزن تتكسر وبالجيم * وقرأ الحسن خلال الديار واحدا ويجمع على خلل كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال مفردا كالخلل وهو وسط الديار وما بينها والجمهور على انه في هذه البعثة الأولى خرب بيت المقدس ووقع القتل فيهم والجلاء والأسر وعن ابن عباس ومجاهد انه حين غزوا جاس الغازون خلال الديار ولم يكن قتل ولا قتال في بني اسرائيل وانصرفت عنهم الجيوش والضمير في وكان عائدا على وعد أولاهما * قال الزمخشري وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل انتهى * وقيل يعود على الجيوش ثم رددنا لكم الكرة عليهم هذا اخبار من الله لبني اسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع نرداذ وقت اخبارهم لم يقع الأمر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة انه يقع عبر عن مستقبله بالماضي والكرة الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حتى تابوا ورجعوا عن الفساد ملكوا بيت المقدس قبل الكرة قيل بخت نصر واستبقاء بني اسرائيل اسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر في سبب ذلك ان ملكا غزا أهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بني اسرائيل أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وبقي بقيته عندهم ببابل في الذل فلما غزاهم ذلك الملك وغلب على بابل تزوج امرأة من بني اسرائيل فطلبت منه أن يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل وبعد مدة قامت فيهم الأنبياء فرجعوا الى أحسن ما كانوا * وقيل الكرة تقوية طالوت حتى حارب جالوت ونصر داود على قتل جالوت * وقال قتادة كانوا أكثر شرا في زمان داود عليه السلام وانتصب نفيرا على التمييز * فقيل النفير والنافر واحد وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته قاله أبو مسلم * وقال الزجاج يجوز أن يكون جمع نفر ككلب وكليب وعبد وعبيد وهم المجتمعون للمصير الى الأعداء * وقيل النفير مصدر أي أكثر خروجا الى العدو كما في قول الشاعر

فأكرم بقحطان من والد * وحمير أكرم بقوم نفيرا

ويروى بالحمير بين أكرم نفيرا والمفضل عليه محذوف قدره الزمخشري وأكثر نفيرا مما كنتم وقدره غيره وأكثر نفيرا من الأعداء ان أحسنتم أي أطعتم الله كان ثواب الطاعة لأنفسكم وان أسأتم بمعصيته كان عقاب الاساءة لأنفسكم لا يتعدى الاحسان والاساءة الى غيركم وجواب وان أسأتم قوله فلها على حذف مبتدا محذوف ولها خبره تقديره فالاساءة لها * قال الكرماني جاء فلها باللام ازدواجا انتهى يعني أنه قابل قوله لأنفسكم بقوله فلها * وقال الطبري اللام بمعنى الى أي فاليها ترجع الاساءة * وقيل اللام بمعنى على أي فعليها كما في قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * فاذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة في افسادكم وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره بعثناهم عليكم وافسادهم في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام * وسبب قتله فيما روى عن ابن عباس وغيره أن ملكا أراد أن يتزوج من لا يجوز له نكاحها فنهاه يحيى بن زكريا وكان لتلك المرأة حاجة كل يوم عند الملك تقضيها فألقت أمها اليها أن تسأله عن ذبح يحيى بن زكريا بسبب ما كان منعه من تزوج بنتها فسألته ذلك فدفعه اليها فأخذت عنقه فدعا بطست فذبحه فندرت قطرة على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بخت نصر وألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين ألفا * وقال السهيلي لا يصح أن يكون المبعوث في المرة الآخرة بخت نصر لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى وبخت نصر كان قبل عيسى بزمن طويل * وقيل المبعوث عليهم الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلثمائة سنة ولكنه أريد بالمرة الاخرى حين قتلوا شعياء فكان بخت نصر

اد ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم الى مصر وأخرجهم منها * وروى عن عبدالله بن الزبير ان الذي غزاهم آخرا ملك اسمه خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكرياء قائد له فسكن الدم * وقيل قتله ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له لاحب * وقال الربيع بن أنس كان يحيى قد أعطي حسنا وجمالا فراودته امرأة الملك عن نفسه فأبى فقالت لابنتها سلي أباك رأس يحيى فأعطاها ما سألت * وقرأ الجمهور ليسوؤا بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين * وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الافراد والفاعل المضمر عائد على الله تعالى أو على الوعد أو على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله * وقرأ أبي لنسوءن بلام الامر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخرا وعن علي أيضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم ودخلت لام الامر في قراءة أبي على المتكلم كقوله ولنحمل خطاياكم وجواب اذا هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء وفي مصحف أبي ليسيء بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف أنس ليسوء وجهكم على الافراد والظاهر انه أريد بالوجوه الحقيقة لان آثار الاعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ففي الفرح يظهر الاسفار والاشراق وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساؤهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الاساءة للذوات كلها أو عن ساداتهم وكبرائهم بالوجوه ومنه قولهم في الخطاب ياوجه العرب واللام في وليدخلوا لام كي معطوفا على ما قبلها من لام كي ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جاز أن يكون وليدخلوا وما بعدها أمرا وجاز أن تكون لام كي أي وبعثناهم ليدخلوا * والمسجد مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب الى ان أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب وتقدم الكلام في أول مرة في سورة التوبة وليتبروا ليهلكوا * وقال قطرب يهدموا * قال الشاعر

فما الناس الا عاملان فعامل * يتبر ما يبني وآخر رافع

والظاهر ان ما مفعولة بيتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من الأقطار ويحتمل أن تكون ما ظرفية أي مدة استيلائهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم عن المعاصي وهذه الترجية ليست لرجوع دولة وانما هي من باب ترحم المطيع منهم وكان من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما السلام فلم يفعلوا وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه في عذاب الى يوم القيامة انتهى ومعنى عدنا أي في الدنيا بالعقوبة وقال تعالى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة وهو جعل جهنم لهم حصيرا والحصير السجن قال لبيد

ومقامة غلب الرجال كأنهم * جن لدى باب الحصير قيام

* وقال الحسن يعني فراشا ومهادا أيضا وهو مأخوذ من الحصر وهو الحبس أي حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر اذ لو كان للمبالغة لزمه التاء لجريانه على مؤنث كما تقول رحيمة وعليمة ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر به أي ذات انفطار ان هذا القرآن

* ان هذا القرآن

يهدي﴾ الآية لما ذكر من اختصه بالاسراء وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آتاه التوراة وهو موسى صلى الله عليه وسلم وانه هدى لبني اسرائيل وذكر فيها ماقضى عليهم من التسلط عليهم بذنوبهم كان ذلك رادعا من عقل عن معاصي الله فذكر ماشرف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلهي وانه يهدي للطريقة التي هي أقوم والذي يظهر من حيث المعنى أن أقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التي هي قيمة أي مستقيمة وغيرها من الطرق ليست مستقيمة كما قال تعالى وذلك دين القيمة ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ عطف على قوله أن لهم أجرا كبيرا بشر وابفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لاعدائهم الكفار اذ في علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما بشارتان وفيه وعيد الكفار * قال الزمخشري فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفرة ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك انتهى هذه مكابرة بل قد وقع في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن و بعضها في الحديث الصحيح الثابت ﴿ويدع الانسان بالشر﴾ قال ابن عباس وغيره نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في أوقات الغضب والضجر * ومناسبتها لما قبلها أن بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل ما وعد به من الشر في الآخرة كقول النضر فأمطر علينا حجارة من السماء الآية وكتب ويدع بغير واو على حسب السمع والانسان هنا ليس واحدا معينا والمعنى أن في طباع الانسان اذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشر أن يصيبه كما يدعو بالخير أن يصيبه ثم ذكر تعالى أن ذلك من عدم تثبته وقلة صبره وكونه خلق كثير التسرع لما يرد على قلبه لا يتأنى ولا يستبصر

يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا * وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا * وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ الظاهر أن آيتين هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول الثاني أي وجعلنا في الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح المحفوظ وجعلنا آية النهار مبصرة أي يبصر فيه الاشياء ويستبان ومعنى ﴿لتبتغوا فضلا﴾ أي من فضله أي لتتوصلوا الى استبانة أعمالكم وتصرفكم في معايشكم والحساب للشهور والأيام والساعات ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة آية النهار وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم ﴿فصلناه﴾ بيناه تبيينا غير ملتبس والظاهر أن انتصب وكل شيء على الاشتغال ﴿طائره﴾ أي أن جميع ما يلقى الانسان من خير وشر فقد سبق به القضاء وألزم حظه وعمله ومكسبه في عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطائر ﴿و﴾ قرىء ﴿نخرج﴾ بنون مضارع أخرج ﴿كتابا﴾ بالنصب وعن أبي جعفر ويخرج بالياء مبنيا للمفعول كتابا أو يخرج الطائر كتابا وعنه أيضا كتاب بالرفع على أنه مفعول مالم يسم فاعله و ﴿يلقاه منشورا﴾ صفتان لكتاب ويجوز أن يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه ﴿اقرأ كتابك﴾ معمول لقول محذوف أي يقال له اقرأ كتابك وقال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا و ﴿بنفسك﴾ فاعل كفى والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى كقول الشاعر ويخبرني عن غائب المرء هديه * كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا و ﴿اليوم﴾ منصوب بكفى وعليك يتعلق بحسيب ومعنى حسيبا [illegible] وحسيبا منصوب على التمييز [illegible] ودخول على عليه والحسيب بمعنى المحاسب ومعناه حافظا عليك عملك [illegible] ﴿من اهتدى﴾ الآية قيل نزلت الاشارة في الهدى الى أبي سلمة بن عبد الاسود وفي الضلال الى الوليد بن المغيرة [illegible] ﴿وما كنا معذبين﴾ الآية [illegible] انتفاء التعذيب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

رسولا﴾ لما ذكر تعالى من اختصه بالاسراء وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آتاه التوراة وهو موسى عليه السلام وانها هدى لبني اسرائيل وذكر ما قضى عليهم فيها من التسليط عليهم بذنوبهم كان ذلك رادعا من عقل عن معاصي الله فذكر ما شرف الله به رسوله من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الهي وانه يهدي للطريقة أو الحالة التي هي أقوم * وقال الضحاك والكلبي والفراء التي هي أقوم هي شهادة التوحيد * وقال مقاتل للأوامر والنواهي وأقوم هنا أفعل التفضيل على قول الزجاج اذ قدر أقوم الحالات وقدره غيره أقوم مما عداها أو من كل حال والذي يظهر من حيث المعنى ان أقوم هنا لا يراد بها التفضيل اذ لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التي هي قيمة أي مستقيمة كما قال وذلك دين القيمة وفيها كتب قيمة أي مستقيمة الطريقة قائمة بما يحتاج اليه من أمر الدين * وقال الزمخشري التي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأشدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه انتهى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات قيد في الايمان الكامل اذ العمل هو كمال الايمان نبه على الحالة الكاملة ليتحلى بها المؤمن والمؤمن المفرط في عمله له بايمانه حظ في عمل الصالحات والأجر الكبير الجنة * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك انتهى وهذا مكابرة بل وقع في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها مذكور في الحديث الصحيح الثابت وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا بشروا بفوزهم بالجنة وبكينونة العذاب الاليم لأعدائهم الكفار اذ في علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم فهما بشارتان وفيه وعيد للكفار * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون انتهى فلا يكون اذ ذاك داخلا تحت البشارة وفي قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة دليل على ان من آمن بالآخرة لا يعد له عذاب أليم وانه ليس عمل الصالحات شرطا في نجاته من [illegible] وقرأ الجمهور ويبشر مشددا مضارع بشر المشدد * وقرأ عبد الله وطلحة وابن وثاب والأخوان ويبشر مضارع بشر المخفف ومعنى [illegible] الآية [illegible] ذكر [illegible] اليهود والمدرجو فيمن لا يؤمن بالآخرة لان أكثرهم لا يقولون بالثواب والعقاب [illegible] وبعضهم قال لن تمسنا النار الا أياما معدودة فلم يؤمنوا بالآخرة حقيقة لا تمسك بها [illegible] الانسان قال ابن عباس ومجاهد وقتادة [illegible] لمن [illegible] وأسامهم في أوقات [illegible] بعض من لا يؤمن بالآخرة كان يدعو على نفسه بتعجيل [illegible] الآخرة [illegible] الآية وكتب ويدع [illegible] في [illegible] الانسان [illegible] أن [illegible] به [illegible] فهي [illegible]

رسولا﴾ فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو في الآخرة بالنار فهو يشملهما

(الدر)

(س) فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (ح) هذه مكابرة بل قد وقع في زمن الرسول من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها في الحديث الصحيح [illegible]

الآية * وقالت فرقة هذا ذم لقريش الذين قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية وكان الأولى أن يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا * وقالت فرقة هي عادة للناس على أنهم اذا نالهم شر وضر دعوا وألحوا في الدعاء واستعجلوا الفرج مثل الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير والباء في بالشر وبالخير على هذا بمعنى في والمدعو به ليس الشر ولا الخير ومراده على هذا أن تكون حالتاه في الشر والخير متساويتين في الدعاء والتضرع لله والرغبة والذكر ونحو عن هذا المعنى قوله دعاءه اذ هو مصدر تشبيهي يقتضي وجوده وفي هذا القول تشبيه دعائه في حالة الشر بدعاء مفقود كان ينبغي أن يوجد في حالة الخير * وقيل المعنى ويدع الانسان في طلب المحرم كما يدعو في طلب المباح ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ لما ذكر تعالى القرآن وأنه هاد الى الطريقة المستقيمة ذكر ما أنعم به مما لم يكمل الانتفاع الا به وما دل على توحيده من عجائب العالم العلوي وأيضا لما ذكر عجلة الانسان وانتقاله من حال الى حال ذكر ان كل هذا العالم كذلك في الانتقال لا يثبت على حال فنور عقب ظلمة وبالعكس وازدياد نور وانتقاص والظاهر أن الليل والنهار مفعول أول لجعل بمعنى صير وآيتين ثاني المفعولين ويكونان في أنفسهما آيتين لأنهما علامتان للنظر والعبرة وتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة * وقيل هو على حذف مضاف فقدره بعضهم وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين وقدره بعضهم وجعلنا ذوي الليل والنهار أي صاحبي الليل والنهار وعلى كلا التقديرين يراد به الشمس والقمر ويظهر ان آيتين هو المفعول الأول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول الثاني أي وجعلنا في الليل والنهار آيتين * وقال الكرماني ليس جعل هنا بمعنى صير لأن ذلك يقتضي حالة تقدمت نقل الشئ عنها الى حالة أخرى ولا بمعنى سمى وحكم والآية فيها اقبال كل واحد منهما وادباره من حيث لا يعلم ونقصان أحدهما بزيادة الآخر وضوء النهار وظلمة الليل فمحونا آية الليل اذا قلنا ان الليل والنهار هما المجعولان آيتين فمحو آية الليل عبارة عن السواد الذي فيه بل خلق أسود من أول حاله ولا تقتضي الفاء تعقيبا وهذا كما يقول بنيت داري فبدأت بالأس واذا قلنا ان الآيتين هما الشمس والقمر فقيل محو القمر كونه لم يجعل له نورا * وقيل محوه طلوعه صغيرا ثم ينمو ثم ينقص حتى يستتر * وقيل محوه نقصه عما كان خلق عليه من الاضاءة وأنه جعل نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر حتى صار على جزء واحد وجعل ما محى منه زائدا في نور الشمس وهذا مروي عن علي وابن عباس * وقال ابن عيسى جعلناها لا تبصر المرئيات فيها كما لا يبصر ما محي من الكتاب قال وهذا من البلاغة الحسنة جدا * وقال الزمخشري فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان منه شئ كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي يبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شئ انتهى ونسب الابصار الى آية النهار على سبيل المجاز كما تقول ليل قائم ونائم أي يقام فيه وينام فيه فالمعنى يبصر فيها * وقيل معنى مبصرة مضيئة * وقيل هو من باب أفعل والمراد به غير من أسند أفعل اليه كقولهم أجبن الرجل اذا كان أهله جبناء وأضعف اذا كان دوابه ضعافا فأبصرت الآية اذا كان أصحابها بصراء * وقرأ قتادة وعلي ابن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر أقيم مقام الاسم وكثر مثل ذلك في صفات الأمكنة

كقولهم أرض مسبعة ومكان مضبة وعلل المحو والابصار بابتغاء الفضل وعلم عدد السنين والحساب
وولي التعليل بالابتغاء ما وليه من آية النهار وتأخر التعليل بالعلم عن آية الليل وجاء في قوله ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله البداءة بتعليل المتقدم ثم تعليل المتأخر بالعلة
المتأخرة وهما طريقان تقدم الكلام عليهما ومعنى لتبتغوا لتتوصلوا الى استبانة أعمالكم
وتصرفكم في معايشكم والحساب للشهور والأيام والساعات ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من
جهة آية الليل لا من جهة آية النهار وكل شئ مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه تبيينا
غير ملتبس والظاهر ان نصب وكل شئ على الاشتغال وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية
في قوله وجعلنا الليل والنهار وأبعد من ذهب الى أن وكل شئ معطوف على قوله والحساب والطائر
* قال ابن عباس ما قدّر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الآية بما تعرف اذ كان من عادتها التيمن
والتشاؤم بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلاة وسمى ذلك
كله تطيرا وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية بما يلقى الانسان من خير وشر فأخبرهم الله تعالى في
أوجز لفظ وأبلغ اشارة أن جميع ما يلقى الانسان من خير وشر فقد سبق به القضاء وألزم حظه وعمله
ومكسبه في عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد
العرب في التطير وقولهم في الأمور على الطائر الميمون وبأسعد طائر وبه ما طار في المحاصة والسهم
ومنه فطار لنا من القادمين عثمان بن مظعون أي كان ذلك حظنا وعن ابن عباس طائره عمله وعن
السدي كتابه الذي يطير اليه وعن أبي عبيدة الطائر عند العرب الحظ وهو الذي تسميه البخت
وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وخص العنق لأنه محل الزينة
والشين فان كان خيرا زانه كما يزين الطوق والحلي وان كان شرا شانه كالغل في الرقبة وقرأ مجاهد
والحسن وأبو رجاء طيره وقرئ في عنقه بسكون النون * وقرأ الجمهور ومنهم أبو جعفر ونخرج
بنون مضارع أخرج * كتابا بالنصب وعن أبي جعفر أيضا ويخرج بالياء مبنيا للمفعول كتابا أي
ويخرج الطائر كتابا وعنه أيضا كتاب بالرفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله * وقرأ الحسن وابن
محيصن ومجاهد ويخرج بفتح الياء وضم الراء أي طائره كتابا الا الحسن فقرأ كتاب على أنه فاعل
يخرج * وقرأت فرقة ويخرج بضم الياء وكسر الراء أي ويخرج الله * وقرأ الجمهور يلقاه بفتح
الياء وسكون اللام * وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والجحدري والحسن بخلاف عنه يلقاه بضم الياء
وفتح اللام وتشديد القاف منشورا غير مطوي ليمكنه قراءته ومنشورا صفتان لكتاب
ويجوز أن يكون منشورا حالا من مفعول يلقاه اقرأ كتابك معمول لقول محذوف أي يقال له اقرأ
كتابك * وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقال الزمخشري وغيره وبنفسك
فاعل كفى انتهى وهذا مذهب الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه انه اذا
حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وقال آخر
* ويخبرني عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا *
* وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء بنفسك وقيل كفى اسم
فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لا تكون الباء زائدة
واذا فرعنا على قول الجمهور ان بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس أن تدخل تاء التأنيث لتأنيث
الفاعل فكان يكون التركيب كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل اذا كان مؤنثا [illegible]

(الدر)

(ش) وبنفسك فاعل كفى
(ح) هذا مذهب الجمهور والباء زائدة على سبيل الجواز لا اللزوم ويدل عليه انه اذا حذفت ارتفع ذلك الاسم بكفى قال * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * وقال آخر * ويخبرني عن غائب المرء هديه * كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا *
وقيل فاعل كفى ضمير يعود على الاكتفاء أي كفى هو أي الاكتفاء بنفسك وقيل كفى اسم فعل بمعنى اكتف والفاعل مضمر يعود على المخاطب وعلى هذين القولين لا تكون الباء زائدة واذا فرعنا على قول الجمهور ان بنفسك هو فاعل كفى فكان القياس أن تدخل تاء التأنيث لتأنيث الفاعل فكان يكون التركيب كفت بنفسك كما تلحق مع زيادة من في الفاعل اذا كان مؤنثا كقوله تعالى ما تسبق من أمة [illegible] [illegible] ولا تحفظه [illegible] [illegible] كفى [illegible] كان [illegible]

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ الآية لما ذكر تعالى انه لا يعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهي مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمادي على الفساد والفسق وأراد هنا على حقيقته وأن نهلك بمعنى في الدنيا وقرىء ﴿أمرنا﴾ بتخفيف الميم من الامر ومفعول أمر

محذوف تقديره أمرناها بالطاعة ﴿مترفيها﴾ ويجوز أن تكون أمرنا بمعنى كثرنا تقول العرب أمر القوم بكسر الميم أي كثروا وأمرهم الله بفتح الميم أي كثرهم فصارت الحركة يصير بها الفعل متعديا تقول العرب شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتح التاء والقول الذي حق عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم * والتدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء مع هلاك أهلها وقرىء آمرنا بالمد أي كثرنا عدى أمر بالهمزة بمعنى كثرنا وقرىء أمرنا بالتشديد أي جعلناهم أمراء أو بمعنى كثرنا وكم في موضع نصب على المفعول بأهلكنا أي كثيرا من القرون أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما تميز العدد بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعني بالاهلاك هنا الاهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد للمشركين بمكة وقال من بعد نوح ولم يقل من [illegible] لانه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العظمى وهو الاستئصال بالطوفان وتقدم القول في عمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكفى بربك [illegible] الأغلب في مدح أو ذم [illegible] [illegible] [illegible] ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾ تنبيه على أنه عالم [illegible] [illegible] من كان يريد العاجلة [illegible] نزلت في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين

تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها وقوله وما تأتيهم من آية ولا تحفظه جاء التأنيث في كفى اذا كان الفاعل مؤنثا مجرورا بالباء والظاهر ان المراد بنفسك ذاتك أي كفى بك * وقال مقاتل يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه اذا أنكر * وقال أبو عبيدة أي ما أشد كفاية ما علمت بما عملت واليوم منصوب بكفى وعليك متعلق بحسيبا ومعنى حسيبا حاسبا كما عليك بعملك قاله الحسن * قال يا ابن آدم لقد أنصفك الله وجعلك حسيب نفسك * وقال الكلبي محاسبا بمعنى فعيلا بمعنى مفاعل كجليس وخليط * وقيل حاسبا كضريب القداح أي ضاربها وصريم بمعنى صارم يعني انه بناء مبالغة كرحيم وحفيظ وذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لان الغالب ان هذه الأمور يتولاها الرجال وكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا * وقال الانباري وانما قال حسيبا والنفس مؤنثة لانه يعني بالنفس الشخص أو لانه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس فشبهت بالسماء والأرض قال تعالى السماء منفطر به * وقال الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها * من اهتدى الآية قالت فرقة نزلت الاشارة في الهدى الى أبي سلمة بن عبد الأسود وفي الضلال الى الوليد بن المغيرة * وقيل نزلت في الوليد هذا قال يا أهل مكة اكفروا بمحمد واثمكم علي وتقدم تفسير ولا تزر وازرة وزر أخرى في آخر الأنعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا غيا انتفاء التعذيب ببعثة الرسول عليه السلام والمعنى حتى يبعث رسولا فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو في الآخرة بالنار فهو يشملهما ويدل على الشمول قوله في الهلاك في الدنيا بعد هذه الآية واذا أردنا وفي آخره فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وآي كثيرة نص فيها على الهلاك في الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل وقوله في عذاب الآخرة كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير وكلما تدل على عموم أزمان الالقاء فتعم الملقين وقوله وان من أمة إلا خلا فيها نذير وذهب الجمهور الى أن هذا في حكم الدنيا أي ان الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة اليهم والانذار * قال الزمخشري (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل انتهى * وقال مقاتل المعنى وما كنا مستأصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الالهية حتى نبعث رسولا اقامة للحجة عليهم وقطعا للعذر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات وغيرها [illegible] وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة

لا للثواب ومن شرطية وجوابه ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾ فقيد المعجل بمشيئته أي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الاول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدأ وخبر و يصلاها حال من الضمير في له أو من جهنم ﴿مذموما﴾ اشارة الى الاهانة ﴿مدحورا﴾ اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وهما حالان من الضمير المستكن في يصلاها ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا ويعقد ارادته بها ﴿وسعى﴾ فيما كلف من الأعمال والأقوال ﴿سعيها﴾ أي السعي المعد للنجاة فيها ﴿وهو مؤمن﴾ هو الشرط الاعظم في النجاة فلا ينفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشيء عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف وراعى معنى من فلذلك كان بلفظ الجمع والله تعالى يشكرهم على طاعتهم وهو تعالى هو المشكور على ما أعطى وانتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشيء وهؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا بدل تفصيل وقدره الزمخشري كل واحد من الفريقين نمد وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كلا على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر أن هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا ويدل على هذا التأويل ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي رزقه لا يضيق عن مؤمن (١٧) ولا كافر ومعنى محظورا أي ممنوعا والظاهر ان ﴿أنظر﴾

عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا * لما ذكر تعالى انه لا يعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهي مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والتمادي على الفساد * وقال الزمخشري واذا أردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان اهلاكهم الا قليل انتهى فتؤول أردنا على معنى دنا وقت اهلاكهم وذلك على مذهب الاعتزال * وقرأ الجمهور أمرنا وفي هذه القراءة قولان * أحدهما وهو الظاهر انه من الأمر الذي هو ضد النهي واختلف في متعلقه فذهب الأكثرون منهم ابن عباس وابن جبير الى أن التقدير أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا * وذهب الزمخشري الى أن التقدير أمرناهم بالفسق ففسقوا ورد على من قال أمرناهم بالطاعة فقال أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون

بصرية لان التفاوت في الدنيا مشاهد و﴿كيف﴾ سؤال عن الهيئة منصوب ﴿بفضلنا﴾ والجملة في موضع نصب على اسقاط حرف الجر وهو الى ويجوز أن يكون أنظر من نظر القلب فيكون حرف الجر المقدر لفظة في والمفضل هنا في ... ودرجات منصوبا على التمييز والمفضل عليه محذوف

تقديره من درجات الدنيا وتفضيلها ﴿لا تجعل﴾ خطاب للسامع والمخاطب غير الرسول ﴿فتقعد﴾ قال الفراء وتبعه الزمخشري فتقعد بمعنى فتصير فيكون منه ضمير المخاطب وخبره ﴿مذموما﴾ وحكى الكسائي عن العرب قعد لا يسأل حاجة الا قضاها وأخاه بالا يجعلون قعد بمعنى صار لا في ... شحذ شفرته حتى قعدت كأنها حربة أي صارت ومذموما حال ... من الضمير المستكن في فتقعد ويؤوله على معنى فيثبت ويسكن في حال الذم

(الدر) (ش) أي أمرناهم بالفسق ففسقوا والأمر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام وقراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته

(الدر) فعصانى أو فلم يمتثل أمرى لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوى لامره مأمورا به وكأنه يقول كان منى أمر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطى ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظيره أمر شاء فى أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة انه من أهل الاحسان أو من أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد

(ح) اما ما ارتكبه من المجاز وهو أن أمرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة فبعيد جدا وأما قوله وأقدرهم على الخير والشر الى آخره فمذهب الاعتزال وقوله لان حذف ما لا دليل عليه (١٨) غير جائز تعليل لا يصح فيما نحن بسبيله بل ثم ما يدل

فبقى أن يكون مجازا او وجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية وآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهى كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت ان معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصانى أو فلم يمتثل أمرى لان ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوى لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان منى أمر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطى ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير

على حذفه وقوله فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه الى قوله علم الغيب فنقول حذف الشئ تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه ما مثل به فى قوله أمرته فقام وأمرته فقرأ وتارة يكون لدلالة خلافه أو ضده أو نقيضه فمن ذلك قوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار قالوا تقديره ما سكن وما تحرك وقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قالوا تقيكم الحر والبرد وقول الشاعر

وما أدرى اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى أ أ الخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى هو يبتغينى تقديره أريد الخير وأجتنب الشر وتقول أمرته فلم يحسن فليس المعنى امرته بعدم الاحسان فلم يحسن بل المعنى أمرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض باثبات نقيضه ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير وكذلك أمرته فأساء الى ليس المعنى أمرته بالاساءة فأساء الى انما نفهم منه أمرته بالاحسان فأساء الى وقوله فلا يلزم هذا قولهم أمرته فعصانى تقول بل يلزم وقوله لان ذلك مناف أى لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان المأمور به غير مدلول عليه ولا منوى هذا لا يسلم بل هو مدلول عليه ومنوى لا دلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بينا وأما قوله لأن من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوى لامره مأمورا به هذا أيضا لا يسلم وقوله فى جواب السؤال لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعى اضمار خلافه قلنا نعم ندعى اضمار خلافه ودل على ذلك نقيضه ونظير أمر شاء فى ان مفعوله استفاض فيه الحذف قلت ليس نظيره لان مفعول أمر لم يستفض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه بل لا يكاد يستعمل مثل شاء محذوفا مفعوله لدلالة ما بعده عليه وأكثر استعماله مثبت المفعول لانتفاء الدلالة على حذفه قال تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أمر ان لا تعبدوا الا اياه أم تأمرهم أحلامهم بهذا قل أمر ربى بالقسط أتسجد لما تأمرنا أى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة وقال الشاعر * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به *

ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الأمر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن اليك ولو شاء لأساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة انه من أهل الاحسان أو من أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد انتهى أما ما ارتكبه من المجاز وهو ان أمرنا مترفيها أصببنا عليهم النعمة صبا فيبعد جدا وأما قوله وأقدرهم على الخير والشر الى آخره فمذهب الاعتزال وقوله لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز تعليل لا يصح فيما نحن بسبيله بل ثم ما يدل على حذفه وقوله فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه الى قوله علم الغيب فنقول حذف الشيء تارة يكون لدلالة موافقه عليه ومنه ما مثل به في قوله أمرته فقام وأمرته فقرأ وتارة يكون لدلالة خلافه أو ضده أو نقيضه فمن ذلك قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار قالوا تقديره ما سكن وما تحرك وقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قالوا الحر والبرد * وقول الشاعر

وما أدري اذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يليني

أألخير الذي أنا أبتغيه * أم الشر الذي هو يبتغيني

تقديره أريد الخير وأجتنب الشر وتقول أمرته فلم يحسن وليس المعنى أمرته بعدم الاحسان فلم يحسن بل المعنى أمرته بالاحسان فلم يحسن وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض باثبات نقيضه ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير وكذلك أمرته فأساء اليّ ليس المعنى أمرته بالاساءة فأساء اليّ انما يفهم منه أمرته بالاحسان فأساء اليّ وقوله ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني * قول لا يلزم وقوله لان ذلك مناف أي لان العصيان مناف وهو كلام صحيح وقوله فكان المأمور به غير مدلول عليه ولا منوي [illegible] لا يسلم بل هو مدلول عليه ومنوي لا دلالة الموافق بل دلالة المناقض كما بينا وأما قوله لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لأمره مأمورا [illegible] أصلا لا نسلم وقوله في جواب السؤال لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيأ وأنت تدعي اضمار خلافه * قلنا نعم يدعي اضمار خلافه ودل على ذلك نقيضه وقوله [illegible] أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف [illegible] قلت ليس نظيره لان مفعول أمر [illegible] لا [illegible]

ما [illegible] عليه [illegible] لا يكاد [illegible] في شاء [illegible] ومفعوله بدلالة [illegible] عليه [illegible]

المفعول [illegible] لدلالة [illegible] قال تعالى قل [illegible] لا [illegible] [illegible]

أم تأمرهم أحلامهم [illegible] أي [illegible] أمر [illegible] أمرك [illegible]

[illegible] وقال الشاعر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يقال أمر الله القوم أي كثرهم حكاه أبو حاتم عن أبي زيد * وقال الواحدي العرب تقول أمر القوم
إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثرهم انتهى * وقال أبو علي الفارسي الجيد في أمرنا أن يكون بمعنى
كثرنا واستدل أبو عبيدة على صحة هذه اللغة بما جاء في الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
أي كثيرة النسل يقال أمر الله المهرة أي كثر ولدها ومن أنكر أمر الله القوم بمعنى كثرهم لم يلتفت
اليه لثبوت ذلك لغة ويكون من باب ما لزم وعدي بالحركة المختلفة إذ يقال أمر القوم كثروا وأمرهم
الله كثرهم وهو من باب المطاوعة أمرهم الله فأمروا كقولك شتر الله عينه فشترت وجدع أنفه وثلم
سنه فثلمت * وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر وعكرمة أمرنا بكسر الميم وحكاها النحاس وصاحب
اللوامح عن ابن عباس ورد الفراء هذه القراءة لا يلتفت اليه اذ نقل انها لغة كفتح الميم ومعناها
كثرنا * حكى أبو حاتم عن أبي زيد يقال أمر الله ماله وأمره أي كثره بكسر الميم وفتحها * وقرأ علي
ابن أبي طالب وابن أبي اسحق وأبو رجاء وعيسى بن عمر وسلام وعبد الله بن أبي يزيد والكلبي
آمرنا بالمد وجاء كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبي العالية وابن هرمز وعاصم وابن كثير
وأبي عمرو ونافع وهو اختيار يعقوب ومعناه كثرنا يقال أمر الله القوم وآمرهم فتعدى بالهمزة
* وقرأ ابن عباس وأبو عثمان النهدي والسدي وزيد بن علي وأبو العالية أمّرنا بتشديد الميم
وروي ذلك عن علي والحسن والباقر وعاصم وأبي عمرو وعدي أمر بالتضعيف والمعنى أيضا كثرنا
وقد يكون أمرنا بالتشديد بمعنى وليناهم وصيرناهم أمراء واللازم من ذلك أمر فلان اذا صار أميرا
أي ولي الأمر * وقال أبو علي الفارسي لا وجه لكون أمرنا من الامارة لان رياستهم لا تكون
الا واحدا بعد واحد والاهلاك انما يكون في مدة واحدة منهم وما قاله أبو علي لا يلزم لأنا لا نسلم أن
الأمير هو الملك لكونه ممن يأمر ويؤتمر به والعرب تسمي أميرا من يؤتمر به وان لم يكن ملكا
وان سلمنا انه أريد به الملك فلا يلزم ما قال لان القرية اذا ملك عليها مترف ثم فسق ثم آخر ففسق
ثم كذلك كثر الفساد وتوالى الكفر ونزل بهم على آخر من ملوكهم ورأيت في النوم أني قرأت
وقرئ بحضرتي وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها لأنه بتشديد الميم فأقول في النوم ما أفصح
هذه القراءة والقول الذي حق عليهم هو وعيد الله الذي قاله رسولهم * وقيل القول لأملأن
وهؤلاء في النار ولا أبالي والتدمير الاهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء * وكم في موضع نصب على
المفعول بأهلكنا أي كثيرا من القرون أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد
بالجنس والقرون عاد وثمود وغيرهم ويعني بالاهلاك هنا الاهلاك بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد
لمشركي مكة وقال من بعد نوح ولم يقل من بعد آدم لأن نوحا أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه
أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطوفان وتقدم القول في عمر القرن ومن
الأولى لتبيين والثانية لابتداء الغاية وتعلقا بأهلكنا لاختلاف معنييهما * وقال الحوفي من بعد نوح
من الثانية بدل من الأولى انتهى وليس بجيد * وقال ابن عطية هذه الباء يعني في وكفى بربك انما
تجيء في الأغلب في مدح أو ذم انتهى وفي ذنوب عباده تنبيه على أن الذنوب هي أسباب الهلكة
وخبيرا بصيرا تنبيه على أنه عالم بها فيعاقب عليها وتعلق بذنوب بخبيرا أو بصيرا * وقال الحوفي
تتعلق بكفى انتهى وهو وهم والعاجلة هي الدنيا ومعنى ارادتها ايثارها على الآخرة ولا بد من تقدير
حذف دل عليه المعنى من قوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فالتقدير من كان يريد
العاجلة [illegible] فهو كافر وقيل المراد من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالمنافق

والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال عليه الصلاة والسلام من طلب الدنيا بعمل الآخرة فماله في الآخرة من نصيب * وقيل نزلت في المنافقين وكانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب ومن شرط وجوابه عجلنا له فيها ما نشاء فقيد المعجل بمشيئته أي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاء الضمير هنا على اللفظ لا على المعنى فقيد المعجل بارادته فليس من يريد العاجلة يحصل له ما يريده ألا ترى ان كثيرا من الناس يختارون الدنيا ولا يحصل لهم منها الا ما قسمه الله لهم وكثيرا منهم يتمنون النزر اليسير فلا يحصل لهم و يجمع لهم شقاوة الدنيا وشقاوة الآخرة * وقرأ الجمهور ما نشاء بالنون وروى عن نافع ما يشاء بالياء * فقيل الضمير في يشاء يعود على الله وهو من باب الالتفات فقراءة النون والياء سواء * وقيل يجوز أن يعود على من العائد عليها الضمير في له وليس ذلك عاما بل لا يكون له ما يشاء الا احد أراد الله له ذلك والظاهر ان الضمير في لمن يريد يقدر مع تقديره مضاف محذوف يدل عليه ما قبله أي لمن نريد تعجيله له أي تعجيل ما نشاء * وقال أبو اسحاق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته وما قاله لا يدل عليه لفظ في الآية وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الأول جهنم والثاني له لانه ينعقد منهما مبتدأ وخبر فنقول جهنم للكافرين كما قال هؤلاء للنار وهؤلاء للجنة ويصلاها حال من جهنم * وقال أبو البقاء أو من الضمير الذي في له * وقال صاحب الغنيان مفعول جعلنا الثاني محذوف تقديره مصيرا أو جزاء [illegible] * مذموما اشارة الى الاهانة * مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله * ومن أراد الآخرة أي ثواب الآخرة بأن يؤثرها على الدنيا و يعقد ارادته بها وسعى فيما كلف من الاعمال و الأقوال سعيها أي السعي المعد للنجاة فيها * وهو مؤمن هو الشرط الأعظم في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله وفي الحقيقة هو الناشئ عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة فيها وحصول الثواب وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية فأولئك اشارة الى من اتصف بهذه الأوصاف وراعى معنى من فلذلك كان بلفظ الجمع واسند تعالى شكرهم على طاعتهم وهو تعالى المشكور على ما أعطى من العقل وانزال الكتب وايضاح الدلائل وهو المستحق للشكر حقيقة ومعنى شكره تعالى للمطيع الثناء عليه وثوابه على طاعته و نتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشئ والمعنى كل واحد من الفريقين نمد كذا قدره الزمخشري وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل والظاهر ان هذا الامداد هو في الرزق في الدنيا وهو تأويل الحسن وقتادة أي ان الله يرزق في الدنيا من يريد العاجلة الكافر ومن يريد الآخرة المؤمن [illegible] الجميع بالرزق وانما يقع التفاوت في الآخرة [illegible] كان عطاء ربك محظورا أي ان رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وعن ابن عباس المعنى من عطاء ربك [illegible] لمريد الآخرة و المعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء [illegible] ويسمى العطاء على الامداد بالمعاصي [illegible] وكيف في موضع نصب [illegible] [illegible]

(الدر)

(ح) انتصب كلا بنمد والامداد المواصلة بالشئ والمعنى كل واحد من الفريقين نمد كذا قدره (ش) وأعربوا هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح أن يكون بدلا من كلا على تقدير كل واحد لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي أن يكون التقدير كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل

فعل قلبي والتفضيل هنا عبارة عن الطاعات المؤدية الى الجنة والمفضل عليهم الكفار كأنه قيل انظر في تفضيل فريق على فريق وعلى التأويل الأول كأنه قيل في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين والكافرين والمفضول في قوله أكبر درجات وأكبر تفضيلا محذوف تقديره من درجات الدنيا ومن تفضيل الدنيا * وروى ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ أكثر بالثاء المثلثة * وقال ابن عطية وقوله أكبر درجات ليس في اللفظ من أي شئ لكنه في المعنى ولا بد أكبر درجات من كل ما يضاف بالوجود أو بالفرض ورأى بعض العلماء ان هذه الدرجات والتفضيل انما هو فيما بين المؤمنين وأسند الطبري في ذلك حديثا نصه ان أدنى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الارض ومغاربها وقد أرضى الله الجميع فما يغبط أحد أحدا والخطاب في لا تجعل للسامع غير الرسول * وقال الطبري وغيره الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق * فتقعد قال الزمخشري من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له انتهى وما ذهب اليه من استعمال فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند أصحابنا وقعد عندهم بمعنى صار مقصورة على المثل وذهب الفراء الى أنه يطرد جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك قول الراجز

لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتقي الاركاب * ويقعد الاير له لعاب

* وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة الا قضاها بمعنى صار قال الزمخشري أخذ في الآية قول الفراء والقعود هنا عبارة عن المكث أي فيمكث في الناس مذموما مخذولا كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في أسوأ حال ومعناه ماكث ومقيم وسواء كان قائما أم جالسا وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائرا متفكرا وعبر بغالب حاله وهي القعود * وقيل معنى فتقعد فتعجز والعرب تقول ما أقعدك عن المكارم والذم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون لا نبات يجعل عودا وحجرا أفضل من نفسه ويخصه بالكرامة وينسب اليه الألوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والخذلان في هذا يكون بإسلام الله ولا يكفل له بنصر والمخذول الذي لا ينصره من يجب أن ينصره وانتصب مذموما مخذولا على الحال وعند الفراء والزمخشري على أنه خبر لتقعد كما انتصب [illegible] بمعنى اتفاقا مفردا لمطابقة [illegible] على [illegible] وعند الأكثرين انتصب عند الكوفيين [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] فيها [illegible] على [illegible] ولا [illegible] عن لاضافته وان أضيف الى [illegible] وكما تجعله [illegible] أولى مصدر [illegible] [illegible] زماني [illegible] في السعر [illegible] الطاهر وحفظ [illegible] ومفعولا ومجرورا و [illegible] [illegible] أو [illegible] * [illegible] أن لا [illegible] الا اياه

(الدر)

(ش) فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الذل والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (ح) ما ذهب اليه من استعمال فتقعد بمعنى فتصير لا يجوز عند أصحابنا وقعد عندهم بمعنى صار مقصورة على المثل وذهب الفراء الى أنه يطرد جعل قعد بمعنى صار وجعل من ذلك قول الراجز لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب * من دون أن تلتقي الاركاب * ويقعد الاير له لعاب * وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة الا قضاها بمعنى صار فالزمخشري أخذ في الآية بقول الفراء انتهى

وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا [illegible]

[illegible] ولم يأت [illegible] لا [illegible] يرجع وكان [illegible]

[illegible] موقع [illegible] كتاب [illegible]

[illegible] مبسوطة كما [illegible] وهي أف [illegible]

أف [illegible] أف [illegible]

مع الهمزة المضمومة [illegible]

مع الهمزة المكسورة أف [illegible] الكسر [illegible]

[illegible] وصله [illegible]

[illegible] أطهر [illegible] أطهر [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال [illegible]

[illegible]

﴿وقضى ربك﴾ الآية قال ابن عباس وجماعة قضى بمعنى أمر وأن حرف تفسير * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون في موضع نصب أي ألزم ربك عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدو يلزم أن يكون منفيا أو مبهما ولا تعبدوا نهي و ﴿إحسانا﴾ مصدر بمعنى الامر عطف ما معناه أمر على نهي كما عطف في قوله * يقولون لا تهلك أسى وتجمل * وقد اعتنى بالأمر بالاحسان الى الوالدين حيث قرن بقوله لا تعبدوا الا اياه و بتقديمهما اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة من حيث انه تعالى هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة في انشائه وهو تعالى المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه * وقال الزمخشري اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه انتهى * وهذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه لأن مذهبه أنه يجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وأن تأتي بان وحدها ونون التوكيد وأن تأتي باما وحدها دون نون التوكيد وقال سيبويه في هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما أنك ان شئت لم تجيء بما يعني مع النون وعدمها وقرئ ﴿يبلغن﴾ بنون التوكيد وعنده متعلق به و ﴿أحدهما﴾ فاعل بيبلغن ﴿أو كلاهما﴾ معطوف على أحد وقرئ يبلغان فالالف للتثنية والنون مشددة بعد ألف الاثنين وأحدهما بدل من الضمير وأو كلاهما فاعل بفعل محذوف تقديره أو يبلغ كلاهما والفاء في فلا جواب الشرط * وقال الزمخشري * فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان توكيدا لا بدلا فمالك زعمت أنه بدل * قلت لانه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله * فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل * قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول * قال ابن عطية وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قوله احدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم * كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

انتهى ويلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على احدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية ولا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه * وأما قول ابن عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين البيت * فليس من بدل المقسم لأن شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه الضمير وهو المبدل منه فليس من البدل المقسم وقد ذكرنا تخريجه على اضمار فعل فتكون كلاهما فاعلا بذلك الفعل ﴿أف﴾ اسم فعل بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع الا قليلا نحو أف وأوه بمعنى أتوجع واذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة ... على التضجر والتبرم بهما فالنهي عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الأولى وفي أف لغات ذكرت في المفردات ... أن يقولها ... التضجر مما ارتقى الى النهي عما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما وان كان النهي عن نهرهما يستلزم النهي عن قول أف لانه اذا نهى عن الادنى كان ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الاولى والمعنى ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وقل لهما بدل قول أف ونهرهما ﴿قولا كريما﴾ أي جامعا للمحاسن من البر وجودة اللفظ ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ * وقال القفال في تقديره

ويروى بدداً أي فرق * المحسور قال الفراء تقول العرب بعير محسور اذا انقطع سيره وحسرت الدابة حتى انقطع سيرها ويقال حسير فعيل بمعنى مفعول ويجمع على حسرى * قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

* القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الأولى والصاد * قال مؤرج السدوسي هي الميزان بلغة الروم وتأتي أقوال المفسرين فيه * المرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا * الطول ضد القصر ومنه الطول خلاف العرض * الحجاب ما ستر الشيء عن الوصول اليه * الرفات قال الفراء التراب * وقيل الذي بولغ في دقه حتى تفتت ويقال رفت الشيء كسره يرفته بالكسر والرفات الاجراء المتفتتة من كل شيء مكسر وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والدقاق ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما

وجهان * احدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير وكأنه قيل للولد أكفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعلا بك ذلك حال صغرك * الثاني ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد ترك الطيران والارتفاع خفضه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه ثم أمره تعالى بأن يدعو الله تعالى لهما بأن يرحمهما رحمته الباقية اذ رحمته عليهما لا افناء (٢٥) لها ثم نبه على العلة الموجبة للاحسان اليهما والبر بهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما يزيده اشفاقا لهما ورحمة اذ هي تذكير بحالة احسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الاحسان لنفسه والظاهر أن الكاف في كما للتعليل أي رب ارحمهما لتربيتهما لي واحسانهما الي حالة الصغر والافتقار ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ أخبر تعالى أنه أعلم بما انطوت عليه الضمائر من قصد عبادة الله والبر بالوالدين ثم قال ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ أي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في عبادة أو بر وأنبتم الى الخير ﴿ فإنه كان للأوابين غفورا ﴾ أي غفورا لما فرط من هناتكم والظاهر أن هذا عام في كل من [illegible]

ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا ﴾ قرأ الجمهور وقضى فعلا ماضيا من القضاء * وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك مصدر قضى مرفوعا على الابتداء وأن لا تعبدوا الخبر وفي مصحف ابن مسعود وأصحابه وابن عباس وابن جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية * وقرأ بعضهم وأوصى من الايصاء وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو وقضى وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القراء السبعة * وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر * وقال ابن مسعود وأصحابه بمعنى وصى * وقيل أوجب وألزم وحكم * وقيل بمعنى أحكم * وقال ابن عطية وأقول ان المعنى وقضى ربك أمره أن لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الألفاظ الأمر بالاقتصار على عبادة الله فذلك هو المقضي لا نفس العبادة والمقضي هنا هو الامر انتهى كأنه رام أن يترك قضى على مشهور موضوعها بمعنى قدر فجعل متعلقه الامر بالعبادة لا العبادة لانه لا يستقيم أن يقضي شيئا بمعنى أن يقدر الا ويقع والذي فهم المفسرون غيره ان متعلق قضى هو أن لا تعبدوا وسواء كانت ان تفسيرية أم مصدرية * وقال أبو البقاء ويجوز أن تكون في موضع نصب أي ألزم ربك عبادته ولا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول تعبدوا فلزم أن يكون منفيا أو منهيا والخطاب بقوله لا تعبدوا عام للخلق * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون قضى على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في تعبدوا للمؤمنين من الناس الى يوم القيامة انتهى * قال الحوفي الباء متعلقة بقضى ويجوز أن تكون متعلقة بفعل محذوف تقديره وأوصى بالوالدين احسانا واحسانا مصدر أي تحسنوا احسانا * وقال ابن عطية قوله وبالوالدين احسانا عطف على أن الاولى أي أمر الله أن لا تعبدوا الا اياه وأن تحسنوا بالوالدين احسانا وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرناه يكون قوله وبالوالدين احسانا مقطوعا من الاول كأنه أخبرهم بقضاء الله ثم أمرهم بالاحسان الى الوالدين * وقال الزمخشري لا يجوز أن تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا تتقدم عليه صلته * وقال الواحدي في البسيط الباء في قوله وبالوالدين من صلة الاحسان وقدمت عليه كما [illegible] تقول بزيد فامرر انتهى وأحسن وأساء يتعدى بالى وبالباء قال تعالى وقد أحسن بي * وقال الشاعر * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة [illegible] وكأنه تضمن أحسن معنى لطف فتعدى بالباء وحسنا ان كان مصدرا ينحل لان والفعل فلا يجوز تقديم متعلقه عليه وان كان بمعنى أحسنوا فيكون نائبا عن الفعل نحو ضربا زيدا فيجوز تقديم معموله عليه و[illegible] يحتمل أن يكون أن حرف تفسير ولا تعبدوا نهي واحسانا مصدر بمعنى الامر عطف [illegible] أمر على نهي كما عطف في [illegible] يقولون لا تهلك أسى وتجمل [illegible] وقد عطف الامر بالاحسان [illegible] حيث [illegible]

(الدر)

(ع) وأقول ان المعنى وقضى ربك أمره أن لا تعبدوا الا اياه وليس في هذه الالفاظ الأمر بالاقتصار على عبادة الله فذلك هو [illegible]

٤ - تفسير البحر المحيط لابي حيان - [illegible] كأنه رام أن يترك قضى على مشهور موضوعها بمعنى قدر [illegible] لا يستقيم أن يقضي شيئا بمعنى أن يقدر الا ويقع والذي فهمه المفسرون وغيره أن متعلق قضى هو أن [illegible] ويجوز أن تكون في موضع نصب أي ألزم ربك عبادته ولا زائدة [illegible] مفعول [illegible] أن يكون منفيا أو منهيا

(النور) إما يبلغن (ش) اماهي ان الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه (ح) هذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه لان مذهبه أنه لا يجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وان تأتي بان وحدها ونون التوكيد وأن تأتي بما

وحدها دون نون التوكيد وقال سيبويه في هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها (ع) وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قولها أحدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

(ح) يلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على أحدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما مرادف

تعبدوا وتقديمهما اعتناء بهما على قوله احسانا ومناسبة اقتران بر الوالدين بافراد الله بالعبادة من حيث انه تعالى هو الموجد حقيقة والوالدان وساطة في انشائه وهو تعالى المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه * وقال الزمخشري اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه انتهى وهذا الذي ذكره مخالف لمذهب سيبويه لان مذهبه انه يجوز أن يجمع بين اما ونون التوكيد وان يأتي بان وحدها ونون التوكيد وأن يأتي بما وحدها دون نون التوكيد * وقال سيبويه في هذه المسألة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها وعندك ظرف معمول ليبلغن ومعنى العندية هنا انهما يكونان عنده في بيته وفي كنفه لا كافل لهما غيره لكبرهما وعجزهما ولكونهما كلا عليه وأحدهما فاعل يبلغن وأو كلاهما معطوف على أحدهما * وقرأ الجمهور يبلغن بنون التوكيد الشديدة والفعل مسند الى أحدهما * وروي عن ابن ذكوان بالنون الخفيفة * وقرأ الاخوان اما يبلغان بألف التثنية ونون التوكيد المشددة وهي قراءة السلمي وابن وثاب وطلحة والاعمش والجحدري * فقيل الالف علامة تثنية لا ضمير على لغة أكلوني البراغيث وأحدهما فاعل وأو كلاهما عطف عليه وهذا لا يجوز لان شرط الفاعل في الفعل الذي لحقته علامة التثنية أن يكون مسندا لمثنى أو معرف بالعطف بالواو ونحو قاما أخواك أو قاما زيد وعمرو على خلاف في هذا الاخير هل يجوز أو لا يجوز والصحيح جوازه وأحدهما ليس مثنى ولا هو معرف بالعطف بالواو مع مفرد * وقيل الالف ضمير الوالدين وأحدهما بدل من الضمير وكلاهما عطف على أحدهما والمعطوف على البدل بدل * وقال الزمخشري * فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل (قلت) لانه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله (فان قلت) ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول * وقال ابن عطية وعلى هذه القراءة الثالثة يعني يبلغان يكون قوله أحدهما بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

انتهى ويلزم من قوله أن يكون كلاهما معطوفا على أحدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل والبدل مشكل لانه يلزم منه أن يكون المعطوف عليه بدلا واذا جعلت أحدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز أن يكون بدل بعض من كل لان كلاهما

الضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه (ع) وهو بدل مقسم كقول الشاعر

وكنت كذي رجلين ... ليس كذلك لان شرط ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما ... البدل المقسم

مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل بعض من كل ولا جائز أن يكون بدل كل من كل لان
المستفاد من الضمير التثنية وهو المستفاد من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه وأما قول ابن
عطية وهو بدل مقسم كقول الشاعر وكنت كذي رجلين البيت فليس من بدل التقسيم لان شرط
ذلك العطف بالواو وأيضا فالبدل المقسم لا يصدق المبدل فيه على أحد قسميه وكلاهما يصدق عليه
الضمير وهو المبدل منه فليس من المقسم ونقل عن أبي علي ان كلاهما توكيد وهذا لا يتم الا بأن يعرب
أحدهما بدل بعض من كل ويضمر بعده فعل رافع الضمير ويكون كلاهما توكيدا لذلك الضمير
والتقدير أو يبلغا كلاهما وفيه حذف المؤكد وقد أجازه سيبويه والخليل قال مررت بزيد وأتاني
أخوه أنفسهما بالرفع والنصب الرفع على تقديرهما صاحباي أنفسهما والنصب على تقدير أعينهما
أنفسهما الا ان المنقول عن أبي علي وابن جني والاخفش قبلهما انه لا يجوز حذف المؤكد واقامة
المؤكد مقامه والذي نختاره أن يكون أحدهما بدلا من الضمير وكلاهما مرفوع بفعل محذوف تقديره
أو يبلغ كلاهما فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات وصار المعنى ان يبلغ أحد الوالدين أو
يبلغ كلاهما عندك الكبر وجواب الشرط فلا تقل لهما أف وتقدم مدلول لفظ أف في المفردات
واللغات التي فيها واذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر والتبرم بهما فالنهي
عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الاولى وليست دلالة أف على أنواع الايذاء دلالة لفظية
خلافا لمن ذهب الى ذلك * وقال ابن عباس أف كلمة كراهة الله تعالى في الوصية بالوالدين وستعمل
وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما عند الضجر هذه الكلمة فضلا عما يزيد عليها
* قال القرطبي قال علماؤنا وانما صارت قولة أف للوالدين أردأ شئ لانه رفضهما رفض كفر النعمة
وجحد التربية ورد الوصية لله وأف كلمة مقولة لكل شئ مرفوض ولذلك قال ابراهيم عليه السلام
أف لكم ولما تعبدون من دون الله أي رفض لكم ولهذه الاصنام معكم انتهى * وقرأ الحسن والاعرج
وأبو جعفر وشيبة وعيسى ونافع وحفص أف بالكسر والتشديد مع التنوين * وقرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي وأبو بكر كذلك بغير تنوين * وقرأ ابن كثير وابن عامر بفتحها مشددة من غير
تنوين * وحكى هارون قراءة بالرفع والتنوين * وقرأ أبو السمال أف بضم الفاء من غير تنوين
* وقرأ زيد بن علي أفا بالنصب والتشديد والتنوين * وقرأ ابن عباس أف خفيفة فهذه سبع
قراءات من اللغات التي حكيت في أف * وقال مجاهد معناه اذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط
والبول الذي رأياه منك في حال الصغر فلا تقذرهما وتقول أف انتهى والآية أعم من ذلك ولما نهاه
تعالى أن يقول لهما ما مدلوله أتضجر منكما ارتقى الى النهي عما هو من حيث الوضع أشد من أف
وهو نهرهما وان كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول أف لانه اذا نهى عن الادنى كان
ذلك نهيا عن الأعلى بجهة الأولى [illegible] وقل لهما بدل
أف ونهرهما قولا كريما أي جامعا للمحاسن من البر وجودة [illegible]
[illegible] * وقيل قولا كريما [illegible]
[illegible]
لادب ولا بأس [illegible]
[illegible]
[illegible]

بصرك ولا تحدّ اليهما النظر لان ذلك ينافي القول الكريم * وقال الزجاج قولا سهلا لينا لا
شراسة فيه ثم أمره تعالى بالمبالغة في التواضع معهما بقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة * وقال
القفال في تقريره وجهان * أحدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض
الجناح كناية عن حسن التدبير وكأنه يقول للولد اكفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعلا
ذلك لك حال صغرك * الثاني ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا أراد ترك
الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه
* وقال ابن عطية استعارة أي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك وبولغ بذكر
الذل هنا ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وذلك بسبب عظم الحق هنا
وبسبب شرف المأمور فانه لا يناسب نسبة الذل اليه * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى جناح
الذل (قلت) فيه وجهان * أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل
أو الذلول * والثاني أن يجعل لذله أو لذله جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما
مبالغة في التذلل والتواضع لهما انتهى والمعنى انه جعل اللين ذلا واستعار له جناحا ثم رشح هذا المجاز
بان أمر بخفضه * وحكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائيا

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيأ من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل
وجناحا الانسان جانباه فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه فعل المتكبر عليهما * وقال بعض
المتأخرين فأحسن

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

* وقرأ الجمهور من الذل بضم الذال * وقرأ ابن عباس وعروة بن جبير والجحدري وابن وثاب
بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لان ذلك يستعمل في الدواب في ضد الصعوبة كما أن
الذل بالضم في ضد الغير من الناس ومن الظاهر انها للسبب أي الحامل لك على خفض الجناح هو
رحمتك لهما اذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقرا اليهما حالة الصغر * قال أبو البقاء من
الرحمة أي من أجل الرحمة أي من أجل رفقك بهما فمن متعلقة باخفض ويجوز أن يكون حالا من
جناح * وقال ابن عطية من الرحمة هنا لبيان الجنس أي ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة
في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى ثم أمره تعالى بان
يدعو الله لهما بان يرحمهما رحمته الباقية إذ رحمته عليهما لا بقاء لها ثم نبه على العلة الموجبة للاحسان
اليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما تزيده اشفاقا ورحمة لهما اذ هي
تذكير لحالة احسانهما اليه وقت أن لا يقدر على الاحسان لنفسه * وقال قتادة نسخ الله من هذه
الآية هذا اللفظ يعني وقل رب ارحمهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين * وقيل هي مخصوصة في حق المشركين * وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان له أن يدعو الله
لوالديه الكافرين بالهداية والارشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان والظاهر أن الكاف
في كما للتعليل أي رب ارحمهما لتربيتهما لي وجزاء على احسانهما الي حالة الصغر والافتقار * وقال
الحوفي الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل تربيتي صغيرا * وقال أبو

فرطت منه جناية ثم تاب منها ﴿وآت ذا القربى﴾ الآية لما أمر ببر الوالدين أمر بصلة القرابة والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله إما يبلغن عندك الكبر والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وما يقرب منه ﴿كانوا إخوان الشياطين﴾ وإخوة الشياطين كونهم قرناءهم في الدنيا وفي النار وفي الآخرة وتدل هذه الأخوة على أن التبذير في معصية الله أو كونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف في الدنيا وذكر كفران الشيطان لربه ليحذر ولا يطاع لأنه لا يدعو إلى خير كما قال تعالى إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ قيل نزلت في ناس من مزينة استحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله وإياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر ❊ قال الزمخشري ويجوز أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به ويتقدم عليه أي فقل لهم قولاً سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً رحمة لهم وتطييباً لقلوبهم ابتغاء رحمة من (٢٩) ربك أي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم انتهى

البقاء كأنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل رحمتهما وسرد الزمخشري وغيره أحاديث وآثاراً كثيرة في بر الوالدين يوقف عليها في كتبهم ولما نهى تعالى عن عبادة غيره وأمر بالإحسان إلى الوالدين ولا سيما عند الكبر وكان الإنسان ربما تظاهر بعبادة وإحسان إلى والديه دون عقد ضمير على ذلك رياء وسمعة أخبر تعالى أنه أعلم بما انطوت عليه الضمائر من دون قصد عبادة الله والبر بالوالدين ثم قال إن تكونوا صالحين أي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في عبادة أو بر وأبتم إلى الخير فإنه غفور لما فرط من هناتكم والظاهر أن هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج فيه من جنى على أبويه ثم تاب من جنايته ❊ وقال ابن جبير هي في المبادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك الا الخير ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ لما أمر تعالى ببر الوالدين أمر بصلة القرابة ❊ قال الحسن نزلت في قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله إما يبلغن عندك الكبر والحق هنا ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة

ما أجازه لا يجوز لأن ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله لا يجوز في قولك إن تقم فاضرب زيداً إن تقم زيداً فاضرب وهذا منصوص عليه فإن حذفت الفاء في مثل إن تقم تضرب خالداً فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول إن تقم خالداً تضرب ومذهب الفراء المنع فإن كان معمول الفعل مرفوعاً نحو إن تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعاً بتفعل هذه وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره يفعل كأنك قلت إن تفعل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائي والفراء ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي مداراة باللسان ويسر يكون لازماً ومتعدياً فميسور من المتعدي تقول يسرت لك كذا إذا أعددته لك ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قيل نزلت في إعطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره وبقي عرياناً وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم أكملها مائة فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك أن البخل معنى قائم بالإنسان يمنعه من التصرف في ماله فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق فامتنع من تصرف يده وإجالتها حيث يريد وذكر اليد لأن بها الأخذ والإعطاء واستعير بسط اليد لإذهاب المال وذلك لأن قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وطابق في الاستعارة بين قبض اليد وبسطها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها أبلغ في القبض وقد طابق بينهما أبو تمام ❊ قال في المعتصم

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه ❊ ثناها لقبض لم تطعه أنامله

والظاهر أنه مراد بالخطاب أمته والرسول صلى الله عليه وسلم وإلا فهو صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئاً لغد وكذلك من كان واثقاً بالله تعالى حق الوثوق كأبي بكر حيث تصدق بجميع ماله وختم ذلك بقوله خبيراً وهو العلم بخفيات الأمور وبصيراً أي مبصراً خفيات العباد حيث بسط الرزق ويضيق على قوم

بالمال والمعونة بكل وجه * قال نحوه ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم * وقال علي بن الحسين فيهاهم قرابة الرسول عليه السلام أمر باعطائهم حقوقهم من بيت المال والظاهر ان الحق هنا مجمل وان ذا القربى عام في ذي القرابة فيرجع في تعيين الحق وفي تخصيص ذي القرابة الى السنة * وعن أبي حنيفة ان القرابة اذا كانوا محارم فقراء عاجزين عن التكسب وهو موسر حقهم أن ينفق عليهم وعند الشافعي ينفق على الولد والوالدين بحسب على ماتقرر في كتب الفقه ونهى تعالى عن التبذير وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وماتقرب منه تعالى * وعن ابن مسعود وابن عباس التبذير انفاق المال في غير حق * وقال مجاهد لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرا وذكر الماوردي انه لا اسراف في المتلف للمال وقد احتج بهذه الآية على الحجر على المبذر فيجب على الامام منعه منه بالحجر والحيلولة بينه وبين ماله الا بمقدار نفقة مثله وأبو حنيفة لا يرى الحجر للتبذير وان كان مباعنه * وقال القرطبي يحجر عليه ان بذله في الشهوات وخيف عليه النفاد فان انفق وحفظ الاصل فليس بمبذر واخوة الشياطين كونهم قرناءهم في الدنيا وفي النار في الآخرة وتدل هذه الاخوة على أن التبذير هو في معصية الله أو كونهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف في الدنيا * وقرأ الحسن والضحاك اخوان الشيطان على الافراد وكذا ثبت في مصحف أنس وذكر كفر الشيطان ليحذر ولا يطاع لأنه لا يدعو الى خير كما قال انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير و إما تعرضن * قيل نزلت في ناس من مزينة استحملوا الرسول فقال لا أجد ما أحملكم عليه فبكوا وقيل في بلال وصهيب وسالم وخباب سألوه مالا يجد فأعرض عنهم * وروي أنه عليه السلام كان بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده مايعطي وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على هذا الرزق المنتظر وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة * وقال ابن زيد الرحمة الاجر والثواب نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يعطيهم لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الأجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فأمره الله تعالى أن يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والاصلاح انتهى من كلام ابن عطية . وقال الزمخشري وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء ويجوز أن يكون معنى وإما تعرضن عنهم وان لم تنفع عليهم وترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه انتهى والذي يظهر أنه تعالى لما أمرنا بايتاء ذي القربى حقه ومن ذكر معه ونهى عن التبذير قال وان لم يكن منك اعراض عنهم فاعتذر لهم [illegible] رحمة وهي كناية عن الرزق والتوسعة وطلب ذلك ناشئ عن [illegible] وكان المعنى وان تعرض عنهم لاعسار لك فوضع المسبب وهو [illegible] وأجاز الزمخشري أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط [illegible] عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم [illegible] ابتغاء رحمة الله التي ترجوها رحمتك عليهم انتهى وما أجازه لا يجوز [illegible] ولك ان تقم فاضرب خالدا ان تقول ان

(ش) ويجوز أن يكون ابتغاء رحمة من ربك علة لجواب الشرط فهو يتعلق به وقدم عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم (ح) ما أجازه لا يجوز لان ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله لا يجوز في قولك ان تقم فاضرب خالدا ان تقول ان تقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء في مثل ان تقم تضرب خالدا فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول ان تقم خالدا تضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بتفعل [illegible] وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعا بفعل [illegible] يفعل كأنك قلت ان تفعل يفعل زيد يفعل ومنع الكسائي [illegible]

نقم خالدا فاضرب وهذا منصوص عليه فان حذفت الفاء في مثل ان يقم يضرب خالدا فمذهب سيبويه والكسائي الجواز فتقول ان يقم خالدا يضرب ومذهب الفراء المنع فان كان معمول الفعل مرفوعا نحو ان تفعل يفعل زيد فلا يجوز تقديم زيد على أن يكون مرفوعا بيفعل هذا وأجاز سيبويه أن يكون مرفوعا بفعل يفسره يفعل كأنك قلت ان تفعل يفعل زيد يفعل ومنع ذلك الكسائي والفراء * وقال ابن جزي الضمير في عنهم عائد على المشركين والمعنى وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم اياك ابتغاء رحمة أي نصر لك عليهم أو هداية من الله لهم وعلى هذا القول الميسور المداراة لهم باللسان قاله أبو سليمان الدمشقي ويسر يكون لازما ومتعديا فميسور من المتعدي تقول يسرت لك كذا اذا أعددته * قال الزمخشري يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد ونحس فهو مفعول انتهى والمعنى هذه الآية أشار الشاعر في القصيدة التي تسمى باليتيمة في قوله

ليكن لديك لسائل فرج ٭ ان لم يكن فليحسن الرد

﴿ وقال آخر ﴾

ان لم يكن ورق يوما أجود به ٭ للسائلين فاني لين العود

لا يعدم السائلون الخير من خلقي ٭ إما نوالي وإما حسن مردودي

* ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية * قيل نزلت في عطائه صلى الله عليه وسلم قميصه ولم يكن له غيره وبقي عريانا * وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم كملها مائة فنزلت وهذه استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك ان الشح معنى قائم بالانسان يمنعه من التصرف في ماله فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد الى العنق فمنع من تصرف يده وجاءت الحيثية تريد وذكر اليد لان بها الأخذ والاعطاء واستعير بسط اليد لاذهاب المال وذلك ان قبض اليد يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وطابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها أبلغ في القبض وقد طابق بينهما أبو تمام * فقال في المعتصم

تعود بسط الكف حتى لو انه ٭ ثناها لقبض لم تجبه أنامله

* وقال الزمخشري هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امرا بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والاقتار انتهى والظاهر ان المراد بالخطاب أمة الرسول صلى الله عليه وسلم والأمر صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

ولا تجعل يدك * كما قال الشاعر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ تقدم تفسير نظيره صدر هذه الآية والفرق بين خشية إملاق ومن إملاق وبين قوله نرزقهم وإياكم ونرزقكم وإياهم تقدم كل ذلك ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ الآية تقدم تفسير نظيرها في الانعام ﴿وساء سبيلا﴾ أي وبئس طريقة لانها سبيل يؤدي الى النار قال ابن عطية وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا انتهى فاذا كان سبيلا نصبا على التمييز فانما هو تمييز للضمير المستكن في ساء وهي الضمير الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مقيدا بالتمييز ويبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله ولا تقتلوا النفس في أواخر الانعام ولما نهى عن قتل الاولاد نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص الى العام والظاهر ان هذه كلها مناهيات مستقلة ليست (٣٢) مندرجة تحت قوله تعالى وقضى ربك كاندراج ان لا تعبدوا وانتصب مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى أنه قتل بغير الحق ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ وهو الطالب للدم شرعا ﴿سلطانا﴾ أي تسلطا وقهرا والظاهر النهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد وقتل غير القاتل والمثلة والمكافاة الذي نفتل لمن قتله والضمير في انه عائد على الولي لتناسق الضمائر ونصره اياه بأن وجب له القصاص فلا نستزد على ذلك أو نصره بعونه السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ تقدم تفسير نظيره في الانعام ﴿وأوفوا بالعهد﴾ عام في عقد الانسان مع ربه أو مع بني آدم في طاعة ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ ظاهره ان العهد هو المسئول من المعاهد أن يفي به ولا يضيعه وقيل هو على حذف مضاف أي ان ذا العهد كان مسئولا ان لم يف به واسم كان مضمر يعود على العهد أو على ذي العهد ومسئولا خبر كان وفيه ضمير المفعول أي مسئولا هو أي عدم الايفاء به ثم أمره تعالى بايفاء الكيل والوزن المستقيم [illegible] وفي قوله وأوفوا الكيل دلالة على أن الكيل هو على البائع لانه لا يقال ذلك [illegible] كلتم أي وقت كيلكم على سبيل التأكيد ولا يتأخر الايفاء بأن يكيل به بنقصان ما ثم يوفيه [illegible] لفظة للمبالغة من القسط انتهى لا يجوز أن يكون من القسط [illegible] لان اعتقاد زيادة السين اخيرا كسين قدموس وضغبوس

بسط لقوم ويضيق على قوم ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ لما بين تعالى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد وتقدم تفسير نظير هذه الآية والفرق بين خشية إملاق ومن إملاق وبين قوله نرزقهم ونرزقكم * وقرأ الاعمش وابن وثاب ولا تقتلوا بالتضعيف * وقرئ خشية بكسر الخاء وقرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء * وقرأ ابن كثير بكسرها وفتح الطاء والمد وهي قراءة طلحة وشبل والاعمش ويحيى وخالد بن الياس وقتادة والحسن والاعرج بخلاف عنهما * وقال النحاس لا أعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها أبو حاتم غلطا * وقال الفارسي هي مصدر من خاطأ يخاطئ وان كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه فمنه قول الشاعر

تخاطأت النبل أحشاه * وأخر يومي فلم يعجل

﴿وقول الآخر في كمأة﴾

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه في منقع الماء راسب

وكان هؤلاء الذين يقتلون أولادهم يخاطئون الحق والعدل * وقرأ ابن ذكوان خطأ على وزن نبأ * وقرأ الحسن خطاء بفتحهما والمد جعله اسم مصدر من أخطأ كالعطاء من أعطى قاله ابن جني * وقال أبو حاتم هي غلط غير جائز ولا يعرف هذا في اللغة وعنه أيضا خطى كهوى خفف الهمزة فقلبت ألفا وذهبت لالتقائها ساكنة * وقرأ أبو رجاء والزهري كذلك الا انهما كسرا الخاء فصار مثل ربا وكلاهما من خطئ في الدين وأخطأ في الرأي لكنه قد يقام كل واحد منهما مقام الآخر وجاء عن ابن عامر خطأ بالفتح والقصر مع إسكان الطاء وهو مصدر ثالث من خطئ بالكسر ﴿ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا

بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ لما نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا والزنا الأكثر فيه القصر وتمدّ لغة لا ضرورة هكذا نقل اللغويون ومن المدّ قول الشاعر وهو الفرزدق

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه * ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

ويروى أبا خالد * وقال آخر

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم

وكان المعنى لم يزل أي لم يزل فاحشة أي معصية فاحشة أي قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا أي وبئس طريقا طريقه لأنها سبيل تؤدّي إلى النار * وقال ابن عطية وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله انتهى وإذا كان سبيلا نصبا على التمييز فإنما هو تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف وإذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لأنه إذا كان كذلك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ويبقى التقدير أيضا عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق في أواخر الأنعام * قال الضحاك هذه أول ما نزل من القرآن في شأن القتل انتهى ولما نهى عن قتل الأولاد وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص إلى العام والظاهر أن هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت قوله وقضى ربك كما ذهب إليه من قال أن لا تعبدوا وانتصب مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى أنه قتل بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو الطالب بدمه شرعا وعند أبي حنيفة وأصحابه الدرج من يرث من الرجال والنساء والصبيان في أولى على قدر مواريثهم لأن الولي عندهم هو الوارث هنا * وقال مالك ليس للنساء شيء من القصاص وإنما القصاص للرجال وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم ليس إلى النساء شيء من العفو والدم والسلطان التسلط على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه قاله الزمخشري * وقال ابن عطية والسلطان الحجة والملك الذي جعل إليه من التخيير في قبول الدية أو العفو قاله ابن عباس والضحاك * وقال قتادة السلطان القود وفي كتاب التحرير السلطان القوة والولاية * وقال ابن عباس البينة في طلب القود * وقال الحسن القود * وقال مجاهد الحجة * وقال ابن زيد الوالي أي والياً ينصفه في حقه والظاهر عود الضمير في فلا يسرف على الولي والإسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله ابن عباس والحسن أو يقتل اثنين بواحد قاله ابن جبير أو أشرف من الذي قتل قاله ابن زيد أو يمثل قاله قتادة أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان ذكره الزجاج أو يأخذ الدية أو يقتل بعد أخذ الدية لأن السلطنة مجملة يفسرها كتب عليكم القصاص الآية ويدل عليه التخيير بين القصاص والدية وقوله عليه السلام يوم الفتح من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا الدية والمعنى فلا يسرف في القتل لا يقدم على استيفاء القتل ويكتفي بأخذ الدية أو يميل إلى العفو ولفظة في محمولة على الباء أي فلا يصير مسرفا بسبب إقدامه على القتل ويكون معناه الترغيب في العفو كما قال وأن تعفوا أقرب للتقوى انتهى ملخصا وهو تأويل في غاية البعد ولكن تصحيح المعنى لأن من قتل بحق فلا إسراف عليه لا يصير مسرفا بقتله وإنما الحظر والتحريم نهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل جماعة بواحد وقتل غير القاتل والمثلة ومكافأة الذي يقتل من قومه وقد قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب * وقد منعه بعضهم هذا ذهب إلى أن الضمير في فلا يسرف للقاتل الذي

وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة ﴿ذلك خير﴾ أي الإيفاء والوزن لأن فيه تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والإيصال للحق ﴿وأحسن تأويلا﴾ أي عاقبة إذ لا تبقى على الموفي والوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو من المآل وهو المرجع

(الدر)

(ع) وسبيلا نصب على تمييز التقدير وساء سبيله سبيلا (ح) إذا كان سبيلا نصبا على التمييز فإنما هو تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف وإذا كان كذلك فلا يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لأنه إذا كان كذلك لا يكون فاعله ضميرا يراد به الجنس مفسرا بالتمييز ويبقى التقدير عاريا عن المخصوص بالذم

الولي وإنما يعود على العامل الدال عليه ومن قتل أي لا يسرف في القتل تعدياً وظلماً فيقتل من ليس له قتله * وقرأ الجمهور فلا يسرف بياء الغيبة * وقرأ الاخوان وزيد بن علي وحذيفة وابن وثاب والأعمش ومجاهد بخلاف وجماعة وفي نسخة من تفسير ابن عطية وابن عامر وهو وهم بتاء الخطاب والظاهر انه على خطاب الولي فالضمير له * وقال الطبري الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والائمة من بعده أي فلا تقتلوا غير القاتل انتهى * قال ابن عطية وقرأ أبو مسلم السراج صاحب الدعوة العباسية * وقال الزمخشري قرأ أبو مسلم صاحب الدوله * وقال صاحب كتاب اللوامح أبو مسلم العجلي مولى صاحب الدوله فلا يسرف بضم الفاء على الخبر ومعناه النهي وقد يأتي الامر والنهي بلفظ الخبر * وقال ابن عطية في الاحتجاج بأبي مسلم في القراءة نظر وفي قراءة أبي فلا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا انتهى رده على ولا تقتلوا والاولى حمل قوله ان ولي المقتول على التفسير لا على القراءة لمخالفته السواد ولان المستفيض عنه انه كان منصورا كقراءة الجماعة والضمير في انه عائد على الولي لتناسق الضمائر ونصره اياه بأن أوجب له القصاص فلا يسرا دعلى ذلك أو نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق * وقيل يعود الضمير على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله في الدنيا ونصره بالثواب في الآخرة * قال ابن عطيه وهو أرجح لانه المظلوم ولفظه النصر تقارن الظلم كقوله عليه السلام ونصر المظلوم وابرار القسم وكقوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما الى كثير من الامثلة * وقيل على القتل * وقال أبو عبيد على القاتل لانه اذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخره فقد نصر وهذا ضعيف بعيد القصد * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير في انه للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف انتهى وهذا بعيد جدا * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده لما نهى عن اتلاف النفوس نهى عن أخذ الاموال كما قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ولما كان اليتيم ضعيفا عن أن يدفع عن ماله لصغره نص على النهي عن قربان ماله وتقدم تفسير هذه الآيه في أواخر الانعام وأوفوا بالعهد عام فيما عقده الانسان بينه وبين ربه أو بينه وبين آدمي في طاعة ان العهد كان مسئولا ظاهره ان العهد هو المسئول من المعاهد أن يفي به ولا يضيعه أو يكون من باب التخييل كأنه يقال للعهد لم نكثت فمثل كأنه ذات من الذوات تسأل لم نكثت دلالة على المطاوعة نكثه والزام ما يترتب على نكثه كما جاء واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت فمن قرأ بسكون اللام وكسر التاء لنفي الخطاب * وقيل هو على حذف مضاف أي ان ذا العهد كان مسئولا عنه ان لم يف به ثم أمر تعالى بايفاء الكيل والوزن المستقيم وذلك مما يرجع الى المعاملة بالاموال وفي قوله وأوفوا الكيل دلالة على ان الكيل هو على البائع لانه لا يقال ذلك للمشتري * وقال الحسن القسطاس القبان وهو القلسطون ويقال القرسطون * وقال مجاهد القسطاس العدل لا أنه آلة * وقرأ الاخوان وحفص بكسر القاف وباقي السبعة بضمها وهما لغتان * وقرأت فرقة بالابدال من السين الاولى صادا * قال ابن عطيه واللفظة للمبالغة من القسط انتهى ولا يجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين لان القسط مادته ق س ط وذلك مادته ق س ط س الا أن اعتقد زيادة السين آخرا كسين قدموس وصعبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المنقاسة وانتهى قوله وذ كم أي وفاء كيلكم على سبيل التأكيد وأن لا تتأخر الايفاء بأن

(الدر)

(ع) واللفظة للمبالغة من القسط (ح) لا يجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين لان القسط مادته ق س ط وذلك مادته ق س ط س الا ان اعتقد زيادة السين أخيرا كسين قدموس وصعبوس وعرفاس فيمكن لكنه ليس من مواضع زيادة السين المقيسة

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ لما أمر تعالى بثلاثة أشياء بالإيفاء بالعهد والإيفاء بالكيل والوزن بالقسطاس أتبع ذلك بثلاثة مناه ولا تقف ولا تمش ولا تجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل نهى أن يقول ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن اتباع التقليد لأنه اتباع لما لا يعلم صحته وقال الكميت فلا أرمي البريء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن إن قفينا وفي قوله إن السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول وجاء هذا الترتيب القرآني في البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد وأولئك إشارة إلى هذه الثلاثة وهو اسم إشارة إلى الجمع المذكر والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية أن أولئك تختص بالعاقل فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة من يعقل وليس ما تخيله صحيحا بل جميع أسماء الإشارة مثل أولئك يشترك فيه المذكر والمؤنث والعاقل وغير العاقل قال الزمخشري وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤولا مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للإنسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت ما لا يحل لك نظره ولم عزمت على ما لا يحل لك العزيمة عليه انتهى وهذا الذي ذهب إليه من أن عنه في موضع الرفع بالفاعلية ومعنى به أنه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لأن الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشروطها جار مجرى الفاعل وكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه فإذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي لا يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك في المقنع من تأليفه فإن عنه مسؤولا كالمغضوب عليه لتقديم الجار والمجرور وفي عنه مسؤولا وتأخيره في المغضوب عليهم قول الزمخشري ولم تطرف ما لا يحل لك أسقط إلى وهو لا يجوز إلا في ضرورة شعر لأن نظر يتعدى بإلى وكان التركيب ولم تطرف إلى ما لا يحل لك كما قال نظر إليه فعدى بإلى ومسؤولا فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله وعنه في موضع نصب والضمير في عنه يعود على معنى أولئك أي عن كل واحد منه تقدم وانتصب مرحا على الحال أي مرحا كما تقول جاء زيد ركضا أي راكضا وعلى حذف مضاف أي ذا مرح والمرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لأن غلبة السرور والفرح يصحبهما التكبر والاختيال ولذلك علل قوله إنك لن تخرق الأرض * أي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك وتبلغ طولا على تقدير أي لن يبلغ طولك الجبال والظاهر أن ذلك إشارة إلى جميع المنهيات السابقة من وهي قفو ما ليس لك به علم والمشي في الأرض مرحا وسيئة خبر كان وأنث ثم قال مكروها فذكر وقرئ سيئه بالإضافة خبر كان ومكروها خبر ثان وذلك إشارة إلى جميع التكاليف من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى قوله ولا تمش في الأرض مرحا وهي خمسة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أمر وبعضها نهي بدأها بقوله لا تجعل وختم الآيات بقوله ولا تجعل وقال ثم أوحى إلى ذلك عصمة أوحى إليه وأوحى تكاليف أخر ومما أوحى خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز أن يكون متعلقا بأوحى وأن يكون بدلا من ما وأن يكون حالا من الضمير المحذوف العائد على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لأن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة والعقول تدل على ذلك وهي شرائع في جميع الأديان لا تقبل النسخ وعن ابن عباس هذه الآيات كانت في ألواح موسى صلى الله عليه وسلم أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكرر تعالى النهي عن الشرك في آخرها ... ومدحورا في الآخرة وتلقى في جهنم ملوما

يكيل به نقصان تام وفيه بعد فلا يتأخر الإيفاء عن وقت الكيل ذلك خير أي الإيفاء والوزن لأن فيه تطييب النفوس بالاتسام بالعدل والإيصال للحق وأحسن تأويلا أي عاقبة إذ لا يبقى على الموفي والوازن تبعة لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو من المآل وهو المرجع كما قال خير مردا خير عقبا خير أملا وإنما كانت عاقبته أحسن لأنه اشتهر بالاحتراز عن التطفيف فعول عليه في المعاملات ومالت القلوب إليه ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه

عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ﴾ لما أمر تعالى بثلاثة أشياء الايفاء بالعهد والايفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم أتبع ذلك بثلاثة أمناه ولا تقف ولا تمش ولا تجعل ومعنى ولا تقف لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل نهى أن تقول ما لا تعلم وأن تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهى عن اتباع التقليد لأنه اتباع بما لا يعلم صحته * وقال ابن عباس معناه لا ترم أحدا بما لا تعلم * وقال قتادة لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه * وقال محمد بن الحنفية لا تشهد بالزور * وقال ابن عطية ولا تقل لكنها كلمة تستعمل فى القذف والعضه انتهى وفى الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج * وقال فى الحديث أيضا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفى من أبينا * ومنه قول النابغة الجعدى

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحيا لا يتبعن التقافيا

﴿ وقال الكميت ﴾

فلا أرمى البرىء بغير ذنب * ولا أقفو الحواضن ان قفينا

وحاصل هذا انه نهى عن اتباع ما لا يكون معلوما وهذه قضية كلية تندرج تحتها أنواع فكل من القائلين حمل على واحد من تلك الأنواع * قال الزمخشرى وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم وقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى * وقرأ الجمهور ولا تقف بحذف الواو للجزم مضارع قفا * وقرأ زيد بن على ولا تقفو باثبات الواو * كما قال الشاعر

هجوت زبان ثم جئت معتذرا * من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

واثبات الواو والياء والألف مع الجازم لغة لبعض العرب وضرورة لغيرهم * وقرأ معاذ القارىء ولا تقف مثل تقل من قاف يقوف تقول العرب قفت أثره وقفوت أثره وهما لغتان لوجود التصاريف فيهما كجبذ وجذب وقاع الجمل الناقة وقعاها اذا ركبها وليس قاف مقلوبا من قفا كما جوزه صاحب اللوامح * وقرأ الجراح العقيلى والفؤاد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة فى الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح وهى لغة فى الفؤاد وأنكرها أبو حاتم وغيره وبه لا تتعلق بعلم لانه يتقدم معموله عليه * قال الحوفى يتعلق بما تعلق به لك وهو الاستقرار وهو لا يظهر وفى قوله ان السمع والبصر والفؤاد دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول وجاء هذا على الترتيب القرآنى فى البداءة بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد وأولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد وهو اسم اشارة للجمع المذكر والمؤنث العاقل وغيره وتخيل ابن عطية أنه يختص بالعاقل * فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها فى هذه الآية مسئولة فهى حالة من يعقل ولذلك عبر عنها بأولئك * وقد قال سيبويه رحمه الله فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين انما قال رأيتهم فى نجوم لانه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل * وحكى الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعما لا يعقل بأولئك * وأنشد هو والطبرى

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

أن يقال له بعد الفعل وذمه لم فعلت كذا وما حملك عليه وما استفدت منه الا الحاق الضرر بنفسك فأول الامر الذم وآخره اللوم والفرق بين مخذولا ومدحورا أن المخذول هو المترولك اعانته ونصره والمفوض الى نفسه والمدحور المطرود المبعد على سبيل الاهانة له والاستخفاف به فأول الامر الخذلان وآخره الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون فى الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون فى الآخرة ولذلك جاء فتلقى فى جهنم والخطاب بالنهى فى هذه الآيات كلها للسامع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشرى ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمته وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم

(الدر)

(ع) وعبر عن السمع والبصر والفؤاد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها فى هذه الآية مسئولة فهو حالة من يعقل ولذلك عبر عنها باولئك وقد قال سيبويه رحمه الله فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين انما قال رأيتهم فى نجوم لأنه لما وصفها بالسجود وهو

وأما حكاية أبي اسحاق عن اللغة فأمر يوقف عنده وأما البيت فالرواية فيه الاقوام انتهى وليس ماتخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد أولئك الايام ولم يكونوا لينشدوا الاماروى واطلاق أولاء وأولاك وأولئك وأولالك على مالا يعقل لانعلم خلافا فيه وكل مبتدأ والجملة خبره واسم كان عائد على كل وكذا الضمير فى مسئولا والضمير فى عنه عائد على ما من قوله ماليس لك به علم فيكون المعنى ان كل واحد من السمع والبصر والفؤاد يسأل عما لاعلم له به أى عن انتفاء مالا علم له به وهذا لظاهر * وقال الزجاج يستشهد بها كما قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم * وقال القرطبي فى أحكامه يسأل الفؤاد عما اعتقده والسمع عما سمع والبصر عما رأى * وقال ابن عطية ان الله تعالى يسأل سمع الانسان وبصره وفؤاده عما قال مما لاعلم له به فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزى * وقيل الضمير فى كان ومسئولا عائدان على القائف ماليس له به علم والضمير فى عنه عائد على كل فيكون ذلك من الالتفات اذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسئولا * وقال الزمخشرى وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالا يحل لك سماعه ولم نظرت مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه انتهى وهذا الذى ذهب اليه من أن عنه فى موضع الرفع بالفاعلية ويعنى به أنه مفعول لم يسم فاعله لايجوز لان الجار والمجرور ومايقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشرطهما جار مجرى الفاعل فكما أن الفاعل لايجوز تقديمه فكذلك ماجرى مجراه وأقيم مقامه فاذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لايجوز تقديم الجار والمجرور الذى يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس ذكر ذلك فى المقنع من تأليفه فليس عنه مسئولا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور فى عنه مسئولا وتأخيره فى المغضوب عليهم وقول الزمخشرى ولم نظرت مالم يحل لك اسقط الى وهو لايجوز الا ان جاء فى ضرورة شعر لان نظر يتعدى بالى فكان التركيب ولم نظرت الى مالم يحل لك كما قال النظر اليه فعداه بالى ونصب مرحا على الحال أى مرحا كما تقول جاء زيد ركضا أى راكضا أو على حذف مضاف أى ذا مرح وأجاز بعضهم أن يكون مفعولا من أجله أى ولاتمش فى الارض للمرح ولانظهر ذلك وتقدم أن المرح هو السرور والاغتباط بالراحة والفرح وكأنه ضمن معنى الاختيال لان غلبة السرور والفرح يصحبها التكبر والاختيال ولذلك بقوله عقيب انك لن تخرق الارض * وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الراء وهو حال أى لاتمش متكبرا مختالا [illegible] مجاهد لن تخرق بمشيك على عقبيك كبرا وتعاظما ولن تبلغ الجبال بالمشى على صدور قدميك تفاخرا وطولا وتأويل أن قدرتك لاتبلغ هذا المبلغ فيكون ذلك وصلة الى الاختيال * وقال الزجاج لاتمش فى الارض مختالا فخورا [illegible] [illegible] [illegible] يمشون على الارض هونا واقصد فى مشيك ولاتمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور * وقال الزمخشرى لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال * وقرأ الجراح الاعرابى لن تخرق بضم الراء [illegible] لاتعرف هذه اللغة * وقيل أشير بذلك الى ان الانسان محصور بين جمادين ضعيف عن التأثير فيهما بالخرق وبلوغ الطول ومن كان بهذه المثابة لايليق به التكبر * وقال الشاعر

فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وحكى الزجاج ان العرب تعبر عمن يعقل وعمن لايعقل باولئك وأنشد هو والطبرى

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام

فاما حكاية أبى اسحق عن اللغة فامر توقف عنده وأما البيت فالرواية فيه الأقوام (ح) تخيل ع ان أولئك تختص بالاشارة الى العاقل وليس ماتخيله صحيحا والنحاة ينشدونه بعد أولئك الأيام ولم يكونوا لينشدوا الاماروى واطلاق أولاء وأولئك وأولاك وأولالك على مالا يعقل لانعلم خلافا فيه (ش) وعنه فى موضع رفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالا يحل لك سماعه ولم نظرت مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالا يحل لك العزم عليه انتهى (ح) وهذا الذى ذهب اليه من أن عنه فى موضع

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ﴿ فكم تحتها قوم هم منك أرفع

والأجود انتصاب قوله طولا على التمييز أي لن يبلغ طولك الجبال ﴿ وقال الحوفي طولا نصب على الحال والعامل في الحال تبلغ ويجوز أن يكون العامل تخرق وطولا بمعنى متطاول انتهى ﴿ وقال أبو البقاء طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل أو المفعول ويجوز أن يكون تمييزا ومفعولا له ومصدرا من معنى تبلغ انتهى ﴿ وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر والأعرج سيئة بالنصب والتأنيث ﴿ وقرأ باقي السبعة والحسن ومسروق سيئه بضم الهمزة مضافا للهاء المذكر الغائب ﴿ وقرأ عبد الله سيئاته بالجمع مضافا للهاء وعنه أيضا سيئات بغيرها وعنه أيضا كان خبيثه ﴿ فأما القراءة الأولى فالظاهر أن ذلك إشارة إلى مصدري النهيين السابقين وهما قفو ما ليس له به علم والمشي في الأرض مرحا ﴿ وقيل إشارة إلى جميع المناهي المذكورة فيما تقدم في هذه السورة وسيئة خبر كان وأنث ثم قال مكروها فذكر ﴿ قال الزمخشري السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا ألا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث انتهى وهو تخريج حسن ﴿ وقيل ذكر مكروها على لفظ كل وجوزوا في مكروها أن يكون خبرا ثانيا لكان على مذهب من يجيز تعداد الأخبار لكان وأن يكون بدلا من سيئة والبدل بالمشتق ضعيف وأن يكون حالا من الضمير المستكن في الظرف قبله والظرف في موضع الصفة ﴿ قيل ويجوز أن يكون نعتا لسيئة لما كان تأنيثها مجازيا جاز أن توصف بمذكر وضعف هذا بأن جواز ذلك إنما هو في الإسناد إلى المؤنث المجازي إذا تقدم أما إذا تأخر وأسند إلى ضميرها فهو قبيح تقول أثقل الأرض أبقالها فصيحا والأرض أبقل قبيح وأما من قرأ سيئه بالتذكير والإضافة فسيئه اسم كان ومكروها الخبر ولما تقدم من الخصال ما هو سيء وما هو حسن أشير بذلك إلى المجموع وأفرد سيئه وهو المنهي عنه فالحكم عليه بالكراهة من قوله لا تجعل إلى آخر المنهيات وأما قراءة عبد الله فتخرج على أن يكون مما أخبر فيه عن الجمع إخبار الواحد المذكر وهو قليل نحو قوله ﴿ فإن الحوادث أودى بها ﴿ لصلاحيته الحدثان مكان الحوادث وكذلك هذا أي كل ما سبق ومكان سيئاته ذلك إشارة إلى جميع أنواع التكاليف من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى قوله ولا تمش في الأرض مرحا وهي أربعة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أمر وبعضها نهي بدأها بقوله لا تجعل وختم الآيات بقوله ولا تجعل وقال مما أوحى لأن ذلك بعض مما أوحي إليه إذ أوحي إليه تكاليف أخر ومما أوحي خبر عن ذلك ومن الحكمة يجوز أن يكون متعلقا بأوحي وأن يكون بدلا من ما وأن يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما وكانت هذه التكاليف حكمة لأن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة والعقول تدل على صحتها وهي شرائع في جميع الأديان لا تقبل النسخ ﴿ وعن ابن عباس هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكرر تعالى النهي عن الشرك ففي [illegible] مذموما مخذولا وفي الثانية فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم [illegible] الفعل الذي أقدم عليه قبيح منكر وكونه ملوما أن يقال له بعد [illegible] ومن شأنه [illegible] وما [illegible] الإلحاق الضرر بنفسك فأول الأمر الذم وآخره [illegible] المخذول والمدحور أن المخذول هو المتروك إعانته ونصره والمفوض إلى

الرفع على الفاعلية ويعني به أنه مفعول لم يسم فاعله لا يجوز لأن الجار والمجرور وما يقام مقام الفاعل من مفعول به ومصدر وظرف بشرط وظهما جار مجرى الفاعل فكما أن الفاعل لا يجوز تقديمه فكذلك ما جرى مجراه وأقيم مقامه فإذا قلت غضب على زيد فلا يجوز على زيد غضب بخلاف غضبت على زيد فيجوز على زيد غضبت وقد حكى الاتفاق من النحويين على أنه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل على الفعل أبو جعفر النحاس وذكر ذلك في نقع من تآليفه فليس عنه مسؤلا كالمغضوب عليهم لتقدم الجار والمجرور في عنه مسؤلا وتأخيره في المغضوب عليهم وقول (س) ولم نطرب مالا يحل لك أستقد الى وهو لا يجوز الا [illegible] في ضرورة شعر لأن [illegible] [illegible] كثيرة طرب [illegible] ما لا يحل لك [illegible]

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ لما نبه تعالى على فساد طريقة من أثبت لله شريكا ونظيرا أتبعه بفساد طريقة من أثبت لله ولدا
والاستفهام معناه الانكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله ومعنى أفأصفاكم آثركم وخصكم وهذا كما قال
أله البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم ومعنى عظيما بالغا في المنكر
والقبح حيث أضفتم اليه الاولاد ثم حيث فضلتم عليه أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما خلق
الى الانوثة ومعنى صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال (٣٩) الى مثال والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى

نفسه والمدحور المطرود المبعد على سبيل الاهانة له والاستخفاف به فأول الأمر الخذلان وآخره
الطرد مهانا وكان وصف الذم والخذلان يكون في الدنيا ووصف اللوم والدحور يكون في الآخرة
ولذلك جاء فتلقى في جهنم والخطاب بالنهي في هذه الآيات السابع غير الرسول * وقال الزمخشري ولقد
جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة
أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم
لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه
آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليما غفورا﴾ لما نبه تعالى على فساد من أثبت لله شريكا ونظيرا أتبعه بفساد طريقة من
أثبت لله ولدا والاستفهام معناه الانكار والتوبيخ والخطاب لمن اعتقد أن الملائكة بنات الله ومعنى
أفأصفاكم آثركم وخصكم وهذا كما قال أله البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب
ويكون أردؤها وأدونها للسادات ومعنى عظيما مبالغا في المنكر والقبح حيث أضفتم اليه الاولاد ثم
حيث فضلتم عليه تعالى أنفسكم فجعلتم له ما تكرهون ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما خلق
الى الانوثة ومعنى صرفنا نوعنا من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشيء
من جهة الى جهة ثم صار كناية عن التبيين * وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء * فقال لم نجعله نوعا
واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وأمرا ونهيا وناسخا ومنسوخا وأخبارا وأمثالا مثل
تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال ومفعول صرفنا على هذا المعنى محذوف وهي هذه
الاشياء أي صرفنا الامثال والعبر والحكم والاحكام والاعلام * وقيل المعنى لم ننزله مرة واحدة بل
نجوما ومعناه أكثرنا صرف جبريل اليك والمفعول محذوف أي صرفنا جبريل * وقيل في زائدة
أي صرفنا هذا القرآن كما قال وأصلح لي في ذريتي وهذا ضعيف لان في لا تزاد * وقال الزمخشري
يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد

جهة ثم صار كناية عن التبيين وقرئ ليذكروا وأصله من التذكر أدغمت التاء في الذال وقرئ ليذكروا من الذكر وما يزيدهم أي التصريف الا نفورا أي بعدا وفرارا عن الحق ﴿قل لو كان معه آلهة﴾ ذكر قولهم انه تعالى معه آلهة ورد عليهم ومعنى ﴿لابتغوا﴾ أي طلبوا متوصلين إلى ذي العرش الى مغالبته وإفساد ملكه لأنهم شركاؤه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض والكاف في كما في موضع نصب أي مثلما وقرئ تقولون بتاء الخطاب ويقولون بياء الغيبة سبحانه أي تنزيهه وتعالى متعلق به على سبيل الاعمال إذ يصح لسبحان أن يتعلق به عن والتعالي في حقه تعالى هو بالمكانة

لا بالمكان وعلوا مصدر على غير الصدر إذ لو جاء على تعالى لكان المصدر تعاليا لان تفاعل بمعنى الفعل المجرد وهو علا ونسبة
التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وإنس وجن حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وان ما لاحياة فيه ولا نمو
يحدث الله له نطقا وهذا هو الظاهر من اللفظ ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم * قال ابن عطية ثم أعاد على السموات والارض
ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل الفاعل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل أن هن لا يكون إلا لمن يعقل
من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضميرا لجمع المؤنث مطلقا ﴿وان من شيء﴾ إن نافية ومن شيء مبتدأ ومن زائدة وخبره
يسبح موجب بعد النفي ﴿إنه كان حليما﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم ﴿غفورا﴾ إن رجعتم ووحدتم الله

صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلنا مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم انتهى فجعل التصريف خاصا بما دلت عليه الآية قبله وجعل مفعول صرفنا اما القول في هذا المعنى أو المعنى وهو الضمير الذي قدره في صرفناه وغيره جعل التصريف عامّا في أشياء فقدر مايشمل ماسيق له ماقبله وغيره * وقرأ الحسن بتخفيف الراء * فقال صاحب اللوامح هو بمعنى العامة يعني بالعامة قراءة الجمهور قال لان فعل وفعل ربما تعاقبا على معنى واحد * وقال ابن عطية على معنى صرفنا فيه الناس الى الهدى بالدعاء الى الله * وقرأ الجمهور ليذّكروا أي ليتذكروا من التذكير أدغمت التاء في الذال * وقرأ الاخوان وطلحة وابن وثاب والاعمش ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف من الذكر أو الذكر أي ليتعظوا ويعتبروا وينظروا فيما يحتج به عليهم ويطمئنوا اليه ومايزيدهم أي التصريف الانفورا أي بعدا وفرارا عن الحق كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة والنفور من أوصاف الدواب الشديدة الشماس ولما ذكر تعالى نسبة الولد اليهم ورد عليهم في ذلك ذكر قولهم انه تعالى معه آلهة ورد عليهم * وقرأ ابن كثير وحفص عما يقولون بالياء من تحت والجمهور بالتاء ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا الى مغالبته وافساد ملكه لانهم شركاؤه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض وقال هذا المعنى أو مثله ابن جبير وأبو علي الفارسي والنقاش والمتكلمون أبو منصور وغيره وعلى هذا تكون الآية بيانا للتمانع كما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وياتي تفسيرها ان شاء الله تعالى * وقال قتادة مامعناه لابتغوا الى التقرب الى ذي العرش والزلفى لديه وكانوا يقولون ان الاصنام تقربهم الى الله فاذا علموا أنها تحتاج الى الله فقد بطل كونها آلهة ويكون كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب والكاف من كما في موضع نصب * وقال الحوفي متعلقة بما تعلقت به مع وهو الاستقرار ومعه خبر كان * وقال أبو البقاء كونا لقولكم * وقال الزمخشري واذا دالة على ان مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو انتهى وعطف وتعالى على قوله سبحانه لأنه اسم قام مقام المصدر الذي هو في معنى الفعل أي براءة الله وقدر تنزه وتعالى يتعلق به عن على سبيل الاعمال اذ يصح لسبحان أن يتعلق به عن كما في قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون والتعالي في حقه تعالى هو بالمكانة لا بالمكان * وقرأ الاخوان عما تقولون بالتاء من فوق وباقي السبعة بالياء وانتصب علوا على انه مصدر على غير الصدر أي تعاليا ووصف بكبيرا مبالغة في معنى البراءة والبعد عما وصفوه به لان المنافاة بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني والمحتاج منافاة لا تقبل الزيادة ونسبة التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وانس وجن حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وان مالا حياة فيه ولا نمو يحدث الله فيه نطقا وهذا هو ظاهر اللفظ ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم * وقال بعضهم ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة وبه قال عكرمة قال الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وعن الحسن أخضر من خوان أيسبح فقال قد كان يسبح مرة يشير الى انه حين كان شجرة كان يسبح وحين صار خوانا مدهونا صار جمادا لا يسبح * وقيل التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز ومعناه أنها تسبح بلسان الحال حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها ويكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم

﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الآية نزلت في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر تقرير الألوهية ذكر بعده تقرير النبوة وذكر شيأ من أحوال الكفرة وإنكارها وإنكار المعاد والمعنى وإذا شرعت في القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى انك إذا التبست بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما ينطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرأ شيأ من القرآن قارئ القرآن والظاهر إقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أي مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه أو مستورا به الرسول عن أعينهم ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ تقدم تفسيره في الانعام ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ قيل دخل ملأ من قريش على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يامعشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت قال الزمخشري وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده (٤١) على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى ماذهب اليه من أن وحده مصدر سادمسد الحال خلاف مذهب سيبويه ووحده عند سيبويه ليس مصدرا بل اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع وضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد ووحده وقع بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا وحده فمذهب سيبويه أنه حال من الفاعل أي موحدا له بالضرب ومذهب المبرد أنه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير يوحده بالذكر وعلى مذهب المبرد يكون التقدير موحدا بالذكر والظاهر أن الآية في حال المفردين عند وقت قراءته القرآن ومرور بتوحيد الله تعالى والمعنى اذا جاء في قراءته موضع التوحيد فر الكفرة من ذكره [illegible] ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ أي بالاستخفاف الذي يستمعون به والهزء بك وبالقرآن وكان [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] رجلان من بني عبد الله عن يمينه ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار و[illegible] متعلق بيستمعون [illegible] يستمعون معنى يستهزئون [illegible] يستمعون [illegible] بدل من [illegible] نجوى [illegible] أي ذوو نجوى وإذ في إذ يستمعون [illegible] في موضع [illegible] قريش [illegible]

خطابا للمشركين وهم وان كانوا معترفين بالخالق انه الله لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فيكون التسبيح المسند الى السموات والارض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرا مشتركا بين الجميع وان كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وانس وجن ولا يحمل نسبته الى السموات والارض على المجاز ونسبته الى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعا بين المجاز والحقيقة بلفظ واحد * وقال ابن عطية ثم أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل ان هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضمير الجمع للمؤنث مطلقا * وقرأ النحويان وحمزة وحفص تسبح بالتاء من فوق وباقي السبعة بالياء وفي بعض المصاحف سبحت له السموات بلفظ الماضي وتاء التأنيث وهي قراءة عبد الله والأعمش وطلحة بن مصرف انه كان حليما حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم غفورا ان رجعتم ووحدتم الله تعالى ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ نزلت وإذا قرأت القرآن في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي

(سطر) (ع) ثم أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح اه ويعني بالضمير في قوله ومن فيهن وكأنه تخيل أن هن لا يكون الا لمن يعقل من المؤنثات وليس كما تخيل بل هن يكون ضمير الجمع للمؤنث مطلقا .

طعام فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر مجنون والظاهر أن مسحورا من السحر أي خبل عقله السحر والأمثال هي ماتقدم (٤٢) من قولهم في تناجيهم ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ أي الى الايمان ﴿وقالوا أئذا كنا﴾ هذا استفهام تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له الأمثال وقالوا عنه انه مسحور ذكروا ما استدلوا به على زعمهم على انصافه بما نسبوا اليه واستبعدوا أنه بعد ما يصير الانسان رفاتا يحييه الله ويعيده وقد رد عليهم ذلك بأنه تعالى هو الذى فطرهم بعد العدم الصرف على ما يأتى شرحه فى الآية بعد هذا جواب اذا محذوف تقديره اذا كنا عظاما ورفاتا نبعث والرفات الشئ كسره برفته كسر والرفات الأجزاء المفتتة من كل شئ مكسر وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والرقاق

(الدر)

(ش) وحد يحد وحدا وحده نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحدة من باب رجع عوده على بدئه افعله جهدك وطاقتك فى أنه مصدر سادمسد الحال أصل يحد وحده تعى وحده نهى (ح) مذهب سيبويه من أن وحده مصدر سادمسد الحال حلاف مذهب سيبويه وحده سيبويه ليس بمصدر بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد وضع موضع موحد ويذهب يونس الى أن وحده منصوب على الظرف وذهب قوم الى أنه مصدر لافعل له وقوم الى أنه

لهب كانوا يؤذون الرسول اذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم اذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي وعن ابن عباس نزلت فى امرأة أبى لهب دخلت منزل أبى بكر وبيدها فهر والرسول صلى الله عليه وسلم عنده فقالت هجانى صاحبك قال ماهو بشاعر فالت قال فى جيدها حبل من مسد وما يدريه ما فى جيدى فقال لأبى بكر سلها هل ترى غيرك فان ملكا لم يزل يسترنى عنها فسألها فقالت أتهزأ بى ما أرى غيرك فانصرفت ولم تر الرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل نزلت فى قوم من بنى عبد الدار كانوا يؤذونه فى الليل اذا صلى وجهر بالقراءة فحال الله بينهم وبين أذاه ولما تقدم الكلام فى تقرير الالهية جاء بعده تقرير النبوة وذكر شئ من أحوال الكفرة فى انكارها وانكار المعاد والمعنى واذا شرعت فى القراءة وليس المعنى على الفراغ من القراءة بل المعنى على انك اذا تلبست بقراءة القرآن ولا يراد بالقرآن جميعه بل ما يطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا يقرأ القرآن والظاهر ان القرآن هنا هو ما قرئ من القرآن أى شئ كان منه * وقيل ثلاث آيات منه معينة وهى فى النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الى الغافلون وفى الكهف ومن أظلم الى اذا أبدا وفى الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى أفلا تذكرون وعن كعب ان الرسول كان يستتر بهذه الآيات وعن ابن سيرين انه عينها له هاتف من جانب البيت وعن بعضهم انه أسر زمانا ثم اهتدى قراءتها فخرج لا يبصره الكفار وهم يتطلبونه تمس ثيابهم ثيابه * قال القرطبى ويزاد الى هذه الآى أول يس الى فهم لا يبصرون وفى السيرة ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين نام على على فراشه خرج ينثر التراب على رؤس الكفار ولا يرونه وهو يتلو هذه الآيات من يس ولم يبق أحد منهم الا وضع على رأسه ترابا والظاهر ان المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة كما ورد فى سبب النزول * وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجابا فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث فالمعنى قريب من الآية بعدها والظاهر اقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أى مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ونسب الستر اليه لما كان مستورا به قاله المبرد ويؤول معناه الى انه ذو ستر كما جاء فى صيغة لابن وتامر أى ذو لبن وذو تمر وقالوا رجل مرطوب أى ذو رطوبة ولا يقال رطبته ومكان مهول أى ذو هول وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية * وقال الاخفش وجماعة مستورا ساترا واسم الفاعل قد يجىء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤم وميمون يريدون شائم ويامن * وقيل مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر ورد بأن المبالغة انما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا تقدم تفسيره فى أوائل الأنعام واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده * قيل دخل ملأ قريش على أبى طالب يزورونه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ وأمر بالتوحيد ثم قال يامعشر قريش قولوا لا اله الا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا وأنفروا فنزلت هذه الآية والظاهر أن الآية فى حال الفار من سماع القرآن ومروره بتوحيد الله والمعنى اذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار انكارا له واستبشاعا رفض آلهتهم وطرحها * وقال الزمخشرى وحد يحد وحدا وحده نحو وعد يعد

وحدا وحدة ووحدة من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد
الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى وما ذهب اليه من ان وحده مصدر ساد مسد الحال خلاف
مذهب سيبويه ووحده عند سيبويه ليس مصدرا بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع
الحال فوحده عنده موضوع موضع ايحاد وايحاد موضوع موضع موحد وذهب يونس الى ان
وحده منصوب على الظرف وذهب قوم الى انه مصدر لا فعل له وقوم الى انه مصدر لأوحد على
حذف الزيادة وقوم الى أنه مصدر لوحد كما ذهب اليه الزمخشري وحجج هذه الأقوال مذكورة
في كتب النحو * واذا ذكرت وحده بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا وحده فمذهب سيبويه انه
حال من الفاعل أي موحدا له بالضرب ومذهب المبرد انه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى
مذهب سيبويه يكون التقدير واذا ذكرت ربك موحدا له بالذكر وعلى مذهب أبي العباس
يجوز أن يكون التقدير موحدا بالذكر ونفورا حال جمع نافر كقاعد وقعود أو مصدر على غير
الصدر لان معنى ولوا نفروا والظاهر عود الضمير في ولوا على الكفار المتقدم ذكرهم * وقالت
فرقة هو ضمير الشياطين لانهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى وان لم يجر لهم ذكر * وقال
أبو الجوزاء أوس بن عبد الله ليس شئ أطرد للشيطان من القلب من لا اله الا الله ثم تلا واذا ذكرت
الآية * وقال علي بن الحسين هو البسملة * نحن أعلم بما يستمعون به أي بالاستماع الذي يستمعون
به والهزء بك والاعراض وكان اذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه ورجلان
منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما متعلق بأعلم وما كان في معنى
العلم والجهل وان كان متعديا لمفعول بنفسه فانه اذا كان في باب أفعل في التعجب وفي أفعل
التفضيل تعدى بالباء تقول ما أعلم زيدا بكذا وما أجهله بكذا وهو أعلم بكذا وأجهل بكذا بخلاف
سائر الافعال المتعدية لمفعول بنفسه فانه يتعدى في أفعل في التعجب وأفعل التفضيل باللام تقول
ما أضرب زيدا لعمرو وزيد أضرب لعمرو من بكر وبه قال الزمخشري في موضع الحال كما
تقول يستمعون بالهزء أي هازئين واذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وبما به يتناجون اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم انتهى . وقال الحوفي [illegible] يستمعون ولا
يستمعون لما كان الغرض ليس الاخبار عن الاستماع فقط وكان مضمنا [illegible] الاستماع كان على
طريق الهزء بأن يقولوا مجنون أو مسحور جاء الاستماع [illegible] الاستماع ليس المراد [illegible]
المسموع دون هذا المقصد فيستمعون اليك واذ هم نجوى [illegible] يتعلق بيستمعون [illegible] واذ هم
نجوى لأن المعنى نحن أعلم بالذي يستمعون به اليك [illegible] يستمعون [illegible]
[illegible] عليك [illegible]
أو لنفي يستمعون به * قيل [illegible] يستمعون [illegible] نجوى [illegible]
أن يكون جمع نجي كقتيل وقتلى [illegible] لاوى [illegible] التقدير ذوو [illegible]
[illegible] الضمير في به [illegible]
[illegible] يستمعون به [illegible]
[illegible] المطوق يستمعون [illegible]
[illegible] حقا [illegible] أبو جهل مجنون [illegible]
[illegible]

(الدر)

مصدر لاوحد على حذف
الزيادة وقوم الى أنه مصدر
لوحد كما ذهب اليه (ش)
وحجج هذه الاقوال
مذكورة في كتب
النحو واذا ذكرت
وحده بعد فاعل ومفعول
نحو ضربت زيدا فمذهب
سيبويه انه حال من
الفاعل أي موحدا له
بالضرب ومذهب المبرد انه
يجوز أن يكون حالا من
المفعول فعلى مذهب
سيبويه يكون التقدير واذا
ذكرت ربك موحدا له
بالذكر وعلى مذهب أبي
العباس يجوز أن يكون
التقدير موحدا بالذكر

بما وقد دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا يقولون ساحر مجنون والظاهر ان مسحورا من السحر أي خبل عقله السحر * وقال مجاهد مخدوعا نحو فأنى تسحرون أي تخدعون * وقال أبو عبيدة مسحورا معناه ان له سحرا أي رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك وتقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور * قال

آرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي نغذى ونعلل ونسحر * قال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

* قال ابن قتيبة لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة * وقال ابن عطية الآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة من السحر بكسر السين لان (١) في قولهم ضرب مثل وأما على انها من السحر الذي هو الرئة ومن التغذي وأن تكون الاشارة الى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة له والامثال تقدم ما قالوه في تناجيهم وكان ذلك منهم على جهة التسلية والتلبيس ثم رأي الوليد بن المغيرة ان أقربها التخييل الطارئين عليهم هو أنه ساحر فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب فيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره عليهم فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والنظر المؤدي الى الايمان أو سبيلا الى افساد أمرك واطفاء نور الله بضربهم الامثال واتباعهم كل حيلة في جهتك وحكى الطبري أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه وقالوا أئذا كنا هذا استفهام تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له الامثال وقالوا عنه انه مسحور ذكروا ما استدلوا به على زعمهم على اتصافه بما نسبوا اليه واستبعدوا أنه بعدما يصير الانسان رفاتا يحييه الله ويعيده وقد رد عليهم ذلك بأنه تعالى هو الذي فطرهم بعد العدم الصرف على ما يأتي شرحه في الآية بعد هذا ومن قرأ من القراء اذا وانا معا أو احداهما على صورة الخبر فلا يريد الخبر حقيقة لان ذلك كان يكون تصديقا بالبعث والنشأة الآخرة ولكنه حذف همزة الاستفهام لدلالة المعنى وفي الكلام حذف تقديره اذا كنا ترابا وعظاما نبعث أو نعاد وحذف لدلالة ما بعده عليه وهذا المحذوف هو جواب الشرط عند سيبويه والذي تعلق به الاستفهام وانصب عليه عند يونس وخلقا حال وهو في الاصل مصدر أطلق على المفعول أي مخلوقا * قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي

أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ * الحديد معروف * نغضت سنه تحركت قال * ونغضت من هرم أسنانها * تنغض وتنغض نغضا ونغوضا وانغض رأسه حركه برفع وخفض * قال * لما رأتنى انغضت لى الرأسا * وقال الآخر

أنغض نحوى رأسه وأقنعا * كأنه يطلب شيأ أطمعا

* وقال الفراء أنغض رأسه حركه الى فوق والى أسفل * وقال أبو الهيثم اذا أخبر بشئ فحرك رأسه انكارا له فقد انغض رأسه * وقال ذو الرمة

ظعائن لم يسكن أكناف قرية * بسيف ولم ينغض بهن القناطر

* حنك الدابة واحتنكها جعل فى حنكها الاسفل حبلا يقودها به واحتنك الجراد الارض أكلت نباتها * قال

نشكوا اليك سنة قد أجحفت * جهدا الى جهد بنا فأضعفت

* واحتنكت أموالنا وحنفت ومنه ماذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أى آكلهما * استفز الرجل استخفه والفز الخفيف وأصله القطع ومنه تفزز الثوب انقطع واستفزنى فلان خدعنى حتى وقعت فى أمر أراده * وقيل لولد البقرة فز لخفته * قال الشاعر

كما استغاث بشئ فز غيطلة * خاف العيون فلم ينظر به الحشك

* الجلبة الصياح قاله أبو عبيدة والفراء * وقال أبو عبيدة جلب واجلب * وقال الزجاج اجلب على العدو جمع عليه الخيل * وقال ابن السكيت جلب عليه أعان عليه * وقال ابن الاعرابى أجلب على الرجل اذا توعده الشر وجمع عليه الجمع * الصوت معروف * الحاصب الريح ترمى بالحصباء قاله الفراء والحصب الرمى بالحصباء وهى الحجارة الصغار

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربهم * بحاصب كنديف القطن منثور

والحاصب العارض الرامى بالبرد والحجارة * تارة مرة وتجمع على تير وتارات * قال الشاعر

وانسان عينى يحسر الماء تارة * فيبدو وتارات يجم فيغرق

* القاصف الذى يكسر كل ما يلقى ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره * وقال أبو تمام

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

* وقيل القاصف الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أى تتكسر

﴿ قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾ * قال الزمخشري لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه * وقال ابن عطية كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتي لا بد من بعثكم وقوله كونوا هو الذي يسميه المتكلمون التعجيز من أنواع افعل وبهذه الآية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى فادرؤوا عن أنفسكم الموت ونحوه وأما هذه الآية فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا الذي فطركم كذلك هو يعيدكم انتهى * وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون * وقال النحاس هذا قول حسن لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة وإنما المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم وأنكروا البعث فقيل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم ولو كنتم حجارة أو حديدا لبعثتم كما خلقتم أول مرة انتهى أو خلقا مما يكبر في صدوركم صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته ولم يعينه ترك ذلك إلى أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد فبدأ أولا بالصلب ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه ثم الأصلب من الحديد أي افرضوا ذواتكم شيئا من هذه فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم * وقال ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمر والحسن وابن جبير والضحاك الذي يكبر الموت أي لو كنتم الموت لأماتكم ثم أحياكم وهذا التفسير لا يتم إلا إذا أريد المبالغة لا نفس الأمر لأن البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضا ولو فرض انقلابه عرضا لم يكن لنفس الحياة لأجل الضدية . وقال مجاهد الذي يكبر السموات والأرض والجبال ولما ذكر أنهم لو كانوا أصلب شيء وأبعده من حلول الحياة به كان خلق الحياة فيه ممكنا قالوا من الذي هو قادر على صيرورة الحياة فينا وعادة استفهامهم على ما يقتضي الإعادة وهو أن الذي أنشأكم واخترعكم أول مرة هو الذي يعيدكم والذي مبتدأ وخبره محذوف التقدير الذي فطركم أول مرة يعيدكم فيطابق في الجواب السؤال ويجوز أن يكون فاعلا أي يعيدكم الذي فطركم ويجوز أن

﴿ قل كونوا حجارة ﴾ الآية أي كونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها القساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة ﴿ أو خلقا مما يكبر في صدوركم ﴾ عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه ﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ﴿ ويقولون متى هو ﴾ أي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن حيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لأن ما ثبت إمكانه بدليل العقل لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن أجابهم على سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لأن ذلك مما استأثر تعالى بعلمه واحتمل أن يكون في ﴿ عسى ﴾ إضمار أي عسى هو أي العود واحتمل أن يكون مرفوعها أن ﴿ يكون ﴾ فتكون فيه تامة ووقع في لفظ ابن عطية عسى أن الساعة قريبة انتهى وهذا تركيب لا يجوز لا تقول عسى أن زيدا قائم بخلاف عسى أن يقوم زيد و﴿ قريبا ﴾ يحتمل أن يكون خبر كان على أنه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل أن يكون ظرفا أي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يكون ﴿ يوم يدعوكم ﴾ بدلا من قريبا فالظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال تعالى ويوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم إليه والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم و﴿ بحمده ﴾ حال منهم أي متلبسين بالثناء عليه تعالى ﴿ إن لبثتم إلا قليلا ﴾ إن هنا نافية وتظنون معلقة عن العمل فالجملة بعدها في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في أدوات التعليق إن النافية والظاهر أن ينتصب قليلا على أنه نعت لزمان محذوف أي إلا زمانا قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أي [illegible] قليلا [illegible] دلالة فوته

يكون خبر مبتدا أي معيدكم الذي فطركم وأول مرة ظرف العامل فيه فطركم قاله الحوفي فسينغضون أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ويقولون متى هو أي متى العود ولم يقولوا ذلك على سبيل التسليم للعود ولكن حيدة وانتقالا لما لا يسأل عنه لان ما ثبت امكانه بالدليل العقلي لا يسأل عن تعيين وقوعه ولكن أجابهم عن سؤالهم بقرب وقوعه لا بتعيين زمانه لان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه واحتمل أن يكون في عسى اضمار أي عسى هو أي العود واحتمل أن يكون مرفوعها أن يكون فتكون تامة * وقريبا يحتمل أن يكون خبر كان على انه يكون العود متصفا بالقرب ويحتمل أن يكون ظرفا أي زمانا قريبا وعلى هذا التقدير يوم يدعوكم بدلا من قريبا * وقال أبو البقاء يوم يدعوكم ظرف ليكون ولا يجوز أن يكون ظرفا لاسم كان وان كان ضمير المصدر لان الضمير لا يعمل انتهى اما كونه ظرفا ليكون فهذا مبني على جواز عمل كان الناقصة في الظرف وفيه خلاف وأما قوله لان الضمير لا يعمل فهو مذهب البصريين وأما الكوفيون فيجيزون أن يعمل نحو مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح يعلقون بعمرو بقط هو أي ومروري بعمرو قبيح والظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادي المنادي من مكان قريب الآية ويقال ان اسرافيل عليه السلام ينادي أيتها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت * وروي في الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم اليه * وقال الزمخشري [illegible] كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون [illegible] والظاهر ان الخطاب للكفار اذ الكلام قبل ذلك معهم [illegible] وبحمده حال منهم قال الزمخشري وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه * وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك انتهى وذلك لما ظهر لهم من قدرته * وقيل معنى بحمده أن الرسول قال ذلك لا انهم يكونون بحمده حالا منهم وكأنه قال عسى أن يكون الساعة قريبا يوم يدعوكم فتقومون بخلاف ما تعتقدون الآن وذلك بحمد الله على صدق خبري كما تقول لرجل خصمته وحاورته في علم قد أخطأت بحمد الله فبحمد الله ليس حالا من فاعل أخطأت بل المعنى [illegible] متكلف جدا [illegible] وكان بحمد الله يكون [illegible] قول الشاعر

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر · لبست ولا من غدرة أتقنع

أي فاني والحمد لله [illegible] من المتعسفين ووقع في لفظ [illegible] وهو تركيب لا يجوز [illegible] عسى [illegible] بخلاف عسى أن يقوم زيد [illegible]

وقال المفسرون [illegible] لا يبعثهم [illegible]

الا قليلا * قال ابن عباس [illegible] وقال [illegible] بين النفختين [illegible]

عليهم من بعثهم من قبورهم [illegible] كأن لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة [illegible]

وقال الزمخشري وتظنون وترون [illegible]

(الدر)

(ح) وهو في لفظ (ع) عسى أن الساعة قريبة [illegible] تركيب لا يجوز [illegible] عسى أن [illegible] بخلاف عسى أن يقوم زيد

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ الآية [illegible] بالمؤمنين أمر [illegible] القول
لبعض الكلم التي هي أحسن أي يجل بعضهم بعضاً ويعظمه ولا يصدر منه إلا الكلام الطيب والقول الجميل وهو إما على أنه
يكون من الشيطان ينزغ بينهم [illegible] وتذكروا [illegible] الخطاب بقوله ﴿ربكم﴾ للمؤمنين [illegible] من الكفار
والذام والتعذيب تسلط عليهم ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ أي حافظاً وكفيلاً ولما خاطبهم بقوله تعالى أعلم بكم تنقل من
الخصوص إلى العموم فقال خاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم (٤٨) ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ ليبين أن
علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في السموات والأرض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل كل واحد منهم وبمن متعلق بأعلم كما تعلق بكم قبله بأعلم ولما كان الكفار قد استبعدوا تنبئ البشر إذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم أخبر تعالى بتفضيل بعض الأنبياء على بعض إشارة إلى أنه لا يستبعد تفضيل الأنبياء على غيرهم إذ وقع التفضيل في هذا الجنس المفضل على الناس والله أعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من شاء منهم على من شاء إذ هو الحكيم فلا يصدر شيء إلا عن حكمته وفيه إشارة إلى أنه لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وخص داود بالذكر هنا لأنه تعالى ذكر في الزبور أن محمداً خاتم النبيين وأن أمته خير الأمم
وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته وكانت قريش ترجع إلى
اليهود كثيراً فيما يخبرون به مما في كتبهم فنبه على أن زبور داود تضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك رد على مكابري
اليهود حيث قالوا لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة ونص تعالى هنا على إيتاء داود الزبور وإن كان قد آتاه مع ذلك الملك
إشارة إلى أن التفضيل المحض هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي أنزل عليه كما فضل محمداً صلى الله عليه وسلم بما آتاه من العلم
والقرآن الذي خصه به وتقدم تفسير وآتينا داود زبوراً في آخر النساء

يوماً أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة انتهى * وقيل استقلوا
لبثهم في عرصة القيامة لأنه لما كانت عاقبة أمرهم الدخول إلى النار استقصروا مدة لبثهم في برزخ
القيامة * وقيل تم الكلام عند قوله قل عسى أن يكون قريباً * ويوم يدعوكم خطاب مع المؤمنين
لا مع الكافرين لأنهم يستجيبون لله بحمده يحمدونه على إحسانه إليهم فلا يليق هذا إلا بهم * وقيل
بحمده المؤمن اختياراً والكافر اضطراراً وهذا يدل على أن الخطاب للكافر والمؤمن وهو الذي
يدل عليه ما روي عن ابن جبير وإذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر فيحمل أن يكون الظن
على بابه فيكون لما رجعوا إلى حالة الحياة وقع لهم الظن أنهم لم ينفصلوا عن الدنيا إلا في زمن قليل
إذ كانوا في ظنهم نائمين ويحتمل أن يكون بمعنى اليقين من حيث علموا أن ذلك منقضٍ متصرم
والظاهر أن وتظنون معطوف على تستجيبون وقاله الحوفي * وقال أبو البقاء أي وأنتم تظنون
والجملة حال انتهى وإن هنا نافية وتظنون معلق عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر
النحويون في أدوات التعليق إن النافية ويظهر أن انتصاب قليلاً على أنه نعت لزمان محذوف أي إلا
زماناً قليلاً كقوله قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي لبثاً قليلاً
ودلالة الفعل على مصدره دلالة قوية ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم
إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم
وكيلا وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود
زبوراً﴾ قيل سبب نزولها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة فسبه عمر وهم بقتله
فكاد يثير فتنة فنزلت الآية وهي منسوخة بآية السيف وارتباطها بما قبلها أنه لما تقدم ما نسب
الكفار لله تعالى من الولد ونفورهم عن كتاب الله إذا سمعوه وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم
ونسبته إلى أنه مسحور وإنكار البعث كان ذلك مدعاة لإيذاء المؤمنين ومجلبة لبغض المؤمنين
إياهم ومعاملتهم بما عاملوهم فأمر الله تعالى نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللطف بهم في
القول وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم فعلى هذا يكون المعنى قل لعبادي المؤمنين يقولوا
للمشركين الكلم التي هي أحسن * وقيل المعنى يقولوا أي يقول بعض المؤمنين لبعض الكلم التي
هي أحسن أي يجل بعضهم بعضاً ويعظمه ولا يصدر منه إلا الكلام الطيب والقول الجميل فيكونوا
مثل المشركين في معاملة بعضهم بعضاً بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للأموال والسبي للنساء
والذراري * وقيل عبادي هنا المشركون إذ المقصود هنا الدعاء إلى الإسلام فخوطبوا بالخطاب

الحسن ليكون ذلك سببا الى قبول الدين فكأنه قيل قل للذين أقروا انهم عبادلى يقولوا التى
هى أحسن وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات ونحو ذلك من نزغ
الشيطان ووسوسته وتحسينه * وقيل عبادى شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتى
تفسير التى هى أحسن والذى نظهر ان لفظة عبادى مضافة اليه تعالى كثر استعمالها فى المؤمنين فى
القرآن كقوله فبشر عبادى الذين يستمعون القول فادخلى فى عبادى عينا يشرب بها عباد الله
وقيل خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمر ومعمول القول محذوف تقديره قولوا التى هى
أحسن وانجزم يقولوا على انه جواب للأمر الذى هو قل قاله الأخفش وهو صحيح المعنى على
تقدير أن يكون عبادى يراد به المؤمنون لانهم لمسارعتهم لامتثال أمر الله تعالى بنفس ما يقول لهم
ذلك قالوا التى هى أحسن وعن سيبويه انه انجزم على جواب لشرط محذوف أى ان قل لهم
يقولوا فيكون فى قوله حذف معمول القول وحذف الشرط الذى يقولوا جوابه * وقال المبرد
انجزم جوابا للأمر الذى هو معمول قل أى قولوا التى هى أحسن يقولوا وقيل معمول قل
مذكور لا محذوف وهو يقولوا على تقدير لام الأمر وهو مجزوم بها قاله الزجاج * وقيل يقولوا مبنى
وهو مضارع حل محل المبنى الذى هو فعل الأمر مبنى والمعنى قل لعبادى قولوا قاله المبرد وهذه
الاقوال جرت فى قوله قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وترجيح ما ينبغى أن يرجح مذكور
فى علم النحو والتى هى أحسن قالت فرقة منهم ابن عباس هى قول لا إله إلا الله * قال ابن عطية ويلزم
على هذا أن يكون قوله لعبادى يريد به جميع الخلق لأنه جميعهم مدعو الى لا إله إلا الله ويجيء قوله
[illegible] يقولوا التى هى أحسن [illegible] بهم [illegible] فهم
[illegible] ووسوسته [illegible] وقال الحسن يرحمك الله يغفر لك [illegible]
[illegible] وقيل اقول للمؤمن يرحمك الله وللكافر [illegible]
[illegible] وقال الزمخشرى وفسر التى هى أحسن بقوله
ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من
أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ
بينهم اعتراض [illegible] بينهم [illegible]
[illegible] وقال أبو عبيدة [illegible] بالطريق
الأحسن [illegible]
بالتى هى أحسن ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن [illegible]
[illegible] حصول المقصود [illegible]
[illegible] ان الشيطان ينزغ بينهم [illegible] كان [illegible]
وقرأ طلحة ينزغ بكسر الزاى [illegible]
[illegible] وقال الزمخشرى [illegible]
كان [illegible]
[illegible] الآية وغيرها من الآيات [illegible]
[illegible] ربكم [illegible] كان للمؤمنين [illegible] ورحمة [illegible]

عليهم وما أرسلناك عليهم أي على الكفار حافظاً وكفيلاً فاشتغل أنت بالدعوة وإعداد إيتهم الى الله * وقيل يرحمكم بالهداية الى التوفيق والاعمال الصالحة وان شاء عذبكم بالخذلان وان كان الخطاب للكفار فقال يقابل يرحمكم الله بالهداية الى الايمان و يعذبكم بميتكم على الكفر * وذكر أبو سليمان الدمشقي لما نزل القحط بالمشركين قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقال الله ربكم أعلم بكم بالذي يؤمن من الذي لا يؤمن ان يشأ يرحمكم فيكشف القحط عنكم أو ان يشأ يعذبكم فيتركه عليكم * وقال ابن عطية هذه الآية تقوي ان الآية التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وذلك ان قوله ربكم أعلم بكم مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا فكأنه أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال انه أعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومنى يرحمكم بالتوبة عليكم قاله ابن جريج وغيره انتهى وتقدم من قول الزمخشري ان قوله ربكم أعلم بكم هي من قول المؤمنين للكفار وأنه تفسير لقوله التي هي أحسن * وقال ابن الانباري أو دخلت هنا لسعة الأمرين عند الله ولا يرد عنهما فكانت ملحقة بأو المبيحة في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين يعنون قد وسعنا لك الأمر * وقال الكرماني أو للاضراب ولهذا كرران ولما ذكر تعالى انه أعلم بمن خاطبهم بقوله ربكم أعلم بكم انتقل من الخصوص الى العموم فقال مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم وربك أعلم بمن في السموات والأرض ليبين ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في السموات والارض بأحوالهم ومقاديرهم وما يستأهل كل واحد منهم وبمن متعلق بأعلم كما تعلق بكم قبله بأعلم ولا يدل تعلقه به على اختصاص أعلميته تعالى بما تعلق به كقولك زيد أعلم بالنحو لا يدل هذا على أنه ليس أعلم بغير النحو من العلوم * وقال أبو علي الباء تتعلق بفعل تقديره علم بمن قال لأنه لو علقها بأعلم لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك وهذا لا يلزم وأيضاً فان علم لا يتعدى بالباء انما يتعدى لواحد بنفسه لا بواسطة حرف الجر أو لا يبنى على ما تقرر في علم النحو ولما كان الكفار قد استبعدوا نبوة البشر اذ فيه تفضيل الأنبياء على غيرهم أخبر تعالى بتفضيل الانبياء على بعض اشارة الى انه لا يستبعد تفضيل الانبياء على غيرهم اذ وقع التفضيل في هذا الجنس المفضل على الناس والله تعالى أعلم بما خص كل واحد من المزايا فهو يفضل من شاء منهم على من شاء اذ هو الحكيم فلا يصدر شيء الا عن حكمته وفيه اشارة الى أنه لا يستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وخص داود بالذكر هنا لأنه تعالى ذكر في الزبور ان محمداً خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيراً فيما يخبرون به مما في كتبهم فنبه على أن زبور داود تضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك اشارة رد على مكابري اليهود حيث قالوا لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة ونص تعالى هنا على ايتاء داود الزبور وان كان قد آتاه مع ذلك الملك اشارة الى أن التفضيل بعضهم هو بالعلم الذي آتاه والكتاب الذي أنزل عليه كما فضل محمد صلى الله عليه وسلم بما آتاه من العلم والقرآن الذي خصه به وتقدم تفسير وآتينا داود زبوراً في أواخر النساء وذكر الخلاف في ضم الزاي وفتحها وقال الزمخشري هنا (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف في ولقد كتبنا في الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله

﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ الآية قيل نزلت في عبدة الشياطين وهم خزاعة أسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم فلا يستطيعون جواب لقوله ادعوا وثم محذوف بعد الفاء تقديره فهم لا يستطيعون والمعنى لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى آخر ويبدلوه وفي قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الاول والثاني محذوف تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله والظاهر أن أولئك إشارة إلى المعبودين وهو مبتدأ والذين صفته ويدعون صلة للذين والواو للعابدين والضمير العائد على الذين محذوف تقديره يدعونهم آلهة ويبتغون خبر أولئك والوسيلة القرب الى الله ﴿أيهم أقرب﴾ أجاز الحوفي أن يكون بدلا من الواو في يبتغون وتبعه الزمخشري فعلى هذا يكون أيهم موصولا وأقرب خبر مبتدإ التقدير ويبتغي الذين هم أقرب إلى ربهم الوسيلة وأجاز أيضا أن يكون أيهم أقرب مبتدأ وخبرا على الاستفهام ومقدرا قبله الفعل المعلق وهو ينظرون وقال نحوه ابن عطية والجملة في موضع نصب على اسقاط في ان كان من نظر القلب والى ان كان من نظر البصر واضمار الفعل المعلق يحتاج الى سماع ويرجون رحمته معطوف على يبتغون (٥١) ﴿محذورا﴾ يحذره كل أحد ﴿وان من قرية﴾ إن نافية ومن زائدة في المبتدإ تدل على استغراق الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدإ وقيل المراد الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة والظاهر أن جميع القرى تهلك قبل يوم القيامة واهلا كها تخريبها وفناء أهلها أو معذبوها أي معذبو أهلها بالقتل وأنواع العذاب ﴿كان ذلك﴾ اشارة الى الاهلاك والتعذيب في الكتاب أي في سابق القضاء أو اللوح المحفوظ أي مكتوبا أسطارا ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الآية عن ابن عباس أن أهل مكة سألوا أن تجعل لهم الصفا ذهبا وأن تنحى عنهم الجبال فيزرعون اقترحوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى ان شئت أن أفعل ذلك لهم فان تأخروا عاجلتهم بالعقوبة وان شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبي منهم مؤمنين فقال بل تستأني بهم يارب فنزلت واستعير المنع للترك أي ما تركنا ارسال الآيات المقترحة لا لتكذيب الاولين بها وليس تكذيب الاولين علة في منع ارسال الآيات لقريش فالمعنى إلا اتباعهم طريقة تكذيب الاولين فهي تكذيب الاولين فاعل على حذف مضاف فاذا كذبوا بها كما كذب الاولون عاجلتهم بعذاب الاستئصال وقد اقتضت حكمة أن لا استأصلهم ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت لهم فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم وانتصب مبصرة على الحال وهي قراءة الجمهور وقرئ مبصرة بالرفع على اضمار مبتدإ أي هي مبصرة وأضاف الابصار اليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول يبصرها الناس ويشاهدونها ﴿إلا تخويفا﴾ أي انذارا بعذاب الدنيا والآخرة

عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا﴾ قال ابن مسعود نزلت في عبدة الشياطين وهم خزاعة أسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم * وقال ابن عباس في عزير والمسيح وأمه وعنه أيضا وعن ابن مسعود وابن زيد والحسن في عبدة الملائكة وعن ابن عباس في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه انتهى ويكون الذين زعمتم من دونه عاما غلب فيه من يعقل على ما لا يعقل والمعنى أدعوهم فلا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى واحد الى آخر أو يبدلوه * وقرأ الجمهور يدعون بياء الغيبة وابن مسعود وقتادة بتاء الخطاب وزيد بن علي بياء الغيبة مبنيا للمفعول والمعنى يدعونهم آلهة أو يدعونهم لكشف ما حل بكم من الضر كما حذف من قوله قل ادعوا أي ادعوهم لكشف الضر وفي قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين وهو المفعول الأول والثاني محذوف تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله وأولئك مبتدأ والذين صفته والخبر يبتغون والوسيلة القرب الى الله تعالى والظاهر ان أولئك اشارة الى المعبودين والواو في يدعون للعابدين والعائد على الذين منصوب محذوف أي يدعونهم * وقال ابن فورك الاشارة بقوله

بأولئك الى النبيين الذين تقدّم ذكرهم والضمير المرفوع في يدعون وفي يبتغون عائد عليهم والمعنى يدعون الناس الى دين الله والمعنى على هذا ان الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لايعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة الا اليه فهم أحق بالاقتداء بهم فلا تعبدوا غير الله * وقرأ الجمهور الى ربهم بضمير الجمع الغائب * وقرأ ابن مسعود الى ربك بالكاف خطابا للرسول واختلفوا في اعراب أيهم أقرب وتقديره * فقال الحوفي أيهم أقرب ابتداء وخبر والمعنى ينظرون ايهم أقرب فيتوسلون به ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلا من الواو في يبتغون انتهى ففي الوجه الاول أضمر فعل التعليق وأيهم أقرب في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لأن نظر ان كان بمعنى الفكر تعدّى بفي وان كانت بصرية تعدّت بالى فالجملة المعلق عنها الفعل على كلا التقديرين تكون في موضع نصب على اسقاط حرف الجر كقوله فلينظر أيها أزكى طعاما وفي اضمار الفعل المعلق نظر والوجه الثاني قاله الزمخشري قال وتكون أي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب انتهى فعلى الوجه يكون أقرب خبر مبتدأ محذوف واحتمل أيهم أن يكون معربا وهو الوجه وأن يكون مبنيا لوجود مسوغ البناء * قال الزمخشري أوضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح فيكون قد ضمن يبتغون معنى فعل قلبي وهو يحرصون حتى يصح التعليق وتكون الجملة الابتدائية في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لان حرص يتعدى بعلى كقوله ان تحرص على هداهم * وقال ابن عطية وأيهم ابتدأ وأقرب خبره والتقدير نظرهم وودكهم أيهم أقرب وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها أي يتبارون في طلب القرب فجعل المحذوف نظرهم وودكهم وهذا مبتدأ فان جعلت أيهم أقرب في موضع نصب بنظرهم المحذوف بقي المبتدأ الذي هو نظرهم بغير خبر محتاج الى اضمار الخبر وان جعلت أيهم أقرب هو الخبر فلا يصح لان نظرهم ليس هو أيهم أقرب وان جعلت التقدير نظرهم في أيهم أقرب أي كائن أوحاصل فلا يصح ذلك لان كائنا وحاصلا ليس مما يعلق * وقال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره وهو استفهام في موضع نصب بيدعون ويجوز أن يكون أيهم بمعنى الذي وهو بدل من الضمير في يدعون والتقدير الذي هو أقرب انتهى ففي الوجه الاول علق يدعون وهو ليس فعلا قلبيا وفي الثاني فصل بين الصلة ومعمولها بالجملة الحالية ولا يضر ذلك لانها معمولة للصلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا يحذره كل أحد وان من قرية ان نافية ومن زائدة في المبتدا تدل على استغراق الجنس والجملة بعد الا خبر المبتدا * وقيل المراد الخصوص والتقدير وان من قرية ظالمة * وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس وفيه نظر الى لبيان الجنس على قول من يثبت لها هذا المعنى هو أن يتقدم قبل ذلك ما يفهم منه ابهام ما فيأتي من لبيان ما أريد بذلك الذي فيه ابهام ما كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وهنا لم يتقدم شيء مبهم تكون من فيه بيانا له ولعل قوله لبيان الجنس من الناسخ وتكون هو قد قال لاستغراق الجنس ألا ترى انه قال بعد ذلك * وقيل المراد الخصوص انتهى والظاهر في جميع القرى [illegible] كما يحل بها وقالوا [illegible] ويتضمن تخريبها هلاك أهلها بالاستئصال أو شيء [illegible] ويعني أهلها بالقتل وأنواع العذاب * وقيل الهلاك للصالحة والتعذيب للطالحة * وقال مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما

(الدر)

ان من قرية (ع) ومن
بيان الجنس (ح) الى
ان الجنس على قول من
يثبت لها هذا المعنى هو
ان يتقدم قبل ذلك ما يفهم
منه ابهام ما فيأتي من التي
لبيان الجنس ما أريد
بذلك الذي فيه ابهام
كقوله ما يفتح الله
للناس من رحمة وهنا لم
يتقدم شيء مبهم تكون
من فيه بيانا له ولعل قوله
لبيان الجنس من الناس
يكون هو قد قال
لاستغراق الجنس ألا
ترى انه قال بعد ذلك وقيل
المراد الخصوص انتهى

خراسان فعند إيابها ضربوت ثم ذكرها بلداً بلداً ونحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش كان ذلك في الكتاب مسطوراً أي في سابق القضاء أو في اللوح المحفوظ أي مكتوباً بالسطور وما منعنا أن نرسل بالآيات عن ابن عباس أن أهل مكة سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون اقترحوا ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إليه إن شئت أن أفعل ذلك لهم فإن تأخروا عاجلتهم بالعقوبة وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبي منهم مؤمنين فقال بل تستأني بهم يارب فنزلت واستعير المنع للترك أي ما تركنا إرسال الآيات المقترحة إلا لتكذيب الأولين بها وتكذيب الأولين ليس علة في إرسال الآيات لقريش فالمعنى إلا اتباعهم طريقة تكذيب الأولين بها فتكذيب الأولين فاعل على حذف المضاف فإذا كذبوا بها كما كذب الأولون عاجلتهم بعذاب الاستئصال وقد اقتضت الحكمة أن لا أستأصلهم * وقال الزمخشري فالمعنى وما صرفنا عن إرسال ما تقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت إليهم فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم انتهى * وقرأ الجمهور ثمود ممنوع الصرف * وقال هارون أهل الكوفة ينونون ثمود في كل وجه * وقال أبو حاتم لا تنون العامة والعلماء بالقرآن ثمود في وجه من الوجوه وفي أربعة مواطن ألف مكتوبة ونحن نقرأها بغير ألف انتهى وانتصب مبصرة على الحال وهي قراءة الجمهور * وقرأ زيد بن علي مبصرة بالرفع على إضمار مبتدأ أي هي مبصرة وأضاف الإبصار إليها على سبيل المجاز لما كانت يبصرها الناس والتقدير آية مبصرة * وقرأ قوم بفتح الصاد اسم مفعول أي يبصرها الناس ويشاهدونها * وقرأ قتادة بفتح الميم والصاد مفعلة من البصر أي محل إبصار كقوله * والكفر مخبثة لنفس المنعم * أجراها مجرى صفات الأمكنة نحو أرض مسبعة ومكان مضبة وقالوا الولد مبخلة مجبنة فظلموا بها أي بعقرها بعد قوله فذروها تأكل في أرض الله الآية * وقيل المعنى أنهم جحدوا كونها من عند الله * وقيل جعلوا التكذيب بها موضع التصديق وهو معنى القول قبله والظاهر أن الآيات الأخيرة غير الآيات الأولى لوحظ في ذلك وصف الاقتراح وفي هذه وصف غير المقترحة وهي آيات معها إمهال لا معاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة * وقال الحسن والموت الذريع وفي حديث الكسوف فافزعوا إلى الصلاة * قال ابن عطية وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام قسم عام في كل شيء إذ حيث ما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر توهماً لما سلف منه انتهى وهذا القسم الأخير قال فيه وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير الأنبياء ويسميه كرامة * وقال الزمخشري إن أراد بالآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها إلا تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة * وقيل الآيات التي جعلها الله تخويفاً لعباده هي كسوف الشمس وخسوف القمر والرعد والبرق والصواعق والرجوم وما يجري مجرى ذلك وأرضية كالزلزلة وخسف ونحوه

(الدر)

(ع) وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام قسم عام في كل شيء إذ حيث ما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر توهماً لما سلف منه (ح) قال في هذا الأخير وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير الأنبياء ويسميه كرامة

ونيران ظهرن في بعض البلاد وغور ماء العيون وزيادته أعلى الحد حتى يغرق بعض الأرضين ولا سماوية ولا أرضية الرياح العواصف وما يحدث عنها من قلع الأشجار وتدمير الديار وما يتوقع من السواقي والرياح السموم ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ﴾ لما طلبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه وقالوا لو كان رسولا حقا لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه أحاط بالناس * فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه * وقيل بقدرته فقدرته غالبة كل شيء * وقيل الإحاطة هنا الإهلاك كقوله وأحيط بثمره والظاهر أن الناس عام * وقيل أهل مكة بشره الله تعالى أنه يغلبهم ويظهر عليهم وأحاط بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم * قيل يوم بدر * وقال العسكري هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا * وقيل يوم بدر ويوم الفتح * وقيل الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم * وقال الطبري أحاط بالناس في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة أمن أن يقتل وينال بمكروه عظيم أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين * قال ابن عطية وهذا تأويل بين جار مع اللفظ وقد روي نحوه عن الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له * فأقول اختلف الناس في الرؤيا * فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب قال الكفار إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي في إضلالهم وهدايتهم وأن كلا واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى * وقال النقاش جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد أنها منامية وإن كانت الحقيقة غير ذلك انتهى وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم هو قصة الإسراء والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام وعن ابن عباس أيضا هو رؤياه أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية ورد فافتتن الناس وهذا مناسب لصدر الآية فإن الإحاطة بمكة أكثر ما كانت وعن سهل بن سعد هي رؤياه بني أمية ينزون على

﴿ وإذ قلنا لك إن ربك ﴾ الآية أحاط بالناس فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه وقيل بقدرته فقدرته غالبة كل شيء ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ قال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب قال الكفار إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل في الرؤيا غير ذلك مما هو مذكور في البحر * قال ابن عطية قالت عائشة الرؤيا رؤيا منام وهذه الآية تقضي بفساده وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان لأحد أن ينكرها انتهى ليس كما قال ابن عطية فإن رؤيا الأنبياء حق ويخبر النبي بوقوع ذلك لا محالة فيصير إخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك وأريناك صلة للتي والعائد محذوف تقديره أريناكها والشجرة الملعونة في القرآن قيل هي أبو جهل وقيل شجرة الزقوم وقال أبو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرا وزبدا وقال لأصحابه تزقموا وافتتن أيضا بهذه المقالة بعض الضعفاء والظاهر أن الشجرة الملعونة في القرآن هي التي تفرع منها ناس في الملة الإسلامية وهم ظالمون قد أحدثوا في الشريعة ما لا يجوز فيها ويدل عليه قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وسئل الإمام أحمد عن شخص هل نلعنه فقال هل رأيتني ألعن أحدا ثم قال ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه وتلا ألا لعنة الله على الظالمين ﴿ فما يزيدهم ﴾ أي التخويف إلا طغيانا كبيرا

منبره نزو القردة فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الآية مخبرة ان ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله فتنة للناس و يجئ قوله أحاط بالناس أى باقداره وان كان ماقدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك * وقال الحسن بن على فى خطبته فى شأن بيعته لمعاوية وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين * وقالت عائشة الرؤيا رؤيا منام * قال ابن عطية وهذه الآية تقضى بفساده وذلك ان رؤيا المنام لافتنة فيها وما كان أحد لينكرها انتهى وليس كما قال ابن عطية فان رؤيا الأنبياء حق و يخبر النبى بوقوع ذلك لاصحابه فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك * وقال صاحب التحرير سألت أبا العباس القرطبى عن هذه الآية فقال ذهب المفسرون فيها الى أمر غير ملائم فى سياق أول الآية و الصحيح انها رؤية عين يقظة لما رآه ببدر أراه جبريل عليه السلام مصارع القوم فأراها الناس وكانت فتنة لقريش فانهم لما سمعوا أخذوا فى الهزء والسخرية بالرسول صلى الله عليه وسلم * والشجرة الملعونة هنا هى أبو جهل انتهى * وقال الزمخشرى ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الأرض و يقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش [illegible] أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون و يسخرون به استهزاء * وقيل رأى فى المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة انتهى والظاهر انه أريد بالشجرة حقيقتها * فقال ابن عباس هى الكشوث المذكورة فى قوله كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار وعنه أيضا هى الشجرة التى تلتوى على الشجرة فتفسدها قال والفتنة قولهم مابال الحشائش تذكر فى القرآن [illegible] وقال الجمهور هى شجرة الزقوم لما نزل أمرها فى الصافات وغيرها قال أبو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمرا وزبدا وقال لأصحابه تزقموا وافتتن أيضا بهذه المقالة بعض الضعفاء * قال الزمخشرى وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر [illegible] فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها [illegible] تحرقها [illegible] شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات [illegible] يرسلها نخوف [illegible] الفتن [illegible] كما [illegible] فى منامه [illegible] الوحى [illegible] لا فتنة [illegible] حيث [illegible] وخوفوا بعذاب الآخرة [illegible] ما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا [illegible] انتهى وقوله لوحى اليك [illegible] والظاهر [illegible] الشجرة [illegible] ترجمه * وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه [illegible] الزمخشرى [illegible] فقال [illegible] الطعام الملعون [illegible] وقال [illegible] وقال لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة [illegible] وما وصف بلعن أصحابها على المجاز انتهى [illegible] وقيل [illegible]

(الدر)

(ع) وقالت عائشة الرؤيا رؤيا منام وهذه الآية تقضى بفساده وذلك ان رؤيا المنام لافتنة فيها وما كان أحد لينكرها (ح) ليس كما قال (ع) فان رؤيا الأنبياء حق وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك لاصحابه فيصير اخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك

﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ الآية تقدم الكلام في مثل هذه الآية وانتصب طيناً على أنه حال من الضمير المحذوف العائد على من تقديره لمن خلقته في حال طين وهي حال ماضية إذ لم يكن بعد أن صور آدم إنما كان طيناً قبل ذلك فهي حال ماضية محكية * وأجاز بعضهم أن يكون منصوباً على إسقاط حرف الجر تقديره من طين كما صرح به في قوله وخلقته من طين والكاف في أرأيتك للخطاب وتقدم الكلام عليها في سورة الأنعام * وقال الحوفي أرأيتك بمعنى عرفني وأخبرني وهذا منصوب بأرأيتك والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه وقال نحواً منه الزمخشري * وقال ابن عطية والكاف في أرأيتك حرف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الإعراب فهي زائدة ومعنى أرأيت أتأملت ونحوه كأن المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد وقال سيبويه هي بمعنى أخبرني ومثل بقوله أرأيتك زيداً أبو من هو وقاله الزجاج ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله وأما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه انتهى * وما ذهب إليه الحوفي والزمخشري في أرأيتك هنا (٥٦) هو الصحيح فلذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته علي فقد انعقد من قوله هذا الذي كرمت علي لم كرمته علي جملة من مبتدإ وخبر وصار مثل زيد أبو من هو دخلت عليه أرأيتك فعملت في الأول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستتر في أرأيت بمعنى أخبرني أن يدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاماً فإن صرح به فذلك واضح وإلا قدر وقد أشبعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام ومعنى ﴿لئن أخرتن﴾ أي أخرت مماتي وأبقيتني حياً واللام مؤذنة بقسم محذوف وقد صرح هو في مكان آخر بالمقسم به فقال فبعزتك وجواب القسم لأحتنكن تقول العرب احتنك الجراد الأرض أكل نباتها ولذلك فسره بعضهم بمعنى لأستأصلن و [illegible] القليل لأنه علم أنه يكون في ذرية آدم صلى الله عليه وسلم من لا يتسلط عليه كما قال إلا عبادك منهم [illegible] والأمر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء والمعنى اذهب لشأنك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزاء [illegible] ولما تقدما اسم غائب وهو من تبعك وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم [illegible] [illegible] ومن يحمى معروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم [illegible] [illegible] فجزاؤكم ﴿واستفزز﴾ [illegible] وهو معطوف على اذهب [illegible] [illegible] ﴿من استطعت﴾ موصولة مفعوله [illegible] [illegible] والصوت هنا الدعاء إلى معصية الله وقرأ الحسن [illegible] أحلب على قراءة الجمهور رباعياً والظاهر أن إبليس له

ملعون بسبب اللعنة إليها * وقال قوم الشجرة هنا مجاز عن واحد وهو أبو جهل * وقيل هو الشيطان * وقيل مجاز عن جماعة وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله تعالى وفتنتهم أنهم كانوا ينتظرون بعثة الرسول عليه السلام فلما بعثه الله كفروا به وقالوا ليس هو الذي كنا ننتظر فثبطوا كثيراً من الناس بمقالتهم عن الإسلام * وقيل بنو أمية حتى إن من المفسرين من لا يعبر عنهم إلا بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة وأخذ الأموال من غير حلها وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام ولعنها في القرآن ألا لعنة الله على الظالمين إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة * وقرأ الجمهور والشجرة الملعونة عطفاً على الرؤيا فهي مندرجة في الحصر أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس * وقرأ زيد بن علي برفع والشجرة الملعونة على الابتداء والخبر محذوف تقديره كذلك أي فتنة والضمير في ونخوفهم لكفار مكة * وقيل للملوك بني أمية بعد الخلافة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً والأول أصوب * وقرأ الأعمش ويخوفهم بياء الغيبة والجمهور بنون العظمة ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾

مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين * أحدهما أنه لما نازعوا الرسول عليه السلام في النبوّة
واقترحوا عليه الآيات كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من
النبوّة والدرجة الرفيعة فناسب ذكر قصة آدم عليه السلام وابليس حيث حمله الكبر والحسد
على الامتناع من السجود * والثاني انه لما قال فايزيدهم الاطغيانا كبيرا بين ماسبب هذا الطغيان
وهو قول ابليس لأحتنكنّ ذريته الاقليلا وانتصب طينا على الحال قاله الزجاج وتبعه الحوفي فقال
من الهاء في خلقته المحذوفة والعامل خلقت والزمخشري فقال طينا امامن الموصول والعامل
فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أومن الراجع اليه من الصلة على أأسجد
لمن كان في وقت خلقه طينا انتهى وهذا تفسير معنى * وقال أبو البقاء والعامل فيه خلقت يعني
اذا كان حالا من العائد المحذوف وأجاز الحوفي أن يكون نصبا على حذف من التقدير من طين
كما صرح به في قوله وخلقته من طين وأجاز الزجاج أيضا وتبعه ابن عطية أن يكون تمييزا
ولا يظهر كونه تمييزا وقوله أأسجد استفهام انكار وتعجب وبين قوله أأسجد وما قبله كلام
محذوف وكأن تقديره قال لم لم تسجد لآدم قال أأسجد وبين قوله أرأيتك وقال أأسجد جمل قد
ذكرت حيث طولت قصته والكاف في أرأيتك للخطاب وتقدّم الكلام عليها في سورة الانعام
ولا يلحق كاف الخطاب هذه الا اذا كانت بمعنى أخبرني وبهذا المعنى قدرها الحوفي وتبعه الزمخشري
وهو قول سيبويه فيها والزجاج * قال الحوفي وأرأيتك بمعنى عرفني وأخبرني وهذا منصوب
بأرأيتك والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ لم كرّمته عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من
طين وحذف هذا لما في الكلام من الدليل عليه * وقال الزمخشري الكاف للخطاب وهذا
مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ أي فضلته لم كرمته عليّ وأنا خير منه فاختصر
الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني * وقال ابن عطية والكاف في أرأيتك حرف خطاب
ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى أرأيت أتأملت ونحوه كان المخاطب
بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد * وقال سيبويه هي بمعنى أخبرني ومثل بقوله أرأيتك
زيدا أيؤمن هو وقاله الزجاج ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها استفهام كمثاله
وأما في هذه الآية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه رحمه الله انتهى وما ذهب اليه الحوفي
والزمخشري في أرأيتك هنا هو الصحيح ولذلك قدر الاستفهام وهو لم كرمته عليّ فقد انعقد من قوله
هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته عليّ جملة من مبتدإ وخبر وصار مثل زيدا أيؤمن هو دخلت عليه
أرأيتك فعملت في الاول والجملة الاستفهامية في موضع الثاني والمستقر في أرأيت بمعنى أخبرني أن
تدخل على جملة ابتدائية يكون الخبر استفهاما فان صرح به فذلك واضح و [illegible] وقد سبق
الكلام في الانعام وفي شرح التسهيل * وقال الفراء هنا للكاف محل من الاعراب وهو النصب
أي أرأيت نفسك قال وهذا كما تقول تدبر آخر أمرك فاني صانع فيه كذا ثم ابتدأ هذا الذي
كرمت عليّ انتهى والرد عليه مذكور في علم النحو وذهب [illegible] الى أن هذا مفعول أول لقوله
أرأيتك بمعنى اخبرني والثاني الجملة القسمية بعده لانعقادهما مبتدأ وخبرا قبل دخول أرأيتك
لذهب مذهبا حسنا اذلا يكون في الكلام اضمار وتلخص من هذا كله أن الكاف اما في موضع
نصب وهذا مبتدأ واما حرف خطاب وهذا مفعول بأرأيت بمعنى محذوف وهو الجملة الاستفهامية

خيل ورجالة من الجن من جنسه قاله قتادة وقيل من الآدميين أضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم أعوانه على
غيرهم قاله مجاهد * وقال
الزمخشري فان قلت ما معنى
استفزاز ابليس بصوته
واجلابه بخيله ورجله
قلت هو كلام وارد مورد
التمثيل مثلت حاله في
تسلطه على من يغويه
بمغوار وقع على قوم فصوت
بهم صوتا يستفزهم من
أماكنهم ويقلقهم عن
مراكزهم واجلب عليهم
بجنده من خياله ورجالة
حتى استأصلهم انتهى وقرأ
الجمهور ورجلك بفتح الراء
وسكون الجيم وهو اسم
جمع واحده راجل كركب
وراكب وقرأ حفص
بكسر الجيم * والمشاركة في
الأموال ما أخذ من غير
حقه وما وضع في غير حقه
والمشاركة في الأولاد
ما نحسوه وهودوه
ونصروه وصبغوه غير
صبغة الاسلام وأما وعده
فالوعد الكاذب كوعدهم
أن لا بعث * وتنصب
غرورا وهو مصدر على
أنه نعت لمصدر محذوف
أي وعدا غرورا والاضافة
اليه تعالى في ان عبادي
صفة تشريف والمعنى
المختصين بكونهم عبادي
لا يضافون الى غيري
ومعنى وكيلا أي حافظا
لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان

أومذكور وهو الجملة القسمية ومعنى لئن أخرتني أي أخرت مماتي وأبقيتني حيا * وقال ابن عباس لأحتنكن لأستولين عليهم وقاله الفراء * وقال ابن زيد لأضلنهم * وقال الطبري لأستأصلن وكفر إبليس بجهله صفة العدل من الله حين لحقته الأنفة والكبر وظهر ذلك من قوله أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ إذ نص على أنه لا ينبغي أن يكرم بالسجود مني من أنا خير منه وأقسم ابليس على أنه يحتنك ذرية آدم وعلم ذلك اما بسماعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو استدل على ذلك بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه ذو شهوة وعوارض كالغضب ونحوه ورأى خلقته مجوفة مختلفة الأجزاء وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزما فظن ذلك بذريته وهذا ليس بظاهر لان قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة واستثنى القليل لانه علم أنه يكون في ذرية آدم من لا يتسلط عليه كما قال لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين والامر بالذهاب ليس على حقيقته من نقيض المجيء ولكن المعنى اذهب لشأنك الذي اخترته وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزائه وجزاء أتباعه جهنم ولما تقدم اسم غائب وضمير خطاب غلب الخطاب فقال جزاؤكم ويجوز أن يكون ضميرمن على سبيل الالتفات والموفور المكمل ووفر متعد كقوله

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ولازم تقول وفر المال يفر وفورا وانتصب جزاء على المصدر والعامل فيه جزاؤكم أو يجاوز مضمره أو على الحال الموطئة * وقيل تمييز ولا يتعقل واستفزز معطوف على فاذهب وعطف عليه ما بعده من الامر وكلها بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ومن في من استطعت موصولة مفعولة باستفزز * وقال أبو البقاء من استطعت من استفهام في موضع نصب باستطعت وهذا ليس بظاهر لان استفزز ومفعول استطعت محذوف تقديره من استطعت أن تستفزه والصوت هنا الدعاء الى معصية الله * وقال مجاهد الغناء والمزامير واللهو * وقال الضحاك صوت المزمار وذكر الغزنوي أن آدم أسكن ولد هابيل أعلى الجبل وولد قابيل أسفله وفيهم بنات حسان فزمر الشيطان فلم يتمالكوا أن انحدروا واقترنوا * وقيل الصوت هنا الوسوسة * وقرأ الحسن وأجلب عليهم بوصل الألف وضم اللام من جلب ثلاثيا والظاهر أن ابليس له خيل ورجالة من الجن جنسه قاله قتادة والخيل تطلق على الافراس حقيقة وعلى أصحابها مجازا وهم الفرسان ومنه يا خيل الله اركبي والباء في بخيلك قيل زائدة * وقيل من الآدميين أضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم أعوانهم على غيرهم قاله مجاهد * وقال ابن عطية وقوله بخيلك ورجلك * قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك انتهى * وقال أبو علي ليس للشيطان خيل ولا رجل ولا هو مأمور انما هذا زجر واستخفاف به كما تقول لمن تهدده اذهب فاصنع ما شئت واستعن بما شئت * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم انتهى * وقرأ الجمهور ورجلك بسكون الجيم وهو اسم جمع واحده راجل كركب وراكب وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية وحفص بكسر الجيم قال صاحب اللوامح بمعنى الرجال * وقال ابن عطية هي صفة يقال فلان يمشي رجلا أي غير راكب ومنه قول الشاعر * رجلا الا بأصحاب * وقال

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ الآية لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم وأنها تضر وتنفع وأتبع ذلك بقصة ابليس مع آدم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته تعالى فانه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم بحرا وبرا وإزجاء الفلك (٥٩) سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة والمجاديف وابتغاء الفضل طلب التجارة والحج فيه والغزو والضر في البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب عن أوهامكم من تدعونه إلها فيشفع أو ينفع وجاءت صفة كفور دلالة على المبالغة ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل واحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله ولما كان الخسف تغييبا في التراب قال جانب وبكم حال أي يخسف جانب البر مصحوبا بكم والحاصب الحجارة ثم لا تجدوا عند حلول أحد هذين بكم من تكلون أموركم اليه وأم في أم أمنتم منقطعة فتتقدر ببل والهمزة أي بل أأمنتم والضمير في فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف أي وقتا غير الوقت الأول ﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾ والقاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقال قصف الشجر يقصفه قصفا كسره* وقال أبو تمام

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

والباء في ﴿بما كفرتم﴾ سببية وما مصدرية أي بسبب كفركم السابق منكم والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه فيغرقكم اذ هو أقرب مذكور وهو نتيجة الارسال* والتبيع قال ابن عباس النصير وقال الفراء طالب الثار

الزمخشري وقرئ ورجالك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لها انتهى* وقرأ قتادة وعكرمة ورجالك* وقرئ ورجالك بضم الراء وتشديد الجيم والمشاركة في الاموال* قال الضحاك ما يذبحون لآلهتهم وقتادة البحيرة والسائبة* وقيل ما أصيب من مال حرام* وقيل ما جعلوه من أموالهم لغير الله* وقيل ما صرف في الزنا والاولى ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه والمشاركة في الاولاد* قال ابن عباس تسميتهم عبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس وعبد الحرث وعنه أيضا ترغيبهم في الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية* وعنه أيضا اقدامهم على قتل الاولاد قال الحسن وقتادة ما مجسوه وهودوه ونصروه وصبغوهم غير صبغة الاسلام* وقال مجاهد عدم التسمية عند الجماع فالجان ينطوي إذ ذاك على احليله فيجامع معه* وقيل ترغيبهم في القتال والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش والاولى انه كل تصرف في الولد يؤدي الى ارتكاب منكر وقبيح وأما وعده فهو الوعد الكاذب كوعدهم أن لا بعث وهذه مشاركة في النفوس* وقال الزمخشري وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل انتهى وهو جار على مذهب المعتزلة في أنه لا تغفر الذنوب بدون التوبة وبأنه لا شفاعة في الكبائر وبأنه لا يخرج من النار أبدا من دخلها من فاسق مؤمن وانتصب غرورا وهو مصدر على انه وصف لمصدر محذوف أي وعدا غرورا على الوجوه التي في رجل صوم ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله أي وما يعدكم ويمنيكم ما لا يتم ولا يقع الا لأن يغركم والاضافة اليه تعالى في ان عبادي اضافة تشريف والمعنى المختصين بكونهم عبادي لا يضافون الى غيري كما قال في مقابلهم أولياؤهم الطاغوت وأولياء الشيطان* وقيل ثم صفة محذوفة أي ان عبادي الصالحين ونفى السلطان وهو الحجة والاقتدار على اغوائهم عن الايمان ويدل على حذف الصفة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه* وقال الجبائي عبادي عام في المكلفين ولذلك استثنى منه في أي من اتبعه في قوله الا من اتبعك من الغاوين واستدل بهذا على انه لا سبيل له ولا قدرة على تخليط العقل وانما قدرته على الوسوسة ولو كان له قدرة على ذلك لخبط العلماء ليكون ضرره أتم ومعنى وكيلا حافظا لعباده الذين ليس له عليهم سلطان من اغواء الشيطان أو وكيلا يكلون أمورهم اليه فهو حافظهم بتوكلهم عليه ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما* واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا* أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا* أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلهتهم وأنها تضر وتنفع وأتبع ذلك بقصة ابليس مع

آدم وتمكينه من وسوسة ذريته وتسويله ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته وانه هو النافع الضار المتصرف فى خلقه بما يشاء فذكر احسانه اليهم بحرا وبرا وانه تعالى متمكن بقدرته مما يريده * وازجاء الفلك سوقها من مكان الى مكان بالريح اللينة والمجاديف وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب التجارة أو الحج فيه أو الغزو * والضر فى البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ومعنى ضل ذهب عن أوهامكم من تدعونه الها فيشفع أو ينفع أو ضل من تعبدونه الا الله وحده فتفردونه اذ ذاك بالالتجاء اليه والاعتقاد انه لا يكشف الضر الا هو ولا يرجون لكشف الضر غيره ثم ذكر حالهم اذ كشف عنهم من اعراضهم عنه وكفرانهم نعمة انجائهم من الغرق وجاءت صفة كفورا دلالة على المبالغة ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك الى الانسان لطفا بهم واحالة على الجنس اذ كل أحد لا يكاد يؤدى شكر نعم الله * وقال الزجاج المراد بالانسان الكفار والظاهر ان الا اياه استثناء منقطع لانه لم يندرج فى قوله من تدعون اذ المعنى ضلت آلهتهم أى معبوداتهم وهم لا يعبدون الله * وقيل هو استثناء متصل وهذا على معنى ضل من يلجئون اليه وهم كانوا يلجئون فى بعض أمورهم الى معبوداتهم وفى هذه الحالة لا يلجئون الا الى الله والهمزة فى أفأمنتم للانكار * قال الزمخشرى والفاء العطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم انتهى وتقدم لنا الكلام معه فى دعواه ان الفاء والواو فى مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف وان مذهب الجماعة أن لا محذوف هنالك وان الفاء والواو للعطف على ماقبلها وانه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التأخير وان التقدير فأمنتم وقد رجع الزمخشرى الى مذهب الجماعة والخطاب للسابق ذكرهم أى أفأمنتم أيها الناجون المعرضون عن صنع الله الذى نجاكم وانتصب جانب على المفعول به بنخسف كقوله فخسفنا به وبداره الارض والمعنى ان نغيره بكم فتهلكون بذلك * وقال الزمخشرى ان نقلبه وأنتم عليه * وقال الحوفى جانب البر منصوب على الظرف ولما كان الخسف تغييبا فى التراب قال جانب البر وبكم حال أى نخسف جانب البر مصحوبا بكم * وقيل الباء للسبب أى بسببكم ويكون المعنى جانب البر الذى أنتم فيه فيحصل بخسفه اهلاككم والا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم اهلاكهم * قال قتادة الحاصب الحجارة * وقال السدى رام يرميكم بحجارة من سجيل والمعنى ان قدرته تعالى بالغة فان كان نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تأمنوا اهلاكه اياكم وأنتم فى البر اما بأمر يكون من تحتكم وهو تغوير الارض بكم أو من فوقكم بارسال حاصب عليكم وهذه الغاية فى تمكن القدرة ثم لا تجدوا ما يدفع حلول أحد هذين بكم من تكلون أموركم اليه فيتوكل فى صرف ذلك عنكم وأم فى أم أمنتم منقطعة تقدر ببل والهمزة أى بل أمنتم والضمير فى فيه عائد على البحر وانتصب تارة على الظرف أى وقتا غير الوقت الأول والباء فى بما كفرتم سببية وما مصدرية أى بسبب كفركم السابق منكم والوقت الاول الذى نجاكم فيه أو بسبب كفركم الذى هو دأبكم دائما والضمير فى به عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم اذ هو أقرب مذكور وهو نتيجة الارسال * وقيل عائد على الارسال * وقيل عليهما فيكون كاسم الاشارة والمعنى ما وقع من الارسال والاغراق * والتبيع قال ابن عباس النصير وقال الفراء طالب الثار * وقال أبو عبيدة المطالب * وقال الزجاج من يتبع بالانكار ما نزل بكم ونظيره قوله تعالى فسواها ولا يخاف عقباها وفى الحديث اذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع * وقال الشماخ

* كما لاذ الغريم من التبيع * ويقال فلان على فلان تبيع أى مسيطر بحقه مطالب به * وأنشد

(الدر)

(ش) والفاء العطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم (ح) تقدم لنا الكلام معه فى دعواه أن الفاء والواو فى مثل هذا التركيب للعطف على محذوف بين الهمزة وحرف العطف وان مذهب الجماعة أن لا محذوف هنالك وان الفاء والواو للعطف على ماقبلها وانه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية التأخير وأن التقدير فأمنتم وقد رجع سيبويه الى مذهب الجماعة

ابن عطية

غدوا وغدت غزلانهم فكأنها * ضوامن غرم لدهن تبيع

أي مطالب بحقه * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو نخسف وأو نرسل وأن نعيدكم ونرسل ونغرقكم خمستها بالنون وباقي القراء بياء الغيبة ومجاهد وأبو جعفر فتغرقكم بتاء الخطاب مسندا الى الريح والحسن وأبو رجاء فيغرقكم بياء الغيبة وفتح الغين وشد الراء عداه بالتضعيف والمقرى لأبي جعفر كذلك الا أنه بتاء الخطاب وحميد بالنون واسكان الغين وادغام القاف في الكاف وروبت عن أبي عمرو وابن محيصن * وقرأ الجمهور من الريح بالافراد وأبو جعفر من الرياح جمعا ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق ثم ذكر المنة بذكر تكرمتهم ورزقهم وتفضيلهم أولما هددهم بما هدد من الخسف والغرق وانهم كافرون نعمته ذكر ما أنعم به عليهم ليتذكروا فيشكروا نعمه ويقلعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى وفي ذكر النعم وتعدادها هز لشكرها وكرم معدى بالتضعيف من كرم أي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة كما تقول ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك كما روى عن ابن عباس ان التفضيل بالعقل وعن الضحاك بالنطق * وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها وعن زيد بن أسلم بالمطاعم واللذات وعن يمان بحسن الصورة وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلاة والسلام منهم * وعن ابن جرير بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له * وقيل بالخط * وقيل باللحية للرجل والذؤابة للمرأة * وعن ابن عباس بأكله بيده وغيره بفمه * وقيل بتدبير المعاش والمعاد * وقيل بخلق الله آدم بيده * قال ابن عطية وقد ذكر ان من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجرى الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك قال وانما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه انتهى وحملناهم في البر والبحر وهذا أيضا من تكريمهم * قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن * وقال غيره على أكباد رطبة وأعواد يابسة * والطيبات كما تقدم الحلال أو المستلذ ولا يتسع غيره من الحيوان في الرزق اتساعه لانه يكتسب المال ويلبس الثياب ويأكل المركب من الأطعمة بخلاف الحيوان فانه لا يكتسب ولا يلبس ولا يأكل غالبا إلا لحما نيأ أو طعاما غير مركب والظاهر ان كثيرا باق على حقيقته فقالت طائفة فضلوا على الخلائق كلهم غير جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباههم وهذا عن ابن عباس * وعنه ان الانسان ليس أفضل من الملك وهو اختيار الزجاج * وقال ابن عطية والحيوان والجن هو الكثير المفضول والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول * وقالت فرقة الآية تقضي بفضل الملائكة على الانس من حيث هم

﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ الآية لما ذكر تعالى ما امتن به عليهم من ازجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق ثم ذكر المنة بذكر تكريمهم ورزقهم وتفضيلهم وكرم معدى بالتضعيف من كرم (٦٧) أي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة وحملناهم في البر والبحر * وقال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل وفي البحر على السفن * والطيبات كما تقدم الحلال أو المستلذ * ومعنى على كثير أبهم في قوله على كثير ولم يعين الكثير الذي فضل بني آدم عليه ولما ذكر تعالى أنواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيأ من أحوال الآخرة فقال ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم ﴾ والعامل في يوم أذكر على أنه مفعول بامامهم والظاهر أنه الامام الذي يأتم به أمته من نبي أو كتاب أو شريعة ﴿ فأولئك ﴾ جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل على اللفظ أولا فأفرد في قوله أوتي كتابه بيمينه والكتاب ما كتب له فيه من خير أو شر ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ أي لا ينقصون أدنى شئ وتقدم شرح الفتيل في سورة النساء والظاهر أن الاشارة بقوله في هذه الى الدنيا قاله ابن عباس وغيره أي من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره والايمان بأنبيائه فهو في الآخرة أعمى اما أن يكون على حذف مضاف أي في شأن الآخرة واما أن يكون فهو يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب ولا يلوح له نجح

المستثنون وقد قال تعالى ولا الملائكة المقربون وهذا غير لازم من الآية بل التفضيل بين الانس والجن لم تعن له الآية بل يحتمل ان الملائكة أفضل و يحتمل التساوي وانما يصح تفضيل الملائكة من مواضع أخر من الشرع انتهى * وقال الزمخشري على كثير ممن خلقنا هو ماسوى الملائكة عليهم الصلاة والسلام وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شئ وكابروا حتى جسرتهم المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك ثم ذكر تشنيعا أفذع فيه يوقف عليه من كتابه * وقيل وفضلناهم على كثير بالغلبة والاستيلاء * وقيل بالثواب والجزاء يوم القيامة وعلى هذين القولين لم تتعرض الآية للتفضيل المختلف فيه بين الانس والملائكة * وقيل المراد بكثير مجازه وهو اطلاقه على الجميع والعرب تفعل ذلك وهذا القول لا ينبغي أن يقال هنا لانك لو جعلت جميعا كان بكثير فقلت على جميع ممن خلقنا لكان نائيا عن الفصاحة ولا يليق أن يحمل كلام الله تعالى الذي هو أفصح الكلام عليه ولأبي عبد الله الرازي كلام في تكريم ابن آدم وتفضيله مستمد من كلام الذين يسمونهم حكماء يوقف عليه في تفسيره اذ هو جار على غير طريقة العرب في كلامها ولما ذكر تعالى أنواعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر شيأ من أحوال الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم واختلفوا في العامل في يوم * فقيل العامل فيه مادل عليه قوله متى هو * وقيل فتستجيبون * وقيل هو بدل من يوم يدعوكم وهذه أقوال في غاية الضعف ولولا انهم ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا وهو في هذه الاقوال ظرف * وقال الحوفي وابن عطية انتصب على الظرف والعامل فيه اذكر وعلى تقدير اذكر لا يكون ظرفا بل هو مفعول به * وقال ابن عطية أيضا بعد قوله هو ظرف والعامل فيه اذكر أو فعل يدل عليه قوله ولا يظلمون وحكاه أبو البقاء وقدره ولا يظلمون يوم ندعو * وقال ابن عطية أيضا ويصح أن يعمل فيه وفضلناهم وذلك أن فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بين لانهم المنعمون المكلفون المحاسبون الذين لهم القدر الا أن هذا يرده ان الكفار يومئذ أخسر من كل حيوان اذ يقول الكافر باليتني كنت ترابا * وقال ابن عطية أيضا ويصح أن يكون يوم منصوبا على البناء لما أضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله فمن أوتي كتابه الى قوله ومن كان انتهى وقوله منصوبا على البناء كان ينبغي أن يقول مبنيا على الفتح وقوله لما أضيف الى غير متمكن ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا أضيف الى فعل مضارع ومذهب البصريين انه اذا أضيف الى فعل مضارع معرب لا يجوز بناؤه وهذا الوجه الذي ذكره هو على رأي الكوفيين وأما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار من رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ الا ان قدر محذوفا فقد يمكن أي ممن أوتي كتابه فيه بيمينه وهو بعد ذلك تخريج متكلف * وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وهذا القول قريب من قول ابن عطية الذي ذكرناه عنه قبل وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجدون وقيل تقديره اذكر وقيل هو معمول لقوله يعيدكم مضمرة أي يعيدكم يوم ندعو وأقرب من هذه الاقوال أن يكون منصوبا على المفعول به باذكر مضمرة * وقرأ الجمهور ندعو بنون العظمة ومجاهد يدعو بالياء أي يدعو الله والحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني يدعى مبنيا للمفعول كل مرفوع وفيما ذكر غيره يدعو بالواو وخرج على ابدال الالف واوا على لغة من

مفعول به (ع) ويصح أن يكون يوم منصوبا على البناء لما أضيف الى غير متمكن ويكون موضعه رفعا بالابتداء والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله فمن أوتي كتابه بيمينه الى قوله ومن كان (ح) قوله منصوبا على البناء كان ينبغي أن يقول مبنيا على الفتح وقوله لما أضيف الى غير متمكن ليس بجيد لان الذي ينقسم الى متمكن وغير متمكن هو الاسم لا الفعل وهذا أضيف الى فعل مضارع ومذهب البصريين انه اذا أضيف الى مضارع معرب لا يجوز بناؤه فهذا الوجه الذي ذكره هو على رأي الكوفيين وأما قوله والخبر في التقسيم فالتقسيم عار من رابط لهذه الجملة التقسيمية بالمبتدأ الا ان قدر محذوفا فقد يمكن أن يكون ممن أوتي كتابه بيمينه وهو بعد ذلك تخريج متكلف وقال بعض النحاة العامل فيه وفضلناهم على تقدير وفضلناهم بالثواب وقال الزجاج هو ظرف لقوله ثم لا تجدون لك وقال أبو البقاء هو معمول

قوله يعيدكم مضمرة [illegible] أن يكون منصوبا على المفعول باذكر مضمرة

يقول أفعو في الوقف على أفعي وإجراء الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع به وعلى أن تكون الواو ضميرا مفعولا لم يسم فاعله وأصله يدعون فحذفت النون كما حذفت في قوله

أبيت أسري وتبيتي تدلكي * وجهك بالعنبر والمسك الذكي

أي تبيتين تدلكين وكل بدل من واو الضمير * وناس اسم جمع لا واحد له من لفظه والباء في بإمامهم الظاهر أنها تتعلق بندعو أي باسم إمامهم * وقيل هي باء الحال أي مصحوبين بإمامهم * والإمام هنا قال ابن عباس والحسن وأبو العالية والربيع كتابهم الذي فيه أعمالهم * وقال الضحاك وابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم * وقال مجاهد وقتادة نبيهم * قال ابن عطية والإمام يعم هذا كله لأنه مما يؤتم به * وقال الزمخشري إمامهم من ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أهل دين كذا وكتاب كذا * وقيل بكتاب أعمالهم يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وشرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته انتهى وإيتاء الكتاب دليل على ما تقرر في الشريعة من [illegible] الصحف التي يؤتاها المؤمن والكافر وتأويله [illegible] دليل على نجاة الطائع وخلاص الفاسق من النار إن دخلها [illegible] ولئك [illegible] جمع على معنى من [illegible] حمل على اللفظ أولا فأفرد في قوله أوتي كتابه بيمينه وقرأته [illegible] ماتضمنتها من البشارة ولا [illegible] من حيث [illegible] من أهل السعادة ومن فرحهم بذلك يقول البارئ لأهل المحشر [illegible] كتابيه [illegible] وهو من أوتي كتابه بشماله [illegible] ومن كان في هذه أعمى وذلك من حيث [illegible] لمن أوتي كتابه [illegible] السعادة ومن كان في هذه أعمى هم أهل الشقاوة ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقصون [illegible]

[illegible]

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الضمير في وإن كادوا عائد على الكفار ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من ايتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة ومن عمل أهل الشقاوة أتبع ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك في ظنهم لأنهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم صلى الله عليه وسلم أن يقاربوا افتتنه عما أوحى اليه وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفترى على الله غير ما أوحى اليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله مالم ينزل عليه وان هذه هي المخففة من الثقيلة وليتها الجملة الفعلية وهي كادوا لانها من أفعال المقاربة وانما تدخل على مذهب البصريين من الأفعال على النواسخ التي للاثبات على ما تقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي (٦٤) الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا حرف جواب

والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله أعمالكم وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للامالة انتهى وتعليله ترك امالة أعمى الثاني أخذه الزمخشري من أبي علي قال أبو علي لأن الامالة انما تحسن في الأواخر وأعمى ليس كذلك لان تقديره أعمى من كذا فليس يتم الا في قولنا من كذا فهو اذن ليس بآخر ويقوي هذا التأويل عطف وأضل سبيلا لأن الانسان في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك فهو أضل سبيلا وأشد حيرة وأقرب الى العذاب وأعمى هنا من عمى القلب لا من عمى البصر لأن ذلك يقع فيه التفاضل لا هذا ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ الضمير في وان كادوا * قيل لقريش * وقيل لثقيف وذكروا أسباب نزول مختلفة وفي بعضها مالا يصح نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويوقف على ذلك في تفسير ابن عطية والزمخشري والتحرير وغير ذلك ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من ايتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة ومن عمى أهل الشقاوة اتبع ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة ومعنى ليفتنونك ليخدعونك وذلك في ظنهم لأنهم قاربوا ذلك اذ هو معصوم عليه السلام أن يقاربوا افتتنه عما أوحى الله اليه وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفترى على الله غير ما أوحى الله اليه من تبديل الوعد وعيدا أو الوعيد وعدا وما اقترحته

وجزاء ويقدر قسم هنا يكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله اذا أى ان افتتنت أو افتريت لاتخذوك ولاتخذوك في معنى لايتخذونك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ جواب لولا يقتضي اذا كان ثبتنا امتناعه لوجود ماقبله فمقاربة الركون لم تقع منه صلى الله عليه وسلم فضلا عن الركون والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله تعالى له وانتصب شيئا على المصدر وجواب لولا قوله لقد كدت ومثله قول الشاعر [illegible] لا صبر ولولا فضل طاعته [illegible] بعد ما أحلى من [illegible] وأكثر ما يجيء باللام وحده [illegible] او بعدها الفعل [illegible] منسب كقوله [illegible] اذ لأذقناك [illegible] عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين ﴿وان كادوا ليستفزونك﴾ روى انه لما [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الى [illegible] والضمير في وان كادوا اليهود المدينة وناحيتها كحيي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه ليست بأرض الانبياء وانما أرض [illegible] فنزلت وأخبر [illegible] المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة والمعنى أن كل قوم أخرجوا [illegible] ولا يقيمون بعده الا قليلا كقوله في قصة شعيب وقوله [illegible] الا يؤتون الناس نقيرا

ثقيف من أن يضيف الى الله مالم ينزل عليه وأن هذه هي المخففة من الثقيلة وليتها الجملة الفعلية وهي
كادوا لانها من أفعال المقاربة وانما تدخل على مذهب البصريين من الافعال على النواسخ التي
للاثبات على ماتقرر في علم النحو واللام في ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وان النافية واذا حرف
جواب وجزاء ويقدر قسم هنا تكون لاتخذوك جوابا له والتقدير والله اذا أي ان افتتنت وافتريت
لاتخذوك ولاتخذوك في معنى ليتخذونك كقوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا أي ليظلن
لان اذا تقتضي الاستقبال لانها من حيث المعنى جزاء فيقدر موضعها بأداة الشرط * وقال
الزمخشري واذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من
ولايتي انتهى وهو تفسير معنى لاان لاتخذوك جواب لو محذوفة * قال الزمخشري ولولا ان ثبتناك
ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من
الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذن لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة
هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات
وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى
فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن
يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار
والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت انتهى وجواب
لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربة الركون لم تقع منه فضلا عن الركون
والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله * وقرأ قتادة وابن أبي اسحاق وابن مصرف تركن بضم
الكاف مضارع ركن بفتحها وانتصب شيئا على المصدر * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات على معنى أن ما يستحقه من أذنب من عقوبتنا في
الدنيا والآخرة كنا نضعفه وذهب ابن الانباري الى أن المعنى لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنت
الى قولهم بسبب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك أي كاد الناس
يقتلونك بسبب ما فعلت * وقال ابن عباس كان الرسول صلى الله عليه وسلم معصوما ولكن هذا
تعريف للامة لئلا يركن أحد منهم الى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه انتهى * واللام
في لأذقناك جواب قسم محذوف قبل اذا أي والله ان حصل ركون ليكونن كذا والقول في لأذقناك
كالقول في لاتخذوك من وقوع الماضي موقع المضارع المدخل عليه اللام والنون وممن نص على
أن اللام في لاتخذوك ولأذقناك هي لام القسم الحوفي * وقال الزمخشري وفي ذكر الكيدودة
وتعليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم
قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته انتهى [illegible] ممكن بفحشه
[illegible] * قال الزمخشري وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب
لغضبه ونكاله انتهى وروي أنه لما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين * قال الزمخشري [illegible]

وذلك أنهم ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه الارض ليست بأرض الانبياء وانما أرض الانبياء الشام ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك كما حمى غيرك من الانبياء فنزلت وأخبر تعالى أنه لو خرج لم يلبثهم بعده الاقليلا * وحكى النقاش أنه خرج بسبب قولهم وعسكر بذى الحليفة وأقام ينتظر أصحابه فنزلت ورجع * قال ابن عطية وهذا ضعيف لم يقع فى سيرة ولا فى كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس فى طريق الشام من المدينة انتهى * وقالت فرقة الضمير لقريش قاله ابن عباس وقتادة واستفزازهم هو ماذهبوا اليه من اخراجه من مكة كما ذهبوا الى حصره فى الشعب ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه الى الغار ونفذ عليهم الوعيد فى ان لم يلبثوا خلفه الاقليلا يوم بدر * وقال الزجاج حاكيا ان استفزازهم ما أجمعوا عليه فى دار الندوة من قتله والارض على هذا الدنيا * وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما أراد تعالى استبقاء قريش وأن لا يستأصلها اذن لرسوله فى الهجرة فخرج باذنه لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم منها ومن أعقابها من أسلم قال ولو أخرجته قريش لعذبوا وذهب مجاهد الى ان الضمير فى يلبثون لجميعهم * وقال الحسن ليستفزونك ليفتنونك عن رأيك * وقال ابن عيسى ليزعجونك ويستخفونك * وأنشد

يطيع سفيه القوم اذ يستفزه * ويعصى حليما شيبته الهزاهز

والظاهر ان الآية تدل على مقاربة استفزازه لان يخرجوه فما وقع الاستفزاز ولا اخراجهم اياه المعلل به الاستفزاز ثم جاء فى القرآن وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أى أخرجك أهلها وفى الحديث ياليتنى كنت فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال أو مخرجى هم الحديث فدل ذلك على انهم أخرجوه لكن الاخراج الذى هو علة للاستفزاز لم يقع فلا تعارض بين الآيتين والحديث * وقال أبو عبد الله الرازى ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بأمر الله فزال التناقض انتهى ولا يلبثون جواب قسم محذوف أى والله ان استفزوك فخرجت لا يلبثون ولذلك لم تعمل اذا لانها توسطت بين قسم مقدر والفعل فلا يلبثون ليس منصبه عليه من جهة الاعراب ويحتمل أن تكون لا يلبثون خبرا لمبتدا محذوف يدل عليه المعنى تقديره وهم اذا لا يلبثون فوقعت اذا بين المبتدا وخبره فألغيت * وقرأ أبى واذا لا يلبثوا بحذف النون أعمل اذا فنصب بها على قول الجمهور وبأن مضمرة بعدها على قول بعضهم وكذا هى فى مصحف عبد الله محذوفة النون * قال الزمخشرى (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم * وأما قراءة أبى ففيها الجملة برأسها التى هى واذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك انتهى * وقرأ عطاء لا يلبثون بضم الياء وفتح اللام والباء مشددة * وقرأ يعقوب كذلك الا انه كسر الباء * وقرأ الاخوان وابن عامر وحفص خلافك وباقى السبعة خلفك والمعنى واحد * قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

وهذا كقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله أى خلف رسول الله فى أحد التأويلات * وقرأ عطاء بن أبى رباح بعدك مكان خلفك والأحسن أن يجعل تفسيرا لخلفك لا قراءة لأنها لا تخالف سواد المصحف فأن دأب بين ان خلفك هنا ليست ظرف مكان وانما تجوز فيها فاستعملت ظرف زمان بمعنى بعدك ووجه ذلك أن الظروف التى هى قبل وبعد ونحوهما اطرد اضافتها الى أسماء

الأعيان على حذف مضاف يدل عليه ما قبله في نحو خلفك أي خلف اخراجك وجاء زيد قبل عمرو
أي قبل مجيء عمرو وصحلت بكر بعد خالد أي بعد صحلت خالد وانتصب سنة على المصدر المؤكد أي سن
الله سنة والمعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم بعد اخراجه
ويستأصلهم ولا يقيمون بعده الا قليلا * وقال الفراء انتصب سنة على اسقاط الخافض لان المعنى
كسنة فنصب بعد حذف الكاف وعلى هذا لا يقف على قوله الا قليلا * وقال أبو البقاء سنة منصوب
على المصدر أي سننا بك سنة من تقدم من الأنبياء ويجوز أن يكون مفعولا به أي اتبع سنة من قد
أرسلنا كما قال تعالى فبهداهم اقتده انتهى وهذا معنى غير الاول والمفسرون على الأول وهو المناسب
لمعنى الآية قبلها ولن تجد لما أجريناه بالعادة تحويلا منه الى غيره اذ كل حادث له وقت معين وصفة
معينة ونفي الوجدان هنا وفيما أشبهه معناه نفي الوجود * أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق
الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا * وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا * وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا * وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا
مسه الشر كان يؤسا * قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا * ويسألونك
عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا * الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا * قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا * أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا *
وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا * قل لو كان في
الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا * ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * ذلك
جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا
أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون الا كفورا * قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان
الانسان قتورا * ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون
اني لأظنك يا موسى مسحورا * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر
واني لأظنك يا فرعون مثبورا * فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا * وقلنا من
بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا * وبالحق أنزلناه وبالحق
نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا * وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا *
قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا * ويقولون

سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى * ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا * الدلوك الغروب قاله الفراء وابن قتيبة واستدل الفراء بقول الشاعر

هذا مقام قدمى رباح * غدوة حتى دلكت براح

أى حتى غابت الشمس وبراح اسم الشمس وأنشد ابن قتيبة لذى الرمة

مصابيح ليست باللواتى يقودها * نجوم ولا بالآفلات الدوالك

* وقيل الدلوك زوال الشمس نصف النهار * قيل واشتقاقه من الدلك لان الانسان تدلك عينه عند النظر اليها * وقيل الدلوك من وقت الزوال الى الغروب * الغسق سواد الليل وظلمته * قال الكسائى غسق الليل غسوقا والغسق الاسم بفتح السين * وقال النضر بن شميل غسق الليل دخول أوله * قال الشاعر

ان هذا الليل قد غسقا * واشتكيت الهم والارقا

وأصله من السيلان غسقت العين تغسق هملت بالماء والغاسق السائل وذلك ان الظلمة تنصب على العالم * قال الشاعر

ظلت تجود يداها وهى لاهية * حتى اذا جنح الاظلام والغسق

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس ما الغسق قال الليل بظلمته ويقال غسقت العين امتلأت دما * وحكى الفراء غسق الليل واغتسق وظلم وأظلم ودجى وأدجى وغبش وأغبش أبو عبيدة الهاجد النائم والمصلى * وقال ابن الاعرابى هجد الرجل صلى من الليل وهجد نام بالليل * وقال الليث تهجد استيقظ للصلاة * وقال ابن برزخ هجدته أيقظته فعلى ما ذكروا يكون من الاضداد والمعروف فى كلام العرب ان الهاجد النائم وقد هجد هجودا نام * قال الشاعر

ألا زارت واهل منى هجود * وليت خيالنا منا يعود

* وقال آخر * ألا طرقتنا والرفاق هجود * وقال آخر * وبرك هجود قد أثارت مخافتى *

* زهقت نفسه تزهق زهوقا ذهبت وزهق الباطل زال واضمحل ولم يثبت * قال الشاعر

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * اقدامه مزالة لم تزهق

* ناء ينوء نهض * الشاكلة الطريقة والمذهب الذى جبل عليه قاله الفراء وهو مأخوذ من الشكل يقال لست على شكلى ولا شاكلتى والشكل المثل والنظير والشكل بكسر الشين الهيئة يقال جارية حسنة الشكل * الينبوع مفعول من النبع وهو عين تفور بالماء * الكسف القطع واحدها كسفة تقول العرب كسفت الثوب ونحوه قطعته وما زعم الزجاج من ان كسف بمعنى غطى ليس بمعروف فى دواوين اللغة * الرقى والرقى الصعود يقال رقيت فى السلم أرقى * قال الشاعر

أنت الذى كلفتنى رقى الدرج * على الكلال والمشيب والعرج

* خبت النار تخبو سكن لهبها وخمدت سكن جمرها وضعف وهمدت طفئت جملة * قال الشاعر

أمن زينب ذى النار قبيل الصبح * ما تخبو اذا ما أخمدت ألقى عليها المندل الرطب

﴿ وقال آخر ﴾

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ الآية مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر كيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يرومون به أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول في الالهيات والمعاد والنبوات فأردف ذلك بالامر بأشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهي الصلاة وتقدم الكلام في إقامة الصلاة والمواجه بالامر الرسول صلى الله عليه وسلم قال الواحدي اللام للسبب لانها انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي اقامتها لأجل دلوك الشمس وقال ابن عطية هذه الآية باجماع المفسرين إشارة الى الصلوات الخمس وقال ابن عباس وغيره دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل إشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات كلها وأعاد قرآن الفجر في قوله ان قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون انه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا أي تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث انهم يتعاقبون و يجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ولما أمره تعالى باقامة الصلاة للوقت المذكور ولم يدل أمره تعالى اياه على اختصاصه بذلك دون أمته ذكر ما اختصه به تعالى وأوجبه عليه من قيام الليل وهو في أمته تطوع فقال ومن الليل فتهجد به أي بالقرآن نافلة زيادة مخصوصا بها أنت وتهجد هنا تفعل بمعنى الازالة والترك لقولهم تأثم وتحنث ترك التأثم والتحنث ومنه تحنث بغار حراء أي ترك التحنث وشرح بلازمه وهو التعبد ومن للتبعيض وعسى مدلولها في المحبوبات في الترجي والاجود أن هذه الترجية والاطماع بمعنى الوجوب من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها أن يبعثك وربك فاعل يبعثك * ومقاما الظاهر أنه معمول ليبعثك وهو منصوب على الظرف أي في مقام محمود ولا يجوز أن يكون ربك اسم عسى وأن يبعثك في موضع الخبر لانه يلزم من ذلك الفصل بين العامل الذي هو أن يبعثك و بين المعمول الذي هو مقاما بأجنبي وهو ربك الذي هو اسم عسى وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو الذي أشفع فيه لامتي ﴿وقل رب أدخلني﴾ الآية لما أمره تعالى باقامة الصلاة والتهجد ووعده ببعثه مقاما محمودا وذلك في الآخرة أمره أن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية فقال وقل رب الآية والظاهر أنه عام في جميع أموره وموارده ومصادره دنيوية وأخروية والصدق لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق ضده مقابل رجل سوء وسلطانا أي حجة بينة ونصيرا مبالغة في ناصر ﴿وقل جاء الحق﴾ الحق القرآن والباطل الشيطان وهذه الآية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه بالمخصرة حسبما ذكر في السير ﴿زهوقا﴾ صفة مبالغة في اضمحلاله وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القرآن لابتداء الغاية وقال ابن عطية والزمخشري من في القرآن لبيان الجنس ووافقهما أبو البقاء وقد ذكرنا أن من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متأخرة عنه وشفاء كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب لفهم المعجزات والامور الدالة على الله المقررة لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام وخسار الظالمين وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بدلائله فيه والتدبر في معانيه إيمانا

وسطه كاليراع أوسرح المجدل * طورا يخبو وطورا ينير

* الثبور الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبورا أهلكه * وقال ابن الزبعرى

اذ اجاري الشيطان في سنن الغي * ومن مال مثله مثبور

* اللفيف الجماعات من قبائل شتى مختلطة قد لف بعضها ببعض * وقال بعض اللغويين هو من أسماء الجموع لا واحد له من لفظه * وقال الطبري هو بمعنى المصدر كقول القائل لففته لفا ولفيفا * المكث التطاول في المدة يقال مكث ومكث أطال الاقامة * الذقن مجتمع اللحيين * قال الشاعر

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم * سباع من الطير العوادي وتنتف

* خافت بالكلام أسره بحيث لا يكاد يسمعه المتكلم وضربه حتى خفت أي لا يسمع له حس ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ ومناسبة أقم

الصلاة لما قبلها انه تعالى لما ذكر كيدهم للرسول وما كانوا يرومون به أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه وأن لا يشغل قلبه بهم وكان قد تقدم القول في الالهيات والمعاد والنبوات فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الايمان وهي الصلاة وتقدم الكلام في اقامة الصلاة والمواجه بالأمر الرسول عليه الصلاة والسلام واللام في لدلوك قالوا بمعنى بعد أي بعد دلوك الشمس كما قالوا ذلك في قول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أي بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلاث خلون من شهر كذا * وقال الواحدي اللام للسبب لأنها انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلي اقامتها لأجل دلوك الشمس * قال ابن عطية أقم الصلاة الآية هذه باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة * فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات * وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر * وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس * وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم دلوك الشمس غروبها والاشارة بذلك الى المغرب وغسق الليل ظلمته فالاشارة الى العتمة وقرآن الفجر صلاة الصبح ولم تقع اشارة على هذا التأويل الى الظهر والعصر انتهى وعن علي انه الغروب وتتعلق اللام والى بأقم فتكون الى غاية للاقامة وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا من الصلاة قال أي ممدودة ويعني بقرآن الفجر صلاة الصبح وخصت بالقرآن وهو القراءة لأنه عظمها اذ قراءتها طويلة مجهور بها وانتصب وقرآن الفجر عطفا على الصلاة * وقال الأخفش انتصب باضمار فعل تقديره وآثر قرآن الفجر أو عليك قرآن الفجر انتهى وسميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها * وقال الزمخشري سميت صلاة الفجر قرآنا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن أبي علية والأصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن انتهى * وقيل اذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر اذ غييت الاقامة بغسق الليل ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء ويكون المذكور ثلاثة أوقات أول وقت الزوال وأول وقت المغرب وأول وقت الفجر انتهى والذي يدل عليه ظاهر اللفظ انه أمر باقامة الصلاة اما من أول الزوال الى الغسق وبقرآن الفجر واما من الغروب الى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه * وقال أبو عبد الله الرازي في قوله وقرآن الفجر دلالة على ان الصلاة لا تتم الا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة الا في الصلاة ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط لأنه صرف الكلام عن حقيقته الى مجاز بغير دليل ولأن في نسق التلاوة ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا والهاء في به كناية عن قرآن الفجر المذكور قبله فثبت أن المراد حقيقة القرآن لامكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر وعلى [illegible] أن يكون المراد ما ذكرناه فالكتاب دلالته قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لا يجعل الشيء عبارة عن الصلاة الا وهي من أركانها انتهى وفيه بعض تلخيص

(الدر)

(ح) الذي يدل عليه ظاهر اللفظ من قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الآية انه عليه السلام أمر باقامة الصلاة اما من أول الزوال الى الغسق وبقرآن الفجر واما من الغروب الى الغسق وبقرآن الفجر فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه

والظاهر ندبية ايقاع صلاة الصبح في أول الوقت لانه مأمور بايقاع قرآن الفجر فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الفجر لكن الاجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية فاذا انتفى وجوبها بقي ندبها وأعاده قرآن الفجر في قوله ان قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون انه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث انهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر وهذا قول الجمهور * وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة * وقيل من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة * قال الزمخشري ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى ويعني بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم * وقال محمد بن سهل بن عسكر مشهودا يشهده الله وملائكته وذكر حديث أبي الدرداء أنه تعالى ينزل في آخر الليل ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله مشهودا على عادته في تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله انه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح ولما أمره تعالى باقامة الصلاة للوقت المذكور ولم يدل أمره تعالى بالاعلى حتصاصه بذلك دون أمته ذكر ما حتصه تعالى وأوجبه عليه من قيام الليل وهو في أمته تطوع * فقال ومن الليل فتهجد به أي بالقرآن في الصلاة نافلة زيادة مخصوصا بها أنت وتهجد هنا تفعل تعني الترك كتولهم تأثم وتحنث تركت التأثم والتحنث ومنه تحنث بغار حراء أي ترك التحنث وشرح ذلك ما هو التعبد ومن للتبعيض * وقال الحوفي من متعلقة بفعل دل عليه معنى الكلام تقديره واسهر من الليل بالقرآن قال ويجوز أن يكون التقدير وقم قومة من الليل * وقال ابن عطية ومن للتبعيض التقدير وقتا من الليل أي وقم وقتا من الليل * وقال الزمخشري ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة انتهى فان كان تفسير ذو عليك بعض الليل تفسير معنى فيقرب وان كان تفسير إعراب فلا يصح لأن المغرى به لا يكون حرفا وتقديره بعض فيه مسامحة إلا إن أراد بتقديره [illegible] فكان مراده أن يكون [illegible] ولا [illegible]
[illegible] غير الظاهر [illegible] والتقدير [illegible] يعود على القرآن المتقدم [illegible] لا الصلاة [illegible] والتقدير فتهجد بالقرآن في الصلاة [illegible] وقال ابن عطية و[illegible] [illegible] وقمت من الليل [illegible] فتكون [illegible] [illegible] نافلة قال ويجوز أن [illegible]
وقال أبو البقاء فيه وجهان [illegible]
والثاني هو حال أي صلاة نافلة [illegible]
وقت [illegible] قدره ابن عطية وقال [illegible]
بعد نومة * وقال الحسن ما كان بعد العشاء الآخرة [illegible]
وكان قيام الليل فرضا [illegible] وقال ابن عطية [illegible]
له [illegible] كحصلة [illegible]
من [illegible]

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ح) يعني بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم

نوافل أمته لأن هذه أعني نوافل أمته إما أن يجبر بها فرائضهم وإما أن يحط بها خطيئاتهم وضعف الطبري قول مجاهد واستحسنه أبو عبد الله الرازي * وقال مقاتل فله كرامة وعطاء لك * وقيل كانت فرضا ثم رخص في تركها ومن حديث زيد بن خالد الجهني رمق صلاته عليه الصلاة والسلام ليلة فصلى بالوتر ثلاث عشرة ركعة * وعن عائشة أنه ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة وعسى مدلولها في المحبوبات الترجي * فقيل هي على بابها في الترجي تقديره لتكن على رجاء من أن يبعثك * وقيل هي بمعنى كي وينبغي أن يكون هذا تفسير معنى والأجود ان هذه الترجية والاطماع بمعنى الوجوب من الله تعالى وهو متعلق من حيث المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة وفاعلها أن يبعثك وربك فاعل يبعثك ومقاما الظاهر انه معمول ليبعثك هو مصدر من غير لفظ الفعل لان يبعثك بمعنى يقيمك تقول أقيم من قبره وبعث من قبره * وقال ابن عطية منصوب على الظرف أي في مقام محمود * وقيل منصوب على الحال أي ذا مقام * وقيل هو مصدر لفعل محذوف التقدير فتقوم مقاما ولا يجوز أن تكون عسى هنا ناقصة وتقدم الخبر على الاسم فيكون ربك مرفوعا اسم عسى وأن يبعثك الخبر في موضع نصب بها الا في هذا الاعراب الأخير وأما في قبله فلا يجوز لأن مقاما منصوب بيبعثك وربك مرفوع بعسى فيلزم الفصل بأجنبي بين ما هو موصول وبين معموله وهو لا يجوز وفي تفسير المقام المحمود أقوال * أحدها انه في أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي اليه صلى الله عليه وسلم والحديث في الصحيح وهي عدة من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام وفي هذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم وفي دعائه المشهور وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واتفقوا على أن المراد منه الشفاعة * الثاني أنه في أمر شفاعته لأمته في اخراجه المذنبين من النار وهذه الشفاعة لا تكون الا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء * وقد روي حديث هذه الشفاعة وفي آخره حتى لا يبقى في النار الا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود * قال ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي فظاهر هذا الكلام تخصيص شفاعته لأمته وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى التي يحمده بسببها الخلق كلهم على أن المراد لأمته وغيرهم أو يقال ان كل مقام منهما محمود * الثالث عن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا منجا ولا ملجأ الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * الرابع قال الزمخشري معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات انتهى وهذا قول حسن ولذلك نكر مقاما محمودا فلم يتناول مقاما مخصوصا بل كل مقام محمود صدق عليه اطلاق اللفظ * الخامس ما قالت فرقة منها مجاهد وقد روي أيضا عن ابن عباس أن مقامه المحمود هو أن يجلسه الله معه على العرش وذكر الطبري في ذلك حديثا وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا قال ابن عطية يعني من أنكر جوازه على تأويله * وقال أبو عمرو ومجاهد وان كان أحد الأئمة يتأول القرآن فان له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثاني في تأويل [illegible] وقد يؤول قوله معه على رفع محله

وتشريفه على خلقه كقوله ان الذين عند ربك وقوله ابن لي عندك بيتا وان الله لمع المحسنين كل ذلك كناية عن المكانة لا عن المكان * وقال الواحدي هذا القول مروي عن ابن عباس وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه * الأول ان البعث ضد الاجلاس بعثت التارك و بعث الله الميت أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد * الثاني لو كان جالسا تعالى على العرش لكان محدودا متناهيا فكان يكون محدثا * الثالث انه قال مقاما ولم يقل مقعدا محمودا والمقام موضع القيام لا موضع القعود * الرابع ان الحمقى والجهال يقولون ان أهل الجنة يجلسون كلهم معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية فلا مزية له باجلاسه معه * الخامس انه اذا قيل بعث السلطان فلانا لا يفهم منه أجلسه مع نفسه انتهى وفيه بعض تلخيص ولما أمره تعالى باقامة الصلاة والتهجد ووعده بعثه مقاما محمودا وذلك في الآخرة أمره بأن يدعوه بما يشتمل أموره الدنيوية والأخروية فقال وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق والظاهر انه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول رجل صدق اذ هو مقابل رجل سوء * وقال ابن عباس والحسن وقتادة هو ادخال خاص وهو في المدينة واخراج خاص وهو من مكة فيكون المقدم في الذكر هو المؤخر في الوقوع ومكان الواو هو لأهم فبدئ به * وقال مجاهد وأبو صالح ما معناه ادخاله فيما حمله من عباء النبوة وأداء الشرع واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط * وقال الزمخشري أدخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على ذكر البعث * وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين * وقال محمد بن المنكدر دخوله الغار واخراجه منه سالما * وقيل الاخراج من المدينة والادخال مكة بالفتح * وقيل الادخال في الصلاة والاخراج منها * وقيل الادخال في الجنة والاخراج من مكة * وقيل الادخال فيما أمر به والاخراج مما نهاه عنه * وقيل أدخلني في بحار دلائل التوحيد والتنزيه وأخرجني من الاشتغال بالدليل الى معرفة المدلول والتأمل في آثار محدثاته الى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد * وقال أبو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الأعز منها الأذل يعني ادخل عزا واخرج نصرا [illegible] والحسن في هذه الأقوال أن تكون على سبيل التمثيل لا التعيين ويكون المعنى كما ذكرناه من أنه في جميع موارده ومصادره وقرأ [illegible] وقتادة وحميد [illegible] أي كرما [illegible] وقال صاحب اللوامح وهما مصدران من دخل وخرج لكنه من معنى أدخلني وأخرجني متقدمين دون لفظيهما ومثلهما أنبتكم من الأرض نباتا ويجوز أن يكونا مكانين [illegible] على تقدير [illegible] مدخلا [illegible] مخرج صدق [illegible] وقيل [illegible] كتابا يحوي الحدود والأحكام * وقيل [illegible] سالمة في نصر * وقيل تعين على معنى أي [illegible]

نصيرا وروى انه تعالى وعده ذلك وأنجزه له في حياته وتممه بعد وفاته * قال قتادة والحق القرآن والباطل الشيطان * وقال ابن جريج الجهاد والباطل الشرك * وقيل الايمان والكفر * وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان وهذه الآية نزلت بمكة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بمخصرة حسبما ذكر في السير وزهوقا صفة مبالغة في اضمحلاله وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القرآن لابتداء الغاية * وقيل للتبعيض قاله الحوفي وأنكر ذلك لاستلزامه ان بعضه لا شفاء فيه ورد هذا الانكار لان انزاله انما هو مبعض * وقيل لبيان الجنس قاله الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء وقد ذكرنا ان من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متأخرة عنه * وقرأ الجمهور وننزل بالنون ومجاهد بالياء خفيفة ورواها المروزي عن حفص * وقرأ زيد بن علي شفاء ورحمة بنصبهما ويتخرج النصب على الحال وخبره هو قوله للمؤمنين والعامل فيه ما في الجار والمجرور من الفعل ونظيره قراءة من قرأ والسموات مطويات بيمينه بنصب مطويات * وقول الشاعر

رهط ابن كوز محقبي أدراعهم * فيهم ورهط ربيعة بن حذار

وتقديم الحال على العامل فيه من الظرف أو المجرور لا يجوز الا عند الاخفش ومن منع جعله منصوبا على اضمار أعني وشفاؤه كونه مزيلا للريب كاشفا عن غطاء القلب بفهم المعجزات والامور الدالة على الله المقررة لدينه فصار لعلات القلوب كالشفاء لعلات الاجسام * وقيل شفاء بالرقى والعوذ كما جاء في حديث الذي رقي بالفاتحة من لسعة العقرب واختلفوا في النشرة وهو أن يكتب شئ من أسماء الله تعالى أو من القرآن ثم يغسل بالماء ثم يمسح به المريض أو يسقاه فأجاز ذلك ابن المسيب ولم يره مجاهد وعن عائشة كانت تقرأ بالمعوذتين في اناء ثم تأمر أن يصب على المريض * وقال أبو عبد الله المازني النشرة أمر معروف عند أهل التعزيم سميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها أي تحل ومنعها الحسن والنخعي * وروى أبو داود من حديث جابر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال وقد سئل عن النشرة هي من عمل الشيطان ويحمل ذلك على ما اذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة الرسول والنشرة من جنس الطب في غسالة شئ له فضل * وقال مالك لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بذلك مدافعة العين وهذا معناه قبل أن ينزل به شئ من العين أما بعد نزول البلاء فيجوز رجاء الفرج والبرء والمرض كالرقى المباحة التي وردت السنة بها من العين وغيرها * وقال ابن المسيب يجوز تعليق العوذة في قصبة أو رقعة من كتاب الله ويضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص الباقر في العوذة تعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشئ من القرآن يعلقه الانسان وخسار الظالمين وهم الذين يضعون الشئ في غير موضعه هو باعراضهم عنه وعدم تدبره بخلاف المؤمن فانه يزداد بالنظر فيه وتدبر معانيه ايمانا ﴿وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

ومعنى يؤسا قنوطا من أن ينعم الله عليه والظاهر أن المراد بالانسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس ونسب تعالى الانعام لذاته والمسيس للشر ويؤس صفة مبالغة من يئس ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ كل اذا كان غير مضاف فتارة يراعى لفظه فيفرد الضمير العائد عليه كما في قوله تعالى كل في فلك يسبحون شاكلته أي على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شوا كل وهي الطرق التي تشعبت منه ﴿ويسئلونك عن الروح﴾ في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه قال اني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقالوا سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في الروح فسكت ثم ماج فامسكت بيدي على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه الوحي فنزل عليه ويسئلونك عن الروح الآية فعلى هذا يكون الضمير في ويسئلونك

(الدر) (ش ع) من في قوله ومن من القرآن لبيان الجنس (ح) وافقهما أبو البقاء وقد ذكرنا أن من التي لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي تبينه وانما تكون متأخرة عنه

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا ﴾ لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسار الظالم عرّض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان ومع ذلك أعرض عنه وبعد بجانبه عنه اشمئزازا له وتكبرا عن قرب سماعه وتبديلا مكان شكر الإنعام كفره * وقرأ الجمهور ونأى من النأي وهو البعد وقرأ ابن عامر وناء * وقيل هو مقلوب نأى فمعناه بعد * وقيل معناه نهض بجانبه * وقال الشاعر

حتى إذا ما التأمت مفاصله * وناء في شق الشمال كاهله

أي نهض متوكئا على شماله ومعنى يؤسا قنوطا من أن ينعم الله عليه والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحدا بعينه بل المراد به الجنس كقوله إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان خلق هلوعا الآية وهو راجع لمعنى الكافر والإعراض يكون بالوجه والنأي بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأي الجانب الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين * والشاكلة قال ابن عباس ناحيته * وقال مجاهد طبيعته * وقال الضحاك حدّته * وقال قتادة والحسن نيته * وقال ابن زيد دينه * وقال مقاتل خلقه وهذه أقوال متقاربة * وقال الزمخشري على مذهب الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعبت منه والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أشد مذهبا وطريقة * وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لم أر في القرآن آية أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران * وعن عمر رضي الله عنه لم أر آية أرجى من التي فيها غافر الذنب وقابل التوب قدم الغفران قبل قبول التوبة * وعن عثمان رضي الله عنه لم أر آية أرجى من نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وعن علي كرم الله وجهه ورضي عنه لم أر آية أرجى من يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قالوا ذلك حين تذاكروا القرآن * وعن القرطبي لم أر آية أرجى من الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم الآية * وقال أبو عبد الله الرازي الأرواح والنفوس مختلفة بماهيتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها من القرآن ضلال ونكال انتهى وثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب إذ مر بناس من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في الروح فسكت ثم ماج فأمسكت بيدي على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل عليه ويسألونك عن الروح الآية * وروي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن فتية فقدوا في أول الزمان وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي وإن لم يجب في بعض ذلك وسكت عن بعض فهو نبي وفي بعض طرق هذا [illegible] وسكت عن الروح فهو نبي فنزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف ونزل في الذي بلغ المشرق والمغرب ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسألونك عن الروح وقد تقرر من حديث ابن مسعود أن الآية مدنية ومن سؤال قريش أنها مكية والروح على قول الجمهور الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر * وقال قتادة هو جبريل [illegible] وكان ابن عباس يكتمه * وقيل [illegible]

اليهود ويكون الخطاب لهم في قوله وما أوتيتم الآية والروح على قول الجمهور هي الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهذا هو الظاهر ومعنى من أمر ربي أي فعل ربي كونها بأمره وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أي فعل فرعون والظاهر أنهم سألوه عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه إلا الله . وقد رأيت كتابا يترجم بالنفخ والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيه أن الجواب في قوله قل الروح من أمر ربي إنما هو للعوام وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح وأجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة وذهب كفرة الفلاسفة [illegible] قولا وكانت [illegible] الروح [illegible] ولكن [illegible] لا [illegible] منقطع أي لكن رحمة من ربك [illegible] القرآن محفوظ

مريم عليه السلام وعن علي أنه ملك وذكر من وصفه ما الله أعلم به ولا يصح عن علي * وقيل الروح القرآن ويدل عليه الآية قبله والآية بعده * وقيل خلق عظيم روحاني أعظم من الملك * وقيل الروح جنس من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام ذكره العزيزي * وقال أبو صالح خلق كخلق آدم وليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل ولا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم والصحيح من هذه الأقوال القول الأول والظاهر أنهم سألوا عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه الا الله * وقد رأيت كتابا يترجم بكتاب النفخة والتسوية لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيها أن الجواب في قوله قل الروح من أمر ربي انما هو للعوام وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح وأجمع علماء الاسلام على أن الروح مخلوقة وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممن ينتمي الى الاسلام الى انها قديمة واختلاف الناس في الروح بلغ الى سبعين قولا وكذلك اختلفوا هل الروح النفس أم شئ غيرها ومعنى من أمر ربي أي فعل ربي كونها بأمره وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أي فعله ويحتمل أن يكون أمرا واحد الأمور وهو اسم جنس لها أي من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها * وقيل من وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر ويتخرج على قول من قال ان الروح هنا القرآن * وقيل من علم ربي والظاهر أن الخطاب في وما أوتيتم هم الذين سألوا عن الروح وهم طائفة من اليهود * وقيل اليهود بجملتهم * وقيل الناس كلهم * قال ابن عطية وهذا هو الصحيح لان قوله قل الروح انما هو أمر بالقول لجميع العالم اذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى * وقرأ عبد الله بن مسعود والأعمش وما أوتوا بضمير الغيبة عائدا على السائلين ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم شفاء ورحمة وقدرته على ذلك ذكر قدرته على انه لو شاء لذهب بما أوحى ولكنه تعالى لم يشأ ذلك والمعنى انا كما نحن قادرون على انزاله نحن قادرون على اذهابه * وقال أبو سهل هذا تهديد لغير الرسول صلى الله عليه وسلم باذهاب ما أوتوا ليصدهم عن سؤال مالم يؤتوا كعلم الروح وعلم الساعة * وروى لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن والحديث وفي حديث ابن مسعود يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك * وقال صاحب التحرير ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكروه وهو انه صلى الله عليه وسلم لما أبطأ عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية فأنزل الله تعالى تهذيبا له هذه الآية ويكون التقدير أيعز عليك تأخر الوحي فانا لو شئنا ذهبنا بما أوحينا اليك جميعه فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وطاب قلبه ولزم الأدب انتهى والباء في لنذهبن بالذي للتعدية كالهمزة وتقدم الكلام على ذلك في قوله لذهب بسمعهم في أوائل سورة البقرة * والتكفيل هنا قيل من يحفظ ما أوحينا اليك * وقيل كفيلا باعادته الى الصدور * وقيل كفيلا يضمن لك أن يؤتيك ما أخذ منك * وقال الزمخشري والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف ولم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ثم لا تجد لك بهذا الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة في تنزيله وتحفيظه انتهى وعلى الاستثناء المنقطع خرجه ابن الانباري وابن عطية * قال ابن الانبارى

﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن﴾ الآية لما ذكر تعالى انعامه على نبيه بالنبوة وبانزال وحيه عليه وباهر قدرته ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان بمثله وانه من أكبر النعم عليه والفضل الذي أبقى له ذكرا الى آخر الدهر واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل و بلغاتهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلان تكونوا أنتم أعجز عن أن تأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله ولما كانت الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان عليه السلام أدرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك أبلغ في التعجيز ولا يأتون جواب القسم المحذوف واللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط كقوله تعالى لئن أخرجوا الآية ﴿ ولقد صرفنا ﴾ تقدم نظيره والظاهر أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق والقرآن مثل من الامثال التي ضربها الله * قال الزمخشري ويجوز أن تكون من مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والاخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر أن مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية وروى أن صناديد قريش اجتمعوا وسيروا للنبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء اليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم وطلب منهم أن يوحدوا ويعبدوا الله ورغبوه بالمال والرئاسة فأبى وقال لست أطلب ذلك فاقترحوا عليه الآيات التي ذكرها الله تعالى وما [illegible] هذه الآية [illegible] تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن فتبين عجزهم عن ذلك و [illegible]
آيات فعل الحائر المبهوت المحجوج فقالوا ما حكاه [illegible] من الارض [illegible] مشتق من النبع [illegible]
يفعول كيعفور ﴿فتفجر الانهار﴾ [illegible]
﴿خلالها﴾ أي وسط [illegible] وقولهم كما زعمت [illegible]
﴿قبيلا﴾ معاينة والزخرف الزينة [illegible]
أن السماء هنا هي المظلة [illegible] بالتعبية [illegible]
[illegible] وهو [illegible]
[illegible] كنت الا بشرا رسولا [illegible]

لكن رحمة من ربك تمنع من أن تسلب القرآن وقال في زاد المسير المعنى لكن الله يرحمك فأثبت ذلك في قلبك * وقال ابن عطية لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وتخريج الزمخشري الأول جعله استثناء متصلا جعل رحمته تعالى مندرجة تحت قوله تعالى وكيلا ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ﴾
لما ذكر تعالى انعامه على نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبانزال وحيه عليه وباهر قدرته بأنه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي ببقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان بمثله وأنه من أكبر النعم عليه والفضل الذي أبقى له ذكرا الى آخر الدهر ورفع له قدرا به في الدنيا والآخرة واذا كان فصحاء اللسان الذي نزل به وبلغاتهم عجزوا عن الاتيان بسورة واحدة مثله فلأن يكونوا أعجز عن أن يأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون بمثله ولو كان الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان عليه السلام أدرجوا مع الانس في التعجيز ليكون ذلك أبلغ في العجز ويحتمل أن تكون الملائكة مندرجين تحت لفظ الجن لانه قد يطلق عليهم هذا الاسم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا [illegible] غير الملائكة من الأشكال [illegible] المستترين عن أعين الانس ويحتمل أن يكون ذكر [illegible] لأنه عليه السلام بعث الى الانس والجن فوقع التحدي [illegible] وروى أن جماعة [illegible]

قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتنا بآية غريبة غير هذا القرآن فإنا نحن نقدر على المجيء بمثل هذا فنزلت ولا يأتون جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فالجواب في نحو هذا للقسم المحذوف لا للشرط ولذلك جاء مرفوعا * فأما قول الأعشى

لئن منيت بنا عن غب معركة * لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل

فاللام في لئن زائدة وليست موطئة لقسم قبلها فلذلك جزم في قوله لا تلفنا وقد احتج بهذا ونحوه الفراء في زعمه أنه إذا اجتمع القسم والشرط وتقدم القسم ولم يسبقه بما ذو خبر أنه يجوز أن يكون الجواب للقسم وهو الأكثر وللشرط ومذهب البصريين يحتم الجواب للقسم خاصة وذكر ابن عطية هنا فصلا حسنا في ذكر الاعجاز نقلناه بقصته * قال وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة وشاهده وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله ومشاهده علم ضرورة وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم اعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير وذي الرمة في قول الفرزدق * علام تلفتين وأنت تحتي * وفي قول جرير * تلفت انها تحت ابن قين * وألا ترى قول الأعرابي عرفكم فقطع وألا ترى إلى الاستدلال الآخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال ان الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الاعشى

* وأنكرتني وما كان الذي نكرت * ومنه قول الاعرابي للاصمعي

* من أحوج الكريم أن يقسم * فهم مع هذه الأفهام أقروا بالعجز ولجأ الجاد منهم إلى السيف ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة انتهى ما اقتصرنا عليه من كلامه وكان قد قدم قبل ذلك قوله والعجز في معارضة القرآن انما وقع في النظم وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها إلا الله عز وجل والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص فإذا نظم كلمة خفي عنه العلل التي ذكرنا * وقال الزمخشري ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن تكون جوابا للشرط * كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا انتهى يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت * وان أتاه خليل يوم مسألة * فأتاه فعل ماض دخلت عليه أداة الشرط تخلصه للاستقبال وأفهم كلام الزمخشري أن يقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط الذي هو وان أتاه وهذا الذي ذهب إليه هو مخالف لمذهب سيبويه ولمذهب الكوفيين والمبرد لأن مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب الكوفيين والمبرد انه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه هو جواب الشرط وهو الذي قال به الزمخشري والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو * وقال الزمخشري ولم يحس من المذاهب ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وانما يكون المعجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه والمحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف

(الدر)

(ش) لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول * لا غائب مالي ولا حرم * لأن الشرط وقع ماضيا (ح) يعني بالشرط قوله وهو صدر البيت * وان أتاه خليل يوم مسئلة * فأتاه فعل ماض دخلت عليه أداة الشرط تخلصه للاستقبال وافهم كلام (ش) أن يقول وان كان مرفوعا هو جواب الشرط الذي هو وان أتاه وهذا الذي ذهب إليه هو مخالف لمذهب سيبويه رحمه الله ولمذهب الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه في مثل هذا التركيب وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا وبعده مضارع مرفوع ان ذلك المضارع هو على نية التقديم وجواب الشرط محذوف ومذهب الكوفيين والمبرد أنه هو الجواب لكنه على حذف الفاء ومذهب ثالث وهو انه جواب الشرط وهو الذي قال به (ش) والكلام على هذه المسئلة والمذاهب مذكور في علم النحو

الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس مالهم
المكابرة وقلب الحقائق انتهى وتكرر لفظ مثل في قوله لا يأتون بمثله على سبيل التأكيد والتوضيح
وأن المراد منهم أن يأتوا بمثله إذ قد يراد بمثل الشيء في موضع الشيء نفسه فبين بتكرار بمثله ولم يكن
التركيب لا يأتون به رفعا لهذا الاحتمال وأن المطلوب منهم أن يأتوا بالمثل لا أن يأتوا بالقرآن ولما
ذكر تعالى عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن نبه على فضله تعالى بما ردده فيه وضرب
من الأمثال والعبر التي تدل على توحيده تعالى ومع كثرة ما ردده من الأمثلة وأسبغ من النعم لم يكونوا
إلا كافرين به وبنعمه * وقرأ الجمهور صرفنا بتشديد الراء والحسن بتخفيفها والظاهر أن مفعول
صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية * وقال ابن عطية ويجوز أن تكون
مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل انتهى يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا
التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر أن المراد
بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق والقرآن ملآن من الأمثال التي ضربها الله تعالى * وقال
الزمخشري من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه * وقال أبو عبد الله الرازي من
كل مثل إشارة إلى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القرآن كما هنا وبسورة مثله
وبكلام من سورة كقوله فليأتوا بحديث مثله ومع ظهور عجزهم أبوا إلا كفورا انتهى ملخصا
* وقيل من كل مثل من الترغيب والترهيب وأنباء الأولين والآخرين وذكر الجنة والنار وأكثر
الناس * قيل من كان في عهد الرسول من المشركين وأهل الكتاب . وقيل أهل مكة وهو الظاهر
بدليل ما أتى بعده من قوله وقالوا لن نؤمن لك وتقدم القول في دخول إلا بعد أبى في سورة براءة
وروي في مقالتهم هذه أحاديث طويلة هي في كتب الحديث والسير ملخصها أن صناديد قريش
اجتمعوا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت بينهم حروب ومحاورات في ترك دينهم وطلبهم منه
أن يوحدوا ويعبدوا الله فأرغبوه بالمال والرئاسة والملك فقالوا إن لست تطلب ذلك فاقترحوا عليه
الست الآيات التي ذكرها الله هنا ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا
القرآن فتبين عجزهم عن ذلك وعجز [illegible] ليس معجزا [illegible]
وطلبوا أخذوا يتعللون باقتراح آيات [illegible] ، وقرأ
الكوفيون تفجر من فجر مخففا وباقي السبعة من فجر مشددا والتضعيف [illegible] وقرأ الأعمش
[illegible] من الأرض [illegible] وهي أرض مكة وهي [illegible]
[illegible]
الحرث والزرع [illegible]
فاقترحوا أخرى [illegible]
ومن أعظم ما يقتسمون [illegible]
[illegible] وقرأ الجمهور [illegible]
[illegible] وأبو عمرو [illegible]
[illegible] السماء [illegible]
كسفا من السماء وقيل [illegible]
أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا [illegible]

(الدر)

(ع) ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل (ح) يعني فيكون مفعول صرفنا كل مثل وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين والأخفش لا على مذهب جمهور البصريين والظاهر أن مفعول صرفنا محذوف تقديره البينات والعبر ومن لابتداء الغاية

علينا الملائكة أو نرى ربنا وقال غيره قبيلا كفيلا من تقبله بكذا اذا كفله والقبيل والزعيم والكفيل بمعنى واحد * وقال الزمخشري قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا لصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا * كقوله

كنت منه و والدى بريا * وانى وقيار بها لغريب

أي مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة * وقرأ الاعرج قبلا من المقابلة * وقرأ الجمهور من زخرف وعبد الله من ذهب ولا تحمل على انها قراءة لمخالفة السواد وانما هي تفسير * وقال مجاهد كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله من ذهب * وقال الزجاج الزخرف الزينة وتقدم شرح الزخرف وفي السماء على حذف مضاف أي في معارج السماء والظاهر ان السماء هنا هي المظلة * وقيل المراد الى مكان عال وكل ما علا وارتفع يسمى سماء * وقال الشاعر

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

* قيل وقائل هذه هو ابن أبي أمية قال لن نؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك ان الأمر كما تقول ويحتمل أن يكون مجموع أولئك الصناديد قالوا ذلك وغيوا إيمانهم بحصول واحد من هذه المقترحات ويحتمل أن يكون كل واحد اقترح واحدا منها ونسب ذلك للجميع لرضاهم به أو تكون أوفيها للتفصيل أي قال كل واحد منهم مقالة مخصوصة منها وما اكتفوا بالتغيية بالرقى في السماء حتى غيوا ذلك بأن ينزل عليهم كتابا يقرؤنه ولما تضمن اقتراحهم ما هو مستحيل في حق الله تعالى وهو أن يأتي بالله والملائكة قبيلا أمره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به ومن أن يقترح عليه ما ذكرتم فقال سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا أي ما كنت الا بشرا رسولا أي من الله اليكم لا مقترحا عليه ما ذكرتم من الآيات * وقال الزمخشري وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن انتهى وشق القمر أعظم من شق الارض ونبع الماء من بين أصابعه أعظم من نبع الماء من الحجر * وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي على الخبر تعجب عليه الصلاة والسلام من اقتراحاتهم عليه ونزه ربه عما جوزوا عليه من الاتيان والانتقال وذلك في حق الله مستحيل هل كنت الا بشرا مثلهم رسولا والرسل لا تأتي الا بما يظهره الله عليهم من الآيات وليس أمرها اليهم انما ذلك الى الله * وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن

* وما منع الناس أن يؤمنوا * الآية الظاهر أن قوله وما منع الناس اخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد أن يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا وأن يؤمنوا في موضع نصب وأن قالوا في موضع رفع واذ ظرف العامل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك المقالات السابقة والهدى القرآن ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم الناشئ عن اعتقادهم والهمزة في أبعث للانكار ورسولا ظاهره أنه نعت * وقوله * قل لو كان * الآية يمشون يتصرفون فيها بالمشي وليس لهم صعود الى السماء فيسمعون من أهلها ويعلمون ما يجب علمه بل هم مقيمون في الارض يلزمهم ما يلزم المكلفين من عبادات مخصوصة وأحكام لا يدرك تفصيلها بالعقل * لنزلنا عليهم * من جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه أمره تعالى أن يعلمهم بأنه تعالى هو الشهيد بينه وبينهم على تبليغه وما قام به من أعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه من الآيات على سبيل العناد وأردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بخفيات أسرارهم بصيرا مطلعا على ما يظهر من أفعالهم وأقوالهم * ومن يهد الله * خبر من الله وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم ومن مفعول يهدي فهو ضمير يعود على معنى من لا على لفظها والمهتدي مطاوع هدى يقول هداه فاهتدى كما تقول عصمته فاعتصم ومن مفعول بيضلل لهم ضمير يعود على معنى من لا على لفظها والظاهر أن قول عميا بكما وصما هو حقيقة وذلك عند قيامهم من قبورهم لم يرد الله اليهم

تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا ﴾ الظاهر ان قوله ومامنع الناس اخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان اذ ظهر لهم المعجز وهو استبعاد أن يبعث الله رسولا الى الخلق واحدا منهم ولم يكن ملكا وبعد أن ظهر المعجز فيجب الاقرار والاعتراف برسالته فقولهم لابد أن يكون من الملائكة تحكم فاسد ويظهر من كلام ابن عطية ان قوله ومامنع الناس هو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي عليه الصلاة والسلام كأنه يقول متعجبا منهم ماشاء الله كان مامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لا يستند الى حجة وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب فيها يقع الافهام والتمكن من النظر كما لو كان في الارض ملائكة يسكنونها مطمئنين لكان الرسول اليهم من الملائكة ليقع الافهام وأما البشر فلو بعث اليهم ملك لنفرت طبائعهم من رؤيته ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم وانما الله أجرى أحوالهم على معتادها انتهى وان يؤمنوا في موضع نصب وان قالوا في موضع رفع واذ ظرف العامل فيه منع والناس كفار قريش القائلون تلك المقالات السابقة والهدى هو القرآن ومن جاء به وليس المراد مجرد القول بل قولهم الناشئ عن اعتقاد والهمزة في أبعث للانكار ورسولا الظاهر انه نعت ويجوز أن يكون رسولا مفعول بعث وبشرا حال متقدمة عليه أي أبعث الله رسولا في حال كونه بشرا وكذلك يجوز في قوله ملكا رسولا أي لنزلنا عليهم من السماء رسولا في حال كونه ملكا وقوله يمشون يتصرفون فيها بالمشي وليس لهم صعود الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلمون ما يجب علمه بل هم مقيمون في الارض يلزمهم ما يلزم المكلفين من عبادات مخصوصة وأحكام لا يدرك تفصيلها بالعقل لنزلنا عليهم من جنسهم من يعلمهم ذلك ويلقيه اليهم ولما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الايمان وتحدى على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه أمره تعالى أن يعلمهم بأنه تعالى هو الشهيد بينه وبينهم على تبليغه وما قاله من عبء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا عليه من الآيات على سبيل العناد وأردف ذلك بما فيه تهديد وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بخفيات أسرارهم بصيرا مطلقا على مايظهر من أفعالهم وأقوالهم والظاهر ان قوله ومن يهد الله اخبار من الله تعالى وليس مندرجا تحت قل لقوله ونحشرهم ويحتمل أن يكون مندرجا لمجيء ومن بالواو ويكون ونحشرهم اخبارا من الله تعالى وعلى القول الأول يكون التفاتا اذ خرج من الغيبة للتكلم ولما تقدم دعوة الرسول الى الايمان وتحدى بالمعجز الذي آتاه الله ولجوا في كفرهم وعنادهم ولم يجدهم ما جاءهم به من هدى أخبر بأن ذلك كله راجع الى مشيئته تعالى وانه هو الهادي وهو المضل فسلاه تعالى بذلك وأخبر تعالى على سبيل التهديد لهم والوعيد بصدق حالهم وقت حشرهم يوم القيامة وقال الزمخشري ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتدي لأنه لا يلطف الا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم أولياء أنصارا انتهى وهو على طريقة الاعتزال ومن مفعول بيهد وبيضلل وحمل على اللفظ في قوله فهو المهتدي فأفرد ملاحظا لسبيل الهدى وهي واحدة تناسب التوحيد وحمل على المعنى في قوله فلن تجد لهم أولياء لا على لفظ ملاحظة

أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله عنهم كما تقدم الكلام عليه في أوائل البقرة ﴿وخبت﴾ معناه سكن لهبها ﴿سعيرا﴾ اتقادا ذلك اشارة الى ذلك الحشر والعذاب ﴿وقالوا أئذا كنا﴾ تقدم الكلام عليه في أثناء السورة والرؤية رؤية القلب وهي العلم ومعنى مثلهم من الانس وعطف قوله وجعل لهم على قوله أولم يروا لأنه استفهام تضمن التقرير والمعنى قد علموا بدليل العقل كيت وكيت ﴿وجعل لهم﴾ أي للعالمين ذلك ﴿أجلا لاريب فيه﴾ وهو الموت ﴿فأبى الظالمون﴾ وهم الواضعون للشيء غير موضعه على سبيل الاعتداء ﴿الا كفورا﴾ أي جحودا لما أتى به الصادق صلى الله عليه وسلم من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة في جزائهم

لسبيل الضلال فانها متشعبة متعددة فناسب التشعيب والتعديد الجمع وهذا من المواضع التي جاء فيها الحمل على المعنى ابتداء من غير أن يتقدم الحمل على اللفظ وهي قليلة في القرآن والظاهر أن قوله على وجوههم حقيقة كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم وفي هذا حديث قيل يارسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادرا أن يمشيه في الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا * وقيل على وجوههم مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير كأنما يمشي على وجهه * وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا أسرعوا والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما هو حقيقة وذلك عند قيامهم من قبورهم ثم يرد الله اليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفرها وينطقون بما حكى الله عنهم * وقيل هي استعارات اما لانهم من الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات واما من حيث لا يرون مايسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة * وقال الزمخشري كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن سماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون مايقر أعينهم ولا يسمعون مايلذ أسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى انتهى وهذا قول ابن عباس والحسن قالا المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم *وقيل عميا عن النظر الى ماجعل الله لأوليائه بكما عن مخاطبة الله صما عما مدح الله به أولياءه وانتصب عميا ومابعده على الحال والعامل فيها نحشرهم *وقيل يحصل لهم ذلك حقيقة عند قوله قال اخسؤا فيها ولا تكلمون فعلى هذا تكون حالا مقدرة لان ذلك لم يكن مقارنا لهم وقت الحشر* كلما خبت قال ابن عباس كلما فرغت من احراقهم فيسكن اللهيب القائم عليهم قدر مايعادون ثم يثور فتلك زيادة السعير فالزيادة في حيزهم وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون خبت مجازا عن سكون لهبها مقدار ماتكون اعادتهم كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم ولانه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم والاشارة بذلك الى ماتقدم من حشرهم على تلك الحال وصيرورتهم الى جهنم والعذاب فيها والآيات تعم القرآن والحجج التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ونص على انكار البعث اذ هو طعن في القدرة الالهية وهذا مع اعترافهم بانه تعالى منشئ العالم ومخترعه ثم انهم ينكرون الاعادة فصار ذلك تعجيزا لقدرته وتقدم الكلام على قوله وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا في هذه السورة فأغنى عن اعادته ولما أنكروا البعث نبههم تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته فقال أولم يروا وهو استفهام انكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الاعادة واحتجاج عليهم بانهم قد رأوا قدرة الله على خلق هذه الاجرام العظيمة التي بعض ماتحويه البشر فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم ثم ينكرون اعادة بعض مما خلقه وذلك مما لا يحيله العقل بل هو مما يجوزه ثم جاء السمع بوقوعه فوجب قبوله والرؤية هنا رؤية القلب وهي العلم ومعنى مثلهم من الانس لانهم ليسوا أشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء واذا كان قادرا على انشاء أمثالهم من الانس فلا بعد في أن يعيدهم فهو قادر على أن يعيدهم كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وعطف قوله وجعل لهم على قوله أولم يروا لانه استفهام تضمن اليهم

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن﴾ الآية * مناسبتها أن المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وطلبوا اجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم فبين تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم قل لو أنتم تملكون فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون تملكون فحذف وانفصل الضمير الذي هو الواو فصار أنتم * كقوله وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها * وهو فاعل وكان تقديره وإن لم يحمل فحذف فلما حذف الفعل وانفصل الضمير فصار هو وخرج ذلك أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي على إضمار كان وقال أبو الحسن بن الصائغ حذف كان فانفصل اسمها والتقدير قل لو كنتم وقال البصريون يصرحون بامتناع لو يليها الا الفعل على الفصيح ويجيزون شاذا كقولهم * لو ذات سوار لطمتني * وهو عندهم على فعل مضمر وجواب لو لأمسكتم وخشية مفعول من أجله وقتورا أي بالغا في التقتير ولما حكى الله تعالى عن قريش ما حكى من تعنتهم في اقتراحهم وعنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم سلاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم أرنا الله جهرة الآية و ﴿تسع (٨٣) آيات﴾ تقدم الكلام عليه في الاعراف والعامل في اذ محذوف تقديره ﴿فاسئل﴾ عن حديث أو قصة ﴿بني اسرائيل اذ جاءهم﴾ وقال الزمخشري أذكر أو يخبرونك انتهى واذ ظرف للماضي لا يصح اعمال واحد منهما فيه وقرأ الجمهور ﴿لقد علمت﴾ بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته في قوله عنه انه مسحور أي قد علمت أن ما جئت به ليس من باب السحر ولا اني خدعت في عقلي بل علمت أنه ما أنزلها الا الله وما أحسن ما جاء به من اسناد انزالها الى لفظ رب السموات والارض اذ هو لما سأله فرعون في أول محاورته فقال له وما رب العالمين قال له رب السموات والارض نبهه على نقصه وأنه لا تصرف له في الوجود فدعواه الربوبية دعوى استحالة فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها ولكنه مكابر معاند كقوله تعالى وجحدوا بها الآية وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذا وهو في الوضوح بحيث يعلمها وليس خطابه على جهة اخباره عن علمه وقرئ لقد علمت بتاء المتكلم وهو ضمير موسى صلى الله عليه وسلم وما أنزل جملة في موضع نصب علق عنها علمت ومعنى بصائر دلالات على وحدانية الله تعالى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره أنزلها بصائر وقابل موسى صلى الله عليه وسلم بظن فرعون وشتان ما بين الظنين ظن فرعون باطل وظن موسى صدق * وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك واستفزازه إياهم هو استخفافه لموسى ولقومه بأن يقلعهم من أرض مصر بقتل أو جلاء فحاق به مكره وأغرقه الله وقبطه والضمير في بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه والارض المأمور بسكناها أرض الشام ووعد الآخرة قيام الساعة انتصب ﴿لفيفا﴾ على الحال أي منضما بعضكم الى بعض

والمعنى قد علموا بدليل العقل كيت وكيت وجعل لهم أي العالمين ذلك أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة وليس هذا الجعل واحدا في الاستفهام المتضمن التقرير أوان كان الأجل القيامة لانهم منكروها واذا كان الأجل الموت فهو اسم جنس واقع موقع آجال فأبى الظالمون وهم الواضعون الشئ غير موضعه على سبيل الاعتداء الا كفورا جحودا لما أتى به الصادق من توحيد الله وافراده بالعبادة وبعثهم يوم القيامة للجزاء ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر واني لأظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ مناسبة قوله قل لو أنتم تملكون خزائن الآية أن المشركين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم فبين تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما قدموا على ايصال النفع لأحد وعلى هذا فلا فائدة في اسعافهم بما طلبوا هذا ما قيل في ارتباط هذه الآية وقاله العسكري والذي يظهر لي ان المناسب هو انه عليه السلام قد منحه الله ما لم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو أحرص الناس على ايصال الخير وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه في دعائهم الى الله ويعرض ذلك على القبائل واحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهم أجرا وهؤلاء أقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد الا

(الدر) (ح) المستقر أن لو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره أن يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو منفيا بلم أو ان وهنا في قوله قل لو أنتم تملكون وليها الاسم فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي و (ش وع) وأبو البقاء وغيرهم الى أنه مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو

الواحد بعد الواحد قد لجوا في عناده وبغضائه فلا يصل منهم اليه الا الأذى فنبه تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام وبذله ما آتاه الله وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شيء من الخير اليه فقال لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شيء كانوا أبخل من كل أحد بما أوتوه من ذلك بحيث لا يصل منهم لأحد شيء من النفع اذ طبيعتهم الاقتار وهو الامساك عن التوسع في النفقة هذا مع ما أوتوه من الخزائن فهذه الآية جاءت مبينة تباين ما بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من حرصه على نفعهم وعدم ايصال شيء من الخير منهم اليه والمستقر أن لو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره أن يليها الفعل اما ماضيا واما مضارعا كقوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو منفيا بلم أو ان وهنا في قوله قل لو أنتم تملكون وليها الاسم فاختلفوا في تخريجه فذهب الحوفي والزمخشري وابن عطية وأبو البقاء وغيرهم الى انه مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو تملك انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * التقدير وان لم يحمل حذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار أنتم وهذا التخريج بناء على ان لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين * قال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة أو نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم * لو ذات سوار لطمتني * وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لأكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا كقولهم * لو ذات سوار لطمتني * وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره فهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم أنتم تملكون فظاهر هذا التخريج انه حذف كنتم برمته وبقي أنتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا الأستاذ أبو الحسن الصائغ الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج أحسن لأن حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب والرحمة هنا الرزق وسائر نعمه على خلقه والكلام على اذا لامسكتم تقدم نظيره في قوله إذاً لأذقناك وخشية مفعول من أجله والظاهر ان الانفاق على مشهور مدلوله فيكون على حذف مضاف أي خشية عاقبة الانفاق وهو النفاد * وقال أبو عبيدة أنفق وأملق وأعدم وأصرم بمعنى واحد فيكون المعنى خشية الافتقار * والقتور الممسك البخيل والانسان هنا للجنس ولما حكى الله تعالى عن قريش ما حكى من تعنتهم في اقتراحهم وعنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم سلاه تعالى بما جرى لموسى مع فرعون ومع قومه من قولهم أرنا الله جهرة اذ قالت قريش

تملك انفصل الضمير وهو الفاعل بتملك كقوله * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * التقدير وان لم يحمل حذف لم يحمل وانفصل الضمير المستكن في يحمل فصار هو وهنا انفصل الضمير المتصل البارز وهو الواو فصار أنتم وهذا التخريج بناء على أن لو يليها الفعل ظاهرا ومضمرا في فصيح الكلام وهذا ليس بمذهب البصريين قال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تلي لو الا الفعل ظاهرا ولا يليها مضمرا الا في ضرورة أو في نادر كلام مثل ما جاء في المثل من قولهم لو ذات سوار لطمتني وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ البصريون يصرحون بامتناع لو زيد قام لأكرمته على الفصيح ويجيزونه شاذا كقولهم لو ذات سوار لطمتني وهو عندهم على فعل مضمر كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره فهو من باب الاشتغال انتهى وخرج ذلك أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي على اضمار كان والتقدير قل لو كنتم أنتم تملكون وظاهر هذا التخريج أنه حذف كنتم برمته وبقي أنتم توكيدا لذلك الضمير المحذوف مع الفعل وذهب شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ الى حذف كان فانفصل اسمها الذي كان متصلا بها والتقدير قل لو كنتم تملكون فلما حذف الفعل انفصل المرفوع وهذا التخريج أحسن لان حذف كان بعد لو معهود في لسان العرب

أو تأتي بالله وقالت أو ترى ربنا وسكن قلبه ونبه على أن عاقبتهم للدمار والهلاك كما جرى لفرعون إذ أهلكه الله ومن معه * وتسع آيات قال ابن عباس وجماعة من الصحابة هي اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه سبع باتفاق وأما الثنتان فعن ابن عباس لسانه كان به عقدة فحلها الله والبحر الذي فلق له * وعنه أيضا البحر والجبل الذي نتق عليهم * وعنه أيضا السنون ونقص من الثمرات وقاله مجاهد والشعبي وعكرمة وقتادة * وقال الحسن السنون ونقص الثمرات آية واحدة وعن الحسن ووهب البحر والموت أرسل عليهم وعن ابن جبير الحجر والبحر وعن محمد بن كعب البحر والسنون * وقيل تسع آيات هي من الكتاب وذلك أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل إنه نبي فإنه لو سمع كلامك صارت له أربعة أعين فأتياه وسألاه عن تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يهود أن لا تعتدوا في السبت قال فقبلا يده وقالا نشهد أنك نبي فقال ما منعكما أن تسلما قالا إن داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي وإنا نخاف إن أسلمنا تقتلنا اليهود * قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح * وقرأ الجمهور فسل بني إسرائيل وبنو إسرائيل معاصروه وفسل معمول لقول محذوف أي فقلنا سل والظاهر أنه خطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال إذ جاءهم يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم * وقال الزمخشري سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش * وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظافرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي انتهى وهذا القول هو الأول وهو ما أعلمه به من غيب القصة ولما كان متعلق السؤال محذوفا احتمل هذه التقديرات والظاهر أن الأمر بالسؤال لبني إسرائيل هو حقيقة * وقال ابن عطية ما معناه يحتمل أن يكون السؤال عبارة عن تطلب أخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم نحو قوله وسل من أرسلنا من قبلك من رسلنا جعل النظر والتطلب بمنزلة السؤال ومنه قول الحسن سؤالك إياهم نظرك في القرآن والظاهر أن إذ معمولة لآتينا أي آتيناه حين جاء آباءهم * وقال الزمخشري (فإن قلت) بم تعلق إذ جاءهم (قلت) أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم وأما على الآخر فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبرونك انتهى ولا يتأتى تعلقه باذكر ولا بيخبرونك لأنه ظرف ماض وقرأ فسأل ماضيا ... عن ابن عباس كلام محذوف وتقديره فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أي طلبهم لينجيهم من العذاب انتهى وعلى قراءة ... يكون التقدير فقلنا له سل بني إسرائيل أي سل فرعون إطلاق بني إسرائيل * وقال الزمخشري فسل بني إسرائيل اعتراض في الكلام والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إذ جاء بني إسرائيل فسلهم وليس المطلوب من سؤال بني إسرائيل أن يستفيد علما منهم وإنما المقصود أن يظهر لعامة اليهود صدق ما ذكره الرسول عليه السلام فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد انتهى وعلى قراءة فسأل ماضيا وقدره فسأل فرعون بني إسرائيل يكون المفعول الأول محذوفا والثاني هو بني إسرائيل وجاز أن يكون من الإعمال لأنه توارد على فرعون ...

(الدر)

(ش) فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم قلت أما على الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم وأما على الآخر فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبرونك (ح) لا يتأتى تعلقه باذكر ولا بيخبرونك لأنه ظرف ماض

فأحمل الثاني على ما هو أرجح والظاهر ان قوله مسحورا اسم مفعول أي قد سحر بكلامك هذا مختل وما يأتي به غير مستقيم وهذا خطاب بنقيض * وقال الفراء والطبري مفعول بمعنى فاعل أي ساحر فهذه العجائب التي يأتي بها من أمر السحر وقالوا مفعول بمعنى فاعل مشؤوم وميمون وانما هو شائم ويامن * وقرأ الجمهور لقد علمت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون وتبكيته في قوله عنه انه مسحور رأي لقد علمت ان ما جئت به ليس من باب السحر ولا أني خدعت في عقلي بل علمت انه ما أنزلها الا الله وما أحسن ما جاء به من اسناد انزالها الى لفظ رب السموات والارض اذ هو لما سأله فرعون في أول محاورته فقال له وما رب العالمين قال رب السموات والارض بنبهه على نقصه وأنه لا تصرف له في الوجود فدعواه الربوبية دعوى استحالة فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها ولكنه مكابر معاند كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذا وهي من الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه على جهة اخباره عن علمه * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي علمت بضم التاء أخبر موسى عن نفسه أنه ليس بمسحور كما وصفه فرعون بل هو يعلم أن ما أنزل هؤلاء الآيات الا الله * وروي عن علي أنه قال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى وهذا القول عن علي لا يصح لأنه رواه كلثوم المرادي وهو مجهول وكيف يصح هذا القول وقراءة الجماعة بالفتح على خطاب فرعون وما أنزل جملة في موضع نصب علق عنها علمت ومعنى بصائر دلالات على وحدانية الله وصدق رسوله والاشارة بهؤلاء الى الآيات التسع وانتصب بصائر على الحال في قول ابن عطية والحوفي وأبي البقاء وقالا حال من هؤلاء وهذا لا يصح الا على مذهب الكسائي والأخفش لأنهما يجيزان ما ضرب هندا الا زيد ضاحكة ومذهب الجمهور أنه لا يجوز فان ورد ما ظاهره ذلك أول على اضمار فعل يدل عليه ما قبله التقدير ضربها ضاحكة وكذلك يقدرون هنا أنزلها بصائر وعند هؤلاء لا يعمل ما قبل الا فيما بعدها الا أن يكون مستثنى منه أو تابعا له وقابل موسى ظنه بظن فرعون فقال واني لأظنك يا فرعون مثبورا وشتان ما بين الظنين ظن فرعون ظن باطل وظن موسى ظن صدق ولذلك آل أمر فرعون الى الهلاك كان أولا موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى كما قال انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى فأمر أن يقول له قولا لينا فلما قال له الله لا تخف ونق بحماية الله وصال على فرعون صولة المحمي وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك ومثبور مهلك في قول الحسن ومجاهد وملعون في قول ابن عباس وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران ومسحور في قول الضحاك قال رد عليه مثل ما قال به فرعون مع اختلاف اللفظ وعن الفراء مثبور مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك * وقرأ أبي وان أخالك يا فرعون لمثبورا وهي [illegible] العاملة [illegible] لموسى ولقومه بان يقلعهم من أرض مصر [illegible] يأخذوا أرض مصر منهم فأخلاها الله منهم [illegible] فرعون [illegible] الأرض المأمور بسكناها [illegible] ذلك على لسان موسى عليه السلام ووعد الآخرة [illegible] وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى

[illegible] لما اذا [illegible] في قوله [illegible] والظاهر أن الضمير في قوله اذا يتلى عليهم عائد على

وأساؤا بها أخذ في شيء ويستطرد منه الى شيء آخر ثم الى آخر ثم يعود الى ما ذكر به أولا وانتصب ﴿مبشرا ونذيرا﴾ على الحال أي مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار وانتصب ﴿وقرآنا﴾ على اضمار فعل يفسره فرقناه أي وفرقنا قرآنا فرقناه فهو من باب الاشتغال وحسن النصب ورجحه على الرفع كونه عطف على جملة فعلية وهي قوله وما أرسلناك ولا بد من تقدير صفة لقوله وقرآنا حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه نكرة لا مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرآنا أي قرآنا عظيما جليلا ﴿على مكث﴾ أي تطاول في المدة شيئا بعد شيء ﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا﴾ يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان خيرا منهم العلماء الذين قرؤا الكتاب وعلموا الشرائع آمنوا به وصدقوه و[illegible] منهم أنه النبي الموعود به في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولتبشيره بمحمد صلى الله عليه وسلم [illegible]

عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ وبالحق أنزلناه هو مردود على قوله لئن اجتمعت الانس والجن الآية
وهكذا طريقة كلام العرب واسلوبها تأخذ في شيء وتستطرد منه الى شيء آخر ثم الى آخر ثم تعود
الى ما ذكرته أولا وأبعد من ذهب الى أن الضمير في أنزلناه عائد على موسى عليه السلام وجعل
منزلا كما قال وأنزلنا الحديد أو عائد على الآيات التسع وذكر على المعنى أو عائد على الوعد المذكور
قبله * وقال أبو سليمان الدمشقي وبالحق أنزلناه أي بالتوحيد وبالحق نزل أي بالوعد والوعيد
والأمر والنهي * وقال الزهراوي بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس وبالحق نزل أي بالحق
في أوامره ونواهيه وأخباره * وقال الزمخشري وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين انتهى وقد يكون
وبالحق نزل توكيدا من حيث المعنى لما كان يقال أنزلته فنزل وأنزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع
من نزوله جاء وبالحق نزل مزيلا لهذا الاحتمال ومؤكدا حقيقة وبالحق أنزلناه وفي معنى التأكيد
نحا الطبري وانتصب مبشرا ونذيرا على الحال أي مبشرا لهم بالجنة ونذيرا من النار ليس لك شيء
من اكراههم على الدين * وقرأ الجمهور فرقناه بتخفيف الراء أي بينا حلاله وحرامه قاله ابن عباس
وعن الحسن فرقنا فيه بين الحق والباطل وقال الفراء أحكمناه وفصلناه كقوله فيها يفرق كل
أمر حكيم * وقرأ أبي وعبد الله وعلي وابن عباس وأبو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن
فائد وزيد بن علي وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه بشد الراء أي أنزلناه نجما بعد نجم
وفصلناه في النزول وقال بعض من اختار ذلك لم ينزل في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة
ولا سنتين قال ابن عباس كان بين أوله وآخره عشرون سنة هكذا قال الزمخشري عن ابن عباس
* وحكي عن ابن عباس في ثلاث وعشرين سنة * وقيل في خمس وعشرين وهذا الاختلاف
مبني على الاختلاف في سنه عليه السلام [illegible] قال ابن عطية وهذا
قول مختل لا يصح عن الحسن [illegible] فرقناه [illegible]
وأحكام [illegible] وقصص وأخبار [illegible]
[illegible] قرأناه [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
أي قرآنا [illegible]
والزمخشري * وقال ابن عطية [illegible]
[illegible] وقرأنا [illegible]
وأكثر [illegible] قول ابن عطية [illegible]
كان [illegible]
ولتقرأه متعلق بفرقناه والظاهر تعلق [illegible]
[illegible]
[illegible]

القرآن والخرور السقوط بسرعة وانتصب سجدا على الحال ﴿سبحان ربنا﴾ نزهوا الله عما نسبه إليه كفار قريش وغيرهم وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى إن ما وعد به من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه قد فعله وأنجزه وتكرير الخرور لاختلاف حالتي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الأولى بالاسم وعن الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد [illegible]

مكث أى تطاول فى المدة شيأ بعد شئ * وقال الحوفى على مكث بدل من على الناس وهذا لا يصح لان قوله على مكث هو من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القارئ أو صفات المقروء فى المعنى وليس من صفات الناس فيكون بدلا منهم * وقيل يتعلق على مكث بقوله فرقناه ويقال مكث بضم الميم وفتحها وكسرها * وقال ابن عطية وأجمع القراء على ضم الميم من مكث * وقال الحوفى والمكث بالضم والفتح لغتان وقد قرئ بهما وفيه لغة أخرى كسر الميم ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث من الأقوال والافعال قل آمنوا به أولا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم والازدراء بهم وعدم الاكتراث بهم وبايمانهم وبامتناعهم منه وانهم لم يدخلوا فى الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وأفضل هم العلماء الذين قرؤا الكتاب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبى العربى الموعود فى كتبهم فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لوعده ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد فى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا وان الذين أوتوا العلم من قبله يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل قل عن ايمان الجاهلية بايمان العلماء انتهى من كلام الزمخشرى وفيه بعض تلخيص * وقال غيره قل آمنوا الآية تحقير للكفار وفى ضمنه ضرب من التوعد والمعنى انكم لستم بحجة فسواء علينا أآمنتم أم كفرتم وانما ضرر ذلك على أنفسكم وانما الحجة أهل العلم انتهى والظاهر أن الضمير فى قل آمنوا به عائد على القرآن والذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب * وقيل ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما فانهما كانا ممن أوتى العلم واطلعا على التوراة والانجيل ووجدا فيهما صفته عليه الصلاة والسلام * وقيل هم جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكروا أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه وقرئ عليهم منه شئ فخشعوا وسجدوا لله وقالوا هذا وقت نبوة المذكور فى التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام هذا الجنوح فنزلت هذه الآية فيهم * وقيل المراد بالذين أوتوا العلم من قبله هو محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الضمير فى من قبله عائد على القرآن كما عاد عليه فى قوله به ويدل عليه ما قبله وما بعده * وقيل الضمير ان فى به وفى من قبله عائدان على الرسول عليه الصلاة والسلام واستأنف ذكر القرآن فى قوله اذا يتلى عليهم والظاهر فى قوله اذا يتلى عليهم ان الضمير فى يتلى عائد على القرآن * وقيل هو عائد على التوراة وما فيها من تصديق القرآن ومعرفة النبى عليه الصلاة والسلام والخرور وهو السقوط بسرعة ومنه فخر عليهم السقف وانتصب سجدا على الحال والسجود وهو وضع الجبهة على الارض هو غاية الخرور ونهاية الخضوع وأول ما يلقى الارض حالة السجود الذقن أو عبر عن الوجوه بالأذقان كما يعبر عن كل شئ ببعض ما يلاقيه * وقال الشاعر

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم * سباع من الطير العوادى وتنتف

* وقيل أريد حقيقة الأذقان لأن ذلك غاية التواضع وكان سجودهم كذلك * وقال ابن عباس المعنى للوجوه * وقال الزمخشرى (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام فى خر لذقنه وقال .. فخر صريعا لليدين وللفم * (قلت) معناه جعل ذقنه

﴿قل ادعوا الله﴾ الآية قال ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يارحمن يارحيم فقال المشركون كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت والله والرحمن اسمان لذات واحدة وأيا شرطية وما زائدة وتدعو فعل الشرط حذفت منه النون وفله جواب الشرط والمعنى أي الاسمين وهو لفظ الله والرحمن فله لكون الاسمين لذات واحدة الاسماء الحسنى والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس ومعلوم أن الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لاغير والصلاة أفعال وأركان وكان صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فأمر بان يخفض من صوته حتى لايسمع المشركون

وأن لايخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين ﴿وابتغ بين ذلك﴾ أي بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ وسطا وتقدم الكلام على بين ذلك في البقرة ولما ذكر تعالى انه واحد وان تعددت أسماؤه أمره تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه [illegible] آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء ووصف نفسه [illegible] فيعتقد [illegible] وكان [illegible] رد على اليهود والنصارى والعرب الذين [illegible] الملائكة [illegible] ولا [illegible] الشريك في ملكه وهو [illegible] في [illegible] ولما في [illegible] وهو [illegible] ولد [illegible]

ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص انتهى * وقيل اللام بمعنى على وسبحان ربنا نزهوا الله عما نسبته اليه كفار قريش وغيرهم من انه لايرسل البشر رسلا وانه لايبعثهم للجزاء وان هنا المخففة من الثقيلة المعنى ان ماوعد به من ارسال محمد عليه الصلاة والسلام وانزال القرآن عليه قد فعله وأنجزه وتكرار الخرور لاختلاف حالي السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن الحالة الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد وذلك أن البكاء ناشئ عن التفكر فهم دائما في فكرة وتذكر فناسب ذكر الفعل اذ هو مشعر بالتجدد ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم * ويزيدهم أي ماتلي عليهم خشوعا أي تواضعا * وقال عبد الأعلى التيمي من أوتي من العلم مالا يبكيه حليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لانه تعالى نعت العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم الآية * وقال ابن عطية [illegible] معنى آخر وهو أن يكون قوله قل آمنوا به أو لا تؤمنوا مخلصا للوعيد [illegible] المعنى [illegible] التقريع لمن تقدم من أهل الكتاب [illegible] التوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة [illegible] انتهى وقد تقدمت الاشارة [illegible] قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا [illegible] ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يارحمن يارحيم [illegible] المشركون كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين [illegible] الرحمن [illegible] فنزلت الآية [illegible] ابن عطية [illegible] المشركون يدعو يا الله يارحمن فقالوا كان يدعو إلها واحدا وهو يدعو إلهين [illegible] كان [illegible] حتى [illegible] فقال المشركون [illegible] الرحمن [illegible] أهل الكتاب [illegible] للرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] ذكر الرحمن [illegible] في التوراة [illegible] في انكار القرآن أن يكون [illegible]

[illegible] ولاحتماء من ذل وقد يكون [illegible] بتحمل هذين الوجهين [illegible] وكبره تكبيرا [illegible] سورة [illegible]

[illegible]

الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لآلهتهم عدلوا الى رميه عليه الصلاة والسلام بأن ما نهاهم عنه من جمع هو اليه فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ادعوا الله الآية والظاهر من أسباب النزول ان الدعاء هنا قوله يا رحمن يا رحيم أو يا الله يا رحمن فهو من الدعاء بمعنى النداء والمعنى ان دعوتم الله فهو اسمه وان دعوتم الرحمن فهو صفته * قال الزمخشري والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا انتهى ودعوت هذه من الأفعال التي تتعدى الى اثنين ثانيهما بحرف جر تقول دعوت ولدي بزيد ثم تتسع فتحذف الباء * وقال الشاعر في دعا هذه

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

وهي أفعال تتعدى الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر يحفظ ويقتصر فيها على السماع وعلى ما قال الزمخشري يكون الثاني لقوله ادعوا لفظ الجلالة ولفظ الرحمن وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف وكأن التقدير ادعوا معبودكم بالله أو ادعوه بالرحمن ولهذا قال الزمخشري المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير فمعنى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا اما هذا واما هذا انتهى وكذا قال ابن عطية هما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذلك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذلك وأي هنا شرطية * والتنوين قيل عوض من المضاف وما زائدة مؤكدة * وقيل ما شرط ودخل شرط على شرط * وقرأ طلحة بن مصرف أيا من تدعوا فاحتمل أن تكون من زائدة على مذهب الكسائي اذ قد ادعى زيادتها في قوله * يا شاة من قنص لمن حلت له * واحتمل أن يكون جمع بين أداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر نحو قول الشاعر * فأصبحن لا يسألنني عن بما به * وذلك لاختلاف اللفظ والضمير في فله عائد على مسمى الاسمين وهو واحد أي فمسماهما الأسماء الحسنى وتقدم الكلام على قوله الأسماء الحسنى في الأعراف وقوله فله هو جواب الشرط * قيل ومن وقف على أيا جعل معناه أي اللفظين دعوتموه به جاز ثم استأنف فقال ما تدعوه فله الأسماء الحسنى وهذا لا يصح لان ما لا تطلق على آحاد أولي العلم ولان الشرط يقتضي عموما ولا يصح هنا والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس وعائشة وجماعة * وعن ابن عباس أيضا هي قراءة القرآن في الصلاة فهو على حذف مضاف أي بقراءة الصلاة ولا يلبس تقدير هذا المضاف لأنه معلوم ان الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان عليه الصلاة والسلام يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون فأمر أن يخفض من صوته حتى لا يسمع المشركين وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين * وابتغ بين ذلك أي بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وتقدم الكلام على بين ذلك في قوله عوان بين ذلك * وقال ابن عباس أيضا والحسن لا تحسن علانيتها وتسيء سريتها * وعن عائشة الصلاة يراد بها هنا التشهد * وقال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك وكان أبو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها * فقيل لهما في ذلك فقال أبو بكر انما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي * وقال عمر أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان وما نزلت قيل لأبي بكر ارفع أنت قليلا * وقيل لعمر اخفض أنت قليلا وعن ابن عباس أيضا المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل * وقال ابن زيد معنى الآية على ما يفعله أهل الانجيل

والتوراة من رفع الصوت أحيانا فيرفع الناس معه ويخفض أحيانا فيسكت الناس خلفه انتهى كما
يفعل أهل زماننا من رفع الصوت بالتلحين وطرائق النغم المتخذة للغناء ولما ذكر تعالى أنه واحد وإن
تعددت أسماؤه أمر تعالى أن يحمده على ما أنعم به عليه مما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء ووصف
نفسه بأنه لم يتخذ ولدا فيعتقد فيه تكثر بالنوع وكان ذلك ردا على اليهود والنصارى والعرب الذين
عبدوا الأصنام وجعلوها شركاء لله والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا أنهم بنات الله ونفى
أولا الولد خصوصا ثم نفى الشريك في ملكه وهو أعم من أن ينسب إليه ولد فيشركه أو غيره ولما
نفى الولد ونفى الشريك نفى الولي وهو الناصر وهو أعم من أن يكون ولدا أو شريكا أو غير شريك
ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون للتفضل والرحمة
لمن والى من صالحي عباده كان النفي لمن ينتصر به من أجل المذلة إذ كان مورد الولاية يحتمل هذين
الوجهين فنفى الجهة التي لأجل النقص بخلاف الولد والشريك فإنهما نفيا على الإطلاق وجاء
الوصف الأول بقوله الذي لم يتخذ ولدا والمعنى أنه تعالى لم يسم ولم يعد أحدا ولدا ولم ينفه بجهة التوالد
لاستحالة ذلك في بداءة العقول فلا يتعرض لنفيه بالمنقول ولذلك جاء ما اتخذ الله من ولد لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا * وقال مجاهد في قوله ولم يكن له ولي من الذل المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر
أحد * وقال الزمخشري ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من
أجل المذلة به ليدفعها بموالاته * وقيل ولم يكن له ولي من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس
فيكون من الذل صفة لولي انتهى أي ولي من أهل الذل فعلى هذا ونحوه يكون من في معنى المفعول
به أو للسبب أو للتبعيض * وقال الزمخشري (فإن قلت) كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك
والذل بكلمة التحميد (قلت) لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق
جنس الحمد والذي تقرر أنه لا يسلط من حيث المعنى على القيد أي لا ذل يوجد في حقه فيكون
له ولي ينتصر به منه فالذل والولي الذي يكون اتخاذه بسببه منتفيان * وكبره تكبيرا التكبير أبلغ
لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال وأكده بالمصدر تحقيقا له وإبلاغا في معناه وختمت هذه
السورة بتحميد الله تعالى واختتمت به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية وفق الله تعالى آخره والله أعلم

* سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية مكية *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع
نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم
أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا
فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن
نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا

فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا * بخع يبخع بخعا وبخوعا أهلك من شدة الوجد وأصله الجهد قاله الأخفش والفراء وفي حديث عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك * وقال الكسائي بخع الأرض بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة * وقال الليث بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده وأنشد قول الفرزدق

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشيء نحته عن يديه المقادير

أي نحته مشدد الحاء مخففة * قال أبو عبيدة كان ذو الرمة ينشد الوجد بالرفع * وقال الأصمعي انما هو الوجد لنحو [illegible] فيكون نصبا على أنه مفعول من أجله * جرز الأرض بقحط أو جراد أو نحوه ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها وأرضون أجراز ويقال سنة جرز وسنون أجراز لا مطر فيها وجرز الأرض خير ذا أكل ما فيها ورجل جروز أي أكول * قال الشاعر

إن العجوز خبة جروزا * تأكل كل ليلة قفيزا

* الكهف المغارة في الجبل فإن لم يكن واسعا فهو غار * وقال ابن الانباري * حكى

اللغويون أنه بمنزلة الغار فى الجبل * الرقيم فعيل من رقم اما بمعنى مفعول وإما بمعنى فاعل و يأتى ان شاء الله الاختلاف فى المراد به عن المفسرين * فأما قول أمية بن أبى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همد

فعنى به كلبهم * أحصى الشئ حفظه وضبطه * الشطط الجور وتعدى الحد والغلو * وقال الفراء اشتط فى السوم جاوز القدر وشط المنزل بعد شطوطا وشط الرجل واشط جار وشطت الجارية شطاطا وشطاطة طالت * تزور تروغ وتميل * وقال الاخفش تزور تنقبض انتهى والزور الميل والازور المائل بعينه الى ناحية ويكون فى غير العين * قال ابن أبى ربيعة

* وجنبى خيفة القوم أزوره * وقال عنترة

فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الى بعبرة وتحمحم

* وقال بشر بن أبى حازم *

تؤم بها الحداة مياه نخل * وفيها عن أبانين ازورار

ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق * قرض الشئ قطعه تقول العرب قرضت موضع كذا أى قطعته * وقال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أجواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

وقال الكوفيون قرضت موضع كذا حاذيته وحكوا عن العرب قرضته قبلا ودبرا * الفجوة المتسع من الفجاء وهو تباعد ما بين الفخذين رجل أفجأ وامرأة فجواء وجمع الفجوة فجاء * اليقظ المتنبه وجمعه ايقاظ كعضد وأعضاد ويقاظ كرجل ورجال ورجل يقظان وامرأة يقظى * الرقاد [illegible] وسمى به [illegible] * الوصيد الفناء * وقيل العتبة * وقيل الباب * قال الشاعر

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

ورق الفضة مضروبة وغير مضروبة * السرادق قال أبو منصور الجواليقى هو فارسى معرب [illegible] سرادار وهو الدهليز * قال الفرزدق

[illegible] حتى [illegible] ما [illegible] * [illegible] قبل الضرب السرادقا

[illegible] أى دوسر دق * المهل ما أذيب من جواهر الأرض * وقيل دردى الزيت * الشوى [illegible] من غير عرق * السوار ما جعل فى الذراع من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص و يجمع أسورة فى القلة [illegible] وأخمرة وعلى حمر وفى الكثرة [illegible] وحمر لأنه تسكن عينه الا فى الشعر [illegible] وأساور جمع أسورة * وقال أبو عبيدة جمع أسوار و يقال لكل ما فى الذراع من حلى وعنه [illegible] هو على حذف الزيادة وأصله أساوير * وأنشد ابن الانبارى

والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم أقمار

تضمهم من [illegible] * أخاف أن يصيبهم [illegible]

أو لاطم ليس له أسوار * لما رآنى [illegible] جبار

[illegible] وصح [illegible]

[illegible] رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه و لا [illegible] [illegible] روى [illegible] [illegible] قتيبة [illegible] وقيل [illegible] بالفعل وهو [illegible] يو [illegible] [illegible] [illegible] وقال المرقش

﴿سورة الكهف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحمد لله الذى أنزل﴾ الآية هذه السورة مكية وقيل فيها آيات مدنية وسبب نزولها ان قريشا بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه كان لهم أمر عجيب وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة الى مكة فسألاه فقال غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فاستمسك الوحى عنه خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا تركه رئيه الذى كان يأتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى ذلك جاءه الوحى بجواب الاسئلة وغيرها ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ذكر المؤمنين أنه يزيدهم خشوعا وأنه تعالى أمره بالحمد له وأنه لم يتخذ ولدا وأمره تعالى بحمده على انزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بالأجر الحسن ثم استطرد الى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب فى قوله وكبره تكبيرا الى الغيبة فى قوله على عبده لما فى عبده من الاضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ التركيب أنزل عليك والكتاب القرآن * قال الزمخشرى ولم يجعل له معطوفة على أنزل فهى داخلة فى الصلة ورتب على هذا أن الاحسن فى انتصاب قيما أن ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وقدره جعله قيما وقال ابن عطية قيما نصب على الحال من الكتاب فهو بمعنى التقديم (٩٤) مؤخر فى اللفظ أى أنزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذى الحال قوله ولم يجعل له عوجا اذا قلنا ان الجملة المنفية اعتراض فهو جائز وبفصل بجمل الاعتراض بين الحال وصاحبها والصحيح أنهما حالان من الكتاب الاولى جملة والثانية مفرد

راهن يلبسن المشاعر مرة * واستبرق الديباج طورا الباسها

* وقال ابن بحر الاستبرق المنسوج بالذهب * الاريكة السرير فى حجلة فان كان وحده فلا يسمى أريكة * وقال الزجاج الأرائك الفرش فى الحجال ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا

وكثير من أصحابنا على منع [illegible] وفى ذات أعاريب أخر ذكرت فى [illegible] والعوج فى المعانى كالعوج فى الاشخاص ونكر عوج ليعم جميع أنواعه [illegible] فى سياق [illegible] والمعنى أنه فى غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف فى معانيه ولا حوشية ولا عى فى تراكيبه ومبانيه [illegible] لعباده [illegible] ومعادهم ولذلك جاء بعده لينذر وليبشر ويجوز أن يتعلقا بقوله قيما ويجوز أن يتعلقا [illegible] لينذر [illegible] أن [illegible] ما يلحقهم من عذاب الله [illegible] من لدنه تقدم الكلام فى أول هود والا [illegible] أجرا حسنا [illegible] ما كثين فيه أى مقيمين فجعله ظرفا لاقامتهم ولما كان المكث لا يقتضى التأبيد قال أبدا [illegible] على [illegible] وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير فى لهم والذين [illegible] قالوا [illegible] بعض اليهود فى عزير وبعض النصارى فى المسيح وبعض العرب فى الملائكة والضمير فى به الظاهر أنه عائد على [illegible] ما لهم به من علم فالجملة فى موضع الحال أى قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا [illegible] فالظاهر [illegible] على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على [illegible] كلمة والجملة بعدها صفة لها [illegible] استعظام [illegible] على [illegible] فى القلوب ويخف به الحس لا يمكن أن [illegible] كلمة وان نافية أى ما يقولون وكذا [illegible] فى المحذور [illegible] وباخع قال الفراء [illegible] الرسول عليه

﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾

هي مكية كلها إلا في قول [illegible] وعن ابن عباس وقتادة إلا قوله واصبر نفسك الآية فمدنية * وقال مقاتل إلا من أولها إلى جرزا ومن قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآيتين فمدني * وسبب نزولها أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم فقالت سلوه فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة إلى مكة فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فاستمسك الوحي خمسة عشر يوما فأرجف كفار قريش وقالوا إن محمدا قد تركه رئيه الذي كان يأتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه فشق ذلك عليه فلما انقضى الأمد جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها * وروي في هذا السبب أن اليهود قالت إن أجابكم عن الثلاثة فليس بنبي وإن أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبي فأنزل الله سورة أهل الكهف وأنزل بعد ذلك ويسألونك عن الروح * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وذكر المؤمنين به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعا وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولدا أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا المبشر المؤمنين بالأجر الحسن ثم استطرد إلى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله وكبره تكبيرا إلى الغيبة في قوله على عبده لما في عبده من الإضافة المقتضية تشريفه ولم يجيء التركيب أنزل عليك * والكتاب القرآن والعوج في المعاني كالعوج في الأشخاص ونكر عوجا ليعم جميع أنواعه لأنها نكرة في سياق النفي والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه لا حوشية ولا عي في تراكيبه ومبانيه وقيما تأكيد لإثبات الاستقامة إن كان مدلوله مستقيما وهو قول ابن عباس والضحاك * وقيل قيما بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معاشهم ومعادهم * وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها * واختلفوا في هذه الجملة المنفية فزعم الزمخشري أنها معطوفة على أنزل فهي داخلة في الصلة ورتب على هذا أن الأحسن في انتصاب قيما أن ينتصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وقدره جعله قيما * وقال ابن عطية قيما نصب على الحال من

لكونهم لم يؤمنوا وتولوا على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم إدبار وتباعد عن الإيمان وإعراض عن الشرع وكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فأنت في آثارهم تحزن عليهم وتحنى على آثارهم من بعدهم أي بعد يأسك من إيمانهم أو بعد موتهم على الكفر ويقال مات فلان على أثر فلان أي بعده والإشارة بهذا الحديث إلى القرآن قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها وأسفا مفعول من أجله وأصله حزنا وارتباطا قوله ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ بما قبله هو على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه تعالى أخبر أنه خلق ما على الأرض من الزينة للابتلاء والاختبار أي الناس أحسن عملا وليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل لا بد أن يكون فيهم من هو أحسن عملا ومن هو أسوأ عملا فلا تغتم ولا تحزن على من قضيت عليه بأنه يكون أسوأ عملا ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها وجعلنا هنا بمعنى خلقنا والظاهر أن ما يراد بها غير العاقل وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل وزينة كل شيء بحسبه وانتصب زينة على الحال أو المفعول من أجله إن كان جعلنا بمعنى خلقنا وأوجدنا وإن كان بمعنى صيرنا فانتصب على أنه مفعول ثان وأيهم يحتمل أن تكون الضمة فيها إعرابا فتكون أيهم مبتدأ وأحسن خبره والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق ليبلوهم إجراء لها مجرى العلم لأن الابتلاء والاختبار سبب لعلم ويحتمل أن تكون الضمة فيها على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء في أي وهو كونها مضافة قد حذف صدر صلتها فأحسن خبر مبتدإ محذوف تقديره هو أحسن ويكون أيهم موصولا في موضع نصب بدلا من الضمير في ليبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس أحسن عملا ﴿وإنا لجاعلون﴾ أي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها أو ما عليها مما هو أعم من الزينة وغيره ﴿صعيدا﴾ ترابا جرزا لا نبات فيه وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما

الـكتاب فهو بمعنى التقديم مؤخر فى اللفظ أى أنزل الـكتاب قيما واعترض بين الحال وذى الحال قوله ولم يجعل له عوجا ذكره الطبرى عن ابن عباس ويجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره أنزله أو جعله قيما * أما اذا قلنا بأن الجملة المنفية اعتراض فهو جائز ويفصل بجمل للاعتراض بين الحال وصاحبها * وقال العسكرى فى الآية تقديم وتأخير كأنه قال احمدوا الله على انزال القرآن قيما لاعوج فيه ومن عادة البلغاء أن يقدّموا الأهم * وقال أبو عبد الله الرازى ولم يجعل له عوجا يدل على كونه مكملا فى ذاته وقوله قيما يدل على كونه مكملا بغيره فثبت بالبرهان العقلى ان الترتيب الصحيح هو الذى ذكره الله وان ماذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه * وقال الـكرمانى اذا جعلته حالا وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير والصحيح انهما حالان من الـكتاب الأولى جملة والثانية مفرد انتهى وهذا على مذهب من يجوز وقوع حالين من ذى حال واحد بغير عطف وكثير من أصحابنا على منع ذلك انتهى واختاره الأصبهانى وقال هما حالان متواليان والتقدير غير جاعل له عوجا قيما * وقال صاحب حل العقد يمكن أن يكون قوله قيما بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا أى جعله مستقيما قيما انتهى ويكون بدل مفرد من جملة كما قالوا فى عرفت زيدا أبو من انه بدل جملة من مفرد وفيه خلاف * وقيل قيما حال من الهاء المجرورة فى ولم يجعل له مؤكدة * وقيل منتقلة والظاهر ان الضمير فى له عائد على الـكتاب وعليه التخاريج الاعرابية السابقة وزعم قوم ان الضمير فى له عائد على عبده والتقدير على عبده وجعله قيما وحفص يسكت على قوله عوجا سكتة خفيفة ثم يقول قيما وفى بعض مصاحف الصحابة ولم يجعل له عوجا لكن جعله قيما ويحمل ذلك على تفسير المعنى لا انها قراءة * وأنذر يتعدى لمفعولين قال انا أنذرناكم عذابا قريبا وحذف هنا المفعول الأول وصرح بالمنذر به لأنه هو الغرض المسوق اليه فاقتصر عليه ثم صرح بالمنذر فى قوله حين كرر الانذار فقال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فحذف المنذر أولا لدلالة الثانى عليه وحذف المنذر به لدلالة الاول عليه وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة ولما لم يكرر البشارة أتى بالمبشر والمبشر به والظاهر ان لينذر متعلقة بأنزل * وقال الحوفى تتعلق بقيما ومفعول لينذر المحذوف قدره ابن عطية لينذر العالم وأبو البقاء لينذر العباد أو لينذركم والزمخشرى قدره خاصا قال وأصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبأسة انتهى وكأنه راعى فى تعيين المحذوف مقابله وهو ويبشر المؤمنين الذين والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل أن يندرج فيه ما لحقهم من عذاب الدنيا ومعنى من لدنه صادر من عنده * وقرأ أبو بكر بسكون الدال واشمامها الضم وكسر النون وتقدم الكلام عليها فى أول هود * وقرئ ويبشر بالرفع والجمهور بالنصب عطفا على لينذر والأجر الحسن الجنة ولما كنى عن الجنة بقوله أجرا حسنا قال ماكثين فيه أى مقيمين فيه فجعله ظرفا لاقامتهم ولما كان المكث لا يقتضى التأبيد قال أبدا وهو ظرف دال على زمن غير متناه وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير فى لهم والذين نسبوا الولد لى الله تعالى بعض اليهود فى عزير وبعض النصارى فى المسيح وبعض العرب فى الملائكة والضمير فى به الظاهر انه عائد على الولد الذى ادّعوه * قال المهدوى فتكون الجملة صفة للولد * قال ابن عطية وهذا معترض لانه لا يصفه الا القائل وهم ليس قصدهم أن يصفوه والصواب عندى نفيه مؤتنف أخبر الله تعالى به بجهلهم فى ذلك ولا موضع للجملة من الاعراب ويحتمل أن يعود على الله تعالى وهذا التأويل أذم لهم وأقضى فى الجهل التام عليهم وهو

تضمنته أيدى المترفين من زينتها إذ مآل ذلك كله الى الفناء والمحاق

قول الطبري انتهى * قيل والمعنى ما لهم بالله من علم فينزهوه عما لا يجوز عليه ويحتمل أن يعود على القول المفهوم من قالوا أي ما لهم بقولهم هذا من علم فالجملة في موضع الحال أي قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر في ما يجوز ويمتنع * وقيل يعود على الاتخاذ المفهوم من اتخذ أي ما لهم بحكمة الاتخاذ من علم إذ لا يتخذه إلا من هو عاجز مقهور يحتاج الى معين يشد به عضده وهذا مستحيل على الله * قال الزمخشري اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به انتهى * ولا لآبائهم معطوف على لهم وهم من تقدم من أسلافهم الذين ذهبوا الى هذه المقالة السخيفة بل من قال ذلك انما قاله عن جهل وتقليد وذكر الآباء لان تلك المقالة قد أخذوها عنهم وتلقفوها منهم * وقرأ الجمهور كلمة بالنصب والظاهر انتصابها على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدا وفي ذلك معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوس به الشيطان في القلوب ويحدث به النفس لا يمكن أن يتفوه به بل يصرف عنه الفكر فكيف بمثل هذا المنكر وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة * وقال ابن عطية وهذه المقالة هي قائمة في النفس معنى واحد فيحسن أن تسمى كلمة وقال أيضا وقرأ الجمهور بنصب الكلمة كما تقول نعم رجلا زيد وفسر بالكلمة ووصفها بالخروج من أفواههم فقال بعضهم نصبها على التفسير على حد نصب قوله تعالى وساءت مرتفقا وقالت فرقة نصبها على الحال أي كبرت فريتهم ونحو هذا انتهى فعلى قوله كما تقول نعم رجلا زيد يكون المخصوص بالذم محذوفا لانه جعل تخرج صفة لكلمة والتقدير كبرت كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة التي فاهوا بها وهي مقالتهم اتخذ الله ولدا والضمير في كبرت ليس عائدا على ما قبله بل هو مضمر يفسره ما بعده وهو التمييز على مذهب البصريين ويجوز أن يكون المخصوص بالذم محذوفا وتخرج صفة له أي كبرت كلمة كلمة تخرج من أفواههم وقال أبو عبيدة نصب على التعجب أي أكبر بها كلمة أي من كلمة * وقرئ كبرت بسكون الباء وهي في لغة تميم * وقرأ الحسن وابن يعمر وابن محيصن والقواس عن ابن كثير بالرفع على الفاعلية [illegible] أي ما يقولون وكذبا نعت لمصدر محذوف أي قولا كذبا [illegible] فلعلك باخع نفسك [illegible] ولا اشفاق في المحذور * وقال العسكري [illegible] موضوعة [illegible] نفسك * وقيل وضعت موضع الاستفهام تقديره هل أنت باخع نفسك [illegible] وتوقيف بمعنى الانكار عليه أي لا تكن كذلك * وقال الزمخشري [illegible] يؤمنوا به وما تداخله من الوجد [illegible] حسرات على آثارهم [illegible] قول كوفي والذي يظهر [illegible] لم يؤمنوا وقوله على آثارهم استعارة [illegible] فكأنهم من فرط ادبارهم [illegible] أي بعد يأسك من ايمانهم أو بعد موتهم على الكفر [illegible] باخع نفسك بالاضافة وقرأ الجمهور باخع نفسك [illegible] الزمخشري [illegible]

(الدر)

﴿سورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ح) وقرأ الجمهور باخع نفسك بالنصب (ش) على الأصل (ح) يعني أن اسم الفاعل إذا استوفى شروط العمل فالأصل أن يعمل وقد أشار إلى ذلك سيبويه في كتابه وقال الكسائي العمل والإضافة سواء وقد ذهبنا إلى أن الإضافة أحسن من العمل بما قررناه في علم النحو

يعني ان اسم الفاعل اذا استوفى شروط العمل فالأصل أن يعمل وقد أشار الى ذلك سيبويه في كتابه * وقال الكسائي العمل والاضافة سواء وقد ذهبنا الى أن الاضافة أحسن من العمل بما قررناه في ماوضعنا في علم النحو * وقرئ ان لم يؤمنوا بكسر الميم وفتحها فمن كسر * فقال الزمخشري هو يعني اسم الفاعل للاستقبال ومن فتح فللمضي يعني حاله الاضافة أي لان لم يؤمنوا والاشارة بهذا الحديث الى القرآن قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها *وأسفا قال مجاهد جزعا * وقال قتادة غضبا وعنه أيضا حزنا * وقال السدى ندما وتحسرا * وقال الزجاج الأسف المبالغة في الحزن والغضب * وقال منذر بن سعيد الأسف هنا الحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يد الآسف ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه كان غضبا كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم أي أغضبونا * قال ابن عطية واذا تأملت هذا في كلام العرب اطرد انتهى وانتصاب أسفا على أنه مفعول من أجله أو على انه مصدر في موضع الحال وارتباط قوله انا جعلنا الآية بما قبلها هو على سبيل التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى أخبر انه خلق ما على الأرض من الزينة للابتلاء والاختبار أي الناس أحسن عملا فليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل بل لابد أن يكون فيهم من هو أحسن عملا ومن هو أسوأ عملا فلا تغتم وتحزن على من فضلت عليه بانه يكون أسوأ عملا ومع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم مواد هذه النعم التي خلقتها وجعلنا هنا بمعنى خلقنا والظاهر أن ما يراد بها غير العاقل وانه يراد به العموم فيما لا يعقل *وزينة كل شئ بحسبه * وقيل لا يدخل في ذلك ما كان فيه ايذاء من حيوان وحجر ونبات لانه لا زينة فيه ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعته واحكامه * وقيل المراد بما هنا خصوص ما لا يعقل *فقيل الاشجار والانهار *وقيل النبات لما فيه من الاختلاف والازهار *وقيل الحيوان المختلف الاشكال والمنافع والافعال * وقيل الذهب والفضة والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والجوهر والمرجان وما يجري مجرى ذلك من نفائس الاحجار * وقال الزمخشري ما على الارض يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها *وقالت فرقة أراد النعيم والملابس والثمار والخضرة والمياه *وقيل ما هنا لمن يعقل فعن مجاهد هو الرجال وقاله ابن جبير عن ابن عباس وروى عكرمة أن الزينة الخلفاء والعلماء والامراء وانتصب زينة على الحال أو على المفعول من أجله ان كان جعلنا بمعنى خلقنا وأوجدنا وان كانت بمعنى صيرنا فانتصب على انه مفعول ثان واللام من لنبلوهم تتعلق بجعلنا والابتلاء الاختبار وهو متأول بالنسبة الى الله تعالى والضمير في لنبلوهم ان كانت ما لمن يعقل فهو عائد عليها على المعنى وأن لا يعود على ما نفهم من سياق الكلام وهو سكان الارض المكلفون وأيهم يحتمل أن يكون الضمير فيها اعرابا فيكون أيهم مبتدأ وأحسن خبره والجملة في موضع المفعول لنبلوهم ويكون قد علق لنبلوهم اجراء لها مجرى العلم لان الابتلاء والاختبار سبب للعلم كما علق واسل ونظر البصرية لانهما سببان للعلم والى ان الجملة استفهامية مبتدأ وخبر ذهب الحوفي ويحتمل أن تكون الضمة فيها بناء على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء أي وهو كونها مضافة وقد حذف صدر صلتها فأحسن خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أحسن ويكون أيهم في موضع نصب بدلا من الضمير في لنبلوهم والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس أحسن عملا *وقال الثوري أحسنهم عملا أزهدهم فيها *وقال أبو عاصم العسقلاني اترك لها *وقال الزمخشري حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها *وقال أبو بكر غالب بن عطية أحسن العمل

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف﴾ الآية أم هنا هي المنقطعة فتقدر ببل والهمزة قيل للإضراب عن الكلام الأول والمعنى الانتقال من كلام إلى آخر لا بمعنى الإبطال والهمزة للاستفهام وزعم بعض النحويين أن أم هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر في أم حسبت أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد لم ينهه عن التعجب وإنما أراد كل آياتنا كذلك وأهل الكهف هم الفتية الذين ذكرهم الله بعد ذلك والكهف هو الغار الذي في الجبل يستتر فيه ﴿والرقيم﴾ قيل هو اسم الكلب الذي كان معهم وقيل اسم قصر وقيل هذا الكهف هو في الروم وقيل في الشام * وبالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف * قال ابن عطية دخلت إليهم ورأيتهم منذ أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مخلق وبقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الأرض خربة وبأعلى غرناطة مما يلي القبلة آثار قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب من قبور ونحوها وإنما سهل ذكر هذا مع بعده لأنه عجب يتخلد ذكره ما شاء الله انتهى قال والذي فسح الله في مدته وحين كنا بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون أنهم يغلطون في عددهم إذا عدوهم وأن معهم كلبا ورحل الناس إلى لوشة لزيارتهم وأما ما ذكر من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كبارا ويترجح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى بها حتى إنها هي بلاد مملكتهم العظمى ولأن الأخبار بما هو في أقصى مكان عن أرض الحجاز أبعد أن لا يعرفه أحد لا بوحي من الله تعالى والعامل في إذ قيل اذكر وقيل عجبا ومعنى أوى جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام [illegible] تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده وهي الرزق والأمن [illegible] مستورين [illegible] ذوي ذوائب وهم من الروم [illegible] بالروم [illegible] وقال بعض [illegible] حيث جاء الإسلام في أرض [illegible] وهو كناية عن النوم وانتصب سنين على الظرف [illegible] على الكثرة لأنه لا يحتاج إلى أن يعد لما كثر لا ما قل [illegible] قال الزمخشري [illegible]

[illegible]

(٩٩)

أخذ بحق مع الإيمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم والإكثار من المندوب إليه * وقال الكلبي أحسن طاعة * وقال القاسم بن محمد ما عليها من الأنبياء والعلماء ليبلو المرسل إليهم والمقلدين للعلماء أيهم أحسن قبولا وإجابة * وقال سهل أحسن توكلا علينا فيها * وقيل أصفى قلبا وأحسن سمتا * وقال ابن إسحاق أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي وإنا لجاعلون أي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها أو ما عليها مما هو أعم من الزينة وغيرها صعيدا جرزا لا نبات فيه وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها إذ مآل ذلك كله إلى الفناء والمحاق * وقال الزمخشري ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك انتهى * قيل والصعيد ما تصاعد على وجه الأرض * وقال مجاهد الأرض التي لا نبات بها * وقال السدي الأملس المستوي * وقيل الطريق * وفي الحديث إياكم والقعود على الصعدات ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما

بالشتاب لجميع اليه وطلعيتك يعلم مضمون الجلة كما انه مفعول يعلم انتهى لا يجوز ما ذكره على مذهب البصريين لان الجلة اذ ذاك تكون فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل وكما أن تلك الجلة وغيرها من الجمل لاتقوم مقام الفاعل فكذلك لايقوم ما ناب عنه وللكوفيين مذهبان أحدهما أنه يجوز الاسناد الى الجلة مطلقا والثانى أنه لايجوز الا اذا كان الفعل مما يصح تعليقه وأى الحزبين مبتدأ وأحصى خبره وهو أفعل التفضيل والمتعلق به وأمدا مفعول أحصى غلط ابن عطية فاورد فيما بنى من الرباعى ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهى أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وفهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعى انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعى وفى بناء أفعل التعجب وأفعل التفضيل ثلاثة مذاهب يبنى مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاء منه ألفاظ لايبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن يكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كما أشكل الامر وأظلم الليل فيجوز أن يقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة فى كتب النحو قال الزمخشرى فان قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به فيه ولان أمدا لايخلو إما أن ينتصب بأفعل فافعل لايعمل وإما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت أنى أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر فى قوله * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على يضرب القوانس فقد أبعدت التناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبى على وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وأنه مذهب أبى اسحق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور (١٠٠) وقول غيره والهمزة فى أحصى ليست للنقل وأما

لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ﴿ أم هنا هى المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة * قيل للاضراب عن الكلام الاول بمعنى الانتقال من كلام الى آخر لا بمعنى الابطال والهمزة للاستفهام * وزعم بعض النحويين ان أم هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر فى أم حسبت انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * فقال مجاهد لم ينهه عن التعجب

قوله فافعل لايعمل ليس بصحيح لانه يعمل فى التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعرب من زعم أن أحصى أفعل التفضيل كما تقول زيد أقطع الناس سيفا ولم يعر به مفعولا به وأما قوله وما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أى لا يكون سديدا فقد ذهب الطبرى الى أن نصب أمدا بلبثوا قال ابن عطية وهذا غير متوجه انتهى وقد يتجه ذلك أن الامد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة كقوله ماننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل وأما قوله فان زعمت الى آخره فنقول لايحتاج الى هذا الزعم لان لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين فى أن أفعل التفضيل ينصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب باضرب نصب المفعول به وأما تأويله بضرب القوانس فقول البصريين وكذلك ذهب بعض النحويين الى أن قوله أعلم من يضل من منصوبة بأعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود * وأضرب منا بالسيوف القوانسا * لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمن ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف على ضرب غيرنا ﴿نحن نقص﴾ بدأ بقصتهم أولا مختصرة ثم ذكرها مفصلة مطولة ﴿نبأهم بالحق﴾ أى على وجه الصدق وجاء بلفظ نحن نقص موازنا لقوله لنعلم ثم قال ﴿ آمنوا بربهم ﴾ ففيه اضافة الرب ونوع السيد والناظر فى مصلحة عبيده ولم يأت التركيب آمنوا بنا للاشعار بتلك الرتبة وهى أنهم مربوبون له مملوكون ثم قال وزدناهم ولم يأت التركيب وزدهم لما فى لفظة نا من العظمة والجلالة وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح [illegible] والمباعدة للناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادة على الايمان الذى حصل لهم ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أى ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن والنعيم والفرار بالدين الى غار فى مكان قفر لا أنيس فيه ولا ماء ولا طعام والربط مثل [illegible] الانحلال ومنه [illegible] رابط الجأش اذا كانت نفسه لاتتفرق عند الفزع والخوف واللام فى لقد لام [illegible] جواب وحرف أى لقد قلنا اذ دعونا من دونه الها قولا شططا [illegible] شطط وهو التعدى والجور

[illegible]

وإنما أراد كل آياتنا كذلك * وقال قتادة لا يتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والأرض أكثر * وقال ابن عباس سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك * وقال الطبري تقريره عليه السلام على حسبانه أن أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى إنكار ذلك عليه أن لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم قال وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحق * وقال الزهراوي يحتمل معنى آخر وهو أن يكون استفهاما له هل علم أن أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى إثبات أنهم عجب ويكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التأويل هو في لفظة حسب انتهى وقال غيره معناه أعلمت أي لم تعلمه حتى أعلمتك * وقال الزمخشري ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال أم حسبت يعني أن ذلك من قصة أهل الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة انتهى * وقيل أي أم علمت أي فاعلم أنهم كانوا عجبا كما تقول أعلمت أن فلانا فعل كذا أي قد فعل [illegible] * وقيل الخطاب للسامع والمراد المشركون أي قل لهم أم حسبتم لآية [illegible] قد يقام مقام [illegible] والكهف تقدم تفسيره في [illegible] * وعن أنس [illegible] الكهف [illegible] في اللغة * وقال مجاهد [illegible] بين الجبلين [illegible] الكهف [illegible] هما * وعن ابن المسيب [illegible] فهم كأصحاب الكهف [illegible] فيها [illegible] أحد وعشرون [illegible] الكهف وقيل هم أصحاب الغار وفي الحديث [illegible] رسول صلى الله عليه وسلم [illegible] الرقيم [illegible] فأووا إلى الكهف [illegible] على باب الكهف [illegible] الحديث وهو حديث [illegible] والعمل [illegible] أورده فيه زيادة ألفاظ على ما في الصحيح [illegible] أصحاب الكهف ولم [illegible] أصحاب الرقيم [illegible] ابن عباس [illegible] لا يدري ما الرقيم [illegible] [illegible] السلام * وقيل [illegible] وقيل [illegible] [illegible] [illegible] الكهف [illegible] وبقدم [illegible] أمية [illegible] [illegible] بالرومية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قصة [illegible] [illegible] [illegible]

الروم * وقيل في الشام وان بالشام كهفا فيه موتى ويزعم مجاوروه انهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة * وبالاندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم ويزعم ناس انهم أصحاب الكهف * قال ابن عطية دخلت اليهم فرأيتهم منذ أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وباعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب من قبور ونحوها وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده لانه عجب يتخلد ذكره ماشاء الله عز وجل انتهى وحين كنا بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون في عدتهم اذا عدوهم وان معهم كلبا ويرحل الناس الى لوشة لزيارتهم وأما ما ذكر من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كبارا ويترجح كون أهل الكهف بالاندلس لكثرة دين النصارى بها حتى انها هي بلاد مملكتهم العظمى ولان الاخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد ان يعرفه أحد الا بوحي من الله تعالى والعامل في اذ * قيل أذكر مضمرة * وقيل عجبا ومعنى أوى جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله تعالى ان يؤتيهم رحمة من عنده وفسرها المفسرون بالرزق * وقال الزمخشري هي المغفرة والرزق والامن من الاعداء والفتية جمع فتى جمع تكسير جمع قلة وكذلك كانوا قليلين وعند ابن السراج انه اسم جمع لا جمع تكسير ولفظ الفتية يشعر بانهم كانوا شبابا وكذا روي انهم كانوا شبابا من أبناء الاشراف والعظماء مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوائب وهم من الروم اتبعوا دين عيسى عليه السلام *وقيل كانوا قبل عيسى وأصحابنا الأندلسيون تكثر في ألفاظهم تسمية نصارى الأندلس بالروم في نثرهم ونظمهم ومخاطبة عامتهم فيقولون غزونا الروم جاءنا الروم وقل من ينطق بلفظ النصارى ولما دعوا بايتاء الرحمة وهي تتضمن الرزق وغيره دعوا الله بأن يهيء لهم من أمرهم الذي صاروا اليه من مفارقة دين أهليهم وتوحيد الله رشدا وهي الاهتداء والديمومة عليه * وقال الزمخشري واجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا * وقرأ أبو جعفر وشيبة والزهري وهي ويهي بياءين من غير همز يعني انه أبدل الهمزة الساكنة باء وفي كتاب ابن خالويه الأعشى عن أبي بكر عن عاصم وهي لنا ويهي لكم لا يهمز انتهى فاحتمل أن يكون أبدل الهمزة باء واحتمل أن يكون حذفها فالاول ابدال قياسي والثاني مختلف فيه ينقاس حذف الحرف المبدل من الهمزة في الامر أو المضارع اذا كان مجزوما * وقرأ أبو رجاء رشدا بضم الراء واسكان الشين * وقرأ الجمهور رشدا بفتحهما * قال ابن عطيه وهي أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم وألفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط فإنها كافية ويحتمل ذكر الرحمة أن يراد بها أمر الآخرة انتهى فضربنا على آذانهم ستعارة بديعة للنومة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها وعبر بالضرب ليدل على قوة المباشرة واللصوق واللزوم ومنه ضربت عليهم الذلة وضرب الجزية وضرب البعث * وقال الفرزدق

ضربت عليك العنكبوت بنسجها * وقضى عليك به الكتاب المنزل

﴿ وقال الاسود بن يعفر ﴾

ومن الحوادث لا أبالك انني ＊ ضربت على الارض بالاسداد

﴿ وقال آخر ﴾

ان المروءة والسماحة والندى ＊ في قبة ضربت على ابن الحشرج

استعير للزوم هذه الاوصاف لهذا الممدوح وذكر الجارحة التي هي الآذان اذ هي يكون منها السمع لانه لا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ＊ وفي الحديث ذلك رجل بال الشيطان في أذنه أي استثقل نومه جدا حتى لا يقوم بالليل ومفعول ضربنا محذوف أي حجابا من ان يسمع كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة وانتصب سنين على الظرف والعامل فيه فضربنا وعددا [illegible] وصف به أو منتصب بفعل مضمر أي بعد عددا او بمعنى اسم المفعول كالقبض والنفض ووصف به سنين أي سنين معدودة والظاهر في قوله عددا الدلالة على الكثرة لانه لا يحتاج أن يعد الا ما كثر لا ما قل ＊ وقال الزمخشري ويحتمل أن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى وهذا تحريف في التشبيه لان لفظ الآية كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا التشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا اذا رأوا العذاب كما قال الشاعر

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ＊ ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

ثم بعثناهم أي أيقظناهم من نومهم والبعث التحريك عن سكون [illegible] الشخص و[illegible] الامر المبعوث فيه وان كان المبعوث فيه محركا ولنعلم أي لنظهر لهم [illegible] أمرهم وتقدم الكلام في نظير هذا في قوله لنعلم من يتبع الرسول ＊ وفي التحرير وقرأ الجمهور لنعلم بالنون وقرأ الزهري بالياء وفي كتاب ابن خالويه ليعلم أي [illegible] حكاه الاخفش ＊ وفي الكشاف وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول يعلم انتهى [illegible] ليعلم فيظهر ان ذلك التفات خرج من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة فيكون معناها ومعنى لنعلم بالنون [illegible] وأما ليعلم فيظهر ان المفعول الاول محذوف [illegible] والتقدير ليعلم الله الناس أي [illegible] والجملة من الابتداء والخبر في موضع مفعولي [illegible] وأما في الكشاف فلا يجوز ما ذكره على مذهب البصريين لان الجملة [illegible] تكون في موضع المفعول الذي لا يسمى فاعله وهو قائم مقام الفاعل فكما ان [illegible] الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا تقوم مقام ما ناب عنه والكوفيين [illegible] يجوز [illegible] الجملة اللفظية مطلقا و[illegible] لا يجوز الا ان كان مما يصح تعليقه [illegible] لقوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا [illegible] لبثتم [illegible] تطاول ويدل على ذلك [illegible] قوله تعالى مطولة [illegible] من قوله نحن نقص [illegible] من الآية [illegible] الفتية [illegible] الفتية على عهدهم حين كان [illegible] ودلت [illegible] كافرون [illegible] من قريش [illegible] الكهف [illegible] الكهف وقال [illegible] الكهف [illegible]

(ش) ويحتمل أن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار (ح) هذا تحريف في التشبيه لان لفظ الآية كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فهذا التشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا اذا رأوا العذاب كما قال

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى
ولم يكن صعلوكا اذا ما تمولا

(ش) وقرئ ليعلم وهو معلق عنه لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول يعلم (ح) لا يجوز ما ذكر على مذهب البصريين لان الجملة اذ ذاك تكون في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو قائم مقام الفاعل فكما ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام الفاعل فكذلك لا تقوم مقام ما ناب عنه والكوفيين [illegible] يجوز [illegible] الجملة اللفظية [illegible] لا يجوز [illegible] يصح تعليقه

واختلفوا في مدة اقامتهم * وقيل حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم قاله الفراء * وقال ابن عباس الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب وأهل الكهف حزب * وقال ابن بحر الحزبان الله والخلق كقوله أأنتم أعلم أم الله وهذه كلها أقوال مضطربة * وقال ابن قتادة لم يكن الفريقين علم بلبثهم لا المؤمن ولا الكافر بدليل قوله الله أعلم بما لبثوا * وقال مقاتل كما بعثوا زال الشك وعرفت حقيقة اللبث وأحصى جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون فعلا ماضيا وما مصدرية وأمدا مفعول به وأن يكون أفعل تفضيل وأمدا تمييز واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية أن تكون فعلا ماضيا ورجحوا هذا بأن أحصى اذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي وعندهم ان ما أعطاه وما أولاه للمعروف وأعدى من جرب شاذ لا يقاس و يقول أبو اسحق انه قد كثر من الرباعي فيجوز وخلط ابن عطيه فأورد فيها في من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الأمر وأظلم الليل فيجوز أن تقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو واذا قلنا بأن أحصى اسم للتفصيل جاز أن يكون أي الحزبين موصولا مبنيا على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء فيه وهو كون أي مضافة حذف صدر صلتها والتقدير لنعلم الفريق الذي هو أحصى لما لبثوا أمدا من الذين لم يحصوا واذا كان فعلا ماضيا امتنع ذلك لانه اذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة بنفسه في تقدير جعل أي موصوله فلا يجوز بناؤها لانه فات تمام شرطها وهو أن يكون حذف صدر صلتها وقال (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفصيل (قلت) ليس

(الدر) (ع) وخلط ع فأورد فيها يبنى من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن وهو لما سواها أضيع قال وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاث مذاهب يبنى منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الامر وأظلم الليل فيجوز أن يقول ما أشكل هذه المسئلة وما أظلم هذا الليل وهو اختيار ابن عصفور من أصحابنا ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو (ش) فان قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياسي ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على (١٠٤) الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو اما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت ان نصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد أبعدت التناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره وضمره (ح) أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي علي وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وانه مذهب أبي اسحق وان التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة في أحصى ليست للنقل وأما دعواه وأفعل لا يعمل فليس صحيحا لانه يعمل في التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعربه من زعم ان أحصى أفعل للتفصيل كما تقول زيد أقطع الناس سيفا وزيد أقطع للهام سيفا ولم يعربه مفعولا به وأما قوله واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري الى أن نصبه [illegible] (ع) وهما غير متجه انتهى وقد يتجه وذلك أن الأمد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة [illegible] الحقيقة و [illegible] بمعنى الذي وأمدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من أمد [illegible] كقوله مما خطيئاتهم وما ينسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما [illegible] الزمخشري لا يصح [illegible] الرسم لانه لقائل ذلك أن يسلك مذهبا كوفيا [illegible] المفعول به وأما تأويله يضرب القوانس قول [illegible] المفعول به ولو كثر وجود مثل وأضرب

بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو اما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل واما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا * على يضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره انتهى أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي علي وقد ذكرنا ان ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وانه مذهب أبي اسحق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره والهمزة في أحصى ليست للنقل وأما قوله فأفعل لا يعمل ليس بصحيح فانه يعمل في التمييز وأمدا تمييز وهكذا أعربه من زعم ان أحصى أفعل للتفضيل كما تقول زيد أقطع الناس سيفا وزيد أقطع للهام سيفا ولم يعربه مفعولا به وأما قوله واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى أي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري الى نصب أمدا بلبثوا * قال ابن عطية وهذا غير متجه انتهى وقد يتجه ذلك ان الأمد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث ان للمدة غاية في أمد المدة على الحقيقة وما بمعنى الذي وأمدا منتصب على اسقاط الحرف وتقديره لما لبثوا من أمد أي مدة ويصير من أمد تفسيرا لما انبهم في لفظ ما لبثوا كقوله ما ننسخ من آية ما يفتح الله للناس من رحمة ولما سقط الحرف وصل اليه الفعل وأما قوله فان زعمت الى آخره فيقول لا يحتاج الى هذا الزعم لانه لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في ان أفعل للتفضيل ينتصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به واما تأويله بضرب القوانس فقول البصريين وبذلك ذهب بعض النحويين الى أن قوله أعلم من يضل منصوبة بأعلم نصب المفعول به ولو كثر وجود مثل وأضرب منا بالسيوف القوانسا لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ولما ذكر قوله لنعلم مشعرا باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص نبأهم على رسوله صلى الله عليه وسلم بالحق أي على وجه الصدق و [illegible] نحن نقص عليك نبأهم بالحق [illegible]

[illegible]

(الدر)

منا بالسيوف القوانسا لكنه يقيسه ويكون معناه صحيحا لان أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف على ضرب غيرنا

حيث صلبوا عليه وخلعوا دينه ورفضوا في ذات الله هيبته ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة الناس كما يقال قام فلان الى كذا اذا اعتزم عليه بغاية الجد * وقال الكرماني قاموا على أرجلهم * وقيل قاموا يدعون الناس سرا * وقال عطاء قاموا عند قيامهم من النوم قالوا وقيل قاموا على ايمانهم * وقال صاحب الغنيان إذ قاموا بين يدي الملك فتحركت هرة * وقيل فأرة ففزع دقيانوس فنظر بعضهم الى بعض فلم يتمالكوا ان قالوا ربنا رب السموات والارض وكان قومهم عباد أصنام وما أحسن ما وحدوا الله بان ربهم هو موجد السموات والارض المتصرف فيها على ما يشاء ثم أكدوا هذا التوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ النفي المستغرق تأبيد الزمان على قول واللام في لقد لام توكيد واذا حرف جواب وجزاء أي لقد قلنا لن ندعو من دونه إلها فولا شططا أي ذا شطط وهو التعدي والجور فشططا نعت لمصدر محذوف اما على الحذف كما قدرناه واما على الوصف به على جهة المبالغة * وقيل مفعول به بقلنا * وقال قتادة شططا كذبا * وقال أبو زيد خطأ ﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ﴾ ولما وحدوا الله تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة لهم في عبادة غير الله ثم عظموا اجرم من افترى على الله كذبا وهذه المقالة يحتمل ان قالوها في مقامهم بين يدي الملك تقبيحا لما هو وقومهم عليه وذلك أبلغ في التبري من عبادة الأصنام وأفت في عضد الملك إذا اجترؤا عليه بذم ما هو عليه ويحتمل ان قالوا ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه وهؤلاء مبتدأ * وقومنا قال الحوفي خبر واتخذوا في موضع الحال * وقال الزمخشري وتبعه أبو البقاء قومنا عطف بيان واتخذوا في موضع الخبر والضمير في من دونه عائد على الله ولولا تحضيض صحبه الانكار اذ يستحيل وقوع سلطان بين على ذلك فلا يمكن فيه التحضيض الصرف لخصومهم على ذلك على سبيل التعجيز لهم ومعنى عليهم على اتخاذهم آلهة واتخذوها يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لانها أصنامهم نحتوها وأن تكون بمعنى صيروا وفي ما ذكروه دليل على أن الدين لا يؤخذ الا بالحجة والدعوى اذا لم يكن عليها دليل فاسدة وهي ظلم وافتراء على الله وكذب بنسبة شركاء لله وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم فهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف على المفعول في اعتزلتموهم أي واعتزلتم معبودهم والا الله استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم لاندراج لفظ الجلالة في قوله وما يعبدون الا الله * وذكر أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله * وقال هذا أيضا الفراء ومنقطع ان كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم وفي مصحف عبد الله وما يعبدون من دوننا انتهى وما في مصحف عبد الله فيما ذكر هارون انما أريد به تفسير المعنى وان هؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله وليس ذلك قرآنا لمخالفته السواد ومصحف ابن مسعود منقول عن عبد الله لا هو متواتر ما ثبت في السواد وهو وما يعبدون الا الله وقيل وما يعبدون الا الله كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فعلى هذا معترضة ولا استثناء منه عائد له تعالى فأووا الى الكهف أي اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون اليه ينشر لكم فيه ... كانوا على ثقة من التوكل حيث أووا الى الكهف ورتبوا على مأواهم

﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ﴾ ولما وحدوا الله ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وانهم لا حجة لهم في عبادة غير الله ثم عظموا اجرم من افترى على الله كذبا والضمير في من دونه عائد على الله ولولا حرف تحضيض بمعنى هلا صحبه الانكار والسلطان الحجة والبرهان ﴿ وإذ اعتزلتموهم ﴾ خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم فهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف على المفعول في اعتزلتموهم أي واعتزلتم معبودهم والا الله استثناء متصل ان كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم لاندراج لفظ الجلالة في قوله وما يعبدون أو منقطع ان كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم ﴿ ينشر لكم ﴾ المعنى أنه يبسط عليكم رحمته ﴿ ويهيئ لكم ﴾ مرفقا ... من حيث لكم

﴿وترى الشمس اذا طلعت﴾ الآية هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فأووا الى الكهف فألقى الله تعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم وأرفقهم في الكهف بأشياء وقرئ تزاور بادغام تاء تزاور في الزاي وقرئ تزور على وزن تحمر وقرئ تزاور بحذف التاء على وزن تفاعل وبادغام التاء في الزاي والمعنى تروغ وتميل وذات اليمين جهة يمين الكهف وحقيقته المسالة باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف أو يمين الفتية وتقرضهم أي لا تقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة أي منسع من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ هذه الصفة مع الشمس يقتضي أنه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاوية وقال عبد الله ابن مسلم كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وعلى هذا كان أعلا الكهف مستورا من المطر ﴿وتحسبهم أيقاظا﴾ جمع يقظ بمعنى منتبه من النوم ﴿وهم رقود﴾ جملة حالية وقيل كانت أعينهم مفتحة فيحسبهم الرائي أنهم منتبهون والظاهر أن قوله ونقلبهم خبر مستأنف وقيل انما وقع الحسبان من جهة تقلبهم ولا سيما اذا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وذات منصوب على الظرف وأصله صفة للجهة كأنه في جهة ذات اليمين والظاهر أن قوله وكلبهم [illegible] خيوب [illegible] تبعهم ونصيد [illegible] الكهف قال الزمخشري [illegible] حكاية [illegible] لا يعمل [illegible]

لا يعمل [illegible] كان في معنى المضي [illegible] حقيقة [illegible] حكاية [illegible] الصفة [illegible] وقوله [illegible] اسماء الفاعل لا يعمل [illegible] كان في معنى المضي [illegible] هشام [illegible] يجوز [illegible] وتحسبهم [illegible] ونقلبهم [illegible] لعر [illegible]

اليه تنتشر رحمة الله عليهم وتهيئة رفقه تعالى بهم لان من أخرجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان لا يضيعه والمعنى انه تعالى سيبسط علينا رحمته ويهيء لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا * قال ابن عباس ويهيء لكم يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف * وقال ابن الانباري المعنى ويهيء لكم بدلا من أمركم الصعب مرفقا * قال الشاعر

فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان

أي بدلا من ماء زمزم * وقال الزمخشري إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا * وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر وأبو بكر في رواية الأعشى والبرجمي والجعفي عنه وأبو عمرو في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفاء * وقرأ ابن أبي اسحاق وطلحة والأعمش وباقي السبعة بكسر الميم وفتح الفاء وقالوا جميعا في الأمر الذي يرتفق به وفي الجارحة حكاه الزجاج وثعلب * ونقل مكي عن الفراء أنه قال لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيء الا كسر الميم وأنكر الكسائي أن يكون المرفق من الجارحة الا بفتح الميم وكسر الفاء وخالفه أبو حاتم وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد * وقال أبو زيد هو مصدر كالرفق جاء على مفعل * وقيل هما لغتان فيما يرتفق به وأما من اليد فبكسر الميم وفتح الفاء لا غير وعن الفراء أهل الحجاز يقولون مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الانسان والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعا انتهى وأجاز معاذ فتح الميم والفاء ﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾ هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فأووا الى الكهف فألقى الله عليهم النوم واستجاب دعاءهم وأرفقهم في الكهف [illegible] * وقرأ الحرميان وأبو عمرو تزاور بادغام تاء تزاور في الزاي * وقرأ الكوفيون والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيد وابن سعدان ومحمد بن عيسى الأصبهاني وأحمد بن جبير الانطاكي بتخفيف الزاي [illegible] * وقرأ ابن أبي اسحاق وابن عامر وقتادة وحميد ويعقوب عن العمري تزور على وزن تحمر * وقرأ الجحدري وأبو رجاء وأيوب السختياني وابن أبي عبلة [illegible]

وجابر وورد عن أيوب تزوار على وزن تحمار * وقرأ ابن مسعود وأبو المتوكل تزوئر بهمزة قبل الراء على قولهم ادهأم واشعأل بالهمز فرارا من التقاء الساكنين والمعنى تزوغ وتميل وذات اليمين جهة يمين الكهف وحقيقته الجهة المسماة باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف أو يمين الفتية وتقرضهم لاتقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة أي متسع من الكهف * وقرأ الجمهور تقرضهم بالتاء * وقرأت فرقة بالياء أي يقرضهم الكهف * قال ابن عباس المعنى أنهم كانوا لاتصيبهم الشمس ألبتة * وقالت فرقة انها كانت الشمس بالعشي تنالهم بما في مسها صلاح لأجسامهم وهذه الصفة مع الشمس تقتضي أنه كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاوية * وقال عبد الله بن مسلم كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وعلى هذا كان أعلى الكهف مستورا من المطر * قال ابن عطية كان كهفهم مستقبل بنات نعش لاتدخله الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب اختار الله لهم مضجعا متسعا في مقناة لاتدخل عليهم الشمس فتؤذيهم وتدفع عنهم كربة الغار وغمومه * وقال الزمخشري المعنى انهم في ظل نهارهم كله لاتصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم انتهى وهو بسط قول الزجاج * قال الزجاج فعل الشمس آية من آيات الله دون أن يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك * وقال أبو علي معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيأ ثم تزول سريعا كالقرض يسترد والمعنى عنده ان الشمس تميل بالغدوة وتصيبه بالعشي اصابة خفيفة انتهى ولو كان من القرض الذي يعطى ثم يسترد لكان الفعل رباعيا فكان يكون تقرضهم بالتاء مضمومة لكنه من القطع وانما التقدير تقرض لهم أي تقطع لهم من ضوئها شيأ * قيل ولو كانت الشمس لاتصيب مكانهم أصلا لكان يفسد هواؤه ويتعفن ما فيه فيهلكوا والمعنى أنه تعالى دبر أمرهم فأسكنهم مسكنا لا يكثر سقوط الشمس فيه فيحمى ولا تغيب عنه غيبوبة دائمة فيعفن والاشارة بذلك الى ماصنعه تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة ومن قال انه كان مستقبل بنات نعش بحيث كان له حاجب من الشمس كان الاشارة الى أن حديثهم من آيات الله وهو هدايتهم الى توحيده واخراجهم من بين عبدة الأوثان وايواؤهم الى ذلك الكهف وحمايتهم من عدوهم والقاء الهيبة عليهم وصرف الشمس عنهم تيسيرا وتمايلا لئلا تفسد أجسامهم وانامتهم هذه المدة الطويلة وصونهم من البلى وثيابهم من التمزق ويدل على أنه اشارة الى الهداية قوله من يهد الله فهو المهتد وهو لفظ عام يدخل فيه ماسبق بسببهم وهم أهل الكهف ومن يضلل عام أيضا مثل دقيانوس الكافر وأصحابه واخطاب في وتحسبهم وفي وترى الشمس لمن قدر له أنه يطلع عليهم * قيل كانوا مفتحة أعينهم وهم نيام فيحسبهم الناظر منتبهين * قال أبو محمد بن عطية ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغير وذلك أن الغالب على النوام أن يكون لهم استرخاء وهيآت تقتضي النوم ويحسبه الرائي أيقاظا وإن كان مسدود العينين ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في أن يحسب عليهم التيقظ والظاهر أن قوله وتحسبهم أيقاظا اخبار مستأنف وليس على تقدير وقيل في الكلام حذف تقديره ولو رأيتهم لحسبتهم أيقاظا والظاهر أن قوله ونقلبهم خبر مستأنف وقيل [illegible] خمسه [illegible] ثم [illegible] دا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين [illegible] ونقلبهم ذات [illegible] حيث أسند التقليب الى الله تعالى وأنه هو

الفاعل ذلك وحكى الزمخشري أنه قرئ ويقلبهم بالياء مشددا أي يقلبهم الله * وقرأ الحسن فيما حكى الاهوازي في الاقناع ويقلبهم بياء مفتوحة ساكنة القاف مخففة اللام * وقرأ الحسن فيما حكى ابن جني وتقلبهم مصدر تقلب منصوبا وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم وعنه أيضا أنه قرأ كذلك الا أنه ضم الياء فهو مصدر مرتفع بالابتداء قاله أبو حاتم وذكر هذه القراءة ابن خالويه عن اليماني وذكر ان عكرمة قرأ وتقلبهم بالتاء باثنتين من فوق مضارع قلب مخففا * قيل والفائدة في تقليبهم في الجهتين لئلا تبلي الأرض ثيابهم وتأكل لحومهم فيعتقدوا أنهم ماتوا وهذا فيه بعد فان الله الذي قدر على أن يبقيهم أحياء تلك المدة الطويلة هو قادر على حفظ أجسامهم وثيابهم وعن ابن عباس لو مستهم الشمس لأحرقتهم ولولا التقليب لأكلتهم الارض انتهى وذات بمعنى صاحبة أي جهة ذات اليمين ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومجاهد وابن عياض بأقوال متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحا وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع أو غيره لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل وانما يدرك بالسمع والسمع لا يكون في مثل هذا الا عن الأنبياء أو الكتب الالهية ونستعمل ورودها لاختلاف عنها والظاهر أن قوله وكلبهم أريد به الحيوان المعروف وأغرب من ذهب الى أنه أسد وأغرب منه ذلك قول من ذهب الى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم * وحكى أبو عمر الزاهد غلام ثعلب أنه قرئ وكالئهم اسم فاعل من كلأ اذا حفظ فينبغي أن يحمل على أنه الكلب حفظه للانسان * قيل ويحتمل أن يراد بالكالئ الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه * وقرأ أبو جعفر الصادق وكالبهم بالباء واحدة أي صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر * وقال الزمخشري باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية انتهى وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء الى أنه يجوز أن يعمل وحجج الفريقين مذكورة في علم النحو [illegible]

[illegible]

(الدر)

(ش) باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا ان نويت حكاية الحال الماضية انتهى (ح) وقوله لان اسم الفاعل لا يعمل الا اذا كان في معنى المضي ليس اجماعا بل ذهب الكسائي وهشام ومن أصحابنا أبو جعفر بن مضاء الى أنه يجوز أن يعمل وحجج الفريقين مذكورة في علم النحو

لا يفرق الرائي بينهم وبين الأيقاظ وهم في فجوة تخترقها الرياح والمكان الذي بهذه الصورة لا يكون موحشا * وقرأ ابن عباس والحرميان وأبو حيوة وابن أبي عبلة بتشديد اللام والهمزة * وقرأ باقي السبعة بتخفيف اللام والهمزة * وقرأ أبو جعفر وشيبة بتشديد اللام وإبدال الياء من الهمزة * وقرأ الزهري بتخفيف اللام والإبدال وتقدم الخلاف في رعبا في آل عمران * وقرأ هنا بضم العين أبو جعفر وعيسى ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا ﴾ الكاف للتشبيه والإشارة بذلك * قيل إلى المصدر المفهوم من فضربنا على آذانهم أي مثل جعلنا إنامتهم هذه المدة الطويلة آية جعلنا بعثهم آية قاله الزجاج وحسنه الزمخشري * فقال وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذكارا بقدرته على الإماتة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به انتهى وناسب هذا التشبيه قوله تعالى حين أورد قصتهم أولا مختصرة فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم * وقال ابن عطية الإشارة بذلك إلى الأمر الذي ذكره الله في جهتهم والعبرة التي فعلها فيهم واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة لأن بعثهم لم يكن لنفس تساؤلهم انتهى والقائل * قيل كبيرهم مكسلمينا * وقيل صاحب نفقتهم تمليخا وكم سؤال عن العدد والمعنى كم يوما أقمتم نائمين والظاهر صدور الشك من المسؤلين * وقيل أو للتفصيل * قال بعضهم لبثنا يوما * وقال بعضهم بعض يوم والسائل أحس في خاطره طول نومهم ولذلك سأل * قيل ناموا أول النهار واستيقظوا آخر النهار وجوابهم هذا مبني على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك في الإخبار ردوا علم لبثهم إلى الله تعالى * وقال الزمخشري قالوا ربكم أعلم بما لبثتم إنكار عليهم من بعضهم وأن الله تعالى أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله انتهى ولما انتبهوا من نومهم أخذهم ما يأخذ من نام طويلا من الحاجة إلى الطعام واتصل فابعثوا بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك إلى الله والمبعوث قيل هو تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا [illegible] نفقة وكانت حاضرة عندهم فلهذا أشاروا إليها ولهم هذه * وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر والحسن والأعمش واليزيدي ويعقوب في رواية وخلف وأبو عبيد وابن سعدان بورقكم بإسكان الراء * وقرأ باقي السبعة بكسرها * وقرأ أبو رجاء بكسر الواو وإسكان الراء وإدغام القاف في الكاف وكذا إسماعيل عن ابن محيصن وعن ابن محيصن أيضا

إنامتهم هذه المدة الطويلة جعلنا بعثهم آية واللام في ليتساءلوا للصيرورة والمآل لا للتعليل والقائل في قوله كم لبثتم قيل كبيرهم وقيل صاحب نفقتهم وكم سؤال عن العدد والمعنى كم يوما أقمتم نائمين والظاهر صدور الشك من المسؤلين وقيل أو للتفصيل * قال بعضهم لبثنا يوما وقال بعضهم بعض يوم والسائل أحس في خاطره طول نومهم ولذلك سأل قيل ناموا أول النهار واستيقظوا آخر النهار وجوابهم هذا مبني على غلبة الظن والقول بالظن الغالب لا يعد كذبا ولما عرض لهم الشك في الإخبار ردوا علم لبثهم إلى الله تعالى ولما انتبهوا من نومهم أخذهم ما أخذ من نام طويلا من الحاجة إلى الطعام واتصل فابعثوا بحديث التساؤل كأنهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك إلى الله تعالى والمبعوث قيل هو تمليخا وكانوا قد استصحبوا حين خرجوا [illegible] نفقتهم وكانت حاضرة عندهم [illegible] ولا يشعرن [illegible] في موضع نصب فلينظر معلق عنها الفعل فإنها استفهام [illegible] مبتدأ محذوف وطعاما تمييز [illegible] المدينة والظهور هنا الاطلاع والعلم [illegible] لتلبس به ﴿ولن تفلحوا﴾

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ الآية فصل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاما وتلطف ولم يشعر بهم أحدا فاطلع الله تعالى أهل المدينة على حالهم وقصة ذهابه الى المدينة وما جرى له مع أهلها وحمله الى الملك

وادعى أنه أصاب كنزا [illegible] كنوز الأقدمين وحمل الملك ومن ذهب إليهم مذكور في التفاسير وأعثرنا عليهم أي واطلعنا عليهم وتقدم الكلام في أعثرنا في قوله [illegible] ومفعول أعثرنا محذوف تقديره أعثرناهم عليهم والضمير في ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا [illegible]

[illegible]

كذلك الا أنه كسر الراء ليصح الادغام * وقال الزمخشري * وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف انتهى وهو مخالف لما نقل الناس عنه * وحكى الزجاج قراءة بكسر الواو وسكون الراء دون ادغام * وقرأ علي بن أبي طالب بوارقكم على وزن فاعل جعله اسم جمع كباقر وجامل * والمدينة هي مدينتهم التي خرجوا منها وقيل وتسمى الآن طرسوس وكان اسمها عند خروجهم أفسوس * فلينظر يجوز أن يكون من نظر العين ويجوز أن يكون من نظر القلب والجملة في موضع نصب بفلينظر معلق عنها الفعل * وأيها استفهام مبتدأ وأزكى خبره ويجوز أن يكون أيها موصولا مبنيا مفعولا لينظر على مذهب سيبويه وأزكى خبر مبتدأ محذوف * وأزكى قال ابن عباس وعطاء أحل ذبيحة وأطهر لان عامة بلدتهم كانوا كفارا يذبحون للطواغيت * وقال ابن جبير أحل طعاما * قال الضحاك وكان أكثر أموالهم غصوبا * وقال مجاهد قالوا له لا تبتع طعاما فيه ظلم * وقال عكرمة أكثر * وقال قتادة أجود * وقيل [illegible] وقال [illegible] أرخص [illegible] وقيل أكثر بركة [illegible] وقيل تمر [illegible]

* وقيل [illegible] طعامه [illegible] يكن [illegible] أحدكم بورقكم دليل على [illegible] المتوكلين على الاتفاق وعلى ما في أوعية الناس [illegible] وقال بعض [illegible] الاشياء [illegible] والتوكل على [illegible] الزمخشري وليتكلف اللطف والتحيل [illegible] حتى لا يطلع [illegible] لا يعرف انتهى والوجه الثاني هو الظاهر * وقرأ الحسن وليتطلف بكسر اللام [illegible] وليتلطف [illegible] ولا يشعرن أي لا يفعل ما يؤدي [illegible] سمى ذلك شعارا [illegible] وقرأ أبو صالح [illegible]

[illegible]

* قيل ويجوز أن يعود على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

متلعثموا أى يرجعون بذلك وثلاثة خبر مبتدأ محذوف والجملة بعده صفة أى هم ثلاثة أشخاص ﴿رابعهم كلبهم﴾ اسم فاعل أضيف الى الضمير والمعنى أنه ربعهم أى جعلهم أربعة وصيرهم الى هذا العدد والكلام فى قوله خمسة وسادسهم كالكلام فيما تقدم والواو فى وثامنهم للعطف على الجملة السابقة أى يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم ثم أخبر واخبارا ثانيا أن ثامنهم كلبهم فيهما جملتان * وقال الزمخشرى فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما يدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك جاءنى رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله جل وعلا وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهى الواو التى آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم انتهى وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة

صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شئ لا يعرفه النحويون بل قرروا أنه لا تعطف الصفة التى ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعانى حتى يكون العطف دالا على المغايرة فأما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف هذا فى الاسماء المفردة وأما الجمل التى تقع صفة فهى أبعد من أن يجوز ذلك فيها ولما أخبر تعالى عن مقالتهم واضطرابهم فى عددهم أمره أن يقول ربى أعلم بعدتهم أى لا يخبر بعددهم الا من يعلمه حقيقة وهو الله ما يعلمهم الا قليل والمثبت فى حق الله تعالى الأعلمية وفى حق القليل العالمية فلا تعارض ثم نهاه عن الجدال فيهم أى فى عدتهم والمراء وسمى مراجعته لهم مراء على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له فى ذلك وقيده بقوله ظاهرا أى غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى اليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن ثم نهاه أن يسأل أحدا من أهل الكتاب عن قصتهم لاسؤال متعنت لانه خلاف ما أمر به من الجدال بالتى هى أحسن ولا سؤال مسترشد لانه تعالى قد أرشده بأن أوحى اليك قصتهم ثم نهاه أن يخبر بأنه يفعل فى الزمن المستقبل شيئا الا ويقرن بمشيئته تعالى وتقدم فى سبب النزول كونه لم يقل ذلك مقرونا بالمشيئة والا أن يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لانه يكون داخلا تحت القول فيكون من المقول ولا ينهاه الله أن يقول انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله لانه كلام صحيح فى نفسه لا يمكن أن ينهى عنه فاحتيج فى تأويل هذا الظاهر الى تقدير والظاهر أمره تعالى بذكر الله اذا عرض له النسيان والاشارة بقوله لأقرب من هذا أى الشئ المنسى أى اذكر ربك مستعينا به بأن تقول عسى أن يهدينى ربى الى شئ آخر بدل هذا المنسى أقرب منه رشدا وأدنى خيرا.

ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ﴾ قبل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاما وتلطف ولم يشعر بهم أحدا فاطلع الله أهل المدينة على حالهم وقصة ذهابه الى المدينة وما جرى له مع أهلها وحمله الى الملك وادعائهم عليه انه أصاب كنزا من كنوز الاقدمين وحمل الملك ومن ذهب معه اليهم مذكور فى التفاسير ذلك بأطول مما جرى والله أعلم بتفاصيل ذلك ويقال عثرت على الامر اذا اطلعت عليه وأعثرنى غيرى اذا أطلعنى عليه وتقدم الكلام على هذه المادة فى قوله فان عثر على انهما استحقا اثما ومفعول أعثرنا محذوف تقديره أعثرنا عليهم أهل مدينتهم والكاف فى وكذلك للتشبيه والتقدير وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم والضمير فى ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا واليه ذهب الطبرى ووعد الله هو البعث لان حالتهم فى نومهم وانتباههم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها أى لا شك ولا ارتياب فى قيامها والمجازاة فيها وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة فى أمر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك فى ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا تحشر الارواح فشق على ملكهم وبقى حيران لا يدرى كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى الله فى حجة وبيان فأعثر الله على أهل الكهف فلما بعثهم الله تعالى وتبين الناس أمرهم سر الملك ورجع من كان شك فى أمر بعث الاجساد الى اليقين والى هذا وقعت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم أمرهم واذ معموله لأعثرنا

أوليعلموا * وقيل يحتمل أن يعود الضمير في وليعلموا على أصحاب الكهف أي جعل الله
أمرهم آية لهم دالة على بعث الاجساد من القبور وقوله اذ يتنازعون على هذا القول ابتداء خبر
عن القوم الذين بعثوا على عهدهم والتنازع اذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة * وقيل
التنازع انما هو في أن اطلعوا عليهم * فقال بعض هم أموات * وقال بعض هم أحياء * وروي ان
الملك وأهل المدينة انطلقوا مع تمليخا الى الكهف وأبصروهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم وألقى الملك عليهم ثيابه
وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبني على
باب الكهف والظاهر ان قوله ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا
بالبناء وأخبروا بمضمون هذه الجملة كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم * وقيل يحتمل أن يكون من كلام الله
تعالى رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيه على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والذين غلبوا * قال قتادة هم الولاة * روي ان
طائفة ذهبت الى أن يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين وقالت الطائفة الغالبة لنبنين
عليهم مسجدا فاتخذوه * وروي ان التي دعت الى البنيان كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع
لكفرهم فمانعهم المؤمنون وبنوا عليهم مسجدا * وقرأ الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم الغين
وكسر اللام والمعنى ان الطائفة التي أرادت المسجد كانت تريد أن لا يبنى عليهم شيء ولا يعرض
لموضعهم * وروي ان طائفة أخرى مؤمنة أرادت أن لا يطمس الكهف فلما غلبت الاولى على أن
يكون بنيان ولا بد قالت يكون مسجدا فكان * وعن ابن عمران الله عمى على الناس أمرهم وحجبهم
عنه فذلك دعا الى بناء البنيان ليكون معلما لهم والظاهر ان الضمير في سيقولون عائد على من
تقدم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم [illegible]
اختلاف قومهم في عددهم وكون [illegible]
نجران تناظروا مع رسول صلى الله عليه وسلم في عددهم [illegible]
الجملة [illegible]
الجملة [illegible] وكان يعقوبيا [illegible]
عرفوا ذلك باخبار الرسول [illegible]
يقولون عائدا [illegible]
[illegible]

(الدر)　　(ش) فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على

الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وبلى الواو التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم (ح) كون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شئ لا يعرفه النحويون [illegible] ولا نعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف [illegible] لا على المغايرة وأما اذا لم يختلف فلا يجوز العطف في هذه الاسماء المفردة وأما الجمل التي تقع صفة فهي أعدم أن يجوز ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب الى [illegible] معنى [illegible] [illegible] [illegible] ... كل على تقدير الصفة وأما قوله [illegible] [illegible] الى ذلك

ولا فيما بعده لانه معطوف على المستقبل فدخل في الاستقبال أولانه أريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له * وقرأ شبل بن عباد عن ابن كثير بفتح ميم خمسة وهي لغة كعشرة * وقرأ ابن محيصن بكسر الخاء والميم وبادغام التاء في السين وعنه أيضا ادغام التنوين في السين بغير غنة رجما بالغيب رميا بالشئ المغيب عنهم أوظنا استعير من الرجم كأن الانسان يرمي الموضع المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجم به عسى أن يصيب ومنه الترجمان وترجمة الكتاب * وقول زهير

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم

أي المظنون وأتت هذه عقب ما تقدم ليدل على ان قائل تلك المقالتين لم يقولوا ذلك عن علم وانما قالوا ذلك على سبيل التخمين والحدس وجاءت المقالة الثالثة خالية عن هذا القيد مشعرة انها هي المقاله الصادقة كما تقدم ذكر ذلك عن علي وعن رسول الله عن جبريل عليهما الصلاه والسلام وانتصب رجما على انه مصدر لفعل مضمر أي يرجمون بذلك أو لتضمين سيقولون ويقولون معنى يرجمون أولكونه مفعولا من أجله أي قالوا ذلك لرميهم بالخبر الخفي أولظنهم ذلك أي الحامل لهم على هذا القول هو الرجم بالغيب وثلاثة خبر مبتدا محذوف والجملة بعده صفة أي هم ثلاثة أشخاص وانما قدرنا أشخاصا لان رابعهم اسم فاعل أضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم أي جعلهم أربعة وصيرهم الى هذا العدد فلو قدر ثلاثة رجال استحال أن يصير ثلاثة رجال أربعة لاختلاف الجنسين والواو في وثامنهم للعطف على الجملة السابقة أي يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم فأخبروا أولا سبعة رجال جزما ثم أخبروا اخبارا ثانيا بأن ثامنهم كلبهم بخلاف القولين السابقين فان كلا منهما جملة واحدة وصف [illegible] عنه بصفة ولم يعطف جملة عليه وذكر عن أبي بكر بن عياش وابن خالويه انها واو الثمانية وان [illegible] [illegible] تقول ستة سبعة [illegible] [illegible] سبعة [illegible] [illegible] في الثمانية وكون ما جملتين معطوف [illegible] احداهما على الاخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما تقدم [illegible] [illegible] موصوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هاتين الجملتين [illegible] [illegible]
[illegible] وقرئ [illegible] كالبهم أي صاحب كلبهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ويستدل بهذه القراءة وأول قوله وكلبهم على حذف مضاف أي وصاحب كلبهم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله وثامنهم ليس [illegible] [illegible] قولهم [illegible] قوله [illegible] [illegible] ثم أخبر تعالى بها على سبيل الاستئناف واذا كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكهف وأمر بعهم كلبهم وسادسهم كلبهم فهو من جملة [illegible] [illegible] جملتين [illegible] [illegible] العدة ثمانية بالكلب ذهب الاكثرون من الصحابه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (فان قلت) [illegible] الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي تدخل [illegible] [illegible] الواقعة صفة للنكرة كما تدخل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] توكيد لصوق الصفة بالموصوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وثامنهم كلبهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكون الواو تدخل على الجملة

الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصالها بها شيء لا يعرفه النحويون
بل قرروا انه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى الا اذا اختلفت المعاني حتى
يكون العطف دالا على المغايرة وأما اذا لم تختلف فلا يجوز العطف هذا في الأسماء المفردة وأما الجمل
التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب الى أن قول سيبويه وأما ما جاء
لمعنى وليس باسم ولا فعل هو على ان وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وان الواو دخلت في الجملة
بأن ذلك ليس من كلام العرب مررت برجل ويأكل على تقدير الصفة وأما قوله تعالى الا ولها فالجملة
حالية وكفى ردا لقول الزمخشري انا لا نعلم أحدا من علماء النحو ذهب الى ذلك ولما أخبر تعالى عن
مقالتهم واضطرابهم في عددهم أمر تعالى أن يقول قل ربي أعلم بعدتهم أي لا يحصر بعددهم الا من
يعلمهم حقيقة وهو الله تعالى ما يعلمهم الا قليل والمثبت في حق الله تعالى هو الأعلمية وفي حق القليل
العالمية فلا تعارض * قيل من الملائكة * وقيل من العلماء وعلم القليل لا يكون الا باعلام الله * وقال
ابن عباس أنا من القليل ثم نهاه تعالى عن الجدال فيهم أي في عدتهم والمراء هو من الجدال [illegible]
على سبيل المقالة لرواة أهل الكتاب له في ذلك وقيد. قوله ظاهر أي غير متعمق فيه وهو أن
تقص عليهم ما أوحى اليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن * وقال
ابن زيد مراء ظاهرا هو قولك لهم ليس كما تقولون ونحو هذا [illegible] لا تحتج ظاهرا * وقال
ابن الانباري الاحتجاج متيقن علم حقيقته [illegible] تعالى أتى [illegible] وقال [illegible]
مراء ظاهرا يشهده الناس * وقال التبريزي [illegible] خصم [illegible]
* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * أي ذاهب ثم نهاه أن يسأل أحدا من أهل الكتاب عن قصتهم
لا سؤال متعنت [illegible] التي هي أحسن ولا سؤال مسترشد لأنه تعالى قد
أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم ثم نهاه أن يخبر بأنه يفعل في الزمن المستقبل شيئا الا ويعلق ذلك
بمشيئة الله تعالى وتقدم شيء من سبب نزولها عليه السلام حين سأله قريش عن أهل الكهف والخضر
وذي القرنين قال غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فتأخر عنه الوحي مدة قيل خمسة عشر يوما وقيل
أربعين والا أن يشاء الله استثناء لا يمكن حمله على ظاهره لأنه يكون [illegible] فيكون من
القول ولا يشاء الله أن يقول [illegible]
[illegible]
طاهر و [illegible]
[illegible] الزمخشري [illegible]
متعلق [illegible]
مشيئة الله دون [illegible]
القول الا أن يشاء الله [illegible]
في موضع حال أي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

يكون متعلقا بالنهي وتكلم المفسرون في هذه الآية في الاستثناء في اليمين ولبست الآية في الايمان والظاهر أمره تعالى بذكر الله اذا عرض له نسيان ومتعلق النسيان غير متعلق الذكر * فقيل لتقدير واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به * وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل قتادة ذلك على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها * وقيل واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها * وقيل واذكر مشيئة ربك اذا فرط منك نسيان لذلك أي اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر قاله ابن جبير قال ولو بعد يوم أو شهر أو سنة * وقال ابن الانباري بعد تقضي النسيان كما تقول اذكر لعبد الله اذا صلى صاحبك أي اذا قضى الصلاة والاشارة بقوله لأقرب من هذا الى الشئ المنسي أي اذا ذكر ربك عند نسيانه بأن تقول عسى أن يهديني ربي لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا أو منفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها * وقال الزمخشري وهذا اشارة الى نبإ أهل الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبإ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل انتهى وهذا تقدمه اليه الزجاج قال المعنى عسى أن ييسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب الكهف * وقال ابن الانباري عسى أن يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم ويعجل لي من جهته الرشاد وقال محمد الكوفي [illegible] أنما أمر أن قولها كل من لم يستثن [illegible] كفارة لنسيان [illegible] ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * الظاهر ان قوله ولبثوا [illegible] قال مجاهد وهو بيان [illegible] في الكهف [illegible] هذا العدد باخبار من الله تعالى [illegible] هو الحق والصدق الذي لا يدخله ريب لانه [illegible] السموات والأرض [illegible] اشارة الى المدة السابق ذكرها * وقال [illegible] رسول صلى الله عليه وسلم * وقيل [illegible] والأعوام واختلفت بنو [illegible] وهذا بعيد لانه اذا سبق عدد مفسر [illegible] وحكى [illegible] انها ثلاثمائة تسعة ولما كان [illegible] وقال قتادة ومطر [illegible] والعلم [illegible] لبثوا

لا يدخله ريب لانه عالم غيب السموات والارض
والظاهر أن قوله بما لبثوا اشارة الى المدة السابق ذكرها وحكى النقاش أنها ثلثمائة سنة شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع اذ حساب العرب هو بالقمر لاتفاق الحسابين والضمير في له عائد على الله تعالى وهل هو في موضع رفع أو نصب وهل أسمع وأبصر أمر ان حقيقة أم أمر ان لفظا معناهما انشاء التعجب في ذلك خلاف مقرر في النحو وتقدم الكلام على كيفية نسبة التعجب الى الله في قوله فما أصبرهم على النار وأسمع في قوله [illegible] والارض من ولي متولى لأمورهم ولا يشرك في [illegible] عليهم [illegible] من قصة أهل الكهف أمر [illegible] ويتلو على معاصريه ما أوحي [illegible] من كتابه في قصة أهل الكهف وفي غيرهم [illegible]

[illegible] يمكن آية وما في كلماته [illegible] أوحي اليه واخباره أنه لا مبدل لكلماته [illegible] له

ردّا عليهم وتفنيدا لمقالتهم * قيل هو من قول المتنازعين في أمرهم وهو الصحيح على مقتضى
سياق الآية ويؤيده قل الله أعلم بما لبثوا جعل ذلك من الغيوب التي هو تعالى مختص بها * وقرأ
الجمهور مائة بالتنوين * قال ابن عطية على البدل أو عطف البيان * وقيل على التفسير والتمييز
* وقال الزمخشري عطف بيان لثلاثمائة * وحكى أبو البقاء أن قوما أجازوا أن يكون بدلا من
مائة لأن مائة في معنى مئات فأما عطف البيان فلا يجوز على مذهب البصريين وأما نصبه على التمييز
فالمحفوظ من لسان العرب المشهور أن مائة لا يفسر إلا بمفرد مجرور وقوله إذا عاش الفتى مائتين
عاما من السرور [illegible] وقد [illegible] ذلك تكون سنين جمعا * وقرأ حمزة والكسائي
وطلحة ويحيى والأعمش والحسن وابن أبي ليلى وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن
جبير الأنطاكي مائة بغير تنوين مضافا إلى سنين أوقع الجمع موقع المفرد وأنحى أبو حاتم على هذه
القراءة ولا يجوز له ذلك * وقال أبو علي هذه الأعداد التي تضاف في المشهور إلى المفرد وقد تضاف إلى الجمع
* وقرأ أبي [illegible] وقرأ [illegible]
وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية [illegible]

[illegible]

[illegible] قريش [illegible] وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ريح جبابهم يؤذينا فنزلت واصبر نفسك أي احبسها وثبتها * قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

﴿بالغداة والعشي﴾ اشارة الى الصلوات الخمس وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشي قراءة واعرابا في الانعام ﴿ولا تعد﴾ أي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى أبناء الدنيا وعدا متعد تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا زيدا فلذلك قدرنا المفعول محذوفا وأبقى الفعل على أصله من التعدية * وقال الزمخشري انما عدى لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك ولا تعد عيناك عنهم * قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها انتهى وما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة أما اذا أمكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعي كان أولى * قال

(١١٨)

الزمخشري تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال انتهى وصاحب الحال ان قدر عيناك فكان يكون التركيب تريدان وان قدر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالاضافة مثل هذا فيه اشكال لاختلاف العامل في الحال وذي الحال وقد أجاز ذلك بعضهم اذا كان المضاف جزأ أو كالجزء وحسن ذلك هنا أن المقصود نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاعراض عنهم والميل الى غيرهم وانما جيء بقوله عيناك والمقصود هو لانهما بهما تكون [illegible] هؤلاء [illegible] الى غيرهم والظاهر أن المراد بمن أغفلنا كفار قريش ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible] أمره فرطا﴾ أي ضياعا والحق يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحق ويجوز أن يكون الحق مبتدأ ومن ربكم خبره [illegible] الفاعل ... عائد على من [illegible] قال ابن عطية الضمير في شاء عائد على الله وكأنه [illegible] ليكفر تابع [illegible] لامر حتى كأنه لحم ووقوعه مأمور به مطلوب منه ولما [illegible] لا يمان والكفر [illegible] أعتدنا [illegible] والسرادق حائط من نار محيط ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible] بماء﴾ هذا على سبيل المقابلة [illegible] ﴿[illegible] الشراب وساءت مرتفقا﴾ في موضع الصفة لماء وفي موضع [illegible] وجوههم وقيل [illegible] محذوف تقديره بئس الشراب [illegible]

أخبارهم والمتعدا الملتجأ الذي تميل اليه وتعدل ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يعنون عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء وقالوا ان ريح جبابهم تؤذينا فنزلت واصبر نفسك الآية وعن سلمان أن قائل ذلك عيينة بن حصن والاقرع وذووهم من المؤلفة فنزلت فالآية على هذا مدنية والاول أصح لان السورة مكية وفعل المؤلفة فعل قريش فرد بالآية عليهم واصبر نفسك أي احبسها وثبتها * قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان أي حبسه للرمي ومع تقتضي الصحبة والموافقة والامر بالصبر هنا يظهر منه كبير اعتناء بهؤلاء [illegible] أمر أن يصبر نفسه معهم وهي أبلغ من النهي في الانعام ولا تطرد الذين يدعون الآية * وقال ابن عمر ومجاهد وابراهيم بالغداة والعشي اشارة الى الصلوات الخمس وقال قتادة هي صلاة الفجر و[illegible] العصر وقد قال ان ذلك يراد به العموم أي يدعون ربهم

(الدر)   (ش) وانما عدى بعن لتضمن معنى عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعد عيناك عنهم قلت الغرض منه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها (ح) ما ذكره من التضمين لا ينقاس عند البصريين وانما يذهب اليه عند الضرورة أما اذا أمكن اجراء اللفظ على مدلوله   (١١٩)   الوضعي فانه يكون أولى (ش) وقرأ الحسن ولا تعد من أعدى

دائما ويكون مثل ضرب زيد الظهر والبطن يريد جميع بدنه لا خصوص المدلول بالوضع وتقدم الكلام على قوله بالغداة والعشي قراءة واعرابا في الانعام ولا تعد أي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى أبناء الدنيا وعدا متعد تقول عدا فلان طوره وجاء القوم عدا زيدا فلذلك قدرنا المعمول محذوفا ليبقى الفعل على أصله من التعدية * وقال الزمخشري وانما عدى بعن لتضمن عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعد عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحو قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها انتهى وما ذكره من التضمين لا ينقاس [illegible] وانما يذهب اليه عند الضرورة [illegible] أمكن اجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فانه يكون أولى [illegible] الحسن ولا تعد [illegible] عيسى والاعمش ولا تعد * قال الزمخشري نقلا بالهمز [illegible] ومنه قوله * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى انتهى وكما قال صاحب [illegible] ثم عديته بالتضعيف كما كان في الاولى بالهمز ومذهبنا فيه [illegible] بالهمز والتكثير [illegible] المتعدية [illegible]

[illegible]

وعنه أيضا وعن عيسى والاعمش ولا نعد قال (ش) نقلا بالهمز وبنقل الحشو ومنه قوله

فعد عما ترى اذلا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى

(ح) وكما قال صاحب [illegible] وهذا ثم عديته بالتضعيف كما كان في الاولى بالهمزة ومذهبنا فيه ليس بجيد [illegible] همزة والتكثير [illegible]

[illegible]

لقوله واتبع هواه انتهى وهذا على مذهب المعتزلة والتأويل الآخر تأويل الرماني وكان معتزليا قال لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين بما يبين به فلاحهم كما قال كتب في قلوبهم الايمان من قولهم بعير غفل لم يكن عليه سمة وكتاب غفل لم يكن عليه اعجام وأما أهل السنة فيقولون ان الله تعالى أغفله حقيقة وهو خالق الضلال فيه والغفلة * وقال المفضل أخليناه عن الذكر وهو القرآن * وقال ابن جريج جعلنا قلبه بالكفر وغلبة الشقاء والظاهر أن المراد من أغفلنا كفار قريش * وقيل عيينة والأقرع والأول أولى لان الآية مكية * وقرأ عمرو بن فائد وموسى الاسوارى وعمرو بن عبيد أغفلنا بفتح اللام قلبه بضم الباء أسند الأفعال الى القلب * قال ابن جنى من ظننا غافلين عنه * وقال الزمخشرى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته اذا وجدته غافلا انتهى واتبع هواه فى طلب الشهوات وكان أمره فرطا * قال قتادة ومجاهد ضياعا * وقال مقاتل بن حيان سرفا * وقال الفراء متروكا * وقال الأخفش مجاوزا للحد * قيل وهو قول عيينة ان أسلمنا أسلم الناس * وقال ابن بحر الفرط العاجل السريع كما قال وكان الانسان عجولا * وقيل ندما * وقيل باطلا * وقال ابن زيد مخالفا للحق * وقال ابن عطية الفرط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع أى أمره الذى يجب أن يلزم ويحتمل أن يكون بمعنى الافراط والاسراف أى أمره وهواه الذى هو بسبيله انتهى والحق يجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فقدره ابن عطية هذا الحق أى هذا القرآن أو هذا الاعراض عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المؤمنين * وقال الزمخشرى الحق خبر مبتدإ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ فى طريق النجاة أو فى طريق الهلاك وجىء بلفظ الأمر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين انتهى وهو على طريق المعتزلة ويجوز أن يكون مبتدا وخبره من ربكم * قال الضحاك هو التوحيد * وقال مقاتل هو القرآن * وقال مكى أى الهدى والتوفيق والخذلان من عند الله يهدى من يشاء فيوفقه فيؤمن ويضل من يشاء فيخذله فيكفر ليس الى من ذلك شئ * وقال الكرمانى أى الاسلام والقرآن وهذا الذى لفظه لفظ الأمر معناه التهديد والوعيد ولذلك عقبه بقوله انا أعتدنا للظالمين قال معناه ابن عباس * وقال السدى هو منسوخ بقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهذا قول ضعيف والظاهر ان الفاعل بشاء عائد على من * وعن ابن عباس من شاء الله له بالايمان آمن ومن لا فلا انتهى * وحكى ابن عطية عن فرقة ان الضمير فى شاء عائد على الله تعالى وكأنه لما كان الايمان والكفر تابعين لمشيئة الله جاء بصيغة الأمر حتى كأنه تحتم وقوعه مأمور به مطلوب منه * وقرأ أبو السمال قعنب وقل الحق بفتح اللام حيث وقع * قال أبو حاتم وذلك ردىء فى العربية انتهى وعنه أيضا ضم اللام حيث وقع كأنه اتباع لحركة القاف * وقرأ أيضا الحق بالنصب * قال صاحب اللوامح هو على صفة المصدر المقدر لان الفعل يدل على مصدره وان لم يذكر فينصبه معرفة كنصبه اياه نكرة وتقديره وقل القول الحق وتعلق من بمضمر على ذلك مثل جاء من زيد والله أعلم * وقرأ الحسن وعيسى الثقفى بكسر لامى الأمر ولما تقدم الايمان والكفر أعقب بما أعد لهم فذكر ما أعد للكافرين يلى قوله فليكفر وأتى بعد ذلك بما أعد للمؤمنين ولما كان الكلام مع الكفار وفى سياق ما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم كانت البداءة بما أعد لهم آكد وهما طريقان للعرب هذه الطريق والأخرى انه يجعل الأول فى التقسيم للأول فى الذكر والثانى للثانى والسمر ذق * قال ابن عباس حائط من نار محيط

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية خبر ان قوله أولئك لهم الخ من قوله انا لا نضيع ويكون العائد محذوفا تقديره من أحسن عملا منهم ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ما بعده ويكون توضيحا لقوله تعالى انا لا نضيع أجر ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار ذكر مكان أهل الايمان وهي جنات عدن ولما ذكر

هناك ما يتألمون به وهو الماء كالمهل ذكر هنا ما خص به أهل الجنة من كون الأنهار تجري من تحتهم ذكر ما أنعم به عليهم من التحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة وبدأ بالتحلية لانها أفخر من اللباس ومن الأولى يجوز أن تكون للابتداء والثانية للتبيين وقرأ أبان عن عاصم أسورة جمع سوار وقرأ الجمهور أساور جمع اسورة وهي جمع الجمع * قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وبناء التحلية للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم * قال الشاعر

* غرائر في كن وصون ونعمة
تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا *

وسند الفعل اليهم لأن الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا وكان ذي العورة ووصف الثياب بالخضرة لأنها

أحسن الألوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها وقد روى في ذلك أثر أنها تزيد في ضوء البصر وخص الاتكاء لأنها هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم والأرائك جمع أريكة وهي السرير والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الثواب ما وعدوا به والضمير في وحسنت عائد على الجنات ومرتفقا تمييز وهو محول من الفاعل

بهم * وحكى أقضى القضاة الماوردي انه البحر المحيط بالدنيا * وحكى الكلبي انه عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار * وقيل دخان وان يستغيثوا يطلبوا الغوث مما حل بهم من النار وشدة احراقها واشتداد عطشهم يغاثوا على سبيل المقابلة والا فليست اغاثة * وروي في الحديث انه عكر الزيت اذا قرب منه سقطت فروة وجهه فيه * وقال ابن عباس ماء غليظ مثل دردي الزيت * وعن مجاهد انه القيح والدم الأسود * وعن ابن جبير كل شئ ذائب قد انتهى حره وذكر ابن الانباري انه الصديد * وعن الحسن انه الرماد الذي ينفط اذا خرج من التنور * وقيل ضرب من القطران ويشوي في موضع الصفة لماء أو في موضع الحال منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه وانما اختص الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرها من وجوههم * وقيل عبر بالوجوه عن جميع أبدانهم والمعنى انه ينضج به جميع جلودهم كقوله كلما نضجت جلودهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الشراب هو أي الماء الذي يغاثون به والضمير في ساءت عائد على النار والمرتفق * قال ابن عباس المنزل * وقال عطاء المقر * وقال القتبي المجلس * وقال مجاهد المجتمع وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد معنى وليس كذلك كان مجاهدا ذهب الى معنى الرفاقة ومنه الرفقة * وقال أبو عبيدة المتكأ * وقال الزجاج المتكأ على المرفق وأخذه الزمخشري فقال متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء * وقال ابن الانباري ساءت مطلبا للرفق لان من طلب رفقا من جهنم عدمه * وقال ابن عطية قريبا من قول ابن الانباري * قال والأظهر عندي أن يكون المرتفق بمعنى الشئ الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره * وقال أبو عبد الله الرازي والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء وبئس موضع الترافق النار ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ﴾ لما ذكر تعالى حال أهل الكفر وما أعد لهم في النار ذكر حال أهل الايمان وما أعد لهم في الجنة وخبر ان يحتمل أن تكون الجملة من قوله أولئك لهم وقوله انا لا نضيع الجملة اعتراض * قال ابن عطية ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر

ان الخليفة ان الله ألبسه * سربال ملك به ترجى الخواتيم

انتهى ولا يتعين في قوله ان الله ألبسه أن يكون اعتراضا هي اسم ان وخبرها الذي هو ترجى الخواتيم يجوز أن يكون ان الله ألبسه هو الخبر ويحتمل أن يكون خبر قوله انا لا نضيع أجر والعائد محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو هو قوله من أحسن عملا على مذهب الأخفش في ربطه الجملة بالاسم اذا كان هو المبتدأ في المعنى لان من أحسن عملا هم الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فكأنه قال انا لا نضيع أجرهم ويحتمل أن تكون الجملتان خبرين لان على مذهب من يقتضي المبتدا خبرين فصاعدا من غير شرط أن يكونا أو يكن في معنى خبر واحد واذا كان خبران قوله انا لا نضيع كان قوله أولئك استئناف اخبار موضح لما انبهم في قوله انا لا نضيع من مبهم الجزاء * وقرأ عيسى الثقفي لا نضيع من ضيع عداه بالتضعيف والجمهور من أضاع عدوه بالهمزة ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار * ذكر مكان أهل الايمان وهي جنات عدن ولما ذكر هنالك ما يغاثون به وهو الماء كالمهل ذكر هنا ما خص به أهل الجنة من كون الانهار تجري من تحتهم ثم ذكر ما أنعم عليهم من التحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة * وقال سعيد بن جبير يحلى كل واحد ثلاثة أساور سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ ويواقيت * وقال الزمخشري ومن الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير أساور لابهام أمرها في الحسن انتهى ويحتمل أن تكون من في قوله من ذهب للتبعيض لا للتبيين * وقرأ أبان عن عاصم من اسورة من غير ألف وبزيادة هاء وهو جمع سوار * وقرأ أيضا أبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر ويلبسون بكسر الباء * وقرأ ابن محيصن واستبرق بوصل الالف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلا ماضيا على وزن استفعل من البريق ويكون استفعل فيه موافقا للمجرد الذي هو برق كما تقول قر واستقر بفتح القاف ذكره الاهوازي في الاقناع عن ابن محيصن * قال ابن محيصن وحده واستبرق بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه انتهى فظاهره انه ليس فعلا ماضيا بل هو اسم ممنوع الصرف * وقال ابن خالويه جعله استفعل من البريق ابن محيصن فظاهره انه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح * قال ابن محيصن واستبرق بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز انه حذف الهمزة تخفيفا على غير قياس ويجوز انه جعله عربية من برق يبرق بريقا وذلك اذا تلألأ الثوب لجدته ونضارته فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتنوين وأكثر التفاسير على انه عربية وليس بمستعرب دخل في كلامهم فأعربوه انتهى ويمكن أن يكون القولان روايتين عنه فتح القاف وصرفه التنوين وذكر أبو الفتح بن جني قراءة فتح القاف وقال هذا سهو أو كالسهو انتهى وانما قال ذلك لانه جعله اسما ومنعه من الصرف لا يجوز لانه غير علم وقد أمكن جعله فعلا ماضيا فلا تكون هذه القراءة سهوا * قال الزمخشري وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وقدمت التحلية على اللباس لان الحلي في النفس أعظم والى القلب أحب وفي القيمة أغلى وفي العين أحلى وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله اشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم كما قال الشاعر

غرائر في كن وصون ونعمة * تحلين ياقوتا وشذرا مفقرا

وأسند اللبس اليهم لان الانسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا لو كان بادي العورة ووصف الثياب بالخضرة لأن أحسن الالوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها وقد روي في ذلك أثرا انها تزيد في نور البصر وقال بعض الادباء

[illegible] لتكن [illegible] وحزن * الماء والخضرة والبستان والوجه الحسن

وخص الاتكاء لانها هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم * وقرأ ابن محيصن على الارائك بنقل [illegible] لام التعريف [illegible] في هاوية [illegible] على التوهم سكون لام التعريف والنطق

﴿واضرب لهم﴾ الآية قيل نزلت في أخوين من بني مخزوم الأسود بن عبد الأسود بن عبد ياليل وكان كافرا وأبي سلمة عبد الله ابن الأسود وكان مؤمنا وقيل غير ذلك والضمير في لهم عائد على المتجبرين الطالبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد ضعفاء المؤمنين فالرجل الكافر بإزاء المتجبرين والمؤمن بإزاء ضعفاء المؤمنين وظهر بضرب المثل الربط بين هذه الآية والتي قبلها إذ كان من أشرك إنما افتخر بماله وأنصاره وهذا قد يزول فيصير الغني فقيرا وإنما المفاخرة بطاعة الله تعالى * واضرب لهم مثلا الآية قصة رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الإعراب وأبهم في قوله جعلنا لأحدهما وتبين أنه الكافر الشاك في البعث وأبهم تعالى مكان الجنتين إذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة وذكر (١٢٣) إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وأنفقه في طاعة الله حتى عيره الآخر وجرت بينهما هذه المحاورة قال فغرقهما الله في ليلة وإياهما عنى بهذه الآية * قال ابن عطية وتأمل هذه الهيئة التي ذكرها الله فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس جنتا عنب أحاط بهما نخل وبينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك من النهر * وحففناهما [illegible] من جوانبه [illegible] يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم يكحل من رمد وحففته به جعلته مطيفا

[illegible] كلتا [illegible] وفجرنا خلالهما [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿وهو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

به علم أنك ومثله قول الشاعر

فما أصبحت عرض نفس برية * ولا غيرها إلا سليمان نالها

يريد على الأرض والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الثواب ما وعدوا به والضمير في حسنت عائد على الجنان * ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا * وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ * جنة طاف به من جوانبه قال الشاعر

يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم يكحل من رمد

وحففته به جعلته مطيفا به [illegible] وهي جوانبه [illegible] كلتا اسم مفرد لفظا عند البصريين مثنى لفظا ومعنى عند البغداديين [illegible] البصريين [illegible] من [illegible] كلوى والألف فيه للتأنيث [illegible] عند [illegible] ولا [illegible] عن أصلها [illegible] فعيل * المحاورة مراجعة الكلام من حار إذا رجع [illegible] قال الشاعر

[illegible]

نطفة لقليل من الماء يقال ما في القربة من الماء نطفة بمعنى ليس فيها قليل ولا كثير [illegible] نطفة لأنه ينطف أي يقطر قطرة بعد قطرة [illegible] في اللغة الحساب [illegible]

[illegible] واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها [illegible] وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره [illegible]

أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ قيل نزلت في أخوين من بني مخزوم الأسود بن عبد الاسود بن عبد ياليل وكان كافرا وأبي سلمة عبد الله بن الاسود كان مؤمنا * وقيل أخوان من بني اسرائيل فرطوس وهو الكافر * وقيل اسمه قطفير و يهوذا وهو المؤمن في قول ابن عباس * وقال مقاتل اسمه تمليخا وهو المذكور في الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين وعن ابن عباس انهما ابنا ملك من بني اسرائيل أنفق أحدهما ماله في سبيل الله وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله * وعن مكي انهما رجلان من بني اسرائيل اشتركا في مال كافر ستة آلاف فاقتسماها * و روي انهما كانا حدادين كسبا مالا * وروي انهما ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر أرضا بألف وبنى دارا بألف وتزوج امرأة بألف واشترى خدما ومتاعا بألف واشترى المؤمن أرضا في الجنة بألف فتصدق به وجعل ألفا صداقا للحور فتصدق به واشترى الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده و وبخه على التصدق بماله والضمير في لهم عائد على المتجبرين الطالبين من الرسول صلى الله عليه وسلم طرد الضعفاء المؤمنين فالرجل الكافر بازاء المتجبرين والرجل المؤمن بازاء ضعفاء المؤمنين وظهر بضرب هذا المثل الربط بين هذه الآية والتي قبلها اذ كان من أشرك انما افتخر بماله وأنصاره وهذا قد يزول فيصير الغني فقيرا وانما المفاخرة بطاعة الله والتقدير واضرب لهم مثلا قصة رجلين وجعلنا تفسير للمثل فلا موضع له من الاعراب ويجوز أن يكون موضعه نصبا نعتا لرجلين وأبهم في قوله جعلنا لاحدهما وتبين انه هو الكافر الشاك في البعث وأبهم تعالى مكان الجنتين اذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر وأنفقه في طاعة الله حتى عيره الآخر وجرت بينهما هذه المحاورة قال فغرقها الله في ليلة واياهما عنى بهذه الآية * قال ابن عطية وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله فان المرء لا يكاد يتخيل أجل منهما في مكاسب الناس جنتا عنب أحاط بهما نخل بينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك من النهر * وقال الزمخشري جنتين من أعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة انتهى * وقرأ الجمهور كلتا الجنتين وفي مصحف عبد الله كلا الجنتين أتى بصيغة التذكير لأن تأنيث الجنتين مجازي ثم قرأ آتت فأنث لأنه ضمير مؤنث فصار نظير فولهم طلع الشمس وأشرقت * وقال الفراء في قراءة ابن مسعود كل الجنتين آتى أكله انتهى فأعاد الضمير على كل * وقال الزمخشري جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل ثمر * وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم * وقال الفراء انما شدد وفجرنا وهو نهر واحد لأن النهر يمتد فكان التفجر فيه كله أعلم الله تعالى ان شربهما كان من نهر واحد وهو أغزر الشرب * وقرأ الاعمش وسلام ويعقوب وعيسى بن عمر بتخفيف الجيم

يدخلهما معا في وقت واحد والمعنى ودخل جنته يري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه جملة حالية أي وهو كافر بنعمة ربه مغتر بما ملكه شاك في نفاد ما خوله وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه والظاهر أن الاشارة بقوله هذه الى الجنة التي دخلها وعنى بالأبد أبد حياته وذلك لطول أمله وتمادي غفلته ولحسن قيامه عليها بما أوتي من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها من الحسن والنضارة والحسن يقتضي أن أحوال الدنيا بأسرها غير باقية ﴿أن تبيد هذه﴾ أي تهلك هذه اشارة الى الجنة التي دخلها ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ هذا شك في قيام الساعة وهو كفر ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه على سبيل قياس الأخرى على الدنيا وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما أولاه الجنتين في الدنيا الا لاستحقاقه وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى ومعهم [illegible]

وكذا قرأ الأعمش فى سورة القمر والتشديد فى سورة القمر أظهر لقوله عيونا وقوله هنا نهرا وانتصب خلالهما على الظرف أى وسطهما كان النهر يجرى من داخل الجنتين * وقرأ الجمهور نهرا بفتح الهاء * وقرأ أبو السمال والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان بسكون الهاء * وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن عامر وحمزة والكسائى وابن كثير ونافع وجماعة قراء المدينة ثمر وبثمره بضم الثاء والميم جمع ثمار * وقرأ الأعمش وأبو رجاء وأبو عمرو باسكان الميم فيهما تخفيفا أو جمع ثمرة كبدنة وبدن * وقرأ أبو جعفر والحسن وجابر بن زيد والحجاج وعاصم وأبو حاتم ويعقوب عن رويس عنه بفتح الثاء والميم فيهما * وقرأ رويس عن يعقوب ثمر بضمهما وبثمره بفتحهما فيمين قرأ بالضم * قال ابن عباس وقتادة الثمر جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك * وقال النابغة

مهلا فداء لك الأقوام كلهم * وما أثمروا من مال ومن ولد

* وقال مجاهد يراد بها الذهب والفضة خاصة * وقال ابن زيد هى الأصول فيها الثمر * وقال أبو عمرو ابن العلاء الثمر المال فعلى هذا المعنى انه كانت له الى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان متمكنا من عمارة الجنتين وأما من قرأ بالفتح فلا اشكال انه يعنى به حمل الشجر * وقرأ أبو رجاء فى رواية ثمر بفتح الثاء وسكون الميم وفى مصحف أبى وآتيناه ثمرا كثيرا وينبغى أن يجعل تفسيرا ويظهر من قوله فقال لصاحبه أنه ليس أخاه وهو يحاوره جملة حالية والظاهر ان ذا الحال هو القائل أى يراجعه الكلام فى انكاره البعث وفى اشراكه بالله * وقيل هى حال من صاحبه أى المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعاء الى الله والى الايمان بالبعث والظاهر كون أفعل للتفضيل وأن صاحبه كان له مال ونفر ولم يكن سبر وتا كما ذكر أهل التاريخ وأنه جاء يستعطيه ويدل على ذلك كونه قابله بقوله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا وهذا على عادة الكفار فى الافتخار بكثرة المال وعزة العشيرة والتكبر والاغترار بما نالوه من حطام الدنيا ومقالته تلك لصاحبه بإزاء مقالة عيينة والاقرع للرسول صلى الله عليه وسلم نحن سادات العرب وأهل الوبر والمدر فنح عنا سلمان وقرناءه وعنى بالنفر أنصاره وحشمه * وقيل أولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث واستدل على أنه لم يكن أخاه بقوله وأعز نفرا اذ لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته نفر أخيه وعشيرته وعلى التفسيرين السابقين لا يرد هذا أما من فسر النفر بالعشيرة التى هى مشتركة بينهما فيرد وأفرد الجنة فى قوله ودخل جنته من حيث الوجود كذلك لانه لا يدخلهما معا فى وقت واحد * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المتقون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما انتهى ولا يتصور ما قال لان قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد ان قصد فى الاخبار أنه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن أن يدخلهما معا فى وقت واحد والمعنى ودخل جنته يرى صاحبه ما هى عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه جملة حالية أى وهو كافر بنعمة ربه معتز بما ملكه شاك فى نفاد ما خوله وفى البعث الذى جاء به صاحبه والظاهر أن الاشارة بقوله هذه الى الجنة التى دخلها وهى بلا شك لا تبيد حياته وذلك لطول أمله وتمادى غفلته وحسن قيامه عليها بما أوتى من المال والخدم فهى باقية مدة حياته على حالة من الحسن والعمارة وحسن القيام عليها أحوال الدنيا بأسرها غير باقية أو يكون قال ذلك لقصر نظره ... فيت أشخاص أثمارها على أشخاص أخر ... الثمار ... قال ... الى هيئة

(الدر)

(ش) فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المتقون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (ح) لا يتصور ما قاله لأن قوله ودخل جنته اخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد فى الاخبار أنه دخل احدى جنتيه اذ لا يمكن أن يدخلهما معا فى وقت واحد

أشرك مع الله غيره ثم نبه على أصل نشأته وإيجاده بعد العدم وأن ذلك دليل على جواز البعث من القبور ثم تحتم ذلك بأخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام * وقوله خلقك من تراب إما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم صلى الله عليه وسلم وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له وأن يراد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة الى التراب فنبهه أولا على ما تولد منه ماء أبيه ثم ثانية على النطفة التي هي ماء أبيه وانتصب رجلا على الحال والعامل فيه سوّاك ولما لم يكن الاستفهام استفهام إعلام وإنما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة تقرير على كفره وإخبار عنه به لأن معناه قد كفرت بالذي خلقك استدرك هو مخبرا عن حال نفسه فقال ﴿لكنا هو الله ربي﴾ اقرارا بتوحيد الله تعالى وأنه لا يشرك به وقرئ لكن بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبالف في الوقف وأصله ولكن أنا ونقل حركة الهمزة الى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى مثلان فأدغم أحدهما في الآخر وأما في الوقف فانه ثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على أنا ومثال اثباتها في الوصل أنا سيف العشيرة فاعرفوني * حميدا قد تذربت السناما كان الأصل لكن أنا وحصل الادغام وقال الزمخشري

ونحوه يعني ونحو ادغام نون لكن في نون أنا بعد حذف الهمزة قول القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب

وتقلينني ولكن إياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك انتهى ولا يتعين ما قاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا أن حذفه فصيح إذا دل عليه الكلام وأنشدوا على ذلك قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي

ولكن زنجي عظيم المشافر

في رواية من روى زنجي بالرفع أي ولكنك زنجي فاما مبتدأ وهو ضمير الشأن مبتدأ ثان والله مبتدأ ثالث وربي خبره والثالث وخبره خبر عن الثاني والثاني وخبره خبر عن أنا والعائد عليه هو الياء في ربي وصار التركيب نظير هند هو زيد ضربها وفي قوله ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ تعريض بإشراك صاحبه وأنه مخالفه في ذلك وقد صرح بذلك في صاحبه في قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولولا تحضيضية بمعنى هلا ففصل بينها وبين فعل التحضيض بإذ وهو ظرف لما مضى والعامل فيه قلت وما في ما شاء شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف تقديره أي شيء شاء الله كان ويجوز أن تكون ما موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره الذي شاء الله كان ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر الذي شاء الله ثم نصحه بالتبري من القوة فيما يحاوله ويعانيه وأن يجعل القوة لله ثم أردف تلك النصيحة بترجيه من الله تعالى وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى فقال ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ أي أنا أتوقع من صنع الله وإحسانه أن يمنحني جنة خيرا من جنتك لإيماني به ويزيل عنك نعمتك لكفرك به ويخرب بستانك. وقرئ أقل بالنصب مفعولا ثانيا لترني وهي علمية لا بصرية لوقوع أنا فصلا ويجوز أن يكون توكيدا للضمير المنصوب في ترني ويجوز أن تكون بصرية ويكون أنا توكيدا للضمير المنصوب في ترني فيكون أقل حالا

من السموات والارض وأنواع المخلوقات ودل كلامه على أن المحاورة التي كانت بينهما هي في فناء هذا العالم الذي هذه الجنة جزء منه وفي البعث الاخروي ان صاحبه كان تقرر له هذان الامران وهو يشك فيهما ثم أقسم على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وقياس الاخرى على الدنيا وكما زعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين في الدنيا الا لاستحقاقه وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى وأما ما حكى الله تعالى عما قاله العاص بن وائل لأوتين مالا وولدا فليس على حد مقالة هذا لصاحبه لان العاصي قصد الاستخفاف وهو مصمم على التكذيب وهذا قال ما معناه ان كان ثم رجوع فسيكون حالي كذا وكذا * وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وأبو بحرية وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد وابن مناذر ونافع وابن كثير وابن عامر منهما على التثنية وعود الضمير على الجنتين وكذا في مصاحف مكة والمدينة والشام * وقرأ الكوفيون وأبو عمرو منها على التوحيد وعود الضمير على الجنة المدخولة وكذا في مصاحف الكوفة والبصرة ومعنى منقلبا مرجعا وعاقبة أي منقلب الآخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها وانتصب منقلبا على التمييز المنقول من المبتدإ ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا﴾

وقرئ اقل بالرفع على ان يكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع مفعول ترنى الثانى ان كانت علمية وفى موضع الحال ان كانت بصرية ويدل عليه وولدا على أن قول لصاحبه وأعز نفرا عنى به الأولاد ان قابل كثرة المال بالقلة وعزة النفر بقلة الأولاد والحسبان قال ابن عطية العذاب وقيل غير ذلك وهذا الترجى ان كان ذلك أن يؤتيه فى الدنيا فهو أنكى للكافر وآلم اذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت الى صاحبه وان كان ذلك أن يؤتيه فى الآخرة فهو أشرف وأذهب مع الخير والصلاح ﴿فتصبح صعيدا﴾ أى أرضا بيضاء لانبات فيها الا من كرم ولا نخل ولا زرع قد اصطلم جميع ما فيها فبقيت يبابا قفرا يزلق عليها الاملاسها والزلق الذى لايثبت عليه قدم ذهبت غراسه ونباته وسلب المنافع حتى منفعة المشى فيه فهو وحل لاينبت ولايثبت فيه قدم فترجى المؤمن بجنة هذا الكافر آفة علوية من السماء أو آفة سفلية من الارض وهو غور مائها فيتلف كل ما فيها من الشجر والزرع وغورا مصدر خبر عن اسم أصبح على سبيل المبالغة وأو تصبح معطوف على قوله ويرسل والضمير فى له عائد على الماء أى لن تقدر على طلبه لكونه ليس مقدورا على رد ما غوره الله تعالى وبلغ الله المؤمن ما ترجاه من هلاك ما بيد صاحبه الكافر وابادته على خلاف ما ظن فى قوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا فاخبر الله تعالى أنه أحيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك وأصله الاحاطة و ﴿يقلب كفيه﴾ ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن ندما ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عدّاه تعدية فعل الندم فقال ﴿على ما أنفق فيها﴾ كأنه قال فأصبح نادما على ذهاب ما أنفق فى عمارة تلك الجنة ﴿وهى خاوية على عروشها﴾ تقدم الكلام عليه فى أواخر البقرة وتمنيه انتفاء الشرك الظاهر انه صدر منه ذلك فى حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول مصيبته وفى قوله ترنى دليل على ايمانه ولما فخر بكثرة ماله وعز نفره أخبر تعالى أنه لم يكن له فئة أى جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير فى ينصرونه على المعنى كما أفرده على اللفظ فى قوله تقاتل والحقيقة فى هنالك أن يكون ظرف مكان للبعد وتقدم فى الكلام ما يدل على الدار الآخرة فالظاهر انه أشير به للدار الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله تعالى لمن الملك اليوم والولاية مبتدأ وهنالك خبر وقرئ الولاية بكسر الواو وفتحها وقرئ الحق بكسر القاف صفة لله وقرئ الحق بالرفع صفة للولاية وهو خير مبتدأ وخبر ﴿وثوابا﴾ تمييز ولما كان هنالك اشارة الى الدار الآخرة ناسب ذكر الخيرية للثواب فيها ﴿وعقبا﴾ بمعنى العاقبة

من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ﴾

وهو يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه المؤمن * وقرأ أبى وهو يخاصمه وهى قراءة تفسير لا قراءة رواية لمخالفته سواد المصحف ولان الذى روى بالتواتر هو يحاوره لايخاصمه وأكفرت استفهام انكار وتوبيخ حيث أشرك مع الله غيره * وقرأ ثابت البنانى ويلك أكفرت وهو تفسير معنى التوبيخ والانكار لاقراءة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نبهه على أصل نشأته وايجاده بعد العدم وان ذلك دليل على جواز البعث من القبور ثم تحتم ذلك باخبار الصادقين وهم الرسل عليهم السلام وقوله خلقك من تراب اما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه السلام وخلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقا له أو أريد ان ماء الرجل يتولد من أغذيه راجعة الى التراب فنبهه أولا على ما تولد منه ماء أبيه ثم ثانيه على النطفة التى هى ماء أبيه وأما ما نقل من ان ملكا وكل بالنطفة يلقى فيها قليلا من تراب قبل دخولها فى الرحم فيحتاج الى صحة نقل ثم نبهه على تسويته رجلا وهو خلقه معتدلا صحيح الأعضاء ويقال للغلام اذا تم شبابه قد استوى * وقيل ذكره بنعمة الله عليه فى كونه رجلا ولم يخلقه أنثى نبهه بهذه التنقلات على كمال قدرته وانه لايعجزه شئ * قال الزمخشرى سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا انتهى وانتصب رجلا على الحال * وقال الحوفى رجلا نصب بسوى أى جعلك رجلا فظاهره انه عدى سوى الى اثنين ولما لم يكن الاستفهام استفهام استعلام وانما هو استفهام انكار وتوبيخ فهو فى الحقيقة تقرير على كفره واخبار عنه به لان معناه قد كفرت بالذى استدرك هو مخبرا عن نفسه فقال لكنا هو الله ربى اقرارا بتوحيد الله وأنه لايشرك به غيره * وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير ونافع فى رواية ورش وقالون لكن بتشديد النون بغير ألف فى الوصل وبألف فى الوقف وأصله لكن أنا نقل حركة الهمزة الى نون لكن وحذف الهمزة فالتقى

مثلان فأدغم أحدهما في الآخر * وقيل حذف الهمزة من أنا على غير قياس فالتقت نون لكن وهي ساكنة مع نون أنا فأدغمت فيها وأما في الوقف فانه أثبت ألف أنا وهو المشهور في الوقف على أنا وأما في الوصل فالمشهور حذفها وقد أبدلها ألفا في الوقف أبو عمرو في رواية فوقف لكنه ذكره ابن خالويه * وقال ابن عطية وروى هارون عن أبي عمرو لكنه هو الله ربي بضمير لحق لكن * وقرأ ابن عامر ونافع في رواية المسيلي وزيد بن علي والحسن والزهري وأبو بحرية ويعقوب في رواية وأبو عمرو في رواية وكردم وورش في رواية وأبو جعفر باثبات الالف وقفا ووصلا أما في الوقف فظاهر وأما في الوصل فبنو تميم يثبتونها فيه في الكلام وغيرهم في الاضطرار فجاء على لغة بني تميم وعن أبي جعفر حذف الالف وصلا ووقفا وذلك من رواية الهاشمي ودل اثباتها في الوصل أيضا على ان أصل ذلك لكن أنا * وقال الزمخشري وحسن ذلك يعني اثبات الالف في الوصل وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة انتهى ويدل على ذلك أيضا قراءة فرقة لكننا بحذف الهمزة وتخفيف النونين * وقال أيضا الزمخشري ونحوه يعني ونحو ادغام نون لكن في نون أنا بعد حذف الهمزة * قول القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكن اياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك انتهى ولا يتعين ماقاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وأنشدوا على ذلك قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي * ولكن زنجي عظيم المشافر

أي ولكنك زنجي وأجاز أبو علي أن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الادغام لاجتماع المثلين ثم وحد في ربي على المعنى ولو اتبع اللفظ لقال ربنا انتهى وهو تأويل بعيد * وقال ابن عطية ويتوجه في لكنا أن تكون المشهورة من أخوات ان المعنى لكن قولي هو الله ربي الا اني لا أعرف من يقرأ بها وصلا ووقفا انتهى وذكر أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي في كتاب الكامل في القرا آت من تأليفه ما نصه بحذفها في الحالين يعني الالف في الحالين يعني الوصل والوقف حمصي وابن عتبة وقتيبة غير الثقفي ويونس عن أبي عمرو يعني بحمصي ابن أبي عبلة وأبا حيوة وأبا بحرية * وقرأ أبي والحسن لكن أنا هو الله على الانفصال وفكه من الادغام وتحقيق الهمز وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود * وقرأ عيسى الثقفي لكن هو الله بغير أنا وحكاها ابن خالويه عن ابن مسعود وحكاها الاهوازي عن الحسن فأما من أثبت هو فانه ضمير الامر والشأن وثم قول محذوف أي لكن أنا أقول هو الله ربي ويجوز أن يعود على الذي خلقك من تراب أي أنا أقول هو أي خالقك الله ربي وربي نعت أو عطف بيان أو بدل ويجوز أن لا يقدر أقول محذوفة فيكون أنا مبتدا وهو ضمير الشأن مبتدا ثان والله مبتدا ثالث وربي خبره والثالث وخبره خبر عن الثاني والثاني وخبره خبر عن أنا والعائد عليه هو الياء في ربي وصار التركيب نظير هند هو زيد ضاربها وعلى رواية هارون يجوز أن يكون هو توكيد الضمير النصب في لكنه العائد على الذي خلقك ويجوز أن يكون فصلا لوقوعه بين معرفين ولا يجوز أن يكون ضمير شأن لانه لا عائد على اسم لكن من الجملة الواقعة خبرا وفي قوله ولا أشرك بربي أحدا تعريض باشراك صاحبه وانه مخالفه في ذلك وقد صرح بذلك صاحبه في قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا * وقيل أراد بذلك انه لا يرى الغني والفقر الا منه تعالى يفقر من يشاء ويغني من يشاء * وقيل لا أعجز قدرته على

(الدر)

(ش) ونحوه يعني ونحو ادغام نون لكن في نون أنا بعد حذف الهمزة قول القائل

*وترمينني بالطرف أي أنت مذنب
وتقلينني لكن اياك لا أقلي*

أي لكن انا لا أقليك (ح) لا يتعين ماقاله في البيت لجواز أن يكون التقدير لكنني فحذف اسم لكن وذكروا ان حذفه فصيح اذا دل عليه الكلام وانشدوا على ذلك قول الشاعر

*فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي
ولكن زنجي عظيم المشافر*

في رواية من روى زنجي بالرفع أي ولكنك زنجي

الاعادة فاسوى بينه وبين غيره فيكون اشراكا كما فعلت أنت ولما وبخ المؤمن الكافر أورد له ماينصحه تخضه على ان كان يقول اذا دخل جنته ماشاء الله لاقوة الابالله أي الاشياء مقذوفة بمشيئة الله ان شاء أفقر وان شاء أغنى وان شاء نصر وان شاء خذل ويحتمل أن تكون شرطية منصوبة بشاء والجواب محذوف أي أي شيء شاء الله كان ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذي مرفوعة على الابتداء أي الذي شاءه الله كائن أو على الخبر أي الامر ماشاء الله ولولا تحضيضية وفصل بين الفعل وبينها بالظرف وهو معمول لقوله قلت ثم نصحه بالتبري من القوة فيما يحاوله ويعانيه وأن يجعل القوة لله تعالى وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يارسول الله قال لاقوة الابالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدي واستسلم ونحوه من حديث أبي موسى وفيه الابالله العلي العظيم ثم أردف تلك النصيحة بترجية من الله وتوقعه أن يقلب مابه ومابصاحبه من الفقر والغنى * فقال ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا أي اني أتوقع من صنع الله تعالى واحسانه أن يمنحني جنة خيرا من جنتك لايماني به ويزيل عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك * وقرأ الجمهور أقل بالنصب مفعولا ثانيا لترني وهي علمية لابصرية لوقوع أنا فصلا ويجوز أن يكون توكيدا للضمير المنصوب في ترني ويجوز أن تكون بصرية وأنا توكيد للضمير في ترني المنصوب فيكون أقل حالا * وقرأ عيسى بن عمر أقل بالرفع على أن تكون أنا مبتدا وأقل خبره والجملة في موضع مفعول ترني الثاني ان كانت علمية وفي موضع الحال ان كانت بصرية ويدل قوله وولدا على أن قول صاحبه وأعز نفرا عنى به الأولاد ان قابل كثرة المال بالقلة وعزة النفر بقلة الولد والحسبان قال ابن عباس وقتادة العذاب * وقال الضحاك البرد * وقال الكلبي النار * وقال ابن زيد القضاء * وقال الأخفش سهام ترمى في مجرى فقلما تخطىء * وقيل النبل * وقيل الصواعق * وقيل آفة مجتاحة * وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ماكسبت يداك وهذا الترجي ان كان ذلك أن يؤتيه في الدنيا فهي أنكى للكافر وآلم اذ يرى حاله من الغنى قد انتقلت الى صاحبه وان كان ذلك أن يؤتيه في الآخرة فهو أشرف وأذهب مع الخير والصلاح فتصبح صعيدا أي أرضا بيضاء لانبات فيها لامن كرم ولانخل ولا زرع قد اصطلم جميع ذلك فبقيت يبابا قفرا يزلق عليها لاملاسها والزلق الذي لاتثبت فيه قدم ذهب غراسه وبناؤه وسلب المنافع حتى منفعة المشي فيه فهو وحل لاينبت ولايثبت فيه قدم * وقال الحسن الزلق الطريق الذي لانبات فيه * وقيل الخراب * وقال مجاهد رملا هائلا * وقيل الزلق الأرض السبخة وترجي المؤمن لجنة هذا الكافر آفة علوية من السماء أو آفة سفلية من الارض وهو غور مائها فيتلف كل مافيها من الشجر والزرع وغور مصدر خبر عن اسم أصبح على سبيل المبالغة وأو يصبح معطوف على قوله ويرسل لأن غؤور الماء لايتسبب على الآفة السماوية الا أن عني بالحسبان القضاء الالهي فحينئذ يتسبب عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا أو اصباح مائها غورا * وقرأ الجمهور غورا بفتح الغين * وقرأ البرجمي غورا بضم الغين * وقرأت فرقة بضم الغين وهمز الواو يعنون بواو بعد الهمزة فيكون غؤورا كما جاء في مصدر غارت عينه غؤورا والضمير في له عائد على الماء أي لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدورا على رده غورا لله تعالى * وحكى الماوردي ان معناه لن تستطيع طلب غيره بدلا منه وبلغ الله المؤمن ماترجاه من هلاك مابيد صاحبه الكافر وابادته على خلاف ماظن في قوله ماأظن أن تبيد هذه أبدا وأخبر تعالى أنه أحيط بثمره وهو عبارة

عن الاهلاك وأصله من أحاط به العدو وهو استدارته به من جوانبه ومتى أحاط به ملكه واستولى
عليه ثم استعملت في كل اهلاك ومنه الا أن يحاط بكم * وقال ابن عطية الاحاطة كناية عن عموم
العذاب والفساد انتهى والظاهر أن الاحاطة كانت ليلا لقوله فأصبح على أنه يحتمل أن يكون معنى
فأصبح فصار فلا يدل على تقييد الخبر بالصباح وتقليب كفيه ظاهره أنه يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو
أنه يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته
المتأسف على فقدانه كما يكنى بقبض الكف والسقوط في اليد * وقيل يصفق بيده على الاخرى
ويقلب كفيه ظهرا لبطن * وقيل يضع باطن احداهما على ظهر الاخرى ولما كان هذا الفعل
كناية عن الندم عداه تعدية فعل الندم فقال على ما أنفق فيها كأنه قال فأصبح نادما على ذهاب
ما أنفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها تقدم الكلام على هذه الجملة في أواخر البقرة
وتمنيه انتفاء الشرك الظاهر أنه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة وفي
ذلك زجر للكفرة من قريش وغيرهم لئلا يجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم قيل أرسل الله
عليها نارا فأكلتها فتذكر موعظة أخيه وعلم انه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا
* وقال بعض المفسرين هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة ولما افتخر بكثرة ماله
وعزة نفره أخبر تعالى أنه لم تكن له فئة أي جماعة تنصره ولا كان هو منتصرا بنفسه وجمع الضمير
في ينصرونه على المعنى كما أفرده على اللفظ في قوله فئة تقاتل في سبيل الله واحتمل النفي أن يكون
منسحبا على القيد فقط أي له فئة لكنه لا يقدر على نصره وأن يكون منسحبا على القيد والمراد
انتفاؤه لانتفاء ما هو وصف له أي لا فئة فلا نصر وما كان منتصرا بقوة عن انتقام الله * وقرأ
الاخوان ومجاهد وابن وثاب والأعمش وطلحة وأيوب وخلف وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى
الاصبهاني وابن جرير ولم يكن بالياء لأن تأنيث الفئة مجاز * وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر
وشيبة بالتاء * وقرأ ابن أبي عبلة فئة تنصره على اللفظ والحقيقة في هنالك أن يكون ظرف مكان
للبعد فالظاهر انه أشير به لدار الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم * قيل لما
نفي عنه الفئة الناصرة في الدنيا نفي عنه أن ينتصر في الآخرة فقال وما كان منتصرا هنالك أي في
الدار الآخرة فيكون هنالك معمولا لقوله منتصرا * وقال الزجاج أي وما كان منتصرا في تلك
الحال والولاية لله على هذا مبتدأ وخبر * وقيل هنالك الولاية لله مبتدأ وخبر والوقف على قوله
منتصرا * وقرأ الاخوان والاعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان عن طلحة وخلف وابن
سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرئاسة والرعاية * وقرأ
باقي السبعة بفتحها بمعنى الموالاة والصلة * وحكى عن أبي عمرو والأصمعي ان كسر الواو هنا لحن
لأن فعالة انما تجيء فيما كان صنعة أو معنى متقلدا وليس هنالك تولي أمور * وقال الزمخشري
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك
المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم تكن
له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال
الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ اليها
فقالها فزعا من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها او يجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها
أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل

بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه انتهى * وقرأ النحويان وحميد والاعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر واليزيدي وابن عيسى الأصبهاني الحق برفع القاف صفة للولاية * وقرأ باقي السبعة بخفضها وصفا لله تعالى * وقرأ أبي هنالك الولاية الحق لله برفع الحق صفة للولاية وتقديمها على قوله لله * وقرأ أبو حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن أبي عبلة وأبو السمال ويعقوب عن عصمة عن أبي عمرو لله الحق بنصب القاف * قال الزمخشري على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه من أفصح الناس وأنصحهم انتهى وكان قد قال الزمخشري وقرأ عمرو بن عبيد رحمه الله انتهى فترحم عليه وترضى عنه اذ هو من أوائل أكابر شيوخه المعتزلة وكان على غاية من الزهد والعبادة وله أخبار في ذلك الا أن أهل السنة يطعنون عليه وعلى أتباعه وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني في أرجوزته التي سماها المنبهة

وابن عبيد شيخ الاعتزال * وشارع البدعة والضلال

* وقرأ الحسن والاعمش وعاصم وحمزة عقبا بسكون القاف والتنوين وعن عاصم عقبى بألف التأنيث المقصورة على وزن رجعى والجمهور بضم القاف والتنوين والثلاث بمعنى العاقبة ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ﴾

* الهشيم اليابس قاله الفراء واحده هشيمة * وقال الزجاج وابن قتيبة كل شيء كان رطبا ويبس ومنه كهشيم المحتظر وهشيم الثريد وأصل الهشيم المتفتت من يابس العشب * ذرى وذرى لغتان فرق قاله أبو عبيدة * وقال ابن كيسان تذروه تجيء به وتذهب * وقال الأخفش ترفعه * غادر ترك من الغدر ومنه ترك الوفاء ومنه الغدير وهو ما تركه السيل * الصف الشخص بازاء الآخر

﴿واضرب لهم مثل الحياة﴾ الآية لما بين تعالى فى المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل اليه ما افتخر به الكافر من الهلاك بين فى هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه الى الهلاك وكما تقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجملة فى يونس والهشيم اليابس قاله الفراء واحده هشيمة وقال الشاعر

ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعى الهشيم

ذرى وأذرى لغتان فرق قاله أبو عبيدة ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال الجمهور هى الكلمات المأثور فضلها وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿وخير أملا﴾ أى رجاء ولما ذكر تعالى مايؤول اليه حال الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة فقال ﴿ويوم نسير الجبال﴾ والمعنى أنه ينفك نظام هذا العالم الدنيوى ويؤتى بالعالم الأخروى وانتصب يوم على اضمار اذكر وقرئ تسير مبنيا للمفعول ونسير بنون العظمة مبنيا للفاعل ﴿وترى الأرض﴾ وقرئ وترى مبنيا للمفعول ﴿بارزة﴾ حال أى منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب والشجر والعمارة أو على حذف مضاف تقديره وترى أهل الارض بارزين من بطنها ﴿وحشرناهم﴾ أى أقناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة وقال الزمخشرى فان قلت لم جىء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا بذلك الأهوال والعظائم وكانه قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والأولى أن يكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم أى أوقع التسيير فى حالة حشرهم وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوعه ولم نغادر أى لم نترك وانتصب صفا على الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع أى صفوفا وفى الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعى وينفذهم البصر الحديث الصحيح بطوله ﴿لقد جئتمونا﴾ معمول لقول محذوف تقديره وقلنا وكما خلقناكم نعت لمصدر محذوف أى مجيئا مثل مجىء خلقكم أى حفاة عراة غرلا كما فى الحديث وخالين من المال والولد وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينهما وبين الفعل بحرف النفى وهو لن كما فصل فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع وبل للاضراب بمعنى الانتقال من خبر الى خبر ليس بمعنى الابطال والمعنى أن لن نجعل لاعادتكم وحشركم موعدا أى مكان وعد أو زمان وعد لانجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء عليهم السلام من البعث والنشور والخطاب من لقد جئتمونا للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم ﴿ووضع الكتاب﴾ الكتاب اسم جنس أى كتب أعمال الخلق واسفاقهم خوفهم من كشف أعمالهم السيئة وفضيحتهم وما يترتب على ذلك من العذاب السرمدى

الى نهايتهم وقوفا أو جلوسا أو على غير هاتين الحالتين طولا أو تحليقا يقال منه صف يصف والجمع صفوف * العضد العضو من الانسان وغيره معروف وفيه لغتان فتح العين وضم الضاد واسكانها وفتحها وضم العين والضاد واسكان الضاد ويستعمل فى العون والنصير * قال الزجاج والاعضاد التقوى وطلب المعونة يقال اعتضدت بفلان استعنت به * الموبق المهلك يقال وبق يوبق وبقا ووبق يبق وبوقا اذا هلك فهو وابق وأوبقته ذنوبه أهلكته * أدحض الحق أزهقه قاله ثعلب وأصله من ادحاض القدم وهو ازلاقها قال الشاعر

وردت ونجى اليشكرى حذاره * وحاد كما حاد البعير عن الدحض

﴿وقال آخر﴾

أبا منذر رمت الوفاء وهبته * وحدت كما حاد البعير المدحض

والدحض الطين الذى يزهق فيه * الموئل قال الفراء المنجى يقال والت نفس فلان نجت * وقال الأعشى

وقد أخالس رب البيت غفلته * وقد يحاذر منى ثم ما يئل

أى ما ينجو * وقال ابن قتيبة الملجأ يقال وأل فلان الى كذا ألجأ يئل وألا ووؤلا ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب

فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا * لما بين تعالى فى المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل اليه ماافتخر به الكافر من الهلاك بين فى هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير مافيها من النعيم والترفه الى الهلاك وكماء قدره ابن عطية خبر مبتدا محذوف أى هى أى الحياة الدنيا كماء * وقال الحوفى الكاف متعلقة بمعنى المصدر أى ضربا كماء أنزلناه وأقول ان كماء فى موضع المفعول الثانى لقوله واضرب أى وصير لهم مثل الحياة الدنيا أى صفتها شبه ماء وتقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجمل فى قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام فى يونس فأصبح أى صار ولا يراد تقييد الخبر بالصباح فهو كقوله

أصبحت لاأحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

* وقيل هى دالة على التقييد بالصباح لان الآفات السماوية أكثر ماتطرق ليلا فهى كقوله فأصبح يقلب كفيه * وقرأ ابن مسعود تذريه من أذرى رباعيا * وقرأ زيد بن على والحسن والنخعى والأعمش وطلحة وابن أبى ليلى وابن محيصن وخلف وابن عيسى وابن جرير الريح على الافراد * والجمهور تذروه الرياح ولما ذكر تعالى قدرته الباهرة فى صيرورة ما كان فى غاية النضرة والبهجة الى حالة التفتت والتلاشى الى أن فرقته الرياح ولعبت به ذاهبة وجائية أخبر تعالى عن اقتداره على كل شئ من الانشاء والافناء وغيرهما مما تتعلق به قدرته تعالى ولما حقر تعالى حال الدنيا عاضر به من ذلك المثل ذكر ان مافخر به عيينة وأضرابه من المال والبنين انما ذلك زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة وان مصير ذلك انما هو الى النفاد فينبغى أن لا يكترث به وأخبر تعالى بزينة المال والبنين على تقدير حذف مضاف أى مقر زينة أو وضع المال والبنين منزلة المعنى والكثرة فأخبر عن ذلك بقوله زينة ولما ذكر مآل مافى الحياة الدنيا الى الفناء اندرج فيه هذا الجزئى من كون المال والبنين زينة وأنتج ان زينة الحياة الدنيا فان اذ ذاك فرد من أفراد مافى الحياة الدنيا وترتيب هذا الانتاج أن يقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما كان زينة الحياة الدنيا فهو سريع الانقضاء فالمال والبنون سريع الانقضاء ومن بديهة العقل أن ما كان كذلك يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه وهذا برهان على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد * والباقيات الصالحات قال الجمهور هى الكلمات المأثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل هى الصلوات الخمس * وعن ابن عباس انه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة ورجحه الطبرى وقول الجمهور مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من طريق أبى هريرة وغيره * وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله * وعن الحسن وابن عطاء انها النيات الصالحة فان بها تتقبل الاعمال وترفع ومعنى خير عند ربك ثوابا انها باقية ثم أباد ثم تبقيه وخيرات الدنيا منقرضة فانية والدائم الباقى خير من المنقرض المنقضى وخير أملا أى وخير رجاء لان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ونصيبه فى الآخرة دون ذى المال والبنين العارى من الباقيات الصالحات فانه لا يرجو ثوابا ولما ذكر تعالى مايؤول اليه حال الدنيا من النفاد أعقب ذلك بأوائل أحوال يوم القيامة فقال ويوم نسير الجبال كقوله ويوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا * وقال

﴿ياويلتنا﴾ نادوا هلكتهم التى هلكوا خاصة من بين الهلكات فقالوا ياويلتنا والمراد من بحضرتهم كأنهم قالوا ايامن بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ماجاء من نداء مالايعقل ما استفهامية مبتدأ ولهذا فى موضع الخبر تقديره أى شئ لهذا الكتاب ولا يغادر جملة حالية ﴿صغيرة﴾ أى مثل القبلة ﴿ولا كبيرة﴾ مثل الزنا وقدمت الصغيرة اهتماما بها واذا أحصيت الصغيرة فالكبيرة أحرى ﴿الا أحصاها﴾ ضبطها وحفظها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ فى الصحف عتيدا ﴿ولايظلم ربك أحدا﴾ فيكتب عليه مالم يعمل أو يزيد فى عقابه

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب * وقال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا * وقال واذا الجبال سيرت والمعنى انه ينفك نظام هذا العالم الدنيوي ويؤتى بالعالم الأخروي وانتصب ويوم على اضمار اذكر أو بالفعل المضمر عند قوله لقد جئتمونا أي قلنا يوم كذا لقد * وقرأ نافع وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وعاصم وابن مصرف وأبو عبد الرحمن نسير بنون العظمة الجبال بالنصب وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو والحسن وشبل وقتادة وعيسى والزهري وحميد وطلحة واليزيدي والزبيري عن رجاله عن يعقوب بضم التاء وفتح الياء المشددة مبنيا للمفعول الجبال بالرفع وعن الحسن كذلك الا انه بضم الياء باثنتين من تحتها وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو وتسير من سارت الجبال * وقرأ أبي سيرت الجبال وترى الارض بارزة أي منكشفة ظاهرة لذهاب الجبال والظراب والشجر والعمارة أو ترى أهل الارض بارزين من بطنها * وقرأ عيسى وترى الارض مبنيا للمفعول وحشرناهم أي أقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة * وقال الزمخشري (فان قلت) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والأولى أن تكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم أي يوقع التسيير في حالة حشرهم * وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه * وقرأ الجمهور نغادر بنون العظمة وقتادة تغادر على الاسناد الى القدرة أو الارض وأبان بن يزيد عن عاصم كذلك أو بفتح الدال مبنيا للمفعول واحد بالرفع وعصمة كذلك والضحاك نغدر بضم النون واسكان الغين وكسر الدال وانتصب صفا على الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع أي صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله وفي حديث آخر أهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا أو انتصب على المصدر الموضوع موضع الحال أي مصطفين * وقيل المعنى صفا صفا فحذف صفا وهو مراد وهذا التكرار منبئ عن استيفاء الصفوف الى آخرها شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا معمول لقول محذوف أي وقلنا وكما خلقناكم نعت لمصدر محذوف أي مجيئا مثل مجيء خلقكم أي حفاة عراة غرلا كما جاء في الحديث وخالين من المال والولد وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي وهو لن كما فصل في قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع وبل للاضراب بمعنى الانتقال من خبر الى خبر ليس بمعنى الابطال والمعنى أن لن نجعل لاعادتكم وحشركم موعدا أي مكان وعد أو زمان وعد لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور والخطاب في لقد جئتمونا للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم * ووضع الكتاب وقرأ زيد بن علي ووضع مبنيا للفاعل الكتاب بالنصب والكتاب اسم جنس أي كتب أعمال الخلق ويجوز أن تكون الصحائف كلها جعلت كتابا واحدا ووضعته الملائكة لمحاسبة الخلق واشفاقهم خوفهم من كشف أعمالهم السيئة وفضحهم وما يترتب على ذلك من العذاب السرمدي ونادوا هلكتهم التي هلكوا خاصة من بين الهلكات فقالوا ياويلتنا والمراد من بحضرتهم كأنهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ما جاء من نداء ما لا يعقل كقوله يا أسفى على يوسف يا حسرتى على ما فرطت يا ويلتا ءألد يا بشرى يا لهفا ويا حسرتا وقول الشاعر

(الدر)

(ش) فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد تسير وترى * قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (ح) الاولى أن تكون الواو واو الحال لا واو العطف والمعنى حشرناهم أي يوقع التسيير في حالة حشرهم وقيل حشرناهم وعرضوا ووضع الكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ الآية ارتباطها بالتي قبلها هو أنه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المجرمين مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيدا عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به وتقدم الكلام في استثناء ابليس أهو استثناء متصل أو منقطع وهل هو من الملائكة أم ليس منهم في أوائل البقرة والظاهر أن معنى ففسق خرج عما أمره به ربه من السجود والهمزة في أتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب أي أبعد ما ظهر منه الفسق والعصيان أتتخذونه وذريته أولياء من دوني مع ثبوت عداوته لكم تتخذونه ولياوهو لكم عدو جملة حالية وعدو مفرد أريد به الجمع المقابل به الجمع وهو أولياء والمخصوص بالذم محذوف أي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم الله ولايتهم ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع الشيء في غير موضعه ﴿ ما أشهدتهم ﴾ الذي يظهر أن المعنى اخبار من الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم وخطاب منه تعالى في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين بل هو منذ كان ووجد صلى الله عليه وسلم في غاية التبري منهم والبعد عنهم ليعلم أمته أنه لم يزل محفوظا من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه صلى الله عليه وسلم وقرأ علي بن أبي طالب متخذ المضلين أعمل اسم الفاعل ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي ﴾ ليس المعنى أنه تعالى أخبر أنهم شركاؤه ولكن ذلك على زعمكم والاضافة تكون بأدنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما اذ التقدير زعمتموهم شركائي والنداء هنا بمعنى الاستغاثة أي استغيثوا بشركائكم والمراد بادرهم ليدفعوا العذاب عنكم ولينفعوكم لكن الظاهر في بينهم تدل على أن الذين والمدعوين وهم المشركون والشركاء ﴿ موبقا ﴾ الموبق المهلك ... [illegible] ... أو فيه ذنوبه أهلكته ﴿ ورأى المجرمون النار ﴾ هي رؤية عين أي عاينوها ... قيل على موضوعه من كونه ترجيح أحد الخبرين وكونهم لم يجرموا به خوفا ورجاء وطمعا في رحمة الله ومصرفا أي معدلا ومرجع

يا عجبا لهذه الفليقة * فيا عجبا من رحلها المتحمل

انما يراد به تنبيه من يعقل بالتعجب مما حل بالمنادى ولا يغادر جملة في موضع الحال * وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة * وعن ابن جبير القبلة والزنا وعن غيره السهو والعمد * وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر وقدمت الصغيرة اهتماما بها واذا أحصيت فالكبيرة أحرى الا أحصاها ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه الذي يستحقه أو يعذبه بغير جرم * قال الزمخشري كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين انتهى ولا يقال ان ذلك ظلم منه تعالى لأنه تعالى كل مملوكون له فله أن يتصرف في مماليكه بما يشاء لا يسأل عما يفعل والصحيح في أطفال المشركين انهم يكونون في الجنة خدما لأهلها نص عليه في البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ ذكروا في ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بمجالسة الفقراء وكان أولئك المتكبرون قد تأنفوا عن مجالستهم وذكروا للرسول صلى الله عليه وسلم طردهم عنه وذلك لما جبلوا عليه من التكبر والتكثر بالأموال والأولاد وشرف الاصل والنسب وكان أولئك الفقراء بخلافهم في ذلك ناسب ذكر قصة ابليس بجامع ما اشتركا فيه من التكبر والافتخار بالاصل الذي خلق منه وهذا الذي ذكروه في الارتباط هو ظاهر بالنسبة للآيات السابقة قبل ضرب المثلين واما انه واضح بالنسبة لما بعد المثلين فلا والذي يظهر في ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها هو انه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المشركين مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم واتخاذ شركاء مع الله ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته أولياء من دون الله تبعيدا عن المعاصي وعن امتثال ما يوسوس به وتقدم

الـكلام في استثناء ابليس أهو استثناء متصل أم منقطع وهل هو من الملائكة أم ليس منهم في أوائل
سورة البقرة فأغنى عن اعادته والظاهر من هذه الآية انه ليس من الملائكة وانما هو من الجن * قال
قتادة الجن حي من الملائكة خلقوا من نار السموم * وقال شهر بن حوشب هو من الجن الذين
ظفرت بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء * وقال الحسن وغيره هو أول الجن
و بداءتهم كآدم في الانس * وقالت فرقة كان ابليس وقبيله جنا لكن الشياطين اليوم من
ذريته فهو كنوح في الانس * وقال الزمخشري كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد
استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه
والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم
لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون ألبتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة
الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله و بين قول من ضاده فزعم انه
كان ملكا و رئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس انتهى والظاهر
ان معنى ففسق عن أمر ربه فخرج عما أمره ربه به من السجود * قال رؤبة

يهوين في نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها حوائرا

* وقيل ففسق صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم حيث لم يمتثله * قيل
و يحتمل أن يكون المعنى ففسق بأمر ربه أي بمشيئته وقضائه لأن المشيئة يطلق عليها أمر كما تقول
فعلت ذلك عن أمرك أي بحسب مرادك والهمزة في أفتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب أي
أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتخذونه وذريته أولياء من دوني مع ثبوت عداوته لكم
تتخذونه وليا * وقرأ عبيد الله بن زياد على المنبر وهو يخطب أفتتخذونه وذريته بفتح الذال والظاهر
أن لابليس ذرية وقال بذلك قوم منهم قتادة والشعبي وابن زيد والضحاك والاعمش * قال قتادة
ينكح و ينسل كما ينسل بنو آدم * وقال الشعبي لا يكون ذرية الا من زوجة * وقال ابن زيد ان الله
قال لابليس اني لا أخلق لآدم ذرية الا ذرأت لك مثلها فليس يولد لولد آدم ولد الا ولد معه شيطان
يقرن به * وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم ألك شيطان قال نعم الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم
وسمى الضحاك وغيره من ذرية ابليس جماعة الله أعلم بصحة ذلك وكذلك ذكروا كيفيات في وطئه
وانساله الله أعلم بذلك وذهب قوم الى انه ليس لابليس ولد وانما الشياطين هم الذين يعينونه على
بلوغ مقاصده والمخصوص بالذم محذوف أي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وقال للظالمين
لانهم اعتاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولايتهم ابليس وذريته وهذا نفس الظلم لانه وضع
الشيء في غير موضعه * وقرأ الجمهور ما أشهدتهم بتاء المتكلم * وقرأ أبو جعفر وشيبة والسختياني
وعون العقيلي وابن مقسم ما أشهدناهم بنون العظمة والظاهر عود ضمير المفعول في أشهدتهم على
ابليس وذريته أي لم أشاورهم في خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم بل خلقتهم على ما
أردت ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضدا * وقال الزمخشري يعني انكم اتخذتم شركاء لي في
العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله
ما أشهدتهم خلق السموات والارض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذهم أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم

بالاضلال فاذا لم يكونوا لى عضدا فى الخلق فالكم تتخذونهم شركاء فى العبادة انتهى * وقيل يعود على الملائكة والمعنى انه ما أشهدهم ذلك ولا استعان بهم فى خلقها بل خلقتهم ليطيعونى و يعبدونى فكيف يعبدونهم * وقيل يعود على الكفار * وقيل على جميع الخلق * وقال ابن عطية الضمير فى أشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين والأطباء وسواهم من كل من يتخرص فى هذه الأشياء وقاله عبد الحق الصقلى وتأول هذا التأويل فى هذه الآية وانها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الأصوليين انتهى * وقرأ أبو جعفر والجحدرى والحسن وشيبة وما كنت بفتح التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم * قال الزمخشرى والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك أن تعتز بهم انتهى والذى أقوله أن المعنى اخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له فى انتفاء كينونته متخذ عضدا من المضلين بل هو مذ كان و وجد عليه السلام فى غاية التبرى منهم والبعد عنهم لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظا من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال اليه صلى الله عليه وسلم * وقرأ على بن أبى طالب متخذا المضلين أعمل اسم الفاعل * وقرأ عيسى عضدا بسكون الضاد خفف فعلا كما قالوا رجل وسبع فى رجل وسبع وهى لغة عن تميم وعنه أيضا بفتحتين * وقرأ شيبة وأبو عمرو فى رواية هارون وخارجة والخفاف عضدا بضمتين وعن الحسن عضدا بفتحتين وعنه أيضا ضمتين * وقرأ الضحاك عضدا بكسر العين وفتح الضاد * وقرأ الجمهور و يوم يقول بالياء أى الله * وقرأ الاعمش وطلحة و يحيى وابن أبى ليلى وحمزة وابن مقسم نقول بنون العظمة أى للذين أشركوا به فى الدنيا نادوا شركائى وليس المعنى انه تعالى أخبر انهم شركاؤه ولكن ذلك على زعمكم والاضافة تكون بأدنى ملابسة ومفعولا زعمتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما اذ التقدير زعمتموهم شركائى والنداء بمعنى الاستغاثة أى استغيثوا بشركائكم والمراد نادوهم لدفع العذاب عنكم أو للشفاعة لكم والظاهر ان الضمير فى بينهم عائد على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركاء * وقيل يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة والظاهر وقوع الدعاء حقيقة وانتفاء الاجابة * وقيل يحتمل أن يكون استعارة كأن فكرة الكافر ونظره فى أن تلك الجمادات لا تغنى شيئا ولا تنفع هى بمنزلة الدعاء وترك الاجابة * وقرأ الجمهور شركائى ممدودا مضافا للياء وابن كثير وأهل مكة مقصورا مضافا لها أيضا والظاهر انتصاب بينهم على الظرف * وقال الفراء البين هنا الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة فعلى هذا يكون مفعولا أول لجعلنا وعلى الظرف يكون فى موضع المفعول الثانى * وقال ابن عباس وقتادة والضحاك الموبق المهلك * وقال الزجاج جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم * وقال عبد الله بن عمر وأنس ومجاهد واد فى جهنم يجرى بدم وصديد * وقال الحسن عداوة * وقال الربيع بن أنس انه المحبس * وقال أبو عبيدة الموعد * ورأى المجرمون النار هى رؤية عين أى عاينوها والظن هنا قيل على بابه من كونه ترجيح أحد الجائزين وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعا فى رحمة الله * وقيل معنى فظنوا أيقنوا فانه كثر الناس ومعنى مواقعوها مخالطوها واقعون فيها كقوله وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم * وقال ابن عطية أطلق الناس أن الظن هنا بمعنى اليقين ولو قال بمعنى أيقنوا لكان الكلام متسقا على مبالغة فيه ولكن العبارة بالظن لا تجىء أبدا فى موضع يقين تام قد قاله الحس بل أعظم درجاته أن يجىء فى موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ الآية تقدم تفسير نظير صدر هذه الآية وهنا شيء مفرد معناه الجمع أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال ان فصلتها واحدة بعد واحدة جدلا خصومة ومماراة بمعنى أن جدال الانسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز قيل والانسان هنا النضر بن الحرث وقيل ابن الزبعرى وقيل أمية بن خلف وكان جداله في البعث حتى أتى بعظم قد رم فقال أيقدر الله على اعادة هذا وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا حين عاتب عليا كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل وقال له علي انما نفسي بيد الله تعالى فاستعمل الانسان على العموم وفي قوله ومامنع الناس الآية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن منهم بقصد أن يمتنعوا لتجنبهم العذاب وانما امتنعوا مع اعتقاد أنهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا وكان حالهم يقتضي التأسف عليهم والناس يراد به كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها ﴿ومامنع الناس أن يؤمنوا﴾ الاما سبق في علمنا وقضائنا أن يجري عليهم سنة الأولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك وأراد بالاولين من أهلك من الأمم السابقة وأن يؤمنوا في موضع نصب على اسقاط حرف الجر أي من الايمان وفاعل منع قوله أن يأتيهم وهو على حذف مضاف تقديره الا انتظار أن يأتيهم وقرأ قبلا بضم القاف والباء فاحتمل أن يكون بمعنى قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقد قرئ به وحكاها أبو عبيدة أنهما بمعنى واحد في المقابلة وأن يكون جمع قبيل أن يجيئهم العذاب أنواعا ﴿ومانرسل المرسلين الامبشرين﴾ أي بالنعيم المقيم لمن آمن ﴿ومنذرين﴾ اي بالعذاب الأليم لمن كفر ﴿ليدحضوا به﴾ ليزيلوا ﴿واتخذوا آياتي﴾ يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولا وفعلا ﴿وما أنذروا﴾ من عذاب الآخرة واحتملت ما أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره وما أنذروه وأن تكون مصدرية أي وأنذرهم فلا يحتاج الى عائد ﴿هزوا﴾ أي سخرية واستخفافا لقولهم أساطير الأولين لو نشاء لقلنا مثل هذا وتقدم تفسير نظير قوله ﴿انا جعلنا على قلوبهم﴾ الآية ثم أخبر تعالى ان هؤلاء لايهتدون أبدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفار وآمنوا وحمل أولا على لفظ من في قوله ذكر بآيات ربه فاعرض عنها فافرد ثم على المعنى في قوله انا جعلنا على قلوبهم فجمع وفي وان تدعهم وتقييده بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة أي الموصوف بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لايؤاخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم في الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والموعد أجل الموت وأشار تعالى بقوله ﴿وتلك القرى﴾ الى القرى المجاورة أهل مكة كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى عليهم وليحذروا ما حل بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدأ والقرى صفة أو عطف بيان والخبر

ويحسن لايكاد يوجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل قول دريد * فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج * انتهى وفي مصحف عبد الله ملاقوها مكان مواقعوها وقرأه كذلك الاعمش وابن غزوان عن طلحة والأولى جعله تفسيرا لمخالفة سواد المصحف وعن علقمة أنه قرأ ملافوها بالفاء مشددة من لففت وفي الحديث ان الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة ومعنى مصرفا معدلا ومراغا * ومنه قول أبي كبير الهذلي

أزهير هل عن شيبة من مصرف * أم لا خلود لباذل متكلف

وأجاز أبو معاذ مصرفا بفتح الراء وهي قراءة زيد بن علي جعله مصدرا كالمضرب لان مضارعه يصرف على يفعل كيضرب ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ تقدم تفسير نظير صدر هذه الآية وشيء هنا مفرد معناه الجمع أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال ان فصلتها واحدا بعد واحد * جدلا خصومة ومماراة يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل

كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز * قيل الانسان هنا النضر بن الحرث * وقيل ابن الزبعرى * وقيل أبي بن خلف وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رم فقال أيقدر الله على إعادة هذا قاله ابن السائب * قيل كل من يعقل من ملك وجن يجادل والانسان أكثر هذه الأشياء جدلا انتهى وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد تلا الرسول صلى الله عليه وسلم قوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا حين عاتب عليا كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل فقال له علي إنما نفسي بيد الله فاستعمل الانسان على العموم وفي قوله وما منع الناس الآية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب وإنما امتنعوا مع اعتقادهم أنهم مصيبون لكن الأمر في نفسه يسوقهم الى هذا فكان حالهم يقتضي التأسف عليهم والناس يراد به كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعة وتكذيبها قاله ابن عطية * وقال الزمخشري ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلهما مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة انتهى وهو مسترق من قول الزجاج * قال الزجاج تقديره ما منعهم من الايمان الا طلب أن تأتيهم سنة الاولين * وقال الواحدي المعنى ما منعهم الا أني قد قدرت عليهم العذاب وهذه الآية فيمن قتل ببدر وأحد من المشركين وهذا القول نحو من قول من قال التقدير وما منع الناس أن يؤمنوا الا ما سبق في علمنا وقضائنا أن يجري عليهم سنة الاولين من عذاب الاستئصال من المسخ والصيحة والخسف والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك وأراد بالاولين من أهلك من الأمم السالفة * وقال صاحب الغنيان الا ارادة أو انتظار أن تأتيهم سنتنا في الاولين ومن قدر المضاف هذا أو لطلب فإنما ذلك لاعتقادهم عدم صدق الانبياء فيما وعدوا به من العذاب كما قال حكاية عن بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك * وقيل ما هنا استفهامية لا نافية والتقدير وأي شيء منع الناس أن يؤمنوا والهدى الرسول أو القرآن قولان * وقرأ الحسن والاعرج والاعمش وابن أبي ليلى وخلف وأيوب وابن سعدان وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير والكوفيون بضم القاف والباء فاحتمل أن يكون بمعنى قبلا لأن أبا عبيدة حكاها بمعنى واحد في المقابلة وأن يكون جمع قبيل أي يجيئهم العذاب أنواعا وألوانا * وقرأ باقي السبعة ومجاهد وعيسى بن عمر قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه عيانا * وقرأ أبو رجاء والحسن أيضا بضم القاف وسكون الباء وهو تخفيف قبل على لغة تميم وذكر ابن قتيبة أنه قرئ بفتحتين وحكاه الزمخشري وقال مستقبلا * وقرأ أبي بن كعب وابن غزوان عن طلحة قبيلا بفتح القاف وباء مكسورة بعدها ياء على وزن فعيل وما نرسل المرسلين الا مبشرين أي بالنعيم المقيم لمن آمن ومنذرين أي بالعذاب الأليم لمن كفر لا ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات ليدحضوا ليزيلوا واتخذوا آياتي يجمع آيات القرآن وعلامات الرسول قولا وفعلا وما أنذروا من عذاب الآخرة واحتملت ما أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي وما أنذروه وأن تكون مصدرية أي وانذارهم فلا يحتاج الى عائد على الأصح هزوا أي سخرية واستخفافا كقولهم أساطير الاولين لو نشاء لقلنا مثل هذا وجدالهم للرسول صلى الله عليه وسلم قولهم ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك وآيات ربه هو القرآن ولذلك عاد الضمير مفردا في قوله أن يفقهوه واعراضه عنها كونه لا يتذكر حين ذكر ولا يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المحسن والمسيء يجزيان بما عملا وعند تفسير ...

أهلكناهم ويجوز أن يكون القرى الخبر وأهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية ويجوز أن يكون تلك منصوبا باضمار فعل يفسره ما بعده أي وأهلك تلك القرى أهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف أي وأصحاب تلك القرى ولذلك عاد الضمير على ذلك المضمر في قوله أهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وهي الظلم وبهذا استدل الاستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفية لما وأنها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل الموعد أن يكون مصدرا أو زمانا

قوله انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ثم أخبر تعالى ان هؤلاء لا يهتدون أبدا وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر اذ قد اهتدى كثير من الكفرة وآمنوا ويحتمل أن يكون ذلك حكما على الجميع أى وان تدعهم أى الى الهدى جميعا فلن يهتدوا جميعا أبدا وحمل أولا على لفظ من فأفرد ثم على المعنى فى قوله انا جعلنا على قلوبهم فجمع وجعلوا دعوة الرسول الى الهدى وهى التى تكون سببا لوجود الاهتداء سببا لانتفاء هدايتهم وهذا الشرط كأنه جواب للرسول عن تقدير قوله مالى لا أدعوهم الى الهدى حرصا منه عليه الصلاة والسلام على حصول ايمانهم فقيل وان تدعهم وتقييده بالابدية مبالغة فى انتفاء هدايتهم والغفور صفة مبالغة وذو الرحمة أى الموصوف بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه تعالى لا يؤاخذهم عاجلا بل يمهلهم مع افراطهم فى الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والموعد أجل الموت أو عذاب الآخرة أو يوم بدر أو يوم أحد وأيام النصر أو العذاب اما فى الدنيا واما فى الآخرة أقوال * والموئل قال مجاهد المحرز * وقال الضحاك المخلص والضمير فى من دونه عائد على الموعد * وقرأ الزهرى مو"لا بتشديد الواو من غير همز ولا ياء * وقرأ أبو جعفر عن الحلوانى عنه مولا بكسر الواو خفيفة من غير همز ولا ياء * وقرأ الجمهور بسكون الواو وهمزة بعدها مكسورة وأشار تعالى بقوله وتلك القرى الى القرى المجاورة أهل مكة والعرب كقرى ثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بما جرى عليهم وليحذروا ما يحل بهم كما حل بتلك القرى وتلك مبتدأ والقرى صفة أو عطف بيان والخبر أهلكناهم ويجوز أن تكون القرى الخبر وأهلكناهم جملة حالية كقوله فتلك بيوتهم خاوية ويجوز أن تكون تلك منصوبا باضمار فعل يفسره ما بعده أى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم وتلك القرى على اضمار مضاف أى وأصحاب تلك القرى ولذلك عاد الضمير على ذلك المضمر فى قوله أهلكناهم وقوله لما ظلموا اشعار بعلة الاهلاك وهى الظلم وبهذا استدل الاستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفيه لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلية وفى قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك وضربنا الاهلاك لهم وقتا معلوما وهو الموعد واحتمل أن تكون مصدرا أو زمانا * وقرأ الجمهور بضم الميم وفتح اللام واحتمل أن يكون مصدرا مضافا الى المفعول وأن يكون زمانا * وقرأ حفص وهارون عن أبى بكر بفتحتين وهو زمان الهلاك * وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام مصدر هلك يهلك وهو مضاف للفاعل * وقيل هلك يكون لازما ومتعديا فعلى تعديته يكون مضافا للمفعول وأنشد أبو على" فى ذلك

* ومهمه هالك من تعرجا * ولا يتعين ما قاله أبو على" فى هذا البيت بل قد ذهب بعض النحويين الى ان هالك فيه لازم وانه من باب الصفة المشبهة أصله هالك من تعرجا فمن فاعل ثم أضمر فى هالك ضمير مهمه وانتصب من على التشبيه بالمفعول ثم أضافه من نصب وقد اختلف فى الموصول هل يكون من باب الصفة المشبهة والصحيح جواز ذلك وقد ثبت فى أشعار العرب * قال الشاعر وهو عمر بن أبى ربيعة

أسيلات أبدان دقاق خصورها * وثيرات ما التفت عليها الملاحف

﴿ وقال آخر ﴾

فعجتها قبل الأخيار منزله * والطيبى كل ما التاثت به الازر

﴿ واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ الآية في الحديث الثابت الصحيح وفي التواريخ أن موسى بن عمران موسى بني اسرائيل المرسل هو وأخوه هرون الى فرعون وفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب والفتى الشاب وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فاوحى الله تعالى اليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ البحرين وعتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر في أيام افريدون قبل موسى

وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي الى أيام موسى عليه السلام ومعنى ﴿لا أبرح﴾ لا أزال وهي من أخوات كان تحتاج الى اسم وخبر واسمها الضمير المستكن في أبرح العائد على موسى والخبر محذوف لفهم المعنى يدل عليه التغيية بحتى التقدير لا أبرح سائرا حتى أبلغ ونص أصحابنا على أن خبر كان وأخواتها لا يجوز حذفه وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله

لهفي عليك للهفة من خائف ❊ يبغي جوارك حين ليس مجير

أي حين ليس في الدنيا مجير والذي أراه أنه يجوز حذفه اذا دل الدليل على حذفه كهذا الموضع قال الزمخشري فان قلت لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من خبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف انتهى وهذان الوجهان خرجهما الزمخشري أما الأول ففيه حذف الفعل مسندا الى ضمير المتكلم وحذف الخبر محذوف كما قاله ابن عطية وحتى أبلغ غاية متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له ... حتى لا يبرح ... من حيث اللفظ الى المتكلم ومن

حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ ❊ برح زال مضارع يزول ومضارع يزال فتكون من أخوات كان الناقصة ❊ الحقب السنون واحدها حقبة ❊ قال الشاعر

فان تنأ عنها حقبة لا تلاقها ❊ فانك مما أحدثت بالمجرب

❊ وقال الفراء الحقب سنة ويأتي قول أهل التفسير فيه ❊ السرب المسلك في جوف الأرض ❊ النصب التعب والمشقة ❊ الصخرة معروفة وهي حجر كبير ❊ السفينة معروفة وتجمع على سفن وعلى سفائن وتحذف التاء فيقال سفين وسفين وهو مما بينه وبين مفرده تاء التأنيث وهو كثير في المخلوق نادر في المصنوع نحو عمامة وعمام ❊ وقال الشاعر

متى تأته تأت لج بحر ❊ تقاذف في عوارية السفين

❊ الامر الشنيع من الأمور كالداهية والاد ونحوه ❊ الجدار معروف ويجمع على جدر وجدران ❊ انقض سقط ومن أبيات معايات الاعراب

فرت كما انقض تالي كوكب ❊ ...

...ذكر وصفا فيه بدءه وعيب السفينة حدث فيها ... ﴿واذ قال موسى لفتاه لا أبرح

حيث أسند الى ذلك المقدر المحذوف وجعل خبر لا أبرح هو حتى أبلغ فهو عمدة اذ أصله خبر المبتدأ لأنه خبر أبرح قال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان انتهى ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم قال ابن عطية هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في أرض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا والقرية التي أبت أن تضيفهما هي الجزيرة الخضراء وقال ابن عباس الحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وقيل سنة بلغة قريش والظاهر أن قوله أو أمضى معطوف على أبلغ فغيا باحد الامرين اما ببلوغه المجمع واما بمضيه حقبا وقيل هي تغيية لقوله لا أبرح كقولك لا أفارقك أو تقضيني حقي فالمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين الى أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات مجمع البحرين *فلما بلغا مجمع بينهما* ثم جملة محذوفة والتقدير فسارا فلما بلغا أي موسى وفتاه مجمع بينهما أي بين البحرين نسيا حوتهما (وكان) من أمر الحوت وقصته أن موسى عليه السلام حين أوحى الله تعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتله ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤسهما وناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق والسرب المسلك في جوف الارض *فلما جاوزا* أي مجمع البحرين وهو الموعد قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه والنصب التعب وقوله *من سفرنا هذا* إشارة الى مسيرهما وراء الصخرة * وقال الزمخشري *أرأيت* بمعنى أخبرني فان قلت ماوجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت واذ أوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون أرأيت بمعنى اخبرني ذكره سيبويه وقد أمعنا الكلام في ذلك في سورة الانعام ويجوز أن يكون أرأيت هنا بمعنى أعلمت أي أعلمت ما جرى ولا يكون بمعنى أخبرني و إذ معمولة لأرأيت هذه وفي نسبة النسيان الى نفسه دليل على حسن أدبه وتلطفه في فقد الحوت وأن أذكره بتقدير بالمصدر تقديره ذكري إياه وهو بدل اشتمال من ضمير الغيبة في أنسانيه وفصل بين المبدل منه والبدل بقوله الا الشيطان وهو فاعل أنسانيه والظاهر أن الضمير في واتخذ سبيله في البحر عجبا عائد على الحوت كما عاد في قوله واتخذ سبيله في البحر سربا وهو من كلام يوشع وانما كان عجبا لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويا أو مأكولا بعضه وامساك جرية الماء عليه والاشارة بقوله ذلك أي أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر لانه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد الصالح وذلك مبتدأ وما موصولة خبر عن المبتدأ ونبغي صلة ما والعائد عليها محذوف تقديره نبغيه فارتدا أي رجعا على ادراجهما من حيث جاآ قصصا أي يقصان الأثر قصصا فانتصب على المصدرية باضمار يقصان أو يكون في موضع الحال أي مقتصين فينتصب بقوله فارتدا فوجدا أي موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وجداه عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوبه مستلقيا على الأرض فقال السلام عليك فرفع رأسه وقال أنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال له ألم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال بلى ولكن أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال له اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله تعالى لا أعلمه أنا وقيل واسم الخضر [illegible] وقيل [illegible] الخضر [illegible] لانه [illegible] الاثر [illegible] على

حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما

كذب هؤلاء المنتمين للتصوف المدعين علم الغيب والكشف عن أحوال الناس أعاذنا الله من ذلك ولدن تقدم الكلام عليها في أوائل آل عمران قال موسى في الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذي ورد في الحديث الصحيح * قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل على التواضع للعالم وفي هذه القصة دليلن على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب في طلب العلم بقوله هل أتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب رشدا على أنه مفعول ثان لقوله تعلمني أو على أنه مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك وقرئ رشدا ورشدا ﴿قال انك لن تستطيع معي صبرا﴾ نفى الخضر استطاعته الصبر معه على سبيل التأكيد كأنها مالا يصح ولا يستقيم ﴿وكيف تصبر﴾ أي ان صبرك على مالا خبرة لك به مستبعد * وفيه ابداء عذر له حيث لا يمكنه (١٤٣) الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه وانتصب خبرا على التميز أي بما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل أو على أنه مصدر على غير المصدر لان معنى بما لم تحط به لم تخبره ﴿قال ستجدني ان شاء الله صابرا﴾ وعده بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى علما منه بشدة الأمر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما ينافي ما هو عليه اذا رآه ﴿ولا أعصي﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على صابرا أي صابرا وغير عاص فيكون في موضع نصب عطفا على الاسم اذا كان في معناه كقوله تعالى صافات ويقبضن أي وقابضات ويجوز أن يكون معطوفا على ستجدني فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظ

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران عليه السلام ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره ومن ذهب الى انه غيره وهو موسى بن ميشا بن يوسف أو موسى بن افرائيم بن يوسف فقول لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح وفي التواريخ انه موسى بن عمران نبي بني اسرائيل والمرسل هو وأخوه هارون الى فرعون وفتاه هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام والفتى الشاب ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في الحديث لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي وقال لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم ويقال ان يوشع كان ابن أخت موسى عليه السلام وسبب هذه القصة أن موسى عليه السلام جلس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فأبلغ فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فأوحى الله اليه أن يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا افتقد الحوت فانه هنالك ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لا أبرح أسير أي لا أزال * قال ابن عطية وانما قال هذه المقالة وهو سائر * ومن هذا قول الفرزدق

فابرحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذي قار عياب اللطائم

انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا أبرح وهي من أخوات كان ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله

لهفي عليك للهفة من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير

أي حين ليس في الدنيا * وقال الزمخشري (فان قلت) لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد

(الدر) (ع) وانما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق فما برحوا حتى تهادت نساؤهم * ببطحاء ذي قار عياب اللطائم (ح) انتهى وهذا الذي ذكره فيه حذف خبر لا أبرح وهي من أخوات كان ونص أصحابنا على أن حذف خبر كان وأخواتها لا يجوز وان دل الدليل على حذفه الا ما جاء في الشعر من قوله لهفي عليك للهفة من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير أي حين ليس في الدنيا مجير (ش) فان قلت لا أبرح ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من خبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو خبر فلما حذف [illegible] [illegible]

حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفر وأما الكلام فلان قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضر و به تستدعى ماهى غاية له فلابد أن يكون المعنى لايبرح مسيرى حتى أبلغ على ان حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن ضمير الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف انتهى وهماوجهان خلطهما الزمخشرى أما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا وتقديرا وجعل الخبر محذوفا كما قدره ابن عطية وحتى أبلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له والوجه الثانى جعل لاأبرح مسندا من حيث اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف وجعله لاأبرح هو حتى أبلغ فهو عمدة اذ أصله خبر للمبتدا لانه خبر أبرح * وقال الزمخشرى أيضا ويجوز أن يكون المعنى لاأبرح ماأنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لاأبرح المكان انتهى يعنى ان برح يكون بمعنى فارق فيتعدى اذ ذاك الى مفعول ويحتاج هذا الى صحة نقل وذكر الطبرى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه بمصر فلما استقرت الحال خطب يوما فذكر بآلاء الله وأيامه عند بنى اسرائيل ثم ذكر ماهو عليه من أنه لايعلم أحدا أعلم منه * قال ابن عطية ومايرى قط أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر الافى هذا الكلام وماأراه يصح بل المتظاهر أن موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين وهذا المروى عن ابن عباس ذكره الزمخشرى فقال روى أنه لما ظهر موسى على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأى الناس أعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر كان الخضر فى أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وذكر أيضا فى أسئلة موسى أنه قال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر انتهى وهذا مخالف لما ثبت فى الصحيح من أنه قيل له هل أحد اعلم منك قال لا * ومجمع البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم * قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب فى أرض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذى لاجتماع البحرين مما يلى بر الشام هو مجتمع البحرين على هذا القول * وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظى هو عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور الى صبا وعن أبى بأفريقية * وقيل هو بحر الأندلس والقرية التى أبت أن تضيفهما هى الجزيرة الخضراء * وقيل مجمع البحرين بحر ملح وبحر عذب فيكون الخضر على هذا عند موقع نهر عظيم فى البحر * وقالت فرقة البحران كناية عن موسى والخضر لأنهما بحرا علم وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية والاحاديث تدل على أنهما بحرا ماء * وقال الزمخشرى من بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين فى العلم انتهى * وقيل بحر القلزم * وقيل بحر الازرق * وقرأ الضحاك وعبد الله بن مسلم بن يسار مجمع بكسر الميم الثانية والنصر عن ابن مسلم فى كلا الحرفين وهو شاذ وقياسه من يفعل فتح الميم كقراءة الجمهور والظاهر أن مجمع البحرين هو اسم مكان جمع البحرين * وقيل مصدر * قال ابن عباس الحقب الدهر * وقال عبد الله بن عمرو وأبو هريرة ثمانون سنة * وقال الحسن سبعون * وقيل سنة بلغة قريش ذكره الفراء * وقيل وقت غير محدود قاله أبو

(الدر)

الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف انتهى (ح) هماوجهان خلطهما (ش) أما الاول فجعل الفعل مسندا الى المتكلم لفظا وجعل الخبر محذوفا كما قدره (ع) وحتى أبلغ فضلة متعلقة بالخبر المحذوف وغاية له والوجه الثانى جعل لاأبرح مسندا من حيث اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف وجعل خبر أبرح هو حتى ابلغ فهو عمدة اذ اصله خبر للمبتدأ لانه خبر أبرح (ش) ويجوز أن يكون المعنى لاأبرح ماأنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا اتركه فلا فارقه حتى ابلغ كما تقول لاأبرح المكان (ح) يعنى ان برح تكون بمعنى فارق فتتعدى اذ ذاك الى مفعول ويحتاج هذا الى صحة نقل

عبيدة والظاهر أن قوله أو أمضي معطوف على أبلغ فغيا بأحد الأمرين اما بلوغه المجمع واما مضيه حقبا * وقيل هي تغيية لقوله لا أبرح كقولك لا أفارقك أو تقضيني حقي فالمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين الى أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات مجمع البحرين * وقرأ الضحاك حقبا باسكان القاف والجمهور بضمها * فلما بلغا مجمع بينهما ثم جملة محذوفة التقدير فسارا فلما بلغا أي موسى وفتاه مجمع بينهما أي بين البحرين نسيا حوتهما وكان من أمر الحوت وقصته أن موسى عليه السلام حين أوحى اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فنام موسى واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق * قيل وكان الحوت مالحا * وقيل مشويا * وقيل طريا * وقيل جمع يوشع الحوت والخبز في مكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت * وروى أنهما أكلا منها * وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء والظاهر نسبة النسيان الى موسى وفتاه * وقيل كان النسيان من أحدهما وهو فتى موسى نسي أن يعلم موسى أمر الحوت اذ كان نائما وقد أحس يوشع بخروجه من المكتل الى البحر ورآه قد اتخذ السرب فأشفق أن يوقظ موسى وقال أؤخر الى أن يستيقظ ثم نسي أن يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا وقد يسند الشئ الى الجماعة وان كان الذي فعله واحد منهم * وقيل هو على حذف مضاف أي نسي أحدهما * وقال الزمخشري أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة * وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشئ انتهى وشبه بالسرب مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده بل بقي كالطاق هذا الذي ورد في الحديث وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغا * وقال قتادة ماء جامدا وعن ابن عباس حجرا صلدا * وقال ابن زيد انما اتخذ سبيله سربا في البر حتى وصل الى البحر ثم عام على العادة كأنه يعني بقوله سربا تصرفا وجولانا من قولهم فحل سارب أي مهمل يرعى حيث شاء ومنه قوله تعالى وسارب بالنهار أي متصرف * وقال قوم اتخذ سربا في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجرا فنقبه والظاهر أن السرب كان في الماء ولا يفسر الا بما ورد في الحديث الصحيح ان الماء صار عليه كالطاق وهو معجزة لموسى عليه السلام أو الخضر ان قلنا انه نبي والا تكن كرامة * وقيل عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به ذلك الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر فلما جاوزا أي مجمع البحرين * وقال الزمخشري الموعد وهو الصخرة * قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة * وقرأ الجمهور نصبا بفتحتين وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمتين * قال صاحب اللوامح وهي احدى اللغات الاربع التي فيها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين بينتين وهي حياة السمكة المملوحة المأكول منها * وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه

السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخواته فأعان الالف على قلة الاهتمام انتهى * قال أبو بكر غالب بن عطية والدانى عبد الحق المفسر سمعت أبا الفضل الجوهرى يقول فى وعظه مشى موسى الى المناجاة فبقى أربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع فى بعض يوم * وقال الزمخشرى أرأيت بمعنى أخبرنى (فان قلت) فما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت واذ أوينا وفانى نسيت الحوت لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى وكون أرأيتك بمعنى أخبرنى ذكره سيبويه وقد أمعنا الكلام فى ذلك فى سورة الانعام وفى شرحنا لكتاب التسهيل وأما ما يختص بأرأيت فى هذا الموضع فقال أبو الحسن الاخفش ان العرب أخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة اذا كانت بمعنى أخبرنى واذا كانت بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى ولا تقول فيها أبدا أرانى زيد عمرا ما صنع وتقول هذا على معنى أعلم وشذت أيضا فأخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فما دخلت الفاء الا وقد أخرجت لمعنى اما أو تنبه والمعنى اما اذ أوينا الى الصخرة فالامر كذا وقد أخرجتها أيضا الى معنى أخبرنى كما قدمنا واذا كانت بمعنى أخبرنى فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التى بعدها الاستفهام وقد يخرج لمعنى اما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف الزمان فقوله فانى نسيت الحوت معناه اما اذ أوينا فانى نسيت الحوت أو تنبه اذ أوينا وليست الفاء الا جوابا لارأيت لان اذ لا يصح أن يجازى بها الا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الاخفش وفيه ان أرأيت اذا كانت بمعنى أخبرنى فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التى بعدها الاستفهام وهذان مفقودان فى تقدير الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ومعنى نسيت الحوت نسيت ذكر ما جرى فيه لك وفى قوله وما أنسانيه الا الشيطان حسن أدب سبب النسيان الى المتسبب فيه بوسوسته وأن أذكره بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت والظاهر ان الضمير فى واتخذ سبيله فى البحر عجبا عائد على الحوت كما عاد فى قوله واتخذ سبيله فى البحر سربا وهو من كلام يوشع * وقيل الضمير عائد على موسى أى اتخذ موسى ومعنى عجبا أى تعجب من ذلك أو اتخاذا عجبا وهو ان أثره بقى الى حيث سار وقدره الزمخشرى سبيله عجبا وهو كونه شبيه السرب قال أو قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى ولبس بذلك انتهى * وقال ابن عطية واتخذ سبيله فى البحر عجبا يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أى اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس ويحتمل أن يكون قوله واتخذ سبيله فى البحر تمام الخبر ثم استأنف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الأمر وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه ثم حيى بعد ذلك * قال أبو شجاع فى كتاب الطبرى رأيته أتيت به فاذا هو شق حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شئ قال ابن عطية وأنا رأيته والشق الذى فيه شئ عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة ويحتمل أن يكون واتخذ سبيله الآية اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين إما أن

يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا أي تعجب منه واما أن يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس انتهى * وقرأ حفص وما أنسانيه بضم الهاء وفي الفتح عليه الله وذلك في الوصل وأمال الكسائي فتحة السين وفي مصحف عبد الله وقراءته أن أذكره الا الشيطان * وقرأ أبو حيوة واتخاذ سبيله عطف على المصدر على ضمير المفعول في أذكره والاشارة بقوله ذلك الى أمر الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد الصالح وما موصولة والعائد محذوف أي نبغيه * وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ونافع وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لرسم المصحف وأثبتها في الحالين ابن كثير * فارتدا رجعا على ادراجهما من حيث جا آ * قصصا أي يقصان الأثر قصصا فانتصب على المصدر بإضمار يقصان أو يكون في موضع الحال أي مقتصين فينصب بقوله فارتدا فوجدا أي موسى والفتى عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وجداه عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوبه مستلقيا على الأرض فقال السلام عليك فرفع رأسه وقال أنى بأرضك السلام ثم قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال له ألم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن السفر الى هنا قال بلى ولكن أحببت لقاءك وان أتعلم منك قال له انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه أنا والجمهور على أنه الخضر وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم انه عالم آخر * وقيل اليسع * وقيل الياس * وقيل خضرون ابن قابيل بن آدم عليه السلام * قيل واسم الخضر بليا بن ملكان والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن قد أوحيت اليه وعلم موسى الأحكام والفتيا بالظاهر وروي انه وجد قاعدا على ثبج البحر * وفي الحديث سمي خضرا لانه جلس على فروة بالية فهزت تحته خضراء * وقيل كان اذا صلى اخضر ما حوله * وقيل جلس على فروة بيضاء وهي الأرض المرتفعة * وقيل الصلبة واهتزت تحته خضراء * وقيل كانت أمه رومية وأبوه فارسي * وقيل كان ابن ملك من الملوك أراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر فطلبه أبوه فلم يقدر عليه والجمهور على انه مات * وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لانه لو كان حيا للزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه * وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي انتهى هكذا أورد الحديث ومذهب المسلمين أن عيسى حي وانه ينزل من السماء ونقل الحديث لو كان موسى حيا لم يسعه الا اتباعي والرحمة التي آتاه الله اياها هي الوحي والنبوة * وقيل الرزق وعلمناه من لدنا علما أي من عندنا أي مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب * وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو من لدنا بتخفيف النون وهي لغة في لدن وهي الاصل * قيل وقد أولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح بادعاء هذا العلم ويسمونه العلم اللدني وانه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك حتى يخبر بأن من كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع وأن بعضهم يرى الخضر * وكان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من أعلمه انه الخضر ومن أين عرف ذلك فسكت وبعضهم يزعم أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر وسمعنا

(ح) للزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي انتهى هكذا أورد هذا الحديث ومذهب المسلمين أن عيسى حي وانه ينزل من السماء ونقل الحديث لو كان موسى حيا لم يسعه الا اتباعي (ح) قد أولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح بادعاء هذا العلم يعني علم الاخبار عن الغيوب ويسمونه العلم اللدني وانه يلقى في روع الصالح منهم شيء من ذلك حتى يخبر بأن من كان من أصحابه هو من أهل الجنة على سبيل القطع وان بعضهم يرى الخضر وكان قاضي الجماعة أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد يخبر عن شيخ له انه رأى الخضر وحدثه فقيل له من أعلمه انه الخضر ومن أين عرف ذلك فسكت وبعضهم يزعم أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر وسمعنا الحديث عن شيخ يقال له عبد الواحد العباسي

عملي وكان أحدهم ... يجتمع بالخضر

﴿ فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة ﴾ الآية فانطلقا أى موسى والخضر وكان معهما يوشع ولم يضم اليه لأنه فى حكم التبع وقيل كان موسى قد صرفه ورده الى بنى اسرائيل والألف واللام فى السفينة لتعريف الجنس اذلم يتقدم عهد فى سفينة مخصوصة وقد روى فى كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها أقوال والمعتمد مارواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما قالا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى صلى الله عليه وسلم قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فقال له الخضر ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر واللام فى لتغرق أهلها قيل لام العاقبة وقيل لام العلة وقرىء لتغرق بفتح التاء والراء وسكون الغين أهلها بالرفع وقرىء بتاء الخطاب ثم ذكره الخضر بما سبق له من نفى استطاعته الصبر لما يرى ف﴿ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ﴾ والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والمعنى أنه نسى العهد الذى كان بينهما [illegible] عدم مؤاخذته [illegible] أولا ﴿ لقد جئت شيئا إمرا ﴾ أى منكرا من الأمور كالداهية

الحديث عن شيخ يقال له عبد الواحد العباسى الحنبلى وكان أصحابه الحنابلة يعتقدون فيه انه يجتمع بالخضر قال له موسى فى الكلام محذوف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذى ورد فى الحديث الصحيح قال له موسى هل أتبعك وفى هذا دليل على التواضع للعالم وفى هذه القصة دليل على الحث على الرحلة فى طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والأدب فى طلب العلم بقوله هل أتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب رشدا على انه مفعول ثان لقوله تعلمنى أو على انه مصدر فى موضع الحال وذو الحال الضمير فى أتبعك * وقال الزمخشرى علما ذا رشد أرشد به فى دينى قال (فان قلت) أما دلت حاجته الى التعلم من آخر فى عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبى يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وامامهم المرجوع اليه فى أبواب الدين (قلت) لا غضاضة بالنبى فى أخذ العلم من نبى قبله وانما يغض منه أن يأخذ ممن دونه * وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله انتهى * وقرأ الحسن والزهرى وأبو بحرية وابن محيصن وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد واليزيدى رشدا بفتحتين وهى قراءة أبى عمرو من السبعة * وقرأ باقى السبعة بضم الراء واسكان الشين ونفى الخضر استطاعة الصبر معه على سبيل التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هى فى ظاهرها ينكرها الرجل الصالح فكيف النبى فلا يتمالك أن يشمئز لذلك ويبادر بالانكار وكيف تصبر أى ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد وفيها ابداء عذر له حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه من شريعته وانتصب خبرا على التمييز أى مما لم يحط به خبرك فهو منقول من الفاعل أو على انه مصدر على غير الصدر لان معنى بما لم تحط به لم تخبره * وقرأ الحسن وابن هرمز خبرا بضم الباء قال ستجدنى ان شاء الله صابرا وعده بوجدانه صابرا وقرن ذلك بمشيئة الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته اذ لا يصبر الا على ما ينافى ما هو عليه اذا رآه ولا أعصى يحتمل أن يكون معطوفا على صابرا أى صابرا وغير عاص فيكون فى موضع نصب عطف الفعل على الاسم اذا كان فى معناه كقوله صافات ويقبضن أى وقابضات ويجوز أن يكون معطوفا على ستجدنى فلا محل له من الاعراب ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا * وقال القشيرى وعد موسى من نفسه بشيئين بالصبر وقرنه بالاستثناء بالمشيئة فصبر حين وجد على يدى الخضر فيما كان منه من الفعل وبأن لا يعصيه فأطلق ولم يقرنه بالاستثناء فعصاه حيث قال له فلا تسألنى فكان يسأله فما قرن بالاستثناء لم يخالف فيه وما أطلقه وقع فيه الخلف انتهى وهذا منه على تقدير أن يكون ولا أعصى معطوفا على ستجدنى فلم يندرج تحت المشيئة قال فان اتبعتنى أى اذا رأيت منى شيأ خفى عليك وجه صحته فأنكرت فى نفسك فلا تفاتحنى بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم المتبوع * وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى وعن أبى جعفر بفتح السين واللام من غير همز مشددة النون وباقى السبعة بالهمز وسكون اللام وتخفيف النون * قال أبو على كلهم بياء فى الحالين انتهى * وعن ابن عامر فى حذف الياء خلاف غريب ﴿ فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا

والأذى ونحوه ﴿فانطلقا﴾ في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق بأهلها فانطلقا فبينما هما يمشيان على ساحل البحر اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان وفي بعض الروايات غر بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه فاقتلع رأسه وقيل غير ذلك من كيفيات القتل وحكى القرطبي عن صاحب العرس والعرائس أن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا ومعنى زاكية طاهرة من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لأنه لم يرها أذنبت ومعنى نكرا أنكر من الأول لأن الخرق يمكن سده والقتل لا سبيل الى تدارك الحياة معه وفي قوله لك زجر واغلاظ ليس في الأول لأن مواقعة التساؤل ثابتة بعد التقدم الى ترك السؤال واستعذار (١٤٩) موسى صلى الله عليه وسلم بالنسيان أقطع وأقطع في المخالفات لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان ﴿قال ان سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه القصة أو بعد هذه المسئلة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي فاوقع الفراق بيني وبينك ومعنى قد بلغت أي قد أعذرت الي وبلغت الى العذر وفي البخاري قال يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما والقرية التي أتيا أهلها قيل الجزيرة الخضراء وقيل غير ذلك وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة غير التوكيد وهو أنهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية انما أتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يستطعما الا ذلك البعض الذي أتياه فجيء بلفظ أهلها لتعم جميعهم وأنهم تتبعوهم واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتي واسناده الارادة الى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد في كلام العرب اسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء الى ما لا يعقل من الحيوان والجماد والمعنى لو كان الجماد أو الحيوان الذي لا يعقل مكان العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل فأقامه قال ابن عباس دفعه بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء عليهم السلام ﴿قال لو شئت﴾ ظاهره أنه اعتراض اذ كان في غاية الاحتياج الى الطعام فناسب أخذ الأجر على ما فعله من اقامة الجدار ولذلك قال هذا فراق بيني وبينك اذ قد تقدم قوله ان سألتك عن شيء وقوله لو شئت يتضمن معنى السؤال وقرئ لاتخذت ولتخذت والماضي تخذ يتخذ كتبع يتبع والتاء أصلية ﴿سأنبئك﴾ أي سأخبرك بتأويل ما رأيت لما آل اليه الأمر فيما كان ظاهره أن لا يكون

قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ فانطلقا أي موسى والخضر وكان معهم يوشع ولم يضمر لانه في حكم التبع * وقيل كان موسى قد صرفه ورده الى بني اسرائيل والألف واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة وروي في كيفية ركوبهما السفينة وخرقها وسدها أقوال والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قالا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها الى قوله عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الأول من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر واللام في لتغرق أهلها * قيل لام العاقبة * وقيل لام العلة * وقرأ زيد بن علي والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وحمزة والكسائي وخلف وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني ليغرق بفتح الياء والراء وسكون الغين أهلها بالرفع * وقرأ باقي السبعة بضم تاء الخطاب واسكان الغين وكسر الراء ونصب لام أهلها * وقرأ الحسن وأبو رجاء كذلك الا أنهما فتحا الغين وشددا الراء تم ذكره الخضر بما سبق له من نفي استطاعته الصبر لما يرى فقال لا تؤاخذني بما نسيت

والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عليه السلام كانت الأولى من موسى نسيانا والمعنى انه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولا وهذا قول الجمهور * وعن أبيّ ابن كعب انه ما نسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام * قال الزمخشري أراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان توهمه أنه نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي ينفي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه أختي واني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة انتهى وقد بين ابن عطية كلام أبيّ بكلام طويل يوقف عليه في كتابه ولا يعتمد الاقول الرسول كانت الأولى من موسى نسيانا ولا ترهقني لا تغشني وتكلفني من أمري وهو اتباعك عسرا أي شيأ صعبا بل سهل علي في متابعتك بترك المناقشة * وقرأ أبو جعفر عسرا بضم السين حيث وقع فانطلقا في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق بأهلها فانطلقا فبينماهما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الصبيان وفي بعض الروايات فر بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه فاقتلع رأسه * وقيل رضه بحجر * وقيل ذبحه * وقيل فتل عنقه * وقيل ضرب برأسه الحائط * قيل وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم ولهذا قال أقتلت نفسا زاكية * وقيل كان الغلام بالغا شابا والعرب تبقى على الشاب اسم الغلام * ومنه قول ليلى الاخيلية في الحجاج

شفاها من الداء الذي قد أصابها * غلام اذا هز القناة سقاها

* وقال آخر *
تلق ذباب السيف عني فانني * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

* وقيل أصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشباب الذين قد بلغوا الحلم و يتناول الصبي الصغير تجوزا تسمية للشيء باسم مايؤول اليه (واختلف في اسم هذا الغلام واسم أبيه واسم أمه) ولم يرد شيء من ذلك في الحديث وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد و يقسم لأبويه أنه ما فعل فيقسمان على قسمه و يحميانه ممن يطلبه * وحكى القرطبي عن صاحب العرس والعرائس ان موسى عليه السلام لما قال للخضر أقتلت نفسا زاكية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * وقال الزمخشري (فان قلت) لم قيل خرقها بغير فاء وفقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام انتهى ومعنى زاكية طاهرة من الذنوب ووصفها بهذا الوصف لانه لم يرها أذنبت قيل أولانها صغيرة لم تبلغ الحنث وقوله بغير نفس يرده و يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس * وقرأ ابن عباس والاعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن وحميد والزهري ونافع واليزيدي وابن مسلم ورويد وابن بكير عن يعقوب والتمار عن رويس عنه وأبو عبيد وابن جبير الانطاكي وابن كثير وأبو عمرو زاكية بالالف * وقرأ زيد بن علي والحسن والجحدري وابن عامر والكوفيون زكية بغير ألف وبتشديد الياء وهي أبلغ من زاكية لان فعيلا المحول من فاعل يدل على المبالغة * وقرأ الجمهور نكرا باسكان الكاف * وقرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان وأبو جعفر وشيبه وطلحة ويعقوب وأبو حاتم برفع الكاف حيث كان منصوبا * والنكر قيل أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة * وقيل

معناه شيأ أنكر من الاول لان الخرق يمكن سده والقتل لا سبيل الى تدارك الحياة معه وفى قوله لك زجر واغلاظ ليس فى الاول لان موقعه التساؤل بأنه بعد التقدم الى ترك السؤال واستعذار موسى بالنسيان أقطع وأقطع فى المخالفة لما كان أخذ على نفسه من الصبر وانتفاء العصيان قال ان سألتك عن شئ بعدها أى بعد هذه القصة أو بعد هذه المسألة فلا تصاحبنى أى فأوقع الفراق بينى وبينك * وقرأ الجمهور فلا تصاحبنى من باب المفاعلة * وقرأ عيسى و يعقوب فلا تصحبنى مضارع صحب وعيسى أيضا بضم التاء وكسر الحاء مضارع أصحب ورواها سهل عن أبى عمرو أى فلا تصحبنى علمك وقدره بعضهم فلا تصحبنى اياك و بعضهم نفسك * وقرأ الأعرج بفتح التاء والباء وشد النون ومعنى قد بلغت من لدنى عذرا أى قد اعتذرت الى و بلغت الى العذر * وقرأ الجمهور من لدنى بادغام نون لدن فى نون الوقاية التى اتصلت بياء المتكلم * وقرأ نافع وعاصم بتخفيف النون وهى نون لدن اتصلت بياء المتكلم وهو القياس لأن أصل الأسماء اذا أضيفت الى ياء المتكلم لم تلحق نون الوقاية نحو غلامى وفرسى وأشم شعبة الضم فى الدال وروى عن عاصم سكون الدال * قال ابن مجاهد وهو غلط وكأنه يعنى من جهة الرواية وأما من حيث اللغة فليست بغلط لأن من لغاتها لد بفتح اللام وسكون الدال * وقرأ عيسى عذرا بضم الذال ورويت عن أبى عمرو وعن أبى عذرى بكسر الراء مضافا الى ياء المتكلم وفى البخارى قال يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما وأسند الطبرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب ولكنه قال فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا والقرية التى أتيا أهلها انطاكية أو الابلة أو بجزيرة الأندلس وهى الجزيرة الخضراء أو برقة أو أبو حوران بناحية أذربيجان أو ناصرة من أرض الروم أو قرية بأرمينية أقوال مضطربة بحسب اختلافهم فى أى ناحية من الارض كانت قصة والله أعلم بحقيقة ذلك وفى الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله تعالى وتكرر لفظ أهل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة عن التوكيد وهو انهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية انما أتيا بعضهم فلما قال استطعما احتمل أنهما لم يستطعما الا ذلك البعض الذى أتياه فجىء بلفظ أهلها ليعم جميعهم وأنهم يتبعونهم واحدا واحدا بالاستطعام ولو كان التركيب استطعماهم لكان عائدا على البعض المأتى * وقرأ الجمهور يضيفوهما بالتشديد من ضيف * وقرأ ابن الزبير والحسن وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وعاصم فى رواية المفضل وأبان بكسر الضاد واسكان الياء من أضاف كما تقول ميل وأمال واسناد لارادة الى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة وكثيرا ما يوجد فى كلام العرب اسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء الى ما لا يعقل من الحيوان والى الجماد أو الحيوان الذى لا يعقل مكان العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل وقد أكثر الزمخشرى وغيره من ايراد الشواهد على ذلك ومن له أدنى مطالعة لكلام العرب لا يحتاج الى شاهد فى ذلك * قال الزمخشرى ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده ان ما كان أبعد من المجاز أدخل فى الاعجاز انتهى وماذكره أهل أصول الفقه عن أبى بكر محمد بن داود الاصبهانى من أنه ينكر المجاز فى القرآن لعله لا يصح عنه وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين فى النظم والنثر

(الدر)

(ح) ماذكره اهل أصول الفقه عن أبى بكر محمد بن داود الاصبهانى من أنه ينكر المجاز فى القرآن لعله لا يصح عنه وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين فى النظم والنثر

* وقرأ الجمهور ينقض أي يسقط من انقضاض الطائر ووزنه انفعل نحو انجر * قال صاحب اللوامح من القضة وهي الحصى الصغار ومنه طعام قضض اذا كان فيه حصى فعلى هذا يريد أن ينقض أي يتفتت فيصير حصاة انتهى * وقيل وزنه افعل من النقض كاحمر * وقرأ أبي ينقض بضم الياء وفتح القاف والضاد مبنيا للمفعول من نقضته وهي مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حرف عبد الله وقراءة الاعمش يريد لينقض كذلك الا أنه منصوب بأن المقدرة بعد اللام * وقرأ علي وعكرمة وأبو شيخ خيوان بن خالد الهنائي وخليد بن سعد ويحيي بن يعمر ينقاص بالصاد غير معجمة مع الالف ووزنه ينفعل اللازم من قاص يقيص اذا كسرته تقول قصيته فانقاص * قال ابن خالويه وتقول العرب انقاصت السن اذا انشقت طولا * قال ذو الرمة منقاص ومنكثب * وقيل اذا تصدعت كيف كان * ومنه قول أبي ذؤيب

فراق كقص السن فالصبر انه * لكل اناس عثرة وجبور

* وقرأ الزهري ينقاض بألف وضاد معجمة وهو من قولهم قضته معجمة فانقاض أي هدمته فانهدم * قال أبو علي والمشهور عن الزهري بصاد غير معجمة فأقامه الظاهر انه لم يهدمه وبناه كما ذهب اليه بعضهم من أنه هدمه وقعد يبنيه ووقع هذا في مصحف عبد الله وأيد بقوله لتخذت عليه أجرا لان بناءه بعد هدمه يستحق عليه أجرا * وقال ابن جبير مسحه بيده وأقامه فقام * وقيل أقامه بعمود عمده به * وقال مقاتل سواه بالشيد أي لبسه به وهو الجيار * وعن ابن عباس دفعه بيده فاستقام وهذا أليق بحال الأنبياء * قال الزمخشري كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع الضرورة انتهى * قال ابن عطية وقوله لو شئت لاتخذت عليه أجرا وان لم يكن سؤالا ففي ضمنه الانكار لفعله والقول بتصويب أخذ الأجر وفي ذلك تخطئة ترك الأجر انتهى * وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وابن بحرية ولتخذت بتاء مفتوحة وخاء مكسورة يقال تخذ واتخذ نحو تبع واتبع افتعل من تخذ وأدغم التاء في التاء * قال الشاعر

وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها * نسيفا كافحوص القطاة المطرق

والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ وزعم بعضهم ان الاتخاذ افتعال من الأخذ وأنهم ظنوا التاء أصلية فقالوا في الثلاثي تخذ كما قالوا تقى من اتقى والظاهر ان هذا اشارة الى قوله لو شئت أي هذا الاعراض سبب الفراق بيني وبينك على حسب ماسبق من ميعاده أنه قال ان سألتك وهذه الجملة وان لم تكن سؤالا فانها تتضمنه اذ المعنى ألم تكن تتخذ عليه أجرا لاحتياجنا اليه * وقال الزمخشري قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ماقال موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الأخ انتهى وفيما قاله نظر * وقرأ ابن أبي عبلة فراق بيني بالتنوين والجمهور على الاضافة * والبين قال ابن عطية الصلاح الذي يكون بين المصطحبين ونحوهما وذلك مستعار فيه من الظرفية ومستعمل استعمال الأسماء وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التأكيد سأنبئك أي سأخبرك بتأويل مارأيت من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار أي بما آل اليه الامر فيما كان ظاهره أن لا يكون * وقرأ ابن وثاب سأنبيك باخلاص الياء من غير

﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ الآية واللام في لمساكين ظاهره أنها للاختصاص وأنهم كانوا مالكين لها ﴿فأردت أن أعيبها﴾ فيه اسناد ارادة العيب اليه ﴿وراءهم ملك﴾ وراء من الاضداد بمعنى خلف وبمعنى أمام وفسر هنا وراءهم بمعنى امامهم ملك ذكر أن اسمه هدد بن بدد وكان كافرا وقرأ أبي وعبد الله ﴿كل سفينة﴾ صالحة ويحمل ذلك على التفسير لا على أنه قرآن وانتصب غصبا على أنه مفعول من أجله والظاهر له أن السفينة قد عيبت باخراج بعض ألواحها وخوف أهلها من الغرق لم يتعرض هذا الملك الى أخذها ﴿وأما الغلام﴾ فالألف واللام فيه للعهد إذ قد تقدم مجيئه نكرة وهو لقيا غلاما فهو نظير كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴿وكان أبواه مؤمنين﴾ يراد بأبويه أبوه وأمه ثنى تغليبا من باب القمرين في الشمس والقمر وهي تثنية لاتقاس ﴿فخشينا﴾ أي خفنا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه وانما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره (١٥٣) وأمره بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته والزكاة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم والرحمة العطف مصدران كالكثر والكثرة وأفعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر لا زكاة فيه ولا رحمة والظاهر أن قوله ﴿وأقرب رحما﴾ أي برحم والديه * وقال ابن جريج ويرحمانه * وقال رؤبة بن العجاج

يامنزل الرحم على ادريسا ... ومنزل اللعن على ابليسا

وقيل الرحم من الرحمة والقرابة ووصف الغلامين باليتم يدل أنهما كانا صغيرين وفي الحديث لايتم بعد البلوغ واسمهما أصرم وصريم واسم أبيهما كاسح واسم أمهما دهنا والظاهر أن أباهما هو الاقرب اليهما الذي ولدهما دنية وفي الحديث ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته وانتصب رحمة على المفعول له والظاهر في الكنز أنه مال مدفون جسيم ذهب وفضة وفي قوله ﴿فأراد ربك﴾ اسناد الارادة الى الله لما تضمنت من إرادة الخير بخلاف ما تقدم من قوله فأردت أن أعيبها وما فعلته عن أمري الضمير في فعلته عائد على ما تقدم من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار عن أمري يدل على أن ذلك كان بأمر الله وقد استدل به على أن الخضر كان نبيا * وتستطيع مضارع استطاع بهمزة الوصل وقال ابن السكيت يقال ما أستطيع وما أسطيع وما أستيع وما أسيع أربع لغات والمحذوف في يسطيع تاء الافتعال إذ الاصل هي الطاء فاء الكلمة والالف المنقلبة عن الواو هي عين الكلمة [illegible] لام الكلمة والاصول الطوع والله أعلم

همز وعن ابن عباس كان قول موسى في السفينة وفي الغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شئ من الدنيا فكان سبب الفراق * وقال أرباب المعاني هذه الامثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى واعجاله وذلك انه لما أنكر خرق السفينة نودي ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم فلما أنكر قتل الغلام قيل له أين انكارك هذا من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك الحجر لبنات شعيب دون أجرة سأنبئك في معاني هذا معك ولا أفارقك حتى أوضح لك ما استبهم عليك ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ روى ان موسى عليه السلام لما عزم الخضر على مفارقته أخذ بثيابه وقال لا أفارقك حتى تخبرني بم أباح لك فعل ما فعلت فلما التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل فقال أما السفينة فبدأ بقصة ما وقع له أولا * قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر * وقيل كانوا أجراء فنسبت اليهم للاختصاص * وقرأ الجمهور مساكين بتخفيف السين جمع مسكين * وقرأ علي كرم الله وجهه بتشديد السين جمع مساك جمع تصحيح * فقيل المعنى ملاحين والمساك الذي يمسك رجل السفينة وكل منهم يصلح لذلك * وقيل المساكون دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والقراءة الاولى تدل على أن السفينة كانت لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم واحتج بهذه الآية على ان المسكين هو الذي له بلغة من العيش كالسفينة لهؤلاء وأنه

أصلح حالا من الفقير وقوله فأردت فيه اسناد ارادة العيب اليه وفي قوله فأراد ربك أن يبلغا لما في ذكر العيب مافيه فلم يسنده الى الله ولما في ذلك من فعل الخير أسنده الى الله تعالى * قال الزمخشري (فان قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم * وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة انتهى ومعنى أن أعيبها بخرقها * وقرأ الجمهور وراءهم وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الامام ومعناه هنا أمامهم وكذا قرأ ابن عباس وابن جبير وكون وراءهم بمعنى امامهم قول قتادة وأبي عبيد وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند أهل اللغة ان وراء يجوز بمعنى قدام وجاء في التنزيل والشعر قال تعالى من ورائه جهنم وقال ومن ورائه عذاب غليظ وقال ومن ورائهم برزخ * وقال لبيد

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا يحنى عليها الاصابع

﴿ وقال سوار بن المضرب السعدي ﴾

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا

﴿ وقال آخر ﴾

أليس ورائي ان أدب على العصا * فتأمن أعداء وتسأمني أهلي

* وقال ابن عطية وقوله وراءهم عندي هو على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجئ يراعى بها الزمن والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف مايظهر بادي الرأي وتأمل هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الآية معناها ان هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرأ أمامهم أراد في المكان أي انهم كانوا يسيرون الى بلده وقوله تعالى في التوراة والانجيل انها بين يدي القرآن مطرد على ماقلناه في الزمن وقوله من ورائهم جهنم مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة أمامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمن وتأمل هذه المقالة فانها مريحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتب الطبري وكان وراءهم ملك * قال قتادة امامهم ألا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهي من بين أيديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضج منها قاله الزجاج ويجوز ان كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة انتهى وهو كلام فيه تكثير وكأنه ينظر الى ماقاله الفراء * قال الفراء لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك انما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والايام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهان لان البرد اذا لحقك صار من ورائك وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال انما جاز هذا في اللغة لان مابين يديك وماقدامك اذا توارى عنك فقد صار وراءك * وقال أبو علي انما جاز استعمال وراء بمعنى امام على الاتساع لانها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الاخرى اذا لم يرد معنى المواجهة ويجوز ذلك في الاجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر وأكثر أهل اللغة على ان وراء من الاضداد انتهى * قيل واسم هذا الملك هدد بن بدد وكان كافرا * وقيل الجلندي ملك غسان وقوله فكان أبواه مؤمنين في هذا حذف وهو ان المعنى وكان كافرا وكذا وجد في مصحف أبي * وقرأ ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا

وكان أبواه مؤمنين ونص في الحديث على انه كان كافرا مطبوعا على الكفر ويراد بأبويه أبوه وأمه ثنى تغليبا من باب القمرين في القمر والشمس وهي تثنية لا تنقاس * وقرأ أبو سعيد الخدري والجحدري فكان أبواه مؤمنان نخرجه الزمخشري وابن عطية وأبو الفضل الرازي على ان في كان ضمير الشأن والجملة في موضع خبر لكان وأجاز أبو الفضل الرازي على ان في كان ضمير الشأن والجملة في موضع خبر لكان وأجاز أبو الفضل الرازي أن يكون مؤمنان على لغة بني الحرث ابن كعب فيكون منصوبا وأجاز أيضا أن يكون في كان ضمير الغلام والجملة خبر كان نخشينا أي خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي نخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن يكون قوله نخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك قاله الزمخشري وفي قوله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته مذهب المعتزلة في قولهم بالاجلين والظاهر اسناد فعل الخشية في خشينا الى ضمير الخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الامر وتكلموا * وقيل هو في جهة الله وعنه عبر الخضر وهو الذي قال فيه الزمخشري ويجوز أن يكون الى آخر كلامه * قال الطبري ومعناه وقال معناه فكرهنا * قال ابن عطية والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة أي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للوالدين * وقرأ ابن مسعود نخاف ربك وهذا بين الاستعارة في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى فان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم أيها المخاطبون ويرهقهما معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة والمعنى أن يلقيهما حبه في اتباعه * وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر وشيبة وحميد والأعمش وابن جرير أن يبدلهما بالتشديد هنا وفي التحريم والقلم * وقرأ باقي السبعة والحسن وابن محيصن بالتخفيف والزكاة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والرحم والرحمة لعطف مصدران كالكثر والكثرة وأفعل هنا ليست للتفضيل لان ذلك الغلام لا زكاة فيه ولا رحمة ولظاهر ن قوله وأقرب رحما أي رحمة والديه وقال ابن جريج برحمانه * وقال رؤبة بن العجاج

يا منزل الرحم على ادريسا * ومنزل اللعن على ابليسا

* وقرأ ابن عامر وأبو جعفر في رواية ويعقوب وأبو حاتم رحما بضم الحاء * وقرأ ابن عباس رحما بفتح الراء وكسر الحاء * وقيل الرحم من الرحم والقرابة أي أوصل للرحم * قيل ولدت غلاما مسلما * وقيل جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم * وقيل ولدت سبعين نبيا وروى ذلك عن ابن عباس * قال ابن عطية وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الأنبياء الا في بني اسرائيل ولم تكن هذه المرأة منهم انتهى ووصف الغلامين باليتم يدل على انهما كانا صغيرين وفي الحديث لا يتم بعد بلوغ أي كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما * قيل واسمهما أصرم وصريم واسم أبيهما كاشح واسم أمهما دهنا والظاهر في الكنز انه مال مدفون جسيم ذهب وفضة نقله عكرمة وقتادة * وقال ابن عباس وابن جبير كان علما في مصحف مدفونة * وقيل لوح من ذهب فيه كتاب حكمه وذكر ود

ذكرها المفسرون فى كتبهم ولانطول بذكرها والظاهر ان أباهما هو الاقرب اليهما الذى ولدهما دنية * وقيل السابع * وقيل العاشر وحفظ هذان الغلامان بصلاح أبيهما وفى الحديث ان الله يحفظ الرجل الصالح فى ذريته وانتصب رحمة على المفعول له وأجاز الزمخشرى أن ينتصب على المصدر بأراد قال لانه فى معنى رحمهما وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال وكلاهما متكلف * وما فعلته أى وما فعلت ما رأيت من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار عن اجتهاد منى ورأى وانما فعلته بأمر الله وهذا يدل على انه نبى أوحى اليه * وتسطع مضارع اسطاع بهمزة الوصل * قال ابن السكيت يقال ما استطيع وما اسطيع وما استتيع واستيع أربع لغات وأصل اسطاع استطاع على وزن استفعل فالمحذوف فى اسطاع تاء الافتعال لوجود الطاء التى هى أصل ولا حاجة تدعو الى ان المحذوف هى الطاء التى هى فاء الفعل ثم أبدلوا من تاء الافتعال طاء وأما استتيع ففيه انهم أبدلوا من الطاء تاء و ينبغى فى تستيع أن يكون المحذوف تاء الافتعال كما فى تسطيع * وفى كتاب التحرير والتحبير مانصه تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام على ان الخضر أفضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الاولياء أفضل من آحاد الأنبياء واستدلوا أيضا بقول أبى يزيد خضت بحرا وقف الأنبياء على ساحله وهذا كله من ثمرات الرعونة والظنة بالنفس انتهى وهكذا سمعنا من يحكى هذه المقالة عن بعض الضالين المضلين وهو ابن العربى الطائى الحاتمى صاحب الفتوح المكية فكان ينبغى أن يسمى بالفتوح الهلكية وانه كان يزعم ان الولى خير من النبى قال لان الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبى يأخذ بواسطة عن الله ولان الولى قاعد فى الحضرة الالهية والنبى مرسل الى قوم ومن كان فى الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة الى أشياء من هذه الكفريات والزندقة وقد كثر معظموا هذا الرجل فى هذا الزمان من غلاة الزنادقة القائلة بالوحدة نسأل الله السلامة فى أدياننا وأبداننا ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا * انا مكناله فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا * حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما * قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا * قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى * وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا * حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا * كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا * حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا * قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما * آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا * قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا * أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا * قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا *

(ح) وفى كتاب التحرير والتحبير مانصه تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر على أن الخضر أفضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الأولياء أفضل من آحاد الأنبياء واستدل على ذلك أيضا بقول أبى يزيد خضت بحرا وقفت الأنبياء على ساحله وهذا كله من ثمرات الرعونة والظنة بالنفس انتهى وهكذا سمعنا من يحكى هذه المقالة عن بعض الضالين وهو ابن العربى الطائى الحاتمى صاحب الفتوح المكية وكان ينبغى أن يسمى بالفتوح الهلكية وانه كان يزعم أن الولى خير من النبى قال لان الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبى يأخذ بواسطة عن الله ولأن الولى قاعد فى الحضرة الالهية والنبى مرسل الى قوم ومن كان فى الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة الى أشياء من هذه الكفريات والزندقة وقد كثر معظموا هذا الرجل فى هذا الزمان من غلاة الزنادقة القائلة بالوحدة نسأل الله السلامة فى أدياننا وأبداننا

﴿ويسئلونك عن ذى القرنين﴾ الآية الضمير فى ويسئلونك عائد على قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطوّاف وفتية ذهبوا فى الدهر ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الاسكندر اليونانى ذكره ابن اسحق وعن على رضى الله عنه كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبى ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله فمات فبعثه الله وضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وورد فى الحديث أن الذين ملكوا الارض أربعة مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ وقوله ﴿ذكرا﴾ يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخبرا والتمكين الذى له فى الارض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها ﴿وآتيناه من كل شئ﴾ يحتاج اليه فى الوصول الى اغراضه ﴿سببا﴾ أى طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب ﴿فاتبع سببا﴾ يوصله اليه ﴿حتى اذا بلغ﴾ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض وقرئ حامية يعنى حارة وحمئة يعنى فيها ماء

وطين وفى حديث أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى الشمس عند غروبها فقال أتدرى أين تغرب يا أباذر فقلت لا فقال انها تغرب فى عين حمئة * وهذا الحديث وظاهر النص دليل على أن قوله فى عين متعلق بتغرب ﴿ووجد عندها قوما﴾ أى عند تلك العين قال وهب انطلق يوم المغرب الى أن انتهى الى باسك فوجد جمعا لا يحصيهم الا الله فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم فى مكان واحد ثم دخل عليهم فى النور ودعاهم الى عبادة الله فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه ﴿اما أن تعذب﴾ بالقتل على الكفر ﴿واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ أى بالحمل على الهدى والايمان ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم الى الاسلام اختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب فى الدارين ﴿وأما من آمن﴾ وعمل ما يقتضيه الايمان ﴿فله جزاء الحسنى﴾ وأتى بحرف التنفيس فى ﴿فسوف نعذبه﴾ لما يتخلل بين اظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه الى الايمان وتأبيه عنه فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فان رجعوا والا فالقتل وقوله ﴿ثم يرد الى ربه﴾ أى يوم القيامة وأتى بنون العظمة فى نعذبه على عادة الملوك فى قولهم نحن فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير الذى للقرنين ليس من الله وان كان كذلك التركيب ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد أن يكون التخيير من الله ويكون وقد أعلم ذو القرنين بذلك أتباعه ثم قص مخاطبا اتباعه لا لربه تعالى وما أحسن مجىء هذه الجمل لما ذكر ما يستحقه من ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم وهو قوله فسوف نعذبه ثم أخبر بما يلحقه آخر يوم القيامة وهو تعذيب الله اياه العذاب النكر ولان الترتيب فى ... ولكنه لما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحا ذكر

ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولا * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا * قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾

* السد الحاجز والحائل بين الشيئين ويقال بالضم وبالفتح * الردم السد * وقيل الردم أكبر من السد لان الردم ما جعل بعضه على بعض يقال ثوب مردم اذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة * وقيل سد الخلل قال عنترة * هل غادر الشعراء من متردم * أى خلل فى المعانى فيسد ردما * الزبرة القطعة وأصله الاجتماع ومنه زبرة الأسد لما اجتمع على كاهله من الشعر وزبرت الكتاب جمعت حروفه * الصدفان جانبا الجبل اذا تحاذيا لتقاربهما أو لتلاقيهما قاله الأزهرى ويقال صدف بضمهما وبفتحهما وبضم الصاد وسكون الدال وعكسه * قال بعض اللغويين وفتحهما لغة تميم وضمهما لغة حمير * وقال أبو عبيدة الصدف كل بناء عظيم مرتفع * القطر النحاس المذاب فى قول الأكثرين * وقيل الحديد المذاب * وقيل الرصاص المذاب * النقب مصدر نقب أى حفر وقطع * الغطاء معروف وجمعه أغطية وهو من غطى اذا ستر * الفردوس قال الفراء البستان الذى فيه الكرم * وقال ثعلب كل بستان يحوط عليه فهو فردوس ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل

صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴾ الضمير في و يسألونك عائد على قريش أو على اليهود والمشهور ان السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف وفتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني ذكره ابن اسحق *وقال وهب هو رومي وهل هو نبي أو عبد صالح ليس بنبي قولان *وقيل كان ملكا من الملائكة وهذا غريب * قيل ملك الدنيا مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ و بخت نصر وكان بعد نمروذ *وعن علي كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبي ضرب على قرنه الأيمن فمات في طاعة الله ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين * وقيل طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها * وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان * وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس * وعن وهب لانه ملك الروم وفارس و روي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس * وقيل كان لتاجه قرنان *وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين * قال الزمخشري و يجوز أن يسمى بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره انتهى * وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين والمشهور انه الاسكندر * وقال أبو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية هو أبو بكر بن سمي بن عمير بن افريقس الحميري بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا علا في الارض غير مبعد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب ملك من كريم سيد

* قال أبو الريحان و يشبه أن يكون هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو أسماؤهم من ذي كذي المنار وذي نواس انتهى والشعر الذي أنشده نسب أيضا الى تبع الحميري وهو * قد كان ذو القرنين جدي مسلما * وعن علي وابن عباس أن اسمه عبد الله بن الضحاك * وعن محمد بن علي بن الحسين عياش * وعن أبي خيثمة هو الصعب بن جابر بن القلمس * وقيل مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث * وعن علي هو من القرن الاول من ولد يافث بن نوح *وعن الحسن كان بعد ثمود وكان عمره ألف سنة وستمائة *وعن وهب كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والخطاب في عليكم للسائلين اما اليهود واما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين وقوله ذكرا يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخبرا والتمكين الذي له في الارض كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها *قال بعض المفسرين والدليل على انه الاسكندر ان القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى أقصى المغرب والى أقصى المشرق والى أقصى الشمال بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وأن لا يكون مختفيا والملك الذي اسمه في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان مع طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر و بنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل و ورد بيت المقدس

جزاء الله في الآخرة وهو الحسنى أي الجنة لان طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن من آمن لأجل جزائه في الآخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان في الدنيا ثم اتبع ذلك باحسانه له في الدنيا بقوله ﴿ وسنقول له من أمرنا يسرا ﴾ أي لانقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه أي قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدبا مع الله وان كان يعلم أنه يحسن اليه قولا وفعلا ﴿ ثم أتبع سببا ﴾ أي طريقا الى مقصده الذي يسر له والقوم هنا الزنج *والستر هنا البنيان وقيل غير ذلك والمعنى أنهم لا شئ لهم يسترهم من حر الشمس وقال مجاهد السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع الأرض وقال بعض الرجاز

بالزنج حر غير الاجساد حتى كساجلودها السوادا

وذبح في مذبحه ثم عطف الى أرمينية ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى أن قتله صاحب حربه واستولى الاسكندر على ممالك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها * وورد في الحديث ان الذين ملكوا الارض أربعة مؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين وقد تقدم ذكر ذلك وثبت في علم التواريخ ان الذي هذا شأنه ما كان الا الاسكندر فوجب القطع أن المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلفوس اليوناني * وقيل تمكينه في الارض بالنبوة واجراء المعجزات * وقيل تمكينه بان سخر له السحاب وحمله عليها او بسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء * وقيل بكثرة أعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب في أعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الارض واستيلائه على برها وبحرها * وآتيناه من كل شيء أي يحتاج اليه في الوصول الى أغراضه سببا أي طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى المقصود * وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد * وقرأ زيد بن علي والزهري والاعمش وطلحة وابن أبي ليلى والكوفيون وابن عامر فاتبع ثلاثتها بالتخفيف * وقرأ باقي السبعة بالتشديد والظاهر انهما بمعنى واحد * وعن يونس بن حبيب وأبي زيد انه بقطع الهمزة عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبوصلها انما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات * وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاصي وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي حامية بالياء أي حارة * وقرأ ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن أبي ليلى ويعقوب وأبو حاتم وابن جبير الانطاكي حمئة بهمزة مفتوحة والزهري يلينها يقال حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة وحمأتها نزعت حمأتها وأحمأتها أبقيت فيها الحمأة ولا تنافي بين الحامية والحمئة اذ تكون العين جامعة للوصفين * وقال أبو حاتم وقد تمكن أن تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حمأة فتكون القراءتان بمعنى واحد يعني انه سهلت الهمزة بابدالها ياء لكسرة ما قبلها وفي التوراة تغرب في ماء وطين * وقال تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * في عين ذي خلب وثاط حرمد

أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود وفي حديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى الشمس عند غروبها فقال أتدري أين تغرب يا أبا ذر فقلت لا فقال انها تغرب في عين حامية وهذا الحديث وظاهر النص دليل على أن قوله في عين متعلق بقوله تغرب لا كما ذهب اليه بعض المتعسفين من أن قوله في عين حمئة انما المراد ان ذا القرنين كان فيها أي هي آخر الأرض ومعنى تغرب في عين أي فيما ترى العين لا أن ذلك حقيقة كما نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض ويجوز أن تكون هذه العين من البحر ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها وزعم بعض البغداديين أن في بمعنى عند أي تغرب عند عين * ووجد عندها قوما أي عند تلك العين * قال ابن ... ناس مؤمنين وكافرين * وقال غيره كفرة لباسهم جلود السباع وطعامهم ما أحرقته الشمس من الدواب وما لفظته العين من الحوت اذا غربت * وقال وهب ... جمعا لا يحصيهم الا الله فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان وحد ثم دخل عليهم في النور ودعاهم الى عبادة الله فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه * وقال أبو زيد السهيلي هم أهل جوس

ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام
وظاهر قوله قلنا انه أوحى الله اليه على لسان ملك * وقيل كلمه كفاحا من غير رسول كما كلم
موسى عليه السلام وعلى هذين القولين يكون نبيا ويبعد ماقاله بعض المتأولين انه الهام والقاء فى
روعه لأن مثل هذا التخيير لا يكون الا بوحى اذ التكاليف وازهاق النفوس لا تتحقق بالالهام
الا بالاعلام * وقال على بن عيسى المعنى قلنا يا محمد قالوا ياذا القرنين ثم حذف القول الاول لأن
ذا القرنين لم يصح انه نبي فيخاطبه الله وعلى هذا يكون الضمير الذى فى قالوا المحذوفة يعود على
جنده وعسكره الذين كانوا معه وقوله إما أن تعذب بالقتل على الكفر وإما أن تتخذ فيهم حسنا أى
بالحمل على الايمان والهدى إما أن تكفر فتعذب وإما أن تؤمن فتحسن فعبر فى التخيير بالمسبب عن
السبب * قال الطبرى اتخاذ الحسن هو اسرهم مع كفرهم يعنى انه خير مع كفرهم بين قتلهم وبين
اسرهم وتفصيل ذى القرنين أما من ظلم وأما من آمن يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم
ودعائهم الى الاسلام اختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم * فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على
الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف فذلك هو المعذب فى الدارين وأما من آمن وعمل مايقتضيه الايمان
فله جزاء الحسنى وأتى بحرف التنفيس فى فسوف نعذبه لما يتخلل بين اظهاره كفره وبين تعذيبه
من دعائه الى الايمان وتأبيه عنه فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فان رجعوا
والا فالقتل وقوله ثم يرد الى ربه أى يوم القيامة وأتى بنون العظمة فى نعذبه على عادة الملوك فى قولهم
نحن فعلنا وقوله الى ربه فيه اشعار بان التخيير لذى القرنين ليس من الله تعالى اذ لو كان كذلك
لكان التركيب ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد أن يكون التخيير من الله ويكون قد أعلم ذو القرنين
بذلك اتباعه ثم فصل مخاطبا لاتباعه لا لربه تعالى وما أحسن مجىء هذه الجمل لماذكر مايستحقه من
ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم وهو قوله فسوف نعذبه ثم أخبر بما يلحقه آخرا يوم القيامة
وهو تعذيب الله اياه العذاب النكر ولان الترتيب الواقع هو كذا ولماذكر مايستحقه من آمن وعمل
صالحا ذكر جزاء الله له فى الآخرة وهو الحسنى أى الجنة لأن طمع المؤمن فى الآخرة ورجاءه هو الذى
حمله على ان آمن لأجل جزائه فى الآخرة وهو عظيم بالنسبة للاحسان فى الدنيا ثم أتبع ذلك
باحسانه له فى الدنيا بقوله وسنقول له من أمرنا يسرا أى لا نقول له مايتكلفه مما هو شاق عليه أى
قولا ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا ولماذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر
جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدبا مع الله تعالى وان كان يعلم أنه يحسن اليه فعلا وقولا * وقرأ
حمزة والكسائى وحفص وأبو بحرية والاعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد وابن
سعدان وابن عيسى الاصبهانى وابن جبير الانطاكى ومحمد بن جرير فله جزاء بالنصب والتنوين
وانتصب جزاء على أنه مصدر فى موضع الحال أى مجازى كقولك فى الدار قائما زيد * وقال أبو على
قال أبو الحسن هذا لا تكاد العرب تتكلم به مقدما الا فى الشعر * وقيل انتصب على المصدر أى
يجزى جزاء * وقال الفراء ومنصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة * وقرأ
باقى السبعة جزاء الحسنى برفع جزاء مضافا الى الحسنى * قال أبو على جزاء الخلال الحسنة التى أتاها
وعملها أو يراد بالحسنى الحسنة والجنة هى الجزاء وأضاف كما قال دار الآخرة وجزاء مبتدأ وله خبره
* وقرأ عبد الله بن أبى اسحاق فله جزاء مرفوع وهو مبتدأ وخبر والحسنى بدل من جزاء * وقرأ
ابن عباس ومسروق جزاء نصب بغير تنوين الحسنى بالاضافة ويخرج على حذف المبتدإ لدلالة

المعنى عليه أي فله الجزاء جزاء الحسنى وخرجه المهدوي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين * وقرأ أبو جعفر يسرا بضم السين حيث وقع * ثم أتبع سببا أي طريقا الى مقصده الذي يسر له * وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن مطلع بفتح اللام ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس * وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع في أحرف معدودة وقياس كسره أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائي يقول هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقي مطلع بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس والقوم هنا الزنج * وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم * والستر البنيان أو الثياب أو الشجر والجبال أقوال والمعنى انهم لا شئ لهم يسترهم من حر الشمس * وقيل تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل الى أجسامهم * فقيل اذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة وابن جريج * وقيل يدخلون اسرابا * وقال مجاهد السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض * قال ابن عطية والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم ولو كانت لهم اسراب لكان سترا كثيفا انتهى * وقال بعض الرجاز

بالزنج حر غير الأجسادا * حتى كسى جلودها سوادا

وذلك انما هو من قوة حر الشمس عندهم واستمرارها * كذلك الاشارة الى البلوغ أي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها * وقيل أتبع سببا كما أتبع سببا * وقيل كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم * وقيل كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم * وقيل تطلع طلوعها مثل غروبها * وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك أي مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي على الكفر والاحسان لمن آمن * وقال الزمخشري كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره * وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف * وقال ابن عطية كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين أهل المغرب وأخبر بقوله كذلك ثم أخبر تعالى عن احاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله ويحتمل أن يكون كذلك استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الاولى فتأمله والاول أصوب انتهى واذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج الى تقدير يتم به كلاما ﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل

﴿ ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ الآية قال وهب السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما وامامهما البلدان وهما بمنقطع أرض بلاد الترك مما يلي بلاد أرمينية وادربيجان وهما لينان أملسان يلزق عليهما كل شئ وسمي الجبلان سدين لان كل واحد منهما قد سد فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة يدخل منها يأجوج ومأجوج والضمير في قالوا عائد على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من يأجوج ومأجوج اذ درجوا عند ما ينفعهم لكونه بتلك الأرض ودوخ الملوك وبلغ اليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله * و يأجوج ومأجوج قبيلتان من بني آدم وقيل هما من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد عليهم فبقيت من هذا الجانب وقال قتادة والسدي بني السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شئ من هذا وهما ممنوعا الصرف فمن زعم أنهما أعجميان فللعلمية و للعجمة ومن زعم أنهما عربيان فللتأنيث و للعلمية لانهما اسم قبيلة وقرئ يأجوج ومأجوج بهمزة وبغير همز ﴿ مفسدون في الأرض ﴾ بالتخريب جهة نفسدو فيها أقوال ذكرت في البحر ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ هذا استفهام منهم فيه عرض ما يعطونه على طلب [illegible] على جهة حسن الأدب اذ سألوه ذلك كقول موسى عليه السلام للخضر هل أتبعك على أن تعلمني وقرئ خرجا وخراجا والخرج والخراج بمعنى واحد كالنوال والنول والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا وكل ما تخرجه من [illegible] وغيره فهو خراج وخرج وقرئ بفتح السين في السدين وسدا وضمها

﴿قال ما مكني فيه ربي خير﴾ أي ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم ﴿فأعينوني بقوة﴾ بما أتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء وبالآت وقرئ مكني ومكنني بالادغام وباظهار النونين وما مبتدأ موصول بمعنى الذي وما بعده صلته والعائد الضمير الذي في فيه وخير خبر و﴿ردما﴾ حاجزا حصينا موثقا وقرئ ﴿قال آتوني وائتوني﴾ من أتى وآتى والمعنى أحضروا زبر الحديد وثم محذوف تقديره فأتوه بما طلب ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ قرئ بضم الصاد والدال وبفتحهما وبضم الصاد واسكان الدال والصدفان جانبا الجبل اذا تحاذيا لتصادفهما لتلاقيهما وحكى في الكيفية أن ذا القرنين قاس ما بين الصدفين وحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى يسد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صار كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون فرسخا وفي الحديث أن رجلا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رآه فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ﴿حتى اذا جعله نارا﴾ في الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى جعلوه نارا والفاعل بجعل هو الضمير المفهوم من قوله انفخوا التقدير هو أي النفخ نار ﴿قال آتوني﴾ فيه القراءتان اللتان في آتوني المتقدمة أي جيئوني ﴿قطرا﴾ منصوب بأفرغ على اعمال الثاني اذ يتنازعه ائتوني وأفرغ وحذف الضمير من الأول ولو كان أعمل الاول لكان التركيب ائتوني أفرغه عليه قطرا فكنت تضمر في الثاني على الفصيح والقطر النحاس ﴿فما اسطاعوا﴾ بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرأ حمزة وطلحة بادغامها في الطاء وهو ادغام على غير حده اذ لا يصح الادغام الا أن يكون قبل الادغام متحرك أو حرف مد ولين

بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا

﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوا عليه وفي الكلام حذف تقديره فما أكمل بناء السد واستوى واستحكم ﴿قال هذا رحمة من ربي﴾ ودكا منونة مصدر دككته والظاهر أن جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال انتهى هذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيئاته الى هيئة أخرى ﴿وتركنا﴾ هذا الضمير لله والاظهر أن الضمير في بعضهم يعود على الخلق أي يوم اذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة ويقوي به قوله تعالى ونفخ في الصور ويظهر أن ذلك هو يوم القيامة ولذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الأنعام وجمعا مصدر مؤكد ﴿وعرضنا﴾ أي أبرزنا جهنم يومئذ أي يوم اذ جمعناهم ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ صفة ذم استعار الغطاء لاعينهم والمراد أنهم لا يبصرون آياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ مبالغة في انتفاء السمع اذ نفيت الاستطاعة وهم ان كانوا يسمعون جعلوا كمن نفيت قدرته على السمع لما لم ينتفعوا بسمعهم ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الآية هم من عبد من الملائكة وعزير وعيسى واتخذوهم أولياء من دون الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ والمعنى أنهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولوهم شئ ولا يجدون عندهم منتفعا وحسب يتعدى لمفعولين سدت أن مع معموليها مسدهما وقرأ علي بن أبي طالب وجماعة أفحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين أي أفكافيهم ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله فارتفع حسب على الابتداء والخبر أن يتخذوا وقال الزمخشري أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان وهي قراءة محكمة جيدة انتهى والذي يظهر أن هذا الاعراب لا يجوز لأن حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن يجري عليه جميع أحكامه وقد ذكر سيبويه أشياء من الصفات التي تجري مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع

سببا أي طريقا أو مسيرا موصلا الى الشمال فان السدين هنالك * قال وهب السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما ومن أمامهما البلدان وهما بمنقطع أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان * وذكر الهروي انهما جبلان من وراء بلاد الترك * وقيل هما جبلان من جهة الشمال لينان أملسان يزلق عليهما كل شيء وسمي الجبلان سدين لان كل واحد منهما سد فجاج الارض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها يأجوج ومأجوج * وقرأ مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وأبو عمرو بين السدين بفتح السين * وقرأ باقي السبعة بضمها * قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد * وقال الخليل وسيبويه بالضم الاسم وبالفتح المصدر * وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة ما كان من خلق الله لم يشارك فيه أحد فهو بالضم وما كان من صنع البشر فبالفتح وقال ابن أبي اسحق ما رأت عيناك فبالضم وما لا ترى فبالفتح وانتصب بين على انه مفعول به ببلغ كما ارتفع في لقد تقطع بينكم وانجر بالاضافة في هذا فراق بيني وبينك وبين من الظروف المتصرفة ما لم تركب مع أخرى مثلها نحو قولهم همزة بين بين من دونهما من دون السدين وقوما يعني من البشر * وقال الزمخشري هم الترك انتهى وأبعد من ذهب الى انهم جان * قال الزمخشري وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ونفي مقارنة فقههم قولا وتضمن نفي فقههم * وقال الزمخشري لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة كأنه فهم من نفي يكاد انه يقع منهم الفهم بعد عسر وهو قول لبعضهم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وليس بالمختار * وقرأ الأعمش وابن أبي ليلى وخلف وابن عيسى الاصبهاني وحمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف أي يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة والضمير في قالوا عائد على هؤلاء القوم شكوا ما يلقون من يأجوج ومأجوج درجوا عنده ما ينفعهم لكونه ملك الارض ودوخ الملوك وبلغ اليهم وهم لم يبلغ أرضهم ملك قبله ويأجوج ومأجوج من ولد آدم قبيلتان * وقيل هما من ولد يافث بن نوح * وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم * وقال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب * وقال قتادة والسدي بني السد على أحد وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقد اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء وهما ممنوعا الصرف من زعم انهما أعجميان فللعجمة والعلمية ومن زعم انهما عربيان فللتأنيث والعلمية لانهما اسما قبيلتين * وقال الاخفش ان جعلنا ألفهما أصلية فيأجوج يفعول ومأجوج مفعول كأنه من أجيج النار ومن لم يهمزهما جعلهما زائدة فياجوج من يججت وماجوج من مججت * وقال قطرب في غير الهمز ماجوج فاعول من المج وياجوج فاعول من يج * وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي أحد شيوخنا الظاهر انه عربي وأصله الهمز وترك الهمز على التخفيف وهو اما من الاجة وهو الاختلاط كما قال تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون وقال الشاعر [illegible] ومن الاجة وهو شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا اذا كان ملحا مرا انتهى * وقرأ عاصم والأعمش ويعقوب في رواية بالهمز وفي يأجوج ومأجوج وكذا في الانبياء وهي لغة بني أسد [illegible] اللغة العربية [illegible] المحكية عن العجاج انه كان يهمز العألم والخأتم * [illegible] وهي لغة كل العرب غير بني أسد * وقرأ [illegible]

ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل هو ومررت برجل أيما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا في مررت برجل أبي عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبي عشرة لانه في المعنى والد عشرة * إنا أعتدنا * أي أعددنا ويسرنا والنزل موضع النزول والنزل أيضا ما يقدم للضيف ويهيأ له وما قاله من الطعام والنزول هنا يحتمل التفسيرين

(الدر)

(ش) الا يكادون يفقهونه الا بجهد ومشقة (ح) كأنه فهم من نفي يكاد انه يقع منهم الفهم بعد عسر وهو قول لبعضهم ان نفيها اثبات واثباتها نفي وليس بالمختار

الظاهر تحقق الافساد منهم لا توقعه لأنها شكت من ضرر نالها * وقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم أكل بني آدم * وقيل هو الظلم والقتل ووجوه الافساد المعلوم من البشر * وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وروى انه لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح فهل نجعل لك خرجا استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الادب اذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمني * وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الانطاكي ومن السبعة حمزة والكسائي خراجا بألف هنا وفي حرفي قد أفلح وسكن ابن عامر الراء فيها * وقرأ باقي السبعة خرجا فيهما بسكون الراء فخراج بالألف والخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال والمعنى جعلا نخرجه من أموالنا وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج * وقيل الخرج المصدر أطلق على الخراج والخراج الاسم لما يخرج * وقال ابن الاعرابي الخرج على الرؤس يقال أد خرج رأسك والخراج على الارض * وقال ثعلب الخرج أخص والخراج أعم * وقيل الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر عرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد * وقال ابن عباس خراجا أجرا * وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر سدا بضم السين وابن محيصن وحميد والزهري والأعمش وطلحة ويعقوب في رواية وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وباقي السبعة بفتحها قال ما مكني فيه ربي خير أي ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم فأعينوني بقوة أي بما أتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والبناء قاله مقاتل وبالآلات قاله الكلبي ردما حاجزا حصينا موثقا * وقرأ ابن كثير وحميد ما مكنني بنونين متحركتين وباقي السبعة بادغام نون مكن في نون الوقاية ثم فسر الاعانة بالقوة فقال آتوني زبر الحديد أي اعطوني * قال ابن عطية انما هو استدعاء مناولة لا استدعاء عطية وهبة لأنه قد ارتبط من قوله انه لا يأخذ منهم الخراج فلم يبق الا استدعاء المناولة انتهى * وقرأ الجمهور آتوني * وقرأ أبو بكر عن عاصم ائتوني أي جيئوني وانتصب زبر بائتوني على اسقاط حرف الجر أي جيئوني بزبر الحديد * وقرأ الجمهور زبر بفتح الباء والحسن بضمها وفي الكلام حذف تقديره فأتوه أو فآتوه بها فأمر برص بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى * وقرأ الجمهور ساوى وقتادة سوّى وابن أبي أمية عن أبي بكر عن عاصم سوي مبنيا للمفعول * وحكى في الكيفية ان ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذابا ثم يصب عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صار كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا * وقيل طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون * وفي الحديث أن رجلا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فقال كيف رأيته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والزهري ومجاهد والحسن الصدفين بضم الصاد والدال وأبو بكر وابن محيصن وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن كذلك الا انه سكن الدال وباقي السبعة وأبو جعفر وشيبة وحميد وطلحة وابن أبي ليلى وجماعة عن يعقوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وابن سعدان بفتحهما وابن جندب بالفتح واسكان الدال ورويت عن قتادة * وقرأ الماجشون بالفتح وضم الدال * وقرأ قتادة وأبان

عن عاصم بضم الصاد وفتح الدال حتى اذا جعله نارا في الكلام حذف تقديره فنفخوا حتى * وقرأ الجمهور قال آتوني أي اعطوني * وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة وأبو بكر بخلاف عنه قال ائتوني أي جيئوني وقطرا منصوب بأفرغ على اعمال الثاني ومفعول آتوني محذوف لدلالة الثاني عليه فما اسطاعوا أي يأجوج ومأجوج أن يظهروه أي يصلوا عليه لبعده وارتفاعه واملاسه ولا أن ينقبوه لصلابته وثخانته فلا سبيل الى مجاوزته الى غيرهم من الأمم الا بأحد هذين اما ارتقاء واما نقب وقد سلب قدرتهم على ذلك * وقرأ الجمهور فما اسطاعوا بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء * وقرأ حمزة وطلحة بادغامها في الطاء وهو ادغام على غير حده * وقال أبو علي هي غير جائزة * وقرأ الاعشى عن أبي بكر فما اصطاعوا بالابدال من السين صادا لأجل الطاء * وقرأ الاعمش فما استطاعوا بالتاء من غير حذف قال هذا رحمة من ربي أي قال ذو القرنين والاشارة بهذا * قال ابن عطية الى الردم والقوة عليه والانتفاع به * وقال الزمخشري اشارة الى السد أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته * قيل وفي الكلام حذف وتقديره فلما أكمل بناء السد واستوى واستحكم قال هذا رحمة من ربي * وقرأ ابن أبي عبلة هذه رحمة من ربي بتأنيث اسم الاشارة * والوعد يحتمل أن يراد به يوم القيامة وأن يراد به وقت خروج يأجوج ومأجوج * وقال الزمخشري فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد دكا أي مدكوكا منبسطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك انتهى * وقرأ الكوفيون دكاء بالمد ممنوع الصرف وباقي السبعة دكا منونة مصدر دككته والظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال انتهى وهذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيآته الى هيئة أخرى ووعد بمعنى موعود لا مصدر والمعنى فاذا جاء موعود ربي لا يريد المصدر لان المصدر قد سبق وتركنا هذا الضمير لله تعالى والاظهر ان الضمير في بعضهم عائد على يأجوج ومأجوج والجملة المحذوفة بعد اذ المعوض منها التنوين مقدرة باذ جاء الوعد وهو خروجهم وانتشارهم في الارض أو مقدرة باذ حجز السد بينهم وبين القوم الذين كانوا يفسدون عندهم وهم متعجبون من السد فماج بعضهم في بعض * وقيل الضمير في بعضهم يعود على الخلق أي يوم إذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة ويقويه قوله ونفخ في الصور فيظهر ان ذلك هو يوم القيامة وكذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الانعام وجمعا مصدر كوعد وعرضنا أي أبرزنا جهنم يومئذ أي يوم إذ جمعناهم * وقيل اللام بمعنى على كقوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وأبعد من ذهب الى انه مقلوب والتقدير وعرضنا الكافرين على جهنم عرضا وتخصيصه بالكافرين بشارة للمؤمنين والذين كانت أعينهم صفة ذم في غطاء استعار لغطاء لأعينهم والمراد انهم لا يبصرون آياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها ويذكر بالتعظيم وهذا على حذف مضاف أي عن آيات ذكرى * وقيل عن ذكري عن القرآن وتأمل معانيه ويكون المراد بالاعين هنا البصائر لا الجوارح لان الجوارح لا نسبة بينها وبين الذكر وكانوا لا يستطيعون سمعا مبالغة في انتفاء السمع اذ نفيت الاستطاعة وهم وان كانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وكان هؤلاء أصمت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع أفحسب الذين كفروا هم من عبد الملائكة وعزيرا والمسيح واتخذوهم أولياء من دون الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى وهو استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ والمعنى

(الدر)

جعله دكا (ح) الظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان (ع) ويحتمل أن يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال (ح) هذا بعيد جدا لان السد اذ ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيآته الى هيئة أخرى

كفروا والاخسرين أعمالا كل من دان بدين غير دين الاسلام راءى بعمله أو أقام على بدعة والاخسر من أتعب نفسه فأدى به تعبه الى النار وانتصب أعمالا على التميز وجمع لأن أعمالهم فى الضلال مختلفة وليسوا مشتركين فى عمل واحد والذين يصح رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين وكأنه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على الذ.

انهم ليس لهم من ولاية هؤلاء الذين تولوهم شئ ولا يجدون عندهم منتفعا ويظهر ان فى الكلام حذفا والتقدير أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء فيجدى ذلك وينتفعون بذلك الاتخاذ * وقيل العباد هنا الشياطين * وروى عن ابن عباس * وقال مقاتل الاصنام لانها خلقه وملكه والاظهر تفسير العباد عاقلنا لاضافتهم اليه والاكثر أن تكون الاضافة فى مثل هذا اللفظ اضافة تشريف وحسب هنا بمعنى ظن وبه قرأ عبد الله أفظن * وقرأ على بن أبى طالب وزيد بن على بن الحسين ويحيى بن يعمر ومجاهد وعكرمة وقتادة ونعيم بن ميسرة والضحاك وابن أبى ليلى وابن كثير ويعقوب بخلاف عنهما وابن محيصن وأبو حيوة والشافعى ومسعود بن صالح أفحسب باسكان السين وضم الباء مضافا الى الذين أى أفكا فيهم ومحسبهم ومنتهى غرضهم والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا * وقال أبو الفضل الرازى قال سهل يعنى أبا حاتم معناه أفحسبهم وحظهم الا أن أفحسب أبلغ فى الذم لانه جعله غاية مرادهم انتهى وارتفع حسب على الابتداء والخبر أن يتخذوا * وقال الزمخشرى أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك أقائم الزيدان وهى قراءة محكمة جيدة انتهى والذى يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فتعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن تجرى عليه جميع أحكامه وقد ذكر سيبويه أشياء من الصفات التى تجرى مجرى الاسماء وان الوجه فيها الرفع * ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل ومررت برجل أيما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا فى مررت برجل أبى عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبى عشرة لانه فى معنى والد عشرة انا أعتدنا أى أعددنا ويسرنا والنزل موضع النزول والنزل أيضا ما يقدم للضيف ويهيأ له وللقادم من الطعام والنزل هنا يحتمل التفسيرين وكونه موضع النزول قاله الزجاج هنا وما هيئ من الطعام للنزيل قول القتبى * وقيل جمع نازل ونصبه على الحال نحو شارف وشرف فان كان ما تقدم للضيف وللقادم فيكون كقوله فبشرهم بعذاب أليم * وكقول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع *
* وقرأ أبو حيوة وأبو عمرو بخلاف عنه نزلا بسكون الزاى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ أى قل يا محمد للكافرين هل نخبركم الآية فاذا طلبوا ذلك فقل لهم أولئك الذين كفروا والأخسرون أعمالا من على هم الرهبان كقوله عاملة ناصبة * وقال مجاهد هم أهل الكتاب * وقيل هم الصابئون وسأل ابن الكواء عليا رضى الله عنه فقال منهم أهل حروراء * ويحتمل هذه الأقوال على

وجره على الوصف أو على البدل ﴿ ضل سعيهم ﴾ أى هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط والشكل فرقا بين الكلمتين ومنه * قول أبى عبادة

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

﴿ ذلك جزاؤهم ﴾ مبتدأ وخبر وجهنم بدل وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن

(الدر)

(س) أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك اقائم الزيدان وهى قراءة محكمة جيدة انتهى (ح) الذى يظهر ان هذا الاعراب لا يجوز لان حسبا ليس باسم فاعل فيعمل ولا يلزم من تفسير شئ بشئ أن تجرى عليه جميع أحكامه وقد ذكر سيبويه أشياء من الصفات أى تجرى مجرى الأسماء وان الوجه فيها الرفع ثم قال وذلك مررت برجل خير منه أبوه ومررت برجل سواء عليه الخير والشر ومررت برجل أب له صاحبه ومررت برجل حسبك من رجل ومررت برجل أيما رجل هو انتهى ولا يبعد أن يرفع به الظاهر فقد أجازوا فى مررت برجل أبى عشرة أبوه ارتفاع أبوه بأبى عشرة لانه فى معنى والد عشرة

﴿ان الذين آمنوا﴾ الآية لما ذكر ما أعد للكافر بن ذكر ما أعد للمؤمنين وفي الصحيح جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وفي حديث عبادة الفردوس أعلاها يعني أعلا الجنة ويقال كرم مفردس أي معرش ولذلك سميت الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعرشها على أرضها و﴿نزلا﴾ يحتمل من التأويل ما يحتمل نزلا المتقدم ومعنى حولا تحولا (١٦٧) الى غيرها قال ابن عيسى هو مصدر كالعوج والصغر ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾ أي ماء البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض ﴿لكلمات ربي﴾ أي معدا لكتب كلمات ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد ﴿لنفد البحر﴾ أي فني ماؤه الذي هو المداد قبل أن تنفد الكلمات لأن كلماته تعالى لا يمكن نفادها لأنها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة وجواب لو الاولى لنفد وجواب الثانية محذوف تقديره لم تنفد الكلمات وفي قوله ﴿ولو جئنا﴾ التفات من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم والضمير في بمثله عائد على البحر ومددا تمييز لجواز دخول من عليه كما قال الشاعر

فان الهوى يكفيكه مثله صبرا *

والمدد هو الممدود به فعل بمعنى مفعول كالقبص بمعنى المقبوض وفي قوله ﴿انما أنا بشر مثلكم﴾ اعلام بالبشرية والمماثلة في ذلك لا ادعى اني ملك يوحى الي أي علمني انما الهكم ومسندا الى وحي ربي ونبه على الوحدانية لأنهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على ما فيه النجاة ويرجو بمعنى يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف أي حسن لقاء ربه ﴿ولا يشرك﴾ نهي عن الاشراك بعبادة الله وقال ابن جبير لا يرائي في عمله فلا يبتغي الا وجه ربه ولا يخلط به غيره قيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال

التمثيل على الحصر اذ الاخسرون أعمالا هم كل من دان بدين غير الاسلام أو راءى بعمله أو أقام على بدعة تؤول به الى الكفر والاخسر من أتعب نفسه فأدى تعبه به الى النار وانتصب أعمالا على التمييز وجمع لان أعمالهم في الضلال مختلفة وليسوا مشتركين في عمل واحد والذين يصح رفعه على أنه خبر مبتدإ محذوف أي هم الذين وكأنه جواب عن سؤال ويجوز نصبه على الذم وخبره على الوصف أو البدل ضل سعيهم أي هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون من تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط فرقا بين الكلمتين * ومنه قول أبي عبادة البحتري

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

ومن غريب هذا النوع من التجنيس * قول الشاعر

سقيني ربي وغذيني * بحب يحيى بن الجرد

صحف بقوله سقيتني ربي وغنيتني بحب يحيى بن الجرد * وقرأ ابن عباس وأبو السمال فحبطت بفتح الباء والجمهور بكسرها * وقرأ الجمهور فلا نقيم بالنون وزنا بالنصب ومجاهد وعبيد بن عمير فلا يقيم بالياء لتقدم قوله بآيات ربهم وعن عبيد أيضا يقوم بفتح الياء كأنه جعل قام متعديا * وعن مجاهد وابن محيصن ويعقوب بخلاف عنهم فلا يقوم مضارع قام وزن مرفوع به واحتمل قوله فلا نقيم الا به انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار واحتمل أن يريد المجاز كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وفي الحديث يؤتى بالأكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم الآية وفي الحديث أيضا يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ ذلك جزاؤهم مبتدأ وخبر وجهنم بدل وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن ويجوز أن يشار بذلك وان كان مفردا الى الجمع فيكون بمعنى أولئك ويكون جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبرا * وقال أبو البقاء ذلك أي الأمر ذلك وما بعده مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبره والجملة خبر الاول والعائد محذوف أي جزاؤه انتهى ويحتاج هذا التوجيه الى نظر فال ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ وجزاؤهم بدل أو عطف بيان وجهنم الخبر ويجوز أن يكون جهنم بدلا من جزاء أو خبر لابتداء محذوف أي هو جهنم وبما كفروا خبر ذلك ولا يجوز أن تتعلق الباء بجزاؤهم للفصل بينهما بجهنم انتهى ويجوز أن يكون معطوفا على كفروا وأن يكون مستأنفا انتهى والآيات هي المعجزات الظاهرة على أيدي الأنبياء والصحف الالهية المنزلة عليهم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك

بعبادة ربه أحدا * لما ذكر تعالى ماأعد للكافرين ذكر ماأعد للمؤمنين وفى الصحيح جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما ومافيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما ومافيهما * وفى حديث عبادة الفردوس أعلاها يعنى أعلا الجنة * قال قتادة وربوتها ومنها تفجر أنهار الجنة * وقال أبو هريرة جبل تتفجر منه أنهار الجنة * وفى حديث أبى أمامة الفردوس سرة الجنة * وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية * وقال كعب والضحاك جنات الفردوس الاعناب * وقال عبيد الله بن الحرث بن كعب انه جنات الكروم والاعناب خاصة من الثمار * وقال المبرد الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب * وحكى الزجاج أنه الأودية التى تنبت ضروبا من النبت وهل هو عربى أو أعجمى قولان واذا قلنا أعجمى فهل هو فارسى أورومى أوسريانى أقوال * وقال حسان

وان ثواب الله كل موحد * جنان من الفردوس فيها يخلد

* قيل ولم يسمع بالفردوس فى كلام العرب الا فى هذا البيت بيت حسان وهذا لا يصح فقد قال أمية بن أبى الصلت

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة * فيها الفراديس ثم الفوم والبصل

الفراديس جمع فردوس والظاهر ان معنى جنات الفردوس بساتين حول الفردوس ولذلك أضاف الجنات اليه ويقال كرم مفردس أى معرش وكذلك سميت الروضة التى دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها على أرضها وفى دمشق باب الفراديس يخرج منه الى البساتين ونزلا يحتمل من التأويل ما احتمل قوله نزلا المتقدم ومعنى حولا أى محولا الى غيرها * قال ابن عيسى هو مصدر كالعوج والصغر * قال الزمخشرى يقال حال عن مكانه حولا كقوله * عادنى حبها عودا * يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود انتهى * وقال ابن عطية والحول بمعنى التحول * قال مجاهد متحولا * وقال الشاعر

لكل دولة أجل * ثم يتاح لها حول

وكأنه اسم جمع وكان واحده حوالة وفى هذا نظر * وقال الزجاج عن قوم هى بمعنى الحيلة فى التنقل وهذا ضعيف متكلف قل لو كان البحر * قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم كيف تزعم انك نبى الأمم كلها ومبعوث اليها وانك أعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وأنت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه فنزلت معلمة باتساع معلومات الله وأنها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكر فعبر عن هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله قل لو كان البحر * وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل لو كان البحر أى ماء البحر مدادا وهو ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض لكلمات ربى أى معد الكتب كلمات ربى وهو علمه وحكمته وكتب بذلك المداد لنفد البحر أى فنى ماؤه الذى هو المداد قبل أن تنفد الكلمات لان كلماته تعالى لا يمكن نفادها لانها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة وليس ببدع أن أجهل شيأ من معلوماته وانما أنا بشر مثلكم لم أعلم الا ما أوحى الى به وأعلمت * وقرأ الجمهور مدادا لكلمات ربى * وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش

ن الله لا يقبل ما شورك
يه وقرىء تشرك بالتاء
خطابا للسامع والتفاتا
ـن ضمير الغائب الى
ـمير المخاطب وهو المأمور
لعمل الصالح ثم عاد الى
لالتفات من الخطاب الى
لغيبة فى قوله ربه ولم يأت
لتركيب بربك إيذانا بان
لضميرين لمدلول واحد
هو من قوله فمن كان
ـجو لقاء ربه

و مجاهد والاعرج والحسن والمنقرى عن أبى عمرو مددا لكلمات ربى * وقرأ الجمهور تنفد بالتاء من فوق * وقرأ حمزة والكسائى وعمرو بن عبيد والاعمش وطلحة وابن أبى ليلى بالياء * وقرأ السلمى أن تنفد بالتشديد على تفعل على المضى وجاء كذلك عن عاصم وأبى عمرو فهو مطاوع من نفد مشددا نحو كسرته فتكسر وفى قراءة الجماعة مطاوع لأنفد وجواب لو محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره لنفد * وقرأ الجمهور بمثله مددا بفتح الميم والدال بغير ألف والاعرج بكسر الميم وانتصب مددا على التمييز عن مثل كقوله * فان الهوى يكفيكه مثله صبرا * وقرأ ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والأعمش بخلاف والتيمى وابن محيصن وحميد والحسن فى رواية وأبو عمرو فى رواية وحفص فى رواية بمثله مدادا بألف بين الدالين وكسر الميم * قال أبو الفضل الرازى ويجوز أن يكون نصبه على المصدر بمعنى ولو أمددناه بمثله امدادا ثم ناب المدد مناب الامداد مثل انبتكم نباتا وفى قوله بشر مثلكم اعلام بالبشرية والمماثلة فى ذلك لا أدعى انى ملك يوحى الى أى على انما هو مستند الى وحى ربى ونبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بعبادة الاصنام ثم حض على مافيه النجاة ويرجو بمعنى يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف أى حسن لقاء ربه * وقيل يرجو أى يخاف سوء لقاء ربه أى لقاء جزاء ربه وحمل الرجاء على بابه أجود لبسط النفس الى احسان الله تعالى ونهى عن الاشراك بعبادة الله تعالى * وقال ابن جبير لا يرائى فى عمله فلا يبتغى الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره * قيل نزلت فى جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ماشورك فيه * وروى انه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به * وقال معاوية بن أبى سفيان هذه آخر آية نزلت من القرآن * وقرأ الجمهور ولا يشرك بياء الغائب كالأمر فى قوله فليعمل * وقرأ أبو عمرو فى رواية الجعفى عنه ولا تشرك بالتاء خطابا للسامع والتفاتا من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب وهو المأمور بالعمل الصالح ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة فى قوله ربه ولم يأت التركيب بربك ايذانا بأن الضميرين لمدلول واحد وهو من فى قوله فمن كان يرجو

سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا * يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا * واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا *

﴿سورة مريم عليها السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿كهيعص﴾ الآية هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها وقال مقاتل الا آية السجدة فهي مدنية ونزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة التي قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف وقصة الرجلين وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيي بين شيخ فان وعجوز عاقر

وولادة عيسى من غير أب فلما اجتمعا في هذا الشيء المغرب ناسب ذكر هذه الآية بعد تلك وتقدم الكلام في أول البقرة على الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما يوقف عليه هنالك وذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا المتلو من القرآن ذكر وقرئ ذكر فعلا ماضيا رحمة بالنصب وقرئ ذكر فعل أمر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحمة أي ذكر أن رحمة ربك عبده وذكر في السبعة كما تقدم * ورحمة مصدر لا يراد بها أنها واحدة من الرحمات لأنه اذ ذاك لا ينصب المفعول لا يجوز أن تقول أعجبني ضربة زيد عمرا لأنه اذ ذاك محدود بالوحدة فلا يعمل و﴿زكريا﴾ بدل أو عطف بيان واذ ظرف العامل فيه ذكر أو رحمة ووصف النداء بالخفي لئلا يخالطه رياء وقيل غير ذلك ﴿قال رب اني وهن العظم مني﴾ هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه ومعناه ضعف وأسند الوهن الى العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى وسقطت قوته وقرئ وهن بفتح الهاء وكسرها ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ شبه الشيب شواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وفشوه فيه ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم

قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا * وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ اشتعال النار تفرقها في التهابها فصارت شعلا * وقيل شعاع النار * الشيب معروف شاب شعره ابيض بعدما كان بلون غيره * المخاض اشتداد وجع الولادة والطلق * الجذع ما بين الارض التي فيها الشجرة منها وبين متشعب الأغصان ويقال للغصن أيضا جذع وجمعه أجذاع في القلة وجذوع في الكثرة * السري المرتفع القدر يقال سرو يسرو ويجمع على سراة بفتح السين وسرواء وهما شاذان فيه وقياسه أفعلاء والسري النهر الصغير لان الماء يسري فيه ولامه ياء كما ان لام ذلك واو * وقال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

أي جدولا * الهز التحريك * الرطب معروف واحده رطبة وجمع شاذا على أرطاب كربع وأرباع وهو ما قطع قبل أن يشتد وييبس * الجني ما طاب وصلح للاجتناء * وقال أبو عمرو بن العلاء لم يجف ولم ييبس * وقيل الجني ما رطب من البسر * وقال الفراء الجني والمجني واحد وعنده الجني المقطوع * قرة العين مأخوذ من القر يقال دمع الفرح بارد اللمس ودمع الحزن سخن اللمس * وقال أبو تمام فأما عيون العاشقين فأسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

وقريش تقول قررت به عينا وقررت بالمكان أقر وأهل نجد قررت به عينا بالكسر * الفري العظيم من الامر يستعمل في الخير وفي الشر ومنه في وصف عمر فلم أر عبقريا يفري فريه والفري القطع وفي المثل جاء يفري الفري أي يعمل عظيما من العمل قولا أو فعلا * وقال الزمخشري الفري البديع وهو من فري الجلد * الاشارة معروفة تكون باليد والعين والثوب والرأس والفم وأشار ألفه منقلبة عن ياء يقال تشايرنا الهلال للمفاعلة * وقال كثير

فقلت وفي الأحشاء داء مخامر * ألا حبذا يا عز ذاك التشاير

﴿بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا

﴿ولم أكن﴾ يعني فيما مضى أي ما كنت ﴿بدعائك رب شقيا﴾ بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعائي فأسعد بذلك فعلى هذا الكاف مفعول وقيل المعنى بدعائك لي الى الايمان شقيا بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصا فالكاف على هذا فاعل والاظهر الاول وروى أن حاتما الطائي أتاه طالب حاجة فقال أنا الذي أحسنت اليك وقت كذا فقال مرحبا بالذي توسل بنا الينا وقضى حاجته ﴿واني خفت الموالي من ورائي﴾ الموالي بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب * وقال الشاعر　مهلا بني عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا * والأظهر اللائق بزكريا من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا وكذلك قول من قال انما خاف أن تنقطع النبوة من ولده وترجع الى عصبته لأن ذلك انما هو لله يضعها الله حيث شاء ولا يعترض على الله فيمن يشاؤه ويصطفيه من عباده وقرئ ﴿يرثني ويرث﴾ بجزمهما جوابا للامر وهو هب وبرفعهما على الصفة لقوله وليا والظاهر أن الارث يكون في العلم والدين والظاهر أن يعقوب هو ابن اسحق بن ابراهيم ﴿ورضيا﴾ بمعنى مرضى ﴿يا زكريا﴾ أي قيل له باثر الدعاء والمنادي والمبشر لزكريا هم الملائكة بوحي من الله تعالى قال تعالى فنادته الملائكة الآية والغلام الولد الذكر وقد يقال على الانثى غلامة والظاهر أن يحيى ليس عربيا الا أنه لم يكن عادتهم أن يسموا بألفاظ العربية ويكون منعه الصرف للعلمية والعجمة ﴿من قبل سميا﴾ أي من قبل ولادته من تسمى باسمه بل هو منفرد بتسمية يحيى وأنى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها في قوله قال رب أنى يكون لي غلام في آل عمران والعتي المبالغة في الكبر ويبس العود يقال عتا العود وعسا يبس وجسا ﴿قال كذلك﴾ أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ ﴿قال﴾ ربك　　(١٧١)　　فالكاف رفع أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم

ولم أكن بدعائك رب شقيا * واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا * يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا

يفسره قوله ﴿هو علي هين﴾ وهو ضمير معناه بعباده علي هين ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ أي من قبل ولادة يحيى يشير الى عظيم قدرته ﴿ولم تك شيئا﴾ أي في حيز العدم والمعدوم

لا يسمى شيئا ﴿قال﴾ أي زكريا ﴿رب اجعل لي آية﴾ أي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينه كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي لا للتوقف منه في صدق ما وعد به ولا لتوهم أن ذلك من عند غير الله لعصمة الانبياء عن مثل ذلك قال آيتك روى ابن زيد أنه لما حملت زوجته بيحيى أصبح لا يستطيع أن يكلم أحدا [illegible] التوراة [illegible] أخذ الله بلطفه و﴿سويا﴾ حال من ضمير الا تكلم أي في حال صحتك ليس بك خرس [illegible] سويا [illegible] كاملات مستويات فيكون صفة لثلاث [illegible] وقرئ ألا تكلم بالرفع [illegible] على أن مخففة من الثقيلة [illegible] فخرج على قومه من المحراب أي وهو [illegible] وتقدم الكلام عليه في آل عمران ﴿فأوحى اليهم﴾ [illegible] يا يحيى خذ الكتاب بقوة [illegible] في الكلام حذف والتقدير فوهبنا له يحيى وكبر [illegible] يا يحيى خذ الكتاب [illegible] الحكم صبيا والكتاب التوراة [illegible]

[illegible]

وزكاة وكان تقيا ✻ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ✻ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها ✻ وقال مقاتل الا آية السجدة فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة ✻ ومناسبتها لما قبلها انه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيي بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير أب فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك وتقدم الكلام في أول البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما وقف عليه هنالك وذكر خبر مبتدا محذوف أي هذا المتلو من هذا القرآن ذكر ✻ وقيل ذكر خبر لقوله كهيعص وهو مبتدأ ذكره الفرّاء ✻ قيل وفيه بعد لان الخبر هو المبتدا في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ولا في ذكر الرحمة معناها ✻ وقيل ذكر مبتدا والخبر محذوف تقديره فيما يتلى ذكر ✻ وقرأ الجمهور كاف باسكان الفاء ✻ وروى عن الحسن ضمها وأمال نافع هاء وياء بين اللفظين وأظهر دال صاد عند ذال ✻ ذكر وقرأ الحسن بضم الهاء وعنه أيضا ضم الياء وكسر الهاء وعن عاصم ضم الياء وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء ✻ قال أبو عمرو الداني معنى الضم في الهاء والياء اشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب ✻ وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراآت خارجة عن الحسن كاف بضم الكاف ونصر بن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن اسماعيل عنه بالضم وهذه الثلاث مترجم عليها بالضم وليسن مضمومات المحال في الحقيقة لانهن لو كن كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نحيت هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز وهي التي تسمى ألف التفخيم بضد الألف الممالة فأشبهت الفتحات التي تولدت منهن الضمات وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسرة بكسرة لتقريب الألف بعدها من الياء انتهى ✻ وقرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض فرقا بينها وبين ما ائتلف من الحروف فيصير أجزاء الكلم فاقتضين اسكان آخرهن وأظهر الأكثرون دال صاد عند ذال ذكر وأدغمها أبو عمرو ✻ وقرأ حفص عن عاصم وفرقه باظهار النون من عين والجمهور على اخفائها ✻ وقرأ الحسن وابن يعمر ذكر فعلا ماضيا رحمة بالنصب وحكاه أبو الفتح وذكره الزمخشري عن الحسن أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وذكر الداني عن ابن يعمر ذكر فعل أمر من التذكير رحمة بالنصب وعبده نصب بالرحمة أي ذكر ان رحمة ربك عبده ✻ وذكر صاحب اللوامح ان ذكر بالتشديد ماضيا عن الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يعمر ومعناه ان المتلو أي القرآن ذكر برحمة ربك فلما نزع الباء انتصب ويجوز أن يكون معناه ان القرآن ذكر الناس تذكيرا ان رحم الله عبده فيكون المصدر عاملا في عبده زكريا لانه ذكرهم بما نسوه من رحمة الله فتجدد عليهم بالقرآن ونزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون ذكر على المضي مسندا الى الله سبحانه ✻ وقرأ الكلبي ذكر على المضي خفيفا من الذكر رحمة ربك بنصب التاء عبده بالرفع باسناد الفعل اليه ✻ وقال ابن خالويه ذكر رحمة ربك عبده يحيى بن يعمر وذكر على الأمر عنه أيضا انتهى واذ ظرف العامل فيه قال الحوفي ذكر وقال أبو البقاء واذ ظرف لرحمة أو لذكر انتهى ووصف نداءه بالخفي ✻ قال ابن جريج لئلا يخالطه رياء ✻ مقاتل لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر ✻ قتادة لان السر والعلانية

﴿وزكاة﴾ أي طهارة ﴿وكان تقيا﴾ قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة ﴿وبرا بوالديه﴾ أي كثير البر والاكرام والتبجيل ﴿ولم يكن جبارا﴾ أي متكبرا عصيا أي كثير العصيان ﴿وسلام عليه﴾ أي أمان عليه والأظهر أنها التحية المتعارفة وانما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله تعالى

عنده تعالى سواء * وقيل أسره من مواليه الذين خافهم * وقيل لانه أمر دنياوى فأخفاه لانه ان أجيب فذاك بغيته والا فلا يعرف ذلك أحد * وقيل لانه كان فى جوف الليل * وقيل لاخلاصه فيه فلا يعلمه الا الله * وقيل لضعف صوته بسبب كبره كما قيل الشيخ صوته خفات وسمعه تارات * وقيل لان الاخفاء سنة الانبياء والجهر به يعد من الاعتداء وفى التنزيل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين * وفى الحديث انكم لا تدعون أصم ولا غائبا * قال رب انى وهن العظم منى هذه كيفية دعائه وتفسير ندائه * وقرأ الجمهور وهن بفتح الهاء * وقرأ الاعمش بكسرها * وقرئ بضمها لغات ثلاث ومعناه ضعف وأسند الوهن الى العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فاذا وهن تداعى ماوراءه وتساقطت قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ماوراءه أوهن ووحد العظم لانه يدل على الجنس وقصد الى ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها * وقال قتادة اشتكى سقوط الاضراس * قال الكرمانى وكان له سبعون سنة * وقيل خمس وسبعون * وقيل خمس وثمانون * وقيل ستون * وقيل خمس وستون وشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكرياء فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قاله الزمخشرى والى هذا نظر ابن دريد * فقال

واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضا

وبعضهم أعرب شيبا مصدرا قال لان معنى واشتعل الرأس شاب فهو مصدر من المعنى * وقيل هو مصدر فى موضع نصب على الحال واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس اذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار ولم أكن بدعائك رب شقيا بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت تجيب دعائى فاسعد بذلك فعلى هذا الكاف مفعول * وقيل المعنى بدعائك الى الايمان شقيا بل كنت ممن أطاعك وعبدك مخلصا فالكاف على هذا فاعل والاظهر الاول شكرا لله تعالى بما سلف اليه من انعامه عليه أى قد أحسنت الى فيما سلف وسعدت بدعائى اياك فالانعام يقتضى أن تجيبنى آخرا كما أجبتنى أولا * وروى ان حاتما الطائى أتاه طالب حاجة فقال أنا الذى أحسنت اليك وقت كذا فقال حاتم مرحبا بالذى توسل بنا الينا وقضى حاجته * وانى خفت الموالى من ورائى الموالى بنو العم والقرابة الذين يلون بالنسب * قال الشاعر

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

* وقال لبيد *

ومولى قد دعت الصيم عمه * وقد أمسى بمنزلة المضيم

* وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح الموالى هنا الكلالة خاف أن يرثوا ماله وان يرثه الكلالة * وروى قتادة والحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله * وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين الدين فخاف بموته أن يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده وهذا لا يصح عنه اذ قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة والظاهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث هو معصوم انه لا يطلب الولد لاحل ما يخلفه من

حطام الدنيا وكذلك قول من قال انما خاف أن تنقطع النبوّة من ولده ويرجع الى عصبته لان تلك نما يضعها الله حيث شاء ولا يعترض على الله فيمن شاءه واصطفاه من عباده * قال الزمخشرى كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء الدين * وقرأ الجمهور خفت من الخوف * وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاصى وابن يعمر وابن جبير وعلى بن الحسين وولده محمد وزيد وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم لابى عامر خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر تاء التأنيث الموالى بسكون الياء والمعنى انقطع موالىّ وماتوا فانما أطلب وليا يقوم بالدين * وقرأ الزهرى خفت من الخوف الموالى بسكون التاء على قراءة خفت من الخوف يكون من ورائى أى بعد موتى وعلى قراءة خفت يحتمل أن يتعلق من ورائى بخفت وهو الظاهر فالمعنى أنهم خفوا قدامه أى درجوا فلم يبق منهم من له تقوّ واعتضاد وأن يتعلق بالموالى أى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين وورائى بمعنى خلفى ومن بعدى فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه وروى عن ابن كثير من وراى مقصورا كعصاى وتقدم شرح العاقر فى آل عمران وقوله من لدنك تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأنى وامرأتى لا نصلح للولادة والظاهر انه طلب من الله تعالى أن يهبه وليا ولم يصرح بأن يكون ولدا لبعد ذلك عنده لكبره وكون امرأته عاقرا * وقيل انما سأل الولد * وقرأ الجمهور يرثنى ويرث برفع الفعلين صفة للولى فان كان طلب الولد فوصفه بأن تكون الاجابة فى حياته حتى يرثه لئلا تكون الاجابة فى الولد لكن يحرمه فلا يحصل ما قصده * وقرأ النحويان والزهرى والأعمش وطلحة واليزيدى وابن عيسى الاصبهانى وابن محيصن وقتادة بجزمهما على جواب الامر * وقرأ على وابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدرى وقتادة وأبو حرب بن أبى الاسود وجعفر بن محمد وأبو نهيك يرثنى بالرفع والياء وارث جعلوه فعلا مضارعا من ورث * قال صاحب اللوامح وفيه تقديم فعناه فهب لى من لدنك وليا من آل يعقوب يرثنى ان مت قبله أى نبوّتى وأرثه ان مات قبلى أى ماله وهذا معنى قول الحسن * وقرأ على وابن عباس والجحدرى يرثنى وارث من آل يعقوب * قال أبو الفتح هذا هو التجريد التقدير يرثنى منه وارث * وقال الزمخشرى وارث أى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان والمراد بالارث ارث العلم لأن الانبياء لا تورث المال * وقيل يرثنى الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان * وقيل من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب ليسوا كلهم أنبياء ولا علماء * وقرأ مجاهد أو يرث من آل يعقوب على التصغير وأصله وويرث فأبدلت الواو همزة على اللزوم لاجتماع الواوين وهو تصغير وارث أى غليم صغير وعن الجحدرى وارث بكسر الواو يعنى به الامالة المحضة لا الكسر الخالص والظاهر ان يعقوب هو ابن اسحاق بن ابراهيم * وقيل هو يعقوب بن ماثان أخو زكرياء * وقيل يعقوب هذا وعمران أبو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود ومرضيا بمعنى مرضى يا زكريا أى قيل له يا زكريا الدعاء * وقيل رزقه بعد أربعين سنة من دعائه * وقيل بعد ستين والمنادى والمبشر زكرياء هم الملائكة بوحى من الله تعالى قال تعالى فنادته الملائكة الآية والغلام الولد الذكر وقد يقال للانثى غلامة كما قال * تهان لها الغلامة والغلام * والظاهر أن يحيى ليس عربيا لانه لم تكن عادتهم أن يسموا بألفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة وان كان عربيا فيكون

سمى بالفعل كيعمر ويعيش وقد سموا بيموت وهو عوث بن المزرع ابن أخت الجاحظ وعلى أنه عربي * فقيل سمى بذلك لانه يحيى بالحكمة والعفة * وقيل يحيى بهدايته وارشاده خلق كثير * وقيل لانه يستشهد والشهداء أحياء * وقيل لانه يسر بما طويلا * وقيل لانه حيي بين شيخ كبير وأم عاقر * وقيل لانه حيي به عقر أمه وكانت لا تلد * وقال ابن عباس وقتادة والسدى وابن أسلم لم يسم قبله أحد ابيحيى * قال الزمخشرى وهذا شاهد على أن الاسامي الشنع جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنحى في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النفر حتى قال القائل في مدح قوم

شنع الاسامي مسبلي ازر * حمر تمس الارض بالهدب

* وقال رؤبة للنسابة البكرى وقد سأله عن نسبه أنا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت انتهى * وقيل للصلت بن عطاء كيف تقدمت عند البرامكة وعندهم من هو آدب منك فقال كنت غريب الدار غريب الاسم خفيف الحزم شحيحا بالاشلاء فذكر مما قدمه كونه غريب الاسم اذ كان اسمه الصلت * وقال مجاهد وغيره سميا أى مثلا ونظيرا وكأنه من المساماة والسمو * قال ابن عطية وهذا فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى * وقال ابن عباس أيضا لم تلد العواقر مثله * قال الزمخشرى وانما قيل للمثل سمى لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه * وقيل لم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورا انتهى * وأنى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها في قوله قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر في آل عمران والعتى المبالغة في الكبر ويبس العود * وقرأ أبو بحرية وابن أبي ليلى والاعمش وحمزة والكسائى عتيا بكسر العين وباقى السبعة بالضم وعبد الله بفتح العين وصاد صليا جعلهما مصدرين كالعجيج والرحيل وفي الضم هما كذلك الا أنهما على فعول * وعن عبد الله ومجاهد عسيا بضم العين والسين كسورة وحكاها الدانى عن ابن عباس وحكاها الزمخشرى عن أبي ومجاهد يقال عتا العود وعسا يبس وجسا * قال كذلك أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك فالكاف رفع أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرأ الحسن وهو على هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون ووجه آخر وهو أن يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكرياء وقال محذوف في كلتا القراءتين أى قال هو على هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية وقوله قال كذلك قيل ان المعنى قال له الملك كذلك فليكن الوجود كما قيل لك قال ربك خلق الغلام على هين أى غير بدع وكما خلقتك قبل وأخرجتك من عدم الى وجود كذلك أفعل الآن * وقال الطبرى معنى قوله كذلك أى الامر ان اللذان ذكرت من المرأة العاقر والكبر هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى عندى قال الملك كذلك أى على هذه الحال قال ربك هو على هين انتهى * وقرأ الحسن هو على هين بكسر الياء * وقد أنشدوا قول النابغة

على لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

بكسر ياء المتكلم وكسرها شبيه بقراءة حمزة وما أنتم بمصرخى بكسر الياء * وقرأ الجمهور وقد خلقتك بتاء المتكلم * وقرأ الاعمش وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائى خلقناك بنون العظمة ولم تك شيأ أى شيأ موجودا * وقال الزمخشرى شيأ لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كقولهم

عجبت من لاشئ اذا رأى غير شئ ظنه رجلا * قال أي زكريا رب اجعل لي آية أي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينا كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي لا لتوقف منه على صدق ما وعد به ولا لتوهم ان ذلك من عند غير الله لعصمة الانبياء عن مثل ذلك * وقال الزجاج وقعت البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الآية ليعرف وقت الوقوع قال آيتك روى عن ابن زيد انه لما حملت زوجته بيحيي أصبح لا يستطيع أن يكلم أحدا وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله فاذا أراد مناداة أحد لم يطقه وسويا حال من ضمير أي لا تكلم في حال صحتك ليس بك خرس ولا علة قاله الجمهور وعن ابن عباس سويا عائد على الليالي أي كاملات مستويات فتكون صفة لثلاث ودل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر له ثلاثة أيام بلياليهن * وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن علي أن لا تكلم برفع الميم جعلها ان المخففة من الثقيلة التقدير انه لا يكلم * وقرأ الجمهور بنصبها جعلوا ان الناصبة للمضارع فخرج على قومه من المحراب أي وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع أن يكلم الناس ومحرابه موضع مصلاه والمحراب تقدم الكلام عليه في آل عمران فأوحى اليهم أي أشار * قال قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي أوحى اليهم أشار وذكره الزمخشري عن مجاهد قال ويشهد له الا رمزا * وعن ابن عباس كتب لهم على الارض * وقال ابن عطية * وقال مجاهد بل كتب لهم في التراب وكلا الوجهين وحي انتهى * وقال عكرمة كتب في ورقة والوحي في كلام العرب الكتابة * ومنه قول ذي الرمة

سوى الاربع الدهم اللواتي كأنها * بقية وحي في بطون الصحائف

﴿ وقال عنترة ﴾

كوحي صحائف من عهد كسرى * فأهداها لأعجم طمطمي

﴿ وقال جرير ﴾

كأن أخا اليهود يخط وحيا * بكاف في منازلها ولام

والجمهور على ان المعنى ان سبحوا صلوا * وقيل أمرهم بذكر الله والتسبيح * قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة اشارة * وقال صاحب التحرير والتحبير وعندي في هذا معنى لطيف وهو انه انما خص بالتسبيح بالذكر لان العادة جارية ان كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول سبحان الله سبحان الخالق فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح انتهى * وقال الزمخشري وابن عطية وان مفسرة * وقال الحوفي أن سبحوا أن نصب بأوحى * وقال أبو البقاء يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون بمعنى أي انتهى * وقرأ طلحة أن سبحوه بهاء الضمير عائدة على الله تعالى * وروى ابن غزوان عن طلحة أن سبحن بنون مشددة من غير واو ألحق فعل الأمر نون التوكيد الشديدة يا يحيي خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيي وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله له على لسان الملك وأبعد التبريزي في قوله ان المنادي له أبوه حين ترعرع ونشأ والصحيح ما سبق لقوله وآتيناه الحكم صبيا والكتاب هو التوراة * قال ابن عطية بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا انتهى وليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبياء بمثل ذلك * وقيل الكتاب هنا اسم جنس أي اتل كتب الله * وقيل الكتاب صحف ابراهيم * وقال الحسن وعلمه التوراة والانجيل وأرسله الى بني اسرائيل وكان يصوم ويصلي في حال طفوليته ويدعو الى الله

(الدر)

﴿ سورة مريم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا يحيي خذ الكتاب بقوة ﴾ (ع) هو التوراة بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل موجودا (ح) ليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الانبياء عليهم السلام بمثل ذلك وقيل الكتاب هنا اسم جنس أي اتل كتب الله وقيل الكتاب صحف ابراهيم

﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ الآية لما تقدم قصة زكريا مع مافيها من الغرابة أعقب بما هو أغرب منها وهو وجود ولد من غير ذكر واذ ظرف لما مضى لا يعمل فيه اذكر لانه مستقبل بل التقدير واذكر ما جرى لمريم وقت كذا ﴿انتبذت﴾ افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت وانتصب مكانا على الظرف أي في مكان ووصف بشرقي لانه كان مما يلي بيت المقدس ﴿حجابا﴾ أي حائطا أو لشئ يسترها والظاهر أن الروح هو جبريل صلى الله عليه وسلم وانتصب بشرا على أنه

بقوة بجد واستظهار وعمل بما فيه والحكم النبوة أو حكم الكتاب أو الحكمة أو العلم بالأحكام أو اللب وهو العقل أو آداب الخدمة أو الفراسة الصادقة أقوال صبيا أي شابا لم يبلغ سن الكهولة * وقيل ابن سنتين * وقيل ابن ثلاث * وعن ابن عباس في حديث مرفوع ابن سبع سنين وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عبيدة والفراء وأنشد أبو عبيدة

تحنن على هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

قال وأكثر ما تستعمل مثنى كما قال * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * وقال ابن الانباري المعنى وجعلناه حنانا لأهل زمانه * وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه * وعن ابن جبير لينا * وعن عكرمة وابن زيد محبة وعن عطاء تعظيما وقوله وزكاة عن الضحاك وقتادة عملا صالحا * وعن ابن السائب صدقة تصدق بها على أبويه * وعن الزجاج تطهيرا * وعن ابن الانباري زيادة في الخير * وقيل ثناء كما يزكي الشهود وكان تقيا * قال قتادة لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة * وقال ابن عباس جعله متقيا له لا يعدل به غيره * وقال مجاهد كان طعامه العشب المباح وكان للدمع في خديه مجار بائنة وبرا بوالديه أي كثير البر والاكرام والتبجيل * وقرأ الحسن وأبو جعفر في رواية وأبو نهيك وأبو مجلز وبرا في الموضعين بكسر الباء أي وذا بر * ولم يكن جبارا أي متكبرا * عصيا أي عاصيا كثير العصيان وأصله عصوي فعول للمبالغة ويحتمل أن يكون فعيلا وهي من صيغ المبالغة * وسلام عليه * قال الطبري أي أمن * قال ابن عطية والاظهر انها التحية المتعارفة وانما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى ويحيى عليهما السلام التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع لي فأنت خير مني فقال له عيسى بل أنت ادع لي فأنت خير مني سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي * وقال أبو عبد الله الرازي يوم ولد أي أمان عليه من أن يناله الشيطان ويوم يموت أي أمان من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب الله يوم القيامة وفي قوله ويوم يبعث حيا تنبيه على كونه من الشهداء لقوله بل أحياء عند ربهم يرزقون وهذا السلام يحتمل أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة انتهى والاظهر أنه من الله لأنه في سياق وآتيناه الحكم ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس﴾

حال ووصفه بقوله سويا أي كامل الصورة حسن الأعضاء وضيء الوجه وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على السماع لكلامه ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وجواب ان في قوله ان كنت محذوف تقديره ان كنت تقيا فاذهب عني ﴿قال﴾ أي جبريل صلى الله عليه وسلم ﴿انما أنا رسول ربك﴾ الناظر في مصلحتك والمالك لأمرك وهو الذي استعذت به وقوله لها ذلك تطمين لها واني لست ممن يظن به ريبة أرسلني اليك ﴿لأهب لك غلاما﴾ وقرئ ليهب بالياء وفيه ضمير يعود على الله تعالى

وقرئ بالهمز مسهلة ونفسه على سبيل المجاز اذ الواهب هو الله تعجبت مريم وعلمت بما ألقي في روعها أنه من عند الله وتقدم الكلام على سؤالها عن الكيفية في آل عمران في قصتها وفي قولها ولم أك بغيا تخصيص بعد تعميم لأن مسيس البشر يكون بنكاح أو سفاح والبغي المجاهرة المشهورة في الزنا ووزنه فعول اجتمعت ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ما قبل الياء لتصح الياء ﴿قال كذلك﴾ الكلام عليه كالكلام السابق في قصة زكريا ﴿ولنجعله﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على تعليل محذوف تقديره لنبين به

فقدرتناولنجعله أو محذوف متأخر أى فعلنا ذلك والضمير فى ولنجعله عائد على الغلام وكذلك فى قوله وكان أى وجوده أمرا مفروغا منه وكونه رحمة من الله أى طريق هدى لعالم كثير فينالون الرحمة بذلك ﴿ فحملته ﴾ أى فى بطنها وذكروا أقوالا كثيرة مضطربة فى مدة الحمل ﴿ مكانا قصيا ﴾ أى مكانا بعيدا ﴿ فأجاءها المخاض ﴾ أى ساقها المخاض وهو الطلق بالألم الذى يلحقها لانزعاج الولد فى بطنها للخروج فأجاءها أى جاء بها تعدى جاء تارة بالباء وتارة بالهمز قال الزمخشرى الأن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا ترى لا تقول جئت المكان وأجاءنيه كما تقول بلغنيه وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم تستعمل فى الاعطاء ولم تقل آتيت المكان وآتانيه فلان انتهى أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل الائمة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فيصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أقمت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد تكون قد قسرته على القيام وأما قوله ألا ترى الى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك فى جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وأن أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بنى على أفعل فليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثانى والفاعل هو الأول اذا عديته بالهمزة تقول آتى المال زيدا وآتى زيد عمرا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند النحويين هو المفعول الأول والمال هو المفعول الثانى وعلى ما ذكره الزمخشرى يكون العكس فدل ذلك على أنه ليس على ما قاله وأيضا فآتى مرادف لاعطى فهو مخالف من حيث الدلالة فى المعنى وقوله ولم يقل اتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال أتيت المكان كما تقول جئت المكان وقال الشاعر

أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا صباحا

ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال آتانيه * والمستفيض المشهور أن ميلاد عيسى كان ببيت لحم وانها

لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت له وصارت كالمهد وهى الآن تزار بحرم بيت المقدس ثم

ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة

بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فعمدته فيه وهو الذى يتخذه النصارى ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى ذلك اليوم فى كل ماء ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ استندت إلى الجذع إذ لم يكن وراءها امرأة تشددها كعادة النساء عند الوضع ذكروا فى هذا الجذع أقوالا مضطربة والظاهر أنها نخلة عادتها أن تثمر وترطب فلما اشتد بها الأمر هنالك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام قالت عند ولادتها لما رأته من الآلام والتغرب وانكار قومها وصعوبة الحال من غير ما وجه ﴿ ياليتنى مت قبل هذا ﴾ وتمنت مريم الموت من جهة الدين اذ خافت أن يظن بها السوء فى دينها * والنسى الشئ الحقير الذى من شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث ونسى فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى مطحون ورعى بمعنى مرعى وأكد ذلك بقوله منسيا لاختلاف صورتى التركيب والظاهر أن المنادى هو عيسى عليه السلام أى فولدته فانطقه الله * وناداها أى حالة الوضع وقيل جبريل عليه السلام وكان فى بقعة من الأرض أخفض من البقعة التى كانت عليها قيل وكان يقبل الولد كالقابلة وقرئ من تحتها فقيل عيسى وقيل جبريل فمن موصولة فعلى هذا يكون المنادى عيسى صلى الله عليه وسلم وأن حرف تفسير و ﴿ لا تحزنى ﴾ نهى * سريا السرى الرجل العظيم من الرجال له شأن عظيم والسرى فى اللغة الجدول وفى قوله ربك تأنيس لها اذ هو مالكها والناظر فى اصلاحها ثم أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى فى احياء موات الجذع * قال ابن عباس كان الجذع نخرا يابسا فلما هزته اذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك فى طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا يتشرخ منها شئ والى حرف جر وفى قوله هزى ضمير الفاعل وهو الياء وقد تعدى الفعل الى ضمير الجر ونظيره قوله تعالى واضمم اليك جناحك وقوله تعالى أمسك عليك زوجك وفى العنوان الفعل اذا رفع ضميرا متصلا أو مستكنا لا يتعدى الى ضمير النصب ولا الى ضمير الجر فلا تقول ضربتك ولا تضربينى ولا زيد ضربه يعنى ضرب نفسه بل المعروف أنه

يؤتى بدل الضمير المنصوب بالنفس فتقول ضربت نفسك وضربت نفسي و زيد ضرب نفسه الا في باب ظن وفقد وعدم فيجوز ذلك فتقول ظننتك قائما وظننتني قائما وفي هزي اليك جاء فصيحا تعدى ذلك الى ضمير الجر والباء زائدة في قوله بجذع لأن هز متعد بنفسه تقول هززت الغصن وقرئ ﴿تساقط﴾ بتشديد السين وأصله تتساقط فأدغمت التاء في السين وقرئ تساقط بحذف التاء وقرئ تساقط مضارع ساقطت تساقط فعلى هذه القراءة يكون رطبا مفعولا به وعلى القراءتين قبل ذلك يكون رطبا تمييزا منقولا من الفاعل اذ الأصل تساقط أو تساقط رطبه وفي قوله وهزي دليل على السبب لتحصيل الرزق ﴿فكلي واشربي﴾ لما كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدم في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا * ولما كان المحزون قد يأكل ويشرب قال ﴿وقري عينا﴾ أي لا تحزني ثم ألتفت اليها (١٧٩) ما تقول ان رأت أحدا ﴿فاما ترين﴾ إن شرطية وما زائدة وأصل ترين ترأيين نقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة وحذفت نون الرفع لدخول الجازم الذي هو ان ثم أدخلت النون الشديدة فانحذفت تاء الضمير فبقيت ترين والياء المكسورة هي لام الفعل ﴿فقولي﴾ جواب الشرط والجملة بعده معمول لقولي في موضع نصب وفي قولها ﴿اني نذرت للرحمن﴾ لطيفة وهو قولها للرحمن أي الذي رحمني أولا وآخرا وفي هذه الحال وغيرها ولا تناقض لان المعنى ﴿فلن أكلم اليوم انسيا﴾ بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى أي فاما ترين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي * وصوما قال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم لامساك عن الأكل والكلام

تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد واجابة الله اياه فولد له من شيخ فان وعجوز له عاقر وكان ذلك مما يتعجب منه أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر فدل ذلك على عظم قدرة الله وحكمته وأيضا فقص عليهم ما سألوه من قصة أهل الكهف وأتبع ذلك بقصة الخضر وموسى ثم قص عليهم ما سألوه أيضا وهو قصة ذي القرنين فذكر في هذه السورة قصصا لم يسألوا عنها وفيها غرابة ثم أتبع ذلك بقصة ابراهيم وموسى وهارون موجزة ثم بقصة اسماعيل وادريس ليستقر في أذهانهم انه أطلع نبيه على ما سألوه وعلى ما لم يسألوه وان الرسول عليه الصلاة والسلام وجبه في ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته من أمي لم يقرأ الكتب ولا رحل ولا خالط من له علم ولا عني بجمع سير * والكتاب القرآن * ومريم هي ابنة عمران أم عيسى واذ قيل ظرف زمان منصوب باذكر ولا يمكن ذلك مع بقائه على الظرفية لان الاستقبال لا يقع في الماضي * وقال الزمخشري اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيها انتهى ونصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالأولى أن يجعل ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون العامل في اذ وتبقى على ظرفيتها وعدم تصرفها وهو أن تقدر مريم وما جرى لها إذ انتبذت واستبعد أبو البقاء قول الزمخشري قال لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة * قال وقيل التقدير خبر مريم فاذ منصوب بالخبر * وقيل حال من هذا المضاف المحذوف * وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمك اذ لم تكرمني أي ان لم تكرمني * قال أبو البقاء فعلى هذا يصح بدل الاشتمال أي واذكر مريم انتباذها انتهى وانتبذت افتعل من نبذ ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت * قال السدي انتبذت لتطهر من حيضها وقال غيره لتعبد الله وكانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فتنحت من الناس كذلك و مكانا شرقيا منتصب مكانا على الظرف أي في مكان ووصف بشرقي

(الدر) (ش) اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القضية العجيبة فيه (ح) نصب اذ باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في اذ وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها الا باضافة ظرف زمان اليها فالأولى أن يجعل ثم معطوف محذوف دل عليه المعنى وهو يكون العامل في اذ وتبقى على ظرفيتها وعدم تصرفها وهو أن يقدر مريم وما جرى لها اذ انتبذت واستبعد أبو البقاء قول (ش) قال لان الزمان اذا لم يكن حالا عن الجثة ولا خبرا عنها ولا وصفا لها لم يكن بدلا منها انتهى واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة

لانه كان مما يلي بيت المقدس أومن دارها وسبب كونه في الشرق انهم كانوا يعظمون جهة الشرق
من حيث تطلع الشمس * وعن ابن عباس اتخذت النصارى الشرق قبلة لميلاد عيسى عليه السلام
* وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أى شئ يسترها وكان موضعها المسجد
فبيناهي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق
لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ أوحسن الصورة مستوى الخلق * وقال قتادة شرقيا شاسعا
بعيدا انتهى والحجاب الذى اتخذته لتستتر به عن الناس لعبادة ربها * قال السدى كان من جدران
* وقيل من ثياب * وعن ابن عباس جعلت الجبل بينها وبين الناس حجابا وظاهر الارسال من
الله اليها ومحاورة الملك تدل على أنها نبية * وقيل لم تنبأ وانما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رئى
جبريل عليه السلام في صفة دحية وفي سؤاله عن الايمان والاسلام والظاهر أن الروح جبريل
لان الدين يحيا به وبوحيه أوسماه روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي
* وقيل عيسى كما قال وروح منه وعلى هذا يكون قوله فتمثل أى الملك * وقرأ أبو حيوة وسهل
روحنا بفتح الراء لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذى هو عدة المقربين في
قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان أولانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أى
مقربنا وذا روحنا * وذكر النقاس انه قرئ روحنا بتشديد النون اسم ملك من الملائكة
وانتصب بشرا سويا على الحال لقوله وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا * قيل وانما تمثل لها في صورة
الانسان لتستأنس بكلامه ولاتنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع
كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت به من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان
تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها * وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها
محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي
رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك * وقيل قام
بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وتعليقها الاستعاذة على شرط
تقواه لانه لاتنفع الاستعاذة ولاتجدى الاعند من يتقى الله أى ان كان يرجى منك أن تتقى الله
وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فانى عائذة به منك وجواب الشرط محذوف أى فانى أعوذ * وقال
الزجاج فستتعظ بتعويذى بالله منك * وقيل فاخرج عنى * وقيل فلاتتعرض لى وقول من قال
تقى اسم رجل صالح أو رجل فاسد ليس بسديد * وقيل ان نافية أى ما كنت تقيا أى بدخولك
على ونظرك الى وليادها بالله وعيادها به وقت التمثيل دليل على انه أول ماتمثل لها استعاذت من
غير جرى كلام بينهما * قال أى جبريل عليه السلام انما أنا رسول ربك الناظر في مصلحتك
والمالك لأمرك وهو الذى استعذت به وقوله لها ذلك تطمين لها وانى لست ممن تظن به ريبة
أرسلني اليك ليهب * وقرأ شيبة وأبو الحسن وأبو بحرية والزهرى وابن مناذر ويعقوب واليزيدى
ومن السبعة نافع وأبو عمرو ليهب أى ليهب ربك * وقرأ الجمهور وباقى السبعة لأهب بهمزة
المتكلم وأسند الهبة اليه لما كان الاعلام بها من قبله * وقال الزمخشرى لأهب لك لأكون سببا
في هبة الغلام بالنفخ في الروع وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك ويحتمل أن يكون محكيا
بقول محذوف أى قال لأهب والغلام اسم الصبى أول مايولد الى أن يخرج الى سن الكهولة وفسر
الزكاة هنا بالصلاح وبالنبوة وبعجب مريم وعلمت بما ألقى في روعها انه من عند الله وتقدم

السكلام على سؤالها عن الكيفية فى آل عمران فى قصتها وفى قولها ولم أك بغيا تخصيص بعد تعميم لان مسيس البشر يكون بنكاح و بسفاح * وقال الزمخشرى جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل أن تمسوهن أولمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن يراعى فيه الكنايات والآداب انتهى والبغى المجاهرة المشتهرة فى الزنا و وزنه فعول عند المبرد اجتمعت واو و ياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسر ماقبلها لأجل الياء كما كسرت فى عصى ودلى * قيل ولو كان فعيلا لحقتها هاء التأنيث فيقال بغية * وقال ابن جنى فى كتاب التمام هى فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر انتهى * قيل ولما كان هذا اللفظ خاصا بالمؤنث لم يحتج الى علامة التأنيث فصار كحائض وطالق وانما يقال للرجل باغ * وقيل بغى فعيل بمعنى مفعول كعين كحيل أى مبغية بطلبها أمثالها قال كذلك قال ربك هو على هين الكلام عليه كالكلام السابق فى قصة زكريا ولنجعله يحتمل أن يكون معطوفا على تعليل محذوف تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله أو محذوف متأخر أى فعلنا ذلك والضمير فى ولنجعله عائد على الغلام وكذلك فى قوله وكان أى وكان وجوده أمرا مفروغا منه وكونه رحمة من الله أى طريق هدى لعالم كثير فينالون الرحمة بذلك * وذكروا أن جبريل عليه السلام نفخ فى جيب درعها أو فيه وفى كمها وقال أى دخل الروح المنفوخ من فيها والظاهر أن المسند اليه النفخ هو الله تعالى لقوله فنفخنا ويحتمل ماقالوا فحملته أى فى بطنها والمعنى فحملت به * قيل وكانت بنت أربع عشرة سنة * وقيل بنت خمس عشرة سنة قاله وهب ومجاهد * وقيل بنت ثلاث عشرة سنة * وقيل بنت اثنتى عشرة سنة * وقيل عشر سنين * قيل بعد أن حاضت حيضتين * وحكى محمد بن الهيصم انها لم تكن حاضت بعد * وقيل لم تحض قط مريم وهى مطهرة من الحيض فلما أحست وخافت ملامة الناس أن يظن بها الشر فانتبذت به الى مكان قصى حياء وفرارا * روى انها فرت الى بلاد مصر أو نحوها قاله وهب * وقيل الى موضع يعرف ببيت لحم بينه و بين ايلياء أربعة أميال * وقيل بعيدا من أهلها وراء الجبل * وقيل أقصى الدار * وقيل كانت سميت لابن عم لها سمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا [illegible] عليها فقتلها لما هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلاتقتلها [illegible] كما حملته فى ساعة واحدة [illegible] وقيل كانت مدة حملها ثلاث ساعات * وقيل حمل فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة * وقيل ستة أشهر * وعن عطاء وأبى العالية والضحاك سبعة أشهر * وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وهى أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغى أن يضرب عنها صفحا الا أن المفسرين ذكروها فى كتبهم وسودوا بها الورق ولما فى به للحال أى مصحوبة به أى [illegible] وهو فى بطنها كما [illegible] تدوس بنا الجماجم [illegible] * أى تدوس الجماجم ونحن على ظهورها [illegible] بها تارة تعدى جاء بالباء وتارة بالهمزة

(ح) وأجاءها أى جاء بها تارة تعدى جاء بالباء وتارة بالهمزة (ش) الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ألا تراك لاتقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا فى الاعطاء ولم تقل آتيت المكان وآتانيه فلان (ح) أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أقمت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام وأما قوله الا تراك لاتقول الى آخره فمن رأى أن التعدية بالهمزة قياس أجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لايراه قياسا فقد سمع ذلك فى جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير صحيح لانه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وان أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بنى على افعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من أتى المتعديه لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثانى والفاعل هو الاول [illegible] الهمزة تقول أتى المال زيدا وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لان زيدا عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثانى وعلى ماذكرناه من انه كان يكون العكس [illegible] فى [illegible] ولم [illegible] وقال الشاعر

(الدر)

أنواناري فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا صباحا
ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال آتانيه

* قال الزمخشري الآن استعماله قد يغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترالا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل آتيت المكان وآتانيه فلان انتهى أما قوله وقول غيره ان الاستعمال غيره الى معنى الالجاء فيحتاج الى نقل أئمة اللغة المستقرئين ذلك عن لسان العرب والاجاءة تدل على المطلق فتصلح لما هو بمعنى الالجاء ولما هو بمعنى الاختيار كما لو قلت أفت زيدا فانه قد يكون مختارا لذلك وقد يكون قد قسرته على القيام وأما قوله الا ترالا تقول الى آخره فمن رأى ان التعدية بالهمزة قياس أجاز ذلك ولو لم يسمع ومن لا يراه قياسا فقد سمع ذلك في جاء حيث قالوا أجاء فيجيز ذلك وأما تنظيره ذلك بآتى فهو تنظير غير صحيح لأنه بناه على أن الهمزة فيه للتعدية وان أصله أتى وليس كذلك بل آتى مما بني على أفعل وليس منقولا من أتى بمعنى جاء اذ لو كان منقولا من أتى المتعدية لواحد لكان ذلك الواحد هو المفعول الثاني والفاعل هو الأول اذا عديته بالهمزة تقول أتى المال زيدا وآتى عمرو زيدا المال فيختلف التركيب بالتعدية لأن زيدا عند النحويين هو المفعول الاول والمال هو المفعول الثاني وعلى ماذكره الزمخشري كان يكون العكس فدل على أنه ليس على ماقاله وأيضا فآتى مرادف لأعطى فهو مخالف من حيث الدلالة في المعنى وقوله ولم تقل أتيت المكان وآتانيه هذا غير مسلم بل يقال أتيت المكان كما تقول جئت المكان * وقال الشاعر

أنواناري فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

ومن رأى النقل بالهمزة قياسا قال أتانيه * وقرأ الجمهور فأجاءها أي ساقها * وقال الشاعر

وجار سار معتمدا اليكم * أجاءته المخافة والرجاء

وأمال فتحة الجيم الأعمش وطلحة * وقرأ حماد بن سلمة عن عاصم * قال ابن عطية وشبيل بن عزرة فاجأها من المفاجأة * وقال صاحب اللوامح شبيل بن عزرة فاجأها * فقيل هو من المفاجأة بوزن فاعلها فابدلت همزتها بألف تخفيفا على غير قياس و يحتمل أن تكون همزة بين بين غير مقلوبة * وروى عن مجاهد كقراءة حماد عن عاصم * وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بكسر الميم يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وتمخض الولد في بطنها والى تتعلق بفأجاءها ومن قرأ فاجأها من المفاجأة فتتعلق بمحذوف أي مستندة أي في حال استنادها الى النخلة والمستفيض المشهور ان ميلاد عيسى عليه السلام كان بيت لحم وأنها لما هربت وخافت عليه أسرعت به وجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فعمدته فيه وهو اليوم الذي يتخذه النصارى و يسمونه يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون في كل ماء ومن زعم انها ولدته بمصر قال بكورة اهناس * قيل ونخلة مريم قائمة الى اليوم والظاهر ان النخلة كانت موجودة قبل مجيء مريم اليها * وقيل ان الله أنبت لها نخلة تعلقت بها * وروى أنها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة يابس بال أصله مدود لا رأس له ولا ثمر ولا خضرة وأل اما للتعريف الجنس أو الداخلة على الأسماء الغالبة كأن تلك الصحراء كان بها جذع نخلة معروف فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره وأرشدها تعالى الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولظهور تلك الآيات منها فتسكن نفسها وتقر عينها فاشتد بها الأمر هنالك واحتضنت

الجذع لشدة الوجع و ولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من الآلام والتغرب وانكار قومها وصعوبة الحال من غير ماوجه يا ليتني مت قبل هذا وتمنت مريم الموت من جهة الدين اذ خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك وهذا مباح وعلى هذا الحد تمنى عمر بن الخطاب وجماعة من الصالحين وأما النهي عن ذلك فانما هو لضر نزل بالبدن وتقدم الخلاف من القراء في كسر الميم من مت وضمها في آل عمران والنسي الشئ الحقير الذي من شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر وخرقة الطمث * وقرأ الجمهور بكسر النون وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما من شأنه أن يذبح * وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش وابن أبي ليلى وحمزة وحفص بفتح النون * وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بكسر النون والهمز مكان الياء وهي قراءة نوف الاعرابي * وقرأ بكر بن حبيب السهمي ومحمد بن كعب أيضا نسأ بفتح النون والهمز وهو مصدر من نسأت اللبن اذا صببت عليه ماء فاستهلك اللبن فيه لقلته فكأنها تمنت أن تكون مثل ذلك اللبن الذي لا يرى ولا يتميز من الماء * وقال ابن عطية * وقرأ بكر بن حبيب نسا بفتح النون والسين من غير همز بناه على فعل كالقبض والنفض * قال الفراء نسي ونسي لغتان كالوتر والوتر والفتح أحب الي * وقال أبو علي الفارسي الكسر أعلى اللغتين * وقال ابن الانباري من كسر فهو اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض ومنه فتح فمصدر نائب عن اسم كما يقال رجل دنف ودنف والمكسور هو الوصف الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف ويمكن أن يكونا لمعنى كالرطل والرطل والاشارة بقوله هذا الى الحمل * وقيل قبل هذا اليوم أو قبل هذا الأمر الذي جرى * وقرأ الاعمش وأبو جعفر في رواية منسيا بكسر الميم اتباعا لحركة السين كما قالوا منتن باتباع حركة الميم لحركة التاء * وقيل تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام أو لحزنها على الناس أن يأثم الناس بسببها * وروى أنها سمعت نداء أخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت وقالت يا ليتني مت * وقال وهب أنساها كرب الولادة وما سمعت من الناس بشارة الملائكة بعيسى * وقرأ زر وعلقمة فخاطبها مكان فناداها وينبغي أن يكون تفسيرا لا قراءة لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ومنادي الظاهر أنه عيسى أي فولدته فأنطقه الله وناداها أي حالة الوضع * وقيل جبريل وكان في بقعة من الارض أخفض من البقعة التي كانت عليها وهو له الحسن وأقسم على ذلك * قيل وكان يقبل الولد كالقابلة * وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها * وقرأ البراء بن عازب وابن عباس والحسن وزيد بن علي والضحاك وعمرو بن ميمون ونافع وحمزة والكسائي وحفص من حرف جر * وقرأ الابنان والأبوان وعاصم وزر ومجاهد والجحدري والحسن وابن عباس في رواية عنهما من بفتح الميم بمعنى الذي وتحتها ظرف منصوب صلة لمن وهو عيسى أي ناداها المولود قاله أبي والحسن وابن جبير ومجاهد وان حرف تفسير أي لا تحزني والسري في قول الجمهور الجدول * وقال الحسن وابن زيد وقتادة عظيما من الرجال له شأن * وروى أن الحسن فسر الآية فقال أجل لقد جعله الله سريا كريما فقال حميد بن عبد الرحمن يا أبا سعيد انما يعني بالسري الجدول فقال الحسن لهذه وأشباهها أحب قربك ولكن غلبنا الأمراء ثم أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في احياء موات الجذع

* وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا * وقال السدى كان الجذع مقطوعا وأجرى تحته النهر لجنبه والظاهر ان المتكلم هو عيسى وان الجذع كان يابسا وعلى هذا ظهرت لها آيات تسكن اليها وحزنها لم يكن لفقد الطعام والشراب حتى تتسلى بالا كل والشرب ولكن لما ظهر فى ذلك من خرق العادة حتى يتبين لقومها ان ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شأنها * قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت اذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك فى طرفة عين فجعل الرطب يقع من بين يديها لا يتسرح منه شئ والى حرف بلا خلاف و يتعلق بقوله وهزى وهذا جاء على خلاف ماتقرر فى علم النحو من ان الفعل لا يتعدى الى الضمير المتصل وقد رفع الضمير المتصل وليس من باب ظن ولا فقد ولا علم وهما المدلول واحد لا يقال ضربتك ولا زيد ضربه أى ضرب نفسه ولا ضربنى انما يؤتى فى مثل هذه التراكيب بالنفس فتقول ضربت نفسك وزيد ضرب نفسه وضربت نفسى والضمير المجرور عندهم كالضمير المنصوب فلا تقول هززت اليك ولا زيد هز اليه ولا هززت الى ولهذا زعموا فى قول الشاعر

دع عنك نهبا صيح فى حجراته * ولكن حديثا ماحديث الرواحل

﴿ وفى قول الآخر ﴾

وهون عليك فان الأمو * ر بكف الاله مقاديرها

ان عن وعلى ليسا حرفين وانما هما اسمان ظرفان وهذا ليس ببعيد لان عن وعلى قد ثبت كونهما اسمين فى قوله * من عن يمين الحبيا نظرة قبل * وفى قوله

* غدت من عليه بعدما تم ظمؤها * و بعض النحويين زعم ان على لا تكون حرفا البتة وانها اسم فى كل موارد ها ونسب الى سيبويه ولا يمكن أن يدعى أن الى تكون اسما لاجماع النحاة على حرفيتها كما قلنا ونظير قوله تعالى وهزى اليك قوله تعالى واضمم اليك جناحك وعلى تقرير تلك القاعدة ينبغى تأويل هذين وتأويله على أن يكون قوله اليك ليس متعلقا بهزى ولا باضمم وانما ذلك على سبيل البيان والتقدير أعنى اليك فهو متعلق بمحذوف كما قالوا فى قوله انى لكما لمن الناصحين وما أشبهه على بعض التأويلات والباء فى بجذع زائدة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة * قال أبو على كما يقال ألقى بيده أى ألقى يده * وكقوله * سود المحاجر لا يقرأن بالسور * أى لا يقرأن السور * وأنشد الطبرى

فؤاد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

* وقال الزمخشرى أو على معنى افعلى الهز به * كقوله * يخرج فى عراقيبها نصلى * قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة قاله محمد بن كعب * وقيل ماللنفساء خير من الرطب * وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * وقرأ الجمهور تساقط بفتح التاء والسين وشدها بعد ألف وفتح القاف * وقرأ الأعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك الا انهم خففوا السين * وقرأ حفص تساقط مضارع ساقطت * وقرأ أبو السمال تتساقط بتاءين * وقرأ البراء بن عارب والأعمش فى رواية يساقط بالياء من تحت مضارع اساقط * وقرأ أبو حيوة ومسروق تسقط بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف * وعن

أبي حيوة كذلك الا انه بالياء من تحت وعنه تسقط بالتاء من فوق مفتوحة وضم القاف وعنه كذلك الا انه بالياء من تحت وقال بعضهم في قراءة أبي حيوة هذه انه قرأ رطب جني بالرفع على الفاعلية وأما النصب فان قرأ بفعل متعد نصبه على المفعول أو بفعل لازم فنصبه على التمييز ومن قرأ بالياء من تحت فالفعل مسند الى الجذع ومن قرأ بالتاء فسند الى النخلة ويجوز أن يكون مسندا الى الجذع على حدّ يلتقطه بعض السيارة في قراءة من قرأ يلتقطه بالتاء من فوق وأجاز المبرد في قوله رطبا أن يكون منصوبا بقوله وهزي أي وهزي اليك بجذع النخلة رطبا تساقط عليك فعلى هذا الذي أجازه تكون المسئلة من باب الاعمال فيكون قد حذف معمول تساقط فمن قرأه بالياء من تحت فظاهر ومن قرأ بالتاء من فوق فان كان الفعل متعديا جاز أن يكون من باب الاعمال وان كان لازما فلا لاختلاف متعلق هزي اذ ذاك والفعل اللازم * وقرأ طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم اتباعا لحركة النون والرزق فان كان مفروغا منه فقد وكل ابن آدم الى سعي مافيه ولذلك أمرت مريم بهز الجذع وعلى هذا جاءت الشريعة وليس ذلك بمناف للتوكل * وعن ابن زيد قال عيسى لها لا تحزني فقالت كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شئ عذري عند الناس ياليتني مت قبل هذا الآية فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فكلي واشربي وقري عينا * قال الزمخشري أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك انتهى ولما كانت العادة تقديم الأكل على الشرب تقدم في الآية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا جنيا ولما كان المحزون قد يأكل ويشرب قال وقري عينا أي لا تحزني ثم ألقى اليها ما تقول ان رأت أحدا * وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجدية وتقدم ذكرها * وقرأ أبو عمرو في ماروى عنه ابن رومي ترئن بالابدال من الياء همزة وروى عنه لترؤن بالهمز أيضا بدل الواو * قال ابن خالويه وهو عند أكثر النحويين لحن * وقال الزمخشري وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال انتهى * وقرأ طلحة وأبو جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة * قال ابن جني وهي شاذة يعني لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون * كما قال الأفوه الأودي

أما ترى رأسي أزرى به * مأس زمان ذي انتكاس مؤوس

والآمر لها بالأكل والشرب وذلك القول الظاهر أنه ولدها * وقيل جبريل على الخلاف الذي سبق والظاهر أنه أبيح لها أن تقول ما أمرت بقوله وهو قول الجمهور * وقالت فرقة معنى فقولي أي بالاشارة لا بالكلام والا فكان التناقض ينافي قولها انتهى ولا تناقض لان المعنى فلن أكلم اليوم انسيا بعد قولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى أي فاما ترين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي * وقرأ زيد بن علي صياما وفسر صوما بالامساك عن الكلام وفي مصحف عبد الله صمتا * وعن أنس بن مالك مثله * وقال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الأكل والكلام انتهى وأحدثت بهي عندو لا يصح [illegible] وفي حديث [illegible] فليتكلم وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق وأمر [illegible] الصوم لان عيسى [illegible] يظهر الله عليه يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء وقوله نسيا لأنها كانت تكلم الملائكة

﴿فأتت به قومها﴾ الآية تحمله جملة حالية أي حاملة له * والفرى العظيم الشنيع ﴿يا أخت هرون﴾ الآية الظاهر أنه أخوها الأقرب وكانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم بعوا عليها ما جاءت به وأن أبويها كانا صالحين فكيف صدر منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على أن الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الأصول وينكر عليها اذا جاءت بضد ذلك ﴿ما كان أبوك امرأ سوء﴾ لما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء ونفوا عن أمها البغاء وهو الزنا وروي انها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها ﴿فأشارت اليه﴾ ألف أشارت منقلبة عن ياء وقال يزيد بن حاتم المهلبي هي منقلبة عن واو ومن الشورى ونازعه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ابن ثوبان الرعيني قاضي افريقية وتحاكما الى قتيبة الميال وكان يزيد قد جلبه من الكوفة الى المغرب فقال له ابن غانم كيف تبني من الاشارة تفاعلنا فقال تشايرنا فقال له يزيد ما الدليل على هذا فقال قول كثير وقلت وفي الاحشاء داء مخامر

الاحبذا ياعز ذاك التشاير

وقوله تعالى فأشارت اليه أي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا وروي انهم لما أشارت الى الطفل قالوا استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الانكار والتهكم بها ﴿كيف نكلم﴾ أي ﴿من كان في المهد﴾ ربي لا يكلم وانما أشارت اليه لما تقدم لها من وعده أنه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام وقيل بوحي من الله اليها وكان قيل انها تامة وقيل زائدة وينتصب ﴿صبيا﴾ على الحال في هذين القولين والظاهر أنها ناقصة فتكون بمعنى صار أو تبقى على مدلولها من اقتران مدلول الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما ﴿قال اني عبد الله﴾ أنطقه الله أولا بقوله اني عبد الله ردا للوهم الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله والجمل التي بعده تنبيه على براءة أمه مما اتهمت به لأنه تعالى لم يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال الحميدة الا مبرأة مصطفاة * والكتاب الانجيل أو التوراة او مجموعهما * ﴿وجعلني نبيا﴾ أنه تعالى نبأه حال طفوليته أكمل الله تعالى عقله واستنبأه طفلا وقيل ان ذلك سبق في قضائه وسابق حكمته * ﴿وجعلني مباركا﴾ أي نفاعا ﴿أينما كنت﴾ شرط وجزاؤه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه * وما في أينما زائدة وفي مادمت مصدرية ظرفية أي مدة دوام حياتي والظاهر حمل الصلاة والزكاة على ما شرع في شرعتهم في البدن والمال * والجبار المتعاظم وكان صلى الله عليه وسلم في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب وينام حيث جنه الليل لا مسكن له وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي والالف واللام في والسلام للجنس

دون الانس ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ فأتت به قيل اتيانها كان من ذاتها * قيل طهرت من النفاس بعد أربعين يوما وكان الله تعالى قد أراها آيات واضحات وكلمها عيسى ابنها وحنت الى الوطن وعلمت ان عيسى سيكفيها من يكلمها فعادت الى قومها * وقيل أرسلوا اليها لتحضري الينا بولدك وكان الشيطان قد أخبر قومها بولادتها وفي الكلام حذف أي فلما رأوها وابنها قالوا * قال مجاهد والسدي الفري العظيم الشنيع * وقرأ أبو حيوة فيما نقل ابن عطية فريا بسكون الراء وفيما نقل ابن خالويه فرئا بالهمز وهارون شقيقها أو أخوها من أمها وكان من أمثل بني اسرائيل أو هارون أخو موسى اذ كانت من نسله أو رجل صالح من بني اسرائيل شبهت به أو رجل من النساء وشبهوها به أقوال والأولى انه أخوها الأقرب * وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله تعالى يا أخت هارون والمدة بينهما طويلة جدا فقال له الرسول ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم وأنكروا عليها ما جاءت به وان أبويها كانا صالحين فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على أن الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الأصول وينكر عليها اذا جاءت بضد ذلك * وقرأ عمر بن لجا التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريرا ما كان أبوك امرأ سوء لجعل الخبر

المعرفة والاسم النكرة وحسن ذلك قليلا كونها فيها مسوغ جواز الابتداء وهو الاضافة ولما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء لمناسبة الولادة ولم ينصوا على اثبات الصلاح وان كان نفي السوء يوجب الصلاح ونفي البغاء يوجب العفة لانهما بالنسبة اليهما نقيضان * روي انها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك * وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فأشارت اليه أي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه * وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا * ويروى انهم لما أشاروا الى الطفل قالوا استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة الانكار والتهكم بها أي ان من كان في المهد يربى لا يكلم وانما أشارت اليه لما تقدم لها من وعده انه يجيبهم عنها ويغنيها عن الكلام * وقيل بوحي من الله اليها * وكان قال أبو عبيدة زائدة * وقيل تامة وينتصب صبيا على الحال في هذين القولين والظاهر انها ناقصة فتكون بمعنى صار أو تبقى على مدلولها من اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي ولا يدل ذلك على الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما وفي قوله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة والمعنى كان وهو الآن على ما كان ولذلك عبر بعض أصحابنا عن كان هذه بأنها ترادف لم يزل وما رد به ابن الانباري كونها زائدة من ان الزائدة لا خبر لها وهذه قد نصبت صبيا خبرا لها ليس بشئ لانه اذ ذاك ينتصب على الحال والعامل فيها الاستقرار * وقال الزمخشري كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انتهى والظاهر ان من مفعول بنكلم * ونقل عن الفراء والزجاج ان من شرطية وكان في معنى يكن وجواب الشرط محذوف تقديره فكيف نكلم وهو قول بعيد جدا * وعن قتادة ان المهد حجر أمه * وقيل المكان الذي يستقر عليه * وروي انه قام متكئا على يساره وأشار اليهم بسبابته اليمنى وأنطقه الله تعالى أولا بقوله اني عبد الله آتاني الكتاب ردا للوهم الذي ذهبت اليه النصارى وفي قوله عبد الله والجمل التي بعده تنبيه على براءة أمه مما اتهمت به لانه تعالى لا يخص بولد موصوف بالنبوة والخلال الحميدة الا مبرأة مصطفاة والكتاب الانجيل أو التوراة أو مجموعهما أقوال وظاهر قوله وجعلني نبيا انه تعالى نبأه حال طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا * وقيل ان ذلك سبق في قضائه وسابق حكمه ويحتمل أن يجعل الآتي لتحققه كأنه قد وجد وجعلني مباركا قال مجاهد نفاعا * وقال سفيان معلم خير * وقيل آمرا بمعروف ناهيا عن منكر * وعن الضحاك قضاء للحوائج وأينما كنت شرط وجزاؤه محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه ولا يجوز أن يكون معمولا لجعلني السابق لان أين لا يكون الا استفهاما أو شرطا لا جائز أن يكون هنا استفهاما فتعين أن تكون شرطية واسم الشرط لا ينصبه فعل قبله انما هو معمول للفعل الذي يليه والظاهر حمل الصلاة والزكاة على ما شرع في البدن والمال * وقيل الزكاة زكاة الرؤس في الفطر * وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهير وما في مادمت مصدرية ظرفية * وقال ابن عطية * وقرأ دمت بضم الدال عاصم وجماعة * وقرأ دمت بكسر الدال أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو انتهى والذي في كتب القراآت أن القراء السبعة قرؤا دمت حيا بضم الدال وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها الا في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات وسبق انه قرئ وبرا بكسر الباء فاما على حذف مضاف أي وذا بر واما على المبالغة جعل

(الدر)

(ع) وقرأ دمت بضم الدال عاصم وجماعة وقرأ دمت بكسر الدال أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو (ح) الذي في كتب القراآت أن القراء السبعة قرؤا مادمت حيا بضم الدال وقد طالعنا جملة من الشواذ فلم نجدها في شواذ السبعة ولا في شواذ غيرهم على انها لغة تقول دمت تدام كما قالوا مت تمات انتهى قال جامعه حكاها ابن غلبون في كتاب تصرف خاصة في القرآآت الشاذة عن يحيى بن وثاب وطلحة ونص على انها بكسر الدال فاعلمه

﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ الآية الاشارة بذلك الى المولود الذي ولدته مريم المتصف بتلك الأوصاف الجميلة وذلك مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير أب وليس بابن لله كما تزعم النصارى ولا لغير رشدة كما تزعم اليهود وانتصاب قول على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذا الاخبار عن عيسى بن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها أي أنها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق وقرئ قول برفع اللام وارتفاعه على أنه خبر مبتدإ محذوف أي هو أي نسبته الى أمه خاصة فقط الحق قال الزمخشري وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى هذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله لان اللفظ لا يكون الذات وقرئ يمترون بياء الغيبة وبتاء الخطاب وامترى افتعل امامن المرية وهي الشك أو من المراء وهو المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ من زائدة في سياق النفي والنفي لم يتسلط على كان واذا انتفى الكون انتفى متعلقه وهو الاتخاذ فكان حرف النفي باشر يتخذ ومن ولد في موضع المفعول والنفي هنا دل على التنزيه ولذلك أعقب هذا النفي بقوله سبحانه أي تنزه عن الولد اذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ولا يتعلق به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شئ أوجده فهو منزه عن التوالد وقال بعض شعراء العرب

ألا رب مولود وليس له أب
وذي ولد لم يلده أبوان

عنى بالاول عيسى وبالثاني آدم وتقدم الكلام على الجملة من قوله اذا قضى أمرا وقرئ وإن بكسر الهمزة وقرئ بفتحها التقدير وكان الله ربي وربكم فاعبدوه والاشارة بقوله هذا أي القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة والصراط هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده الى النجاة ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ هذا اخبار من الله تعالى لرسوله بتفرق بني اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسببه من غيرهم * والاحزاب قال الكلبي اليهود والنصارى وقال قتادة ان بني اسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم فقال أحدهم عيسى هو الله نزل الى الارض وأحيا من أحيا وأمات من أمات فكذبه الثلاثة واتبعه اليعقوبية ثم قال أحد الثلاثة عيسى هو ابن الله فكذبه الاثنان واتبعه النسطورية وقال أحد الاثنين عيسى أحد ثلاثة الله اله ومريم إله وعيسى إله فكذبه الرابع واتبعه الاسرائيلية وقال الرابع عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فاتبعه فريق من بني اسرائيل ثم اقتتل الاربعة فغلب المؤمنون وقتلوا وظهر اليعقوبية على الجميع والاربعة يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور أو من الشهادة ويكون مصدرا ومكانا و[illegible] [illegible] المعنى من شهود هول

ذاته من فرط بره ويجوز أن يضمر فعل في معنى أوصاني وهو كلفني لان أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد ومن قرأ وبرا بفتح الباء * فقال الحوفي وأبو البقاء انه معطوف على مباركا وفيه بعد للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجملة التي هي أوصاني ومتعلقها والأولى اضمار فعل أي وجعلني برا * وحكى الزهراوي وأبو البقاء انه قرئ وبر بكسر الباء والراء عطفا على بالصلاة والزكاة وقوله بوالدتي بيان محل البر وانه لا والد له وبهذا القول برأها قومها والجبار كما تقدم المتعاظم وكان في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب حيث جنه الليل لا مسكن له وكان يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي والألف واللام في والسلام للجنس * قال الزمخشري هذا التعريف تعريض بلعنة متهمي مريم وأعدائهما من اليهود وحقيقته ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض * وقيل أل لتعريف المنكر في قصة يحيى في قوله وسلام نحو كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول أي وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى وسبق القول في تخصيص هذه المواطن * وقرأ زيد بن علي يوم ولدت أي يوم ولدتني جعله ماضيا لحقته تاء التأنيث ورجح وسلام علي والسلام لكونه من الله وهذا من قول عيسى عليه السلام * وقيل سلام عيسى أرجح لانه تعالى أقامه في ذلك مقام نفسه فسلم نائبا عن الله ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم

الحساب والجزاء في يوم القيامة وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة ويجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن يشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة أو أن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذه الاحتمالات هو يوم القيامة ﴿أسمع

عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون﴾ الاشارة بذلك الى المولود الذي ولدته مريم المتصف بتلك الأوصاف الجميلة وذلك مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير أب فليس بابن له كما يزعم النصارى ولا لغير رشدة كما يزعم اليهود * وقرأ زيد بن علي وابن عامر وعاصم وحمزة وابن أبي اسحاق والحسن ويعقوب قول الحق بنصب اللام وانتصابه على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذه الاخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوبا لغيرها أي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هنا الصدق وهو من اضافة الموصوف الى صفته أي القول الحق كما قال وعد الصدق أي الوعد الصدق وان عنى به الله تعالى كان القول مرادا به الكلمة كما قالوا كلمة الله كان انتصابه على المدح وعلى هذا تكون الذي صفة للقول وعلى الوجه الأول تكون الذي صفة للحق * وقرأ الجمهور قول برفع اللام * وقرأ ابن مسعود والأعمش قال بألف ورفع اللام * وقرأ الحسن قول بضم القاف ورفع اللام وهي مصادر كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو أي نسبته الى أمه فقط قول الحق فتتفق اذ ذاك قراءة النصب وقراءة الرفع في المعنى * وقال الزمخشري وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل انتهى وهذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله لأن اللفظ لا يكون الذات * وقرأ طلحة والاعمش في رواية زائدة قال بألف جعله فعلا ماضيا الحق برفع القاف على الفاعلية والمعنى قال الحق وهو الله ذلك الناطق الموصوف بتلك الاوصاف هو عيسى ابن مريم والذي على هذا خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي * وقرأ علي كرم الله وجهه والسلمي وداود بن أبي هند ونافع في رواية والكسائي في رواية تمترون بتاء الخطاب والجمهور بياء الغيبة وامترى افتعل اما من المرية وهي الشك واما من المراء وهو المجادلة والملاحاة وكلاهما مقول هنا قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وهو الله ما كان لله أن يتخذ من ولد هذا تكذيب للنصارى في دعواهم أنه ابن الله وإذا استحالت البنوة فاستحالة الالهية مستقلة أو بالتثليث أبلغ في الاستحالة وهذا التركيب معناه الانتفاء فتارة يدل من جهة المعنى على الزجر ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله وتارة على التعجيز ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة على التنزيه كهذه الآية ولذلك أعقب هذا النفي بقوله سبحانه أي تنزه عن الولد اذ هو مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته اذ هو تعالى متى تعلقت ارادته بايجاد شيء أوجده فهو منزه عن التوالد ونقص الكمال على احسانه من قوله اذا قضى أمرا * وقرأ الجمهور وإن الله بكسر الهمزة على الاستئناف * وقرأ أبي بالكسر دون واو * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأن بالواو وفتح الهمزة وخرجه ابن عطية على أن يكون معطوفا على

بهم وأبصر﴾ صيغة تعجب وحذف من الثاني بهم لدلالة الاول عليه وتقديره ما أسمعهم وما أبصرهم وتقدم الكلام في التعجب من الله تعالى وفي قوله فما أصبرهم على النار ﴿يوم يأتوننا﴾ هو يوم القيامة ﴿لكن الظالمون﴾ عموم يندرج فيه هؤلاء الاحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين واليوم أي في دار الدنيا ويوم الحسرة اسم جنس لأن بعده حسرات كثيرة في مواطن عدة منها يوم الموت ومنها أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك و﴿قضي الأمر﴾ أي أمر يوم القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ جملة حالية والعامل فيها قوله وأنذرهم لعلهم ينتفعون بالانذار ويفكرون في يوم الحسرة ﴿انا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ هو عبارة عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق وكأنها وراثة

(ش) وارتفاعه أي قول الحق على انه خبر بعد خبر أو بدل انتهى (ح) هذا الذي ذكره لا يكون الا على المجاز في قول وهو أن يراد به كلمة الله لأن اللفظ لا يكون الذات

قوله هذا قول الحق وأن الله ربي كذلك وخرجه الزمخشري على أن معناه ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا انتهى وهذا قول الخليل وسيبويه وفي حرف أبي أيضا وبأن الله بالواو وباء الجر أي بسبب ذلك فاعبدوه وأجاز الفراء في وان أن يكون في موضع خفض معطوفا على والزكاة أي وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم انتهى وهذا في غاية البعد للفصل الكثير وأجاز الكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى الامر ان الله ربي وربكم * وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أن يكون المعنى وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله أمرا من قوله اذا قضى أمرا والمعنى اذا قضى أمرا وقضى ان الله انتهى وهذا تخبيط في الاعراب لأنه اذا كان معطوفا على أمرا كان في حيز الشرط وكونه تعالى ربنا لا يتقيد بالشرط وهذا يبعد أن يكون قاله أبو عمرو بن العلاء فانه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل أن يوازنه أحد مع كونه عربيا ولعل ذلك من فهم أبي عبيدة فانه يضعف في النحو والخطاب في قوله وربكم قيل لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى أمر الله تعالى أن يقول لهم ذلك عيسى ابن مريم أي قل لهم يا محمد هذا الكلام * وقيل الخطاب للذين خاطبهم عيسى بقوله اني عبد الله الآية وان الله معطوف على الكتاب وقد قال وهب عهد عيسى اليهم ان الله ربي وربكم ومن كسر الهمزة عطف على قوله اني عبد الله فيكون محكيا بقال وعلى هذا القول يكون قوله ذلك عيسى ابن مريم الى وان الله جمل اعتراض أخبر الله تعالى بها رسوله عليه السلام والاشارة بقوله هذا أي القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة هو الطريق المستقيم الذي يفضي بقائله ومعتقده الى النجاة فاختلف الاحزاب من بينهم هذا اخبار من الله للرسول بتفرق بني اسرائيل فرقا ومعنى من بينهم ان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسبب غيرهم * والاحزاب قال الكلبي اليهود والنصارى * وقال الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس انتهى فالضمير في بينهم على هذا ليس عائدا على الاحزاب * وقيل الاحزاب هنا المسلمون واليهود والنصارى * وقيل هم النصارى فقط * وعن قتادة ان بني اسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم * فقال أحدهم عيسى هو الله نزل الى الارض وأحيا من أحيا وأمات من أمات فكذبه الثلاثة واتبعته اليعقوبية ثم قال أحد الثلاثة عيسى ابن الله وكذبه الاثنان واتبعته النسطورية وقال أحد الاثنين عيسى أحد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعته الاسرائيلية * وقال الرابع عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فاتبعته فرقة من بني اسرائيل ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون وظهرت اليعقوبية على الجميع فروي ان في ذلك نزلت ان الذين يكفرون بآيات الله آية آل عمران والاربعة يعقوب ونسطور وملكا واسرائيل وبين هنا أصله ظرف استعمل اسما بدخول من عليه * وقيل من زائدة * وقيل البين هنا البعد أي اختلفوا فيه لبعدهم عن الحق ومشهد مفعل من الشهود وهو الحضور أو من الشهادة ويكون مصدرا أو مكانا أو زمانا فمن الشهود يجوز أن يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة وأن يكون من مكان الشهود فيه وهو الموقف وأن يكون من وقت الشهود ومن الشهادة يجوز أن يكون المعنى من شهادة ذلك اليوم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وأن يكون من مكان الشهادة وأن يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على هذا الاحتمال يوم القيامة * وعن قتادة هو يوم قتل المؤمنين حين اختلف

﴿واذكر في الكتاب ابراهيم﴾ الآية واذكر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أتل عليهم نبأ ابراهيم وذاكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى *ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد الجماد والفريقان وان اشتركا في الضلال فالفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة ابراهيم عليه السلام مع

أبيه تذكيرا للعرب بما كان أبوهم عليه من توحيد الله وتبيين أنهم سلكوا غير طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وأن ذلك متلقى بالوحي والصديق من أبنية المبالغة وهو مبني من الثلاثي للمبالغة أي كثير الصدق والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال والخلق وفيما لا يعقل *قال الزمخشري هذه الجملة يعني قوله انه كان صديقا نبيا وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن تتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لمقام الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى التخريج الاول يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على أن كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسئلة

الاحزاب وقيل ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه يوم اختلافهم وتقدم الكلام على التعجب الوارد من الله في قوله تعالى فما أصبرهم على النار وأنه لا يوصف بالتعجب *قال الحسن وقتادة لئن كانوا صما وبكما عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ولكنهم يسمعون ويبصرون حيث لا ينفعهم السمع ولا البصر * وعن ابن عباس انهم أسمع شيء وأبصره * وقال علي بن عيسى هو وعيد وتهديد أي سوف يسمعون ما يخلع قلوبهم ويبصرون ما يسود وجوههم *وعن أبي العالية انه أمر حقيقة للرسول أي أسمع الناس اليوم وأبصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب اذا أتوا محشورين مغلولين لكن الظالمون عموم يندرج فيه هؤلاء الأحزاب الكفار وغيرهم من الظالمين واليوم أي في دار الدنيا *وقال الزمخشري أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع انتهى وأنذرهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والضمير لجميع الناس * وقيل يعود على الظالمين ويوم الحسرة يوم ذبح الموت وفيه حديث * وعن ابن زيد يوم القيامة *وقيل حين يصدر الفريقان الى الجنة والنار وعن ابن مسعود حين يرى الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون يوم الحسرة اسم جنس لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة ومنها يوم الموت ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك انتهى واذ بدل من يوم الحسرة* قال السدي وابن جريج قضي الأمر ذبح الموت * وقال مقاتل قضي العذاب * وقال ابن الانباري المعنى اذ قضي الامر الذي فيه هلاككم * وقال الضحاك يكون ذلك اذا برزت جهنم ورمت بالشرر *وعن ابن جريج أيضا اذا فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار * وقيل اذا قال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقيل اذا يقال امتازوا اليوم أيها المجرمون* وقيل اذ قضي سد باب التوبة وذلك حين تطلع الشمس من مغربها * وهم في غفلة * قال الزمخشري متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض وهو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * وقال ابن عطية وهم في غفلة يريد في الدنيا الآن وهم لا يؤمنون كذلك انتهى وعلى هذا يكون حالا والعامل فيه وأنذرهم والمعنى أنهم مشتغلون بأمور دنياهم معرضون عما يهمهم والظاهر أن كونها راجعا لقوله وقضي الأمر أي أمر يوم القيامة انا نحن نرث الارض ومن عليها تحويل وعبارة عن فناء المخلوقات وبقاء خالقها كأنها وراثة وقرأ الجمهور يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول ولا رجعة من فوق * وقرأ السلمي وابن أبي اسحاق وعيسى بالياء من تحت مبنيا للفاعل وحكى عنهم بالتاء من فوق واذكر في الكتاب ابراهيم

خلاف والتخريج الثالث لا يصح لأن المعنى ليس على الاخبار عنه بأنه كان صديقا نبيا حين قال ما ذكر لأن سبب نبوته مركب من مجموع لفظين فلا ولا يجوز أن يكون اذ معمولا لصديقا لأنه قد نعت على رأي الكوفيين ويجوز أن يكون معمولا لنبيا أي منبأ في وقت قوله لأبيه ما قال وأن التنبئة كانت في ذلك الوقت وهو بعيد ونداؤه أباه بقوله يا أبت تلطف واستدعاء ثم استفهم ابراهيم عن السبب الحامل لابيه على عبادة الاصنام وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه شيئا منبها على عدم رأيه وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف رتب ابراهيم عليه السلام الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع

أستعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك نصيحة ربه عز وجل ولما سأله عن العلة فى عبادة الصنم ولا يمكن أن يجد جوابا انتقل معه الى اخباره بانه قد جاءه من العلم مالم يأته ولم يصف أباه بالجهل اذ يغنى عنه السؤال السابق وقال من العلم على سبيل التبعيض أى شئ من العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على أن ذلك كان بعد ما نبئ اذ فى لفظ جاءنى تجدّد العلم والذى جاء الوحى الذى يأتى به الملك أو العلم بامور الآخرة وثوابها وعقابها او توحيد الله وافراده بالعبادة والالوهية فاتبعنى على توحيد الله بالعبادة وارفض الاصنام ﴿أهدك صراطا سويا﴾ وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ انتقل من أمره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه فى عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم صلى الله عليه وسلم فأبى فهو عدوك ولابيك آدم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته وأن من هذا وصفه هو الذى ينبغى أن يعبد ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ما طرده عن هذه الرحمة ﴿يا أبت انى أخاف أن يمسك﴾ الآية الاولى حمل أخاف على موضوعه الأصلى لأنه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوّفه ابراهيم سوء العاقبة وتادب معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب به بل أخرج ذلك مخرج الخائف وأتى بلفظ هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب بقوله إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى﴾ قال أى أبوه استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشئ تركه عمدا وآلهته أصنامه وأغلظ له فى الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيابنى * قال الزمخشرى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله أراغب أنت عن آلهتى لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغى أن يرغب عنها أحد

انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء

وفى هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى والمختار فى اعراب أراغب أنت أن يكون راغب مبتدأ لأنه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما أعرب به الزمخشرى من كون أراغب خبر وأنت مبتدأ بوجهين أحدهما أن لا يكون فيه تقديم ولا تأخير إذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ والثانى أن لا يكون فصل بين العامل الذى هو أراغب وبين معموله الذى هو عن آلهتى بما ليس بمعمول للعامل لأن الخبر ليس هو عاملا فى المبتدا بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول لراغب فلم يفصل بين أراغب وبين عن آلهتى بأجنبى انما فصل بمعمول له ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على انفاد ما توعده به إن لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل أن يكون عن مخاطبتى بما خاطبتنى به ودعوتنى إليه وأن تكون لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتى ﴿لأرجمنك﴾ جواب لقسم محذوف وظاهره الرجم بالحجارة * قال الزمخشرى فان قلت علام عطف واهجرنى قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أى فاحذرنى واهجرنى لأن لأرجمنك تهديد وتقريع انتهى وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتى العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرنى معطوف على قوله لئن لم تنته لأرجمنك وكلاهما معمول للقول وانتصب مليا على الظرف أى دهرا طويلا ومنه الملوان وهما الليل والنهار ﴿قال سلام عليك﴾ قرأ أبو البرهسم سلاما بالنصب ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر أى سلمت سلاما دعا له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة ﴿انه كان بى حفيا﴾ أى معتنيا بى متعلق به ولما كان فى قوله لأرجمنك فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلامة والأمن ووعده بالاستغفار قضاء لحق الابوة ولما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بانه يمتثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام وقيل الى حران وكانوا بأرض كوثا ولسان الصدق الثناء الحسن الباقى عليهم آخر الأبد قاله ابن عباس

ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ✽ واذكر خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد اتل عليهم نبأ ابراهيم وذاكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الاحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد جمادا والفريقان وان اشتركا في الضلال والفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة ابراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيرا للعرب بما كان ابراهيم عليه من توحيد الله وتبيين انهم سالكو غير طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وان ذلك متلقى بالوحي والصديق من أبنية المبالغة وهو مبني من الثلاثي للمبالغة أي كثير الصدق والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الأفعال والخلق وفيما لا يعقل يقال صدقني الطعام كذا وكذا قفيزا وعود صدق للصلب الجيد فوصف ابراهيم بالصدق على العموم في أقواله وأفعاله والصديقية مراتب ألا ترى الى وصف المؤمنين بها في قوله من النبيين والصديقين ومن غريب النقل ماذهب اليه بعض النحويين من ان فعيلا اذا كان من متعد جاز أن يعمل فتقول هذا شريب مسكر كما أعملوا عند البصريين فعولا وفعالا ومفعالا ✽ وقال الزمخشري والمراد فرط صدقه وكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه لقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين وكان بليغا في الصدق لان ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن تتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات انتهى ✽ فالتخريج الأول يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على ان كان الناقصة وأخواتها تعمل في الظروف وهي مسألة خلاف ✽ والتخريج الثالث لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد أما أن ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا وجائز أن يكون معمولا لصديقا لانه نعت الا على رأي الكوفيين ويحتمل أن يكون معمولا لنبيا أي منبأ في وقت قوله لأبيه ماقال وان التنبئة كانت في ذلك الوقت وهو بعيد ✽ وقرأ أبو البرهسم انه كان صادقا وفي قوله يا أبت تلطف واستدعاء بالنسب ✽ وقرأ ابن عامر والاعرج وأبو جعفر يا أبت بفتح التاء وقد لحن هارون هذه القراءة وتقدم الكلام على يا أبت في سورة يوسف عليه السلام وفي مصحف عبد الله وا أبت بواو بدل ياء واستفهم ابراهيم عليه السلام عن السبب الحامل لابيه على عبادة الصنم وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه شيئا تنبيها على شنعة الرأي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه هذه الاوصاف ✽ وخطب الزمخشري فقال انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك نصيحة ربه جل وعلا حدث أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة

(الدر)

(ش) وهذه الجملة يعني قوله انه كان صديقا نبيا وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حتى خاطب أباه تلك المخاطبات (ح) التخريج الاول يقتضي تصرف اذ وقد تقدم لنا أنها لا تتصرف والتخريج الثاني مبني على ان كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي مسئلة خلاف والتخريج الثالث لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد اما ان ينسب الى مركب من مجموع لفظين فلا ولا جائز أن يكون اذ معمولا لصديقا لانه قد نعت الا على رأي كوفي ويحتمل أن يكون معمولا لنبيا أي منبأ في وقت قوله لأبيه ماقال وان التنبئة كانت في ذلك الوقت وهو بعيد

القدس وأدنيه من جواري وسرد الزمخشري بعد هذا كلاما كثيرا من نوع الخطابة تركناه *وما لا يسمع الظاهر انها موصولة وجوزوا أن تكون نكرة موصوفة ومعمول يسمع ويبصر منسي ولا ينوي أي ما ليس به استماع ولا ابصار لان المقصود نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق وشيئا اما مصدر أو مفعول به ولما سأله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن أن يجد جوابا انتقل معه الى اخباره بأنه قد جاءه من العلم ما لم يأته ولم يصف أباه بالجهل اذ يغني عنها السؤال السابق وقال من العلم على سبيل التبعيض أي شئ من العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على أن ذلك كان بعد ما نبيء اذ في لفظ جاءني تجدد العلم والذي جاءه الوحي الذي أتى به الملك أو العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها أو توحيد الله وافراده بالالوهية والعبادة أقوال ثلاثة فاتبعني على توحيد الله بالعبادة وارفض الاصنام أهدك صراطا مستقيما وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وانتقل من أمره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان وعبادته كونه يطيعه في عبادة الاصنام ثم نفره عن عبادة الشيطان بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين أمره بالسجود لآدم فأبى فهو عدو لك ولأبيك آدم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي أن يعبد ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه صفته وارتكب من ذلك ما طرده من هذه الرحمة وان كان مختارا لنفسه عصيان ربه لا يختار لذريته من عصى لأجله الاما اختار لنفسه من عصيانهم * يا أبت انى أخاف قال الفراء والطبري أخاف أعلم كما قال فخشينا أن يرهقهما أي تيقنا والأولى حمل أخاف على موضوعه الأصلي لانه لم يكن آيسا من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوف ابراهيم سوء العاقبة وتأدب معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب به بل أخرج ذلك مخرج الخائف وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة ونكر العذاب ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال في مقابل ذلك ورضوان من الله أكبر أي من النعيم السابق ذكره وصدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * وقيل الولاية هنا كونه مقرونا معه في الآخرة وان تباغضا وتبرأ بعضهما من بعض * وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير اني أخاف أن تكون وليا في الدنيا للشيطان فيمسك في الآخرة عذاب من الرحمن وقوله أن يمسك عذاب من الرحمن لا يعين أن العذاب يكون في الآخرة بل يحتمل أن يحمل العذاب على الخذلان من الله فيصير مواليا للشيطان ويحتمل أن يكون مس العذاب في الدنيا بان يبتلى على كفره بعذاب في الدنيا فيكون ذلك العذاب سببا لتماديه على الكفر وصيرورته الى ولاية الشيطان الى أن يوافى على الكفر كما قال وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وهذه المناصحات تدل على شدة تعلق قلبه بمعالجة أبيه والطماعية في هدايته قضاء لحق الابوة وارشادا الى الهدى لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم قال أي أبوه أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم استفهم استفهام انكار والرغبة عن الشئ تركه عمدا وآلهته أصنامه وأغلظ له في هذا الانكار وناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني * قال الزمخشري وقدم الخبر على المبتدا في قوله أراغب أنت عن آلهتي لانه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى والمختار في اعراب أراغب أنت أن يكون راغب مبتدا لانه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا

(ش) وقدم الخبر على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لانه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج به لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه انتهى (ح) المختار في أراغب أنت أن يكون راغب مبتدأ لانه قد اعتمد على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما أعرب به (ش) من كون أراغب خبرا وأنت مبتدأ بوجهين أحدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدأ والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو أراغب وبين معموله الذي هو عن آلهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدأ بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول لراغب فلم يفصل بين أراغب وبين عن آلهتي باجنبي انما فصل بمعمول له

الاعراب على ما أعرب به الزمخشري من كون أراغب خبرا وأنت مبتدأ بوجهين * أحدهما انه لا يكون فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الخبر أن يتأخر عن المبتدا والثاني أن لا يكون فصل بين العامل الذي هو أراغب وبين معموله الذي هو عن آلهتي بما ليس بمعمول للعامل لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدا بخلاف كون أنت فاعلا فانه معمول أراغب فلم يفصل بين أراغب وبين عن آلهتي بأجنبي انما فصل بمعمول له ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على انفاذ ما توعده به ان لم ينته ومتعلق تنته محذوف واحتمل أن يكون عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتني اليه وأن يكون لئن لم تنته عن الرغبة عن آلهتي لأرجمنك جواب القسم المحذوف قبل لئن * قال الحسن بالحجارة * وقيل لأقتلنك * وقال السدي والضحاك وابن جريج لأشتمنك * قال الزمخشري (فان قلت) علام عطف واهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لان لأرجمنك تهديد وتقريع انتهى وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف على قوله لئن لم تنته لأرجمنك وكلاهما معمول للقول وانتصب مليا على الظرف أي دهرا طويلا قاله الجمهور والحسن ومجاهد وغيرهما ومنه الملوان وهما الليل والنهار والملاوة بتثليث حركة الميم الدهر الطويل من قولهم أمليت لفلان في الامر اذا أطلت له * وقال الشاعر

فعسنا بها من الشباب ملاوة * فالحج آيات الرسول المحبب

* وقال سيبويه سير عليه ملي من الدهر أي زمان طويل * وقال ابن عباس وغيره مليا معناه سالما سويا فهو حال من فاعل واهجرني * قال ابن عطية وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله مستندا بحالك غنيا عني مليا بالاكتفاء * وقال السدي معناه أبدا * ومنه قول مهلهل

فتصدعت صم الجبال لموته * وبكت عليه المرملات مليا

* وقال ابن جبير دهرا وأصل الحرف المكث يقال تمليت حينا * وقال الزمخشري أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به انتهى قال سلام عليك * قرأ أبو البرهسم سلاما بالنصب * قال الجمهور هذا بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية أي أسلم منك وهؤلاء لا يرون ابتداء الكافر بالسلام * وقال النقاش حليم خاطب سفيها كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقيل هي تحية مفارق وجوز قائل هذه تحية الكافر وان يبدأ بالسلام المشروع وهو مذهب سفيان بن عيينة مستدلا بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الآية وقوله قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الآية * وقال ابراهيم لابيه سلام عليك وما استدل به متأول ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ورفع سلام على الابتداء ونصبه على المصدر أي سلمت سلاما دعا له بالسلامة على سبيل الاستمالة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حدوث ما يمكن معه الاستغفار وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة وهذا كما يرد الامر والنهي على الكافر ولا يصح امتثاله الا بشرط الايمان ومعنى سأستغفر لك أدعو الله في هدايتك فيغفر لك بالايمان ولا يتأول على ابراهيم عليه السلام انه لم يعلم ان الله لا يغفر للكافر * قال ابن عطية ويجوز أن يكون ابراهيم عليه السلام أول نبي أوحي اليه ان الله لا يغفر للكافر لان هذه الطريقة انما طريقها السمع وكانت هذه المقالة منه لابيه قبل أن يوحى اليه وذلك انه انما تبين له في أبيه انه عدو لله بأحد وجهين اما بموته على الكفر كما روي أو ...

(الدر)

(ش) فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع (ح) وانما احتاج الى حذف ليناسب بين جملتي المعطوف والمعطوف عليه وليس ذلك بلازم عند سيبويه بل يجوز وعنده عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فقوله واهجرني معطوف على قوله لئن لم تنته لأرجمنك وكلاهما معمول للقول

يوحى اليه الحتم عليه * وقال الزمخشرى ولقائل أن يقول الذى يمنع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذى يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجب فيه وقول من قال انما استغفر له لانه وعده أن يؤمن مستدلا بقوله الا عن موعدة وعدها إياه فجعل الواعد آزر والموعود ابراهيم عليه السلام ليس ببعيد لاعتقابه فى هذه الآية الوعد بالاستغفار بعد ذلك القول الجافى من قوله لئن لم تنته الآية فكيف يكون وعده بالايمان ولان الواعد هو ابراهيم ويدل عليه قراءة حماد الراوية وعدها إياه والحفى المكرم المحتفل الكثير البر والألطاف وتقدم شرح لغة فى قوله كأنك حفى عنها * وقال ابن عباس رحيما * وقال الكلبى حليما * وقال القتبى بارا * وقال السدى حفيك من يهمه أمرك ولما كان فى قوله لأرجمنك فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام والامن ووعده بالاستغفار قضاء لحق الأبوة وان كان قد صدر منه اغلاظ ولما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بأنه يمتثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم فهاجر الى الشام قيل أو الى حران وكانوا بأرض كوثا وفى هجرته هذه تزوج سارة ولقى الجبار الذى أخدم سارة هاجر والأظهر ان قوله وأدعو ربى معناه وأعبد ربى كما جاء فى الحديث الدعاء العبادة لقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن يراد الدعاء الذى حكاه الله فى سورة الشعراء رب هب لى حكما الى آخره وعرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم فى قوله عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا مع التواضع لله فى كلمة عسى وما فيه من هضم النفس وفى عسى ترج فى ضمنه خوف شديد ولما فارق الكفار وأرضهم أبدله منهم أولادا أنبياء والأرض المقدسة فكان فيها ويتردد الى مكة فولد له اسحاق وابنه يعقوب تسلية له وشدا لعضده واسحاق أصغر من اسماعيل ولما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة ثم حملت باسحاق وقوله من رحمتنا * قال الحسن هى النبوة * وقال الكلبى المال والولد والأحسن أن يكون الخير الدينى والدنيوى من العلم والمنزلة والشرف فى الدنيا والنعيم فى الآخرة * ولسان الصدق الثناء الحسن الباقى عليهم آخر الابد قاله ابن عباس وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية واللسان فى كلام العرب الرسالة الرائعة كانت فى خير أو شر * قال الشاعر * انى أتتنى لسان لا أسر بها * وقال آخر * ندمت على لسان كان منى * ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته * واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة حتى عظمه أهل الاديان كلهم وادعوه وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه ﴿ واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان

وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * جثا قعد على ركبتيه وهي قعدة الخائف الذليل يجثو ويجثي جثوا وجثاية * حتم الأمر أوجبه * الندي والنادي المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة أو مشورة * وقيل مجلس أهل الندى وهو الكرم * وقيل المجلس فيه الجماعة * قال حاتم

فدعيت في أولى الندي ... ولم ينظر الي بأعين خزر

* الري مصدر رويت من الماء واسم مفعول أي مروي قاله أبو علي * الزي محاسن مجموعة من زويت وهو الجمع * كلا حرف ردع وزجر عند الخليل وسيبويه والأخفش والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي ونصر بن يوسف وابن واصل وابن الانباري الى أنها بمعنى حقا وذهب النضر ابن شميل الى أنها حرف تصديق بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى أن كلا رد لما قبلها فيجوز الوقف عليها وما بعدها استئناف وتكون أيضا صلة للكلام بمنزلة إي والكلام على هذه المذاهب مذكور في [illegible] النحو * [illegible] العون [illegible] وكان العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه [illegible] * الأز [illegible] ومعناها التهييج وشدة الازعاج ومنه أزيز المرجل [illegible] وحركته [illegible] ووفادة قدم على سبيل التكرمة * الأد والاد بفتح الهمزة وكسرها [illegible] والادة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي [illegible]

(الدر)

(ح) كلا حرف ردع وزجر عند الخليل وسيبويه والاخفش والمبرد وعامة البصريين وذهب الكسائي ونصر بن يوسف وابن واصل وابن الانباري الى أنها بمعنى حقا وذهب النضر بن شميل الى انها حرف تصديق بمعنى نعم وقد تستعمل مع القسم وذهب عبد الله بن محمد الباهلي الى أن كلا رد لما قبلها فيجوز الوقف عليها وما بعدها استئناف وتكون أيضا صلة للكلام بمنزلة اي والكلام على هذه الاقوال مذكور في علم النحو

[illegible] والنبوة وقرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة
عن الشرك والرياء وحسن مجيء قوله نبيا بعد قوله رسولا كونه فاصلة واطلاق رسول على الملائكة ولا يقال لهم في العرف
أنبياء ونداؤه اياه هو تكليمه تعالى اياه * والطور الجبل المشهور بالشام والظاهر أن الأيمن صفة للجانب لقوله في آية أخرى
جانب الطور الأيمن بنصب الأيمن نعتا لجانب الطور والأيمن مشتق من اليمن وهي البركة ﴿وقربناه نجيا﴾ هو تقريب مكانة
وتشريف لا مكان ونجيا فعيلا من المناجاة وهو حال من المفعول في قربناه والمناجاة المسارة ومن في من رحمتنا للسبب أي من أجل
رحمتنا له أو للتبعيض وأخاه مفعول بوهبنا وهرون بدل أو عطف بيان * قال الزمخشري وأخاه على هذا الوجه بمعنى كون من
في من رحمتنا للتبعيض بدل وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى والذي يظهر ما قلناه ولا ترادف من بعضا
فتبدل منها واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما السلام وصدق وعده أنه كان منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع ولذلك خص
بصدق الوعد ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾ أي كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من
سائر الناس كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين و ﴿مرضيا﴾ مفعول من رضي و يقال مرضو
بادغام واو مفعول في اللام
التي هي واو ويقال مرضي
لانه اجتمعت واو وياء
وسبقت احداهما بالسكون
وقلبت ياء فأدغمت الياء في
الياء مرضيا وحسن مجيء
مرضي دون مرضو كونه
فاصلة ﴿وادريس﴾ جد
أبي نوح وهو أخنوخ
وهو أول من نظر في
النجوم والحساب وجعله
الله من معجزاته وأول من
خط بالقلم وخاط الثياب
ولبس المخيط وكانوا قبل يلبسون الجلود وأول مرسل بعد آدم وأول من اتخذ المكاييل والموازين والاسلحة فقاتل بني قابيل وامتنع
من الصرف للعلمية والعجمة * والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وحدث أبي
هريرة وأنس أنه في السماء الرابعة ﴿أولئك﴾ مبتدأ والذين خبره وهو اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة من الأنبياء ومن
في من النبيين للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم صلى الله عليه وسلم لقربه منه
لأنه جد أبي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح ﴿ومن ذرية ابراهيم﴾ اسحق و يعقوب واسمعيل
واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا و يحيى وموسى وهرون من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى عليه السلام لأن مريم من
ذريته ﴿وممن هدينا﴾ يحتمل العطف على من الأولى والثانية ﴿واذا تتلى﴾ كلام مستأنف ويجوز أن يكون الذين صفة
لأولئك والجملة الشرطية خبر وانتقل في هذه الجمل من الاسم الظاهر الى ضمير المتكلم في قوله حملنا وما بعده ثم الى الاسم الظاهر
في قوله آيات الرحمن وهذا من التفنن في البلاغة والفصاحة وانتصب سجدا على الحال المقدرة لأنهم حالة الخرور ما كانوا
سجدا والبكي جمع باك كشاهد ﴿وبكيا﴾ أصله بكويا اجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
وكسر ما قبلها * قال ابن عطية وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى ليس قوله هذا بسديد لأن اتباع حركة
الباء لحركة الكاف لا يعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا وسمع في جمعه بكاة كرام
ورماة قال الشاعر
ولا تراهم وان جلت مصيبتهم * مع البكاة على من مات يبكونا

(١٩٨)

كسره * وقال المبرد هو سقوط بصوت شديد والهدة صوت وقع الحائط ونحوه يقال هد يهد
بالكسر هديدا * وقال الليث الهد الهدم الشديد * الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح غيب طرفه
في الارض والركاز المال المدفون * وقيل الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم * قال الشاعر
فتوجست ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها
﴿واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن
وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق
الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية
آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
خروا سجدا وبكيا﴾ * قرأ الكوفيون مخلصا بفتح اللام وهي قراءة أبي رزين و يحيى وقتادة أي
أخلصه الله للعبادة والنبوة كما قال تعالى انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وقرأ باقي السبعة
والجمهور بكسر اللام أي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله *

وناداؤه اياه هو تكليمه تعالى اياه * والطور الجبل المشهور بالشام والظاهر ان الأيمن صفة للجانب لقوله في آية أخرى جانب الطور الأيمن بنصب الأيمن نعتا الجانب الطور والجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفه فيه وان كان من اليمن احتمل أن يكون صفة للجانب وهو الراجح ليوافق ذلك في الآيتين واحتمل أن يكون صفة للطور اذ معناه الأسعد المبارك * قال ابن القشيري في الكلام حذف وتقديره وناديناه حين أقبل من مدين ورأى النار من الشجرة وهو يريد من يهديه الى طريق مصر من جانب الطور أي من ناحية الجبل * وقربناه نجيا قال الجمهور تقريب التشريف والكلام واليوم * وقال ابن عباس أدنى موسى من الملكوت ورفعت له الحجب حتى سمع صريف الأقلام وقاله أبو العالية وميسرة * وقال سعيد أردفه جبريل عليه السلام * قال الزمخشري شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك انتهى ونجي فعيل من المناجاة بمعنى مناج كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة وهي المسارة بالقول * وقال قتادة معنى نجاه صدقه ومن في من رحمتنا للسبب أي من أجل رحمتنا له أو للتبعيض أي بعض رحمتنا * قال الزمخشري وأخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى والذي يظهر ان أخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعض فتبدل منها وكان هارون أسن من موسى طلب من الله أن يشد أزره بنبوته ومعونته فأجيب و [illegible] عيل هو ابن ابراهيم أبو العرب يمنيها ومضريها وهو قول الجمهور * وقيل انه اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض أمرهم اليه في عفوه وعقوبته وصدق وعده أنه كانت منه مواعيد لله وللناس فوفى بالجميع فلذلك خص بصدق الوعد * قال ابن جريج لم يعد ربه موعدة الا أنجزها فمن مواعيده الصبر وتسليم نفسه للذبح ووعد رجلا أن يقيم له بمكان فغاب عنه مدة * قيل سنة * وقيل اثنين وعشرين يوما فجاءه فقال برحت من مكانك فقال لا والله ما كنت لأخلف موعدي وكان يأمر أهله * قال الحسن قومه وأمته وفي مصحف عبد الله وكان يأمر قومه * وقال الزمخشري كان يبدأ بأهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم أولى من سائر الناس وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ألا ترى أنهم أحق فتصدق عليهم بالاحسان [illegible] وقيل [illegible] أمته كهم من [illegible] لان أمم النبيين في عداد أهاليهم وفيه ان حق الصالح أن لا يألو [illegible] الاجانب [illegible] ويتحفهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك انتهى * وقيل [illegible] ذكر اسماعيل عليه السلام [illegible] وان كان موجودا في غيره من الانبياء [illegible] كالتلقيب [illegible] ولانه المشهور المتواصف من خصاله [illegible] وقرأ الجمهور [illegible] بفتح الواو [illegible] وليس حركة [illegible] من [illegible] ومفعلا [illegible] غير [illegible] الا [illegible] أرحم من [illegible] [illegible] وقال العرب [illegible] جد أبي نوح [illegible] وهو أول من [illegible] خط بالقلم وخاط الثياب ولبس المخيط وكان خياطا وكانوا [illegible]

(الدر)

(ش) وأخاه على هذا الوجه يعني كون من في من رحمتنا للتبعيض بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا انتهى (ح) الذي يظهر ان أخاه مفعول بقوله ووهبنا ولا ترادف من بعضا فتبدل منها

﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ الآية قال ابن عباس ومقاتل نزلت في اليهود واضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود وغيره
والشهوات عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله وعن علي الشهوات من بني الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور والغي كل شر والرشاد كل خير وقال عبد الله بن عمرو وغيره الغي واد في جهنم ﴿ الا من تاب ﴾ استثناء متصل والضمير في تاب مفرد عائد على لفظ من ثم حمل على المعنى فجمع في قوله فأولئك وقرئ يدخلون مبنيا للفاعل والمفعول وانتصب جنات عدن على أنه بدل من قوله الجنة وقرئ بالرفع على إضمار مبتدإ محذوف تقديره تلك جنات عدن والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به وقال الزمخشري عدن علم لأن المضاف اليها وهو جنات وصف بالتي وهي معرفة فلو لم تكن جنات مضافة الى معرفة لم توصف بالمعرفة انتهى ولا يتعين ذلك اذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدإ محذوف أو منصوبا بإضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات ويبعد أن يكون صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم أنه اذا اجتمع النعت

وأول من اتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل * وقال ابن مسعود هو الياس بعث الى قومه بأن يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاؤا فأبوا وأهلكوا وادريس اسم أعجمي منع من الصرف للعلمية والعجمة ولا جائز أن يكون افعيلا من الدرس كما قال بعضهم لانه كان يجب صرفه اذ ليس فيه الا سبب واحد وهو العلمية * قال الزمخشري ويجوز أن يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك أي من معنى الدرس فحسبه القائل مشتقا من الدرس * والمكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة انتهى وقاله جماعة وهو رفع النبوة والتشريف والمنزلة في السماء كسائر الانبياء * وقيل بل رفع الى السماء * قال ابن عباس كان ذلك بأمر الله كما رفع عيسى كان له خليل من الملائكة فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة فلقي هنالك ملك الموت فقال له انه قيل لي اهبط الى السماء الرابعة فاقبض فيها روح ادريس واني لأعجب كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد هذا ادريس معي فقبض روحه وروي ان هذا كله كان في السماء السادسة قاله ابن عباس وكذلك هي رتبته في حديث الاسراء في بعض الروايات من حديث أبي هريرة وأنس يقتضي انه في السماء الرابعة * وعن الحسن الى الجنة لا شئ أعلى من الجنة * وقال قتادة يعبد الله مع الملائكة في السماء السابعة وتارة يرفع في الجنة حيث شاء * وقال مقاتل هو ميت في السماء أولئك اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة من الانبياء ومن في من النبيين للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد أبي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم اسحاق واسماعيل ويعقوب واسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيى وموسى وهارون من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته * وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى أو الثانية والظاهر ان الذين خبر لاولئك * واذا تتلى كلام مستأنف ويجوز أن يكون الذين صفة لاولئك والجملة الشرطية خبر * وقرأ الجمهور تتلى بتاء التأنيث * وقرأ عبد الله وأبو جعفر وشيبة وشبل بن عباد وأبو حيوة وعبد الله بن أحمد العجلي عن حمزة وقتيبة في رواية وورش في رواية النحاس وابن ذكوان في رواية التغلبي بالياء وانتصب سجدا على الحال المقدرة قاله الزجاج لانه حال خروره لا يكون ساجدا والبكي جمع باك كشاهد وشهود ولا يحفظ فيه جمعه المقيس وهو فعلة كرام ورماة والقياس يقتضيه * وقرأ الجمهور بكيا بضم الباء وعبد الله ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي بكسرها اتباعا لحركة الكاف كعصي ودلي والذي يظهر انه جمع لمناسبة الجمع قبله * قيل ويجوز أن يكون مصدر البكا بمعنى بكاء وأصله بكو وكجلس جلوسا * وقال ابن عطية وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى وقوله ليس بسديد لان اتباع حركة الكاف لا تعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده

(الدر) (ع) وبكيا بكسر الباء وهو مصدر لا يحتمل غير ذلك انتهى كلامه (ح) ليس قوله هذا بسديد لان اتباع حركة الباء لحركة الكاف لا تعين المصدرية ألا تراهم قرؤا جثيا بكسر الجيم جمع جاث وقالوا عصي فاتبعوا

والبدل قدم النعت وجيء بعده بالبدل ودعوى الزمخشري ان عدنا علم بمعنى العدن يحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وقال الزمخشري أيضا ولولا ذلك أي كونه علما لأرض الجنة لما ساغ الابدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى أما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز إبدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شيء قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا في النحو فلا لازمته فاسدة وبالغيب حال أي وعدها وهي غائبة

عنهم أي وهم غائبون عنها لا يشهدونها وما أتيا مفعول

بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا * نزل فخلف في اليهود عن ابن عباس ومقاتل وفيهم وفي النصارى عن السدي وفي قوم من أمة الرسول يأتون عند ذهاب صالحيها يتبارزون بالزنا ينزو في الأزقة بعضهم على بعض عن مجاهد وقتادة وعطاء ومحمد بن كعب القرظي * وعن وهب هم شرابو القهوة وتقدم الكلام على خلف في الأعراف واضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود والنخعي والقاسم بن مخيمرة ومجاهد وابراهيم وعمر بن عبد العزيز * وقال القرظي واختاره الزجاج اضاعتها الاخلال بشروطها * وقيل اقامتها في غير الجماعات * وقيل عدم اعتقاد وجوبها * وقيل تعطيل المساجد والاشتغال بالصنائع والأسباب والشهوات عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله * وعن علي من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور * وقرأ عبد الله والحسن وأبو رزين العقيلي والضحاك وابن مقسم الصلوات جمعا والغي عند العرب كل شر والرشاد كل خير * قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

* وقال الزجاج هو على حذف مضاف أي جزاء غي كقوله يلق أثاما أي مجازاة آثام * وقال ابن زيد الغي الخسران والحصول في الورطات * وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود وكعب غي واد في جهنم * وقال ابن زيد ضلال * وقال الزمخشري أو غيا عن طريق الجنة * وحكى الكرماني آبار في جهنم يسيل اليها الصديد والقيح * وقيل هلاك * وقيل شر * وقرئ فيما حكى الأخفش يلقون بضم الياء وفتح اللام وشد القاف * الا من تاب استثناء ظاهره الاتصال * وقال الزجاج منقطع وآمن هذا يدل على ان تلك الاضاعة اضاعة كفر * وقرأ الحسن يدخلون مبنيا للفاعل وكذا كل ما في القرآن من يدخلون * وقرأ كذلك الزهري وحميد وشيبة والأعمش وابن أبي ليلى وابن مناذر وابن سعدان * وقرأ ابن غزوان عن طلحة سيدخلون بسين الاستقبال مبنيا للفاعل * وقرأ الجمهور جنات نصبا جمعا بدلا من الجنة ولا يظلمون شيئا [illegible] * وقرأ الحسن وأبو حيوة وعيسى بن عمرو والأعمش وأحمد بن موسى عن أبي عمرو جنات رفعا جمعا أي تلك جنات * وقال الزمخشري الرفع على الابتداء [illegible] * وقرأ الحسن [illegible] صالح جنة عدن نصبا مفردا ورويت عن الأعمش وهي كذلك في مصحف عبد الله * وقرأ [illegible]

من أتى واحتمل وعده أن يكون مصدرا وأن يكون اسم مفعول أي موعوده ﴿إلا سلاما﴾ استثناء منقطع لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو ومعنى بكرة وعشيا جميع الاوقات وكنى بالطرفين عن ذلك ألا ترى الى قوله تعالى أكلها دائم وظلها ﴿نورث من عبادنا﴾ التوريث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث والاتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ أبطأ جبريل عليه السلام مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال يا جبريل قد اشتقت اليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت الآية ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ [illegible]

[illegible] وكذلك قليل تصرفه وكذلك [illegible] هو [illegible] من مكان [illegible] ﴿سميا﴾ فعيل [illegible] في [illegible] ومعنى [illegible] على [illegible] مستدأ محذوف تقديره هو رب وتعدى [illegible] لأن [illegible] وأصل [illegible] كقوله [illegible] المعنى

والحسن واسحق الأزرق عن حمزة جنة رفعا مفردا وعدن ان كان علما شخصيا كان التي نعتا لما أضيف الى عدن وان كان المعنى اقامة كان التي بدلا * وقال الزمخشري عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس في من لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى العدن كذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي انتهى وما ذكره متعقب أما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وأما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لان مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شئ قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا في النحو فلازمته فاسدة وأما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة وقد ذكرنا انه يجوز اعرابه بدلا وبالغيب حال أي وعدها وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها لا يشاهدونها ويحتمل أن تكون الباء للسبب أي بتصديق الغيب والايمان به * وقال أبو مسلم المراد الذين يكونون عبادا بالغيب أي الذين يعبدونه في السر والظاهر ان وعده مصدر * فقيل مأتيا بمعنى آتيا * وقيل هو على موضوعه من انه اسم المفعول * وقال الزمخشري مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى اليه احسانا أي كان وعده مفعولا منجزا والقول الثاني هو قوله والوجه مأخوذ من قول ابن جريج قال وعده هنا موعوده وهو الجنة ومأتيا يأتيه أولياؤه انتهى * إلا سلاما استثناء منقطع وهو قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم * وقيل يسلم الله عليهم عند دخولها ومعنى بكرة وعشيا يأتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن * وقال مجاهد لا بكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقد ذكر نحوه قتادة أن تكون مخاطبة بما تعرف العرب في رفاهة العيش * وقال الحسن خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من أفضل العيش وذلك ان كثيرا من العرب انما كان يجد الطعام المرة في اليوم وكان عيش أكثرهم من شجر البرية ومن الحيوان * وقال الزمخشري اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية أي ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع أو لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الكلام * وقال أيضا ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء * وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ولا يقصد الوقتين المعلومين انتهى * وقرأ الجمهور نورث مضارع أورث والأعمش نورثها بابراز الضمير العائد على الموصول والحسن والأعرج وقتادة ورويس وحميد وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الواو وتشديد الراء والتوريث استعارة أي تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث والاتقياء

أنه لم يتسم بلفظ الله شئ قط وكان المشركون يسمون أصنامهم كاللات والعزى إله وأما لفظة الله فلم يطلقوه على شئ من أصنامهم

(الدر)

(ش) عدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى العدن كذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونه مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي (ح) ما ذكره متعقب أما دعواه ان عدنا علم لمعنى العدن فيحتاج الى توقيف وسماع من العرب وكذا دعوى العلمية الشخصية فيه وأما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة فليس مذهب البصريين لأن مذهبهم جواز ابدال النكرة من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شئ قاله البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا في النحو فلازمته فاسدة وأما قوله ولما ساغ وصفها بالتي فلا يتعين كون التي صفة فقد ذكرنا أنه يجوز اعرابه بدلا

يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى * وقيل أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو أطاعوا وما نتنزل الا بأمر ربك ابطأ جبريل عن الرسول مرة فلما جاء قال يا جبريل قد اشتقت اليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت * وقال مجاهد والضحاك سببها ان جبريل عليه السلام تأخر في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف وهي كالتي في الضحى وتنزل تفعل وهي للمطاوعة وهي أحد معاني تفعل تقول نزلته فتنزل فتكون لمواصلة العمل في مهلة وقد تكون لا يلحظ فيه ذلك اذا كان بمعنى المجرد كقولهم تعدى الشيء وعداه ولا يكون مطاوعا فيكون تنزل في معنى نزل * كما قال الشاعر

فلست لانسي ولكن لملاك * تنزل من جو السماء يصوب

* وقال الزمخشري التنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي البيت لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الأحايين وقتا غب وقت انتهى * وقال ابن عطية وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي عاطفة جملة كلام على أخرى واصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا * وحكى النقاش عن قوم ان قوله وما نتنزل متصل بقوله انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا وهذا قول ضعيف انتهى والذي يظهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة زكريا ومريم وذكر ابراهيم وموسى واسمعيل وادريس ثم ذكر أنه أنعم تعالى عليهم وقال ومن ذرية ابراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذرية ابراهيم وذكر تعالى أنه خلف بعد هؤلاء خلف وهم اليهود والنصارى أصحاب الكتب لأن غيرهم لا يقال فيهم أضاعوا الصلاة انما يقال ذلك فيمن كانت له شريعة فرض عليهم فيها الصلاة بوحي من الله تعالى وكان اليهود هم سبب سؤال قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تلك المسائل الثلاث وأبطأ الوحي عنه ففرحت بذلك قريش واليهود وكان ذلك من اتباع شهواتهم هذا وهم عالمون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما نتنزل تبيرا على قصة قريش واليهود ان أصل تلك القصة انما حدثت من أولئك الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وختم القصص أولئك المنعم عليهم تحضيضا لذريتهم محمد صلى الله عليه وسلم واستعتابا من جبريل عليه السلام للرسول بأن ذلك الابطاء لم يكن الا لأنه لا نتنزل الا بأمر الله تعالى وانما كان الابطاء لوحي سببه قصة السؤال وكونه صلى الله عليه وسلم لم يعزل أن يجيبهم بالمشيئة وكان السؤال متسببا عن اتباع اليهود شهواتهم وخفيت خشيتهم اكتفي بذكر النتيجة المتأخرة عن ذكر ما أثرته شهواتهم الدنيوية وخيبتهم * قال أبو العالية ما بين الأيدي الدنيا بأسرها الى النفخة الأولى وما خلف ذلك الآخرة من وقت البعث وما بين ذلك ما بين النفختين * قال ابن عطية وقول أبي العالية انما يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتأمله * وقال ابن جريج ما بين الأيدي هو ما مر من الزمن قبل الايجاد وما خلف هو ما بعد موتهم الى استمرار الآخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة وفي كتاب التحرير والتحبير ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال ابن جبير وقتادة ومقاتل وسفيان * وقال مجاهد وعكرمة * وقال الأخفش ما بين أيدينا قبل أن نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة * وقال مجاهد وعكرمة وأبو العالية ما بين النفختين * وقال الأخفش حين كنا * وقال صاحب الغنيان ما بين أيدينا السماء وما خلفنا الارض وما بين ذلك ما بين السماء والارض * وقال ابن

القشيري مثل قول ابن جريج ثم قال حصر الأزمنة الثلاثة وهي أن كلها لله هو منشئها ومدبر أمرها
على ما يشاء من تقديم إنزال وتأخيره انتهى وفيه بعض تلخيص وتصرف * وقال ابن عطية إنما
القصد الإشعار بملك الله تعالى لملائكته وإن قليل تصرفهم وكثيره إنما هو بأمره وانتقالهم من مكان
إلى مكان إنما هو بحكمته إذ الأمكنة له وهم له فلو ذهب بالآية إلى أن المراد بما بين الأيدي وما خلف
الأمكنة التي فيها تصرفهم والمراد بما بين ذلك هم أنفسهم ومقاماتهم لكان وجهاً كأنه قال نحن
مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا نتنزل إلا بأمر ربك انتهى وما قاله فيه ابن عطية له إلى آخره ذهب إلى
نحوه الزمخشري قال له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل
من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته والمعنى أنه محيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية
فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادراً عما توجبه حكمته ويأمرنا ويأذن لنا فيه انتهى * وقال
البغوي له علم ما بين أيدينا * وقال أبو مسلم وابن بحر وما نتنزل الآية ليس من كلام الملائكة وإنما
هو من كلام أهل الجنة بعضهم لبعض إذا دخلوها وهي متصلة بالآية الأولى إلى قوله وما بين ذلك أي
ما ننزل الجنة إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا أي في الجنة مستقبلاً وما خلفنا مما كان في الدنيا وما بينهما
أي ما بين الوقتين * وحكى الزمخشري هذا القول فقال وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بإذن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لرقاب
الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال
تعالى تقريراً لهم وما كان ربك نسياً لأعمال العاملين غافلاً عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السموات والأرض وما بينهما انتهى * وقال القاضي هذا مخالف للظاهر
من وجوه * أحدها أن ظاهر التنزيل نزول الملائكة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ولقوله
بأمر ربك فظاهر الأمر بحال التكليف أليق * وثانيها خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق
بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة * وثالثها أن ما في مساقه وما كان ربك نسياً رب السموات والأرض
وما بينهما لا يليق بحال التكليف ولا يوصف به الرسول انتهى * وقرأ الجمهور وما نتنزل بالنون عني
جبريل نفسه والملائكة * وقرأ الأعرج بالياء على أنه خبر من الله * قيل والضمير في يتنزل عائد
على جبريل عليه السلام * قال ابن عطية ويرده له ما بين أيدينا لأنه لا يطرد معه وإنما يتجه أن يكون
خبراً عن جبريل أن القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها وكذا قال الزمخشري
على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي انتهى ويحمل ذلك القول على إضمار أي وما يتنزل
جبريل إلا بأمر ربك قائلاً له ما بين أيدينا أي يقول ذلك على سبيل الاستعداد في البطء عنك وأن
ربك متصرف فينا ليس لنا أن نتصرف إلا بمشيئته وأخبار أنه تعالى ليس بناسيك وإن تأخر
عنك الوحي وارتفع رب السموات على البدل أو على خبر مبتدأ محذوف * وقرأ الجمهور هل تعلم
بإظهار اللام عند التاء * وقرأ الأخوان وهشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو
والحسن والأعمش وعيسى وابن محيصن بالإدغام فيهما * قال أبو عبيدة هما لغتان وعلى الإدغام
أنشدوا بيت مزاحم العقيلي

فذر ذا ولكن هل تعين متيماً * على ضوء برق آخر الليل ناصب

وعدي فاصطبر باللام على سبيل التضمين أي اثبت بالصبر لعبادته لأن العبادة تورد شدائد فاثبت
لها أصله لتعديه بعلى كقوله تعالى واصطبر عليها والسمي من يوافق في الاسم تقول هذا سميك أي

﴿ويقول الانسان﴾ الآية سبب النزول أن رجلاً من قريش قيل هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات ففتّه فيه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيبعث هذا وسخر وكذب وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم وقرئ أئذا على الاستفهام وإذا على الخبر والناصب لإذا فعل محذوف تقديره أئذا مت أبعث ولا يمكن أن يعمل فيه لسوف أخرج لأن لام الابتداء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها قال الزمخشري فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف انتهى ما ذكره من أن اللام تعطي معنى الحال منازع فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة إلى آخره فليس ذلك إلا على مذهب من يزعم أن الأصل فيه الإله وأما من يزعم أن أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء ولو قلنا إن أصله إله وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة فيه في النداء للتعويض إذ لو كانت للعوض من المحذوفة لثبتت دائماً في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ أولا يذكر الانسان كرر لفظ الانسان تشنيعاً عليه في إنكاره البعث وتذكيراً له بإيجاده قبل ذلك وإنشائه من العدم الصرف * قال الزمخشري الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه

وحرف العطف انتهى * هذا رجوع منه إلى مذهب الجماعة من أن حرف العطف إذ تقدمته همزة فإنما عطف ما بعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة وحرف ما يصلح أن يعطف عليه ما بعد الواو فتقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة و﴿من قبل﴾ أي من قبل بعثه وإنكاره البعث ﴿ولم يك شيئاً﴾ إشارة إلى العدم الصرف والابتداء شيئاً فشيئاً يدل على أن المعدوم لا يسمى شيئاً ولما قرر حجة على حقيقة البعث أقسم على ذلك باسمه تعالى مضافاً إلى رسوله صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وتفخيماً [illegible] وفي تكرير هذا القسم في القرآن تعظيم لحقه ورفع منه * ﴿لنحشرنهم﴾ جواب القسم والضمير منصوب [illegible] عائد على منكري البعث في قوله ويقول الانسان [illegible] منكر البعث [illegible] جميع المحشورين والشياطين معطوف على الضمير المنصوب * ﴿ثم لنحضرنهم﴾ [illegible] جهنم وحول منصوب على الظرف وجثياً حال [illegible] على الركب ﴿ثم لننزعن﴾ [illegible] النزع من القوس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أنه تعالى اسمك فالمعنى أنه لم يسم بلفظ الله شيء قط وكان المشركون يسمون أصنامهم آلهة والعزى إله وأما الله فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم * وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره * وقيل يحتمل أن يعود ذلك على قوله رب السموات والأرض وما بينهما أي هل تعلم من يسمى أو يوصف بهذا الوصف أي ليس أحد من الأمم يسمى شيئاً بهذا الاسم سوى الله * وقال مجاهد وابن جبير وقتادة سمياً مثلاً وشبيهاً وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً * قال ابن عطية وكأن السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو وهذا قول حسن ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى يعني لم نجعل له من قبل سمياً * وقال غيره يقال فلان سمي فلان إذا شاركه في اللفظ وسميه إذا كان مماثلاً له في صفاته الجميلة ومناقبه * ومنه قول الشاعر

فأنت سمي للزبير ولست للزبير سمياً [illegible]

* وقال الزجاج هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له خالق وقادر إلا هو * وقال الضحاك وبداراً على من يقول ولد الله ﴿ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعن من

﴿ثم لنحن أعلم﴾ أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه وبها أي بجهنم و﴿صليا﴾ تمييز وهو في الأصل مصدر ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ إن نافية بمعنى ما وثم محذوف تقديره وإن منكم أحد إلا واردها خبر لمبتدأ محذوف ومعنى واردها أي معروض عليها ولا يقتضي الورود الدخول * قال ابن عطية وإن منكم إلا واردها قسم والواو يقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم انتهى ذهل عن قول النحويين انه لا يستغني عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بإن والجواب جاء هنا على زعمه بإن النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا عليه وقوله الواو يقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو القسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار ولا يجوز ذلك إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم السير على بئس العير أي على عير بئس العير * وقول الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه * أي برجل نام صاحبه

وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه ﴿كان على ربك﴾ اسم كان ضمير عائد على المصدر المفهوم من قوله واردها أي كان الورود ومفعول اتقوا محذوف أي الشرك والشرك هنا ظلم الكفر ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ نزلت في النضر بن الحرث وأصحابه كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون رؤسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس فقالوا للمؤمنين أي الفريقين ﴿خير مقاما﴾ أي منزلا وسكنا ﴿وأحسن نديا﴾ أي مجلسا ولما أقام الحجة على منكري البعث واتبعه بما يكون يوم القيامة أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا وذلك عندهم يدل على كرامتهم عند الله ثم ذكر كثيرا ممن أهلك من القرون ممن كان أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم وكم خبرية مفعول بأهلكنا أي كثيرا أهلكنا و﴿من قرن﴾ تمييز * قال الزمخشري وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية انتهى وتبعه أبو البقاء على ذلك ونص أصحابنا على أن كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لأن القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيا فصيحا كما في جميع قال تعالى فإذا هم جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد وقرئ ﴿ورئيا﴾ بهمزة ساكنة وزنه فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون فمعناه مرئيا وقرئ وريا بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء في الياء بعدها وهو بمعنى المهموز وقرئ وزيا بالزاي بعدها ياء مشددة وهي البزة الحسنة والآلات المجتمعة اهـ

كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾ قيل سبب النزول أن رجلا من قريش قيل هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه وقال للرسول أيبعث هذا وكذب وسخر وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم * كقول الفرزدق

فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي أو للجنس الكافر المنكر للبعث أو المعنى أبي بن خلف أو العاصي بن وائل أو أبو جهل أو الوليد بن المغيرة أقوال * وقرأ الجمهور أئذا بهمزة الاستفهام * وقرأت فرقة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه إذا بدون همزة الاستفهام * وقرأ الجمهور لسوف باللام * وقرأ طلحة بن مصرف سأخرج بغير لام وسين الاستقبال عوض سوف فعلى قراءته تكون إذا معمولا لقوله سأخرج لأن حرف التنفيس لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله على أن فيه خلافا شاذا وصاحبه محجوج بالسماع * قال الشاعر

فلما رأته آمناها هان وجدها * وقالت أبونا هكذا سوف يفعل

فهكذا منصوب بيفعل وهو بحرف الاستقبال * وحكى الزمخشري أن طلحة بن مصرف قرأ لسأخرج وأما على قراءة الجمهور وما نقله الزمخشري من قراءة طلحة فاللام لام الابتداء فلا يعمل ما

(ش) فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا ألله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف (ح) ماذكر من أن اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة الى آخره فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان الأصل فيه الاه وأما من يزعم أن أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شئ ولو قلنا ان أصله الاه وحذفت فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ (ع) واللام في قوله لسوف مجاوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلا قال للكافر اذا مت يافلان لسوف تخرج حيا فنزل الكلام على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الأول (ح) لا يحتاج الى هذا التقدير ولا ان هذا حكاية لكلام لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والانكار (ش) الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف (ح) هذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من أن حرف العطف اذ تقدمته الهمزة فانما عطف مابعدها على ما قبلها وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه مابعد الواو فتقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة

بعدها فيما قبلها فيقدر العامل محذوفا من معنى لسوف أخرج تقديره اذا مامت أبعث * وقال الزمخشري (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف انتهى وماذكر من ان اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة الى آخره فليس ذلك الا على مذهب من يزعم ان الأصل فيه الاه وأما من يزعم ان أصله لاه فلا تكون الهمزة فيه للتعويض اذ لم يحذف منه شئ ولو قلنا ان أصله الاه وحذفت فاء الكلمة لم يتعين ان الهمزة فيه في النداء للتعويض اذ لو كانت للعوض من المحذوف لثبتت دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله بحذفها وقد نصوا على ان قطع همزة الوصل في النداء شاذ * وقال ابن عطية واللام في قوله لسوف مجاوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلا قال للكافر اذا مت يافلان لسوف تخرج حيا فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الاول انتهى ولا يحتاج الى هذا التقدير ولا ان هذا حكاية لقول تقدم بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والانكار ومن قرأ اذا ما أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه واما أن يكون اخبارا على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك اذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى * وقرأ الجمهور أخرج مبنيا للمفعول * وقرأ الحسن وأبو حيوة مبنيا للفاعل * وقال الزمخشري وايلاؤه أي وايلاء الظرف حرف الانكار من قبل ان مابعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * وقرأ أبو بحرية والحسن وشيبة وابن أبي ليلى وابن مناذر وأبو حاتم ومن السبعة عاصم وابن عامر ونافع أولا يذكر خفيفا مضارع ذكر * وقرأ باقي السبعة بفتح الذال والكاف وتشديدهما أصله يتذكر أدغم التاء في الذال * وقرأ أبي يتذكر على الأصل * قال الزمخشري الواو عاطفة لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف انتهى وهذا رجوع منه الى مذهب الجماعة من ان حرف العطف اذا تقدمته الهمزة فانما عطف مابعدها على ماقبلها وقدمت الهمزة لأن لها صدر الكلام وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة والحرف ما يصلح أن يعطف عليه مابعد الواو فيقر الهمزة على حالها وليست مقدمة من تأخير وقد رددنا عليه هذه المقالة * انا خلقناه من قبل أي أنشأناه واخترعناه من العدم الصرف الى الوجود فكيف ينكر النشأة الثانية وهذه الحجة في غاية الاختصار والالزام للخصم ويسمى هذا النوع الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وقد تكرر هذا الاحتجاج في القرآن ولم يك شيئا اشارة الى العدم الصرف وانتفاء الشيئية عنه يدل على ان المعدوم لا يسمى شيئا * وقال أبو علي الفارسي ولم يك شيئا موجودا وهي نزغة اعتزالية والمحذوف المضاف اليه قبل في التقدير قدره بعضهم من قبل بعثه

وقدره الزمخشرى من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه انتهى * ولما أقام تعالى الحجة الدامغة على حقية البعث أقسم على ذلك باسمه مضافا الى رسوله تشريفا له وتفخيما وقد تكرر هذا القسم فى القرآن تعظيما لحقه ورفعا منه كما رفع من شأن السماء والارض بقوله فورب السماء والارض انه لحق والواو فى والشياطين للعطف أو بمعنى مع يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة وهذا اذا كان الضمير فى لنحشرنهم للكفرة وهو قول ابن عطية وما جاء بعد ذلك فهو من الاخبار عنهم وبدأ به الزمخشرى والظاهر انه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين كما فرق فى الجزاء وأحضروا جميعا وأوردوا النار ليعاين المؤمنون الاهوال التى نجوا منها فيسروا بذلك ويشمتوا بأعدائهم الكفار واذا كان الضمير عاما فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم كما كانوا فى الموقف متجاثين لانه من توابع التوافق للحساب قبل الوصول الى الثواب والعقاب وقال تعالى فى حالة الموقف وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وجثيا حال مقدرة * وعن ابن عباس قعودا وعنه جماعات جماعات جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة * وقال مجاهد والحسن والزجاج على الركب * وقال السدى قياما على الركب لضيق المكان بهم * وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا وعتيا وصليا بكسر الجيم والعين والصاد والجمهور بضمها ثم لننزعن أى لنخرجن كقوله ونزع يده * وقيل لنرمين من نزع القوس وهو الرمى بالسهم والشيعة الجماعة المرتبطة بمذهب * قال أبو الاحوص يبدأ بالأكابر فالأكابر جرما * وقال الزمخشرى يمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب فقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم والضمير فى أيهم عائد على المحشورين المحضرين * وقرأ الجمهور أيهم بالرفع وهى حركة بناء على مذهب سيبويه فأيهم مفعول بننزعن وهى موصوله وأشد خبر مبتدا محذوف والجملة صلة لأيهم وحركة اعراب على مذهب الخليل ويونس على اختلاف فى التخريج وأيهم أشد مبتدأ وخبر محكى على مذهب الخليل أى الذين يقال فيهم أيهم أشد وفى موضع نصب فيعلق عنه لننزعن على مذهب يونس والترجيح بين هذه المذاهب مذكور فى علم النحو * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا انتهى فتكون أيهم موصولة خبر مبتدا محذوف وهذا تكلف وادعاء اضمار لاضرورة تدعو اليه وجعل ما ظاهره انه جملة واحدة جملتين وقرن الخليل تخريجه بقول الشاعر

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل * فأبيت لا حرج ولا محروم

أى فأبيت بمقال فيه لا حرج ولا محروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه غلط سيبويه فى هذه المسئلة * قال سيبويه ويلزم على هذا أن يجوز اضرب السارق الخبيث الذى يقال له قيل وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة ومذهب الكسائى أن معنى لننزعن لننادين فعومل معاملته فلم تعمل فى أى انتهى ونقل هذا عن الفراء * قال المهدوى ونادى تعلق اذا كان بعده جملة نصب فتعمل فى المعنى ولا تعمل فى اللفظ * وقال المبرد أيهم متعلق بشيعة فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا أيهم أشد كأنهم يتبادرون الى هذا ويلزم أن يقدر مفعولا لننزعن محذوفا وقدر أيضا فى هذا المذهب من الذين تشايعوا أيهم أى من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد * قال النحاس وهذا قول حسن * وقد حكى الكسائى

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم أشد عتيا (ح) فيكون ايهم موصولة خبر مبتدأ محذوف وهذا تكلف وادعاء اضمار لاضرورة تدعو اليه وجعل ماظاهره أنه جملة واحدة جملتين

ان التشايع هو التعاون * وحكى أبو بكر بن شقير ان بعض الكوفيين يقول في أيهم معنى الشرط تقول ضربت القوم أيهم غضب والمعنى ان غضبوا أولم يغضبوا فعلى هذا يكون التقدير ان اشتد عتوهم أولم يشتد * وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش أيهم بالنصب مفعولا بلننزعن وهاتان القراءتان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يحتم فيها البناء اذا أضيفت وحذف صدر صلتها وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والاعراب * قال أبو عمرو الجرمي خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق الى مكة أحدا يقول لأضربن أيهم قائم بالضم بل بنصبها انتهى * وقال أبو جعفر النحاس وما علمت أحدا من النحويين الا وقد خطأ سيبويه وسمعت أبا اسحاق يعني الزجاج يقول ما تبين ان سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا أحدهما * قال وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة وعلى الرحمن متعلق بأشد وعتيا تمييز محول من المبتدأ تقديره أيهم هو عتوه أشد على الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه الى آخرهم عذابا وفي الحديث انه تبدو عنق من النار فتقول اني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم وفي بعض الآثار يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الا كفر فالا كفر * قال ابن عباس عتيا جراءة * وقال مجاهد فجرا * وقيل افتراء بلغة تميم * وقيل عتيا جمع عات فانتصابه على الحال * ثم لنحن أعلم أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيأ غير موضعه لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلي النار نعلمه * قال ابن جريج أولى بالخلود * وقال الكلبي صليا دخولا * وقيل لزوما * وقيل جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى والواو في قوله وان منكم للعطف * وقال ابن عطية وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم انتهى وذهل عن قول النحويين انه لا يستغني عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان الجواب باللام أو بان والجواب هنا جاء على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وبقاء الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم السير على بئس العير أي على عير بئس العير * وقول الشاعر * والله ما زيد بنام صاحبه * أي برجل نام صاحبه وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه * وقرأ الجمهور منكم بكاف الخطاب والظاهر انه عام للخلق وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم فعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها * وعن ابن عباس قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد ولم تدخله ولكن قربت منه ووصلت اليه * قال الشاعر

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

وتقول العرب وردنا ماء بني تميم وبني كعب اذا حضروهم ودخلوا بلادهم وليس يراد به الدخول فيه * وقيل الخطاب للكفار أي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول وعلى قول من قال الخطاب عام وان للمؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن لا تضر المؤمنين وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي هذا لشناعة قولهم ان المؤمنين يدخلون النار

الدر

(ع) وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه وتفسيره قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم (ح) ذهل عن قول النحويين انه لا يستغني عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان الجواب باللام أو بان والجواب جاء هنا على زعمه بان النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا وقوله والواو تقتضيه يدل على انها عنده واو القسم ولا يذهب نحوي الى ان مثل هذه الواو واو القسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وبقاء الجار ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم نعم السير على بئس العير أي على عير بئس العير وقول الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه

أي برجل نام صاحبه وهذه الآية ليست من هذا الضرب اذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه

وان لم تضرهم * وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وان منهم بالهاء الغيبة على ما تقدم من الضمائر * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين واسم كان مضمر يعود على الورود أي كان ورودهم حتما أي واجبا قضى به * وقرأ الجمهور ثم بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام * وقرأ عبد الله وابن عباس وأبي وعلي والجحدري وابن أبي ليلى ومعاوية بن قرة ويعقوب ثم بفتح الثاء أي هنالك ووقف ابن أبي ليلى ثمه بهاء السكت * وقرأ الجمهور ننجي بفتح النون وتشديد الجيم * وقرأ يحيي والاعمش والكسائي وابن محيصن باسكان النون وتخفيف الجيم * وقرأت فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة * وقرأ علي ننحي بحاء مهملة مضارع نحى ومفعول اتقوا محذوف أي الشرك والظلم هنا ظلم الكفر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون رؤسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس فقالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما أي منزلا وسكنا وأحسن ندبا ولما أقام الحجة على منكري البعث وأتبعه بما يكون يوم القيامة أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا وذلك عندهم يدل على كرامتهم على الله * وقرأ أبو حيوة والاعرج وابن محيصن يتلى بالياء والجمهور بالتاء من فوق كان المؤمن يتلو على الكافر القرآن ويلوه بآيات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الكافر انما يحسن الله لاحب الخلق اليه وينعم على أهل الحق ونحن قد أدم علينا دونكم فنحن أغنياء وأنتم فقراء ونحن أحسن مجلسا وأجمل شارة ومعنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني أو ظاهرات الاعجاز أو حججا وبراهين * وبينات حال مؤكدة لان آياته تعالى لاتكون الا بهذا الوصف دائما * وقرأ الجمهور مقاما بفتح الميم * وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد والجعفي وأبو حاتم عن أبي عمرو بضم الميم واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدرا أو موضع قيام أو اقامة وانتصابه على التمييز ثم ذكر تعالى كثرة ما أهلك من القرون ممن كان أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم كما فعل بغيرهم واتعاظا لهم ان كانوا ممن يتعظ ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من حسن الاثاث والرى وبغى اهلاكهم تكذيب لما جاءت به الرسل * ومن قرن تبيين لكم وكم مفعول بأهلكنا * وقال الزمخشري وهم أحسن في محل النصب صفة لكم * ألا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية انتهى وتابعه أبو البقاء على أن هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على أن كم الاستفهامية والخبرية لاتوصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون هم أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيا فصار كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد ونقدم تفسير الأثاث في سورة النحل * وقرأ الجمهور ورئيا بالهمز من رؤية [illegible] فعل بمعنى مفعول كالطحن والسقي * وقال ابن عباس الرئي المنظر * وقال الحسن [illegible] * وقال الزهري [illegible] وحميد [illegible] وطلحة في رواية الهمداني وأيوب وابن سعدان وابن [illegible] من غير همز فيحتمل أن يكون مهموز الأصل من الرواء [illegible] همزته [illegible] ثم أدغمت الياء في الياء ويحتمل أن يكون من الري ضد العطش [illegible] خير [illegible] وحسن [illegible] من وجه آخر [illegible] * وقرأ أبو بكر في رواية الأعمش عن عاصم وحميد وريا بياء ساكنة بعدها همزة

(الدر)

(ش) وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية (ح) تابعه أبو البقاء على ان هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على ان كم الاستفهامية والخبرية لاتوصف ولا يوصف بها فعلى هذا يكون هم أحسن في موضع الصفة لقرن وجمع لان القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة فروعي معناه ولو أفرد الضمير على اللفظ لكان عربيا فصار كلفظ جميع قال لما جميع لدينا محضرون وقال نحن جميع منتصر فوصفه بالجمع وبالمفرد

﴿قل من كان في الضلالة﴾ الآية فليمدد يحتمل أن يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء وكان الاصل فامدده ومكن مد الله له أى أملى له حتى يؤول الى عذابه وكان الدعاء على صيغة الطلب لانه الأصل ويحتمل أن يكون خبرا في المعنى وصورته صورة الأمر تقديره فيمد له كما جاء في الأمر يراد به الخبر في قول الشاعر * وكوني بالمكارم ذكريني * أي تذكر بني فأوقع الأمر وأراد به الخبر وحتى غاية لما قبله وجمع الضمير في رأوا حملا على معنى من بعد حمله مفردا في كان وفي له إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله تعالى دينه على الدين كله على أيديهم وأما يوم القيامة وما ينالهم من العذاب والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا الاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم * ولما ذكر امداد الضلال لهم في ضلالاتهم وارتباكهم في الافتخار بنعم الدنيا عقب ذكر ذلك بزيادة هدى للمتقين المهتدين وبذكر الباقيات الصالحات التي هي بدل من تنعيمهم في الدنيا التي تضمحل ولا تثبت * وقال الزمخشري ويزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا و مدله الرحمن و يزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه و يزيد المهتدي هداية بتوفيقه انتهى لا يجوز أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الأمر لأنه في موضع الخبر ان كان من موصولة أو في موضع الجواب إن كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لأن المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء وإذا كانت أداة

(٢١١)

[illegible]

وهو على القلب ورينه فعلا وكأنه من راء * قول الشاعر

وكل خليل راءني فهو قائل * من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

* وقرئ وريا بياء مشددة ... [illegible] ... لمن رآه أي يرى بعضهم لبعض حسنه * وقرأ ابن عباس فيما روى عنه طلحة وريا بغير همز ولا تشديد ... [illegible] ... وقال هي لحن وليس كذلك بل لها توجيه أن تكون من رواء ... [illegible] ... حركة الهمزة الى الياء وحذفت أو أن تكون من ري وحذفت احدى الياءين تخفيفا كما حذفت في لاسيما والمحذوفة الثانية لأنها لام الكلمة لأن الثقل إنما حصل بالكلمة ... [illegible] ... بالحذف * وقرأ ابن عباس أيضا وابن جبير ويزيد البربري والأعسم المكي وزيا بالزاي مشددد الياء وهي البزة الحسنة والآلات المجتمعة المستحسنة ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ حتى ... أو ما يوعدون من العذاب وما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا

الشرط اسما لا ظرفا تعين أن يكون في جملة الجزاء ضمير ... [illegible] ... في الباقيات الصالحات في الكهف ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ ... [illegible]

[illegible]

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴾ فليمدد يحتمل أن يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء وكان المعنى الأضل منا ومنكم مده الله أي أملى له حتى يؤول الى عذابه وكان الدعاء على صيغة الطلب لأنه الأصل ويحتمل أن يكون خبرا في المعنى وصورته صورة الأمر كأنه يقول من كان ضالا من الامم فعادة الله أنه يمده ولا يعاجله حتى يفضي ذلك الى عذابه في الآخرة * وقال الزمخشري أخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والظاهر ان حتى غاية لقوله فليمدد والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم فيها الى أن يعاينوا العذاب بنصرة الله المؤمنين أو الساعة ومقدماتها * وقال الزمخشري في هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى أن يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم انتهى هذا الوجه وهو في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قالوا أي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض ولا يجيز ذلك أبو علي * قال الزمخشري والثاني أن يتصل بما يليها فذكر نحوا مما قدمناه وقابل قولهم خير مكانا بقوله شر مكانا وقوله وأحسن نديا بقوله وأضعف جندا لان الندي هو المجلس الجامع لوجوه القوم والاعوان والانصار والجند هم الاعوان والانصار واما العذاب واما الساعة بدل من ما المفعولة برأوا ومن موصولة مفعولة بقوله فسيعلمون وتعدى الى واحد واستفهامية والفعل قبلها معلق والجملة في موضع نصب ولما ذكر امداد الضال في ضلالته وارتباكه في الافتخار بنعم الدنيا عقب ذلك بزيادة هدى للمهتدي وبذكر الباقيات التي هي بدل من تنعمهم في الدنيا الذي يضمحل ولا يثبت ومردا معناه مرجعا وتقدم تفسير الباقيات الصالحات في الكهف * وقال الزمخشري يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمده الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه انتهى ولا يصح أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت من موصولة أو في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره أو ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها * وقال الزمخشري هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا أي وخير مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرده مكاني زيدا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم

(الدر)

(ش) في هذه الآية وجهان أحدهما أن يكون متصلا بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما الى آخر كلامه في هذا الوجه (ح) هذا الوجه في غاية البعد لطول الفصل بين قوله قال أي الفريقين وبين الغاية وفيه الفصل بجملتي اعتراض ولا يجوز ذلك أبو علي (س) يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمده الرحمن ويزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (ح) لا يصح أن يكون ويزيد معطوفا على موضع فليمدد سواء كان دعاء أم خبرا بصورة الأمر لأنه في موضع الخبر ان كانت من موصولة أو في موضع الجواب ان كانت من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة الخبر بالمبتدأ أو جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين أن يكون في جملة الجزاء ضميره أو ما يقوم مقامه وكذا في الجملة المعطوفة عليها

ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم * وقوله

شجعاء جربها الذميل تلوكه * أصلا اذا راح المطى غراثا

* وقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخبر كأن لمفاخرهم شركاء فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده انتهى أفرأيت الذى كفر بآياتنا نزلت فى العاصى بن وائل عمل له خباب بن الارت عملا وكان قينا فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لا أنصفك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك فقال العاصى أومبعوث أنا بعد الموت فقال خباب نعم قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك * وقال الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة وقد كانت للوليد أيضا أقوال تشبه هذا الغرض ولما كانت رؤية الاشياء سبيلا الى الاحاطة بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبر و الفاء للعطف أفادت التعقيب كأنه قيل أخبر أيضا بقصة هذا الكافر عقيب قصة أولئك والآيات القرآن والدلالات على البعث * وقرأ الجمهور ولدا أربعتهن هنا وفى الزخرف بفتح اللام والواو و يأتى الخلاف فى نوح * وقرأ الاعمش وطلحة والكسائى وابن أبى ليلى وابن عيسى الاصبهانى بضم الواو واسكان اللام فعلى قراءة الجمهور يكون المعنى على الجنس لا ملحوظا فيه الافراد وان كان مفرد اللفظ وعلى هذه القراءة فقيل هو جمع كأسد وأسد واحتج قائل ذلك بقول الشاعر

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

* وقيل هو مرادف للولد بالفتحتين واحتجوا بقوله

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

* وقرأ عبد الله و يحيى بن يعمر بكسر الواو وسكون اللام والهمزة فى اطلع للاستفهام ولذلك عادلتها أم * وقرئ بكسر الهمزة فى الابتداء وحذفها فى الوصل على تقدير حذف همزة الاستفهام لدلالة أم عليها كقوله * بسبع رمين الجمر أم بثمان * يريد أبسبع وجاء التركيب فى أرأيت على الوضع الذى ذكره سيبويه من انها تتعدى لواحد تنصبه ويكون الثانى استفهاما فأطلع وما بعده فى موضع المفعول الثانى لأرأيت وما جاء من تركيب أرأيت بمعنى أخبرنى على خلاف هذا فى الظاهر ينبغى أن يرد الى هذا بالتأويل * قال الزمخشرى أطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه واطلع الثنية * قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا * وتقول مر مطلعا لذلك الأمر أى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن تقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا بأحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك والعهد * قيل كلمة الشهادة * وقال قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول * وعن الكلبى هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وكلا ردع وتنبيه على الخطأ الذى هو مخطئ فيما تصوره لنفسه و يتمناه فليرتدع عنه * وقرأ أبو نهيك كلا بالتنوين فيهما هنا وهو مصدر من كل السيف كلا اذا نبا عن الضريبة وانتصابه على اضمار فعل من لفظه وتقديره كلوا كلا عن عبادة الله أو عن الحق ونحو ذلك

وكني بالكتابة عن ما يترتب عليها من الجزاء فلذلك دخلت السين التي للاستقبال أي سنجازيه على ما يقوله * وقال الزمخشري فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين وعلم بالانتساب اني لست ابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجردها هنا لمعنى الوعيد انتهى * وقرأ الجمهور سنكتب بالنون والأعمش بياء مضمومة والتاء مفتوحة مبنيا للمفعول وذكرت عن عاصم ونمد أي نطول له من العذاب الذي يعذب به المستهزئون أو نزيده من العذاب ونضاعف له المدد * وقرأ علي بن أبي طالب ونمد له يقال مده وأمده بمعنى ونرثه ما يقول أي نسلبه المال والولد فنكون كالوارث له * وقال الكلبي نجعل ما يتمنى من الجنة لغيره * وقال أبو سهيل نحرمه ما يتمناه من المال والولد ونجعله لغيره * قال الزمخشري ويحتمل انه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على الله في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له انتهى * وقال النحاس ونرثه ما يقول معناه نحفظه عليه للعاقبة ومنه العلماء ورثة الانبياء أي حفظة ما قالوه انتهى وفردا تتضمن ذلته وعدم أنصاره ويقول صلة ما مضارع والمعنى على الماضي أي ما قال والضمير في واتخذوا لعبادة الاصنام وقد تقدم ما يعود عليه وهم الظالمون في قوله ونذر الظالمين فكل ضمير جمع مما بعده عائد عليه ان كان مما يمكن عوده عليه واللام في ليكونوا لام كي أي ليكونوا أي الآلهة لهم عزا يتعززون بها في النصرة والمنفعة والانقاذ من العذاب كلا * قال الزمخشري كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة * وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا انتهى فقوله وقرأ ابن نهيك الذي ذكر ابن خالويه وصاحب اللوامح وابن عطية وأبو نهيك بالكنية وهو الذي تحكى عنه القراءة في الشواذ وانه قرأ كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه أبو الفتح * وقال ابن عطية وهو يعني كلا نعت للآلهة قال وحكى عنه أي عن أبي نهيك أبو عمرو الداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون أو يتركون أو يجحدون أو نحوه وأما قول الزمخشري ولقائل أن يقول الى آخره فليس بجيد لانه قال انها التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب ألفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد لان قواريرا اسم رجع به الى أصله فالتنوين ليس بدلا من ألف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف فيه أيتحتم منع صرفه أم يجوز قولان ومنقول أيضا ان لغة للعرب يصرفون ما لا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين اما على قول من لا يرى بالتحتم أو على تلك اللغة وذكر الطبري عن أبي نهيك انه قرأ كل بضم الكاف ورفع اللام ورفعه على الابتداء والجملة بعده الخبر وتقدم طاهر وهو الآلهة وتلاه ضمير في قوله ليكونوا فالأظهران

كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها ألفها نونا كما في قواريرا انتهى (ح) قوله وقرأ ابن نهيك الذي ذكر ابن خالويه وصاحب اللوامح (ع) أبو نهيك بالكنية وهو الذي تحكى عنه القراءة في الشواذ وانه قرأ كلا بفتح الكاف والتنوين وكذا حكاه عنه أبو الفتح وقال (ع) وهو يعني كلا نعت للآلهة قال وحكى عنه أي عن أبي نهيك أبو عمرو والداني كلا بضم الكاف والتنوين وهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه سيكفرون تقديره يرفضون أو يتركون أو يجحدون أو نحوه وأما قول (ش) ولقائل أن يقول الى آخره فليس بجيد لانه قال انها التي للردع والتي للردع حرف ولا وجه لقلب ألفها نونا وتشبيهه بقواريرا ليس بجيد لان قواريرا اسم رجع به الى أصله فالتنوين ليس بدلا من ألف بل هو تنوين الصرف وهذا الجمع مختلف فيه أيتحتم منع صرفه أم يجوز قولان ومنقول أيضا أن لغة العرب يصرفون مالا ينصرف عند غيرهم فهذا التنوين اما على قول من لا يرى بالتحتم أو على تلك اللغة

﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ الآية أرسلنا معناه سلطنا ولذلك عداه بعلى ومعنى تؤزهم أي تحركهم الى الكفر ﴿فلا تعجل عليهم﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ أياما محصورة وأنفاسا معدودة كأنها في سرعة تقضيها تعدو وعدى نحشر بالى الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صفة الرحمانية التي خصهم بها كرامة إذ لفظ الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن مؤذنة بأنهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم ولفظة السوق فيه ازعاج وهوان وعدى بالى جهنم تفظيعا لهم وتشنيعا لحال مقرهم والورد مصدر ورد أي سار الى الماء كما قال الشاعر

ردي ردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

وأطلق الورد على العطاش تسمية للشيء بسببه اذ لا يرد الماء الا من كان عطشانا *والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذ هم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير *وقال الزمخشري ويجوز أن تكون يعني الواو في لا يملكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه في معنى الجمع انتهى * لا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة

القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الاستاذ أبو الحسن بن عصفور أنه لغة ضعيفة وأيضا فالواو والألف والنون التي تكون علامات لا ضمائر لا يحفظ ما يجيء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن يأتي بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج في اثبات ذلك الى نقل عن العرب وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد في اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف في لسان العرب على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك الا بسماع *والعهد هنا قال ابن عباس لا إله الا الله محمد رسول الله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن﴾ الضمير في قالوا عائد على بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿لقد جئتم﴾ فيه التفات من ضمير الغيبة في قالوا الى ضمير الخطاب في جئتم زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا ﴿شيئا إدا﴾ الاد بفتح الهمزة والاد بكسرها العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وآدني الامر أثقلني وعظم علي وقرئ يكاد بالياء وبالتاء وقرئ * ينفطرن و يتفطرن ومعنى يتفطرن يتشققن منه أي من نسبة الولد الى الله *وهدا منصوب على الحال ومعناه هدما وسقوطا ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ أن مع الفعل بتأويل المصدر وهو تعليل للافعال قبله من الانفطار والانشقاق والخرور *قال الزمخشري يجوز في أن دعوا ثلاثة أوجه أن يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله *على حاله لو أن في القوم حاتما *على جوده لضن بالماء حاتم *ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هذا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد ومرفوعا بأنه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن انتهى * الأول فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين والثاني أيضا فيه بعد لأن

الضمير في سيكفرون عائد على أقرب مذكور محدث عنه فالمعنى ان الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء اياهم كما قال واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم وفي آخرها فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وتكون آلهة هنا مخصوصا بمن يعقل أو يجعل الله للآلهة غير العاقلة ادراكا تنكر به عبادة عابديه و يجوز أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لكن قوله ويكونون يرجح القول الأول لاتساق الضمائر لواحد وعلى القول الآخر يختلف الضمائر اذ يكون في سيكفرون للمشركين وفي يكونون للآلهة ومعنى ضدا أعوانا قاله ابن عباس * وقال الضحاك أعداء * وقال قتادة قرناء * وقال ابن زيد بلاء * وقال ابن عطية معناه يجيئهم منه خلاف ما كانوا أملوه فيؤول بهم ذلك الى ذلة ضد ما أملوه من العز فالضد هنا مصدر وصف به الجمع كما يوصف به الواحد * وقال الزمخشري والضد العون وحد توحيد وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كونهم عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما

... في موضع الحال والثالث أيضا بعيد لأن ظاهر هذا أن يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أو مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضرب زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري أي هدها دعاء الولد للرحمن فلا يقاس بل ما جاء من ذلك فهو نادر كقول امرىء القيس * وقوفا بها صحبي على مطيهم * أي وقف صحبي ومعنى دعوا نسبوا لله الولد و ينبغي مطاوع لبغى بمعنى طلب أي وما يتأتى له اتخاذ الولد لأن الولد مستحيل و ينبغي من الافعال التي تتصرف وسمع فيها الماضي قالوا ابتغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الافعال التي لا تتصرف وهو غلط * وكل مبتدأ مضافة الى من الموصولة أي وكل الذي والخبر قوله الآتي وقال الزمخشري من موصوفة لأنها

وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله *رب من أنضجت غيظا صدره* انتهى * الأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل *وانتصب عبدا على الحال ثم ذكر تعالى أنه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته أحد منهم وانتصب فردا على الحال أي منفردا ليس معه أحد ممن جعلوه شريكا له وخبر كلهم آتيه *فردا وكل اذا أضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول انه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون *والسين في سيجعل للاستقبال فاحتمل أن يكون هذا الجعل في الدنيا وهي بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك اذا ظهر الاسلام وفشا واحتمل أن يكون ذلك في الدنيا الا على الاطلاق ومعنى ودا أي محبة والضمير في يسرناه عائد على القرآن أي أنزلناه عليك ميسرا سهلا بلسانك أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين ﴿لتبشر به المتقين﴾ أي تخبرهم بما يسرهم و بما يكون لهم من الثواب على تقواهم * واللد جمع ألد وهو الشديد الخصومة في الباطل ﴿وكم أهلكنا﴾ تخويف لهم وانذار بالاهلاك بالعذاب والضمير في قبلهم عائد على قوما لدا وهل تحس استفهام معناه النفي وكم خبرية بأهلكنا أي كثيرا أهلكنا ومن أحد مفعول بتحس ومن زائدة ﴿والركز﴾ قال ابن عباس الصوت الخفي

ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ أرسلنا معناه سلطنا أولم نحل بينهم و بينهم مثل قوله نقيض له شيطانا وتعديته بعلى دليل على انه تسليط وتؤزهم تحركهم الى الكفر * وقال قتادة تزعجهم * وقال ابن زيد تشليهم *وقال الزمخشري تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم و بينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة من الكفار وأقاويلهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار انتهى * وقيل نعد أعمالهم لنجازيهم *وقيل آجالهم فاذا جاء أحللنا العقوبة بهم * وقيل أيامهم التي سبق قضاؤنا أن نمهلهم اليها *وقيل أنفاسهم وانتصب يوم باذكر أو احذر مضمرة أو على تقدير يكون ذلك جوابا السؤال مقدر تقديره متى يكون ذلك أو سيكفرون بعبادتهم أو بيكونون عليهم ضدا أو معنى بعدا وتضمن العد والاحصاء معنى المجازاة أو يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف أو بلا يملكون وكلها مقول في نصب يوم والاوجه الأخير وعدى نحشر بالى الرحمن تعظيما لهم وتشريفا وذكر صفة الرحمانية التي خصهم بها كرامة اذ لفظ الحشر فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن مؤذنة بأنهم يحشرون الى من يرحمهم ولفظ السوق فيه ازعاج وهوان عدى بالى جهنم تفظيعا لهم وتبشيعا لحال مقرهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عنده * وعن علي على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وعنه أيضا انهم

يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد وروى عمرو بن قيس الملائى انهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هى فى غاية الحسن روى انه يركب كل أحدهم ما أحب من ابل أو خيل أو سفن تجىء عائمة بهم والظاهر ان هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب وانها النهوض الى الجنة كما قال فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وشبهوا بالوفود لانهم سراة الناس وأحسنهم شكلا وليست وفادة حقيقية لانها تتضمن الانصراف من الموفود عليه وهؤلاء مقيمون أبدا فى ثواب ربهم وهو الجنة والورد العطاش قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن والورد مصدر ورد أى سار الى الماء * قال الراجز

ردى ردى ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الماء

ولما كان من يرد الماء لا يرده الا لعطش أطلق الورد على العطاش تسمية للشئ بسببه * وقرأ الحسن والجحدرى يحشر المتقون ويساق المجرمون مبنيا للفعول والضمير فى لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين اذهم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار * وقيل موضعه نصب على الحال من الضمير فى لا يملكون ويكون عائدا على المجرمين والمعنى غير مالكين أن يشفع لهم ويكون على هذا الاستثناء منقطعا * وقيل الضمير فى لا يملكون عائد على المتقين والمجرمين والاستثناء متصل * وقيل عائد على المتقين واتخاذ العهد هو العمل الصالح الذى يحصل به فى حيز من يشفع وتظافرت الاحاديث على ان أهل العلم والصلاح يشفعون فيشفعون وفى الحديث ان فى أمتى رجلا يدخل الله بشفاعته أكثر من بنى تميم * وقال قتادة كنا نحدث ان الشهيد يشفع فى سبعين * وقال بعض من جعل الضمير للمتقين المعنى لا يملك المتقون الشفاعة الا لهذا الصنف فعلى هذا يكون من اتخذ المشفوع فيهم وعلى التأويل الأول يكون من اتخذ الشافعين فالتقدير على التقدير الثانى لا يملكون الشفاعة لأحد الا من اتخذ فيكون فى موضع نصب كما قال

* فلم ينج الا جفن سيف ومئزرا * أى لم ينج شئ الا جفن سيف وعلى هذه الأقوال الواو ضمير * وقال الزمخشرى ويجوز أن تكون يعنى الواو فى لا يملكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لأنه فى معنى الجمع انتهى ولا ينبغى حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الاستاذ أبو الحسن بن عصفور انها لغة ضعيفة وأيضا فالواو والألف والنون التى تكون علامات لاضمار لا يحفظ ما يجىء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن تأتى بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج فى اثبات ذلك الى نقل وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد فى اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف فى لسان العرب على أنه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحفظ أن لا يقال ذلك الا بسمع * وقال الزمخشرى ويجوز أن ينتصب يعنى من على تقدير حذف المضاف أى الا شفاعة من اتخذ * والعهد هنا * قال ابن عباس لا اله الا الله محمد رسول الله وفى حديث من قال لا اله لا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد * وقال السدى العهد الطاعة * وقال ابن جريج العمل الصالح * وقال الليث حفظ كتاب الله * وقيل عهد الله اذنه لمن شاء فى الشفاعة من عهد الامير الى فلان بكذا أى أمره به أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها ويؤيده ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن * لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون يعنى الواو فى لا يملكون علامة للجمع كالتى فى أكلونى البراغيث والفاعل من اتخذ لانه فى معنى الجمع (ح) لا ينبغى حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنها لغة ضعيفة وأيضا فالواو والالف والنون التى تكون علامات الاضمار لا يحفظ ما يجىء بعدها فاعلا الا بصريح الجمع وصريح التثنية أو العطف اما أن يؤتى بلفظ مفرد يطلق على جمع أو على مثنى فيحتاج فى اثبات ذلك الى نقل عن العرب وأما عود الضمائر مثناة ومجموعة على مفرد فى اللفظ يراد به المثنى والمجموع فمسموع معروف من لسان العرب على انه يمكن قياس هذه العلامات على تلك الضمائر ولكن الأحوط أن لا يقال ذلك الا بسمع

* وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم أخبر انهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المؤمنون فانهم سيشفع فيهم فيكون الاستثناء متصلا وفي الحديث لا أزال أشفع حتى أقول يارب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يامحمد انها ليست لك ولكنها لي انتهى وحمل المجرمين على الكفار والعصاة بعيد * وقال ابن عطية أيضا ويحتمل أن يراد بمن اتخذ محمد عليه الصلاة والسلام وبالشفاعة الخاصة لمحمد العامة للناس وقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا والضمير في لا يملكون لأهل الموقف انتهى وفيه بعض تلخيص وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير في قالوا عائد على بعض اليهود حيث قالوا عزير ابن الله وبعض النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله لقد جئتم أي قل لهم يامحمد لقد جئتم أو يكون التفاتا خرج من الغيبة الى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظيم ما قالوا * وقرأ الجمهور إدا بكسر الهمزة وعلي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن بفتحها أي شيئا ادا حذف المضاف وأقيم المصدر مقامه * وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء من تحت وكذا في الشورى وهي قراءة أبي حيوة والأعمش * وقرأ باقي السبعة بالتاء * وقرأ ينفطرن مضارع انفطر وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وابن عامر هنا وهي قراءة أبي بحرية والزهري وطلحة وحميد واليزيدي ويعقوب وأبي عبيد * وقرأ باقي السبعة يتفطرن مضارع تفطر والتي في الشورى قرأها أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالياء والنون وباقي السبعة بالياء والتاء والتشديد * وقرأ ابن مسعود يتصدعن وينبغي أن يجعل تفسيرا لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه ولرواية الثقاة عنه كقراءة الجمهور * وقال الأخفش تكاد تريد وكذلك قوله أكاد أخفيها وأنشد شاهدا على ذلك قول الشاعر

وكادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من زمن الصبابة ما مضى

ولا حجة في هذا البيت والمعروف ان الكيدودة مقاربة الشيء وهذه الجمل عند الجمهور من باب الاستعارة لبشاعة هذا القول أي هذا حقه لو فهمت الجمادات قدره وهذا مهيع للعرب * قال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

﴿ وقال آخر ﴾

ألم تر صدعا في السماء مبينا * على ابن لبيني الحارث بن هشام

﴿ وقال الآخر ﴾

فأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الأرض ليس بها هشام

﴿ وقال آخر ﴾

بكى حارث الجولان من فقد ربه * وحوران منه خاشع متضائل

حارث الجولان موضع * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات (قلت) فيه وجهان أحدهما ان الله يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض الآية والثاني أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وان مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر انتهى * وقال ابن عباس ان هذا الكلام فزعت منه السموات والارض والجبال

وجميع الخلائق الا الثقلين وكدن أن يزلن منه تعظيما لله تعالى * وقيل المعنى كادت القيامة أن تقوم فان هذه الأشياء تكون حقيقة يوم القيامة * وقيل تكاد السموات يتفطرن أي تسقط عليهم وتنشق الأرض أي تخسف بهم وتخر الجبال هدا أي تنطبق عليهم * وقال أبو مسلم تكاد تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وانتصب هدا عند النحاس على المصدر قال لأن معنى تخر تهد انتهى وهذا على أن يكون هدا مصدر الهد الحائط يهد بالكسر هديدا وهدا وهو فعل لازم * وقيل هدا مصدر في موضع الحال أي مهدودة وهذا على أن يكون هدا مصدر هد الحائط اذا هدمه وهو فعل متعد وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولا له أي لأنها تهد وأجاز الزمخشري في أن دعوا ثلاثة أوجه * قال ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

وهذا فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين قال ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن وهذا فيه بعد لأن الظاهر ان هدا لا يكون مفعولا بل مصدر من معنى وتخر أو في موضع الحال قال ومرفوعا بأنه فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وهذا فيه بعد لأن ظاهر هدا أن يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيد لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أو مستفهما عنه نحو ضربا زيدا واضربا زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره الزمخشري أي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقوله * وقوفا بها صحبي على مطيهم * أي وقف صحبي * وقال الحوفي وأبو البقاء أن دعوا في موضع نصب مفعول له ولم يبينا العامل فيه * وقال أبو البقاء أيضا هو في موضع جر على تقدير اللام قال وفي موضع رفع أي الموجب لذلك دعاؤهم ومعنى دعوا سموا وهي تتعدى الى اثنين حذف الأول منهما والتقدير سموا معبودهم ولدا للرحمن أي بولد لان دعا هذه تتعدى لاثنين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي بزيد أو دعوت ولدي زيدا * وقال الشاعر

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

﴿ وقال آخر ﴾

ألا رب من يدعى نصيحا وان يغب * تجده بغيب منك غير نصيح

* وقال الزمخشري اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعا له ولدا قال أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه * وقول الشاعر * انا بني نهشل لا ندعي لأب * أي لا ننتسب اليه انتهى وكون دعوا هنا بمعنى سموا هو قول الأكثرين * وقيل دعوا بمعنى جعلوا * وينبغي مطاوع لبغى بمعنى طلب أي وما يتأتى له اتخاذ الولد لان التوالد مستحيل والتبني لا يكون لأنه فيما هو من جنس المتبني وليس له تعالى جنس و ينبغي ليس من الأفعال التي لا تتصرف بل سمع لها الماضي قالوا انبغى وقد عدها ابن مالك في التسهيل من الأفعال التي لا تتصرف وهو غلط ومن موصوله بمعنى الذي أي ما كل الذي في السموات وكل تدخل على الذي لأنها تأتي للجنس كقوله تعالى والذي جاء بالصدق ونحو

* وكل الذي حملتني أتحمل * وقال الزمخشري من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة

على حالة لو أن في الركب حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا لأن دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بأنه فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن انتهى (ح) والأول فيه بعد لكثرة الفصل بين البدل والمبدل منه بجملتين والثاني أيضا فيه بعد لأن الظاهر ان هدا لا يكون مفعولا له بل مصدر من معنى وتخر أو في موضع الحال والثالث أيضا بعيد لأن ظاهر هدا أن يكون مصدرا توكيديا والمصدر التوكيدي لا يعمل ولو فرضناه غير توكيدي لم يعمل بقياس الا ان كان أمرا أو مستفهما عنه نحو ضربا زيدا وأضربا زيدا على خلاف فيه وأما ان كان خبرا كما قدره (ش) أي هدها دعاء الرحمن فلا ينقاس بل ما جاء من ذلك هو نادر كقول امرىء القيس * وقوفا بها صحبي على مطيهم * أي وقف صحبي (ش) من موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله

* رب من أنضجت غيظا صدره * (ح) لأولى جعلها موصولة لأن كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل

وقوعها بعد رب فى قوله * رب من أنضجت غيظا صدره * انتهى والأولى جعلها موصولة لان كونها موصوفة بالنسبة الى الموصولة قليل * وقرأ عبد الله وابن الزبير وأبو حيوة وطلحة وأبو بحرية وابن أبي عبلة ويعقوب الا آت بالتنوين الرحمن بالنصب والجمهور بالاضافة وآتى خبر كل وانتصب عبدا على الحال وتكرر لفظ الرحمن تنبيها على انه لا يستحق هذا الاسم غيره اذ أصول النعم وفروعها منه ومن فى السموات والارض يشمل من اتخذوه معبودا من الملائكة وعيسى وعزيرا بحكم ادعائهم صحة التوالد أو بحكم زعمهم ذلك فأشركوهم فى العبادة اذ خدمة الأبناء خدمة الآباء فأخبر تعالى أنه ما من معبود لهم فى السموات أو فى الارض الا يأتى الرحمن عبدا منقادا لا يدعى لنفسه شيئا مما نسبوه اليه ثم ذكر تعالى انه أحصاهم وأحاط بهم وحصرهم بالعدد فلم يفته أحد منهم وانتصب فردا على الحال أى منفردا ليس معه أحد ممن جعلوه شريكا له وخبر كلهم آتيه فردا وكل اذا أضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول انه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم ابن أصبغ فى كتاب رؤوس المسائل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جاء لفظ الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وقد خدش فى ذلك أبو زيد السهيلى فقال كل اذا ابتدئت وكانت مضافة لفظا يعنى الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب أى كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسألة فى القرآن والحديث والكلام الفصيح (فان قلت) فى قوله وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد (قلنا) بل هو اسم للجمع واسم الجمع لا يخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان كان لفظ القوم كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى ويحتاج فى اثبات كلكم ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب أما ان حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان * والسين فى سيجعل للاستقبال فاحتمل أن يكون هذا الجعل فى الدنيا وجىء بأداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك اذا ظهر الاسلام وفشا واحتمل أن يكون ذلك فى الدنيا على الاطلاق كما فى الترمذى قال اذا أحب الله عبدا نادى جبريل انى قد أحببت فلانا فأحبه قال فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى الارض قال الله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الى آخر الحديث وقال هذا حديث صحيح * قال ابن عطية ويحتمل أن تكون الآية متصلة بما قبلها فى المعنى أى ان الله تعالى لما أخبر عن اتيان كل من فى السموات والارض فى حال العبودية والانفراد أنس المؤمنين بأنه سيجعل لهم فى ذلك اليوم ودا وهو ما يظهر عليهم من كرامته لان محبة الله للعبد انما هى ما يظهر عليه من نعمه وأمارات غفرانه انتهى * وقال الزمخشرى واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم * وقال أيضا والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع مبرة أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم انتهى * وقيل فى الكلام حذف والتقدير سيدخلهم دار كرامته

(الدر) (ح) اذا أضيف كل الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم أو كل الناس فالمنقول انه يجوز أن يعود الضمير مفردا على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعا مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون وحكى ابراهيم بن أصبغ فى كتاب رؤس المسائل الاتفاق على جواز الوجهين وعلى الجمع جاء لفظ (ش) فى تفسير هذه الآية فى الكشاف وكلهم منقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وقد خدش فى ذلك أبو زيد السهيلى فقال كل اذا ابتدئت وكانت مضافة لفظا يعنى الى معرفة فلا يحسن الا افراد الخبر حملا على المعنى تقول كلكم ذاهب اى كل واحد منكم ذاهب هكذا هذه المسئلة فى القرآن والحديث والكلام الفصيح فان قلت فى قولهم وكلهم آتيه انما هو حمل على اللفظ لانه اسم مفرد قلنا بل هو اسم للجمع واسم الجمع لا يخبر عنه بافراد تقول القوم ذاهبون ولا تقول القوم ذاهب وان لفظ القوم كلفظ المفرد وانما حسن كلكم ذاهب لانهم يقولون كل واحد منكم ذاهب فكان الافراد مراعاة لهذا المعنى انتهى ويحتاج فى اثبات كلكم ذاهبون بالجمع ونحوه الى سماع ونقل عن العرب اما ان حذف المضاف المعرفة فالمسموع عن العرب الوجهان

و يجعل لهم ودا بسبب نزع الغل من صدورهم بخلاف الكفار فانهم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض و يلعن بعضهم بعضا وفى النار أيضا يتبرأ بعضهم من بعض * وقرأ الجمهور ودا بضم الواو * وقرأ أبو الحرث الحنفى بفتحها * وقرأ جناح بن حبيش ودا بكسر الواو * قيل نزلت هذه الآية فى عبد الرحمن بن عوف كان اليهود والنصارى والمنافقون يحبونه وكان لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * وقيل نزلت فى المهاجرين الى الحبشة مع جعفر بن أبى طالب ألقى الله لهم ودا فى قلب النجاشى وذكر النقاش انها نزلت فى على بن أبى طالب * وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا وأهل بيته انتهى ومن غريب هذا ما أنشدنا الامام اللغوى رضى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى رحمه الله تعالى لزبينا بن اسحق النصرانى الرسغى

عدى وتيم لا أحاول ذكرهم * بسوء ولكنى محب لهاشم
وما تعترينى فى على ورهطه * اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم انى لأحسب حبهم * سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

وذكر أبو محمد بن حزم أن بغض على من الكبائر * والضمير فى يسرناه عائد على القرآن أى أنزلناه عليك ميسرا سهلا بلسانك أى بلغتك وهو اللسان العربى المبين * لتبشر به المتقين أى تخبرهم بما يسرهم و بما يكون لهم من الثواب على تقواهم واللدجمع * وقال ابن عباس لدا ظلمة ومجاهد فجارا والحسن صما وأبو صالح عوجا عن الحق وقتادة ذوى جدل بالباطل آخذين فى كل لديد بالمراء أى فى كل جانب لفرط لجاجهم يريد أهل مكة وكم أهلكنا تخويف لهم وانذار بالاهلاك بالعذاب والضمير فى قوله قبلهم عائد على قوم لدا وهل تحس استفهام معناه النفى أى لا تحس * وقرأ الجمهور هل تحس مضارع أحس * وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبى عبلة وأبو جعفر المدنى تحس بفتح التاء وضم الحاء * وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حنظلة أو تسمع مضارع أسمعت مبنيا للمفعول * وقال ابن عباس الركز الصوت الخفى * قال ابن زيد الحس * وقال الحسن لما أتاهم عذابنا لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع * وقيل المعنى ماتوا ونسى ذكرهم فلا يخبر عنهم مخبر

﴿ سورة طه عليه السلام مائة وخمس وثلاثون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * الا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الارض و السموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى * الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى * وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى * ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى * وما تلك بيمينك ياموسى

قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى * واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى * لنريك من آياتنا الكبرى * اذهب الى فرعون انه طغى * قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي * اشدد به أزري وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا * انك كنت بنا بصيرا * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى * ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له * وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله * فرجعناك الى أمك كي تقر عينها * ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا *

* الثرى التراب الندي ويثنى ثريان ويقال ثريت التربة بللتها وثريت الارض تثرى ثرى فهي ثرية ابتل ترابها بعد الجدوبة وأثرت فهي مثرية كثر ترابها وأرض ثرى ذات ثرى * وقال ابن الاعرابي يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط للذي يعد ولا يفي ويقال اني لارى ثرى الغضب في وجه فلان أي أثره ويقال الثرى بيني وبين فلان اذا انقطع ما بينكما * وقال جرير

فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرى * فان الذي بيني وبينكم مثري

آنس وجد تقول العرب هل آنست فلانا أي وجدته * وقيل أحس وهو قريب من وجد * قال الحرث بن حلزة

آنست نبأة وروعها القناص * عصرا وقد دنا الامساء

* القبس جذوة من النار تكون على رأس عود أو قصبة أو نحوه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض ويقال قبست منه نارا أقبس فأقبسني أعطاني منه قبسا ومنه المقبسة لما يقتبس فيه من شقفة وغيرها واقتبست منه نارا * وعلما أي استفدته وقال المبرد أقبست الرجل علما وقبسته نارا وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما وقبسته أيضا فيهما * الخلع والنعل معروفان وهو ازالتها من الرجل * وقيل النعل ما هو وقاية للرجل من الارض كان من جلد أو حديد أو خشب أو غيره * طوى اسم موضع * السعي المشي بسرعة وقد يطلق على العمل * ردى يردى ردى هلك وارداه أهلكه * قال دريد بن الصمة

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى

* توكأ على الشئ تحامل عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكاء توكأ ن واتكأ ن بمعنى وتقدمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله متكأ وشرحت هنا الاختلاف الوزنين وان كان الأصل واحدا * هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط وهس الى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب اذا بش وأظهر الفرح به والأصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش * الغنم معروف وهو اسم جنس مؤنث * المأربة بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة وتجمع على مآرب والاربة أيضا الحاجة * الحية الجنس ينطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير وتقدمت مادته وكررت هنا لخصوصية المدلول وقولهم حواء للذي يصيد الحيات من باب قوة فالمادتان مختلفتان كسبط وسبطر * الازر الظهر قاله الخليل وأبو عبيدة وآزره قواه والازر أيضا القوة * وقال الشاعر

بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب

﴿ سورة طه ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿طه ما أنزلنا﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول أي بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا أكد ذلك بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة هنا البشارة والنذارة وأن ما ادعاه المشركون من انزاله شقاء ليس كذلك بل انما أنزل تذكرة والظاهر أن طه من الحروف المقطعة نحو يس والر وما أشبههما وتقدم الكلام في أوائل البقرة والظاهر أن قوله إلا تذكرة استثناء منقطع تقديره لكن أنزلناه تذكرة فتذكرة مفعول من أجله والعامل فيه أنزلناه هذه المقدرة وفي البحر أعاريب متكلفة تنظر هنالك وانتصب ﴿تنزيلا﴾ على أنه مصدر لفعل محذوف أي نزل تنزيلا * قال الزمخشري في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلناه لأن معنى ما أنزلناه الا تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن تنصب بيخشى مفعولا له أي أنزله اليه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين انتهى الأحسن ما قدمناه أولا من أنه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلف أما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وأيضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض تذكرة وان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب سيبويه يرى أن الثاني مشتمل على الأول لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها وأما قوله لأن معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في ذلك وأما نصبه على المدح فبعيد وأما نصبه بيخشى ففي غاية البعد لأن يخشى (٢٢٣) رأس آية فاصلة لا يناسب أن يكون تنزيلا مفعولا يخشى

* القذف الرمي والالقاء * الساحل شاطئ البحر وهو جانبه الخالي من الماء سمي بذلك لان الماء يسحله أي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول * وقال أبو تمام

هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ هذه السورة

* قال الزمخشري ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه انتهى هذا تجويز بعيد بل الظاهر أنه اخبار من الله عن نفسه ممن خلق ومن الظاهر أنها متعلقة بتنزيلا ويجوز أن يكون في موضع الصفة فتتعلق بمحذوف وفي قوله ممن خلق التفات اذ فيها خروج من ضمير المتكلم وهو نا في أنزلنا الى الغيبة والعلا جمع العليا ووصف السموات بالعلا دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها في علوها من غيره تعالى * قال ابن عطية ويجوز أن يكون يعني الرحمن بدلا من الضمير المستتر في خلق انتهى أرى أن مثل هذا لا يجوز لأن البدل يحل محل المبدل منه والرحمن لا يمكن أن يحل محل الضمير لأن الضمير عائد على من الموصولة وخلو صلته والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط * قال الزمخشري روى جناح بن حبيش عن بعضهم أنه قرأ الرحمن بالكسر صفة لمن خلق ومذهب الكوفيين أن الأسماء النواقص التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذي والتي فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون الرحمن صفة لمن خلق ولأحسن أن يكون الرحمن بدلا من من وقد جرى الرحمن في القرآن مجرى العلم في ولايته العوامل * ﴿له ما في السموات﴾ ما عامة يشمل من يعقل ومن لا وأنه مالك جميع ما حوت السموات والأرض ﴿وما بينهما وما تحت الثرى﴾ أي تحت الأرض السابعة قاله ابن عباس والخطاب بقوله ﴿وإن تجهر﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر والمراد أمته ولما كان خطاب الناس لا يتأتى الا بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر أي اذا كان يعلم السر فحري الجهر كقوله يعلم سركم وجهركم والظاهر أن أخفى أفعل تفضيل أي وأخفى من السر * قال ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والاخفى ما تخفيه في نفسك * الله لا إله الا هو ﴾ الله مبتدأ ولا إله الا هو الخبر ﴿وله الاسماء الحسنى﴾ خبر ثان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من الذي يعلم السر وأخفى فقيل هو الله و ﴿ الحسنى ﴾ تأنيث الأحسن وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك

مكية بلا خلاف كان عليه السلام براوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله على * وقال الضحاك صلى عليه السلام هو وأصحابه فأطال القيام لما أنزل عليه القرآن فقالت قريش ما أنزل عليه الا ليشقى * وقال مقاتل قال أبو جهل والنضر والمطعم انك لتشقى بترك ديننا فنزلت * ومناسبة هذه السورة لآخر ما قبلها انه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم أى بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا أكد ذلك بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى والتذكرة هى البشارة والنذارة وان ما ادعاه المشركون من انزاله للشقاء ليس كذلك بل انما نزل تذكرة والظاهر ان طه من الحروف المقطعة نحو يس والر وما أشبههما وتقدم الكلام على ذلك فى أول البقرة * وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة معنى طه يارجل * فقيل بالنبطية * وقيل بالحبشية * وقيل بالعبرانية * وقيل لغة يمنية فى علك * وقيل فى عكل * وقال الكلبى لو قلت فى علك يارجل لم يجب حتى تقول طه * وقال السدى معنى طه يافلان وانشد الطبرى فى معنى يارجل فى لغة علك قول شاعرهم

دعوت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا

﴿ وقول الآخر ﴾

ان السفاهة طه من خلائقكم * لا بارك الله فى القوم الملاعين

* وقيل هو اسم من أسماء الرسول * وقيل من أسماء الله * وقال الزمخشرى ولعل عكا تصرفوا فى ياهذا كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى يا طأ واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد به ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين انتهى وكان قد قدم انه يقال ان طاها فى لغة علك فى معنى يارجل ثم تخرص وحزر على علك بما يقوله نحوى هو أنهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد فى لسان العرب قلب يا التى للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة فى النداء واقرارها التى للتنبيه * وقيل طا فعل أمر وأصله طأ خففت الهمزة بابدالها ألفا وها مفعول وهو ضمير الأرض أى طأ الأرض بقدميك ولا تراوح اذ كان يراوح حتى تورمت قدماه * وقرأ فرقة منهم الحسن وعكرمة وأبو حنيفة وورش فى اختياره طه * قيل وأصله طأ فحذفت الهمزة بناء على قلبها فى يطأ على حد لا هناك المرتع بنى الامر عليه وأدخلت هاء السكت وأجرى الوصل مجرى الوقف أو أصله طأ وأبدلت همزته هاء فقيل طه * وقرأ الضحاك وعمرو بن فائد طاوى * وقرأ طلحة ما نزل عليك بنون مضمومة وزاى مكسورة مشددة مبنيا للمفعول القرآن بالرفع * وقرأ الجمهور ما أنزلنا عليك القرآن ومعنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجىء فى معنى التعب ومنه المثل أتعب من رائض مهر وأشقى من رائض مهر * قال الزمخشرى أى ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لامحالة بعد أن لم تفرط فى أداء الرسالة والموعظة الحسنة انتهى * وقيل أريد رد ما قاله أبو جهل وغيره مما تقدم ذكره فى سبب النزول ولتشقى وتذكرة علة لقوله ما أنزلنا وتعدى فى لتشقى باللام لاختلاف الفاعل اذ ضمير ما أنزلنا هو لله وضمير لتشقى للرسول صلى الله عليه وسلم ولما اتحد الفاعل فى أنزلنا وتذكرة اذ هو مصدر ذكر والمذكر هو الله وهو المنزل تعدى اليه الفعل فنه مبنى على ان فى اشتراط اتحاد الفاعل خلافا والجمهور يشترطونه * وقال الزمخشرى (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها

كونها وقعت فاصلة والاحسنية كونها تضمنت المعانى التى هى فى غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية والافعال التى لا يمكن صدورها الا منه تعالى

(الدر)

﴿ سورة طه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) ولعل عكا تصرفوا فى ياهذه كأنهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى ياطا واختصروا هذا فاختصروا على هاء وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى فى البيت المستشهد له * ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله أرواح الملاعين *

(ح) كان قد قدم أنه يقال ان طه فى لغة علك فى معنى يارجل ثم تخرص وحزر على علك بما لا يقوله نحوى وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد فى لسان العرب قلب ياء التى للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة فى النداء واقرارها التى للتنبيه (ش) فان قلت أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى كقوله ان تحبط أعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى

نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها انتهى وليس كون أن تشقى اذا حذف الجار منصوبا باتفاق عليه بل في ذلك خلاف أهو منصوب تعدى اليه الفعل بعد اسقاط الحرف أو مجرور باسقاط الجار وابقاء عمله * وقال ابن عطية الا تذكرة يصح أن ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح أن ينصب باضمار فعل تقديره لكن أنزلناه تذكرة انتهى وقد رد الزمخشري تخريج ابن عطية الاول فقال (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن انتهى ويعني باختلاف الجنسين أن نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي تكون في لتشقى بعد نزع الخافض نصبة عارضة والذي نقول انه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى انا أنزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول أمره الى الخشية انتهى وهذا معنى متكلف بعيد من اللفظ وكون الا تذكرة بدل من محل لتشقى هو قول الزجاج * وقال النحاس هذا وجه بعيد وأنكره أبو علي من قبل ان التذكرة ليست بشقاء * وقال الحوفي ويجوز أن يكون تذكرة بدلا من القرآن ويكون القرآن هو التذكرة وأجازه هو وأبو البقاء أن يكون مصدرا أي لكن ذكرنا به تذكرة * قال أبو البقاء ولا يجوز أن يكون مفعولا له لأنزلنا المذكور لانه قد تعدى الى مفعول وهو لتشقى ولا يتعدى الى آخر من جنسه انتهى والخشية باعثة على الايمان والعمل الصالح وانتصب تنزيلا على انه مصدر لفعل محذوف أي نزل تنزيلا ممن خلق * وقال الزمخشري في نصب تنزيلا وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلنا الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين انتهى والأحسن ما قدمناه أولا من انه منصوب بنزل مضمرة وما ذكره الزمخشري من نصبه على غير ذلك متكلف أما الاول ففيه جعل تذكرة وتنزيلا حالين وهما مصدران وجعل المصدر حالا لا ينقاس وأيضا فمدلول تذكرة ليس مدلول تنزيلا ولا تنزيلا بعض تذكرة فان كان بدلا فيكون بدل اشتمال على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل على الاول لان التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها وأما قوله لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة فليس كذلك لان معنى الحصر يفوت في قوله أنزلناه تذكرة وأما نصبه على المدح فبعيد وأما نصبه بمن يخشى ففي غاية البعد لان يخشى رأس آية وفاصل فلا يناسب أن يكون تنزيل مفعولا بيخشى وقوله فيه وهو معنى حسن وإعراب بين عجمة وبعد عن إدراك الفصاحة * وقرأ ابن أبي عبلة تنزيل رفعا على اضمار هو وهذه القراءة تدل على عدم تعلق يخشى بتنزيل وأنه منقطع مما قبله فنصبه على اضمار نزل كما قررناه ومن الظاهر بها متعلقة بتنزيل ويجوز أن يكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف وفي قوله ممن خلق تفخيم وتعظيم لشأن القرآن إذ هو منسوب تنزيله الى من هذه أفعاله وصفاته وتحقير لمعبوداتهم وتعريض للنفوس على التفكر والنظر وكأن في قوله ممن خلق التفاتا اذ فيها الخروج من ضمير التكلم وهو في ما أنزلنا الى الغيبة وفيه عادة التفنن في الكلام

(الدر)

قومه وأما النصب في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها (ح) ليس كون أن يشقى اذا حذف الجار منصوبا باتفاق في ذلك خلاف أو هو منصوب تعدى اليه الفعل بعد اسقاط الحرف أو مجرور باسقاط الجار وابقاء عمله (ع) الا تذكرة يصح أن ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح أن ينتصب باضمار فعل تقديره لكن أنزلناه تذكرة

وهو مما يحسن اذ لا يبقى على نظام واحد وجريان هذه الصفات على لفظ الغيبة والتفخيم باسناد الانزال الى ضمير الواحد المعظم نفسه ثم اسناده الى من اختص بصفات العظمة التى لم يشركه فيها أحد فحصل التعظيم من الوجهين * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل عليه السلام والملائكة النازلين معه انتهى وهذا تجويز بعيد بل الظاهر انه اخبار من الله تعالى عن نفسه والعلى جمع العليا ووصف السموات بالعلى دليل على عظم قدرة من اخترعها اذ لا يمكن وجود مثلها فى علوها من غيره تعالى والظاهر رفع الرحمن على خبر مبتدا محذوف تقديره هو الرحمن * وقال ابن عطية ويجوز أن يكون بدلا من الضمير المستتر فى خلق انتهى وأرى ان مثل هذا لا يجوز لأن البدل يحل محل المبدل منه والرحمن لا يمكن أن يحل محل الضمير لأن الضمير عائد على من الموصولة وخلق صلة والرابط هو الضمير فلا يحل محله الظاهر لعدم الرابط وأجاز الزمخشرى أن يكون رفع الرحمن على الابتداء قال يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق * وروى جناح بن حبيش عن بعضهم أنه قرأ الرحمن بالكسر * قال الزمخشرى صفة لمن خلق يعنى لمن الموصولة ومذهب الكوفيين ان الاسماء النواقص التى لا تتم الا بصلاتها نحو من وما لا يجوز نعتها الا الذى والتى فيجوز نعتهما فعلى مذهبهم لا يجوز أن يكون الرحمن صفة لمن فالاحسن أن يكون الرحمن بدلا من من وقد جرى الرحمن فى القرآن مجرى العلم فى ولايته العوامل وعلى قراءة الجر يكون التقدير هو على العرش استوى وعلى قراءة الرفع ان كان بدلا كما ذهب اليه ابن عطية فكذلك أو مبتدأ كما ذكره الزمخشرى ففى موضع الخبر أو خبر مبتدأ كما هو الظاهر فيكون الرحمن والجملة خبرين عن هو المضمر وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى الاعراف وما روى عن ابن عباس من الوقف على قوله على العرش ثم يقرأ استوى له ما فى السموات على أن يكون فاعلا لاستوى لا يصح ان شاء الله ولما ذكر تعالى أنه اخترع السموات والارض وأنه استوى على العرش ذكر أنه تعالى له ملك جميع ما حوت السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى أى تحت الارض السابعة قاله ابن عباس ومحمد بن كعب * وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة * وقيل ما تحت الثرى ما هو فى باطن الارض فيكون ذلك توكيدا لقوله وما فى الارض الا ان كان المراد بفى الارض ما هو عليها فلا يكون توكيدا * وقيل المعنى ان علمه تعالى محيط بجميع ذلك لانه منشئه فعلى هذا يكون التقدير له علم ما فى السموات ولما ذكر تعالى أولا انشاء السموات والارض وذكر ان جميع ذلك وما فيهما ملكه ذكر تعالى صفة العلم وأن علمه لا يغيب عنه شئ والخطاب بقوله وان تجهر بالقول للرسول ظاهرا والمراد أمته ولما كان خطاب الناس لا يتأتى الا بالجهر بالكلام جاء الشرط بالجهر وعلق على الجهر علمه بالسر لان علمه بالسر يتضمن علمه بالجهر أى اذا كان يعلم السر فأحرى أن يعلم الجهر والسر مقابل للجهر كما قال يعلم سركم وجهركم والظاهر أن أخفى أفعل تفضيل أى وأخفى من السر * قال ابن عباس السر ما تسره الى غيرك والأخفى ما تخفيه فى نفسك وقاله الفراء * وعن ابن عباس أيضا السر ما أسره فى نفسه والأخفى ما خفى عنه مما هو فاعله وهو لا يعلمه * وعن قتادة قريب من هذا * وقال مجاهد السر ما تخفيه من الناس وأخفى منه الوسوسة * وقال ابن زيد السر سر الخلائق وأخفى منه سره تعالى وأنكر ذلك الطبرى * وقيل السر العزيمة وأخفى منه ما لم يخطر على القلب وذهب بعض السلف الى أن قوله وأخفى هو فعل ماض لا أفعل تفضيل أى يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتبعه بقصة موسى لتتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة * وهل أتاك حديث موسى الآية هذا استفهام تقرير يحث على الإصغاء لما يلقى إليه وكان من حديثه أنه لما قضى أكمل الأجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره فخرج بأهله وماله وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل ولا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار في البرية لا يعرف طرقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور والظاهر أن إذ ظرف للحديث لأنه حدث قال لأهله امكثوا أي أقيموا في مكانكم وخاطب امرأته وولديه والخادم ﴿إني آنست﴾ أي أحسست والنار على بعد لا تحس إلا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت والإيناس أعم من الرؤية لأنك تقول آنست من فلان خيرا والظاهر أنه رأى نارا حقيقة ولفظة على هنا على بابها من الاستعلاء ومعناه أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها وانتصب ﴿هدى﴾ على أنه مفعول به على تقدير محذوف أي ذا هدى وكان قد أضل الطريق فيرجى أن يجد من يهديه إلى الطريق والضمير في أتاها عائد على النار أتاها فإذا هي مضطرمة في شجرة خضراء يانعة عناب قاله ابن عباس فكأنه كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر اتبعته فأيقن أن هذا أمر من أمور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ونودي وهو تكليم الله إياه ونودي مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم

هو كقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه وقوله ولا يحيطون به علما * قال ابن عطية وهو ضعيف * وقال الزمخشري وليس بذلك قال (فإن قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وإما تعليما للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله وإنما هو لغرض آخر انتهى والجلالة مبتدأ ولا إله إلا هو الخبر وله الأسماء الحسنى خبر ثان ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من ذا الذي يعلم السر وأخفى فقيل هو الله والحسنى تأنيث الأحسن وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة والأحسنية كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية والأفعال التي لا يمكن صدورها إلا منه وذكروا أن هذه الأسماء هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعين وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وذكرها الترمذي مسندة

﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾

ولما كان النداء بمعنى القول كسرت إن بعده فقيل إني أنا كما يكسر بعد القول الصريح والظاهر أن أمره إياه تعالى بخلع النعلين لعظم الحال التي حصل فيها كما تخلع عند الملوك غاية في التواضع وقيل كانتا من جلد حمار ميت فأمر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت * قال الترمذي هذا حديث غريب والكمة القلنسوة الصغيرة لكن أمره بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته والمقدس المطهر ﴿وطوى﴾ اسم علم عليه فيكون بدلا أو عطف بيان وقرئ منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون لوحظ فيه معنى البقعة فمنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ ﴿وأنا اخترتك﴾ فأنا مبتدأ واخترتك جملة في موضع الخبر وقرئ وإنا اخترناك أنا وإن اسمها وخبرنا في موضع الخبر لما يوحى متعلق باستمع وما موصولة بمعنى الذي يوحى وفيه ضمير يعود على ما تقديره يوحى هو * وقال أبو الفضل الجوهري لما قيل لموسى عليه السلام استمع لما يوحى وقف على حجر واستند إلى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا ولم يوحى قوله

﴿أنني أنا الله﴾ الى آخر الجمل جاء ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله لما يوحى ففي الاخبار الاول قال أنا ربك أي مالكك والناظر في مصلحتك وفي الثاني أنا الله ذكر الاسم المعظم العلم الدال على جميع الصفات العلية والظاهر أن فاعبدني لفظ يتناول ما كلفه به من العبادة وعطف عليه ما قد يدخل تحت ذلك المطلق فبدأ بالصلاة اذ هي أفضل الاعمال وأنفعها في الآخرة والذكر مصدر يحتمل أن يضاف الى المفعول أي لتذكرني فان ذكري أن أعبد و يصلى لي لما ذكر تعالى الأمر بالعبادة واقام الصلاة ذكر الحاصل على ذلك وهو البعث والمعاد أي الجزاء فقال ﴿إن الساعة آتية﴾ وهي التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزاء ذلك إما ثوابا و إما عقابا ﴿أكاد أخفيها﴾ أخفى من الأضداد بمعنى الاظهار وبمعنى السر * قال أبو عبيدة خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه عن أبي الخطاب وأكاد من أفعال المقاربة لكنها هنا مجاز بالنسبة الى الله ولتجزى متعلقة بآتية وأكاد أخفيها جملة اعتراض بينهما ويجوز أن يتعلق لتجزى بقوله أخفيها اذا كان المعنى أظهرها والظاهر أن الضمير في عنها عائد على الساعة والمعنى عن اعتقاد صحتها و وقوعها لا محالة والحشر بعدها والجزاء والظاهر أن الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهي عن الشيء امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي أن يكون له لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه ﴿واتبع هواه﴾ عطفا على صلة من ﴿فتردى﴾ جواب للنهي وأن مقدرة بعد فاء الجواب وتردى علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف ومثاله في جواب النهي قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل ﴿وما تلك بيمينك ياموسى﴾ علم تعالى في الاول ما هي وانما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية تسعى وليقرر في نفسه البعد بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتنبيه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدأ وتلك خبره و بيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلي شيخا والعامل اسم الاشارة * وقال الزمخشري و يجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا

يجوز أن يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفا كأنه قيل

انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية

وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السؤال وما قبله من خطابه لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم ﴿قال هي عصاي﴾ قرأ ابن اسحق والجحدري عصي وهي لغة هذيل * قال الشاعر يطوف بي غلب في معد * ويضرب بالصلمة في قفينا يريد في قفاي ﴿أتوكأ عليها﴾ التوكؤ على الشيء التحامل عليه في المشي والوقوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى واحد ﴿وأهش﴾ هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط وهش الى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب اذا انس وأظهر الفرح به والأصل في هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله وأهش بها على غنمي ﴿والمآرب﴾ ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه والمآرب الحاجات وعامل المآرب وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله أخرى ولم يقل أخر رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل فكان أجوز وأحسن في الفواصل ﴿قال ألقها﴾ الظاهر أن القائل هو الله تعالى ومعنى القها اطرحها على الأرض ﴿فاذا هي﴾ التي للمفاجأة والحية ينطلق على الصغير والكبير والذكر والانثى والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا ينافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما رآها تهتز كأنها جان و بين كونها ثعبانا لأن تشبيهها بالجان هو أول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا أو شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها قيل كان له عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما وبين لحييها أربعون ذراعا وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا يبتلع الصخر والشجر والمحجن عنقا وعيناها يتقدان فلما رأى هذا الامر العجيب الهائل لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الاهوال والمخاوف

لاسيما هذا الامر الذى يذهل العقول ومعنى تسعى تمشى وتنتقل بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها فى ذلك الوقت اذ قد جرت له بذلك عادة وتدريبه فى تلقى تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم أمره تعالى بالاقدام على أخذها ونهاه عن أن يخاف منها والسيرة من السير وهى الهيئة كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فتقلب الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين أى طريقة الاولين وانتصب ﴿ سيرتها ﴾ على أنه بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى سنعيدها أى سنعيد سيرتها الاولى وهى كونها كانت عصا ﴿ واضمم يدك الى جناحك ﴾ الجناح حقيقة فى الطائر ثم أطلق على العضد مجازا وفى الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك الى جناحك ينضم وأخرجها تخرج فحذف من الاول وأبقى مقابله ومن الثانى وأبقى مقابله وهو اضمم لانه معنى أدخل كما تبين فى الآية الاخرى ﴿ تخرج بيضاء ﴾ قيل خرجت بيضاء تضىء وتشف كأنها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال ﴿ والسوء ﴾ الرداءة والقبح فى كل شئ وقوله من غير سوء متعلق ببيضاء لأنه لو قال بيضاء لأوهم ذلك من برص أو بهق وانتصب ﴿ آية ﴾ على الحال ٭ وقال الزمخشرى يجوز أن يكون منصوبا على اضمار خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال انتهى ٭ أما تقديره فشائع وأما دونك فلا يسوغ لأنه اسم فعل من باب الاغراء ولا يجوز حذفه لانه حذف منه فى الاصل العامل فيه وناب منابه فلا يجوز أن يحذف النائب والمنوب منه ولذلك (٢٢٩) لم يجر مجراه فى جميع أحكامه و ﴿ أخرى ﴾ أى غير الآية الاولى التى هى قلب العصا حية واللام فى لنريك لام كى و ﴿ الكبرى ﴾ صفة لقوله آياتنا فوصف الجمع بما يوصف به المفرد ولو كان ذلك فى الكلام لكان الوصف مطابقا فى الجمع للموصوف فكان يكون الكبر لكن حسن هذا كون الكبرى فاصلة ٭ قال الزمخشرى

تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ ولما ذكر تعالى تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليتأسى به فى تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد كما قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فقال تعالى وهل أتاك حديث موسى وهذا استفهام تقرير يحث على الاصغاء لما يلقى اليه وعلى التأسى ٭ وقيل هل بمعنى قد أى قد أتاك والظاهر خلاف هذا لان السورة مكية والظاهر انه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا ٭ وقيل انه استفهام معناه النفى أى ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى وكان من حديثه أنه عليه السلام لما قضى أكمل الاجلين استأذن شعيبا فى الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره فخرج بأهله وماله وكان فى فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فلا يدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية لا يعرف طرقها فألجأه

لنريك أى فعلنا هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك يعنى انه جوز أن يكون مفعول لنريك الثانى الكبرى أو يكون من آياتنا فى موضع المفعول الثانى ويكون الكبرى صفة لآياتنا على حد الاسماء الحسنى ومآرب أخرى يجريان مجرى الجمع مجرى الواحدة المؤنثة وأجاز هذين الوجهين من الاعراب الحوفى وابن عطية وأبو البقاء والذى نختاره أن يكون من آياتنا فى موضع المفعول الثانى والكبرى صفة لآياتنا لانه يلزم من ذلك أن تكون آياته تعالى كلها هى الكبرى لان ما كان بعض الآيات الكبرى صدق عليه أنه آية الكبرى فاذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معا لانهما كان يلزم التثنية فى وصفهما وكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن أن يخص أحدهما لان كلا منهما فيها معنى التفضيل وبعض ما قال الحسن ان اليد أعظم فى الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك من آياتنا الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا الى اليد لقربه وهى اخراج اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس فى اليد الا تغير اللون وأما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة فى الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع الحجر والشجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا فكانت أعظم من اليد ولما أراه الله تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين فى نفسه وفيما فى يده وهو العصا أمره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى وعلل حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه رأس الكفر ومدعى الالهية وقومه أتباعه

المسير الى جانب الطور الغربى الايمن فى ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور * قيل كان رجلا غيورا يصحب الرفقة ليلا ويفارقهم نهارا لئلا ترى امرأته فأضل الطريق * قال وهب ولد له ابن فى الطريق ولما صلد زنده رأى نارا والظاهر ان اذ ظرف للحديث لانه حدث وأجاز الزمخشرى أن تكون ظرفا لمضمر أى نارا كان كيت وكيت وأن تكون مفعولا لاذكر امكثوا أى أقيموا فى مكانكم وخاطب امرأته وولديه والخادم * وقرأ الاعمش وطلحة وحمزة ونافع فى رواية لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا فى القصص والجمهور بكسرها * انى آنست أى أحسست والنار على بعد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت والايناس أعم من الرؤية لانك تقول آنست من فلان خيرا * وقال الزمخشرى الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم * وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعل ولم يقطع فيقول انى آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به انتهى والظاهر انه رأى نورا حقيقة * وقال الماوردى كانت عند موسى نارا وكانت عند الله نورا * قيل وخيل له انه نار * قيل ولا يجوز هذا لان الاخبار بغير المطابق لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولفظة على ههنا على بابها من الاستعلاء ومعناه ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها أولان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الأعشى * وبات على النار الندى والمحلق * وقال ابن الانبارى على بمعنى عند وبمعنى مع وبمعنى الباء وذكر الزجاج انه ضل عن الماء فرجى أن يلقى من يهديه الطريق أو يدله على الماء وانتصب هدى على انه مفعول به على تقدير محذوف أى ذا هدى أو على تقدير حذف لانه اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى هدى الطريق * وقيل هدى فى الدين قاله مجاهد وقتادة وهو بعيد وهو وان كان طلب من يهديه الطريق فقد وجد الهدى على الاطلاق والضمير فى أتاها عائد على النار أتاها فاذا هى مضطرمة فى شجرة خضراء يانعة عناب قاله ابن عباس * وقيل سمرة قاله عبد الله * وقيل عوسج قاله وهب * وقيل عليقة عن قتادة ومقاتل والكلبى وكان كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر تبعته فأيقن ان هذا أمر من أمور الله الخارقة للعادة ووقف متحيرا وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ونودى وهو تكليم الله إياه * وقرأ الجمهور انى بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى معاملة النداء معاملة القول لانه ضرب منه على مذهب الكوفيين وانا مبتدأ أو فصل أو توكيد لضمير النصب وفى هذه الأعاريب حصل التركيب لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأنى بفتح الهمزة والظاهر ان التقدير بأنى أنا ربك * وقال ابن عطية على معنى لأجل انى أنا ربك فاخلع نعليك * ونودى قد يوصل بحرف الجر وأنشد أبو على

ناديت باسم ربيعة بن مكدم * ان المنوه باسمه الموثوق

انتهى وعلمه بان الذى ناداه هو الله تعالى حصل له بالضرورة خلقا منه تعالى فيه أو بالاستدلال بالمعجزة وعند المعتزلة لا يكون ذلك الا بالمعجز فمنهم من عينه ومنهم من قال لا يلزم أن يعرف ما ذلك المعجز قالوا ولا يجوز أن يكون ذلك بالعلم الضرورى لانه ينافى التكليف والظاهر ان أمره تعالى اياه بخلع النعلين لعظم الحال التى حصل فيها كما يخلع عند الملوك غاية فى التواضع * وقيل كانتا من

جلد حمار ميت فأمر بطرحهما لنجاستهما وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب والكمة القلنسوة الصغيرة وكونهما من جلد حمار ميت غير مدبوغ قول عكرمة وقتادة والسدي ومقاتل والكلبي والضحاك * وقيل كانتا من جلد بقرة ذكي لكن أمر بخلعهما ليباشر بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته وروي انه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي والمقدس المطهر وطوى اسم علم عليه فيكون بدلا أو عطف بيان * وقرأ الحسن والاعمش وأبو حيوة وابن أبي اسحق وأبو السمال وابن محيصن بكسر الطاء منونا * وقرأ الكوفيون وابن عامر بضمها منونا * وقرأ الحرميان وأبو عمرو بضمها غير منون * وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منون * وقرأ عيسى بن عمر والضحاك طاوي أذهب فمن نون فعلى تأويل المكان ومن لم ينون وضم الطاء فيحتمل أن يكون معدولا عن فعل نحو زفر وقثم أو أعجميا أو على معنى البقعة ومن كسر ولم ينون فمنع الصرف باعتبار البقعة * وقال الحسن طوى بكسر الطاء والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين فهو بوزن الثناء وبمعناه وذلك لان الثنا بالكسر والقصر الشيء الذي تكرره فكذلك الطوى على هذه القراءة * وقال قطرب طوى من الليل أي ساعة أي قدس لك في ساعة من الليل لانه نودي بالليل فلحق الوادي تقديس مجدد أي انك بالوادي المقدس ليلا * قرأ طلحة والاعمش وابن أبي ليلى وحمزة وخلف في اختياره وأما بفتح الهمزة وشد النون اخترناك بنون العظمة * وقرأ السلمي وابن هرمز والاعمش في رواية وانا بكسر الهمزة والالف بغير النون بلفظ الجمع دون معناه لانه من خطاب الملوك اخترناك بالنون والالف عطفا على اني أنا ربك لانهم كسروا ذلك أيضا والجمهور وأنا اخترتك بضمير المتكلم المفرد عبر المعظم نفسه * وقرأ أبي وأني بفتح الهمزة وياء المتكلم اخترتك بتاء عطفا على اني أنا ربك ومفعول اخترتك الثاني المتعدي اليه بمن محذوف تقديره من قومك والظاهر ان لما يوحى من صلة استمع وما بمعنى الذي * وقال الزمخشري وغيره لما يوحى للذي يوحى أو للوحي فعلق اللام باستمع أو باخترتك انتهى ولا يجوز التعليق باخترتك لانه من باب الاعمال فيجب أو يختار اعادة الضمير مع الثاني فكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على انه من اعمال الثاني * وقال أبو الفضل الجوهري لما قيل لموسى صلوات الله على نبينا وعليه استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ووقف ليستمع وكان كل لباسه صوفا * وقال وهب أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع لما يحب الله وحذف الفاعل في يوحى للعلم به ويحسنه كونه فاصلة فلو كان مبنيا للفاعل لم يكن فاصلة والموحى قوله انني أنا الله الى آخره معناه وحدني كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم جاء ذلك تبيينا وتفسيرا للابهام في قوله لما يوحى * وقال المفسرون فاعبدني هنا وحدني كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ليوحدون والأولى أن يكون فاعبدني لفظا يتناول ما كلفه به من العبادة ثم عطف عليه ما هو قد دخل تحت ذلك المطلق فبدأ بالصلاة اذ هي أفضل الأعمال وأنفعها في الآخرة والذكر مصدر يحتمل أن يضاف الى الفاعل أي ليذكرني فان ذكري أن أعبد ويصلى لي أو ليذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها ويحتمل أن تضاف الى المفعول أي لان أذكرك بالمدح والثناء

وأجعل لك لسان صدق أولان تذكرني خاصة لاتشوبه بذكر غيري أو خلاص ذكرى وطلب وجهي لاترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أولتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أولأوقات ذكرى وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام على هذا القول مثلها في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الصلاة والسلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها * قال الزمخشري وكان حق العبادة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أولأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة انتهى وفي الحديث بعد قوله فليصلها اذا ذكرها قوله اذلا كفارة لها الا ذلك ثم قرأ أقم الصلاة لذكرى * وقرأ السلمي والنخعي وأبو رجاء للذكرى بلام التعريف وألف التأنيث فالذكرى بمعنى التذكرة أي لتذكيري اياك اذا ذكرتك بعد نسيانك فأقها * وقرأت فرقة لذكرى بألف التأنيث بغير لام التعريف * وقرأت فرقة للذكر ولما ذكر تعالى الأمر بالعبادة واقامة الصلاة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث والمعاد للجزاء فقال ان الساعة آتية وهي التي يظهر عندها ما عمله الانسان وجزاء ذلك اما ثوابا واما عقابا * وقرأ أبو الدرداء وابن جبير والحسن ومجاهد وحميد أخفيها بفتح الهمزة ورويت عن ابن كثير وعاصم بمعنى أظهرها أي انها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر ولكن تأخرت الى الأجل المعلوم وتقول العرب خفيت الشيء أي أظهرته * وقال الشاعر

خفاهن من ايقانهن كأنما * خفاهن ودق من عشى مجلب

وقال آخر

فان تدفنوا الداء لانخفه * وان توقدوا الحرب لانقعد

ولام لتجزى على هذه القراءة متعلقة بأخفيها أي أظهرها لتجزى كل نفس * وقرأ الجمهور أخفيها بضم الهمزة وهو مضارع أخفى بمعنى ستر والهمزة هنا للازالة أي أزلت الخفاء وهو الظهور واذا أزلت الظهور صار للستر كقولك أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة * وقال أبو علي هذا من باب السلب ومعناه أزيل عنها خفاءها وهو سترها واللام على قراءة الجمهور * قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كأنه قال ان الساعة آتية لتجزى انتهى ولا يتم ذلك الا اذا قدرنا أكاد أخفيها جملة اعتراضية فان جعلتها في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على رأي البصريين لان اسم الفاعل لا يعمل اذا وصف قبل أخذ معموله * وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان وأخفى من الأضداد بمعنى الاظهار وبمعنى الستر * قال أبو عبيدة خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه أبو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لاشك في صدقه وأكاد من أفعال المقاربة لكنها مجاز هنا ولما كانت الآية عبارة عن شدة اخفاء أمر القيامة ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس بالغ في ابهام وقتها فقال أكاد أخفيها حتى لاتظهر ألبتة ولكن لابد من ظهورها * وقالت فرقة أكاد بمعنى أريد فالمعنى أريد اخفاءها وقاله الأخفش وابن الانباري وأبو مسلم * قال أبو مسلم ومن أمثالهم لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله * وقالت فرقة خبر كاد محذوف تقديره أكاد آتي بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول صابئ البرجمي

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

أي وكدت أفعل وتم الكلام ثم استأنف الاخبار بأنه يخفيها واختاره النحاس * وقالت فرقة معناه أكاد أخفيها من نفسي اشارة الى شدة غموضها عن المخلوقين وهو مروي عن ابن عباس ولما رأى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي من تلقائي ومن عندي * وقالت فرقة أكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل الاخبار ان الساعة آتية وان الله يخفي وقت اتيانها وروي هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى لم يكد يراها * و بقول الشاعر وهو زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس

﴿ و بقول الآخر ﴾

وأن لا ألوم النفس مما أصابني * وأن لا أكاد بالذي نلت أنجح

ولا حجة في شيء من هذا * وقال الزمخشري أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به * وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها انتهى وروبت هذه الزيادة أيضا عن أبي ذكر ذلك ابن خالويه وفي مصحف عبد الله أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القرآن وكيف أظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من ان أحدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت أخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره * وقال الشاعر

أيام تصحبني هند وأخبرها * ما كدت أكتمه عني من الخبر

وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه والضمير في أخفيها عائد على الساعة والساعة يوم القيامة بلا خلاف والسعي هنا العمل والظاهر ان الضمير في عنها و بها عائد على الساعة * وقيل على الصلاة * وقيل عنها عن الصلاة و بها أي بالساعة وأبعد جدا من ذهب الى ان الضمير في عنها يعود على ما تقدم من كلة لا اله الا أنا فاعبدني والظاهر ان الخطاب في فلا يصدنك لموسى عليه السلام ولا يلزم من النهي عن الشيء امكان وقوعه ممن سبقت له العصمة فينبغي أن يكون لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه وأبعد من ذهب الى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولأمته معنى * وقال الزمخشري (فان قلت) العبارة أنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق (قلت) فيه وجهان أحدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب * والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمه صلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما أنت عليه * وفتردى يجوز أن يكون منصوبا على جواز النهي وأن يكون مرفوعا أي فأنت تردى * وقرأ يحيي فتردي بكسر التاء * وما تلك بيمينك ياموسى هو تقرير مضمنه التنبيه وجمع النفس لما يورد عليها وقد علم تعالى في الازل ماهي وانما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة و بتقرر في

نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة وما استفهام مبتدأ وتلك خبره وبيمينك في موضع الحال كقوله وهذا بعلى شيخا والعامل اسم الاشارة * قال الزمخشري ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك ولم يذكر ابن عطية غيره وليس ذلك مذهبا للبصريين وانما ذهب اليه الكوفيون قالوا يجوز أن يكون اسم الاشارة موصولا حيث يتقدر بالموصول كأنه قيل وما التي بيمينك وعلى هذا فيكون العامل في المجرور محذوفا كأنه قيل وما التي استقرت بيمينك وفي هذا السؤال وماقبله من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناس عظيم وتشريف كريم قال هي عصاي * وقرأ ابن أبي اسحاق والجحدري عصيّ بقلب الألف ياء وادغامها في ياء المتكلم * وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء وهي مروية عن ابن أبي اسحاق أيضا وأبي عمرو ومعاوهذه الكسرة لالتقاء الساكنين وعن أبي اسحاق والجحدري عصاي بسكون الياء * أتوكأ عليها أي أتحامل عليها في المشي والوقوف وهذا زيادة في الجواب كما جاء هو الطهور ماؤه الحل ميتته في جواب من سأل أيتوضأ بماء البحر وكما جاء في جواب ألهذا حج قال نعم ولك أجر وحكمة زيادة موسى عليه السلام رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى وازدياد لذاذته بذلك كما قال الشاعر

وأملى عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبا كي يطول عتابه

وتعداده نعمه تعالى عليه بما جعل له فيها من المنافع وتضمنت هذه الزيادة تفصيلا في قوله أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي واجمالا في قوله ولي فيها مآرب أخرى * وقيل أتوكأ عليها جواب لسؤال آخر وهو أنه لما قال هي عصاي قال له تعالى فما تصنع بها قال أتوكأ عليها الآية * وقيل سأله تعالى عن شيئين عن العصا بقوله وما تلك وبقوله بيمينك عما يملكه فأجابه عن وما تلك بقوله هي عصاي وعن قوله بيمينك بقوله أتوكأ عليها وأهش الى آخره انتهى وفي التحقيق ليس قوله بيمينك بسؤال وقدم في الجواب مصلحة نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته في قوله وأهش * وقرأ الجمهور وأهش بضم الهاء والشين المعجمة والنخعي بكسرها كذا ذكر أبو الفضل الرازي وابن عطية وهي بمعنى المضمومة الهاء والمفعول محذوف وهو الورق * قال أبو الفضل ويحتمل ذلك أن يكون من هش يهش هشاشة اذا مال أي أميل بها على غنمي بما أصلحها من السوق وتكسير العلف ونحوهما يقال منه هش الورق والكلأ والنبات اذا جف ولان انتهى * وقرأ الحسن وعكرمة وأهس بضم الهاء والسين غير معجمة والهس السوق ومن ذلك الهس والهساس غير معجمة في الصفات ونقل ابن خالويه عن النخعي أنه قرأ وأهش بضم الهمزة من أهس رباعيا وذكر صاحب اللوامح عن عكرمة ومجاهد وأهش بضم الهاء وتخفيف الشين قال ولا أعرف وجهه الا أن يكون بمعنى العامة لكن فر من قراءته من التضعيف لأن الشين فيه تفش فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي فيكون كتخفيف ظلت ونحوه وذكر الزمخشري عن النخعي أنه قرأ وأهش بضم الهمزة والشين المعجمة من أهس رباعيا قال وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها كما ينفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للعرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة

كأنه يقول أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا اسم العصا نبعة انتهى * وقرأت فرقة غنمي بسكون النون وفرقة على غنمي بإيقاع الفعل على الغنم * والمآرب ذكر المفسرون أنها كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه وصل بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه * وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام ويرد بها غنمه وإن بعدوا وهذه العصا أخذها من بيت عصي الأنبياء التي كانت عند شعيب حين اتفقا على الرعية هبط بها آدم من الجنة وطولها عشرة أذرع وقيل اثنتا عشرة بذراع موسى عليه السلام وعامل المآرب وإن كان جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله أخرى ولم يقل آخر رعيا للفواصل وهو جائز في غير الفواصل وكان أجود وأحسن في الفواصل * وقرأ الزهري وشيبة مارب بغير همز كذا قال الأهوازي في كتاب الإقناع في القرآن ويعني والله أعلم بغير همز محقق وكأنه يعني أنهما سهلاها بين بين * قال ألقها الظاهر أن القائل هو الله تعالى ويبعد قول من قال يجوز أن يكون القائل الملك بإذن الله ومعنى ألقها اطرحها على الأرض ومنه قول الشاعر * فألقت عصاها واستقر بها النوى * وإذا هي التي للمفاجأة والحية تنطلق على الصغيرة والكبيرة والذكر والأنثى والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم منها ولا تنافي بين تشبيهها بالجان في قوله فلما رآها تهتز كأنها جان وبين كونها ثعبانا لأن تشبيهها بالجان هو في أول حالها ثم تزيدت حتى صارت ثعبانا أو شبهت بالجان وهي ثعبان في سرعة حركتها واهتزازها مع عظم خلقها * قيل كان لها عرف كعرف الفرس وصارت شعبتا العصا لها فما وبين لحييها أربعون ذراعا * وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر والشجر والمحجن عنقا وعيناها تتقدان فلما رأى هذا الأمر العجيب الهائل لحقه ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف لا سيما هذا الأمر الذي يذهل العقول ومعنى تسعى تنتقل وتمشي بسرعة وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك الوقت إذ قد جرت له بذلك عادة وتدريبه في تلقي تكاليف النبوة ومشاق الرسالة ثم أمره تعالى بالإقدام على أخذها ونهاه عن أن يخاف منها وذلك حين ولى مدبرا ولم يعقب * وقيل خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها * وقيل لما قال له الله لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ويبعد ما ذكره مكي في تفسيره أنه قيل له خذها فلم يأخذها حتى قيل له خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى فأخذها في الثالثة لأن منصب النبوة لا يليق أن يأمره ربه مرة وثانية فلا يمتثل ما أمر به وحين أخذها بيده صارت عصا والسيرة من السير كالركبة والجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة * وقيل سير الأولين * وقال الشاعر

فلا تغضبن من سيرة أنت سرتها * فأول راض سيرة من يسيرها

واختلفوا في إعراب سيرتها * فقال الحوفي مفعول ثان لسنعيدها على حذف حرف الجر ويختار

موسى قومه يعني الى سيرتها قال و يجوز أن يكون بدلا من مفعول سنعيدها * وقال هذا الثاني أبو البقاء قال بدل اشتمال أي صفتها وطريقتها * وقال الزمخشري يجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا انتهى وسيرتها وطريقتها ظرف مختص فلا يتعدى اليه الفعل على طريقة الظرفية الا بواسطة في ولا يجوز الحذف الا في ضرورة أو فيما شذت فيه العرب * قال الزمخشري و يجوز أن يكون مفعولا من عاده بمعنى عاد اليه * ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها عداء * فيتعدى الى مفعولين انتهى وهذا هو الوجه الأول الذي ذكره الحوفي * قال و وجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت و بطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها انتهى والجناح حقيقة في الطائر والملك ثم توسع فيه فأطلق على اليد وعلى العضد وعلى جنب الرجل * وقيل لمجنبتي العسكر جناحان على سبيل الاستعارة وسمي جناح الطائر لانه يجنح به عند الطيران ولما كان المرغوب به من ظلمة أو غيرها اذا ضم يده الى جناحه فتر رغبته و ربط جأشه أمره تعالى أن يضم يده الى جناحه ليقوى جأشه ولتظهر له هذه الآية العظيمة في اليد والمراد الى جنبك تحت العضد ولهذا قال تخرج فلو لم يكن دخول لم يكن خروج كما قال في الآية الأخرى وأدخل يدك في جيبك تخرج وفي الكلام حذف اذ لا يترتب الخروج على الضم وانما يترتب على الاخراج والتقدير واضمم يدك الى جناحك تنضم واخرجها تخرج فحذف من الأول وأبقى مقابله ومن الثاني وأبقى مقابله وهو اضمم لانه بمعنى ادخل كما يبين في الآية الأخرى * تخرج بيضاء من غير سوء قيل خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس وكان آدم اللون وانتصب بيضاء على الحال والسوء الرداءة والقبح في كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكما كنوا عن جذيمة وكان أبرص بالأبرص والبرص أبغض شئ الى العرب وطباعهم تنفر منه وأسماعهم تمج ذكره فكنى عنه وقوله من غير سوء متعلق ببيضاء كأنه قال ابيضت من غير سوء * وقال الحوفي من غير سوء في موضع النعت لبيضاء والعامل فيه الاستقرار انتهى ويقال له عند أرباب البيان الاحتراس لانه لو اقتصر على قوله بيضاء لأوهم أن ذلك من برص أو بهق وانتصب آية على الحال وهذا على مذهب من يجيز تعداد الحال لذي حال واحد وأجاز الزمخشري أن يكون منصوبا على اضمار خذ ودونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام كذا قال فأما تقدير خذ فسائغ وأما دونك فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغراء فلا يجوز أن يحذف النائب والمنوب عنه ولذلك لم يجر مجراه في جميع أحكامه وأجاز أبو البقاء والحوفي أن يكون آية بدلا من بيضاء وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من الضمير في بيضاء أي تبيض آية * وقيل منصوب بمحذوف تقديره جعلناها آية أو آتيناك آية * واللام في لنريك قال الحوفي متعلقة باضمم و يجوز أن تتعلق بتخرج * وقال أبو البقاء تتعلق بهذا المحذوف يعني المقدر جعلناها أو آتيناك و يجوز أن تتعلق بما دل عليه آية أي دللنا بها لنريك * وقال الزمخشري لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك ونعني انه أجاز أن يكون مفعول لنريك الثاني الكبرى أو يكون من آياتنا في موضع المفعول الثاني وتكون الكبرى صفة لآياتنا على حد الأسماء الحسنى ومآرب أخرى يجريان مثل هذا

﴿ قال رب اشرح لى صدرى ﴾ الآية سأل ربه ورغب فى أن يشرح صدره ليحتمل ما يرد عليه من الشدائد التى يضيق لها الصدر ❊ والعقدة استعارة للثقل الذى كان فى لسانه خلقة وقيل كان من الجمرة التى أدخلها فاه فى قصة حكيت فى البحر قال الزمخشرى وفى تنكيره العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى انتهى يظهر أن من لسانى متعلق باحلل لا فى موضع الصفة لعقدة وكذا قال الحوفى وأجاز أبو البقاء الوجهين ❊ والوزير المعين القائم بوزر الامور أى بثقلها فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه وقيل من الوزر وهو الملجأ يلتجئ إليه الانسان ويجوز أن يكون وزيرا مفعولا أول والمفعول الثانى من أهلى ويجوز أن يكون

الجمع مجرى الواحدة المؤنثة وأجاز هذين الوجهين من الاعراب الحوفى وابن عطية وأبو البقاء والذى نختاره أن يكون من آياتنا فى موضع المفعول الثانى والكبرى صفة لآياتنا لانه يلزم من ذلك أن تكون آياته تعالى كلها هى الكبر لان ما كان بعض الآيات الكبر صدق عليه أنه الكبرى واذا جعلت الكبرى مفعولا لم تتصف الآيات بالكبر لانها هى المتصفة بأفعل التفضيل وأيضا اذا جعلت الكبرى مفعولا فلا يمكن أن يكون صفة للعصا واليد معا لانهما كان يلزم التثنية فى وصفهما فكان يكون التركيب الكبريين ولا يمكن أن يخص أحدهما لان كلا منهما فيها معنى التفضيل ويبعد ما قال الحسن من ان اليد أعظم فى الاعجاز من العصا لانه ذكر عقيب اليد لنريك من آياتنا الكبرى لانه جعل الكبرى مفعولا ثانيا لنريك وجعل ذلك راجعا الى الآية القريبة وهى اخراج اليد بيضاء من غير سوء وقد ضعف قوله هذا لانه ليس فى اليد الا تغيير اللون وأما العصا ففيها تغيير اللون وخلق الزيادة فى الجسم وخلق الحياة والقدرة والأعضاء المختلفة وابتلاع الشجر والحجر ثم عادت عصا بعد ذلك فقد وقع التغيير مرارا فكانت أعظم من اليد ولما أراه تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين فى نفسه وفيما يلابسه وهو العصا أمره بالذهاب الى فرعون رسولا من عنده تعالى وعلل حكمة الذهاب اليه بقوله انه طغى وخص فرعون وان كان مبعوثا اليهم كلهم لانه رأس الكفر ومدعى الالهية وقومه تباعه ❊ قال وهب بن منبه قال الله لموسى عليه السلام اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى أرعاك بعينى وسمعى وان معك يدى ونصرى وألبسك جنة من سلطانى تستكمل بها العزة فى أمرى أبعثك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى أقسم بعزتى لولا الحجة والقدر الذى وضعت بينى وبين خلق لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا فان ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة أيام ❊ وقيل أكثر فجاءه ملك فقال انفذ ما أمرك ربك ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا

هرون مفعولا أول ووزيرا مفعولا ثانيا ويجوز فى الوجه الأول أن يكون هرون بدلا من وزير ابدل معرفة من نكرة ولا يجوز أن يكون عطف بيان للتخالف لكون وزيرا نكرة وهرون معرفة قال الزمخشرى وان جعل يعنى أخى عطف بيان جاز وحسن انتهى يبعد فيه عطف البيان لأن الاكثر أن يكون الاول دونه فى الشهرة والامر هنا بالعكس وقرئ أشدد بهمزة قطع جوابا لقوله اجعل وقرئ بوصل الهمزة وهو طلب من موسى عليه السلام لربه أن يشد أزره به ❊ وأشركه على معنى الدعاء فى شد الأزر فكان هرون أكبر من موسى عليه السلام بأربعة أعوام وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سببا يلزم فيه العبادة والاجتهاد فى أمر الله والتظافر على العبادة والتعاون فيهما مثير للرغبة والتزيد من الخير ﴿ كى نسبحك ﴾ أى ننزهك عما لا يليق بك ﴿ ونذكرك ﴾ بالدعاء والثناء عليك وقدم التسبيح لانه تنزيه تعالى فى ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص ومحل ذلك القلب والذكر ثناء على الله تعالى بصفات الكمال ومحله اللسان فلذلك قدم ما محله القلب ❊ وكثيرا نعت لمصدر محذوف ﴿ إنك كنت بنا بصيرا ﴾ أى عالما بأحوالنا والسؤل فعل بمعنى المسؤل كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والمعنى أعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه ثم ذكر تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته

﴿مرة﴾ فعلة منة ﴿أخرى﴾ تأنيث آخر بمعنى غير أى منة غير هذه المنة ﴿إذ أوحينا الى أمك﴾ قال الجمهور هو وحى إلهام كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وقيل وحى إعلام اما بارا ءة ذلك فى المنام واما ببعث ملك إليها لا على جهة النبوة كما بعثه الى مريم وهذا هو الظاهر لظاهر قوله يأخذه عدو لى وعدو له ولظاهر آية القصص انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين * وأن يحتمل أن تكون مفسرة بمعنى أى لانه تقدم أوحينا وهو بمعنى القول و يحتمل أن تكون مصدرية وصلت بالأمر * التابوت كان من خشب سدر وقيل من بردى وفرشت فيه نطعا وقطنا محلوجا وسدت خرقه وجصصته وألقته فى اليم وهو اسم للبحر العذب والظاهر أن الضمير فى ﴿فاقذفيه﴾ عائد على موسى وكذلك الضميران بعده إذ هو المحدث عنه لا التابوت إنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة ﴿فليلقه اليم﴾ انماذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع الخبر به على ما أخبر به وكان البحر مأمور ممتثل للامر ﴿يأخذه﴾ جواب الأمر الذى هو فليلقه والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه والعدو الذى لله ولموسى هو فرعون وأخبرت به أم موسى على طريق الالهام ولذلك قالت لاخته قصيه وهى لا تدرى أين استقر ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ قيل محبة آسية وفرعون وكان فرعون أحبه حبا شديدا حتى لا يتمالك أن يصبر عنه وكذا من رآه ومنى يجوز أن يكون متعلقا بألقيت ويجوز أن يكون فى موضع الصفة فيتعلق بمحذوف تقديره كائنة منى وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر لام كى وضم التاء ونصب الفعل أى لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به وهو معطوف على محذوف أى ليتلطف بك ولتصنع أو متعلقة بفعل متأخر تقديره فعلت ذلك ﴿إذ تمشى أختك﴾ قيل إسمها مريم * قيل سبب ذلك أن آسية عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجعلت تنادى عليه فى المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى وبقيت أمه بعد قذفه فى اليم مغمومة فامرت أخته بالتفتيش فى المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به فى طوافها فقالت أنا

أدلكم على من يكفله لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا أأنت تعرفين هذا الصبى فقالت لا ولكنى أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد فى خدمتها و رضاها فتركوها و سألوها الدلالة فجاءت بأم موسى عليه السلام فلما قربته شرب ثديها فسرت آسية بذلك وقالت لها كونى معى فى القصر فقالت ما كنت لأدع بيتى و ولدى ولكنه يكون عندى قالت نعم فاحسنت الى أهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه أرسلت آسية إليها أن جيئينى بولدى ليوم كذا وأمرت خدمها ومن لها أن يلقينه بالهدايا والتحف واللباس فوصل إليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شأن فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فاعجبه وقربه إليه فأخذ موسى عليه السلام بلحيته وتقدم ما جرى نه [illegible] ذكر العقدة [illegible] وإذ بدل من إذ فى قوله إذ أوحينا فالعامل فيهما مشى وقرئ تقر بكسر القاف وتقدم أنهما لغتان فى قوله وقرى عينا وقرأ جناح بن حبيش بضم التاء وفتح القاف مبنيا للمفعول ﴿وقتلت نفسا﴾ هو القبطى الذى [illegible] لاسرائيلى [illegible] ابن [illegible] عشرة سنة واغتم لذلك خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له ذلك [illegible] ونجاه من فرعون حين هاجر به الى مدين والغم ما يغم على القلب بسبب الخوف من القتل [illegible] فى عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه فى البحر وهم فرعون [illegible] وكان عمره حين ذهب الى مدين اثنى عشر عاما والسنون التى لبثها [illegible] عشر عاما بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولده فكمل [illegible] فرعون [illegible] على رأسه ﴿ثم جئت﴾ أى المكان الذى ناجيتك فيه وكلمتك [illegible] تتأخر عنه ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ أى جعلتك موضع الصنيعة [illegible] يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع [illegible] فلان

قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى * لما أمره تعالى بالذهاب الى فرعون

عرف أنه كلف أمراعظيما يحتاج معه الى احتمال مالا يحتمله الاذو جأش رابط وصدر فسيح فسأل ربه ورغب فى أن يشرح صدره ليحتمل مايرد عليه من الشدائد التى يضيق لها الصدر وأن يسهل عليه أمره الذى هو خلافة الله فى أرضه ومايصحبها من مزاولة جلائل الخطوب وقدعلم ماعليه فرعون من الجبروت والتمرد والتسلط * وقال ابن جريج معناه وسع لى صدرى لأعى عنك ماتودعه من وحيك * وقال الكرمانى وسع قلبى ولينه لفهم خطابك وأداء رسالتك والقيام بما كلفتنيه من أعبائها والعقدة استعارة لثقل كان فى لسانه خلقة * وقال مجاهد كانت من الجمرة التى أدخلها فاه وكانت آسية قدألقى الله محبته فى قلبها وسألت فرعون أن لايذبحه فبيناهى ترقصه يوما أخذه فرعون فى حجره فأخذ خصلة من لحيته * وقيل لطمه * وقيل ضربه بقضيب كان فى يده فغضب فرعون فدعا بالسياف فقالت انما هو صبى لايفرق بين الياقوت والجمر فاحضرا وأراد أن يمديده الى الياقوت فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمرة فأخذها ووضعها فى فيه فاحترق لسانه انتهى واحراق النار وتأثيرها فى لسانه لافى يده دليل على فساد قول القائلين بالطبيعه وعن ابن عباس كانت فى لسانه رتة * وقيل حدثت العقدة بعد المناجاة حتى لا يكلم أحدا بعدها * وقال قطرب كانت فيه مسكة عن الكلام * وقال ابن عيسى العقدة كالتمتمة والفأفأة وطلب موسى من حل العقدة قدر مايفقه قوله قيل وبقى بعضها لقوله وأخى هارون هو أفصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين * وقيل زالت لقوله قدأوتيت سؤلك ياموسى وهو قول الحسن قيل وهو ضعيف لأنه لم يقل واحلل العقدة بل قال عقدة فاذا حل عقدة فقد آتاه الله سؤله * وقيل فى قوله ولا يكاد يبين ان معناه لايأتى ببيان وحجة وانما قال ذلك فرعون تمويها وقد خاطبه وقومه وكانوا يفهمون عنه فكيف يمكن نفى البيان أومقاربته * وقال الزمخشرى (فان قلت) لى فى قوله اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى ماجدواه والكلام بدونه مستتب (قلت) قدأبهم الكلام أولا فقال اشرح لى ويسرلى فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام فذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الايضاح الشارح لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل * وقال أيضا وفى تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى انتهى ويظهر ان من لسانى متعلق باحلل لان موضع الصفة لعقدة وكذا قال الحوفى وأجاز أبو البقاء الوجهين والوزير المعين لقائم بوزر الأمور أى بثقلها فوزير الملك يتحمل عنه أوزاره ومؤنه * وقيل من الوزر وهو الملجأ يلتجىء اليه الانسان * وقال الشاعر

من السباع الضوارى دونه وزر * والناس شرهم مادونه وزر

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * وما نرى بشرا لم يؤذهم بشر

فالملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره * وقال الأصمعى هو من المؤازرة وهى المعاونة والمساعدة والقياس أزير وكذا قال الزمخشرى قال وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء فى معنى مفاعل مجيأ صالحا كعشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت فيه وحمل الشئ على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى ان مؤازر وما يقع على وزن وزير انتهى ولاحاجة الى ادعاء قلب الهمزة واوا لان لنا اشتقاقا واضحا وهو الوزر وتقدمها فى [illegible]

ضمة ماقبل الواو وهو أيضا ابدال غير لازم وجوزوا أن يكون لى وزيرا مفعولين لاجعل وهارون بدل أو عطف بيان وأن يكون وزيرا وهارون مفعوليه وقدم الثانى اعتناء بأمر الوزارة وأخى بدل من هارون فى هذين الوجهين * قال الزمخشرى وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن انتهى ويبعد فيه عطف البيان لان الاكثر فى عطف البيان أن يكون الأول دونه فى الشهرة والامر هنا بالعكس وجوزوا أن يكون وزيرا من أهلى هما المفعولان ولى مثل قوله ولم يكن له كفوا أحد يعنون أنه به يتم المعنى * وهارون على ماتقدم وجوزوا أن ينتصب هارون بفعل محذوف أى اضمم الى هارون وهذا لاحاجة اليه لأن الكلام تام بدون هذا المحذوف * وقرأ الحسن وزيد بن على وابن عامر اشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها فعلا مضارعا مجزوما على جواب الأمر وعطف عليه وأشركه * وقال صاحب اللوامح عن الحسن أنه قرأ اشدد به مضارع شدد للتكثير والتكرير أى كلما حزننى أمر شددت به أزرى * وقرأ الجمهور اشدد وأشركه على معنى الدعاء فى شد الازر وتشريك هارون فى النبوة وكان الامر فى قراءة ابن عامر لايريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته لانه ليس لموسى أن يشرك فى النبوة أحدا وفى مصحف عبد الله أخى واشدد * وقال الزمخشرى ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون انتهى وهو خلاف الظاهر فلا يصار اليه لغير حاجة وكان هارون أكبر من موسى بأربعة أعوام وجعل موسى مارغب فيه وطلبه من نعم سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد فى أمر الله والتظافر على العبادة والتعاون فيها مشير للرغبة والتزيد من الخير * كى نسبحك ننزهك عما لايليق بك ونذكرك بالدعاء والثناء عليك وقدم التسبيح لانه تنزيهه تعالى فى ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص ومحل ذلك القلب والذكر والثناء على الله بصفات الكمال ومحله اللسان فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان وكثيرا نعت لمصدر محذوف أو منصوب على الحال أى نسبحك التسبيح فى حال كثرتهم على ماذهب اليه سيبويه انك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا والسؤل فعل بمعنى المسؤل كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والمعنى أعطيت طلبتك وماسألته من شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه ثم ذكره تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته ومرة معناه منة وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أى منة غير هذه المنة وليست أخرى هنا بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى وتخيل ذلك بعضهم فقال سماها أخرى وهى أولى لأنها أخرى فى الذكر والاخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخر بفتح الخاء وتأنيث الآخر بمعنى آخرة فهذه يلحظ فيها معنى التأخر والمعنى أنى قد حفظتك وأنت طفل رضيع فكيف لا أحفظك وقد أهلتك للرسالة وفى قوله مرة أخرى اجمال يفسره قوله إذ أوحينا الى أمك * قال الجمهور هى وحى الهام كقوله وأوحى ربك الى النحل * وقيل وحى اعلام اما باراءة ذلك فى منام واما ببعث ملك اليها لاعلى جهة النبوة كما بعث الى مريم وهذا هو الظاهر لظاهر قوله بأخذه عدو لى وعدو له ولظاهر آية القصص ماراد وه اليك وجاعلوه من المرسلين وبعد ماصدر به الزمخشرى قوله من يريد به اما أن يكون على لسان نبى فى وقتها كقوله وإذ أوحيت الى الحواريين لأنه لم ينقل انه كان فى زمن فرعون وكان فى زمن الحواريين زكريا ويحيى وفى قوله ما يوحى ابهام واجمال كقوله إذ يغشى السدرة مايغشى فغشيهم من اليم ماغشيهم وفيه تهويل وقد فسرها بقوله أن اقذفيه فى التابوت * قال الزمخشرى

وان هي المفسرة لأن الوحي بمعنى القول * وقال ابن عطية وأن في قوله أن اقذفيه بدل من مايعنى ان أن مصدرية فلذلك كان لها موضع من الاعراب والوجهان سائغان والظاهر ان التابوت كان من خشب * وقيل من بردى شجر مؤمن آل فرعون سدت خروقه وفرشت فيه نطعا * وقيل قطنا محلوجا وسدت فمه وجصصته وقيرته وألقته في اليم وهو اسم للبحر العذب * وقيل اسم للنيل خاصة والأول هو الصواب كقوله فأغرقناهم في اليم ولم يغرقوا في النيل والظاهر ان الضمير في فاقذفيه في اليم عائد على موسى وكذلك الضمير ان بعده إذ هو المحدث عنه لا التابوت انما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة * وقال ابن عطية والضمير الأول في اقذفيه عائد على موسى وفي الثاني عائد على التابوت ويجوز أن يعود على موسى * وقال الزمخشري والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم (فان قلت) المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل (قلت) ماضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو أم اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر انتهى ولقائل أن يقول ان الضمير اذا كان صالحا لأن يعود على الاقرب وعلى الابعد كان عوده على الاقرب راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده على التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث عنه أرجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا رددنا على أبي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم لكونه أقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بأن المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير وفليلقه أمر معناه الخبر وجاء بصيغة الامر مبالغة إذ الامر أقطع الافعال وأوجبها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصل لكم أخرج الخبر في صيغة الامر لنفسه مبالغة ومن حيث خرج الفعل مخرج الامر حسن جوابه كذلك وهو قوله يأخذه * وقال الزمخشري لما كانت مشيئة الله وارادته أن لا يخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كأنه ذو تمييز أمر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل انتهى * وقال الترمذي انما ذكره بلفظ الامر لسابق علمه بوقوع المخبر به على ما أخبر به فكأن البحر مأمور ممتثل للأمر * وقال الفراء فاقذفيه في اليم أمر وفيه معنى المجازاة أي اقذفيه يلقه اليم والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه * وروى أن فرعون كان يشرب في موضع من النيل إذ رأى التابوت فأمر به فسيق اليه وامرأته معه ففتح فرأوه فرحمته امرأته وطلبته لتتخذه ابنا فأباح لها ذلك * وروى أن التابوت جاء في الماء الى المسرعة التي كانت جوارى امرأة فرعون يستقين منها الماء فأخذن التابوت وجلبنه اليها فأخرجته وأعلمته فرعون والعدو الذي لله ولموسى هو فرعون وأخبرت به أم موسى على طريق الالهام ولذلك قالت لأخته قصيه وهي لا تدري أين استقر وألقيت عليك محبة مني * قيل محبة آسية وفرعون وكان فرعون قد أحبه حبا شديدا حتى لا يتمالك أن يصبر عنه * قال ابن عباس أحبه الله وحببه الى خلقه * وقال ابن عطية جعلت عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه * وقال قتادة كان في عينيه ملاحة ما رآه أحد الا أحبه * وقال ابن عطية وأقوى الأقوال انه القبول * وقال الزمخشري مني لا يخلو أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وأن يتعلق بمحذوف

(الدر)

(ح) راجحا وقد نص النحويون على هذا فعوده الى التابوت في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه اليم راجح والجواب انه اذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عوده على المحدث أرجح ولا يلتفت الى القرب ولهذا رددنا على أبي محمد بن حزم في دعواه ان الضمير في قوله فانه رجس عائد على خنزير لا على لحم لكونه أقرب مذكور فيحرم بذلك شحمه وغضروفه وعظمه وجلده بأن المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير

هو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قد ركزتها أنا فيها في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك * وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر لام كي وضم التاء ونصب الفعل أي ولتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به قال قريبا منه قتادة * وقال النحاس يقال صنعت الفرس اذا أحسنت اليه وهو معطوف على علة محذوف أي ليتلطف بك ولتصنع أو متعلقة بفعل متأخر تقديره فعلت ذلك * وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء * قال ثعلب معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني * وقرأ شيبة وأبو جعفر في رواية باسكان اللام والعين وضم التاء فعل أمر وعن أبي جعفر كذلك إلا أنه كسر اللام * اذ تمشي أختك قيل اسمها مريم سبب ذلك أن آسية عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجعلت تنادي عليه في المدينة ويطاف به ويعرض للمراضع فيأبى وبقيت أمه بعد قذفه في اليم مغمومة فأمرت أخته بالتفتيش في المدينة لعلها تقع على خبره فبصرت به في طوافها فقالت أنا أدلكم على من يكفله لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا أنت تعرفين هذا الصبي فقالت لا ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بأم موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت آسية وقالت لها كوني معي في القصر فقالت ما كنت لادع بيتي وولدي ولكنه يكون عندي قالت نعم فأحسنت الى أهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والنسب من الملكة ولما كمل رضاعه أرسلت آسية اليها أن جيئيني بولدي ليوم كذا وأمرت خدمها ومن لها أن يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو بخير حال وأجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه وليهبه فأعجبه وقربه فأخذ موسى بلحية فرعون وتقدم ما جرى له عند ذكر العقدة * والعامل في اذ قال ابن عطية فعل مضمر تقديره ومننا اذ * وقال الزمخشري العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا (فان قلت) كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان (قلت) كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها انتهى وليس كما ذكر لأن السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الطرفين فان كل واحد منهما ضيق ليس بمتسع لتخصيصهما بما أضيفا اليه فلا يمكن أن يقع الثاني في الطرف الذي وقع فيه الأول اذ الأول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الأخت فليس وقت وقوع الوحي مشتملا على أجزاء وقع في بعضها المشي بخلاف السنة * وقال الحوفي إذ متعلقة بتصنع ولك أن تنصب إذ بفعل مضمر تقديره واذكر * وقرأ الجمهور كي تقر بفتح التاء والقاف * وقرأت فرقة بكسر القاف وتقدم أنهما لغتان في قوله وقري عينا * وقرأ جناح بن حبيش بضم التاء وفتح القاف مبنيا للمفعول وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة واغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون حين هاجر بها الى مدين والغم ما يغم على القلب بسبب خوف أو فوات مقصود والغم بلغة قريش القتل وقيل من غم التابوت وقيل من غم البحر والظاهر أنه من غم القتل حين ذهبنا بك من مصر الى مدين والفتون مصدر جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن ولقيته محنة وما يشق على الانسان وعن ابن عباس خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام

(الدر)

(ش) العامل في اذ تمشي ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذ أوحينا فان قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها (ح) ليس كما ذكر لان السنة تقبل الاتساع فاذا وقع لقيهما فيها بخلاف هذين الطرفين فان كل واحد منهما ليس بمتسع لتخصيصهما بما أضيفا اليه فلا يمكن أن يقع الثاني في الطرف الذي وقع فيه الاول اذ الاول ليس متسعا لوقوع الوحي فيه ووقوع مشي الأخت فليس وقت وقوع الوحي مشتملا على أجزاء وقع في بعضها المشي بخلاف السنة

كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة انتهى وهذه الفتون اختبره بها وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم لها والسنون التي لبثها في مدين عشر سنين * وقال وهب ثمان وعشرون سنة منها مهر ابنته وبين مصر ومدين ثمان مراحل وفي الكلام حذف والتقدير وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين وكان عمره حين ذهب الى مدين اثنى عشر عاما وأقام عشرة أعوام في رعي غنم شعيب ثم ثمانية عشر عاما بعد بنائه بامرأته بنت شعيب وولد له فيها فكمل له أربعون سنة وهي المدة التي عادة الله ارسال الانبياء على رأسها * ثم جئت الى المكان الذي ناجيتك فيه وكلمتك واستنبأتك * على قدر أي وقت معين قدرته لم تتقدمه ولم تتأخر عنه * وقيل على مقدار من الزمان يوحى الى الأنبياء فيه وهو الأربعون * وقال الشاعر

نال الخلافة أو جاءت على قدر * كما أتى ربه موسى على قدر

* واصطنعتك لنفسي أي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاكمال والاحسان وأخلصتك بالألطاف واخترتك لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع وهو الاحسان الى الشخص حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان * وقال الزمخشري هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه الملوك بجميع خصال فيه وخصائص أهلا لأن يكون أقرب منزلة اليه وألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه انتهى ومعنى لنفسي أي لأوامري واقامة حججي وتبليغ رسالتي فحركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لأحد غيرك * اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا ياموسى إما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * الونى الفتور يقال ونى يني وهو فعل لازم واذا دخلت عليه ما النافية (?) وزعم بعض البغداديين أنه يأتي فعلا ناقصا من أخوات ما زال وبمعناها واختاره ابن مالك وأنشد

لا يني الخب شيمة الحب ما دام فلا تحسبنه ذا ارعواء

وقالوا امرأة أناة أي فاترة عن النهوض أبدلوا من واوها همزة على غير قياس * قال الشاعر

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ أمره الله أولا بالذهاب الى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه أشياء كان منها أن يشرك أخاه هرون فذكر الله تعالى انه آتاه سؤله وكان منه اشراك أخيه فأمره هنا وأخاه بالذهاب * وأخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بأنت وتقدم الكلام على نظيره في قوله فاذهب أنت وربك في المائدة وظاهر بآياتي الجمع فقيل هي العصا واليد وحل عقدة لسانه ﴿ولا تنيا﴾ أي لا تفترا ولا تقصرا والونى الفتور يقال ونى ينى ولما حذف من يذهب إليه في الأمر قبله نص عليه في هذا الأمر الثاني فقيل ﴿اذهبا الى فرعون﴾ أي بالرسالة ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله ﴿انه طغى﴾ أي مجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية والالوهية من دون الله ﴿فقولا له قولا لينا﴾ القول اللين هو مثل ما في سورة النازعات هل لك الى أن تزكى الآيات وهذا من لطيف الكلام اذ أبرز ذلك في صورة الاستفهام والعرض لما فيه من الفوز العظيم ﴿لعله يتذكر﴾ والترجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وقوله يتذكر أي يتذكر حالة نشأته صغيرا وأنه حدث بعد أن لم يكن موجودا ﴿أو يخشى﴾ عقاب الله في

دعواه الربوبية وفرط سبق ومنه الفارط السابق والمعنى اننا نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها أو أن يطغى في التخطى الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على سبيل الاطلاق والرمز باب من حسن الادب وتجاف عن التفوه بالعظيمة ﴿انني معكما﴾ المعية هنا بالنصرة والعون ﴿أسمع﴾ أقوالكم ﴿وأرى﴾ أفعالكم وقال ابن عباس أسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما وهما كناية عن العلم ﴿فأتياه﴾ كرر الامر بالاتيان ﴿فقولا انا رسولا ربك﴾ وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما أنه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية وأمرا بدعواته الى أن يبعث معهما بني اسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكاليف الاعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء وقد ذكر في هذه الآية دعاءه الى الايمان بجملة ما دعى ليه فرعون الايمان وارسال بني اسرائيل ثم ذكرا ما يدل على صدقهما في ارسالهما اليه فقالا ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ وتكرر أيضا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور والآية التي أحالا علها هي العصا واليد ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة المجيء بالآية اليهما وان كانت صادرة من أحدهما قد جئناك بآية من ربك جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية وانما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها وكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية ان كنت من الصادقين ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ مندرج متصل بقوله انا قد أوحي ليس فيكون ذلك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب وفيه تنبيه على أن فرعون ليس ممن اتبع الهدى ﴿إنا قد أوحي الينا﴾ الآية أوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله مصدر منسبك من ان وما بعدها تقديره أوحي الينا كينونة العذاب على من كذب

---

* فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر * شت الامر شتا وشتاتا تفرق وأمر شت متفرق وشتى فعلى من الشت وألفه للتأنيث جمع شتيت كمريض ومرضى ومعناه متفرقة وشتان اسم فاعل * سحت لغة الحجاز وأسحت لغة نجد وتميم وأصله استقصاء الحلق للشعر وقال الفرزدق وهو تميمي

وعض زمان يا ابن مروان لم يك * من المال إلا مسحت أو مجلف

ثم استعمل في الاهلاك والاذهاب * الخيبة عدم الظفر بالمطلوب * الصف موضع المجمع قاله أبو عبيدة وسمي المصلى الصف وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت ان آتي الصف أي المصلى وقد يكون مصدرا ويقال جاؤا صفا أي مصطفين * التخييل ابداء أمر لا حقيقة له ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم قال الشاعر

ألا يالقومي للخيال المشوق * وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى

وفيه تنبيه على أن فرعون ممن كذب وتولى ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ الآية بين قال ومن محذوف تقديره سمعت قولكما فمن ربكما وخاطبهما معا وأفرد موسى عليه السلام بالنداء إذ كان صاحب عظم الرسالة وهارون وزيره وتابعه واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله بالصفة التي لا شرك فيها لفرعون بوجه ولا مجاز والمعنى أعطى كل ما خلق خلقه وصورته على ما يناسبه من الاتقان ﴿ثم هدى﴾ أي يسر كل شئ لمنافعه ومرافقه فأعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يناسب الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منهما يطابق لما علق به من المنفعه غير ناب عنه قال الزمخشري والخلق المخلوق لان البطش والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للاعضاء ﴿قال فما بال القرون الاولى﴾ لما أجابه موسى عليه السلام بجواب مسكت ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل الى سؤال آخر وهو ما حال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به حيدة ولمغالطه قيل سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الامم السالفة ولم يكن عنده عليه السلام علم إذ التوراة إنما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال ﴿علمها عند ربي﴾ والكتاب هنا اللوح المحفوظ وقيل فيما كتبته الملائكة من أحوال البشر ﴿لا يضل ربي﴾ لكتاب

قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ أمره الله تعالى بالذهاب الى فرعون فلما دعا ربه وطلب منه أشياء كان فيها أن يشرك أخاه هارون فذكر الله أنه آتاه سؤله وكان منه اشراك أخيه فأمره هنا وأخاه بالذهاب وأخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب أنت وربك في سورة المائدة وقول بعض النحاة ان وربك مرفوع على اضمار فعل أي وليذهب ربك وذلك البحث جار هنا * وروى أن الله أوحى الى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى * وقيل سمع بمقدمه * وقيل ألهم ذلك وظاهر بآياتي الجمع * فقيل هي العصا واليد وعقدة لسانه * وقيل اليد والعصا وقد يطلق الجمع على المثنى وهما اللتان تقدم ذكرهما ولذلك لما قال فأت بآية ألقى العصا ونزع اليد وقال فذانك برهانان * وقيل العصا مشتملة على آيات انقلابها حيوانا ثم في أول الأمر كانت صغيرة ثم عظمت حتى صارت ثعبانا ثم ادخال موسى يده في فيها فلا تضره * وقيل ما أعطى من معجزة ووحي * ولا تنيا أي لا تضعفا ولا تقصرا * وقيل تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما ويجوز أن يراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا أن يطلق عليه اسم الذكر * وقرأ ابن وثاب ولا تنيا بكسر التاء اتباعا لحركة النون وفي مصحف عبد الله ولا تهنا أي ولا تلينا من قولهم هين لين ولما حذف من يذهب اليه في الأمر قبله نص عليه في هذا الامر الثاني * فقيل اذهبا الى فرعون أي بالرسالة وأبعد من ذهب الى أنهما أمرا بالذهاب أولا الى الناس وثانيا الى فرعون فكرر الامر بالذهاب لاختلاف المتعلق ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله إنه طغى أي تجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية والالهية من دون الله والقول اللين هو مثل ما في النازعات هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى وهذا من لطيف الكلام اذ ابرز ذلك في صورة الاستفهام والمشورة والعرض لما فيه من الفوز العظيم * وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته * وقيل لا تجبهاه بما يكره وألطفا له في القول لماله من حق تربية موسى * وقيل كنياه وهو ذو الكنى الاربع أبو مرة وأبو مصعب وأبو الوليد وأبو العباس * وقيل القول اللين لا اله الا الله وحده لا شريك له ولينها خفتها على اللسان * وقال الحسن هو قولهما ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا فآمن بالله يدخلك الجنة ويقك عذاب النار * وقيل أمرهما تعالى أن يقدما المواعيد على الوعيد كما قال الشاعر

أقدم بالوعد قبل الوعيد * لينهى القبائل جهالها

* وقيل حين عرض عليه موسى وهارون عليهما السلام ما عرض شاور آسية فقالت ما ينبغي لأحد أن يرد هذا فشاور هامان وكان لا يبت أمرا دون رأيه فقال له كنت أعتقد أنك ذو عقل تكون مالكا فتصير مملوكا وربا فتصير مربوبا فامتنع من قبول ما عرض عليه موسى والترجي بالنسبة لهما اذ هو مستحيل وقوعه من الله تعالى أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وفائدة ارسالهما مع علمه تعالى انه لا يؤمن اقامة الحجة عليه وازالة

المعذرة كما قال تعالى ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله الآية * وقيل القول اللين ما حكاه الله هنا وهو فأتياه فقولا انا رسولا ربك الى قوله والسلام على من اتبع الهدى * وقال أبو معاذ فقولا لينا * وقال الفراء لعل هنا بمعنى كى أى كى يتذكر أو يخشى كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرك أى كى تأخذ أجرك * وقيل لعل هنا استفهام أى هل يتذكر أو يخشى والصحيح انها على بابها من الترجى وذلك بالنسبة الى البشر وفى قوله لعله يتذكر أو يخشى دلالة على انه لم يكن شاكا فى الله * وقيل يتذكر حاله حين احتبس النيل فسار الى شاطئه وأبعد وخر ساجدا لله راغبا ان لا يعجله ثم ركب فأخذ النيل ينبع حافر فرسه فرجا ان يتذكر حلم الله وكرمه وان يحذر من عذاب الله * وقال الزمخشرى اى يتذكر و يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق أو يخشى ان يكون الامر كما يصفان فيجره انكاره الى الهلكة * فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الوارده وفرس فرط يسبق الخيل انتهى * وقال الشاعر

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تقدم فارط الوراد

وفى الحديث انا فرطكم على الحوض أى متقدمكم وسابقكم والمعنى اننا نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها * وقرأ يحيى وأبو نوفل وابن محيصن فى روايته ان يفرط مبنيا للمفعول أى يسبق فى العقوبة ويسرع بها ويحور ان يكون من الافراط ومجاوزة الحد فى العقوبة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعذاب من شيطان أو من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين قال الله فيهم قال الملأ من قوم فرعون وقال الملأ من قومه * وقرأت فرقة والزعفرانى عن ابن محيصن يفرط بضم الياء وكسر الراء من الافراط فى الاذيه أو ان يطغى فى التخطى الى ان يقول فيك مالا ينبغى لجرأته عليك وقسوة قلبه وفى المجىء به هكذا على سبيل الاطلاق والرمز باب من حسن الادب والتحاشى عن التفوه بالعظيمه والمعيه هنا بالنصره والعون أسمع أقوالكما وأرى أفعالكما * وقال ابن عباس اسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما وهما كنايه عن العلم * فأتياه كرر الامر بالاتيان فقولا انا رسولا ربك وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له واعلاما انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعى الربوبية . وأمراه بدعوته الى ان يبعث معهما بنى اسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكليف الاعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء وقد ذكر فى غير هذه الآيه دعاؤه الى الايمان فجمع له مادعى اليه فرعون الايمان وارسال بنى اسرائيل ثم ذكر ما يدل على صدقهما فى ارسالهما اليه فقالا قد جئناك بآية من ربك وتكرر انا قولهما من ربك على سبيل التوكيد بأنه مربوب مقهور والآية التى أحالا عليها هى العصا واليد ولما كانا مشتركين فى الرساله صح نسبة المجىء بالآية اليهما وان كانت صادرة من أحدهما * وقال الزمخشرى قد جئناك بآية من [illegible] جملة [illegible] انا رسولا ربك تجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرساله [illegible] ببينتها [illegible] بالآية [illegible] ومعه آيتان لان المراد فى هذا الموضع [illegible] الدعوى ببرهانها [illegible] وحجة على ما ادعيناه من الرساله وكذلك قد جئتكم [illegible] من ربكم [illegible] من الصادقين أولو جئتك بشئ مبين * وقيل [illegible] وقيل [illegible] انا رسولا ربك والظاهر ان قوله والسلام على من تبع الهدى [illegible] تحية [illegible] على العادة فى التسليم عند الفراغ

من القول فسلاما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم * وقيل هو مدرج متصل بقوله انا قد أوحي الينا فيكون اذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب * وقيل على بمعنى اللام أي والسلامة لمن اتبع الهدى * وقال الزمخشري وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى وهو تفسير غريب وقد يقال السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى وبني أوحي لما لم يسم فاعله ولم يذكر الموحي لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحي ما لا يليق به والمعنى على من كذب الانبياء وتولى عن الايمان * وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لان المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله ان يقولاه قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى * قال ابن عطية اذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات * وقال الزمخشري لانه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين انتهى وأسند موسى عليه السلام جواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا مع أعمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا تشرك لفرعون فيها ولا توجه مجار * قال الزمخشري ولله دره هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق انتهى والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الانقان لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا * وقال الشاعر

وله في كل شيء خلقه * وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل * وقال الضحاك خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له ثم هدى أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه فأعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوفق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه * قال القشيري والخلق المخلوق لان البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله الأعضاء وعلى هذا مفعول أعطى الأول كل شيء والثاني خلقه وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو ان المعنى أعطى كل شيء مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة والمراد منهما غير جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الالفة والاجتماع به والمناكحة * وقال الحسن وقتادة أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه * وقيل كل شيء هو المفعول الثاني لأعطى وخلقه المفعول الاول أي أعطى خلقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به * وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو نهيك وابن أبي اسحق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شيء أو لشيء ومفعول أعطى الثاني حذف اقتصارا أي كل شيء خلقه لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه وقيل حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه أي أعطى كل شيء خلقه ما يحتاج اليه وقد ورد عن عصمة كذا برمصححه قال ها قال الفرون لأولى لما أحسن موسى بجواب سكت وعجز فرعون عن معارضة فيه سمى

الى سؤال آخر وهو ماحال من هلك من القرون وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به والحيدة والمغالطة * قيل سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الأمم السالفة ولم يكن عنده عليه السلام علم بالتوراة انما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال علمها عند ربي * وقيل مراده من السؤال عنها لم عبدت الأصنام ولم تعبد الله ان كان الحق ماوصفت * وقيل مراده مالها لاتبعث ولاتحاسب ولاتجازى فقال علمها عند ربي فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لايعلمه الا هو * وقال النقاش انما سأل لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الآية فرد علم ذلك الى الله لانه لم يكن نزلت عليه التوراة * وقيل لما قال انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فرعون فما بال القرون الاولى فانها كذبت ثم انهم ماعذبوا * وقيل لما قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على اثبات الصانع قال فرعون ان كان ماذكرت في غاية الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها فعارض الحجة النقلية و يجوز أن يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شئ وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ماتقول في سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم و بأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولايجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أى لايضل كما تضل أنت ولاينسى كما تنسى يامدعى الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشرى * والظاهر عود الضمير في علمها الى القرون الاولى أى مكتوب عند ربي في اللوح المحفوظ لايجوز عليه أن يخطئ شيئا أو ينساه يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه وضللته لغتان فلم يهتد اليه كقولك ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضللته الا اذا ضاع منك كالدابة اذا انفلتت وشبهها قاله الفراء * وقال الزجاج ضللته أضله اذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو وأضللته والكتاب هنا اللوح المحفوظ * وقيل في كتاب فيما كتبته الملائكة من أحوال البشر * وقيل الضمير في علمها عائد على القيامة لانه سأله عن بعث الامم * وقال السدى لايضل لايغفل * وقال ابن عيسى لايضل لايذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف وفى الحيوان أضل بعيره بالالف * وقيل التقدير لايضل ربى الكتاب ولا ينسى مافيه قاله مقاتل * وقال القفال لايضل عن معرفة الاشياء فيحيط بكل المعلومات ولاينسى اشارة الى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لايتغير * وقال الحسن لايخطئ وقت البعث ولاينساه * وقال مجاهد معنى الجملتين واحد وهو اشارة الى انه لايعرض في علمه مايغيره * وقال ابن جرير لايخطئ في التدبير فيعتقد في غير الصواب صوابا واذا عرفه لاينساه * وقال أبو عبد الله الرازى علم الله صفة قائمة به ولا تكون حاصلة في الكتاب لان ذلك لايعقل فالمعنى ان بقاء تلك المعلومات في علمه كبقاء المكتوب في الكتاب فالغرض التوكيد بأن أسرارها معلومة له لايزول شئ منها و بتأكد هذا بقوله لايضل ربى ولاينسى أو المعنى انه أثبت تلك الاحكام في كتاب عنده يظهر للملائكة زيادة لهم في الاستدلال على انه عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة انتهى وفيه بعض تلخيص * وقرأ الحسن وقتادة والجحدرى وحماد بن سلمة و ابن محيصن وعيسى الثقفى لايضل بضم الياء أى لايضل الله ذلك الكتاب فيضيع ولا ينسى ما أثبته فيه * وقرأ السلمى لايضل ربى ولا ينسى مبنيتين للمفعول والظاهر ان الجملتين استئناف واخبار عنه تعالى بانتفاء هاتين الصفتين عنه * وقيل هما في موضع وصف لقوله في كتاب والضمير

﴿الذي جعل لكم الارض مهدا﴾ الآية لما ذكر موسى عليه السلام دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى ما نبه به على قدرته ووحدانيته فأخبر عن نفسه بأنه هو الذي صنع كيت وكيت والذي ذهبنا اليه أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى فأخرجنا به وقوله كلوا وارعوا أنعامكم وقوله ولقد أريناه فيكون قوله فأخرجنا وأريناه التفاتا من ضمير الغائب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قائلين وقرئ مهدا ومهادا ومعنى سبلا أي طرقا وأزواجا أصنافا وشتى صفة للازواج والالف فيها للتأنيث ووزنها فعلى ومن نبات صفة لقوله أزواجا يتعلق بمحذوف تقديره كائنة من أنبات وتأخر جعل الاسم صفة على المجرور والذي هو صفة هي اعاة لكون شتى فاصلة ومعنى شتى مختلفة الطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أمر إباحة معمول لحال محذوفة أي فاخرجنا قائلين أي آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن يأكلوا بعضها ويعلفوا بعضها عدى ارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا تقول رعيت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا سامها وسرحها وأراحها وأشار بقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ للآيات السابقة من جعل الارض مهدا وسلك سبلها وانزال الماء واخراج النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لانه ينهى عن القبائح والضمير في منها عائد على الارض وأراد خلق أصلهم آدم عليه السلام وقيل من الأغذية التي تتولد من الأرض فيكون ذلك تنبيها على ما تولدت منه الاخلاط المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز الحذف ﴿وفيها نعيدكم﴾ أي بالدفن فيها ﴿ومنها نخرجكم﴾ أي بالبعث تارة أي مرة أخرى نؤلف أجزاءهم المتفرقة ونردهم كما كانوا أحياء وقوله أخرى أي اخراجة أخرى لان معنى قوله منها خلقناكم (٢٤٩) أخرجناكم ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ هو اخبار من الله لمحمد عليه السلام وهذا يدل على أن قوله فأخرجنا انما هو خطاب له صلى الله عليه وسلم وأريناه آياتنا هي المنقولة من رأى البصرية ولذلك تعدت الى اثنين بهمزة النقل وآياتنا ليس عاما اذ لم يره تعالى جميع الآيات وانما المعنى آياتنا التي رآها

لعائد على الموصوف محذوف أي لا يضله ربي ولا ينساه والظاهر ان الضمير في ولا ينسى عائد على الله * وقيل يحتمل أن يعود على كتاب أي لا يدع شيئا فالنسيان استعارة كما قال الا أحصاها فأسند الاحصاء اليه من حيث الحصر فيه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ﴿الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾

 فصارت الاضافة تفيد ما يفيده الالف واللام من العهد وهي تسع آيات أي العصا واليد والطمسة وغير ذلك مما رآه فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة فكذب بها جميعا وأبى أن يقبل أو شيئا منها وفي قوله ﴿أجئتنا لتخرجنا﴾ وهن ظهر منه كثير واضطراب لما جاء به موسى عليه السلام اذ علم أنه على الحق وأنه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجيء وهي اخراجهم والقاها في مسامع قومه ليصيروا مبغضين له اذ الاخراج من الموطن مما يشق وجعله الله مساويا للقتل في قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم وقوله ﴿بسحرك﴾ تعلل وتحير لأنه لا يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر وأورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وأن المعجز انما هو من السحر يكون المعجز مما يتعدد معارضته فقال ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ ويدل على أن أمر موسى عليه السلام قد قوي وكثرت منعته من بني اسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس اذ هي مقالة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع بأمر نفسه وأرضهم هي أرض مصر وخطبه بقوله بسحرك لأن الكلام كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلنأتينك جواب لقسم محذوف أوهم الناس أن ما جاء به موسى عليه السلام انما هو من باب السحر وأن عنده من يقاومه في ذلك فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر أن موعدا هنا هو زمان أي فعين لنا وقت اجتماع ولذلك أجاب بقوله موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه أي لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقوله ولا أنت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ﴿سوى﴾ صفة لقوله مكانا وقرئ سوى بكسر السين وضمها وكون فعل صفة قليل قالوا منزل زيم أي متفرق أهله وفعل صفة كثير نحو حطم ولبد والظاهر أن قوله موعدا يراد به زمان الوعد ولذلك أجاب بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر أن مع الفعل تأول بالمصدر في موضع جر تقديره يوم الزينة وحشر الناس

...كان عيدا لهم ويوما مشهودا عندهم وصادف يوم عاشوراء وكان يوم السبت قال الزمخشري * فان قلت فبم ينتصب مكانا * قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر * فان قلت كيف يطابقه الجواب * قلت أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه انتهى قوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز لانه قد وصف قبل العمل بقوله لانخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله ضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وهو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لأنه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم تدع أن بكرا معرفة وان كنا نعلم أنه من يوم بعينه وانتصب مكانا باضمار فعل تقديره عدنا مكانا سوى ﴿فتولى فرعون﴾ أي معرضا عن قبول الحق ﴿فجمع كيده﴾ أي ذوي كيده وهم السحرة وكانوا اعصابة لم يخلق الله أسحر منهم ثم أتى الموعد الذي كانوا تواعدوه وأتى موسى عليه السلام بمن معه من بني اسرائيل ﴿قال لهم موسى﴾ الآية وتقدم تفسير ويل في البقرة خاطبهم خطاب محذور ندبهم الى قول الحق اذا رأوه والايباهتوه بكذب فيسحتكم أي يهلككم ويستأصلكم وفيه دلالة على عظم الافتراء وأنه يترتب عليه هلاك الاستئصال ثم ذكر أنه لا يظفر بالبغية ولا ينجح وطلبه من افترى على الله الكذب ﴿فيسحتكم﴾ منصوب باضمار أن بعد الفاء وهو جواب للنهي في قوله ولا تفتروا وقرئ فيسحتكم من أسحت ويسحتكم من (٢٥٠) سحت ﴿فتنازعوا أمرهم﴾ أي تجاذبوه والتنازع يقتضي الاختلاف واسرارهم النجوى خيفة من فرعون أن يتبين فيهم ضعفا لأنهم لم يكونوا مصممين على غلبة موسى عليه السلام بل كان ظنا من بعضهم وقال ابن عباس

فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى * ولما ذكر موسى دلالته على ربوبية الله تعالى وتم كلامه عند قوله ولا ينسى ذكر تعالى ما نبه به على قدرته تعالى ووحدانيته فأخبر عن نفسه بأنه تعالى هو الذي صنع كيت وكيت واما ذهبنا الى أن هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى فأخرجنا

ان نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه * وأمرهم مفعول بتنازعوا فتعدى لمفعول واحد وقال الشاعر *

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولو حذفت الباء لتعدى الفعل الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث ﴿قالوا ان هذان﴾ قرئ هذين بالياء وهو اسم ان وقرئ بالالف وهي لغة لطوائف من العرب بني الحرث بن كعب وبعض كنانة وخثعم وزبيد وبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة يجعلون المثنى بالالف رفعا ونصبا وجرا وقال شاعرهم في النصب أعرف منها الانف والعينانا وقال في الجر فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مضيا لناباه الشجاع لصمما يريد لنابيه وقرئ ان هذان بتخفيف ان وهي المخففة من الثقيلة وهذان مبتدأ ولساحران الخبر واللام هي الفارقة بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة وقوله يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما نبعوا فيه مقاله فرعون في قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ونسبوا السحر أيضا لهرون لما كان مشتركا معه في الرسالة وسالكا طريقته وعلقوا الحكم على الظاهر عندهم وأرضكم هي أرض مصر وصفوهما بالسحر تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك والظاهر أن الضمير في قالوا عائد على السحرة خاطب بعضهم بعضا * والمثلى تأنيث الامثل أي الفضلى الحسنى وقرئ فجمعوا بهمزة الوصل من جمع وفأجمعوا بقطع الهمزة من أجمع وتقدم الكلام على هذا في يونس والظاهر أنه من كلام السحرة بعضهم لبعض وانتصب صفا على الحال أي مصطفين ﴿وقد أفلح اليوم﴾ أي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في أمره وسعى سعيه واختلفوا في عدد السحرة اختلافا كثيرا فأقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصي وحبال وأكثره ما قيل انهم كانوا تسعمائة ألف ساحر

وقوله كلوا وارعوا أنعامكم وقوله ولقد أريناه فيكون قوله فأخرجنا وأريناه التفاتا من الضمير الغائب في جعل وسلك الى ضمير المتكلم المعظم نفسه ولا يكون الالتفات من قائلين وأبعد من ذهب الى أن الذى نعت لقوله ربي فيكون في موضع رفع أو يكون في موضع نصب على المدح وقالها الحوفي والزمخشري لكونه كان يكون كلام موسى فلا يأتي الالتفات في قوله فأخرجنا ولقد أريناه * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون فأخرجنا من كلام موسى حكاية عن الله تعالى على تقدير يقول عز وجل فأخرجنا ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم وصل الله كلام موسى باخباره لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب في لكم الخلق أجمع نبههم على هذه الآيات * وقرأ الأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وعاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم واسكان الهاء وباقي السبعة مهادا وكذا في الزخرف فقال المفضل مصدران مهد مهدا ومهادا * وقال أبو عبيد مهاد اسم ومهد الفعل يعني المصدر * وقال آخر مهد امفرد ومهاد جمعه ومعنى ذلك أنه تعالى جعلها لهم يتصرفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم ونهج لكم فيها طرقا المقاصدكم حتى لا تتعذر عليكم مصالحكم والضمير في به عائد على الماء أي بسببه * أزواجا أي أصنافا وهذا الالتفات في أخرجنا كهو في قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ وفي هذا الالتفات تخصيص أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد والأجود أن يكون شتى في موضع نصب نعتا لقوله أزواجا لأنها المحدث عنها * وقال الزمخشري يجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وجل ان أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله كلوا وارعوا أنعامكم أمر اباحة معمول لحال محذوفة أي فأخرجنا قائلين أي آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها تعدى هنا وارعوا ورعى يكون لازما ومتعديا تقول رعت الدابة رعيا ورعاها صاحبها رعاية اذا سامها وسرحها وأراحها قاله الزجاج وأشار بقوله ان في ذلك للآيات السابقة من جعل الأرض مهدا وسلك سبلها وانزال الماء واخراج النبات وقالوا النهى جمع نهية وهو العقل سمي بذلك لانه ينهى عن القبائح وأجاز أبو علي أن يكون مصدرا كالهدى والضمير في منها يعود على الارض وأراد خلق أصلهم آدم * وقيل ينطلق الملك الى تربة المكان الذي يدفن فيه من يخلق فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا قاله عطاء الخراساني * وقيل من الاغذية التي تتولد من الارض فيكون ذلك تنبيها على ما تولدت منها الاخلاط المتولد منها الانسان فهو من باب مجاز المجاز وفيها نعيدكم أي بالدفن فيها أو بالتمزيق عليها ومنها نخرجكم تارة بالبعث تارة أخرى يؤلف أجزاءهم المتفرقة ويردهم كما كانوا أحياء وقوله أخرى أي اخراجة أخرى لان معنى قوله منها خلقناكم أخرجناكم ولقد أريناه آياتنا كلها هذا اخبار من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن قوله فأخرجنا انما هو خطاب له عليه السلام وأريناه آياتنا أي بصرناه [illegible] بهرة العقل وآياتنا ليس عاما لانه لم يره تعالى جميع الآيات وانما المعنى آياتنا التي أريناه فكلها لاستغراق تفيد ما تفيده الالف واللام من العهد والتأويل أي العصا واليد وغيرهما [illegible] للتوكيد

بالنسبة لهذه الآيات المعهودة * وقيل المعنى آيات بكمالها وأضاف الآيات اليه على حسب التشريف كأنه قال آيات لنا * وقيل يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه و بين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وأبى أن يقبل شيأ منها انتهى وقاله الزمخشري وفيه بعد لان الاخبار بالشئ لا يسمى رؤية الا بمجاز بعيد *وقيل أريناه هنا من رؤية القلب لا من رؤية العين لانه ما كان أراه في ذلك الوقت الا العصا واليد البيضاء أي ولقد أعلمناه آياتنا كلها وهي الآيات التسع * قيل و يجوز أن يكون أراد بالآيات آيات توحيده التي أظهرها لنا في ملكوت السموات والارض فيكون من رؤية العين * وقال ابن عطية وأبى يقتضي كسب فرعون وهذا الذي يتعلق به الثواب والعقاب ومتعلق التكذيب محذوف فالظاهر انه الآيات واحتمل أن يكون التقدير فكذب موسى وأبى أن يقبل ما ألقاه اليه من رسالته * قيل و يجوز أن يكون أراد وكذب انها من آيات الله وقال من سحر ولهذا قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى و يبعد هذا القول قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وقوله و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فيظهر أنه كذب لظلمه لا انه التبس عليه أنها آيات سحر وفي قوله أجئتنا لتخرجنا وهن ظهر منه كثير واضطراب لما جاء به موسى اذ علم أنه على الحق وأنه غالبه على ملكه لا محالة وذكر علة المجيء وهي اخراجهم وألقاها في مسامع قومه ليصيروا مبغضين له جدا اذ الاخراج من الموطن مما يشق و جعله الله مساويا للقتل في قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم وقوله بسحرك تعلل وتحير لانه لا يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه و يغلبه على ملكه بالسحر وأورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة وأن المعجز انما يتميز عن السحر بكون المعجز مما تتعذر معارضته فقال فلنأتينك بسحر مثله و يدل على أن أمر موسى عليه السلام كان قد قوي وكثر منعته من بني اسرائيل ووقع أمره في نفوس الناس ادهى مقالة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع بأمر نفسه وأرضهم هي أرض مصر وخاطبه بقوله بسحرك لان الكلام كان معه والعصا واليد انما ظهرتا من قبله فلنأتينك جواب لقسم محذوف أوهم الناس أن ما جاء به موسى انما هو من باب السحر وأن عنده من يقاومه في ذلك فطلب ضرب موعد للمناظرة بالسحر والظاهر ان موعدا هنا هو زمان أي فعين لنا وقت اجتماع ولذلك أجاب بقوله قال موعدكم يوم الزينة ومعنى لا نخلفه أي لا نخلف ذلك الوقت في الاجتماع فيه وقدره بعضهم مكانا معلوما و ينبو عنه قوله موعدكم يوم الزينة * وقال القشيري الاظهر انه مصدر ولذلك قال لا نخلفه أي ذلك الموعد والاخلاف أن يعد شيأ ولا ينجزه * وقال الزمخشري ان جعلته زمانا نظرا في قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيآن أن تجعل الزمان مخلفا وأن يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك أيضا أن يقع الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد و يقدر مضاف محذوف أي مكان موعد و يجعل الضمير في نخلفه ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) كيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهرا باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا أيضا

من طريق المعنى و يجوز أن لا يقدر مضاف محذوف و يكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه (فان قلت) فبم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) كيف يطابقه الجواب (قلت) أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة و يجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه هو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الألف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم الجمعة بكرا لم تدع ان بكرا معرفة وان كنا نعلم انه من يوم بعينه * وقرأ أبو جعفر وشيبة لا نخلفه بجزم الفاء على انه جواب الأمر * وقرأ الجمهور برفعها صفة لموعد * وقال الحوفي موعدا مفعول اجعل مكانا ظرف العامل فيه اجعل * وقال أبو علي موعدا مفعول أول لاجعل ومكانا مفعول ثان ومنع أن يكون مكانا معمولا لقوله موعدا لانه قد وصف * قال ابن عطية وهذه الأسماء العاملة عمل الفعل اذا نعتت أو عطف عليها أو أخبر عنها أو صغرت أو جمعت وتوغلت في الأسماء كمثل هذا لم تعمل ولا يعلق بها شئ هو منها وقد يتوسع في الظروف فيعلق بعد ما ذكرنا لقوله عز وجل ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فقوله اذ متعلق بقوله لمقت وهو قد أخبر عنه وانما جاز هذا في الظروف خاصة ومنع قوم أن يكون مكانا نصبا على المفعول الثاني لنخلفه وجوزه جماعة من النحاة ووجهه أن يتسع في أن يخلف الموعد انتهى وقوله اذا نعتت هذا ليس مجمعا عليه في كل عامل عمل الفعل ألا ترى اسم الفاعل العاري عن أل اذا وصف قبل العمل في اعماله خلاف البصريون يمنعون والكوفيون يجوزون وكذلك أيضا اذا صغر في اعماله خلاف واما اذا جمع فلا يعلم خلاف في جواز اعماله وأما المصدر اذا جمع ففي جواز اعماله خلاف وأما استثناؤه من المعمولات الظروف فغيره يذهب الى منع ذلك مطلقا في المصدر و ينصب اذ بفعل يقدر بما قبله أي مقتكم اذ تدعون * ولا أنت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بقوله نحن * وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم و يعقوب والحسن وقتادة وطلحة والأعمش وابن أبي ليلى وأبو حاتم وابن جرير سوى بضم السين منونا في الوصل * وقرأ باقي السبعة بكسرها منونا في الوصل * وقرأ الحسن أيضا سوى بضم السين من غير تنوين في الحالين أجرى الوصل مجرى الوقف لأنه منعه الصرف لان فعلا من الصفات متصرف كحطم ولبد * وقرأ عيسى سوى بكسر السين من غير تنوين في الحالين أجرى الوصل أيضا مجرى الوقف ومعنى سوى أي عدلا ونصفة * قال أبو علي كأنه قال قربه منكم قربه منا * وقال غيره انما أراد ان حالنا فيه مستوية فيعم ذلك القرآن وأن تكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق لا نعترضكم فيه الرئاسة وانما نقصد الحجة وعن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها وهذا معنى متقدم من قول أبي علي قربه منكم قربه منا * وقال الأخفش سوى مقصور ان كسرت سينه أو ضممت وممدود ان فتحتها ثلاث لغات و يكون فيها جميعا بمعنى غير و بمعنى عدل ووسط بين الفريقين * وقال الشاعر

وان أبانا كان حل بأهله سوى * بين قيس قيس عيلان و نعزر

قال ونقول مررت برجل سواك وسوك وسوائك أي غيرك و يكون للجميع وأعلى هذه اللغات

(ش) فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر فان قلت كيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه قد وصف قبل العمل بقوله لا نخلفه وهو موصول والمصدر اذا وصف قبل العمل لم يجز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه (ح) قوله ان مكانا ينتصب بالمصدر ليس بجائز أن يعمل عندهم وقوله وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه هو وان كان ضحى ذلك اليوم بعينه ليس على نية التعريف بل هو نكرة وان كان من يوم بعينه لانه ليس معدولا عن الالف واللام كسحر ولا هو معرف بالاضافة ولو قلت جئت يوم جمعة بكرا لم تدع أن بكرا معرفة وان كنا نعلم انه من يوم بعينه

الكسر قاله النحاس * وقالت فرقة معنى مكانا سوى مستو يا من الارض أى لا وعر فيه ولا جبل
ولا أكمة ولا مطمئن من الارض بحيث يسير ناظر أحد فلا يرى مكان موسى والسحرة ومايصدر عنهما
قال ذلك وانقامن غلبة السحرة لموسى فاذا شاهدوا غلبهم اياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه
* وقالت فرقة معناه مكانا سوى مكاننا هذا وليس بشئ لان سوى اذا كانت بمعنى غير لا تستعمل
الاضافة لفظا ولا تقطع عن الاضافة * وقرأ الحسن والأعمش وعاصم فى رواية وأبو حيوة وابن أبى
عبلة وقتادة والجحدرى وهبيرة والزعفرانى يوم الزينة بنصب الميم وتقدم تخريج هذه القراءة فى
كلام الزمخشرى وروى ان يوم الزينة كان عيدا لهم ويوما مشهودا وصادف يوم عاشوراء وكان
يوم سبت * وقيل هو يوم كسر الخليج الباقى الى اليوم * وقيل يوم النيروز وكان رأس سنتهم
* وقيل يوم السبت فانه يوم راحة ودعة * وقيل يوم سوق لهم * وقيل يوم عاشوراء * وقرأ ابن
مسعود والجحدرى وأبو عمران الجونى وأبو نهيك وعمرو بن فايد وأن تحشر بتاء الخطاب أى يا
فرعون وروى عنهم بالياء على الغيبة والناس نصب فى كلتا القراءتين * قال صاحب اللوامح وأن
يحشر الحاشر الناس ضحى فحذف الفاعل للعلم به انتهى وحذف الفاعل فى مثل هذا لا يجوز عند
البصريين * وقال غيره وأن يحشر القوم قال ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التى تخاطب بها الملوك أو خاطب القوم لقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون
ويجوز أن يكون وأن يحشر فى موضع رفع عطفا على يوم الزينة وأن يكون فى موضع جر عطفا على
الزينة وانتصب ضحى على الظرف وهو ارتفاع النهار ويؤنث ويذكر والضحاء بفتح الضاد
ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وانما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله
وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة
من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو
وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر والظاهر أن قوله قال موعدكم يوم الزينة من كلام
موسى عليه السلام لأنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا ولان تعيين اليوم انما
يليق بالمحق الذى يعرف اليد له لا المبطل الذى يعرف انه ليس معه الا التلبيس ولقوله موعدكم وهو
خطاب للجميع وأبعد من ذهب الى انه من كلام فرعون فتولى فرعون أى معرضا عن قبول الحق
أو تولى ذلك الامر بنفسه أو فرجع الى أهله لاستعداد مكايده أو أدبر على عادة المتواعدين أن يولى كل
واحد منهما صاحبه ظهره اذا افترقا * أقوال فجمع كيده أى ذوى كيده وهم السحرة وكانوا عصابة
لم يخلق الله أسحر منها ثم أتى للموعد الذى كانوا تواعدوه وأتى موسى أيضا بمن معه من بنى
اسرائيل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وتقدم تفسير ويل فى سورة البقرة
خاطبهم خطاب محذر وندبهم الى قول الحق اذا رأوه وأن لا يباهتوا بكذب وعن وهب
لما قال للسحرة ويلكم فلوا ما هذا بقول ساحر * فيسحتكم يهلككم ويستأصلكم وفيه دلالة على
عظم الافتراء وانه يترتب عليه هلاك الاستئصال ثم ذكر انه لا يظفر بالبغية ولا ينجح طلبه من افترى
على الله الكذب ولما سمع السحرة منه هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت فى نفوسهم مهابته فتنازعوا
أمرهم أى تجاذبوه والتنازع يقتضى الاختلاف * وقرأ حمزة والكسائى وحفص والاعمش
وطلحة وابن جرير فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء من أسحت رباعيا * وقرأ باقى السبعة ورويس
وابن عباس بفتحهما من سحت ثلاثيا واسروا النجوى خيفة من فرعون أن يتبين فيهم ضعفا لأنهم

لم يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان ظنا من بعضهم وعن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر * وقال الزمخشري والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس من اتباعهما انتهى * وحكى ابن عطية قريبا من هذا القول عن فرقة قالوا انما كان تناجيهم بالآية التي بعدها ان هذان لساحران والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثم تنازع * وقرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والاعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وأبو حاتم وابن عيسى الاصبهاني وابن جرير وابن جبير الانطاكي والاخوان والصاحبان من السبعة ان بتشديد النون هذان بألف ونون خفيفة لساحران واختلف في تخريج هذه القراءة * فقال القدماء من النحاة انه على حذف ضمير الشأن والتقدير انه هذان لساحران وخبر ان الجملة من قوله هذان لساحران واللام في لساحران داخلة على خبر المبتدأ وضعف هذا القول بأن حذف هذا الضمير لا يجيء الا في الشعر وبأن دخول اللام في الخبر شاذ * وقال الزجاج اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير لهما ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف واستحسن هذا القول شيخه أبو العباس المبرد والقاضي اسماعيل بن اسحاق بن حماد بن زيد * وقيل ها ضمير القصة وليس محذوفا وكان يناسب على هذا أن تكون متصلة في الخط فكانت كتابتها انها هذان لساحران وضعف ذلك من جهة مخالفته خط المصحف * وقيل ان بمعنى نعم وثبت ذلك في اللغة فتحمل الآية عليه وهذان لساحران مبتدأ وخبر واللام في لساحران على ذينك التقديرين في هذا التخريج والتخريج الذي قبله والى هذا ذهب المبرد واسماعيل بن اسحاق وأبو الحسن الاخفش الصغير والذي نختاره في تخريج هذه القراءة انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالالف دائما وهي لغة لكنانة حكى ذلك أبو الخطاب ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائي ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة * وقال أبو زيد سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا * وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهري وابن محيصن وحميد وابن سعدان وحفص وابن كثير ان بتخفيف النون هذا بالألف وشدد نون هذان ابن كثير وتخريج هذه القراءة واضح وهو على ان ان هي المخففة من الثقيلة وهذان مبتدأ ولساحران الخبر واللام للفرق بين ان النافية وان المخففة من الثقيلة على رأي البصريين والكوفيين يزعمون أن ان نافية واللام بمعنى الا * وقرأت فرقة ان ذان لساحران وتخريجها كتخريج القراءة التي قبلها وقرأت عائشة والحسن والنخعي والجحدري والاعمش وابن جبير وابن عبيد وأبو عمرو ان هذين بتشديد نون ان وبالياء في هذين بدل الألف واعراب هذا واضح إذ جاء على المهيع المعروف في التثنية لقوله فذانك برهانان احدى ابنتي هاتين بالألف رفعا والياء نصبا وجرا * وقال الزجاج لا أجيز قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف * وقال أبو عبيد رأيتها في الامام مصحف عثمان هذن ليس فيها ألف وهكذا رأيت رفع الاثنين في ذلك المصحف باسقاط الألف واذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها وقالت جماعة منهم عائشة وأبو عمرو هذا مما لحن الكاتب فيه وأقيم بالصواب * وقرأ عبد الله ان ذان الا ساحران قاله ابن خالويه وعزاها الزمخشري لأبي * وقال ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى انتهى * وقرأت فرقة ما هذان الا ساحران وقولهم يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما تعو...

﴿قالوا ياموسى إما أن تلقى﴾ الآية في الكلام حذف تقديره فجاؤا مصطفين الى مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه ووقفوا أمامه وقالوا ياموسى إما أن تلقى وذكروا الالقاء لأنهم علموا أن آية موسى في إلقاء العصا قد خير وه ثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون أن أحداً لا يقاومهم في السحر وأن وما بعدها ينسبك مصدراً فاما أن يكون مرفوعاً واما أن يكون منصوبا والمعنى انك تختار أحد الأمرين فاختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره القاؤك أول ويدل عليه قوله ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ فتحسن المقابلة من (٢٥٦) حيث المعنى لا من حيث اللفظ ﴿قال بل ألقوا﴾ ثم حذف تقديره فألقوا فاذا حبالهم واذا هي الفجائية وما بعدها مبتدأ * والضمير في اليه الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبله قال بل ألقوا ولقوله بعد فأوجس في نفسه خيفة موسى وأنها تسعى في موضع المفعول لقوله يخيل أي سعيها والجملة من قوله يخيل الى آخرها في موضع خبر المبتدإ الذي هو حبالهم والرابط في الجملة هو الضمير الذي في تسعى أي تسعى هي أي الحبال والعصي والايجاس هو من الهاجس الذي يخطر بالبال ولبس يتمكن وخيفة أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وتأخر فاعل أوجس وهو موسى لكونه فاصلة وتقدم الضمير في نفسه وان كان القياس تأخره فصار نظير ضرب غلامه زيد ﴿انك أنت الاعلى﴾ تقرير لغلبته وقهره وتوكيد الاستئناف وبكلمة التوكيد وتكرير الضمير وبلام التعريف وبالاعلوية الداله على التفضيل ﴿وألق ما في يمينك﴾ لم يأت التركيب وألق عصاك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة وفي قوله ﴿تلقف﴾ حمل على معنى ما الاعلى لفظها اذ أطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء وقرئ تلقف وهو جواب الامر وأصله تتلقف ولذلك أدغم البزي التاء في التاء وهو مضارع ماضيه تلقف وقرئ تلقف وهو مضارع الماضي لقف ﴿انما صنعوا﴾ ما موصولة صلته صنعوا والضمير العائد على ما محذوف تقديره صنعوه وكيد خبران وقرئ كيد سحر ومعنى لا يفلح أي لا يظفر ببغيته ﴿حيث أتى﴾ أي حيث توجه وسلك ﴿فألقي السحرة سجدا﴾

مقالة فرعون أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ونسبوا السحر أيضا لهارون لما كان مشتركا معه في الرسالة والسكاطر يقته وعلقوا الحكم على الارادة وهم لا اطلاع لهم عليها تنقيصا لهما وحطا من قدرهما وقد كان ظهر لهم من أمر اليد والعصا ما يدل على صدقهما وعلموا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتي بمثل ذلك والظاهر ان الضمير في قالوا عائد على السحرة خاطب بعضهم بعضا * وقيل خاطبوا فرعون مخاطبة التعظيم والطريقة السيرة والمملكة والحال التي هم عليها والمثلى تأنيث الامثل أي الفضلى الحسنى * وقيل عبر عن السيرة بالطريقة وانه يراد بها أهل العقل والسن والحجى وحكوا أن العرب تقول فلان طريقة قومه أي سيدهم وعن علي نحو ذلك قال ونصرفان وجوه الناس اليهما * وقيل هو على حذف مضاف أي ويذهبا بأهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بني اسرائيل بالعوا في التنفير عنهما بنسبتهما الى السحر وبالطبع ينفر عن السحر وعن رؤية الساحر ثم بارادة الاخراج من أرضهم ثم بتغيير حالتهم من المناصب والرتب المرغوب فيها وحكى تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله فجمع كيده قوله فأجمعوا كيدكم * وقيل هو من كلام فرعون والظاهر انه من كلام السحرة بعضهم لبعض * وقرأ الجمهور فأجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم من أجمع رباعيا أي اعزموا واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها * وقرأ الزهري وابن محيصن وأبو عمرو ويعقوب في رواية وأبو حاتم بوصل الالف وفتح الميم موافقا لقوله فتولى فرعون فجمع كيده وتقدم الكلام في جمع وأجمع في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام وتداعوا الى الاتيان صفا لأنه أهيب في عيون الرائين وأظهر في التمويه وانتصب صفا على الحال أي مصطفين أو مفعولا به إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم * وقرأ شبل بن عباد وابن كثير في رواية شبل عنه ثم ايتوا بكسر الميم وابدال الهمزة ياء تخفيفا * قال أبو علي وهذا غلط ولا وجه لكسر الميم من ثم * وقال صاحب اللوامح وذلك لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامة كذلك * وقد أفلح اليوم أي ظفر وفاز ببغيته من طلب العلو في أمره وسعى سعيه واختلفوا في عدد السحرة اختلافا مضطربا جدا فاقل ما قيل انهم كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر عصى وحبال وأكثر ما قيل تسعمائة ألف ﴿قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون

وجاء التركيب فألقى السحرة ولم يأت فسجدوا كأنهم أزعجوا بالامر الذي جاءهم وهو عبارة عن سرعة ماتأثروا لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين وقدم موسى في سورة الأعراف وأخر هرون لأجل الفواصل ولكون موسى عليه السلام هو المنسوب إليه العصا التي ظهر منها ماظهر من الاعجاز وأخرهنا موسى لأجل الفواصل وتقدم الخلاف في قراءة آمنتم وفي لأقطعن ولأصلبن في الاعراف وتقدم تفسير نظير هذه الآية فيها وجاء هنالك آمنتم به وهنا له وآمن توصل بالباء اذا كان بالله وباللام لغيره في الأكثر نحو قوله فما آمن لموسى لن نؤمن لك وما أنت بمؤمن لنا فآمن له لوط واحتمل الضمير في به أن يعود على موسى عليه السلام وأن يعود على الرب وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقرا للمصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى الفعل بفي التي للوعاء ولتعلمن هنا معلق بأينا أشد وهي جملة استفهامية من مبتدإ وخبر في موضع نصب بقوله ولتعلمن سدت مسد المفعولين أو في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن معدى تعدية عرف ويجوز على هذا الوجه أن تكون أينا مفعول لتعلمن وهو مبنى على رأى سيبويه وأشد خبر مبتدإ محذوف وأينا موصولة والجملة بعدها صلته والتقدير ولتعلمن الذى هو أشد عذابا وأبقى ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ الآية أى لن نختار اتباعك وسلامتنا من عذابك على ماجاءنا من البينات وهي المعجزة التي أتتنا وعلمنا صحتها وفي قولهم هذا توهين له واستصغار لماهددهم به وعدم اكتراث بقوله وفي نسبة المجيء (٢٥٧) إليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا هم أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا أن ماجاءهم به موسى عليه السلام ليس بسحر وكانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم في ذلك والواو في والذى فطرنا واو عطف على ماجاءنا أى وعلى الذى فطرنا لما لاحت لهم حجة الله تعالى في المعجز بدؤا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو

ومو سى ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ في الكلام حذف تقديره فجاؤا مصطفين الى مكان الموعد وبيد كل واحد منهم عصا وحبل وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه فوقفوا وقالوا ياموسى إما أن تلقي وذكروا الالقاء لأنهم علموا أن آية موسى في إلقاء العصا * قيل خيروه ثقة منهم بالغلب لموسى وكانوا يعتقدون أن أحدا لايقاومهم في السحر * وقال الزمخشري وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من أنفسهم وكان الله عزوجل ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم أولا مع مافيه من مقابلة الأدب بأدب

الله ود كر واوصف لاختراع وهو قولهم والذى فطرنا تبيينا لعجز فرعون وتكذيبه في ادعاء الربوبية والالهية وما موصولة بمعنى الذى وصلته أنت قاض والعائد محذوف تقديره ما أنت قاضيه ونظيره قول الشاعر

ونصغر في عيني تلادى اذا انثنت * يميني بادراك الذى كنت طالبا

أى طالبه وفي قولهم فاقض أمر تحقير لفرعون وعدم مبالاة بما هددهم به و [illegible] هذه الحياة [illegible] ويحتمل أن تكون مصدرية أى ان قضاءك في هذه الحياة الدنيا لا في الآخرة ولم يصرح في القرآن [illegible] الظاهر أنه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون و [illegible] على السحر [illegible] موسى عليه السلام مع علمهم أنه ليس بساحر ﴿ والله خير وأبقى ﴾ رد على قوله [illegible] وأبقى [illegible] تعالى وما أعده لمن آمن به خير وأبقى ﴿ انه من يأت ربه مجرما ﴾ قيل هو حكاية قولهم [illegible] فرعون وقيل [illegible] تعالى [illegible] الحكاية تنبيها على قبح مافعل فرعون وحسن مافعل السحرة [illegible] الشرطية بعده وجوابها في موضع خبر أن وجملت [illegible] ولا يحيا [illegible] فأوردتم [illegible] على معنى من فجمع في قوله فأولئك لهم [illegible]

﴿ الدر ﴾ (ش) الامر القاؤك أو القاؤنا (ح) جعله خبر المبتدأ محذوف واختار أن يكون مبتدأ أو الخبر محذوف تقديره القاؤك أول ويدل عليه قوله واما أن نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وان كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة لأنا قدرنا القاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقى لكنه يلزم من ذلك أن يكون القاؤهم أول فهي مقابلة معنوية وفي تقدير (ش) الامر القاؤك لا مقابلة فيه وقدر (ش) النصب اختر احد الامرين وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب اما تختار أن تلقي (ح) قال أبو البقاء فاذا حبالهم الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا واذا في هذا ظرف مكان العامل فيه ألقوا انتهى فقوله فاذا الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه فاء الجواب لأن فألقوا الاتجاب وانما هي للعطف عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله واذا في هذا ظرف مكان يعني ان اذا التي للمفاجأة ظرف مكان وهو مذهب المبرد وظاهر كلام سيبويه وقوله والعامل فيه ألقوا ليس بشيء لان الفاء تمنع من العمل ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر المبتدأ الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم نجعلها هي في موضع الخبر لأنه يجوز أن يكون الخبر تخيل

حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا أقصى طرقهم ومجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية بينة للناظرين بينة للمعتبرين انتهى وهو تكثير وخطابة وان ما بعده ينسبك بمصدر فاما أن يكون مرفوعا واما أن يكون منصوبا والمعنى انك تختار أحد الأمرين وقدّر الزمخشري الرفع الامر القاؤك أو القاؤنا فجعله خبر المبتدأ محذوف واختار أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره القاؤك أول ويدل عليه قوله واما أن نكون أول من ألقى فتحسن المقابلة من حيث المعنى وان كان من حيث التركيب اللفظي لم تحصل المقابلة لانا قدّرنا إلقاؤك أول ومقابله كونهم يكونون أول من يلقى لكنه يلزم من ذلك أن يكون القاؤهم أول فهي مقابلة معنوية وفي تقدير الزمخشري الامر القاؤك لا مقابلة فيه وقدّر الزمخشري النصب اختر أحد الامرين وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وتفسير الاعراب اما تختار أن تلقي وتقدم نحو هذا التركيب في الاعراف قال بل ألقوا الا يكون الامر بالالقاء من باب تجويز السحر والامر به لان الغرض في ذلك الفرق بين القائهم والمعجزة وتعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة اذ الامر مقرون بشرط أي ألقوا ان كنتم محقين لقوله فأتوا بسورة مثله ثم قال ان كنتم صادقين وفي الكلام حذف تقديره فألقوا فاذا * قال أبو البقاء فاذا حبالهم الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا واذا في هذا ظرف مكان والعامل فيه ألقوا انتهى فقوله فاذا الفاء جواب ما حذف وتقديره فألقوا ليست هذه فاء جواب لان فألقوا لا تجاب وانما هي للعطف عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف وقوله واذا في هذا ظرف مكان يعني أن اذا التي للمفاجأة ظرف مكان

ويجوز أن يكون اذا وتخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فان رفعنا رابضا كانت اذا معمولة له والتقدير فبالحضرة الاسد رابض أو في المكان واذا نصبنا كانت اذا خبرا ولذلك يكتفى بها وبالمرفوع بعدها كلا ما نحو خرجت فاذا الاسد (ش) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي تخييل حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي (ح) قوله والتحقيق فيها انها الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي ان اذا الفجائية ظرف زمان وهو قول مرجوح وقول الكوفيين انها حرف قول مرجوح أيضا وقوله الطالبة ناصبا لها صحيح وقوله وجملة تضاف اليها هذا عند أصحابنا ليس بصحيح لانها اما أن تكون هي خبر المبتدأ واما معمولة لخبر المبتدأ واذا كان كذلك استحال أن تضاف الى الجملة لأنها اما أن تكون بعض الجملة أو معموله لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة ابتدائية لا غير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نص الاخفش في الاوسط على أن الجملة المصحوبة بقد تليها وهي فعلية تقول خرجت فاذا قد ضرب زيد عمرا وبنى على ذلك مسئلة الاشتغال خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه وأما قوله والمعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا بعكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم اياه فاذا قلت خرجت فاذا السبع فالمعنى أنه فاجأني السبع وهجم ظهوره

وهو مذهب المبرد وظاهر كلام سيبويه وقوله والعامل فيه ألقوا ليس بشئ لان الفاء تمنع من العمل ولان اذا هذه انما هي معمولة لخبر المبتدا الذي هو حبالهم وعصيهم ان لم يجعلها هي في موضع الخبر لانه يجوز أن يكون الخبر يخيل ويجوز أن تكون اذا ويخيل في موضع الحال وهذا نظير خرجت فاذا الاسد رابض ورابضا فاذا رفعنا رابضا كانت اذا معمولة والتقدير فبالحضرة الاسد رابض أو في المكان واذا نصبنا كانت اذا خبرا ولذلك تكتفي بها وبالمرفوع بعدها كلاما نحو خرجت فاذا الاسد * وقال الزمخشري يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي انتهى فقوله والتحقيق فيها اذا كانت الكائنة بمعنى الوقت هذا مذهب الرياشي ان اذا الفجائية ظرف زمان وهو قول مرجوح وقول الكوفيين انها حرف قول مرجوح أيضا وقوله الطالبة ناصبا لها صحيح وقوله وجملة تضاف اليها هذا عند أصحابنا ليس بصحيح لانها اما أن تكون هي خبر المبتدأ واما معمولة لخبر المبتدا واذا كان كذلك استحال أن تضاف الى الجملة لانها اما أن تكون بعض الجملة أو معمولة لبعضها فلا يمكن الاضافة وقوله خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة قد بينا الناصب لها وقوله والجملة ابتدائية لاغير هذا الحصر ليس بصحيح بل قد نص الاخفش في الاوسط على أن الجملة المصحوبة بها قد تليها وهي فعلية تقول خرجت فاذا قد ضرب زيد عمرا وبنى على ذلك مسئلة الاشتغال خرجت فاذا زيد قد ضربه عمرو برفع زيد ونصبه وأما قوله والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي فهذا بعكس ما قدر بل المعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم اياه (فاذا قلت) خرجت فاذا السبع فالمعنى انه فاجأني السبع وهجم ظهوره * وقرأ الحسن وعيسى عصيهم بضم العين حيث كان وهو الاصل لان الكسر اتباع لحركة الصاد وحركة الصاد لاجل الياء وفي كتاب اللوامح الحسن وعصيهم بضم العين واسكان الصاد وتخفيف الياء مع الرفع فهو أيضا جمع كالعامة لكنه على فعل * وقرأ الزهري والحسن وعيسى وأبو حيوة وقتادة والجحدري وروح والوليدان وابن ذكوان تخيل بالتاء مبنيا للمفعول وفيه ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير * وقرأ أبو السمال تخيل بفتح التاء أي تتخيل وفيها أيضا ضمير ما ذكروا انها تسعى بدل اشتمال أيضا من ذلك الضمير لكنه فاعل من جهة المعنى * وقال ابن عطية انها مفعول من أجله * وقال أبو القاسم بن جبارة الهذلي الاندلسي في كتاب الكامل من تأليفه عن أبي السمال انه قرأ تخيل بالتاء من فوق المضمومة وكسر الياء والضمير فيه فاعل وانها تسعى في موضع نصب على المفعول به ونسب ابن عطية هذه القراءة الى الحسن والثقفي يعني عيسى ومن بنى تخيل للمفعول فالمخيل لهم ذلك هو الله للمحنة والابتلاء وروى الحسن بن أيمن عن أبي حيوة نخيل بالنون وكسر الياء فالمخيل لهم ذلك هو الله والضمير في اليه الظاهر انه يعود على موسى لقوله قبل قال بل ألقوا ولقوله بعده فأوجس في نفسه خيفة موسى * وقيل يعود على فرعون والظاهر من القصص أن الحبال والعصي كانت تتحرك وتنتقل الانتقال الذي يشبه انتقال من قامت به الحياة ولذلك ذكر السعي وهو وصف من يمشي من الحيوان فروى أنهم جعلوا في الحبال والعصي زئبقا وألقوها في الشمس فأصاب الزئبق حرارة الشمس فحركه

فتحركت العصي والحبال معه * وقيل حفروا الارض وجعلوا تحتها نارا وكانت العصي والحبال مملوءة بزئبق فلما أصابتها حرارة الارض تحركت وكان هذا من باب الدك * وقيل انها لم تتحرك وكان ذلك من سحر العيون وقد صرح تعالى بهذا فقالوا اسحروا أعين الناس فكان الناظر يخيل اليه أنها تنتقل وتقدم شرح أوجس * وقال الزمخشرى كان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وهو قول الحسن * وقيل كان خوفه على الناس أن يفتتنوا الهول ما رأى قبل أن يلقى عصاه وهو قول مقاتل والايجاس هو من الهاجس الذى يخطر بالبال وليس يتمكن وخيفة أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها * وقال ابن عطية يحتمل ان تكون خوفة بفتح الخاء قلبت الواو ياء ثم كسرت الخاء للتناسب * انك أنت الاعلى تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التوكيد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبالاعلوية الدالة على التفضيل * وألق ما فى يمينك لم يأت التركيب وألق عصاك لما فى لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة * قال الزمخشرى وقوله ما فى يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيرا لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على حدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز أن يكون تعظيما لها أى لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره عنده فألقه تتلقفها باذن الله وتمحقها انتهى وهو تكثير وخطابة لا طائل فى ذلك وفى قوله تلقف حمل على معنى ما لا على لفظها اذ أطلقت ما على العصا والعصا مؤنثة ولو حمل على اللفظ لكان بالياء * وقرأ الجمهور تلقف بفتح اللام وتشديد القاف بجزم وما على جواب الامر * وقرأ ابن عامر كذلك وبرفع الفاء على الاستئناف أو على الحال من الملقى * وقرأ أبو جعفر وحفص وعصمة عن عاصم تلقف باسكان اللام والفاء وتخفيف القاف وعن قنبل انه كان يشدد من تلقف يريد يتلقف * وقرأ الجمهور كيد بالرفع على ان ما موصوله بمعنى الذى والعائد محذوف ويحتمل ان تكون ما مصدرية أى أن صنعتم كيد ومعنى صنعوا هنا زوروا وافتعلوا كقوله تلقف ما يأفكون * وقرأ مجاهد وحميد وزيد بن على كيد سحر بالنصب مفعولا لصنعوا وما مهيئة * وقرأ أبو بحرية والاعمش وطلحة وابن أبى ليلى وخلف فى اختياره وابن عيسى الاصبهانى وابن جبير الانطاكى وابن جرير وحمزة والكسائى سحر بكسر السين واسكان الحاء بمعنى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم لتوغلهم فى سحرهم كانهم السحر بعينه أو بذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو * وقرأ الجمهور ساحر اسم فاعل من سحر وأفرد ساحر من حيث ان فعل الجميع نوع واحد من السحر وذلك الحبال والعصى فكانه صدر من ساحر واحد لعدم اختلاف أنواعه * وقال الزمخشرى لأن القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد ألا ترى أن قوله ولا يفلح الساحر أى هذا الجنس انتهى وعرف فى قوله ولا يفلح الساحر لأنه عاد على ساحر النكرة قبله كقوله كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول * وقال الزمخشرى نكر يعنى أولا من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج * فى سعى دنيا طال ما قد مدت * وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنياوى وأمر دنياوى وأخراوى انتهى وقول العجاج * فى سعى دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تأنيث الادنى ولا يستعمل تأنيثه الا

(الدر)

(ش) انما نكر يعنى أولا من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج فى سعى دنيا طال ما قد مدت وفى حديث عمر رضى الله عنه لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة المراد تنكير الامر كانه قال انما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنياوى وأمر دنياوى وأخراوى (ح) قول العجاج فى سعى دنيا محمول على الضرورة اذ دنيا تأنيث الادنى ولا يستعمل تأنيثه الا بالالف واللام أو بالاضافة وأما قول عمر فيحتمل أن يكون من تحريف الرواة

بالالف واللام أو بالاضافة وأما قول عمر فيحتمل ان يكون من تحريف الرواة ومعنى ولايفلح لايظفر ببغيته حيث أتى أي حيث توجه وسلك * وقالت فرقة معناه ان الساحر يقتل حيث تقف وهذا جزاء من عدم الفلاح * وقرأت فرقة أين أتى وبعد هذا جمل محذوفة والتقدير فزال ايجاس الخيفة والقى ما في يمينه وتلقفت حبالهم وعصيهم ثم انقلبت عصا وفقدوا الحبال والعصى وعلموا أن ذلك معجز ليس في طوق البشر فألقي السحرة سجدا وجاء التركيب فألقي السحرة ولم يأت فسجدوا كانه جاءهم أمر وأزعجهم وأخذهم فصنع بهم ذلك وهو عبارة عن سرعة ما تأثروا لذلك الخارق العظيم فلم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين وقدم موسى في الاعراف وأخر هارون لاجل الفواصل ولكون موسى هو المنسوب اليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الاعجاز وأخر موسى لاجل الفواصل أيضا كقوله لكان لزاما وأجل مسمى *وأزواجا من نبات اذا كان شتى صفة لقوله أزواجا ولافرق بين قام زيد وعمرو وقام عمرو وزيد اذا الواو لاتقتضي ترتيبا على انه يحتمل ان يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم رب موسى وهارون وطائفة بقولهم رب هارون وموسى ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين الى الجميع * وقيل قدم هارون هنا لأنه كان أكبر سنا من موسى * وقيل لأن فرعون كان ربى موسى فبدؤا بهارون لئلا يتموه فرعون انه ربى موسى فيقول أنا ربيته وقالوا رب هارون وموسى ولم يكتفوا بقولهم برب العالمين للنص على انهم آمنوا برب هذين وكان فيما قيل يزعم انه رب العالمين وتقدم الخلاف في قراءة آمنتم وفي لأقطعن ولأصلبن في الاعراف وتفسير نظير هذه الآية فيها وجاء هنالك آمنتم به وهنا له وآمن يوصل بالباء اذا كان بالله وباللام لغيره في الاكثر نحو فما آمن لموسى لن نؤمن لك وما أنت بمؤمن لنا فآمن له لوط واحتمل الضمير في به أن يعود على موسى وأن يعود على الرب وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ولما كان الجذع مقر المصلوب واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عدى الفعل بفي التي للوعاء * وقيل في بمعنى على * وقيل نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفا لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا ومن تعدية صلب بفي قول الشاعر

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وفرعون أول من صلب وأقسم فرعون على ذلك وهو فعل نفسه وعلى فعل غيره وهو ولتعلمن أينا أي أيي وأي من آمنتم به * وقيل أيي وأي موسى وقال ذلك على سبيل الاستهزاء لأن موسى لم يكن من أهل التعذيب والى هذا القول ذهب الزمخشري قال بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجه باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف مع الهزء به انتهى وهو قول الطبري قال يريد نفسه وموسى عليه السلام والقول الاول أذهب مع مخرقة فرعون ولتعلمن هنا معلق وأينا أشد جملة استفهامية من مبتدإ وخبر في موضع نصب لقوله ولتعلمن سادة مسد المفعولين أو في موضع مفعول واحد ان كان لتعلمن معدى تعديه عرف ويجوز على وجه أن يكون أينا مفعولا لتعلمن وهو مبني على رأي سيبويه وأشد خبر مبتدأ محذوف وأينا موصول والجملة بعدها صلة والتقدير ولتعلمن من هو أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك أي لن نختارك على ما جاءنا من البينات وهي المعجزات التي أتى بها وعلموا صحتها وفي قولهم هذا توهين له واستصغار لما هددهم به وعدم اكتراث بقوله وفي ...

ويعلم ... موسى * الآية هذا استئناف إخبار عن شيء من أمر موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المقدار مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك أن فرعون لما انقضى أمر السحرة وغلب موسى وقوي أمره وعد فرعون أن يرسل معه بني اسرائيل فأقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث فاعلمه أنه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآيات كلما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى تأتي أخرى فلما كملت الآيات أوحى الله الى موسى أن يخرج بني اسرائيل في الليل ساريا والسرى سير الليل ويحتمل أن أن تكون مفسرة وأن تكون الناصبة للمضارع وبعبادي اضافة تشريف والظاهر أن الايحاء إليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدما بمصر على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببني اسرائيل وهم ستمائة ألف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر بفرعون فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءه فأوحى الله الى موسى أن يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل ورأوا أن العدو من ورائهم والبحر أمامهم وموسى يثق بصنع الله فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر ... فيهم وكان مقصدهم ... موضع ينقطع فيه ... وكان في خيل فرعون سبعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الالوان وقيل أكثر من ذلك فضرب موسى ... بعصاه فانفلق اثني عشر فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الماء واقفة فدخل موسى عليه السلام البحر بعد أن بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الى المدخل وبنو اسرائيل كلهم في البحر ... تحت الحكم ... فرعون ... لا مر فقال لهم انما انفلق من هيبتي وتقدم غرق فرعون وقومه

اليهم وان كانت البينات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر فكانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيرهم يقلدهم في ذلك وأيضا فكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها فكانت بينات واضحة في حقهم والواو في والذي فطرنا واو عطف على ما جاءنا أي وعلى الذي فطرنا لما لاحت لهم حجة الله في المعجزة بدؤا بها ثم ترقوا الى القادر على خرق العادة وهو الله تعالى وذكروا وصف الاختراع وهو قولهم الذي فطرنا تبيينا لعجز فرعون وتكذيبه في ادعاء ربوبيته والاهيته وهو عاجز عن صرف ذبابة فضلا عن اختراعها * وقيل الواو للقسم وجوابه محذوف ولا يكون لن نؤثرك جوابا لأنه لا يجاب في النفي بلن الا في شاذ من الشعر وما موصولة بمعنى الذي وصلته أنت قاض والعائد محذوف أي ما أنت قاضيه * قيل ولا يجوز أن تكون ما مصدرية لأن المصدرية توصل بالأفعال وهذه موصولة بابتداء وخبر انتهى وهذا ليس مجمعا عليه بل قد ذهب ذاهبون من النحاة الى أن ما المصدرية توصل بالجملة الاسمية وانتصب هذه الحياة على الظرف وما مهيئة ويحتمل أن تكون مصدرية أي ان قضاءك كائن في هذه الحياة الدنيا الا في الآخرة بل في الآخرة لنا النعيم ولك العذاب * وقرأ الجمهور تقضي مبنيا للفاعل خطابا لفرعون * وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة تقضى مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اتسع في الظرف فأجرى مجرى المفعول به ثم بنى الفعل لذلك ورفع به كما تقول صيم يوم الجمعة وولد له ستون عاما ولم يصرح في القرآن بأنه أنفذ فيهم وعيده ولا أنه قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم بل الظاهر أنه تعالى سلمهم منه ويدل على ذلك قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون * وقيل أنفذ فيهم وعيده وصلبهم على الجذوع واكراهه اياهم على السحر * قيل حملهم على معارضة موسى * وقيل كان يأخذ ولدان الناس ويجبرهم على ذلك فأشار السحرة الى ذلك قاله الحسن * والله خير وأبقى رد على قوله أينا أشد عذابا وأبقى أي وثواب الله وما أعده لمن آمن به روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه ويظهر من قولهم أئن لنا لأجرا عدم الاكراه * انه من يأت الى من تزكى قيل هو حكاية لهم عظة لفرعون * وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة موعظة وتحذيرا والمجرم هنا الكافر لذكر مقابله ومن يأته مؤمنا ولقوله لا يموت فيها ولا يحيا أي يعذب عذابا ينتهي به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه فهو لا يحيا حياة طيبة بخلاف المؤمن الذي يدخل النار فهم يقاربون الموت ولا يجهز عليهم فهذا فرق بين المؤمن والكافر وفي الحديث ... تزكى تطهر من دنس الكفر * وقيل ... ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر

في البقرة والاعراف ويونس والظاهر أن لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا البحر بقوة وتحامل على العصا ويوضحه في آية أخرى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق والمعنى أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كأنه المضروب و ﴿يبسا﴾ مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كان حالة الضرب لم يتصف باليبس بل مرت عليه الصبا فجففته كما روي ويقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ومن كونه مصدرا وصف به المؤنث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ ﴿لا تخاف﴾ وهي جملة في موضع الحال من ضمير فاضرب وقرئ لا تخف على جواب الامر والدرك والدرك اسمان من الادراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ﴿ولا تخشى﴾ والظاهر أن الضمير في غشيهم في الموضعين عائد على فرعون وقومه والفاعل بغشيهم ما الموصولة أي الذي غشيهم وفي لفظة ما ابهام وتهويل وتعظيم كقوله تعالى فغشاها ما غشى ﴿وما هدى﴾ أي ما هدى قومه الى الدين وما اهتدى في نفسه لان هدى قد يأتي بمعنى اهتدى ﴿يا بني اسرائيل قد أنجيناكم﴾ الآية ذكرهم بأنواع نعمه وبدأ بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والاخراج والذبح وهي آكد أن تكون مقدمة على المنفعة الدنياوية لان ازالة الضرر أعظم في النعمة من ايصال تلك المنفعة ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله تعالى وواعدناكم جانب الطور الأيمن لانزال التوراة عليهم موسى عليه السلام كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم بذكر المنفعة الدنياوية وهو قوله تعالى ونزلنا عليكم المن والسلوى قال الزمخشري وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى هذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي أن لا تخرج القراءة عليه والصحيح أنه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل ونظهر أن حرف ان تخاطب موسى عليه السلام بعد اغراق فرعون وقومه فهل منصوب باضمار أن بعد الفاء في جواب النهي فهو على أي يستعد وهو كثير من الحلال

بيسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ هذا استئناف اخبار عن شيء من أمر موسى عليه السلام وبينه وبين مقال السحرة المتقدم مدة من الزمان حدث فيها لموسى وفرعون حوادث وذلك أن فرعون لما انقضى أمر السحرة وغلب موسى وقوي أمره وعده فرعون أن يرسل معه بني اسرائيل فأقام موسى على وعده حتى غدره فرعون ونكث وأعلمه أنه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ الآيات المذكورة في غير هذه الآيات الجراد والقمل الى آخرها كلما جاءت آية وعد فرعون أن يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى تأتي أخرى فلما كملت الآيات أوحى الله الى موسى عليه السلام أن يخرج بني اسرائيل في الليل ساريا والسرى مسير الليل ويحتمل أن أن تكون مفسرة وأن تكون الناصبة للمضارع وبعبادي اضافة تشريف لقوله ونفخت فيه من روحي والظاهر أن الايحاء اليه بذلك وبأن يضرب البحر كان متقدما بمصر على وقت اتباع فرعون موسى وقومه بجنوده * وقيل كان الوحي بالضرب حين قارب فرعون لحاقه وقوي فزع بني اسرائيل ويروى أن موسى عليه السلام نهض ببني اسرائيل وهم ستمائة ألف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر فرعون فجمع جنوده وحشرهم ونهض وراءه فأوحى الله الى موسى أن يقصد البحر فجزع بنو اسرائيل ورأوا أن العدو من ورائهم والبحر من أمامهم وموسى يثق بصنع الله فلما رآهم فرعون قد نهضوا نحو البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع ينقطع فيه الفحوص والطرق الواسعة * قيل وكان في خيل فرعون سبعون ألف أدهم ونسبة ذلك من سائر الالوان * وقيل أكثر من هذا فضرب موسى عليه السلام البحر فانفرق اثنتي عشرة فرقة طرقا واسعة بينها حيطان الماء واقفة ويدل عليه فكان كل فرق كالطود العظيم * وقيل بل هو طريق واحد لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا انتهى وقد يراد بقوله طريقا الجنس فدخل موسى عليه السلام بعد أن بعث الله ريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرائيل ووصل فرعون الى المدخل وبنو اسرائيل كلهم في البحر فرأى الماء على تلك الحال فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما انفلق من هيبتي وتقدم غرق فرعون وقومه في سورة يونس والظاهر

أن لفظة اضرب هنا على حقيقتها من مس العصا البحر بقوة وتحامل على العصا و يوضحه فى آية أخرى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فالمعنى أن اضرب بعصاك البحر لينفلق لهم فيصير طريقا فتعدى الى الطريق بدخول هذا المعنى لما كان الطريق متسببا عن الضرب جعل كأنه المضروب * وقال الزمخشرى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما وضرب اللبن عمله انتهى وفى الحديث اضربوا لى معكم بسهم ولما لم يذكر المضروب حقيقة وهو البحر ولو كان صرح بالمضروب حقيقة لكان التركيب طريقا فيه فكان يعود الضمير على البحر المضروب ويبسا مصدر وصف به الطريق وصفه بما آل اليه اذ كان حالة الضرب لم يتصف باليبس بل مرت عليه الصبا فجففته كما روى و يقال يبس يبسا و يبسا كالعدم والعدم ومن كونه مصدرا وصف به المؤنث قالوا شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها * وقرأ الحسن يبسا بسكون الباء * قال صاحب اللوامح قد يكون مصدرا كالعامة وقد يكون بالاسكان المصدر و بالفتح الاسم كالنفض * وقال الزمخشرى لايخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أوصفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا لقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع انتهى * وقرأ أبو حيوة يابسا اسم فاعل * وقرأ الجمهور لاتخاف وهى جملة فى موضع الحال من الضمير فاضرب * وقيل فى موضع الصفة للطريق وحذف العائد أى لاتخاف فيه * وقرأ الأعمش وحمزة وابن أبى ليلى لاتخف بالجزم على جواب الأمر أو على نهى مستأنف قاله الزجاج * وقرأ أبو حيوة وطلحة والأعمش دركا بسكون الراء والجمهور بفتحها والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لايدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولاتخشى أنت ولا قومك غرقا وعطفه على قراءة الجمهور لاتخاف ظاهر وأما على قراءة الجزم فخرج على ان الالف جىء بها لاجل أواخر الآى فاصلة نحو قوله فأضلونا السبيلا وعلى انه اخبار مستأنف أى وأنت لاتخشى وعلى انه مجزوم بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال ألم يأتيك وهى لغة قليلة * وقال الشاعر

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق

* وقرأ الجمهور فأتبعهم بسكون التاء وأتبع قد يكون بمعنى تبع فيتعدى الى واحد كقوله فاتبعه الشيطان وقد يتعدى الى اثنين كقوله وأتبعناهم ذرياتهم فتكون التاء زائدة أى جنوده أو تكون للحال والمفعول الثانى محذوف أى رؤساؤه وحشمه * وقرأ أبو عمرو فى رواية والحسن فاتبعهم بتشديد التاء وكذا عن الحسن فى جميع ما فى القرآن الا فأتبعه شهاب ثاقب والباء فى بجنوده فى موضع الحال كما تقول خرج زيد بسلاحه أو الباء للتعدى لمفعول ثان بحرف جر اذ لايتعدى اتبع بنفسه الا الى حرف واحد * وقرأ الجمهور فغشيهم من اليم ما غشيهم على وزن فعل مجرد من الزيادة * وقرأت فرقة منهم الاعمش فغشاهم من اليم ما غشاهم بتضعيف العين فالفاعل فى القراءة الاولى ما وفى الثانية الفاعل الله أى فغشاهم الله * قال الزمخشرى أو فرعون لانه الذى ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقال ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم ما لايعلم كنهه الا الله * وقال ابن عطية ما غشيهم ابهام أهول من النص على قدر ما وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى والظاهر ان الضمير فى غشيهم فى الموضعين عائد على فرعون وقومه وقيل الاول على فرعون وقومه والثانى على موسى وقومه وفى الكلام حذف على هذا القول تقديره فنجا موسى وقومه وغرق فرعون وقومه * وقال الزجاج وقرئ وجنوده عطفا على فرعون

* وأضل فرعون قومه أي من أول مرة الى هذه النهاية ويعني الضلال في الدين * وقيل أضلهم في البحر لانهم غرقوا فيه واحتج به القاضي على مذهبه فقال لو كان الضلال من خلق الله لما جاز أن يقال وأضل فرعون قومه بل وجب أن يقال الله أضلهم لان الله تعالى ذمه بذلك فكيف يكون خالقا للكفر لان من ذم غيره بفعل شئ لابد أن يكون المذموم فاعلا لذلك الفعل والا استحق الذام الذم انتهى وهو على طريقة الاعتزال *وماهدى أي ماهداهم الى الدين أو مانجا من الغرق أو ما اهتدى في نفسه لان هدى قد يأتي بمعنى اهتدى *يابني اسرائيل قد أنجينا كم من عدوكم ذكرهم تعالى بأنواع نعمه وبدأ بازالة ما كانوا فيه من الضرر من الاذلال والاخراج والذبح وهي آكد ان تكون مقدمة على المنفعة الدنيوية لان ازالة الضرر أعظم في النعمة من ايصال تلك المنفعة ثم أعقب ذلك بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدنا كم جانب الطور الأيمن اذ أنزل على نبيهم موسى كتابا فيه بيان دينهم وشرح شريعتهم ثم بذكر المنفعة الدنيوية وهو قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى والظاهر ان الخطاب لمن نجا مع موسى بعد إغراق فرعون * وقيل لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اعتراضا في أثناء قصة موسى توبيخا لهم اذ لم يصبر سلفهم على أداء شكر نعم الله فهو على حذف مضاف أي أنجينا آباءكم من تعذيب آل فرعون وخاطب الجميع بواعدنا كم وان كان الموعود دونهم السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام لسماع كلام الله لان سماع أولئك السبعين تعود منفعته على جميعهم اذ تطمئن قلوبهم وتسكن وتقدم الكلام في جانب الطور الايمن في سورة مريم وعلى وأنزلنا عليكم المن والسلوى في سورة البقرة *وقرأ حمزة والكسائي وطلحة قد أنجيتكم وواعدتكم مارزقتكم بتاء الضمير وباقي السبعة بنون العظمة وحميد نجينا كم بتشديد الجيم من غير ألف قبلها وبنون العظمة وتقدم خلاف أبي عمرو وفي واعد في البقرة * والطيبات هنا الحلال اللذيذ لانه جمع الوصفين * وقرئ الايمن قال الزمخشري بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب انتهى وهذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي أن لاتخرج القراءة عليه والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل ونهاهم عن الطغيان فيما رزقهم وهو أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي ويمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيها * وقرأ زيد بن علي ولاتطغوا فيه بضم الغين * وعن ابن عباس ولاتطغوا فيه لا يظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه يعني بغير حق * وعن الضحاك ومقاتل لاتجاوزوا حد الاباحة * وعن الكلبي لاتكفروا النعمة أي لاتستعينوا بنعمتي على مخالفتي * وقرأ الجمهور فيحل بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام أي فيجب ويلحق * وقرأ الكسائي بضم الحاء ولام يحلل أي ينزل وهي قراءة قتادة وأبي حيوة والاعمش وطلحة ووافق ابن عتيبة في يحلل فضم وفي الاقناع لابي على الاهوازي مانصه ابن غزوان عن طلحة لايحلن عليكم غضبي بلام ونون مشددة وفتح اللام وكسر الحاء أي لاتتعرضوا للطغيان فيه فيحل عليكم غضبي من باب لا أرينك هنا وفي كتاب اللوامح قتادة وعبدالله بن مسلم بن يسار وابن وثاب والاعمش فيحل بضم الياء وكسر الحاء من الاحلال فهو متعد من حل بنفسه والفاعل فيه مقدر ترك لشهرته وتقديره فيحل به طغيانكم غضبي عليكم ودل على ذلك ولاتطغوا فيه فيصير غضبي في موضع نصب مفعول به وقد يجوز أن يسند الفعل الى غضبي فيصير في موضع رفع بفعله وقد حذف منه المفعول للدليل عليه وهو العذاب أو نحوه انتهى فقد هوى كنى به عن الهلاك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك يقال هوى لرجل أي سقط ويشبه الذي

(الدر)

(ش) وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب (ح) هذا من الشذوذ والقلة بحيث ينبغي أن لاتخرج القراءة عليه والصحيح انه نعت للطور لما فيه من اليمن واما لكونه على يمين من يستقبل الجبل

﴿وما أعجلك عن قومك﴾ الآية وما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله ﴿هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى﴾ لان قوله وما أعجلك تضمن تأخر قومه عنه فأجاب مشيرا إليهم لقربهم منه أنهم على أثره جائين للموعد وذلك على ما كان عهد إليهم أن يجيئوا للوعد ثم ذكر السبب الذى حمله على العجلة وهو ما تضمنه قوله وعجلت إليك رب لترضى من طلبه رضا الله تعالى فى السبق الى ما وعده ربه ومعنى اليك أى الى مكان وعدك ولترضى أى ليدوم رضاك ويستمر لأنه تعالى كان راضيا عنه ﴿قال فانا قد فتنا قومك﴾ الآية أى اختبرناهم بما فعل السامرى والسامرى قيل اسمه موسى بن ظفر وقيل غير ذلك وتقدم فى الاعراف كيفية اتخاذ العجل ﴿فرجع موسى الى قومه﴾ وذلك بعد ما استوفى الاربعين وانتصب غضبان أسفا على الحال والاسف أشد الحزن ثم أخذ موسى عليه السلام يوبخهم على اضلالهم والوعد الحسن ما وعدهم من الوصول الى جانب الطور الأيمن وما بعد ذلك من الفتوح فى الارض ﴿أفطال

عليكم العهد﴾ توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى تبين لهم خلف فى الموعد وقرئ ﴿بملكنا﴾ بفتح الميم وضمها وكسرها قال أبو على الفارسى فمعنى الضم أنه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما أخلفناه بنظر أدى اليه ما فعل السامرى فليس المعنى أن لهم ملكا وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا أنفسنا وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل فى الأمور التى يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التى قبلها والمصدر فى هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر أى بملكنا الصواب والاوزار الاثقال أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين أوزارا لثقلها أو بسبب أنهم أثموا فى ذلك فسميت أوزارا لما حصلت الاوزار التى هى الآثام بسببها والقوم هنا القبط ﴿فقذفناها﴾ أى الحلى فى النار وكان أشار عليهم بذلك السامرى فحفرت حفرة وسجرت فيها النار وقذف كل من كان معه شئ من ذلك الحلى فى النار وقذف السامرى ما معه ومعنى فكذلك أى مثل القائنا إياها ألقى السامرى ما كان معه فأخرج لهم أى السامرى ﴿عجلا جسدا له خوار﴾ تقدم الكلام على مثل هذا فى الاعراف والضمير فى فقالوا لبنى اسرائيل أى ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذه إشارة الى العجل والظاهر أن الضمير فى ﴿فنسى﴾ عائد على السامرى أى فنسى ايمانه واسلامه قاله ابن عباس ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بأن الألوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال ﴿أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا﴾ والرؤية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها أن المخففة من الثقيلة كما بعد ألم يروا أنه لا يكلمهم

يقع فى ورطة بعد أن كان بنجوة منها بالساقط أو هوى فى جهنم وفى سخط الله وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول ولما حذر تعالى من الطغيان فيما رزق وحذر من حلول غضبه فتح باب الرجاء للتائبين وأتى بصيغة المبالغة وهى قوله وانى لغفار لمن تاب قال ابن عباس من الشرك وآمن أى وحد الله وعمل صالحا أدى الفرائض ثم اهتدى لزم الهداية وأدامها الى الموافاة على الاسلام * وقيل معناه لم يشك فى ايمانه * وقيل ثم استقام * قال ابن عطية والذى تقوى فى معنى ثم اهتدى أن يكون ثم حفظ معتقداته من أن يخالف الحق فى شئ من الاشياء فان الاهتداء على هذا الوجه غير الايمان وغير العمل * وقال الزمخشرى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخى دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين فى جاءنى زيد ثم عمرو وأعنى ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لأنها أعلى منه وأفضل ﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى * قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا * قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴾ لما نهض موسى عليه السلام ببنى اسرائيل الى جانب الطور الايمن حيث كان الموعد أن يكلم الله موسى بما فيه شرف العاجل والآجل رأى على وجه الاجتهاد ان يقدم وحده مبادرا الى أمر الله وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف هارون على بنى اسرائيل وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما

انتهى موسى عليه السلام وناجى ربه زاده فى الأجل عشرا وحينئذ وقفه على استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الأثر فيقع الاعلام له بما صنعوا وما استفهام أى أى شئ عجل بك عنهم * قال الزمخشرى وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه و ينجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظن ان ذلك أقرب الى رضا الله و زال عنه انه عز وجل ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعى الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء انتهى والظاهر أن قوله عز وجل عن قومك يريد به جميع بنى اسرائيل كما قد بينا قبل لا السبعين * وقال الزمخشرى وليس يقول من جوز أن يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح ما يأباه قوله هم أولاء على أثرى انتهى وما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وأجاب بقوله هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى لأن قوله وما أعجلك تضمن تأخر قومه عنه فأجاب مشيرا اليهم لقربهم منه انهم على أثره جائين للموعد وذلك على ما كان عهد اليهم أن يجيؤا للموعد ثم ذكر السبب الذى حمله على العجلة وهو ما تضمنه قوله وعجلت اليك رب لترضى من طلبه رضا الله تعالى فى السبق الى ما وعده ربه ومعنى اليك الى مكان وعدك ولترضى أى ليدوم رضاك و يستمر لأنه تعالى كان عنه راضيا * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذى ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق الى كلامك و ينجز موعدك وقوله هم أولاء على أثرى كما ترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة فى نفسها والثانى السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة فى نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منى الا تقدم يسير مثله لا يعتد به فى العادة ولا يحتفل به وليس بينى وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على حدود الكلام انتهى وفيه سوء أدب على الانبياء عليهم السلام * وقرأ الحسن وابن معاذ عن أبيه أولاى بياء مكسورة وابن وثاب وعيسى فى رواية أولا بالقصر * وقرأت فرقة أولاى بياء مفتوحة * وقرأ عيسى و يعقوب وعبد الوارث عن أبى عمرو و زيد بن على إثرى بكسر الهمزة وسكون الثاء * وحكى الكسائى أثرى بضم الهمزة وسكون الثاء وتروى عن عيسى * وقرأ الجمهور أولاء بالمد والهمز على أثرى بفتح الهمز والثاء وعلى أثرى يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر أو فى موضع نصب على الحال قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى أى اختبرناهم بما فعل السامرى أو ألقيناهم فى فتنة أى ميل مع الشهوات ووقوع فى اختلاف من بعدك أى من بعد فراقك لهم * وقال الزمخشرى أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) فى القصة انهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوا أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا و بين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك من بعدك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته وافترض السامرى غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه وأخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا انتهى * وقرأ الجمهور وأضلهم فعلا ماضيا * وقرأ أبو معاذ وفرقة وأضلهم برفع اللام مبتدأ والسامرى خبره وكان أشدهم ضلالا لأنه ضال فى نفسه مضل غيره وفى

القراءة الشهيرى أسند الضلال الى السامرى لأنه كان السبب فى ضلالهم وأسند الفتنة اليه تعالى لأنه هو الذى خلقها فى قلوبهم * والسامرى قيل اسمه موسى بن ظفر * وقيل منجا وهو ابن خالة موسى أو ابن عمه أو عظيم من بنى اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة أو علج من كرمان أو من باجرما أو من اليهود أو من القبط آمن بموسى وخرج معه وكان جاره أو من عباد البقر وقع فى مصر فدخل فى بنى اسرائيل بظاهره وفى قلبه عبادة البقر أقوال وتقدم فى الاعراف كيفية اتخاذ العجل وقبل ذلك فى البقرة فأغنى عن اعادته هنا * فرجع موسى الى قومه وذلك بعدما استوفى الاربعين وانتصب غضبان أسفا على الحال والاسف أشد الغضب * وقيل الحزن وغضبه من حيث له قدرة على تغيير منكرهم وأسفه وهو حزنه من حيث علم انه موضع عقوبة لا يدله بدفعها ولا بدمنها * قال ابن عطية والاسف فى كلام العرب متى كان من ذى قدرة على من دونه فهو غضب ومتى كان من الاقل على الاقوى فهو حزن وتأمل ذلك فهو مطرد ثم أخذ موسى عليه السلام يوبخهم على اضلالهم والوعد الحسن ماوعدهم من الوصول الى جانب الطور الايمن ومابعد ذلك من الفتوح فى الارض والمغفرة لمن تاب وآمن وغير ذلك مما وعد الله أهل طاعته * وقال الزمخشرى وعدهم الله بعدما استوفى الاربعين أن يعطيهم التوراة التى فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجل * وقال الحسن الوعد الحسن الجنة * وقيل أن يسمعهم كلامه والعهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدى بكذا أى طال زمانى بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على أمره وماتركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل انتهى وانتصب وعدا على المصدر والمفعول الثانى ليعدكم محذوف أو أطلق الوعد ويرادبه الموعود فيكون هو المفعول الثانى وفى قوله أفطال الى آخره توقيف على اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهو طول العهد حتى يتبين لهم خلف فى الموعد وارادة حلول غضب الله وذلك كله لم يكن ولكنهم عملوا عمل من لم يتدبر وسمى العذاب غضبا من حيث هو ناشئ عن الغضب فان جعل بمعنى الارادة فصفة ذات أو عن ظهور النقمة والعذاب فصفة فعل وموعدى مصدر يحتمل أن يضاف الى الفاعل أى أوجدتمونى أخلفت ماوعدتكم من قول العرب فلان أخلف وعد فلان اذا وجده وقع فيه الخلف قاله المفضل وأن يضاف الى المفعول وكانوا وعدوه أن يتمسكوا بدين الله وسنة موسى عليه السلام ولا يخالفوا أمر الله أبدا فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل * وقرأ الاخوان والحسن والاعمش وطلحة وابن أبى ليلى وقعنب بملكنا بضم الميم * وقرأ زيد بن على ونافع وعاصم وأبو جعفر وشيبة وابن سعدان بفتحها وباقى السبعة بكسرها * وقرأ عمر رضى الله عنه بملكنا بفتح الميم واللام وحقيقته بسلطاننا فالملك والملك بمنزلة النقض والنقض والظاهر أنها لغات والمعنى واحد وفرق أبو على وغيره بين معانيها فمعنى الضم انه لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بسلطانه وانما أخلفناه بنظر أدى اليه مافعل السامرى فليس المعنى ان لهم ملكا وانما هذا كقول ذى الرمه

لا يشتكى سقط منها وقد رقصت * بها المفاوز حتى ظهرها حدب

أى لا يكون منها سقطه فتشتكى وفتح الميم مصدر من ملك والمعنى مافعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا أنفسنا وكسر الميم كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل فى الأمور التى يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التى قبلها والمصدر فى هذين الوجهين مضاف الى الفاعل والمفعول مقدر أى بملكنا الصواب * وقال الزمخشرى أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا

أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده * وقرأ الاخوان وأبو عمرو وابن محيصن بفتح الحاء والميم وأبو رجاء بضم الحاء وكسر الميم * وقرأ باقي السبعة وأبو جعفر وشيبة وحميد ويعقوب غير روح كذلك الا أنهم شددوا الميم والأوزار الاثقال أطلق على ما كانوا استعاروا من القبط برسم التزين أوزارا لثقلها أو لسبب انهم أثموا في ذلك فسميت أوزارا لما حصلت الأوزار التي هي الآثام بسببها والقوم هنا القبط * وقيل أمرهم بالاستعارة موسى * وقيل أمر الله موسى بذلك * وقيل هو ما ألقاه البحر مما كان على الذين غرقوا * وقيل الاوزار التي هي الآثام من جهة انهم لم يردوها الى أصحابها ومعنى أنهم حملوا الآثام وقذفوها على ظهورهم كما جاؤهم يحملون أوزارهم على ظهورهم * وقيل معنى فقذفناها أي الحلي على أنفسنا وأولادنا * وقيل فقذفناها في النار أي ذلك الحلي وكان أشار عليهم بذلك السامري فحفرت حفرة وسجرت فيها النار وقذف كل من معه شيء ما عنده من ذلك في النار وقذف السامري ما معه ومعنى فكذلك أي مثل قذفنا اياها ألقى السامري ما كان معه وظاهر هذه الألفاظ أن العجل لم يصنعه السامري * وقال الزمخشري فكذلك ألقى السامري أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام أوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار تخور كخور العجاجيل والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى انتهى * وقيل معنى جسدا شخصا * وقيل لا يتغذى وتقدم الكلام على قوله له خوار في الأعراف * والضمير في فقالوا لبني اسرائيل أي ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذا اشارة الى العجل * وقيل الضمير في فقالوا عائد على السامري أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لجرمه * وقيل عليه وعلى تابعيه * وقرأ الاعمش فنسي بسكون الياء والظاهر أن الضمير في فنسي عائد على السامري أي فنسي اسلامه وايمانه قاله ابن عباس أو فترك ما كان عليه من الدين قاله مكحول وهو كقول ابن عباس أو فنسي أن العجل لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أو فنسي الاستدلال على حدوث الأجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء وعلى هذه الأقوال يكون فنسي اخبارا من الله عن السامري * وقيل الضمير عائد على موسى عليه السلام أي فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهكم أو فنسي الطريق الى ربه وكلا هذين القولين عن ابن عباس أو فنسي موسى إلهه عندكم وخالفه في طريق آخر قاله قتادة وعلى هذه الأقوال يكون من كلام السامري ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بأن الالوهية لا تصلح لمن سلبت عنه هذه الصفات فقال أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهذا كقول ابراهيم لأبيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر والرؤية هنا بمعنى العلم ولذلك جاء بعدها أن المخففة من الثقيلة كما جاء ألم يروا أنه لا يكلمهم بأن الثقيلة وبرفع يرجع قرأ الجمهور * وقرأ أبو حيوة أن لا يرجع بنصب العين قاله ابن خالويه وفي الكامل ووافقه على ذلك وعلى نصب ولا يملك الزعفراني وابن صبيح وأبان والشافعي محمد بن ادريس الامام المطلبي جعلوها ان الناصبة للمضارع وتكون الرؤية من الابصار ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي

ولا برأسي انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سوّلت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لااله الاهو وسع كل شئ علما كذلك نقص عليك من أنباء ماقدسبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساءلهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الاعشرا نحن أعلم بمايقولون اذيقول أمثلهم طريقة إن لبثتم الايوما ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعاصفصفا لاترى فيها عوجا ولاأمتا يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلاتسمع الاهمسا يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلما ولاهضما وكذلك أنزلناه قرآ ناعربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولاتضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى فأ كلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فامّا يأتينكم منى هدى فن اتبع هداى فلايضل ولايشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى *

* اللحيه معروفة وتجمع على لحى بكسر اللام وضمها * نسف ينسف بكسر سين المضارع وضمها نسفا فرّق وذرى * وقال ابن الاعرابى قلع من الأصل * الزرقه لون معروف يقال زرقت عينه وازرقت وازرافت * لقاع قال ابن الاعرابى الأرض الملساء لانبات فيها ولابناء * وقال الجوهرى المستوى من الأرض * ومنه قول ضرار بن الخطاب

ايكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع فى أكف الاماء

﴿ولقد قال لهم هرون﴾ الآية أشفق هرون على نفسه وعليهم وبذل لهم النصيحة وبين أن ماذهبوا اليه من أمر العجل انما هو فتنة اذ كان مأمورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أخيه موسى عليه السلام أخلفني في قومي ولا يمكنه أن يخالف أمر الله وأمر أخيه والضمير في به عائد على العجل زجرهم أولا هرون عن الباطل وازالة الشبهة بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على أنهم متى تابوا قبلهم وتذكير التخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم أمرهم باتباعه تنبيها على أنه نبي يجب أن يتبع ويطاع أمره ولما وعظهم هارون ونبههم على مافيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى عليه السلام وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم الى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري

﴿أن لا تتبعني أن هي الناصبة للمضارع وينسبك مصدرا أي مامنعك من اتباعي ﴿أفعصيت أمري﴾ استفهام انكار وهو عليه السلام لم يعص كلام أخيه ﴿قال يا ابن أم﴾ تقدم الكلام على ابن أم في الاعراف ﴿لا تأخذ﴾ وكان قد شرع في أخذ رأس أخيه كما تقدم في قوله وأخذ برأس أخيه يجره اليه لأن في ذلك اهانة واستعذر هارون لأخيه بقوله ﴿اني خشيت﴾ والتفريق الذي خشيه هو لتقاتل بينهم لتكون أنت المتدارك لأمرهم ولما فرغ من عتابه لأخيه وجواب أخيه له رجع الى مخاطبة الذي أوقعهم في الضلال وهو السامري قال ابن عطية ماخطبك كما تقول ماشأنك وما أمرك لكن لفظ الخطب يقتضي انتهارا لأن الخطب مستعمل في المكاره فكأنه قال مانحسك وماشؤمك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك انتهى هذا ليس كما ذكر ألا ترى الى قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون وهو قول ابراهيم للملائكة الله فليس هذا يقتضي انتهارا ولا شيأ مما ذكر وقرئ ﴿فقبضت﴾ بالضاد المعجمة فيهما أي أخذت بكفي مع الاصابع وقرئ بالصاد فيهما وقال المفسرون الرسول هنا جبريل عليه السلام وتقديره من أثر فرس الرسول و... لدى تحت حافره وقال أبو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بما ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى وأثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقول الرجل فلان يقفو أثر فلان ويقتص أثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير أن موسى لما أقبل على السامري باللوم والمسئلة عن الأمر الذي دعاه الى ضلال القوم في العجل

والجمع أقوع وأقواع وقيعان * وحكى مكي أن القاع في اللغة المكان المنكشف * وقال بعض أهل اللغة القاع مستنقع الماء * الصفصف المستوي الأملس * وقيل الذي لانبات فيه وهو مضاعف كالسبسب * الأمت التل * والعوج التعوج في الفجاج قاله ابن الاعرابي * الهمس الصوت الخفي قاله أبو عبيدة * وقيل وطء الاقدام * قال الشاعر * وهن يمشين بنا هميسا * ويقال للأسد الهموس لخفاء وطئه ويقال همس الطعام مضغه * عنا يعنو ذل وخضع واعناه غيره أذله * وقال أمية بن أبي الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

* الهضم النقص تقول العرب هضمت لك حقي أي حططت منه ومنه هضيم الكشحين أي ضامرهما وفي الصحاح رجل هضيم ومتهضم مظلوم وتهضمه واهتضمه ظلمه * وقال المتوكل الليثي

ان الأذلة واللئام لمعشر * مولاهم المتهضم المظلوم

* عري يعرى لم يكن على جلده شئ يقيه * قال الشاعر

وان يعرين ان كسي الجواري * فتنبو العين عن كرم عجاف

* ضحى يضحى برز للشمس * قال عمرو بن أبي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخصر

* الضنك الضيق والشدة ضنك عيشه يضنك ضنا كة وضنكا وامرأة ضناك كثيرة اللحم صار جلدها به * زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق والأنجم الزهر المضيئة وأزهر الشجر بدا زهره وهو النور ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك

قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيئا من دينك فنبذتها أي طرحتها فعند ذلك أعلمه موسى بماله من العذاب في الدنيا والآخرة وانما أراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا أو بماذا يأمر الامير وأما تسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه بقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا بالانزال قيل وما ذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الآن فيه مخالفة المفسرين قيل و يبعد ما قالوه أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام في الرسول السابق للذكر ولان ما قالوه لابد فيه من اضمار أي من أثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولان اختصاص السامري برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف أن اثر حافر فرسه يؤثر هذا الاثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف أن جبريل يتردد الى نبي وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر يشبه هذا فلاجله أتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق ﴿فنبذتها﴾ أي ألقيتها على الحلي الذي تصور منه العجل ﴿ وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي كما حدث ووقع قربت لي نفسي وجعلته لي سولا وأربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني اسرائيل الا في حد أو وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بأن أبعده ونحاه عن الناس وأمر بني اسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته وأن لا يؤاكلوا ولا ينا كحوا وجعل له أن يقول مدة حياته لا مساس أي لا مماسة ولا اذاية ﴿وان لك موعدا﴾ أي القيامة لن تخلفه أي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة فتزل عن موعد العذاب ﴿ وانظر الى الهك ﴾ خاطبه وحده اذ كان هو رأس الضلال وهو ينظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين وأقسم لنحرقنه وهو أعظم فساد الصورة ﴿ ثم لننسفنه في اليم ﴾ حتى تتفرق أجزاؤه فلا تجتمع وانتصب علما على التمييز المنقول من الفاعل تقديره وسع علمه كل شئ

ياسامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شئ علما ﴾ أشفق هارون على نفسه وعليهم و بذل لهم النصيحة و بين ان ما ذهبوا اليه من أمر العجل انما هو فتنة اذ كان مأمورا من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أخيه موسى عليه السلام أخلفني في قومي الآية ولا يمكنه أن يخالف أمر الله وأمر أخيه * وروى ان الله أوحى الى يوشع اني مهلك من قومك أربعين ألفا فقال يارب فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي والمضاف اليه المقطوع عنه من قبل قدره الزمخشري من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه قبل أن ينطق السامري بادر هارون عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن * وقال ابن عطية أخبر عز وجل ان هارون قد كان قال لهم في أول حال العجل انما هي فتنة و بلاء وتمويه من السامري وانما ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق والاختراع فاتبعوني الى الطور الذي واعدكم الله تعالى اليه وأطيعوا أمري فيما ذكرته لكم انتهى والضمير في به عائد على العجل زجرهم أولا هارون عن الباطل وازالة الشبهة بقوله انما فتنتم به ثم نبههم على معرفة ربهم وذكر وصف الرحمة تنبيها على انهم متى تابوا قبلهم وتذكيرا لتخليصهم من فرعون زمان لم يوجد العجل ثم أمرهم باتباعه تنبيها على انه نبي يجب أن يتبع و يطاع أمره * وقرأ الحسن وعيسى وأبو عمرو في رواية وأن ربكم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها والمصدر المنسبك منها في موضع خبر مبتدا محذوف تقديره والأمر ان ربكم الرحمن فهو من عطف جملة على جملة وقدره أبو حاتم ولان ربكم الرحمن * وقرأت فرقة أنما وأن ربكم بفتح الهمزتين وتخريج هذه القراءة على لغة سليم حيث يفتحون ان بعد القول مطلقا ولما وعظهم هارون ونبههم على ما فيه رشدهم اتبعوا سبيل الغي وقالوا لن نبرح على عبادته مقيمين ملازمين له وغيوا ذلك برجوع موسى وفي قولهم ذلك دليل على عدم رجوعهم الى الاستدلال وأخذ بتقليدهم السامري ودلالة على ان لن لا تقتضي التأبيد خلافا للزمخشري اذ لو كان من موضوعها التأبيد لما جاز التغيية بحتى لان التغيية لا تكون الا حيث يكون الشئ محتملا فيزيل ذلك الاحتمال بالتغيية وقبل

قوله قال ياهارون كلام محذوف تقديره فرجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل قال ياهارون وكان ظهور العجل فى سادس وثلاثين يوما وعبدوه وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين فعتب موسى على عدم اتباعه لما رآهم قد ضلوا ولا زائدة كهى فى قوله مامنعك أن لا تسجد * وقال على بن عيسى دخلت لا هنا لان المعنى ما دعاك الى أن لا تتبعنى وما حملك على أن لا تتبعنى بمن معك من المؤمنين أفعصيت أمرى يريد قوله أخلفنى الآية * وقال الزمخشرى مامنعك أن تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أومالك لم تلحقنى وفى ذلك تحميل اللفظ مالا يحتمله وتكثير ولما كان قوله تتبعنى لم يذكر متعلقه كان الظاهر أن لا تتبعنى الى جبل الطور بنى اسرائيل فيجىء اعتذار هارون بقوله انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل اذ كان لا يتبعه الا المؤمنون ويبقى عباد العجل عاكفين عليه كما قالوا لن نبرح عليه عاكفين ويحتمل أن يكون المعنى تتبعنى تسير بسيرى فى الاصلاح والتسديد فيجىء اعتذاره ان الأمر تفاقم فلو تقويت عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريقا بينهم وانما لاينت جهدى * وقرأ عيسى بن سليمان الحجازى بلحيتى بفتح اللام وهى لغة أهل الحجاز وكان موسى عليه السلام شديد الغضب لله ولدينه ولما رأى قومه عبدوا عجلا من دون الله بعد ما شاهدوا من الآيات العظام لم يتمالك ان أقبل على أخيه قابضا على شعر رأسه وكان كثير الشعر وعلى شعر وجهه يجره اليه فأبدى عذره فانه لو قاتل بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فانتظرتك لتكون المتدارك لهم وخشيت عتابك على اطراح ماوصيتنى به والعمل بموجبها وتقدم الكلام على ابن أم قراءة واعرابا وغير ذلك * وقرأ أبو جعفر ولم ترقب بضم التاء وكسر القاف مضارع أرقب ولما اعتذر له أخوه رجع الى مخاطبة الذى أوقعهم فى الضلال وهو السامرى وتقدم الكلام فى الخطب فى سورة يوسف * وقال ابن عطية ماخطبك كما تقول ماشأنك وماأمرك لكن لفظة الخطب تقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره فكأنه قال مانحسك وما شؤمك وماهذا الخطب الذى جاء من قبلك انتهى وهذا ليس كما ذكر ألا ترى الى قوله قال فاخطبكم أيها المرسلون وهو قول ابراهيم للملائكة فليس هذا يقتضى انتهارا ولا شيأ مما ذكر * وقال الزمخشرى خطب مصدر خطب الأمر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ماخطبك فمعناه ماطلبك له انتهى ومنه خطبة النكاح وهو طلبه * وقيل هو مشتق من الخطاب كأنه قال له ماحملك على أن خاطبت بنى اسرائيل بما خاطبت وفعلت معهم ما فعلت قال بصرت بما لم يبصروا به * قال أبو عبيدة علمت مالم يعلموا * وقال الزجاج بصر بالشئ اذا علمه وأبصر اذا نظر * وقيل بصر به وأبصره بمعنى واحد * وقرأ الأعمش وأبو السمال بصرت بكسر الصاد بما لم تبصروا بفتح الصاد * وقرأ عمرو بن عبيد بصرت بضم الباء وضم الصاد بما لم تبصروا بضم التاء وفتح الصاد مبنيا للمفعول فيهما * وقرأ الجمهور بصرت بضم الصاد وحمزة والكسائى وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن أبى ليلى وابن مناذر وابن سعدان وقعنب تبصر وابتاء الخطاب لموسى وبنى اسرائيل وباقى السبعة يبصروا بياء الغيبة * وقرأ الجمهور فقبضت قبضة بالضاد المعجمة فيهما أى أخذت بكفى مع الأصابع * وقرأ عبد الله وأبى وابن الزبير وحميد والحسن بالصاد فيهما وهو الأخذ بأطراف الأصابع * وقرأ الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بن عاصم بضم القاف والصاد المهملة وأدغم ابن محيصن الضاد المنقوطة فى تاء المتكلم وأبقى الاطباق مع تشديد التاء * وقال المفسرون الرسول هنا جبريل عليه

(الدر)

(ع) ماخطبك كما تقول ماشأنك وماأمرك لكن لفظ الخطب يقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره فكأنه قال ما نحسك وماشؤمك وماهذا الخطب الذى جاء من قبلك

(ح) هذا ليس كما ذكر ألا ترى الى قوله فاخطبكم أيها المرسلون وهو قول ابراهيم للملائكة الله تعالى فليس هذا يقتضى انتهارا ولا شيأ مما ذكر

(قوله) (ح) وقال أبو مسلم الاصبهانى ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون وهنا وجه آخر وهو أن
يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وأثره سنته ورسمه الذى أمر به فقد يقول الرجل فلان يقفو اثر فلان و يقتص اثره
اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى (٢٧٤) لما أقبل على السامرى باللوم والمسألة عن الأمر الذى دعاه الى

السلام وتقديره من أثر فرس الرسول وكذا قرأ عبد الله والأثر التراب الذى تحت حافره فنبذتها أى
ألقيتها على الحلى الذى تصور منه العجل فكان منها مارأيت * وقال الأكثرون رأى السامرى
جبريل يوم فلق البحر وعن على رآه حين ذهب موسى الى الطور و جاءه جبريل فأبصره دون
الناس * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل
ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به
فأبصره السامرى فقال ان لهذا الشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته
قال قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل انتهى وهو قول
على مع زيادة * وقال أبو مسلم الاصبهانى ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون وهنا
وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وأثره سنته ورسمه الذى أمر به فقد
يقول الرجل فلان يقفو أثر فلان و يقتص أثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير ان موسى لما أقبل
على السامرى باللوم والمسألة عن الأمر الذى دعاه الى اضلال القول فى العجل قال بصرت بما
لم يبصروا به أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول
أى شيأ من دينك فنبذتها أى طرحتها فعند ذلك أعلم موسى بما له من العذاب فى الدنيا والآخرة
وانما أراد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له مايقول الأمير فى كذا أو
بماذا يأمر الأمير وتسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذى
نزل عليه الذكر انك لمجنون فان لم يؤمنوا بالانزال قيل وماذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الا أن
فيه مخالفة المفسرين * قيل و يبعد ماقالوه ان جبريل ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما
تقدم ذكر حتى تكون اللام فى الرسول لسابق فى الذكر ولأن ماقالوه لابد من اضمار أى من أثر
حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولأن اختصاص السامرى برؤية جبريل ومعرفته
من بين الناس يبعد جدا وكيف عرف أن حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من احياء
الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف جبريل يتردد الى نبى وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول
الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر
يشبه هذا فلأجله أتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق انتهى مارجح به هذا
القائل قول أبى مسلم الاصبهانى وكذلك سولت لى نفسى أى كما حدث ووقع قربت لى نفسى وجعلته
لى سولا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لايقتل بنى اسرائيل الا فى حد أو وحى فعاقبه
باجتهاد نفسه بأن أبعده ونحاه عن الناس وأمر بنى اسرائيل باجتنابه واجتناب قبيلته وأن
لايواكلوا ولا يناكحوا وجعل له أن يقول مدة حياته لامساس أى لامماسة ولا اذاية * وقال
الزمخشرى عوقب فى الدنيا بعقوبة لاشئ أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا

اضلال القوم فى العجل قال بصرت بما لم يبصروا به أى عرفت ان الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أى شيأ من دينك فنبذتها أى طرحتها فعند ذلك علم موسى بماله من العذاب فى الدنيا والآخرة وانما أعاد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجهه له مايقول الأمير فى كذا أو بما ذا يأمر الأمير وأما تسميته رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لم يؤمنوا بالانزال قيل وماذكره أبو مسلم أقرب الى التحقيق الأن فيه مخالفة المفسرين قيل و يبعد ماقالوه ان جبريل ليس معهودا باسم رسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تكون اللام فى الرسول لسابق فى الذكر ولان ماقالوه لابد فيه من

اضمار أى من أثر حافر فرس الرسول والاضمار خلاف الاصل ولان اختصاص السامرى برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس
يبعد جدا وكيف عرف ان أثر حافر فرسه يؤثر هذا الأثر الغريب العجيب من احياء الجماد به وصيرورته لحما ودما وكيف عرف
جبريل يتردد الى نبى وقد عرف نبوته وصحت عنده فحاول الاضلال وكيف اطلع كافر على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل
موسى اطلع على شئ آخر يشبه هذا فلاجله اتى بالمعجزات فيصير ذلك قادحا فيما أتوا به من الخوارق

كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل مايعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق
أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس
ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم انتهى وكون الحمى تأخذ الماس والممسوس قول قتادة
والأمر بالذهاب حقيقة ودخلت الفاء للتعقيب اثر المحاورة وطرده بلامهلة زمانية وعبر بالمماسة عن
المخالطة لأنها أدنى أسباب المخالطة فنبه بالادنى على الاعلى والمعنى لا مخالطة بينك وبين الناس فنفر
من الناس ولزم البرية وهجر البرية وبقي مع الوحوش الى أن استوحش وصار اذا رأى أحدا
يقول لا مساس أي لا تمسني ولا أمسك * وقيل ابتلي بعذاب قيل له لا مساس بالوسواس وهو الذي
عناه الشاعر بقوله

فأصبح ذلك كالسامري * اذ قال موسى له لامساسا

* ومنه قول رؤبة * حتى تقول الأزد لامساسا * وقيل أراد موسى قتله فمنعه الله من قتله لانه
كان شيخا قال بعض شيوخنا وقد وقع مثل هذا في شرعنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا أمر
الرسول عليه السلام أن لا يكلموا ولا يخالطوا وأن يعتزلوا نساءهم حتى تاب الله عليهم * وقرأ
الجمهور لا مساس بفتح السين والميم المكسورة ومساس مصدر ماس كقتال من قاتل وهو منفي بلا
التي لنفي الجنس وهو نفي أريد به النهي أي لا تمسني ولا أمسك * وقرأ الحسن وأبو حيوة وابن أبي
عبلة وقعنب بفتح الميم وكسر السين * فقال صاحب اللوامح هو على صورة نزال ونظار من أسماء
الافعال بمعنى انزل وانظر فهذه الاسماء التي بهذه الصيغة معارف ولا تدخل عليها لا النافية التي
تنصب النكرات نحو لا مال لك لكنه فيه نفي الفعل فتقديره لا يكون منك مساس ولا أقول مساس
ومعناه النهي أي لا تمسني انتهى وظاهر هذا أن مساس اسم فعل * وقال الزمخشري لا مساس بوزن
فجار ونحوه قولهم في الظباء

ان وردن الماء فلا عباب * وان فقدنه فلا اباب

وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب * وقال ابن عطية لا مساس هو معدول
عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه أبو عبيدة وغيره بنزال ودراك ونحوه والشبه صحيح من حيث هي
معدولات وفارقه في أن هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر * ومن هذا
قول الشاعر

تميم كرهط السامري وقوله * ألا لا يريد السامري مساس

انتهى فكلام الزمخشري وابن عطية يدل على أن مساس معدول عن المصدر الذي هو المسة كفجار
معدولا عن الفجرة وان لك موعدا أي في يوم القيامة * وقرأ الجمهور لن تخلفه بالتاء المضمومة
وفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف بل ينجزه لك الله في الآخرة على الشرك والفساد بعدما عاقبك
في الدنيا * وقال الزمخشري وهذا من أخلف الموعد اذا وجده خلفا * قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

* وقرأ ابن كثير والاعمش وأبو عمرو بضم التاء وكسر اللام أي لن تستطيع الروغان عنه والحيدة
والعزول عن موعد العذاب * وقرأ أبو نهيك لن نخلفه بفتح التاء وضم اللام هكذا بنقطة منقوطة من
فوق عن أبي نهيك في نقل ابن خالويه وفي اللوامح أبو نهيك لن يخلفه بفتح الياء وضم اللام وهو
من خلفه يخلفه اذا جاء بعده أي الموعد الذي لك لا يدفع قولك الذي تقوله فيما بعد لا مساس بنفسك

فهو مسند الى الموعد أو الموعد لن يختلف ما قدر لك من العذاب في الآخرة * وقال سهل يعني أبا حاتم لا يعرف لقراءة أبي نهيك مذهبا انتهى * وقرأ ابن مسعود والحسن بخلاف عنه نحلفه بالنون وكسر اللام أي لا ننقص مما وعدناك من الزمان شيأ * وقال ابن جني لن يصادفه مخلفا * وقال الزمخشري لن يخلفه الله حكى قوله عز وجل كما مر في لأهب لك انتهى ثم وبخ موسى عليه السلام السامري بما أراد أن يفعل بالعجل الذي اتخذه الهامن الاستطالة عليه بتغيير هيئته فواجهه بقوله وانظر الى الهك وخاطبه وحده اذ كان هو رأس الضلال وهو ينظر لقولهم لن نبرح عليه عاكفين وأقسم لنحرقنه وهو أعظم فساد الصورة ثم لننسفنه في اليم حتى تتفرق أجزاؤه فلا يجتمع ويظهر أنه لما كان قد أخذ السامري القبضة من أثر فرس جبريل وهو داخل البحر حالة تقدم فرعون وتبعه فرعون في الدخول ناسب أن ينسف ذلك العجل الذي صاغه السامري من الحلي الذي كان أصله للقبط وألقى فيه القبضة في البحر ليكون ذلك تنبيها على ان ما كان به قيام الحياة آل الى العدم وألقى في محل ما قامت به الحياة وان أموال القبط قذفها الله في البحر بحيث لا ينتفع بها كما قذف الله أشخاصهم مالكيها في البحر وغرقهم فيه * وقرأ الجهور ونصر بن عاصم لابن يعمر ظلت بظاء مفتوحة ولام ساكنة * وقرأ ابن مسعود وقتادة والاعمش بخلاف عنه وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن يعمر بخلاف عنه كذلك الا أنهم كسروا الظاء وعن ابن يعمر ضمها وعن أبي والاعمش ظللت بلامين على الاصل فأما حذف اللام فقد ذكره سيبويه في الشذوذ يعني شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال مع مست وأصله مسست وأحست أصله أحسست وذكر ابن الانباري همت وأصله هممت ولا يكون ذلك الا اذا سكن آخر الفعل نحو ظلت إذ أصله ظللت وذكر بعض من عاصرناه أن ذلك منقاس في كل مضاعف العين واللام في لغة بني سليم حيث تسكن آخر الفعل وقد أمعنا الكلام على هذه المسألة في شرح التسهيل من تأليفنا فأما من كسر الظاء فلأنه نقل حركة اللام الى الظاء بعد نزع حركتها تقديرا ثم حذف اللام وأما من ضمها فيكون على انه جاء في بعض اللغات على فعل بضم العين فيهما ونقلت ضمة اللام الى الظاء كما نقلت في حالة الكسر على ما تقرر * وقرأ الجهور لنحرقنه مشددا مضارع حرق مشددا * وقرأ الحسن وقتادة وأبو جعفر وأبو رجاء والكلبي مخففا من أحرق رباعيا * وقرأ علي وابن عباس وحميد وأبو جعفر في رواية وعمرو بن فائد بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء والظاهر ان حرف وأحرق هو بالنار وأما القراءة الثالثة فمعناها لنبردنه بالمبرد يقال حرق يحرق ويحرق بضم راء المضارع وكسرها وذكر أبو علي ان التشديد قد يكون مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وفي مصحف أبي وعبد الله لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وتوافق هذه القراءة من روى انه صار لحما ودما ذا روح ويترتب الاحراق بالنار على هذا وأما اذا كان جمادا مصوغا من الحلي فيترتب برده لا احراقه الا ان عنى به اذابته * وقال السدي أمر موسى بذبح العجل فذبح وسال منه الدم ثم أحرق ونسف رماده * وقيل بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها * وقرأ الجهور لننسفنه بكسر السين * وقرأت فرقة منهم عيسى بضم السين * وقرأ ابن مقسم لننسفنه بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد السين والظاهر وقول الجهور ان موسى تعجل وحده فوقع أمر العجل ثم جاء موسى وصنع بالعجل ما صنع ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني اسرائيل وان يطلعهم أيضا على أمر المناجاة فكان لموسى عليه السلام نهضتان وأسند مكي خلاف هذا أن موسى كان مع السبعين في المناجاة وحينئذ وقع أمر العجل وان

﴿ كذلك نقص عليك ﴾ الآية ذلك اشارة الى نبأ موسى وبني اسرائيل وفرعون أي كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك من أنباء الامم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الاعلام باخبار الأمم السالفة ليتسلى بذلك و يعلم أن ما صدر من الأمم السالفة لرسلهم وما فاست الرسل منهم والظاهر أن الذكر هنا القرآن امتن تعالى عليه بايتائه الذكر المشتمل على القصص والاخبار الدال ذلك على معجزات أوتيها ﴿ من أعرض عنه ﴾ أي عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع ما فيه وقرئ يحمل مضارع حمل وقرئ يحمل مشددا والظاهر أنه عبر عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه أي في العذاب والعقوبة وجمع خالدين والضمير في لهم حملا على معنى من بعدا الحمل على لفظها في أعرض وفي فانه يحمل والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ولهم للبيان كهي في هيت لك لا متعلقة بساء وساء هنا التي جرت مجرى بأس لا ساء التي بمعنى أحزن وأهم لفساد المعنى ﴿ و يوم ننفخ ﴾ بدل من يوم القيامة أسند النفخ الى الآمر به والنافخ هو اسرافيل ولكرامته أسند ما يتولاه الى ذاته المقدسة والصور تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام والظاهر ان المراد هنا بالزرقة زرقة العيون والزرقة أبغض الألوان للعرب وكانت تتشاءم به ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ أي يتسارون بينهم لهول المطلع وشدة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها ﴿ ان لبثتم ﴾ أي في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين النفختين ثلاثة أقوال ووصف (٢٧٧) ما لبثوا فيه بالقصر ﴿ الا يوما ﴾ اشارة لقصر مدة لبثهم والاعشرا يحتمل أن يكون عشر ليال أو عشرة أيام لان المذكر اذا حذف وأبقى عدده قد لا يأتي بالتاء وحكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا يريد خمسة أيام وما جاء ثم اتبعه بست من شوال يريد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية ذكر أولا منتهى أقل العدد وهو العشر وذكر أعدلهم طريقة أقل العدد وهو اليوم الواحد ودل ظاهر قوله الا يوما على أن المراد بقولهم عشرا عشرة أيام وضمير الغائب في و يسألونك عائد على قريش منكري البعث والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر وجود السؤال وكأنه تضمن معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في قوله فقل بخلاف السؤالات في القرآن فليس فيها لفاء بل لفظ قل وروي أن الله تعالى يرسل على الجبال رياحا فتدككها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال أي بعد النسف تبقى قاعا أي مستويا من الارض معتدلا ﴿ عوجا ﴾ قال ابن عباس ميلا ﴿ ولا أمتا ﴾ أثرا مثل الشراك ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ التنوين فيه عوض من جملة محذوفة التقدير يومئذ ينسف الله الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أي الخلائق داعي الله الى المحشر نحو قوله مهطعين الى الداع وهو اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور في فيه و يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى العرض على الرحمن والظاهر أن الضمير في له عائد على الداعي نفى عنه العوج أي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ هو على حذف مضاف أي أصحاب الاصوات والهمس الصوت الخفي

الله أعلم موسى بذلك فكتمه عنهم وجاء بهم حتى سمعوا الغط بني اسرائيل حول العجل فحينئذ أعلمهم موسى انتهى ولما فرغ من ابطال ما عمله السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله * وقرأ الجمهور وسع فانتصب علما على التمييز المنقول من الفاعل وتقدم نظيره في الانعام * وقرأ مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشدده * قال الزمخشري وجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعديه الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * وقال ابن عطية وسع بمعنى خلق الاشياء وكثرها بالاختراع فوسعها موجودات انتهى * كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا * خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا * يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما * و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا *

﴿الامن أذن له﴾ هو على حذف مضاف تقديره الاشفاعة من أذن له الرحمن أى فى الشفاعة ومن فى موضع رفع بدلا من قوله الشفاعـة على حذف المضاف الذى قلناه ﴿ورضى له قولا﴾ هو لا اله الا الله قاله ابن عباس والظاهر ان الضمير فى أيديهم وما خلفهم عائد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعى والضمير فى به (٢٧٨) عائد على الله أى لا يحيط علم أحد بالله إذ ليس داخلا تحت تحديد وعلما تمييز منقول من الفاعـل أى ولا يحيط علمهم به والظـاهر عموم الوجوه أى وجوه الخلائق وخص الوجوه لأن آثار الذل انمـا تظهر أولا فى الوجوه و ﴿القيوم﴾ تقدم الـكلام عليـه فى البقرة ﴿وقد خاب﴾ أى لم ينجح ولم يظفر بمطلوبه والظـلم يعم الشرك والمعـاصى وخيبة كل حامل بقـدر ما حمل من الظلم ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ من للتبعيض ﴿وهو مؤمن﴾ جملة فى موضع الحال وقرئ فلا يخاف عـلى الخـبر والتقدير فهو لا يخاف فهو مبتدأ ولا يخاف جملة فى موضـع الخبر وقرأ ابن محيصن وحميد فلا يخف على النهى والهضم نقص من الحسنات قاله ابن عباس * وكـذلك عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال أو كما أنزلنا عليك هذه الآيات المتضمنة الوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة ﴿لعلهم يتقون﴾ أى يحذرون وعيده من عقاب العذاب ﴿أو يحدث لهم ذكرا﴾ عظة بما حل بالامم السالفة ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ لما كان فيما سبق تعظيم القرآن فى قوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ذكر عظم منزله تعالى بذكر هاتين الصفتين وهى صفة الملك التى تضمنت القهر والسلطنة والحق وهى الصفة الثابتة له ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ أى تأن حتى يفرغ الملقى إليك الوحى ولا تساوق فى قراءته والفاء كقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به

يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبـل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴿ذلك اشارة الى نبأ موسى و بنى اسرائيل وفرعون أى كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك من أنباء الأمم السابقة وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهى الاعلام بأخبار الأمم السالفـة ليتسلى بذلك و يعلم ان ما صدر من الأمم لرسلهـم وما قاست الرسل منهـم والظاهر ان الذكر هنا القرآن امتن تعالى عليه باتيانه الذكر المشتمـل على القصص والاخبار الدال ذلك على معجزات أوتيها * وقال مقاتل ذكرا بيانا * وقال أبو سهل شرفا وذكرا فى الناس * من أعرض عنه أى عن القرآن بكونه لم يؤمن به ولم يتبع ما فيه * وقرأ الجمهور يحمل مضارع حمل مخففا مبنيا للفاعل * وقرأت فرقة منهـم داود ابن رفيع يحمل مشددا الميم مبنيا للمفعول لأنه يكلف ذلك لا أنه يحمله طوعا ووزرا مفعول ثان ووزرا ثقلا باهظا يؤده حمله وهو ثقل العذاب * وقال مجاهد اثما * وقال الثورى شركا والظاهر انه عبر عن العقوبة بالوزر لانه سببها ولذلك قال خالدين فيه أى فى العذاب والعقوبة وجمع خالدين والضمير فى لهم حملا على معنى من بعد الحمل على لفظها فى أعرض وفى فانه يحمل والمخصوص بالذم محذوف أى وزرهم ولهم للبيان كهى فى هيت لك لا متعلقـة بساء وساء هاهى التى جرت مجرى بئس لا ساء التى بمعنى أحزن وأهم لفساد المعنى * و يوم ينفخ بدل من يوم القيامة * وقرأ الجمهور ينفخ مبنيا للمفعول ونحشر بالنون مبنيا للفاعل بنون العظمة * وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وحميد ننفخ بنون العظمه لحسر أسند النفخ الى الآمر به والنافخ هو اسرافيل ولـكرامته أسند ما يتولاه الى ذاته المقدسة والصور تقدم الـكلام فيـه فى الانعام * وقرئ ينفخ و يحشر بالياء فيهما مبنيا للفاعل * وقرأ الحسن وابن عياض فى جماعة فى الصور على وزن درر والحسن يحشر بالياء مبنيا للمفعول و يحشر مبنيا للفاعل و بالياء أى و يحشر الله والظاهر ان المراد بالزرق زرقة العيون والزرقة أبغض ألوان العيون الى العرب لأن الروم أعـداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الـكبد أصهب السبال أزرق العين * وقال الشاعر

وما كنت أخشى أن تكون وفاته * بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

وقد ذكر فى آية أخرى انهم يحشرون سود الوجوه فالمعنى تشويه الصورة من سواد الوجه وزرقة العين وأيضا فالعرب تتشاءم بالزرقة * قال الشاعر

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر * الا كل عبسى من اللؤم أزرق

وقيل المعنى عميا لأن العين اذا ذهب نورها ازرق ناظرها وبهذا التأويل يقع الجمع بين
قوله زرقا في هذه الآية وعميا في الآية الأخرى * وقيل زرق ألوان أبدانهم وذلك غاية في
التشويه إذ يجيئون كلون الرماد وفي كلام العرب يسمى هذا اللون أزرق ولا تزرق الجلود
الا من مكابدة الشدائد وجفوف رطوبتها * وقيل زرقا عطاشا والعطش الشديد يرد
سواد العين الى البياض ومنه قولهم سنان أزرق وقوله

* فلما وردن الماء زرقا جمامه * أي ابيض وذكرت الآيتان لابن عباس فقال ليوم القيامة
حالات فحالة يكونون فيها زرقا وحالة يكونون عميا * يتخافتون يتسارون لهول المطلع وشدة ذهاب
أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها * إن لبثتم أي في دار الدنيا أو في البرزخ أو بين
النفختين في الصور ثلاثة أقوال ووصف مالبثوا فيه بالقصر لأنها لما يعاينون من الشدائد كانت
لهم في الدنيا أيام سرور وأيام السرور قصار أو لذهابها عنهم وتقضيها والذاهب وان طالت مدته
قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة وانها أبد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيها
بالقياس الى لبثهم في الآخرة وإذ معمولة لأعلم * وأمثلهم أعدلهم * وطريقة منصوبة على التمييز * لا يوما
اشارة لقصر مدة لبثهم * والعشر يحتمل عشر ليال أو عشرة أيام لأن المذكر اذا حذف وأبقى
عدده قد لا يأتي بالتاء * حكى الكسائي عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمسا ومنه ما جاء في
الحديث ثم أتبعه بست من شوال يريد ستة أيام وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية
ذكر أولا منتهى أقل العدد وهو العشر وذكر أعدلهم طريقة أقل العدد وهو اليوم الواحد ودل
ظاهر قوله إلا يوما على أن المراد بقولهم عشرا أيام وضمير الغائب في ويسألونك عائد على
قريش منكري البعث أو على المؤمنين سألوا عن ذلك أو على رجل من ثقيف وجماعة من قومه
أقوال والكاف خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر وجود السؤال ويبعد قول
من قال انه لم يكن سؤال بل المعنى ان يسألوك عن الجبال فقل فضمن معنى الشرط فلذلك أجيب
بالفاء وروى أن الله يرسل على الجبال ريحا فيدكدكها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم يتوالى
عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والظاهر عود الضمير في فيذرها على الجبال
أي بعد النسف تبقى قاعا أي مستويا من الأرض معتدلا وقيل فيذر مقارها ومراكزها * وقيل
يعود على الأرض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الجبال عليها وقال ابن عباس عوجا ميلا ولا أمتا أثرا
مثل الشراك وعنه أيضا عوجا واديا ولا أمتا رابية وعنه الأمت الارتفاع * وقال قتادة عوجا
صدعا ولا أمتا أكمة * وقيل الأمت الشقوق في الأرض * وقيل أن يغلظ مكان في الفضاء ويخشن
ويرق في مكان حكاه الصولي * وقيل كان الأمت في الآية العوج في السماء تجاه الهواء والعوج
في الأرض مختص بالأرض * وقال الزمخشري (فان قلت) قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا
العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين
(قلت) اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي
الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية
على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي
المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع
لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق

ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لا يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر * الامت النتوّ اليسير يقال مدّ حبله حتى مافيه أمت انتهى * يومئذ أى يوم اذ ينسف الله الجبال * يتبعون أى الخلائق * الداعى داعى الله الى المحشر نحو قوله مهطعين الى الداع وهو اسرافيل يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل جهة يضع الصور فى فيه و يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرّقة هلم الى العرض على الرحمن * وقال محمد بن كعب يجمعون فى ظلمة قد طويت السماء وانتثرت النجوم فينادى مناد فيموتون موتة * وقال على بن عيسى الداعى هنا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان يدعوهم الى الله فيعوجون على الصراط يمينا وشمالا و يميلون عنه ميلا عظيما فيومئذ لا ينفعهم اتباعه والظاهر أن الضمير فى له عائد على الداعى نفى عنه العوج أى لا عوج لدعائه يسمع جميعهم فلا يميل الى ناس دون ناس * وقيل هو على القلب أى لا عوج لهم عنه بل يأتون مقبلين اليه متبعين لصوته من غير انحراف * وقال الزمخشرى أى لا يعوج له مدعوّ بل يستوون اليه انتهى * وقيل لا عوج له فى موضع وصف لمنعوت محذوف أى اتباعا لا عوج له فيكون الضمير فى له عائدا على ذلك المصدر المحذوف * وقال ابن عطية يحتمل أن يريد به الاخبار أى لا شك فيه ولا يخالف وجوده خبره و يحتمل أن يريد لا محيد لأحد عن اتباعه والمشى نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو فى الأصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار للرحمن أى لهيبة الرحمن وهو مطلع قدرته * وقيل هو على حذف مضاف أى وخشع أهل الأصوات والهمس الصوت الخفى الخافت و يحتمل أن يريد بالهمس المسموع تخافتهم بينهم وكلامهم السر و يحتمل أن يريد صوت الاقدام وان أصوات النطق ساكنة * وقال الزمخشرى الاهمسا وهو الركز الخفى ومنه الحروف المهموسة * وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أى لا يسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر انتهى وعن ابن عباس وعكرمة وابن جبير الهمس وطء الاقدام واختاره الفراء والزجاج وعن ابن عباس أيضا تحريك الشفاه بغير نطق وعن مجاهد الكلام الخفى و يؤيده قراءة أبى فلا ينطقون إلا همسا وعن أبى عبيدة الصوت الخفى يومئذ بدل من يومئذ يتبعون أو يكون التقدير يوم اذ يتبعون و يكون منصوبا بلا تنفع ومن مفعول بقوله لا تنفع * وله معناه لأجله وكذا فى ورضى له أى لاجله و يكون من للمشفوع له أو بدل من الشفاعة على حذف مضاف أى الا شفاعة من أذن له أو منصوب على الاستثناء على هذا التقدير أو استثناء منقطع فنصب على لغة الحجاز ورفع على لغة تميم و يكون من فى هذه الاوجه للشافع والقول المرضى عن ابن عباس لا اله الا الله والظاهر أن الضمير فى أيديهم وما خلفهم عائد على الخلق المحشورين وهم متبعو الداعى * وقيل يعود على الملائكة * وقيل على الناس لا بقيد الحشر والاتباع وتقدم تفسير هذه الجملة فى آية الكرسى فى البقرة والضمير فى به عائد على ما أى ولا يحيطون بمعلوماته علما والظاهر عموم الوجوه أى وجوه الخلائق وخص الوجوه لان آثار الذل انما تظهر فى أول الوجوه * وقال طلق بن حبيب المراد سجود الناس على الوجوه والآراب السبعة فان كان روى أن هذا يكون يوم القيامة فتكون الآية اخبار عنه واستقام المعنى وان كان أراد فى الدنيا فليس ذلك بملائم للآيات التى قبلها و بعدها * وقال الزمخشرى المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أى ذليلة خاضعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه فلما

وأو زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة والقيوم تقدم الكلام عليه في البقرة
* وقد خاب أي لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه من حمل الظلم من الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل
من الظلم فخيبة المشرك دائماً وخيبة المؤمن العاصي مقيدة بوقت في العقوبة إن عوقب ولما خص
الزمخشري الوجوه بوجوه العصاة قال في قوله وقد خاب من حمل ظلماً إنه اعتراض كقولك خابوا
وخسروا وهي تكون الجملة دخلت بين العصاة وبين من يعمل من الصالحات فهذا عنده قسيم
وعنت الوجوه * وأما ابن عطية فجعل قوله ومن يعمل الى هضماً معادلاً لقوله وقد خاب من حمل
ظلماً لأنه جعل وعنت الوجوه عامة في وجوه الخلائق ومن الصالحات يسير في الشرع لأن
من للتبعيض والظلم مجاوزة الحد في عظم سيئاته والهضم نقص من حسناته قاله ابن عباس * وقال
قتادة الظلم أن يزاد من ذنب غيره * وقال ابن زيد الظلم أن لا يجزى بعمله * وقيل الظلم أن
يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين
يسترجحون لأنفسهم اذا اكتالوا ويخسرون اذا كالوا انتهى والظلم والهضم متقاربان * قال
الماوردي والفرق أن الظلم منع الحق كله والهضم منع بعضه * وقرأ الجمهور فلا يخاف على الخبر
أي فهو لا يخاف * وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد فلا يخف على النهي وكذلك عطف على
كذلك نقص أي ومثل ذلك الانزال أو كما أنزلنا عليك هذه الآيات المضمنة الوعيد أنزلنا القرآن
كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل
الخير والطاعة والذكر يطلق على الطاعة والعبادة * وقيل كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها
حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هؤلاء أمرها وأنزلناه قرآناً عربياً وتوعدنا فيه بأنواع من
الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه
عندهم وما حذرهم من أليم عقابه هذا تأويل فرقة في قوله أو يحدث لهم ذكراً * وقالت فرقة معناه
أو يكسبهم شرفاً ويبقي عليهم إيمانهم ذكراً صالحاً في الغابرين * وقيل المعنى كما رغبنا أهل الايمان
بالوعد حذرنا أهل الشرك بالوعيد وصرفنا فيه من الوعيد كالطوفان والصيحة والرجفة والمسخ ولم
يذكر الوعد لأن الآية سيقت مساق التهديد * لعلهم يتقون أي ليكونوا على رجاء من أن يوقع في
قلوبهم الاتقاء أو يتقون أن ينزل بهم ما نزل بمن تقدمهم أي يحدث لهم ذكراً أي عظة وفكراً
واعتباراً * وقال قتادة ورعاً * وقيل أنزل القرآن ليصيروا محترزين عما لا ينبغي أو يحدث لهم
ذكراً يدعوهم الى الطاعات وأسند ترجي التقوى اليهم وترجي احداث الذكر للقرآن لأن
التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يسند القرآن وأسند
احداث الذكر الى القرآن لأنه أمر حدث بعد أن لم يكن والظاهر أن أو هنا لأحد الشيئين * قيل
أو كهي في جالس الحسن أو ابن سيرين أي لا تكن خالياً منهما * وقرأ الحسن أو يحدث ساكنة
الثاء * وقرأ عبد الله ومجاهد وأبو حيوة والحسن في رواية والجحدري وسلام أو نحدث بالنون
وجزم الثاء وذلك حمل وصل على وقف أو تسكين حرف الاعراب استثقالاً لحركته نحو قول جرير
* أو نهر تيرى فلا تعرفكم العرب * ولما كان فيما سبق تعظيم القرآن في قوله وقد آتيناك من
لدنا ذكراً وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ذكر عظمة منزله تعالى ثم ذكر هاتين الصفتين وهي صفة
الملك التي تضمنت القهر والسلطنة والحق وهي الصفة الثابتة له إذ كل من يدعي إلهاً دونه باطل لا سيما
الاله الذي صاغوه من الحلي ومضمحل ملكه ومستعار وتقدم أيضاً صفة سلطانه يوم القيامة وعظم

﴿ولقد عهدنا الى آدم﴾ الآية لما تقدم كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق كان من هذه الانباء قصة آدم عليه السلام ليحذر بنوه من وسوسة الشيطان وعهده نهيه عن قربان تلك الشجرة وأكله منها والظاهر أن النسيان هنا الترك أي ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها والعزم التصميم والمضي ﴿واذ قلنا للملائكة﴾ الآية وأبى جملة مستأنفة مبينة أن امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع الظاهر حذف متعلق أبى وأنه يقدر هنا ما صرح به في الاية الأخرى اى ان يكون من الساجدين وهذا إشارة الى ابليس وعدو يطلق على الواحد

والمثنى والمجموع عرف تعالى آدم عداوة إبليس له ولزوجه ليحذراه فلم يغن الحذر من القدر ﴿فلا يخرجنكما﴾ الظاهر أنه نهى لابليس عن اخراجهما والمعنى أنه لاتتعرضا لمخالفتكما إياي بالقربان والاكل فيخرجكما من الجنة فاقتصر بقوله فتشقى على شقاء آدم فقط لان زوجته تابعة له ولأن الكلمة رأس آية ﴿ان لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى﴾ لما كان الشبع والري والكسوة والكن هي الأمور الضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وما أحسن المقابلة في هذه الأربعة فقابل الجوع بخلو الباطن والتعري بخلو الظاهر والظمأ باحراق الباطن والضحو باحراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق وأورد ذلك مورد النفي وقرئ والمعطوف على أن لاتجوع وقرئ و [illegible] على الاستئناف وعطفا على أنك وتقدم الكلام في فوسوس وتعدى وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي [illegible] وسوس إليه وتعدى بلام الجر قيل معناه لاجله وللوسوس إليه بأداء [illegible] ليكون أقبل عليه وأمكن [illegible] ﴿هل أدلك﴾ على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح [illegible] من مخاطبه كقول [illegible] وكان آدم صلى الله عليه وسلم قد رحمه الله في [illegible] بقوله هل أدلك [illegible]

قدرته ودلة عبيده وحسن تلطفه بهم فناسب تعاليه ووصفه بالصفتين المذكورتين ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد طالبا منه التأني في تحفظ القرآن ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أي تأن حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولاتساوق في قراءتك قراءته والقاءه كقوله تعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به * وقيل معناه لاتبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان * وقيل سبب الآية ان امرأة شكت الى النبي صلى الله عليه وسلم أن زوجها لطمها فقال لها بينكما القصاص ثم نزلت الرجال قوامون على النساء ونزلت هذه بمعنى الأمر بالتثبت في الحكم بالقرآن * وقيل كان اذا نزل عليه الوحي أمر بكتبه للحين فأمر أن يتأنى حتى يفسر له المعاني ويتقرر عنده * وقال الماوردي معناه ولاتسأل قبل أن يأتيك الوحي ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يامحمد أخبرنا عن كذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فأبطأ الوحي عليه وفشت المقالة بين اليهود قد غلب محمد فنزلت ولاتعجل بالقرآن أي بنزوله * وقال أبو مسلم ولاتعجل بقراءته في نفسك أو في تأديته الى غيرك أو في اعتقاد ظاهره أو في تعريف غيرك مايقتضيه ظاهره احتمالات * من قبل أن يقضى اليك وحيه أي تمامه أو بيانه احتمالات فالمراد اذا أن لاينصب نفسه ولاغيره عليه حتى يتبين بالوحي تمامه أو بيانه أوهما جميعا لانه يجب التوقف في المعنى لما يجوز أن يحصل عقيبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات وهذه العجلة لعله فعلها باجتهاده عليه السلام انتهى وفيه بعض تلخيص * وقرأ الجمهور يقضى اليك مبنيا للمفعول وحيه مرفوع به * وقرأ عبد الله والجحدري والحسن وأبو حيوة ويعقوب وسلام والزعفراني وابن مقسم نقضي بنون العظمة مفتوح الياء وحيه بالنصب * وقرأ الأعمش كذلك الا أنه سكن الياء من نقضي * قال صاحب اللوامح وذلك على لغة من لايرى فتح الياء بحال اذا انكسر ما قبلها وحلت طرفا انتهى * وقل رب زدني علما قال مقاتل أي قرآنا * وقيل فهما * وقيل حفظا وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني من أدب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما * وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شئ الا في طلب العلم ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ ﴿ان لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى﴾ ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى﴾ ﴿فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى﴾ ﴿فأكلا منها﴾

إبليس من الجهة التي رغبه الله تعالى فيها وفي الأعراف مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية وهنا هل أدلك والجمع بينهما أن قوله هل أدلك يكون سابقا على قوله مانهاكما لما رأى إصغاءه وميله إلى ما عرض عليه انتقل إلى الإخبار والحصر ومعنى عن شجرة الخلد أي الشجرة التي من أكل منها خلد وحصل له ملك لا يخلق ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي لا يجوز لأحدنا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم صلى الله عليه (٢٨٣) وسلم إلا إذا تلاه في أثناء كلامه تعالى أو قول نبيه صلى الله عليه وسلم فأما أن نبتدئ ذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنين لنا المماثلين لنا فكيف بأبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله تعالى وتاب عليه وغفر له والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو أمر لآدم وحواء جعل هبوطهما عقوبتهما جميعا حال منهما وبعضكم لبعض جملة حالية ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ الذكر يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الإلهية [illegible] مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى [illegible] وغيرهم والظاهر أن قوله ﴿ أعمى ﴾ [illegible] [illegible] ونحشرهم [illegible] [illegible] رب لم حشرتني أعمى [illegible]

[illegible] كذلك اليوم تنسى [illegible] [illegible] مقطع

فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ تقدمت قصة آدم في البقرة والأعراف والحجر والكهف ثم ذكرها هنا لما تقدم كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق كان من هذا الأنباء قصة آدم ليتحفظ بنوه من وسوسة الشيطان وينبهوا على غوائله ومن أطاع الشيطان منهم ذكر بما جرى لأبيه آدم معه وأنه أوضح له عداوته ومع ذلك نسي ما عهد إليه ربه وأيضا لما أمر بأن يقول رب زدني علما كان من ذلك ذكر قصة آدم وذكر شيء من أحواله فيما لم يتقدم ذكرها فكان في ذلك مزيد علم له عليه السلام والعهد عند الجمهور الوصية والظاهر أن المضاف إليه المحذوف بعد قوله من قبل تقديره من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد في القرآن لعلهم يتقون وهم الناقضون عهد الله والتاركون الإيمان وقال الحسن من قبل الرسول والقرآن وقيل من قبل أن يأكل من الشجرة وقال الطبري المعنى إن يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا إبليس فقدما فعل ذلك أبوهم آدم وقال ابن عطية وهذا ضعيف وذلك أن يكون آدم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء وآدم عليه السلام إنما عصى بتأويل ففي هذا غضاضة عليه السلام وإنما الظاهر في هذه الآية إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله وإما أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوقب ليكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه وتعالى قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة [illegible]

[illegible]

النسيان انتهى وقاله غيره * وقال ابن عطية ونسيان الذهول لا يمكن هنا لأنه لا يتعلق بالناسي عقاب انتهى * وقرأ اليماني والأعمش فنسي بضم النون وتشديد السين أي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي * قال الزمخشري أي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما انتهى * وقيل ولم نجد له عزما على المعصية وهذا يتخرج على قول من قال انه فعل نسيانا * وقيل حفظا لما أمر به * وقيل صبرا عن أكل الشجرة * وقيل عزما في الاحتياط في كيفية الاجتهاد وتقدم الكلام على نظير قوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى وأبى جملة مستأنفة مبينة أن امتناعه من السجود انما كان عن اباء منه وامتناع والظاهر حذف متعلق أبى وأنه يقدر هنا ما صرح به في الآية الأخرى أبى أن يكون مع الساجدين * وقال الزمخشري أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله اسجدوا وأن يكون معناه أظهر الاباء وتوقف وتثبط انتهى وهذا اشارة الى ابليس وعدو يطلق على الواحد والمثنى والمجموع عرف تعالى آدم عداوة ابليس له ولزوجته ليحذراه فلن يغن الحذر عن القدر وسبب العداوة فيما قيل ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله على آدم حسده وعاداه * وقيل العداوة حصلت من تنافي أصليهما اذ إبليس من النار وآدم من الماء والتراب فلا يخرجنكما النهي له والمراد غيره أي لا يقع منكما طاعة له في اغوائه فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة وأسند الاخراج اليه وان كان المخرج هو الله تعالى لما كان بوسوسته هو الذي فعل ما ترتب عليه الخروج * فتشقى يحتمل أن يكون منصوبا باضمار أن في جواب النهي وأن يكون مرفوعا على تقدير فأنت تشقى وأسند الشقاء اليه وحده بعد اشراكه مع زوجه في الاخراج من حيث كان هو المخاطب أولا والمقصود بالكلام ولأن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله وفي سعادته سعادتها فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة * وقيل أراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك راجع الى الرجل وعن ابن جبير أهبط له ثور أحمر يحرث عليه فيأكل بكد يمينه وعرق جبينه * وقرأ شيبة ونافع وحفص وابن سعدان وانك لا تظمأ بكسر همزة وإنك * وقرأ الجمهور بفتحها فالكسر عطف على أن لك والفتح عطف على المصدر المنسبك من أن لا تجوع أي ان لك انتفاء جوعك وانتفاء ظمئك وجاز عطف ذلك على ان لاشتراكهما في المصدر ولو باشرتها ان المكسورة لم يجز ذلك وان كان على تقديرها ألا ترى أنها معطوفة على اسم ان وهو أن لا تجوع لكنه يجوز في العطف ما لا يجوز في المباشرة ولما كان الشبع والري والكسوة والكن هي الأمور التي هي ضرورية للانسان اقتصر عليها لكونها كافية له وفي الجنة ضروب من أنواع النعيم والراحة ماهذه بالنسبة اليها كالعدم منها الأمن من الموت الذي هو مكدر لكل لذة والنظر الى وجه الله سبحانه ورضاه تعالى عن أهلها وأن لا سقم ولا حزن ولا ألم ولا كبر ولا هرم ولا غل ولا غضب ولا حسد ولا تحاسد ولا تكليف ولا حزن ولا خوف ولا ملل وذكر هذه الأربعة بلفظ النفي لانتفاء أضدادها وهو الشبع والري والكسوة والكن وكانت فائضها بلفظ النفي وهو الجوع والعري والظمأ والضحو ليصرع سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها * قال ابن عطية وكان عرف الكلام أن يكون الجوع مع الظمأ والعري مع الضحاء لأنها تتضاد اذ العري تمسه البرد فيؤذي والحر يفعل ذلك بالضاحي وهذه الطريقة مهيع في كلام

العرب أن يقرن النسب * ومنه قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد إجفال

وقد ذهب بعض الأدباء الى أن بيتي امرئ القيس كافطاني للنسب وأن ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ يناسب تبطن الكاعب انتهى * وقيل هذا الجواب على قدر السؤال لما أمر الله آدم بسكنى الجنة قال إلهي أين فيها ما آكل أين فيها ما ألبس أين فيها ما أشرب أين فيها ما أستظل به * وقيل هي مقابلة معنوية فالجوع خلو الباطن والتعري خلو الظاهر والظمأ إحراق الباطن والضحو إحراق الظاهر فقابل الخلو بالخلو والاحراق بالاحراق * وقيل جمع امرؤ القيس في بيتيه بين ركوب الخيل للذة والنزهة وبين تبطن الكاعب للذة الحاصلة فيهما وجمع بين سباء الزق وبين قوله لخيله كري لما فيهما من الشجاعة ولما عيب على أبي الطيب قوله

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال هزمى كليمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

فقال إن كنت أخطأت فقد أخطأ امرؤ القيس وتقدم الكلام في فوسوس والخلاف في كيفيتها في الاعراف وعدي وسوس هنا بالى وفي الاعراف باللام فالتعدي الى معناه أنهى الوسوسة اليه [illegible] باللام الجر فيه [illegible] معناه لأجله ولم وسوس [illegible] ليكون أقبل عليه وأمكن [illegible] عليه ما لقى بقوله هل أدلك [illegible] الاستفهام الذي يشعر بالنصح [illegible] من [illegible] كقول موسى هل لك الى أن تزكى وهو عرض [illegible] وكان آدم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما الآية ورغبه [illegible] في دوام الراحة بقوله هل أدلك [illegible] من جهة [illegible] ومن [illegible] كما [illegible] لشجرة [illegible] هل أدلك [illegible] بقوله هل أدلك يكون [illegible] على قوله [illegible] كما [illegible] أي [illegible] عليه [illegible] والحصر [illegible] الخلد أي الشجرة [illegible] من أكل [illegible] لا يخلو [illegible]

[illegible]

السلام الا اذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى أو قول نبيه عليه السلام فأما ان يبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في آبائنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في أبينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي اجتباه الله وتاب عليه وغفر له * قال القرطبي واذا كان هذا في المخلوق لا يجوز والاخبار عن صفات الله كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك أولى بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك الا في أثناء قراءة كتابه أو سنة رسوله عليه السلام ولهذا قال الامام مالك بن أنس من وصف شيأ من ذات الله مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة فأشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لأنه شبه الله سبحانه بنفسه * ثم اجتباه أي اصطفاه وقربه وتاب عليه أي قبل توبته وهدى أي هداه للنبوة أو الى كيفية التوبة أو هداه رشده حتى رجع الى الندم * والضمير في اهبطا ضمير تثنية وهو أمر لادم وحواء جعل هبوطهما عقوبتهما وجميعا حال منهما * وقال ابن عطية ثم أخبرهما بقوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما وأخبرهما أن العداوة بينهم وبين أنسالهم الى يوم القيامة انتهى ولا يدل قوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما لأن جميعا حال من ضمير الاثنين أي مجتمعين والضمير في بعضكم لبعض ضمير جمع * قيل يريد ابليس وبنيه وآدم وبنيه * وقيل أراد آدم وذريته فالعداوة واقعة بينهم والبغضاء لاختلاف الاديان وتشتت الآراء * وقيل آدم وابليس والحية * وقال ابو مسلم الاصبهاني الخطاب لآدم عليه السلام ولكونهما جنسين صح قوله اهبطا ولأجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله فاما يأتينكم مني هدى * وقال الزمخشري لما كان آدم وحواء عليهما السلام أصلي البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كأنهما البشر في أنفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب انتهى وهدى شرعة الله وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه وعن ابن جبير من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب * وقال أبو عبد الله الرازي وهذه الآية تدل على ان المراد بالهدى الذي ذكره الله تعالى الانباع لادلة وانباعها لا يتكامل الا بأن يستدل بها وبأن يعمل بها ومن هذه حاله فقد ضمن تعالى أن لا يضل ولا يشقى في الآخرة لأنه تعالى يهديه الى الجنة * وقيل لا يضل ولا يشقى في الدنيا * فان قيل المتبع هدى الله قد يلحقه الشقاء في الدنيا * قلنا المراد لا يضل في الدين ولا يشقى بسبب الدين فان حصل بسبب آخر فلا بأس انتهى ولما ذكر تعالى من اتبع الهدى أتبعه بوعيد من أعرض عن ذكره والذكر يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الالهية * وضنك مصدر يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع والمعنى لنكدا الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها * ومنه قول عنترة

ان المنية لو تمثل مثلت * مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في الاسود بن عبد الاسد المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه * وقال الحسن وقتادة والكلبي هو الضيق في الآخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين ولا يموتون فيها ولا يحيون * وقال عطاء المعيشة الضنك معيشة

الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب * وقال ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع * وقال
أبو سعيد الخدري والسدي هو عذاب القبر ورواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم * وقال الجوهري المعيشة الضنك في الدنيا والمعنى ان الكافر وان كان متسع الحال والمال معه
من الحرص والأمل والتعذيب بأمور الدنيا والرغبة وامتناع صفاء العيش لذلك ما تصير معيشته
ضنكا وقالت فرقة ضنكا أكل الحرام ويستدل على ان المعيشة الضنك قبل يوم القيامة ونحشره
يوم القيامة أعمى وقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكأنه ذكر نوعا من العذاب ثم ذكر ان عذاب
الآخرة أشد وأبقى وحسن قول الجمهور الزمخشري فقال ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة
والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا طيبا كما قال تعالى
فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من
الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة انتهى * وقرأ الحسن
ضنكى بألف التأنيث ولا تنوين وبالامالة بناؤه صفة على فعلى من الضنك * وقرأ الجمهور ضنكا
بالتنوين وفتح الكاف فتحة اعراب * وقرأ الجمهور ونحشره بالنون وفرقة منهم أبان بن تغلب
بسكون الراء فيجوز أن يكون تخفيفا ويجوز أن يكون جزما بالعطف على موضع فان له معيشة
ضنكا لأنه جواب الشرط وكأنه قيل ومن أعرض عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره
ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في قراءة من سكن ويذرهم * وقرأت فرقة ويحشره بالياء
* وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف قاله الزمخشري ونقل ابن خالويه هذه القراءة
عن أبان بن تغلب والاحسن تخريجه على لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الهاء *
وقرئ أن الانسان لربه لكنود والظاهر ان قوله أعمى المراد به عمى البصر كما قال ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا * وقيل أعمى البصيرة * قال ابن عطية ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لأنه مات
أعمى البصيرة ويحشر كذلك * وقال مجاهد والضحاك ومقاتل وأبو صالح وروي عن ابن عباس أعمى
عن حجته لا حجة له يهتدي بها وعن ابن عباس يحشر بصيرا ثم اذا استوى الى المحشر أعمى * وقيل
أعمى عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالأعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه * وقيل أعمى عن كل
شيء الا عن جهنم * وقال الجبائي المراد من حشره أعمى لا يهتدي الى شيء * وقال ابراهيم بن عرفة
كل ما ذكره الله عز وجل في كتابه فذمه فانما يريد عمى القلب قال تعالى فانها لا تعمى الأبصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور * وقال مجاهد معنى لم حشرتني أعمى أي لا حجة لي وقد كنت عالما
بحجتي [illegible] في [illegible] انتهى [illegible] يحشر
أعمى لأنه جهله وظن [illegible] وكذلك اليوم تنسى
أي مثل ذلك [illegible]
وعميت [illegible] وكذلك اليوم [illegible] الزمخشري [illegible]
[illegible] لا تعمى [illegible] وكذلك نجزي [illegible]
نجزي من أسرف أي من جاوز الحد في المعصية [illegible]
[illegible] وقال الزمخشري [illegible]
[illegible]

﴿أفلم يهد لهم﴾ الآية وبخهم تعالى وذ كرهم العبر بمن تقدم من القرون ويعني بالاهلاك الاهلاك الناشئ عن التكذيب بالرسل وترك الايمان بالله واتباع رسوله والفاعل في ليهد ضمير عائد على الله ويؤيد هذا التخريج قراءة من قرأ بالنون نهد ومعناه نبين وكم خبرية مفعولة بأهلكنا التقدير كثيرا أهلكنا والضمير في يمشون عائد على ماعاد عليه هم وهم الكفار الموبخون يريد قريشا وغيرهم ﴿يمشون في مساكنهم﴾ جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل نهد أي ألم نبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار وقيل حال من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم غارين آمنين متصرفين في مساكنهم ﴿ان في ذلك لآيات﴾ أي ان في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لآيات ﴿لأولى النهى﴾ أي العقول السليمة لم يبين تعالى الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة قال تعالى بل الساعة موعدهم يقول لولا العدة لكان العذاب لزاما أي لازما والظاهر عطف وأجل مسمى على كلمة وأخر المعطوف على المعطوف عليه وفصل بينهما بجواب لولا لمراعاة الفواصل ورؤس الآي ثم أمره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش وهم الذين عاد عليهم الضمير في أفلم يهد لهم وأمره بالتسبيح مقرونا بالحمد وهو الثناء عليه قبل طلوع الشمس وهو صلاة الصبح وقبل غروبها وهي صلاة الظهر والعصر ومن آناء الليل الآناء جمع أنى وهو الوقت ووزنه فعل كمعى وامعاء وهو متعلق بقوله فسبح كما تقول بزيد فامرر ﴿وأطراف النهار﴾ منصوب على الظرف وهي أعم مما بين القبلين يشير الى (٢٨٨) تنفل الضحى وغير ذلك ﴿لعلك ترضى﴾ قرئ بفتح التاء وضمها ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية تقدم الكلام على مثلها في سورة الحجر و﴿زهرة﴾ منصوب على الظرف الزماني لاضافتها اليه وقرئ زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو نهر ونهر وهو ما يروق من النور وسراج زاهر له بريق والانجم الزهر المضيئة وأزهر الشجر بدا نوره ﴿لنفتنهم﴾ متعلق بمتعنا والضمير في فيه عائد على ما الموصولة بمتعنا ﴿ورزق ربك خير﴾ أي خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي أدوم ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة التي هي بعد الشهادة آكد اركان الاسلام وأمره بالاصطبار على مداومتها ومشاقها وأن لا يشتغل عنها وأخبره تعالى أنه لا يسأله أن يرزق نفسه ولا أن يسعى في تحصيل الرزق ويدأب في ذلك بل أمره بتفريغ باله لامر الآخرة ويدخل في خطابه صلى الله عليه وسلم أمته ﴿والعاقبة﴾ أي الحميدة وأحسن العاقبة لأهل التقوى ﴿وقالوا لولا يأتينا﴾ لولا للتحضيض وهذه عادتهم في اقتراح الآيات كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات فاقترحوا هم ما يختارون على ديدنهم في التعنت فاجيبوا بقوله ﴿أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى﴾ كصحف ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب الالهية وقرئ تأتهم بالتاء وبالياء وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم ﴿بعذاب من قبله﴾ الضمير في من قبله عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من قبل بعثته ﴿لولا أرسلت﴾ لولا للتحضيض ﴿فنتبع﴾ منصوب باضمار أن بعد الفاء وهو جواب التحضيض ﴿من قبل أن نذل ونخزى﴾ الذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة ﴿قل كل متربص﴾ أي منا ومنكم منتظر عاقبة أمره ﴿فتربصوا﴾ وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وأفرد الخبر وهو متربص حملا على لفظ كل كقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته والتربص الثاني والانتظار للفرج و﴿من﴾ مبتدأ وهو استفهام و﴿أصحاب﴾ خبر والجملة في موضع نصب ولعل قبلها معلق عنها والسوي المستقيم ﴿ومن اهتدى﴾ معطوف على من

من تركه لآياتنا ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولى النهى * ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى * قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾ قرأ الجمهور يهد بالياء وقرأ فرقة منهم ابن عباس والسلمي بالنون وبخهم تعالى وذكرهم العبر بمن تقدم من القرون ويعني بالاهلاك الاهلاك الناشئ عن تكذيب الرسل وترك الايمان بالله واتباع رسله والفاعل ليهد ضمير عائد على الله تعالى ويؤيد هذا التخريج قراءة نهد بالنون ومعناه نبين وقاله الزجاج * وقيل الفاعل مقدر تقديره الهدى والارا.

(المد) (ح) والفاعل ليهد ضمير عائد على الله تعالى ويؤيده [illegible] قراءة نهد بالنون ومعناه نبين وقال الزجاج وقيل

والنظر والاعتبار * وقال ابن عطية وهذا أحسن ما يقدر به عندي انتهى وهو قول المبرد وليس
بجيد إذ فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز عند البصريين وتحسينه أن يقال الفاعل مضمر تقديره
يهد هو أي الهدى * وقال أبو البقاء الفاعل ما دل عليه أهلكنا والجملة مفسرة له * قال الحوفي كم
أهلكنا قد دل على هلاك القرون فالتقدير أفلم نبين لهم هلاك من أهلكنا من القرون ومحو آثارهم
فيتعظوا بذلك * وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره
قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن
يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى وكون الجملة فاعلا هو مذهب كوفي وأما تشبيهه وتنظيره بقوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين فإن تركنا عليه معناه معنى القول فحكيت به الجملة
كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا عليه هذا اللفظ والجملة تحكى بمعنى القول كما تحكى بلفظه وأحسن
التخاريج الأول وهو أن يكون الفاعل ضميرا عائدا على الله كأنه قال أفلم يبين الله ومفعول يبين
محذوف أي العبر بإهلاك القرون السابقة ثم قال كم أهلكنا أي كثيرا أهلكنا فكم مفعوله بأهلكنا
والجملة كأنها مفسرة للمفعول المحذوف ليهد * وقال الحوفي قال بعضهم هي في موضع رفع فاعل يهد
وأنكر هذا على قائله لأن كم استفهام لا يعمل فيها ما قبلها انتهى وليست كم هنا استفهاما بل هي خبرية
* وقال أبو البقاء يهد لهم في فاعله وجهان أحدهما ضمير اسم الله تعالى أي ألم يبين الله لهم وعلق يهد هنا
اذ كانت بمعنى يعلم كما علقت في قوله تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم انتهى وكم هنا خبرية والخبرية
لا تعلق العامل عنها وإنما تعلق عنه الاستفهامية * وقرأ ابن السميفع يمشون بالتشديد مبنيا للمفعول
لأن المتمشي يخلق خطوة بخطوة وحركة بحركة وسكونا بسكون فناسب البناء للمفعول والضمير في
يمشون عائد على ما عاد عليه لهم وهم الكفار المعاصرون يريد قريشا والعرب يتقلبون في بلاد عاد
وثمود والطوائف التي كانت قريش تمر عليها إلى الشام وغيره ويعاينون آثار هلاكهم ويمشون
في مساكنهم جملة في موضع الحال من ضمير لهم والعامل يهد أي ألم نبين للمشركين في حال مشيهم في
مساكن من أهلك من الكفار * وقيل حال من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم غارين آمنين
متصرفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التمتع والتصرف مانع من مرض ولا غيره فجاءهم الإهلاك
بغتة على حين غفلة منهم به * إن في ذلك أي في ذلك التبيين بإهلاك القرون الماضية لآيات أولي النهى
أي العقول السليمة * ثم بين تعالى توجده الذي لأجله لا يترك العذاب معجلا على من كفر بمحمد صلى
الله عليه وسلم والكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة [illegible] الساعة موعدهم
تقول لولا هذه العدة لكان مثل إهلاك عاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام إما مصدر لازم
وصف به وإما فعال بمعنى مفعل أي ملزم كأنه آلة اللزوم ولفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم * وقال
أبو عبد الله الرازي لا شبهة أن الكلمة إخبار الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ أن أمة
محمد صلى الله عليه وسلم وإن كذبوا فيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال انتهى والأجل
أجل حياتهم أو أجل هلاكهم في الدنيا أو عذابه يوم القيامة أقوال فعلى الأول يكون العذاب
ملاقيهم في قبورهم وما بعده وعلى الثاني قتلهم بالسيف يوم بدر وعلى الثالث هو عذاب جهنم وفي صحيح
البخاري أن يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى والأظهر عطف وأجل مسمى على كلمة وأخر
المعطوف عن المعطوف عليه وفصل بينهما بجواب لولا لمراعاة الفواصل ورؤوس الآي وجوز
الزمخشري أن يكون وأجل معطوفا على الضمير المستكن في كان أي لكان [illegible]

(الدر)

الفاعل مقدر تقديره الهدى
والآراء والنظر والاعتبار
(ع) وهذا أحسن ما يقدر
به عندي (ح) هذا قول
المبرد وليس بجيد إذ فيه
حذف الفاعل وهو لا
يجوز عند البصريين
وتحسينه أن يقال الفاعل
مضمر تقديره يهد هو أي
الهدى (ش) فاعل لم يهد
الجملة بعده يريد ألم يهد لهم
هذا بمعناه ومضمونه ونظيره
قوله تعالى وتركنا عليه في
الآخرين سلام على نوح
في العالمين أي تركنا عليه
هذا الكلام ويجوز أن
يكون فيه ضمير الله أو
الرسول (ح) كون الجملة
فاعل يهد هو مذهب كوفي
وأما تشبيهه وتنظيره بقوله
وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين
فإن تركنا عليه معناه معنى
القول فحكيت به الجملة
كأنه قيل وقلنا عليه وأطلقنا
عليه هذا اللفظ والجملة
تحكى بمعنى القول كما تحكى
بلفظه وأحسن التخاريج
هو الأول وهو أن يكون
الفاعل ضميرا عائدا على
الله تعالى كأنه قال أفلم يبين
الله ومفعول يبين محذوف
أي العبر بإهلاك القرون
[illegible]

وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل انتهى ثم أمره تعالى بالصبر على ما يقول مشركو قريش وهم الذين عاد الضمير عليهم في أفلم يهد لهم وكانوا يقولون أشياء قبيحة مما نص الله عنهم في كتابه فأمره تعالى بالصبر على أذاهم والاحتمال لما يصدر من سوء أخلاقهم وأمره بالتسبيح والحمد لله * و بحمد ربك في موضع الحال أي وأنت حامد لربك والظاهر انه أمر بالتسبيح مقرونا بالحمد واما أن يراد اللفظ أي قل سبحان الله والحمد لله أو أريد المعنى وهو التنزيه والتبرئة من السوء والثناء الجميل عليه * وقال أبو مسلم لا يبعد حمله على التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله في هذه الأوقات * قال أبو عبد الله الرازي وهذا القول أقرب الى الظاهر والى ما تقدم ذكره لانه صبره أولا على ما يقولون من التكذيب ومن اظهار الكفر والشرك والذي يليق بذلك أن يؤمر بتنزيهه عن قولهم حتى يكون مظهرا لذلك وداعيا ولذلك ما جمع كل الاوقات أو يراد المجاز فيكون المراد الصلاة فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل المغرب والعتمة وأطراف النهار الظهر وحده * قال ابن عطية ويحتمل اللفظ أن يراد قول سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الصبح الى ركعتي الضحى وقبل غروب الشمس فقد قال عليه السلام من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه انتهى * وقال الزمخشري وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال تعالى إن ناشئة الليل وقال أمن هو قانت آناء الليل الآيتين ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس أشد وأشق وللبدن أتعب وأنصب فكانت أدخل في معنى التكاليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين انتهى وجاء وأطراف النهار وفي هود وأقم الصلاة طرفي النهار فقيل جاء على حد قوله ومهمهين قذفين مرتين * ظهراهما مثل ظهور الترسين جاء بالتثنية على الاصل والجمع لامن اللبس اذ النهار ليس له الا طرفان * وقيل هو جمع لا حقيقة الجمع الفجر الطرف الأول والظهر والعصر من الطرف الثاني والطرف الثالث المغرب والعشاء * وقيل النهار له أربعة أطراف عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند زوال الشمس وعند وقوفها للزوال * وقيل الظهر في آخر طرف النهار الأول وأول طرف النهار الآخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب * وقيل يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف فيتكرر بتكرره * وقيل المراد بالاطراف الساعات لأن الطرف آخر الشيء * وقرأ الجمهور وأطراف بنصب الفاء وهو معطوف على ومن آناء الليل * وقيل معطوف على قبل طلوع الشمس * وقرأ الحسن وعيسى بن عمر وأطراف بخفض الفاء عطفا على آناء * لعلك ترضى أي تثاب على هذه الاعمال بالثواب الذي ترضاه وأبرز ذلك في صورة الرجاء والطمع لا على القطع * وقيل لعل من الله واجبة * وقرأ أبو حيوة وطلحة والكسائي وأبو بكر وأبان وعصمة وأبو عمارة عن حفص وأبو زيد عن المفضل وأبو عبيد ومحمد بن عيسى الاصبهاني ترضى بضم التاء أي يرضيك ربك ولما أمره تعالى بالصبر والتسبيح جاء نهيه عن مد البصر الى ما متع به الكفرة بقال مد البصر الى ما متع به

الكفار يقال مد نظره اليه اذا أدام النظر اليه والفكرة في جملته وتفصيله * قيل والمعنى على هذا
ولا تعجب يا محمد مما متعناهم به من مال و بنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم فانما ذلك
كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام وانها عما قليل تفنى وتزول والخطاب وان كان في الظاهر
للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته وهو كان صلى الله عليه وسلم أبعد شئ عن النظر في زينة الدنيا
وأعلق بما عند الله من كل أحد وهو القائل في الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ما أريد به وجه الله وكان
شديد النهي عن الاغترار بالدنيا والنظر الى زخرفها ولا تمدن أبلغ من لا تنظر لان مد البصر يقتضي
الادامة والاستحسان بخلاف النظر فانه قد لا يكون ذلك معه والعين لا تمد فهو على حذف مضاف أي
لا تمدن نظر عينيك والنظر غير الممدد معفو عنه وذلك مثل من فاجأ الشئ ثم غض بصره والنظر الى
الزخارف مركوز في الطبائع فمن رأى منها شيأ أحب ادمان النظر اليه وقد شدّد المتقون في غض
البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة مركوبا وملبوسا وغيرهما لأنهم انما اتخذوها للعيون النظارة
حتى يفخروا بها فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها وانتصب أزواجا على أنه
مفعول به والمعنى أصنافا من الكفرة ومنهم في موضع الصفة لازواج أي أصنافا وأقواما
من الكفرة كما قال وآخر من شكله أزواج * وأجاز الزمخشري أن ينتصب أزواجا عن
الحال من ضمير به ومتعنا مفعوله منهم كأنه قيل الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم
وزهرة منصوب على الذم أو مفعول ثان لمتعنا على تضمينه معنى أعطينا أو بدل من محل الجار
والمجرور أو بدل من أزواج على تقدير ذوي زهرة أو جعلهم زهرة على المبالغة أو منصوب
بفعل محذوف يدل عليه متعنا أي جعلنا لهم زهرة أو حال من الهاء أو ما على تقدير حذف التنوين
من زهرة لالتقاء الساكنين وجر الحياة على البدل من ما وكل هذه الاعاريب منقول ولا اختيار
حتى يحكى ورد كونه بدلا من محل ما لأن فيه الفصل بالبدل بين اصله وهي متعنا ومعموله وهو
لنفتنهم فيه وهو زهرة * وقرأ الجمهور زهرة بسكون الهاء * وقرأ الحسن وأبو البرهسم
وأبو حيوة وطلحة وحميد وسلام ويعقوب وسهل وعيسى والزهري بفتحها * وقرأ الأصمعي
عن نافع لنفتنهم بضم النون من أفتنه اذا جعل الفتنة وقعت فيه والزهرة والزهرة بمعنى وهي كالجهرة
والجهرة * وأجاز الزمخشري في زهرة المفتوح الهاء أن يكون جمع زاهر نحو كافر وكفرة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

منهم ابن وثاب بادغام القاف في الكاف وجاء ذلك عن يعقوب * قال صاحب اللوامح وانما امتنع أبو عمرو ومن ادغام مثله بعد ادغامه نرزقكم ونحوها لحلول الكاف منه طرفا وهو حرف وقف فلو حرك وقفا لكان وقوفه على حركة وكان خروجا عن كلامهم ولو أشار الى الفتح لكان الفتح أخف من أن يتبعض بل يخرج بعضه يخروج كله ولو سكن لاجحف بحرف ولعل من أدغم ذهب مذهب من يقول جعفر وعامر وتفعل فيشدد وقفا أو أدغم على شرط ان لا يقف بحال فيصير الطرف كالحشو انتهى * والعاقبة أي الجيدة أو حسن العاقبة لأهل التقوى * وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه هذه عادتهم في اقتراح الآيات كأنهم جعلوا ما ظهر من الآيات ليس بآيات فاقترحوا هم ما يختارون على ديدنهم في التعنت فأجيبوا بقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى أي القرآن الذي سبق التبشير به وبايحائي من الرسل به في الكتب الالهية السابقة المنزلة على الرسل والقرآن أعظم الآيات في الاعجاز وهي الآية الباقية الى يوم القيامة وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم * وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص تأتهم بالتاء على لفظ بينة * وقرأ باقي السبعة وأبو بحرية وابن محيصن وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيدة وابن سعدان وابن عيسى وابن جبير الانطاكي يأتهم بالياء لمجاز تأنيث الآية والفصل * وقرأ الجمهور باضافة بينة الى ما وفرقة منهم أبو زيد عن أبي عمرو بالتنوين وما بدل * قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون ما نفيا وأريد بذلك ما في القرآن من الناسخ والفصل مما لم يكن في غيره من الكتب * وقرأت فرقة بنصب بينة والتنوين وما فاعل بتأتهم وبينة نصب على الحال فمن قرأ يأتهم بالياء فعلى لفظ ما ومن قرأ بالتاء راعى المعنى لأنه أشياء مختلفة وعلوم من مضى وما شاء الله * وقرأ الجمهور في الصحف بضم الحاء وفرقة منهم ابن عباس باسكانها والضمير في من قبله يعود على البينة لأنها في معنى البرهان والدليل قاله الزمخشري والظاهر عوده على الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله لولا أرسلت الينا رسولا ولذلك قدره بعضهم قبل ارساله محمدا اليهم والذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة * وقيل نذل في الدنيا ونخزى في الآخرة * وقيل الذل الهوان والخزي الافتضاح * وقرأ الجمهور نذل ونخزى مبنيا للفاعل وابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن علي والحسن في رواية عباد والعمري وداود والفزاري وأبو حاتم ويعقوب مبنيا للمفعول * قل كل متربص فتربصوا أي منتظر منا ومنكم عاقبة أمره وفي ذلك تهديد لهم ووعيد وأفرد الخبر وهو متربص حملا على لفظ كل كقوله قل كل يعمل على شاكلته والتربص التأني والانتظار للفرج ومن أصحاب مبتدأ وخبر علق عنه فستعلمون وأجاز الفراء ان تكون ما موصولة بمعنى الذي فتكون مفعولة بفستعلمون وأصحاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذي هم أصحاب وهذا جار على مذهب الكوفيين اذ يجيزون حذف مثل هذا الضمير مطلقا سواء كان في الصلة طول أم لم يكن وسواء كان الموصول أيا أم غيره * وقرأ الجمهور السوي على وزن فعيل أي المستوى * وقرأ أبو مجلز وعمران بن حدير السواء أي الوسط * وقرأ الجحدري وابن يعمر السوأى على وزن فعلى أنث لأجل الصراط وهو مما يذكر ويؤنث وتأنيث الاسواء من السوأى على ضد الاهتداء فقوبل به * ومن اهتدى على الصدر ومعادلة فستعلمون أيها الكفار من على الضلال ومن على الهدى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس الصراط السوء وقد روي عنهما انهما قرآ السوأى على وزن فعلى فاحتمل أن يكون أصله السوءى وقد روى ذلك عنهما فخفف الهمزة بابدالها واوا وأدغم واحتمل ان يكون فعلى من السواء أبدلت ياؤه واوا وأدغمت الواو في الواو وكان القياس انه لما بني فعلى من السواء ان

يكون السويا فتجتمع واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فتقلب الواو ياء وتدغم في الياء فكان يكون التركيب السيا * وقرئ السوي بضم السين وفتح الواو وشد الياء تصغير السوء * قاله الزمخشري وليس بجيد اذ لو كان تصغير سوء لثبتت همزته في التصغير فكنت تقول سؤيي والأجود أن يكون تصغير سواء كما قالوا في عطاء عطي ومن قرأ السوأى أو السوء كان في ذلك مقابلة لقوله ومن اهتدى وعلى قراءة الجمهور لم تراع المقابلة في الاستفهام

﴿ سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة واثنتا عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم

(الدر)

(ش) وقرئ السويي بضم السين وفتح الواو وشد الياء تصغير السوء (ح) ليس بجيد اذ لو كان تصغير سوء لثبتت همزته في التصغير فكنت تقول سؤيي والاجود أن يكون تصغير سواء كما قالوا في عطاء عطي انتهى

﴿سورة الأنبياء عليهم السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وليس بصحيح فأنزل الله اقترب للناس حسابهم واقترب افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب والناس مشركو مكة وغيرهم ممن ينكر البعث والحساب في اللغة الكمية من مبلغ العدد وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لان كل ما هو آت وان طال وقت انتظاره قريب والواو في ﴿وهم﴾ واو الحال وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لأن الغفلة عن الشيء والاعراض عنه متنافيان لكن يجمع بينهما باختلاف حالين أخبر عنهم أولا بأنهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يؤول إليه أمرهم ثم أخبر عنهم ثانيا أنهم اذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا بما يؤول اليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك ﴿والذكر هنا ما ينزل من القرآن شيئا بعد شيء ومن

زائدة وذكر فاعل ووصفه بالحدوث إذ كان القرآن لنزوله وقتا بعد وقت و﴿استمعوه﴾ جملة حالية من الضمير المنصوب في يأتيهم تقديره الا مستمعيه ﴿وهم يلعبون﴾ جملة حالية من ضمير استمعوه ﴿ولاهية﴾ حال من ضمير يلعبون أو من ضمير استمعوه فيكون حالا بعد حال واللاهية من قول العرب لها عنه إذا ذهل وغفل يقال لها يلهى لهيا ولهيانا أي وان فطنوا فلا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم و﴿النجوى﴾ من التناجي ولا يكون إلا خفية والواو في وأسروا فاعل ضمير يعود على ما قبله و﴿الذين﴾ بدل منه ﴿هل هذا﴾ قبله حال محذوفة تقديره قائلين هل هذا إلا بشر وهو استفهام معناه التعجب أي كيف خص دونكم بالنبوة مع مماثلته لكم في البشرية ﴿أفتأتون السحر﴾ استفهام معناه التوبيخ والسحر عنوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن وهاتان الجملتان الاستفهاميتان الظاهر أنهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وأنهما محكيتان بالنجوى لأنه بمعنى القول الخفي فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى ﴿وأنتم تبصرون﴾ جملة حالية وقرأ الأخوان وحفص قال على الخبر والباقون قل على الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم والقول أعم من أن يكون سرا أو جهرا ثم نبه على ذلك بقوله وهو السميع لأقوالكم العليم بما انطوت عليه ضمائركم ﴿بل قالوا﴾ ذكر اضطرابهم في مقالاتهم فذكر أنهم أضربوا عن نسبته للسحر وقالوا ما أتى به إنما هو أضغاث أحلام وتقدم تفسيرها في يوسف ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه أي اختلقه وليس من عند الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل لا يثبت على قول بل يبقى متحيرا وهذه الأقوال الظاهر أنها صدرت من قائلين متعقبين انتقلوا من قول الى قول

بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴿القصم كسر الشيء الصلب حتى يبين تلاؤم أجزائه ﴿الركض ضرب الدابة بالرجل ﴿خمدت النار طفئت ﴿دمغه أصاب دماغه نحو كبده ورأسه أصاب كبده ورأسه ﴿رتق الشيء سده فارتتق ومنه الرتقاء للمنضمة الفرج ﴿فتق فصل ما بين المتصلين ﴿الفج الطريق المتسع ﴿السبح العوم ﴿كلأه حفظه يكلؤه كلاءة ويقال اذهب في كلاءة الله واكتلأت منه احترست ﴿وقال ابن هرمة

ان سليمى والله يكلؤها ﴿ ضنت بشيء ما كان يرزؤها

﴿النفخة خطوة ونفخ له من عطاياه أجزأه نصيبا ﴿قال الشاعر

ادار بدة من حيث ما نفحت له ﴿ اياه بربا خليل يواصله

﴿أخردل حب معروف ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون

أو مختلفين قال كل منهم مقالة والكاف في كما أرسل يجوز أن تكون في موضع النعت لآية وما أرسل في تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية إرسال الأولين وفي قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم إتيان الرسل ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ المراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما ومعنى أهلكناها حكمنا بإهلاكها بما اقترحوا من الآيات ﴿أفهم يؤمنون﴾ استبعاد وإنكار أي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ الآية تقدم الكلام على مثله في يوسف ﴿إلا رجالا﴾ أي بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدتم ثم أحالهم على أهل الذكر وهم أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في إرسال الله البشر ﴿وما جعلناهم جسدا﴾ أي ذوي جسد ولما ثبت أنهم كانوا أجسادا يأكلون الطعام بين أن مآلهم إلى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي أي هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي صاروا به رسلا هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك يصدق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة وهذه عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار (٢٩٥) وهو ما يتعدى الفعل فيه إلى واحد وإلى الآخر بحرف الجر ويجوز حذف ذلك الحرف أي في الوعد ﴿ومن نشاء﴾ هم المؤمنون والمسرفون هم الكفار ولما توعدهم في هذه الآية أعقب ذلك وعده بنعمته عليهم فقال ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ والكتاب هو القرآن وعن ابن عباس ذكركم شرفكم [illegible]

([illegible])

﴿سورة الأنبياء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[illegible]

ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾

هذه السورة مكية بلا خلاف وعن عبد الله الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي أي من قديم ما حفظت وكسبت من القرآن كالمال التلاد . ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر قل كل متربص فتربصوا قال مشركو قريش محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح وإن صح ففيه بعد فأنزل الله تعالى اقترب للناس حسابهم واقترب افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو قرب كما تقول ارتقب ورقب * وقيل هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء والناس مشركو مكة * وقيل عام في منكري البعث واقترب الحساب اقتراب وقته والحساب في اللغة إخراج الكمية من مبلغ العدد وقد يطلق على المحسوب وجعل ذلك اقترابا لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب وإنما البعيد هو الذي انقرض وهو مقترب عند الله كقوله وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو باعتبار ما بقي من الدنيا فإنه أقصر وأقل مما مضى وفي الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين * قال الشاعر

فما زال من يهواه أقرب من غد [illegible] من أمس

[illegible] متعلق باقترب [illegible] الزمخشري هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا

[illegible] لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيدا لإضافة الحساب [illegible] رحيم [illegible]

[illegible] أزف الحي رحيلهم [illegible]

[illegible] لا [illegible] اللام مؤكدة [illegible] الإضافة [illegible] من [illegible]

اقترب [illegible]

[illegible] ولا يمكن تعلقه [illegible] يكون متأخرا عن

[illegible]

[illegible] متأخرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

الإضافة ولا [illegible]

لاضافة الحساب اليهم كما تقول أزف للحي رحيلهم الاصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي رحيلهم
ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد
راغب فيك ومنه قولهم لا أبالك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول انتهى
يعني بقوله صلة أنها تتعلق باقترب وأما جعله اللام تأكيدا لاضافة الحساب اليهم مع تقدم اللام
ودخولها على الاسم الظاهر فلا نعلم أحدا يقول ذلك وأيضا فيحتاج الى ما يتعلق به ولا يمكن تعلقها
بحسابهم لانه مصدر موصول ولا يتقدم معموله عليه وأيضا فالتوكيد يكون متأخرا عن
المؤكد وأيضا فلو أخر في هذا التركيب لم يصح وأما تشبيهه بما أورد سيبويه فالفرق واضح
لان عليك معمول لحريص وعليك الثانية متأخرة توكيدا وكذلك فيك زيد راغب فيك يتعلق
فيك براغب وفيك الثانية توكيد وانما غاره في ذلك صحة تركيب حساب الناس وكذلك أزف رحيل
الحي فاعتقد اذا تقدم الظاهر مجرورا باللام وأضيف المصدر لضميره انه من باب فيك زيد راغب
فيك وليس مثله وأما لا أبالك فهي مسئلة مشكلة وفيها خلاف ويمكن أن يقال فيها ذلك لان اللام
جاورت الاضافة ولا يقاس على مثلها غيرها لشذوذها وخروجها عن الأقيسة وقد أمعنا الكلام
عليها في شرح التسهيل والواو في وهم واو الحال وأخبر عنهم بخبرين ظاهرهما التنافي لان الغفلة عن
الشئ والاعراض عنه متنافيان لكن يجمع بينهما باختلاف حالين أخبر عنهم أولا انهم لا يتفكرون
في عاقبة بل هم غافلون عما يؤل اليه أمرهم ثم أخبر عنهم ثانيا انهم اذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا
بما يؤل اليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك والذكر هنا ما ينزل من القرآن شيأ
بعد شئ * وقيل المراد بالذكر أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الشريعة ووعظه وتذكيره
ووصفه بالحدوث اذا كان القرآن لنزوله وقتا بعد وقت * وسئل بعض الصحابة عن هذه الآية فقال
محدث النزول محدث المقول * وقال الحسن بن الفضل المراد بالذكر هنا النبي صلى الله عليه وسلم
بدليل هل هذا إلا بشر مثلكم وقال قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا وقد احتجت المعتزلة على حدوث
القرآن بقوله محدث وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام * وقرأ الجمهور محدث بالجر صفة لذكر
على اللفظ وابن أبي عبلة بالرفع صفة لذكر على الموضع وزيد بن علي بالنصب على الحال من ذكر
اذ قد وصف بقوله من ربهم ويجوز أن يتعلق من ربهم بيأتيهم واستمعوه جملة حالية وذو الحال المفعول
في ما يأتيهم وهم يلعبون جملة حالية من ضمير استمعوه ولاهية حال من ضمير يلعبون أو من ضمير
استمعوه فيكون حالا بعد حال واللاهية من قول العرب لهي عنه اذا ذهل وغفل يلهى لهيا ولهيانا
أي وان فطنوا لا يجدي ذلك لاستيلاء الغفلة والذهول وعدم التبصر بقلوبهم * وقرأ ابن أبي
عبلة وعيسى لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر لقوله وهم والنجوى من التناجي ولا يكون الا خفية
فمعنى وأسروا بالغوا في اخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون * وقال
أبو عبيدة أسروا هنا من الاضداد يحتمل أن يكون أخفوا كلامهم ويحتمل أن يكون أظهروه
ومنه قول الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أضمرا

* وقال التبريزي لا يستعمل في الغالب الا في الاخفاء وانما أسروا الحديث لانه كان ذلك على طريق
التشاور وعادة المتشاورين كتمان سرهم عن أعدائهم وأسروها ليقولوا للرسول صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين ان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررناه وجوزوا في اعراب الذين ظلموا وجوها

الرفع والنصب والجر فالرفع على البدل من ضمير وأسروا اشعارا انهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به قاله المبرد وعزاه ابن عطية الى سيبويه أو على انه فاعل والواو في أسروا علامة للجمع على لغة أكلوني البراغيث قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرهما * قيل وهي لغة شاذة * قيل والصحيح أنها لغة حسنة وهي من لغة ازدشنوءة وخرج عليه قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقال شاعرهم

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي وكلهم ألوم

أو على ان الذين مبتدأ وأسروا النجوى خبره قاله الكسائي فقدّم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم انه ظلم أو على انه فاعل بفعل القول وحذف أي يقول الذين ظلموا والقول كثيرا يضمر واختاره النحاس قال ويدل على صحة هذا ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم * وقيل التقدير أسرها الذين ظلموا * وقيل الذين خبر مبتدا محذوف أي هم الذين والنصب على الذم قاله الزجاج أو على اضمار أعني قاله بعضهم والجر على أن يكون نعتا للناس أو بدلا في قوله اقترب للناس قاله الفراء وهو أبعد الأقوال * هل هذا الا بشر مثلكم استفهام معناه التعجب أي كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية وانكارهم وتعجبهم من حيث كانوا يرون ان الله لا يرسل الا ملكا * وأفتأتون السحر استفهام معناه التوبيخ والسحر عنوا به ما ظهر على يديه من المعجزات التي أعظمها القرآن والذكر المتلو عليهم أي أفتحضرون السحر وأنتم تبصرون أنه سحر وأن من أتى به هو بشر مثلكم فكيف تقبلون ما أتى به وهو سحر وكانوا يعتقدون ان الرسول من عند الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر وهاتان الجملتان الاستفهاميتان الظاهر انهما متعلقتان بقوله وأسروا النجوى وانهما محكيتان بقوله النجوى لانه بمعنى القول الخفي فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى * وقال الزمخشري في محل النصب بدلا من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا انتهى * وقرأ حمزة والكسائي وحفص والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وأيوب وخلف وابن سعدان وابن جبير الانطاكي وابن جرير قال ربي على معنى الخبر عن نبيه عليه الصلاة والسلام * وقرأ باقي السبعة قل على الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم يعلم أقوالكم هذه وهو مجازيكم عليها وتقول يعلم السر والجهر فكان [illegible] لا يخفى [illegible] يعلم السر [illegible] وكان آكد في الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم سرهم [illegible] وهو السميع العليم السميع لأقوالكم العليم [illegible] ذكر اضطرابهم في مقالاتهم فذكر انهم أضربوا عن أن يكون سحرا [illegible] أضغاث أحلام وتقدم تفسيرها في سورة يوسف عليه السلام ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل افتراه أي اختلقه وليس من عند الله ثم أضربوا عن هذا فقالوا بل هو شاعر وهكذا المبطل لا يثبت على قول [illegible] لأقوال [illegible] مختلفين [illegible] قال الزمخشري [illegible] فاسدون قولهم [illegible]
[illegible]

هذه الأقوال الخمسة وترتيب كلامهم ان كونه بشرا مانع من كونه رسولا لله سلمنا انه غير مانع ولكن لا نسلم ان هذا القرآن ثم اما أن يساعد على أن فصاحة القرآن خارجة عن مقدار البشر قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك سحرا وان لم يساعد عليه فان ادعينا كونه في نهاية الركاكة قلنا انه أضغاث أحلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراء وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة سائر الشعر وعلى جميع هذه التقديرات لا يثبت كونه معجزا ولما فرغوا من تقدير هذه الاحتمالات قالوا فليأتنا بآية كما أرسل الأولون اقترحوا من الآيات ما لا امهال بعدها كالآيات في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * قال الزمخشري صحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى انه لا فرق بين أن تقول أتى محمد بالمعجزة وأن تقول أرسل محمد بالمعجزة انتهى * والكاف في كما أرسل يجوز أن يكون في موضع النعت لآية وما أرسل في تقدير المصدر والمعنى بآية مثل آية ارسال الاولين ويجوز أن يكون في النعت لمصدر محذوف أي اتيانا مثل ارسال الأولين أي مثل اتيانهم بالآيات وهذه الآية التي طلبوها هي على سبيل اقتراحهم ولم يأت الله بآية مقترحة الا أتى بالعذاب بعدها وأراد تعالى تأخير هؤلاء وفي قولهم كما أرسل الأولون دلالة على معرفتهم باتيان الرسل ثم أجاب تعالى عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون والمراد بهم قوم صالح وقوم فرعون وغيرهما ومعنى أهلكناها حكمنا باهلاكها بما اقترحوا من الآيات * انهم يؤمنون استبعاد وانكار أي هؤلاء أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما اقترحوا لكانوا أنكث من أولئك وكان يقع استئصالهم ولكن حكم الله تعالى بابقائهم ليؤمن من آمن ويخرج منهم مؤمنين * ولما تقدم من قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وان الرسول لا يكون الا من عند الله من جنس البشر قال تعالى رادا عليهم وما أرسلنا قبلك الا رجالا أي بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا ثم أحالهم على أهل الذكر فانهم وان كانوا مشايعين للكفار ساعين في إخماد نور الله لا يقدرون على انكار إرسال البشر وقوله ان كنتم لا تعلمون من حيث ان قريشا لم يكن لها كتاب سابق ولا أثارة من علم والظاهر ان أهل الذكر هم أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في إرسال الله البشر اذ هم مع موافقة قريش في ترك الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وشهادتهم لا مطعن فيها * وقال عبد الله بن سلام أنا من أهل الذكر * وقيل هم أهل القرآن * وقال علي أنا من أهل الذكر * وقال ابن عطية لا يصلح أن يكون المسؤل أهل القرآن في ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم انتهى * وقيل أهل الذكر هم أهل التوراة * وقيل أهل العلم بالسير وقصص الأمم البائدة والقرون السالفة فانهم كانوا يفحصون عن هذه الأشياء واذا كان أهل الذكر أريد بهم اليهود والنصارى فهم لما يبلغ خبرهم حد التواتر جاز أن يسألوا ولا يقدح في ذلك كونهم كفارا * وقرأ الجمهور يوحى مبنيا للمفعول * وقرأ طلحة وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء والجسد يقع على ما لا يتغذى من الجماد * وقيل يقع على المتغذى وغيره فعلى القول الاول يكون النفي قد وقع على الجسد وعلى الثاني يكون مثبتا والنفي انما وقع على صفته ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين قالوا هل هذا الا بشر مثلكم لان البشرية تقتضي الجسمية الحيوانية وهذه لا بد لها من مادة

﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ كم خبرية معناه كثيرا والقصم أفظع الكسر عبر به عن الاهلاك الشديد وكم منصوبة بقصمنا ﴿ من قرية ﴾ هو على حذف مضاف أي من أهل قرية ﴿ كانت ﴾ أي كان أهلها ﴿ وأنشأنا بعدها ﴾ أي بعد اهلاك أهلها وعن ابن عباس ان القرية هي حضوراء قرية باليمن ومن حديثها ان الله بعث إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس بعث إليهم جيشا فهزموه ثم بعث إليهم آخر فهزموه فخرج إليهم بنفسه فهزمهم في الثالثة فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ﴿ فلما أحسوا بأسنا ﴾ أي باشروه بالاحساس (٢٩٩) والضمير في أحسوا عائد على أهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية والضمير في منها عائد على القرية والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين واذا الفجائية جواب قوله فلما ﴿ وقوله لا تركضوا قال ابن عطيه يحتمل أن تكون من قول رجال بخت نصر فالمعنى على هذا أنهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الى مساكنكم لعلكم تسئلون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصر أن ينادي فيهم يا لثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم انتهى ويجوز أن يكون لا تركضوا من كلام بعضهم لبعض لما [illegible] ﴿ ومساكنكم ﴾ معطوف على ما الموصولة [illegible] ولا [illegible] النصر لنعمه

و [illegible] ومساكنكم وفي قوله لعلكم تسئلون [illegible] في مساكنكم [illegible] أن يكون يسأل في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تقوم بها وقد خرجوا بذلك في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولما أثبت انهم كانوا أجسادا يأكلون الطعام بين انهم مآلهم الى الفناء والنفاد ونفى عنهم الخلود وهو البقاء السرمدي أو البقاء المدة المتطاولة أي هؤلاء الرسل بشر أجساد يطعمون ويموتون كغيرهم من البشر والذي صاروا به رسلا هو ظهور المعجزة على أيديهم وعصمتهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره ثم صدقناهم الوعد ذكر تعالى سيرته مع أنبيائه فكذلك يصدق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما وعدهم به من النصر وظهور الكلمة فهذه عدة للمؤمنين ووعيد للكافرين وصدقناهم الوعد من باب اختار وهو ما يتعدى الفعل فيه الى واحد والى الآخر بحرف جر ويجوز حذف ذلك الحرف أي في الوعد وهو باب لا ينقاس عند الجمهور وانما يحفظ من ذلك أفعال قليلة ذكرت في النحو ونظير صدقناهم الوعد قولهم صدقوهم القتال وصدقني سن بكره وصدقت زيدا الحديث ومن شاءهم المؤمنون والمسرفون هم الكفار المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الايمان فهو مفرط مسرف ومحاوهم من تمرأعدائهم من العذاب [illegible] بأعدائهم ولما توعدهم في هذه الآية أعقب ذلك بوعده نعمته عليهم فقال لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم والكتاب هو القرآن وعن ابن عباس ذكركم شرفكم حديث العرب وأقام العرب [illegible] وعن الحسن ذكر دينكم وعن مجاهد فيه حديثكم وعن سفيان مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم [illegible] تذكرون [illegible] وترجون [illegible] وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق الآيات ان المعنى فيه ذكر مثالكم وما آل اليه الأنبياء [illegible] التكذيب والعناد وعلى هذا تكون الآية [illegible] ويكون الكلام على سياقه ويكون معنى قوله هل هذا الا بشر مثلكم أفلا تعقلون [illegible] على [illegible] والتفكر [illegible] في قضاء العقلاء وقال ابن عطيه يحتمل أن يريد فيه شرفكم [illegible]

[illegible] الأمور وفي هذا تحريض [illegible] التحريض بقوله [illegible] لى [illegible] وقال الزمخشري [illegible] ذكركم شرفكم وصيتكم [illegible] وموعظتكم أو فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون [illegible] وحسن [illegible] وصدق الحديث وأداء الامانة [illegible] وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين [illegible] أحسوا [illegible] لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون [illegible]

حصيدا خامدين ۞ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ۞ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ۞ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ۞ وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ۞ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ۞ لما رد الله تعالى عليهم ما قالوه بالغ تعالى فى زجرهم بذكر ما أهلك من القرى فقال وكم قصمنا والمراد أهلها اذ لا توصف القرية بالظلم كقوله من هذه القرية الظالم أهلها ۞ قال ابن عباس الانشاء ايجاد الشئ من غير سبب انشأه فنشأ وهو ناشئ والجمع نشاء كخدم والقصم أفظع الكسر عبر به عن الاهلاك الشديد وكم تقتضى التكثير فالمعنى كثيرا من أهل القرى أهلكنا اهلاكا شديدا مبالغا فيه وما روى عن ابن عباس انها حضوراء قرية باليمن وعن ابن وهب عن بعض رجاله انهما قريتان باليمن بطر أهلهما فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين فى القرية لان كم تقتضى التكثير ومن حديث أهل حضوراء ان الله بعث اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس بعث اليهم جيشا فهزموه ثم بعث آخر فهزموه ثم خرج اليهم بنفسه فهزمهم فى الثالثة فلما أخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ۞ فلما أحسوا بأسنا أى باشروه بالاحساس والضمير فى أحسوا عائد على أهل المحذوف من قوله وكم قصمنا من قرية ولا يعود على قوله قوما آخرين لانه لم يذكر لهم ذنب يركضون من أجله والضمير فى منها عائد على القرية ويحتمل أن يعود على بأسنا لأنه فى معنى الشدة فأنث على المعنى ومن على هذا السبب والظاهر انهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين ۞ قيل ويجوز ان شبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فهم يركضون الارض بأرجلهم كما قال اركض برجلك وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها وهذا أحد الدلائل على ان لما فى هذا التركيب حرف لا ظرف وقد تقدم لنا القول فى ذلك ۞ وقوله لا تركضوا قال ابن عطية يحتمل أن يكون من قول رجال بخت نصر على الرواية المتقدمة فالمعنى على هذا انهم خدعوهم واستهزؤا بهم بأن قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الى مساكنكم لعلكم تسألون صلحا أو جزية أو أمرا يتفق عليه فلما انصرفوا أمر بخت نصران ينادى فيهم بالثارات النبى المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم هذا كله مروى ويحتمل أن يكون قوله لا تركضوا الى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب وصف قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرها فالمعنى على هذا ان أهل هذه القرى كانوا باغترارهم يرون انهم من الله بمكان وانه لو جاءهم عذاب أو أمر لم ينزل بهم حتى يخاصموا ويسألوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجون هم عند ذلك بحجج تنفعهم فى ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذى أملوه وركضوا فارين نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسألون كما كنتم تطمعون لسفه آرائكم ۞ وقال الزمخشرى يحتمل أن يكون يعنى القائل بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين

يسبحونهم ... وابتسما والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى ودعوة لان المدلول كانهم يدعوا الويل وقوله حصيدا أى بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين أى موتى دون أرواح مشبهين بالنار اذا طفئت ولما ذكر تعالى قصم تلك القرى الظالمة اتبع ذلك بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا وأنه ما أنشأ هذا العالم العلوى المحتوى

على عجائب صنعه وغرائب من فعله وهذا العالم السفلى وما أودع فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن وما بينهما من الهواء والسحاب والرياح على سبيل اللعب بل لفوائد دينية تقضى بسعادة الأبد أو بشقاوته ودنياوية لا تعد ولا تحصى كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ أصل اللهو ما تسرع اليه الشهوة ويدعو اليه الهوى وقال ابن عباس وغيره اللهو هنا الولد ﴿بل نقذف﴾ أى نرمى بسرعة وهذا من مجاز التمثيل شبه الحق بالصخرة الصلبة والباطل بالرخو وانه قذف الصخرة على الرخو ﴿فيدمغه﴾ أى يصيب دماغه وذلك مهلك فى البشر وكذلك الحق يهلك الباطل ﴿ولكم الويل﴾ خطاب للكفار أى الخزى والهم ﴿مما تصفون﴾ أى تصفونه بما لا يليق به تعالى من اتخاذ الصاحبة والولد والظاهر أن قوله وله من فى السموات والأرض استئناف اخبار بأن جميع العالم ملكه وعنده هنا لا يراد بها ظرف المكان لانه تعالى منزه عن المكان بل لمعنى شرف المكانة وعلو المنزلة ﴿ولا يستكبرون﴾ جملة حالية ﴿ولا يستحسرون﴾ أى لا يكلون ولا يسأمون وبينه ما بعده من قوله ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾

أو يجعلون خلفاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم * وارجعوا الى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويميرون اخلاف معروفكم وأياديكم اما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ انتهى ونداء الويل هو على سبيل المجاز كأنهم قالوا يا ويل هذا أوانك وتقدم تفسير الويل في البقرة * والظلم هنا الاشراك وتكذيب الرسل وايقاع أنفسهم في الهلاك واسم زالت هو اسم الاشارة وهو تلك وهو اشارة الى الجملة المقولة أي فما زالت تلك الدعوى دعواهم * قال المفسرون فما زالوا يكررون تلك الكلمة فلم تنفعهم كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا والدعوى مصدر دعا يقال دعا دعوى ودعوة كقوله وآخر دعواهم لأن المولول كأنه يدعو الويل وقال الحوفي وتبعه الزمخشري وأبو البقاء تلك اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز أن يكون دعواهم اسم زالت وتلك في موضع الخبر وهذا الذي ذهب اليه هؤلاء تابعوا فيه الزجاج قبلهم وأما أصحابنا المتأخرون فان اسم كان وخبرها شبه بالفاعل والمفعول فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول اذا ألبس أن يكون المتقدم الخبر والمتأخر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان فاذا قلت كان موسى صديقي لم يجز في موسى الا أن يكون اسم كان وصديقي الخبر كقولك ضرب موسى عيسى فموسى الفاعل وعيسى المفعول ولم ينازع في هذا من متأخري أصحابنا الا أبو العباس أحمد بن علي عرف بابن الحاج وهو من تلاميذ الاستاذ أبي علي الشلوبين ونبهائهم فأجاز أن يكون المتقدم هو المفعول والمتأخر هو الفاعل وان ألبس فعلى مذهب جمهور الاصحاب يتعين أن تكون تلك اسم زالت ودعواهم خبر وقوله حصيدا أي بالعذاب تركوا كالحصيد خامدين أي موتى دون أرواح مشبهين بالنار اذا طفئت وحصيدا مفعول [illegible] قال الحوفي وخامدين نعت لحصيدا على أن يكون حصيدا بمعنى محصودين بمعنى ووضع المفرد موضع الجمع [illegible] أن يجعل [illegible] ولهم [illegible] وقال الزمخشري جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا [illegible]

[illegible]

السماء والارض وما بينهما باطلا وقوله ما خلقناهما الا بالحق * قال الكرماني اللعب فعل يدعو اليه الجهل يروق أوله ولا ثبات له وانما خلقناهما لنجازي المحسن والمسيء وليستدل بهما على الوحدانية والقدرة انتهى * ولو أردنا أن نتخذ لهوا أصل اللهو ما تسرع اليه الشهوة ويدعو اليه الهوى وقد يكنى به عن الجماع وأما هنا فعن ابن عباس والسدي هو الولد * وقال الزجاج هو الولد بلغة حضرموت * وعن ابن عباس ان هذا رد على من قال اتخذ الله ولدا وعنه ان اللهو هنا اللعب * وقيل اللهو هنا المرأة * وقال قتادة هذا في لغة أهل اليمن وتكون ردا على من ادعى ان لله زوجة ومعنى من لدنا من عندنا بحيث لا يطلع عليه أحد لأنه نقص فستره أولى * وقال السدي من السماء لا من الارض * وقيل من الحور العين * وقيل من جهة قدرتنا * وقيل من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير * وقال الزمخشري بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي ان الحكمة صارفة عنه والا فأنا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير انتهى ولا يجيء هذا الا على قول من قال اللهو هو اللعب وأما من فسره بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا تتعلق به القدرة والظاهر ان ان هنا شرطية وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب لو أي ان كنا فاعلين اتخذناه ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله * وقال الحسن وقتادة وجريج ان نافية أي ما كنا فاعلين * بل نقذف أي نرمي بسرعة بالحق وهو القرآن على الباطل وهو الشيطان قاله مجاهد وقال كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان * وقيل بالحق بالحجة على الباطل وهو شبههم ووصفهم الله بغير صفاته من الولد وغيره * وقيل الحق عام في القرآن والرسالة والشرع والباطل أيضا عام كذلك وبل اضراب عن اتخاذ اللعب واللهو والمعنى انه يدحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه أي أصاب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل * وقرأ عيسى بن عمر فيدمغه بنصب الغين * قال الزمخشري وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

* وقرئ فيدمغه بضم الميم انتهى * ولكم الويل خطاب للكفار أي الخزي والهم مما تصفون أي تصفونه مما لا يليق به تعالى من اتخاذ الصاحبة والولد ونسبة المستحيلات اليه * وقيل لكم خطاب لمن تمسك بتكذيب الرسل ونسب القرآن الى أنه سحر وأضغاث أحلام وهو المعنى بقوله مما تصفون وأبعد من ذهب الى أنه التفات من ضمير الغيبة في فما زالت تلك دعواهم الى ضمير الخطاب ثم أخبر تعالى أن من في السموات والأرض ملك له فاندرج فيه من سموه بالصاحبة والولد ومن عنده هم الملائكة واحتمل أن يكون معطوفا على من فيكونون قد اندرجوا في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في من وبطريق الخصوص بالنص على أنهم من عنده ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم أو استئناف اخبار واحتمل أن يكون ومن عنده مبتدأ وخبره لا يستكبرون وعنده هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه تعالى منزه عن المكان بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة والظاهر أن قوله وله من في السموات والارض استئناف اخبار بأن جميع العالم ملكه * وقيل يحتمل أن يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون كأنه بقسم الامر في نفسه أي للمختلفين هذه المقالة الويل ولله تعالى من في السموات والأرض انتهى والمراد أن الملائكة مكرمون منزلون لكرامتهم على الله منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان

﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ لما ذكر الدلائل على وحدانيته وأن من في السموات والأرض ملك له وأن الملائكة المكرمين هم في خدمته عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم وأم هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة وفيها الاضراب والانتقال من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب والانكار أي اتخذوا آلهة من الأرض يتصفون بالاحياء ويقدرون عليها وعلى الامانة أي لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف بل اتخذوا آلهة جمادا لا تتصف بالقدرة على شيء فهي غير آلهة لأن من صفة الاله القدرة على الاحياء والامانة ﴿هم ينشرون﴾ صفة لقوله آلهة بعد وصفه بالمجرور الذي هو من الارض والضمير في فيهما عائد على السماء والارض وهما كناية عن العالم والا صفة لآلهة أي آلهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما أنشده سيبويه وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان أي وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه وقال أبو العباس المبرد في الا الله ان يكون بدلا لان ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب أحسن من الوصف والذي يظهر أن معنى الآية وجود الفساد فيهما مرتبا على وجود الآلهة المغايرة لله وهذا الوجود لم يقع فلا يقع ما يترتب عليه وهو الفساد ﴿فسبحان الله﴾ نزه نفسه عما وصفه به أهل الجهل ثم وصف نفسه بأنه مالك هذا المخلوق العظيم

لشرفهم وفضلهم ويقال حسر البعير واستحسر كل وتعب وحسرته أنا فهو متعد ولازم وأحسرته أيضا وقال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

* قال الزمخشري (فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وانهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون انتهى * يسبحون هم الملائكة باجماع الأمة وصفهم بتسبيح دائم * وعن كعب جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم دائما دون أن يلحقهم فيه سآمة وفي الحديث اني لأسمع أطيط السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد أو قائم ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم﴾

الذي جميع العالم هو متضمنهم ثم وصف نفسه بكمال القدرة ونهاية الحكمة فقال لا يسأل عما يفعل اذ له ان يفعل في ملكه ما يشاء وفعله على أقصى درجات الحكمة فلا اعتراض ولا تعقب عليه والظاهر في قوله لا يسأل العموم في الزمان ﴿وهم يسألون﴾ عن أعمالهم ثم كرر تعالى عليهم الانكار والتوبيخ فقال أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ قوله من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الاتيان بالحجة على ما اتخذوه والحجة تقوم على أن الله تعالى يكلام من جهة العقل ولا نقل بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد ذلك في الوحي الذي جئتكم به ﴿هذا ذكر من معي﴾ أي عظة للذين معي وهم متبعون ﴿وذكر من قبلي﴾ وهم الأنبياء والمراد به الكتب الالهية ويجوز أن يكون هذا اشارة الى القرآن والمعنى فيه ذكر الاولين والآخرين بما تضمنه من بيان الشرع فهو ذكر الاولين قصص أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي هذا برهانكم ﴿فهم معرضون﴾ في ذلك ظاهر ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الآية أخبر تعالى انه ما أرسل من رسول الا مقررا للتوحيد مثبتا للالهية والأمر بالعبادة ولما كان من رسول عاما وكان لفظه مفردا ومعناه الجمع حمل على اللفظ في قوله الا نوحي اليه ثم جمع على المعنى في قوله ﴿فاعبدون﴾ ولم يأت التركيب فاعبدني ويحسن أن يكون الأمر له ولأمته ثم ذكر تعالى نوعا من أنواع الكفر وبراءة الملائكة مما نسب اليهم حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزلت في خزاعة واليهود في عزير ثم أضرب عنه تعالى عن مقالتهم بقوله ﴿بل عباد مكرمون﴾ تقديره بل هم عباد مكرمون ووصفهم بصفة الاكرام والتسبيح ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي لا يسبقون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله ولا يتقدمون قوله ﴿وهم بأمره يعملون﴾ فكأن قوله

وماخلفهم ولايشفعون إلالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾ لماذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وان من فى السموات والارض كلهم ملك له وان الملائكة المكرمين هم فى خدمته لايفترون عن تسبيحه وعبادته عاد الى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم وأم هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة ففيها اضراب وانتقال من خبر الى خبر واستفهام معناه التعجب والانكار أى اتخذوا آلهة من الارض يتصفون بالاحياء و يقدرون عليها وعلى الامانة أى لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف بل اتخذوا آلهة جمادا لايتصف بالقدرة على شئ فهى غير آلهة لان من صفة الاله القدرة على الاحياء والامانة * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وهم أبعد شئ عن هذه الدعوى لانهم مع اقرارهم بأن الله خالق السموات والارض و بأنه قادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين للبعث وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر فكيف يدعونه للجماد الذى لايوصف بالقدرة * قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشاء لأنه لايستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشاء من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بأن ما استبعدوه من الله لايصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكى أو مدنى ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بأنها الاصنام التى تعبد فى الارض لان الآلهة أرضية وسماوية من ذلك حديث الأمة التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفى الآلهة الارضية التى هى الاصنام لااثبات السماء مكانا لله تعالى و يجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها اما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لابد من نكتة فى قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لاتقدر على الانشاء الاهم وحدهم انتهى * واتخذوا هنا يحتمل أن يكون المعنى فيما صنعوا وصوروا ومن الارض متعلق باتخذوا و يحتمل أن يكون المعنى جعلوا الآلهة أصناما من الارض كقوله أتتخذ أصناما آلهة وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفيه معنى الاصطفاء والاختيار * وقرأ الجمهور ينشرون مضارع أنشر ومعناه يحيون * وقال قطرب معناه يخلقون كقوله أفمن يخلق كمن لايخلق * وقرأ الحسن ومجاهد ينشرون مضارع نشر وهما لغتان نشر وانشر متعديان ونشر يأتى لازما تقول أنشر الله الموتى فنشروا أى فحيوا والضمير فى فيهما عائد على السماء والارض وهما كناية عن العالم والا هنا صفة لآلهة أى آلهة غير الله وكون الا يوصف بها معهود فى لسان العرب ومن ذلك ما أنشده سيبويه رحمه الله

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك إلا الفرقدان

* قال الزمخشرى (فان قلت) مامنعك من الرفع على البدل (قلت) لأن لو بمنزلة ان فى ان الكلام معه موجب والبدل لايسوغ إلا فى الكلام غير الموجب كقوله ولايلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام يصح نفيه ولايصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما و يدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده كقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران

طاعته والامتثال لأمره ﴿ولايشفعون﴾ لما كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على أن يشفعوا ﴿الالمن ارتضى﴾ ه الله تعالى وأهله للشفاعة فى زيادة الثواب والتعظيم ثم هم مع ذلك ﴿من خشيته مشفقون﴾ متوقعون حذرون لايأمنون مكر الله وقال ابن عباس لمن ارتضى هو من قال لا إله الا الله وشفاعتهم الاستغفار ﴿ومن يقل منهم انى إله﴾ بعد أن وصف كرامتهم عليه وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الافعال السنية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من ادعى منهم أنه إله وذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع علمه بأنه لايكون كقوله تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى الظالمين وهم الكافرون الواضعون الشئ فى غير موضعه وأداة الشرط تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك

(قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف * وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجادل وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * وقال ابن عطية وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق واقتضاب القول في هذا ان الهين لو فرضنا بينهما الاختلاف في تحريك جسم ولا تحريكه فمحال ان تتم الارادتان ومحال أن لا تتم جميعا واذا تمت الواحدة كان صاحب الاخرى عاجزا وهذا ليس باله وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر آخر وذلك أن كل جزء يخرج من العدم الى الوجود فمحال أن تتعلق به قدرتان فاذا كانت قدرة أحدهما توجده ففي الآخر فضل لا معنى له في ذلك الجزء ثم يتمادى النظر هكذا جزأ جزأ * وقال أبو عبد الله الرازي لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتهما فلا بد أن يشتركا في الوجوب ولا بد أن يمتاز كل واحد منهما عن الآخر بعينه وما به المشاركة غير ما به المميزة فيكون كل واحد مشاركا للآخر وكل مركب فهو مفتقر الى آخر ممكن لذاته فاذا واجب الوجود ليس الا واحدا فكل ما عداه فهو محدث ويمكن جعل هذا تفسيرا لهذه الآية لانا دللنا على أنه يلزم من فرض موجودين واجبين أن لا يكون شيء منهما واجبا واذا لم يوجد الواجب لم يوجد شيء من هذه الممكنات فحينئذ يلزم الفساد في كل العالم * وقال أبو البقاء لا يجوز أن يكون بدلا لأن المعنى يصير الى قولك لو كان فيهما الله لفسدتا ألا ترى أنك لو قلت ما جاءني قومك الا زيد على البدل لكان المعنى جاءني زيد وحده * وقيل يمتنع البدل لأن ما قبلها ايجاب ولا يجوز النصب على الاستثناء لوجهين أحدهما أنه فاسد في المعنى وذلك أنك اذا قلت لو جاءني القوم الا زيدا لقتلتهم كان معناه ان القتل امتنع لكون زيد مع القوم فلو نصبت في الآية لكان المعنى فساد السموات والارض امتنع لوجود الله مع الآلهة وفي ذلك اثبات اله مع الله واذا رفعت على الوصف لا يلزم مثل ذلك لأن المعنى لو كان فيهما غير الله لفسدتا والوجه الثاني ان آلهة هنا نكرة والجمع اذا كان نكرة لم يستثن منه عند جماعة من المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء انتهى وأجاز أبو العباس المبرد في هذا أن يكون بدلا لأن ما بعد لو غير موجب في المعنى والبدل في غير الواجب أحسن من الوصف وقد أمعنا الكلام على هذه المسألة في شرح التسهيل * وقال الاستاذ أبو علي الشلوبين في مسألة سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا ان المعنى لو كان معنا رجل مكان زيد لغلبنا فالا بمعنى غير التي بمعنى مكان [illegible] وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الصائغ لا يصح المعنى عندي الا أن تكون الا في معنى غير التي يراد بها البدل أي لو كان فيهما آلهة عوض واحد أي بدل الواحد الذي هو الله لفسدتا وهذا المعنى أراد سيبويه في المسألة التي جاء بها توطئة انتهى ولما أقام البرهان على وحدانيته [illegible] أعقب [illegible] بقوله فسبحان الله ثم وصف [illegible] [illegible] وصف نفسه بكمال القدرة ونهاية الحكمة [illegible] [illegible] وفعله على أقصى درجات الحكمة [illegible] [illegible] [illegible] يصدر من أفعالهم [illegible] [illegible] [illegible] قضته الحكمة [illegible]

جامع لصفات الافعال مندرج تحته كل مايصدر عنه من خلق ورزق ونفع وضر وغير ذلك والظاهر في قوله لايسأل العموم في الازمان * وقال الزجاج أي في القيامة لايسأل عن حكمه في عباده وهم يسألون عن أعمالهم * وقال ابن بحر لايحاسب وهم يحاسبون * وقيل لايؤاخذ وهم يؤاخذون انتهى وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون واقع منهم الخطأ كثيرا فهم جديرون ان يقال لهم لم فعلتم كذا * وقرأ الحسن لايسل ويسلون بفتح السين نقل حركة الهمزة الى السين وحذف الهمزة ثم كرر تعالى عليهم الانكار والتوبيخ فقال أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم وزاد في هذا التوبيخ قوله من دونه فكأنه وبخهم على قصد الكفر بالله عز وجل ثم دعاهم الى الاتيان بالحجة على ما اتخذوا ولا حجة تقوم على ان لله تعالى شريكا لامن جهة العقل ولا من جهة النقل بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه تعالى عن الشركاء والانداد كما في الوحي الذي جئتكم به هذا ذكر من معي أي عظة للذين معي وهم أمته وذكر للذين من قبلي وهم أمم الانبياء فالذكر هنا مرادا به الكتب الالهية ويجوز ان يكون هذا اشارة الى القرآن والمعنى فيه ذكر الاولين والآخرين فذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم وذكر الاولين بقص أخبارهم وذكر الغيوب في أمورهم والمعنى على هذا عرض القرآن في معرض البرهان أي هاتوا برهانكم فهذا برهاني في ذلك ظاهر * وقرأ الجمهور باضافة ذكر الى من فيهما على اضافة المصدر الى المفعول كقوله بسؤال نعجتك * وقرئ بتنوين ذكر فيهما ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما * وقرأ يحيى بن يعمر وطلحة بتنوين ذكر فيهما وكسر ميم من فيهما ومعنى معي هنا عندي والمعنى هذا ذكر من عندي ومن قبلي أي أذكركم بهذا القرآن الذي عندي كما ذكر الانبياء من قبلي أممهم ودخول من على مع نادر ولكنه اسم يدل على الصحبة والاجتماع أجري مجرى الظرف فدخلت عليه من كما دخلت على قبل وبعد وعند وضعف أبو حاتم هذه القراءة لدخول من على مع ولم ير لها وجها وعن طلحة ذكر منونا معي درن من وذكر منونا قبلي دون من * وقرأت فرقة وذكر من بالاضافة وذكر منونا من قبلي بكسر ميم من * وقرأ الجمهور الحق بالنصب والظاهر نصبه على المفعول به فلا يعلمون أي أصل شرهم وفسادهم هو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل ومن ثم جاء الاعراض عنه * وقال الزمخشري ويجوز ان يكون المنصوب أيضا على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل فأكد نسبة انتفاء العلم عنهم والظاهر أن الاعراض متسبب عن انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل أعرضوا عن الحق * وقال ابن عطية ثم حكم عليهم تعالى بأن أكثرهم لايعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لأنهم لايعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك لايعلمون الحق * وقرأ الحسن وحميد وابن محيصن الحق بالرفع * قال صاحب اللوامح ابتداء والخبر مضمر أو خبر والمبتدأ قبله مضمر * وقال ابن عطية هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراءة على لايعلمون * وقال الزمخشري وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل انتهى ولما ذكر انتفاء علمهم الحق واعراضهم أخبر أنه ما أرسل من رسول الا جاء مقررا لتوحيد الله وافراده بالالهية والأمر بالعبادة ولما كان من رسول عاما لفظا ومعنى أفرد على اللفظ في قوله الا يوحى اليه ثم جمع على المعنى في قوله فاعبدون ولم يأت التركيب فاعبدني ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته وهذه العقيدة من

توحيد الله لم تختلف فيها النبوات وإنما وقع الاختلاف في أشياء من الاحكام * وقرأ الاخوان والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى والقطعي وابن غزوان عن أيوب وخلف وابن سعدان وابن عيسى وابن جرير نوحي بالنون وباقي السبعة بالياء وفتح الحاء واختلف عن عاصم ثم نزه تعالى نفسه عما نسبوا اليه من الولد * قيل ونزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى نحو هذا في عيسى واليهود في عزير ثم أضرب تعالى عن نسبة الولد اليه فقال بل عباد مكرمون ويشمل هذا اللفظ الملائكة وعزيرا والمسيح ويظهر من كلام الزمخشري أنه مخصوص بالملائكة قال نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقرأ عكرمة مكرمون بالتشديد والجمهور بالتخفيف * وقرأ لا يسبقونه بكسر الباء * وقرئ بضمها من سابقني فسبقته أسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وأل في بالقول نابت مناب الضمير على مذهب الكوفيين أي بقولهم وكذا قال الزمخشري والمراد بقولهم فأنيبت اللام مناب الاضافة أو الضمير محذوف أي بالقول منهم وذلك على مذهب البصريين وهم بأمره يعملون وكما ان قولهم تابع لقوله كذلك فعلهم مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وهذه عبارة عن توغلهم في طاعته والامتثال لامره ثم أخبر تعالى أنه يعلم ما بين أيديهم أي ما تقدم من أفعالهم وأقوالهم وما خلفهم [illegible] ومتأخر [illegible] بذلك يجري مجرى السبب لطاعتهم [illegible] عالم بجميع المعلومات [illegible] كان ذلك [illegible] الى نهاية الخضوع والدؤوب على العبادة [illegible] ابن عباس يعلم ما قدموا وما أخروا من أعمالهم * وقال [illegible] ما عملوا وما لم يعملوا بعد وقيل ما بين أيديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا * وقيل عكس ذلك * وقيل يعلم ما كان قبل أن خلقهم وما كان بعد خلقهم ولما كانوا مقهورين تحت أمره وملكوته وهو محيط بهم لم يجسروا على أن يشفعوا الا لمن ارتضاه [illegible] الشفاعة في زيادة [illegible] ومع ذلك من خشيته مشفقون متوقعون حذرون لا يأمنون مكر الله [illegible] ابن عباس [illegible] لا إله إلا الله [illegible] يشفع [illegible]

[illegible]

تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدم من أدلة التوحيد وقوله ﴿كانتا رتقا﴾ قال الزجاج السموات جمع أريد به الواحد ولهذا قال كانتا رتقا لانه أراد السماء والارض قال ابن عباس وجماعة كانتا شيأ واحدا ففصل الله بينهما بالهواء وقيل في الرتق والفتق غير ذلك يقال رتق الشيء سده فارتتق ومنه الرتقاء المنضمة الفرج وفتق فصل ما بين المتصلين ﴿وجعلنا﴾ ان تعدت لواحد كانت بمعنى خلقنا ﴿من الماء كل﴾ حيوان أي مادته نطفة وان تعدت الى اثنين فالمعنى صيرنا كل ﴿شيء حي﴾ متسببا من الماء لا بد له منه ﴿أفلا يؤمنون﴾ استفهام انكار وفيه معنى التعجب من ضعف عقولهم والمعنى أفلا يتدبرون هذه الادلة ويعملوا بمقتضاها ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ [illegible]

[illegible]

﴿وهم عن آياتها﴾ أى عما وضع الله تعالى فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾ قدم الليل لان الظلمة تسبق النور والشمس على القمر لأن القمر يستمد النور منها ﴿كل فى فلك﴾ الفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة وعن ابن عباس الفلك السماء وقال أكثر المفسرين الفلك موج مكفوف (٣٠٨) تحت السماء تجرى فيه الشمس والقمر كل فى فلك الذى حذف مضافه يجوز أن يعود الضمير عليه مفردا كقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته ويجوز أن يعود عليه جمعا كقوله تعالى وكل كانوا ظالمين وجاء هنا بضمير الجمع فى قوله يسبحون رعيا للفواصل وكنى بالسبح عن الجريان وجاء الضمير مجموعا وان كان عائدا على الشمس والقمر باعتبار أوقات مطالعهما لكثرة المطالع ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ قيل ان بعض المسلمين قال ان محمدا لا يموت وانما هو مخلد فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والفاء فى أفان مت للعطف وقدمت عليها همزة الاستفهام لان الاستفهام له صدر الكلام وهمزة الاستفهام دخلت على ان الشرطية والجملة بعدها جواب الشرط وليست مصب الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف جوابه هذا مذهب سيبويه وزعم يونس أن تلك الجملة هى مصب الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف وفى هذه الآية دليل لمذهب سيبويه وللمذهبين تقرير فى علم النحو ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم وقدم الشر لان الابتلاء به أكثر ولأن العرب تقدم الأقل والاردأ وعن ابن عباس الخير والشر هنا عام فى الغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية ﴿والينا ترجعون﴾ فنجازيكم على ما صدر منكم فى حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفى غير الابتلاء

السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴾ هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة ودلالة على تنزيهه عن الشريك وتوكيد لما تقدم من أدلة التوحيد ورد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر على هذه المخلوقات المتصرف فيها التصرف العجيب كيف يجوز فى العقل أن يعدل عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع والرؤية هنا من رؤية القلب * وقيل من رؤية البصر وذلك على الاختلاف فى الرتق والفتق * وقرأ ابن كثير وحميد وابن محيصن ألم ير بغير واو العطف والجمهور أولم بالواو * كانتا قال الزجاج السموات جمع أريد به الواحد ولهذا قال كانتا رتقا لانه أراد السماء والارض ومنه ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا جعل السموات نوعا والارضين نوعا فأخبر عن النوعين كما أخبر عن اثنين كما تقول أصلحت بين القوم ومر بنا غنمان أسودان لقطيعى غنم * وقال الحوفى قال كانتا رتقا والسموات جمع لانه أراد الصنفين ومنه قول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * يوفى المخارم يرقبان سوادى

لانه أراد النوعين * وقال أبو البقاء الضمير يعود على الجنسين * وقال الزمخشرى وانما قال كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أراد جماعتان فعل فى المضمر ما فعل فى المظهر * وقال ابن عطية وقال كانتا من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شييم

ألم يحزنك ان جبال قيس * وتغلب قد تباينت انقطاعا

* قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة كانتا شيأ واحدا ففصل الله بينهما بالهواء * وقال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا * وقال مجاهد والسدى وأبو صالح كانت السموات والارض مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضون كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعا * وقالت فرقة السموات والارض رتق بالظلمة وفتقها الله بالضوء * وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقناهما بالمطر والنبات كما قال والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع * قال ابن عطية وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين ويناسب قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى أى من الماء الذى أوجده الفتق انتهى وعلى هذين القولين تكون الرؤية من البصر وعلى ما قبلهما من رؤية القلب وجاء تقريرهم بذلك لانه

وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد ولأن تلاصق الارض والسماء
وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلابد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو الله سبحانه وقرأ
الجمهور رتقا بسكون التاء وهو مصدر يوصف به كزور وعدل فوقع خبرا للمثنى * وقرأ الحسن وزيد
ابن علي وأبو حيوة وعيسى رتقا بفتح التاء وهو اسم المرتوق كالقبض والنفض فكان قياسه أن يثنى
ليطابق الخبر الاسم * فقال الزمخشري هو على تقدير موصوف أي كانتا شيأ رتقا * وقال أبو الفضل
الرازي الاكثر في هذا الباب أن يكون المتحرك منه اسما بمعنى المفعول والساكن مصدرا وقد يكونان
مصدرين لكن المتحرك أولى بأن يكون في معنى المفعول لكن هنا الاولى أن يكونا مصدرين فأقيم
كل واحد منهما مقام المفعولين ألا ترى انه قال كانتا رتقا فلو جعلت أحدهما اسما لوجب أن تثنيه فاما
قال رتقا كان في الوجهين كرجل عدل ورجلين عدل وقوم عدل انتهى * وجعلنا ان تعدت لواحد
كانت بمعنى وخلقنا من الماء كل حيوان أي مادته النطفة قاله قطرب وجماعة أو لما كان قوامه
الماء المشروب وكان محتاجا اليه لا يصبر عنه جعل مخلوقا منه كقوله خلق الانسان من عجل قاله الكلبي
وغيره وتكون الحياة على هذا حقيقة ويكون كل شيء عاما مخصوصا إذ خرج منه الملائكة والجن
وليسوا مخلوقين من نطفة ولا محتاجين للماء * وقال قتادة أي خلقنا كل نام من الماء فيدخل فيه
النبات والمعدن وتكون الحياة فيهما مجازا أو عبر بالحياة عن القدر المشترك بينهما وبين الحيوان
وهو النمو ويكون أيضا على هذا عاما مخصوصا وان تعدت جعلنا لاثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي
بسبب من الماء لابد له منه * وقرأ حميد حي بالخفض صفة لشيء * وقرأ حميد حيا بالنصب مفعولا
ثانيا لجعلنا والجار والمجرور لغو أي ليس مفعولا ثانيا انتهى * أفلا يؤمنون استفهام انكار وفيه معنى
التعجب من ضعف عقولهم والمعنى أفلا يتدبرون هذه الأدلة ويعملون بمقتضاها ويتركوا طريقة
الشرك وأطلق الايمان على سببه وقد تضمنت هذه الآية دليلين من دلائل التوحيد وهي من الأدلة
السماوية والأرضية * ثم ذكر دليلا آخر من الدلائل الأرضية فقال وجعلنا في الأرض رواسي أن
تميد بهم وتقدم شرح نظير هذه الجملة في سورة النحل * وجعلنا فيها فجاجا سبلا وهذا دليل رابع من
الدلائل الأرضية والظاهر أن الضمير في فيها عائد على الأرض * وقيل يعود على الرواسي وجاء
هنا تقديم فجاجا على قوله سبلا وفي سورة نوح لتسلكوا منها سبلا فجاجا * فقال الزمخشري وهي
يعني فجاجا صفة ولكن جعلت حالا كقوله [illegible] وهي
نكرة فلو تأخر فجاجا لكان صفة كما في تلك الآية ولكن تقدم [illegible] فان قلت
ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) وجهان أحدهما [illegible] طرقا واسعة والثاني
حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم [illegible] يكون
الموصوف متصفا به [illegible] ألا ترى انه قال
[illegible]
[illegible] لعلهم يهتدون [illegible]
[illegible] المحفوظ [illegible]
[illegible] وقيل [illegible] الشيطان [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] محفوظ من الشيطان [illegible]

*وهم عن آياتها أي عن ما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة * وقرأ الجمهور عن آياتها بالجمع * وقرأ مجاهد وحميد عن آيتها بالافراد فيجوز انه جعل الجعل أو السقف أو الخلق أي خلق السماء آية واحدة تحوي الآيات كلها ويجوز انه أراد بها الجمع فجعلها اسم الجنس ودل على ذلك كثرة ما في السماء من الآيات والمعنى وهم عن الاعتبار بآياتها معرضون * وقال الزمخشري هم يتفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنياوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأمطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والفلك الجسم الدائر دوره اليوم والليلة * وعن ابن عباس والسدي الفلك السماء * وقال أكثر المفسرين الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر * وقال قتادة الفلك استدارة بين السماء والأرض يدور بالنجوم مع ثبوت السماء * وقيل الفلك القطب الذي تدور عليه النجوم وهو قطب الشمال * وقيل لكل واحد من السيارات فلك وفلك الأفلاك يحركها حركة واحدة من المشرق الى المغرب * وقال الضحاك الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والظاهر انه جسم وفيه الاختلاف المذكور والظاهران كلا يسبح في فلك واحد * قيل ولكل واحد فلك يخصه فهو كقولهم كساهم الامير حلة أي كسى كل واحد وجاء يسبحون بواو الجمع العاقل فأما الجمع فقيل ثم معطوف محذوف وهو والنجوم ولذلك عاد الضمير مجموعا ولو لم يكن ثم معطوف محذوف لكان يسبحان مثنى * وقال الزمخشري الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد انتهى وحسن ذلك كونه جاء فاصلة رأس آية وأما كونه ضمير من يعقل ولم يكن التركيب يسبحن * فقال الفراء لما كانت السباحة من أفعال الآدميين جاء ما أسند اليهما مجموعا جمع من يعقل كقوله رأيتهم لي ساجدين * قال أبو عبد الله الرازي وعلى قول أبي علي بن سينا سبب ذلك انها عنده تعقل انتهى وهذه الجملة يحتمل أن تكون استئناف اخبار فلا محل لها أو محلها النصب على الحال من الشمس والقمر لان الليل والنهار لا يتصفان بانهما يجريان في فلك فهو كقولك رأيت زيدا وهندا متبرجة والسباحة العوم والذي يدل عليه الظاهر ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان في الفلك وان الفلك لا يجري وما جعلنا لآية . قيل ان بعض المسلمين قال ان محمدا لن يموت وانما هو مخلد فأنكر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ونزلت . وقيل طعن كفار مكة عليه بانه بشر يأكل الطعام ويموت فكيف يصح ارساله * وقال الزمخشري كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا ولا أنت ولا هم الا عرضة للموت فان مت أنبقى هؤلاء وفي معناه قول الامام الشافعي رضي الله عنه

تمنى رجال أن أموت وان أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تزود لأخرى مثلها فكأن قد

﴿ وقول الآخر ﴾

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء في أفان مت لعطف جملة على جملة والهمزة للاستفهام الانكاري لان الاستفهام له صدر الكلام دخلت على

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ الآية قال السدي ومقاتل مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل وأبي سفيان فقال أبو جهل هذا نبي بني عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكر أن يكون نبيا في بني عبد مناف فسمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي جهل ما تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أبا سفيان فانما قلت ما قلت حمية فنزلت وان نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب إذا هو ان يتخذونك وجوب اذا بان النافية لم يرد منه في القرآن الا هذا وقوله في الفرقان وإذا رأوك إن يتخذونك الا هزوا ولم يحتج الى الفاء في الجواب كما لم تحتج إليه ما إذا وقعت جوابا كقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا بما النافية فلابد من الفاء نحو ان تزرنا فما نسيء إليك ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أهذا استفهام فيه انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير والشر فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه فان كان من صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم (٣١١) ومنه قالوا سمعنا فتى يذكرهم أي بسوء وكذلك هنا أي أهذا الذي يذكر آلهتكم ثم نعى عليهم انكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهي وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي منكرون وهذه حالة تكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن [illegible] لا ينبغي أن [illegible] على من يعيب آلهتهم والظاهر أن هذه [illegible] من الضمير في [illegible] محذوف ولما كانوا يستعجلون [illegible] والمحنة الى [illegible] لانهم [illegible] من [illegible] [illegible]

علم [illegible] والظاهر [illegible] [illegible]

ان الشرطية والجملة بعدها جواب للشرط ولست [illegible] الاستفهام فتكون الهمزة داخلة عليها واعترض الشرط بينهما فحذف جوابه هذا مذهب سيبويه * وزعم يونس أن تلك الجملة هي منصب الاستفهام والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف * قال ابن عطية وألف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط انتهى وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه ولو كان على مذهب يونس لكان التركيب أفان مت هم الخالدون [illegible] [illegible] تقرر في علم النحو [illegible] تقدم [illegible] الجملة * [illegible] وقدم [illegible] [illegible] العرب تقدم [illegible] ولا [illegible] لا يبعد [illegible] صغيره ولا كبيره [illegible] [illegible] وعن ابن عباس الخير والشر [illegible] في [illegible] والفقر و[illegible] والمرض و[illegible] والهدى والضلال [illegible] قال ابن عطية [illegible] [illegible] ولا من أطاع [illegible] [illegible] والظاهر أن [illegible] [illegible] انتهى وعن ابن عباس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والفقر والمرض و[illegible] [illegible] [illegible] مفعول له [illegible] في موضع [illegible] [illegible] [illegible] ترجعون [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] ترجعون [illegible] [illegible] وقرأ [illegible] [illegible] مفعول على [illegible] [illegible] آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون * قال السدي ومقاتل مر الرسول عليه الصلاة والسلام بأبي جهل وأبي سفيان فقال أبو جهل هذا نبي بني عبد مناف فقال أبو سفيان وما تنكرون أن يكون نبيا في بني عبد مناف فسمعهما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لأبي جهل ما تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة وأما أنت يا أباسفيان فانما قلت ما قلت حمية فنزلت ولما كان الكفار يغمهم ذكر آلهتهم بسوء شرعوا في الاستهزاء وتنقيص من يذكرهم على سبيل المقابلة وان نافية بمعنى ما والظاهر ان جواب اذا هو ان يتخذونك وجواب اذا بان النافية لم يرد منه في القرآن الا هذا وقوله في القرآن واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا ولم يحتج الى الفاء في الجواب كما لم تحتج اليه ما اذا وقعت جوابا كقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف أدوات الشرط فانها اذا كان الجواب مصدرا بما النافية فلا بد من الفاء نحو ان تزورنا فما نسيء اليك وفي الجواب لا داذا بان وما النافيتين دليل واضح على ان اذا ليست معمولة للجواب بل العامل فيها الفعل الذي يليها وليست مضافة للجملة خلافا لأكثر النحاة وقد استدللنا على ذلك بغير هذا من الأدلة في شرح التسهيل * وقيل جواب اذا محذوف وهو يقولون المحكي به قولهم أهذا الذي يذكر آلهتكم وقوله ان يتخذونك الاهزوا كلام معترض بين اذا وجوابه ويتخذونك يتعدى الى اثنين والثاني هزوا أي مهزوأ به وهذا استفهام فيه انكار وتعجيب والذكر يكون بالخير وبالشر فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه فان كان من صديق فالذكر ثناء أو من غيره فذم ومنه سمعنا فتى يذكرهم أي بسوء وكذلك هنا أهذا الذي يذكر آلهتكم ثم نعى عليه انكارهم عليه ذكر آلهتهم بهذه الجملة الحالية وهي وهم بذكر الرحمن هم كافرون أي ينكرون وهذه حالهم يكفرون بذكر الرحمن وهو ما أنزل من القرآن فمن هذه حاله لا ينبغي أن ينكر على من يعيب آلهتهم والظاهر ان هذه الجملة حال من الضمير في يقولون المحذوف * وقال الزمخشري والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله انتهى فجعل الجملة الحالية العامل فيها يتخذونك هزوا المحذوفة وكررهم على سبيل التوكيد وروى أنها نزلت حين أنكروا لفظة الرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن الا في اليمامة والمراد بالرحمن هنا الله كأنه قيل وهم بذكر الله ولما كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى الاقرار والعلم نهاهم تعالى عن الاستعجال وقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها والظاهر انه يراد بالانسان هنا اسم الجنس وكونه خلق من عجل وهو على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيرا كما يقول لمكثر اللعب أنت من لعب وفي الحديث لست من دد ولا دد مني * وقال الشاعر

وانا لمما يضرب الكبش ضربة * على رأسه تلقي اللسان من الفم

لما كانوا أهل ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وبهذا التأويل يتم معنى الآية ويترتب عليه قول سأريكم آياتي أي آيات الوعيد فلا تستعجلون في رؤيتكم العذاب الذي تستعجلون به ومن يدعي القلب فيه وهو أبو عمرو وان التقدير خلق العجل من الانسان وكذا قراءة عبد الله على معنى انه جعل طبيعة من طبائعه وجزأ من أخلاقه فليس قوله بجيد لان القلب الصحيح

تعالى بأن من تقدم من الرسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم وأن ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا في الدنيا والآخرة فكذلك حال هؤلاء المستهزئين وتقدم تفسير مثل هذه الآية في الانعام ثم أمره تعالى أن يسألهم من الذي يحفظكم في أوقاتكم من بأس الله أي لا أحد يحفظكم منه وهو استفهام توبيخ وتقريع وفي الكلام تقدير محذوف كأنه قال ليس لهم مانع ولا كالىء وعلى هذا النفي تركبت بل في قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون * تمنعهم من دوننا * أي من جهة غير جهتنا ويجوز أن يكون في موضع الصفة لقوله آلهة أي كائنة من جهتنا تمنعهم لما ذكر تعالى نفى منع آلهتهم وذكر أيضا عنهم أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منقادون منا أي يؤخذون منا يقال أصحب فلان فلانا اذا قاده ومنه قول الشاعر

ولست بذي رثية إمر * اذا قيد مستكرها أصحبا

يريد انقاد والرثية البطء في النبي والامر الرجل الذي يطيع كل آمر

فيه أن لا يكون في كلام فصيح وان بابه الشعر * قيل فما جاء في الكلام من ذلك قول العرب اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء وقالوا عرضت الناقة على الحوض وفي الشعر قوله

* حسرت كفي عن السربال آخذه *

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والضحاك ومقاتل والكلبي الانسان هنا آدم * قال مجاهد لما دخل الروح رأسه وعينيه رأى الشمس قاربت الغروب فقال يارب عجل تمام خلقي قبل أن تغيب الشمس * وقال سعيد لما بلغت الروح ركبتيه كاد يقوم فقال الله خلق الانسان من عجل * وقال ابن زيد خلقه الله يوم الجمعة على عجلة في خلقه * وقال الأخفش من عجل لان الله قال له كن فكان * وقال الحسن من عجل أي ضعيف يعني النطفة * وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب الآدميين من النطفة والعلقة والمضغة وهذا يرجع لقول الاخفش * وقيل من عجل من طين والعجل بلغة حمير الطين * وأنشد أبو عبيدة لبعض الحمير بين

النبع في الصخرة الصماء منبته * والنخل منبته في الماء والعجل

* وقيل الانسان هنا النضر بن الحارث والذي ينبغي أن تحمل الآية عليه هو القول الاول وهو الذي يناسب آخرها * والآيات هنا قيل الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة أي يأتيكم في وقته * وقيل أدلة التوحيد وصدق الرسول * وقيل آثار القرون الماضية بالشام واليمن والقول الأول أليق أي سيأتي ما يسوءكم اذا دمتم على كفركم كأنه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا وفي الآخرة * وقال الزمخشري (فان قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كما ركب فيه من الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة انتهى وهو على طريق الاعتزال * وقرأ مجاهد وحميد وابن مقسم خلق مبنيا للفاعل الانسان بالنصب أي خلق الله الانسان وقوله متى هذا الوعد استفهام على جهة الهزء وكان المسلمون يتوعدونهم على لسان الشرع ومتى في موضع الخبر لهذا فموضعه رفع ونقل عن بعض الكوفيين ان موضع متى نصب على الظرف والعامل فيه فعل مقدر تقديره يكون أو يجيء وجواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه وحذفه أبلغ وأهيب من النص عليه فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه وقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال * وقيل لعلموا صحة البعث * وقيل لعلموا صحة الموعود * وقال الحوفي لسارعوا الى الايمان * وقال الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة وحين يراد به وقت الساعة يدل على ذلك بل تأتيهم بغتة انتهى وحين قال الزمخشري مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم النار من وراء وقدام ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم قال ويجوز أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها انتهى والذي يظهر أن مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله أي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطؤه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء ويجوز أن يكون من باب الاعمال على حذف مضاف وأعمل الثاني والمعنى لو يعلمون مباشرة النار حين لا يكفونها عن وجوههم وذكر الوجوه لأنها أشرف ما في الانسان ومحل حواسه والانسان أحرص على الدفع عنه من غيره من أعضائه ثم عطف عليها الظهور والمراد عموم النار لجميع أبدانهم

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ قال أكثر المفسرين انها نزلت فى كفار مكة وهؤلاء إشارة الى المخاطبين من كفار مكة ومن الحفظ آلهة من دون الله أخبر تعالى أنه متع هؤلاء الكفار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم فى رخاء ونعمة وتدعسوا فى الضلالة بامهاله اياهم وتأخيرهم الى الوقت الذى يأخذهم فيه ﴿أفلا يرون أنا نأتى الارض﴾ تقدّم تفسير هذه الجملة فى آخر الرعد وفى قوله أفهم الغالبون دليل على أنهم هم المغلوبون فهو استفهام فيه تقريع لهم وتوبيخ حيث لم يعتبروا بما يجرى عليهم ثم أمره تعالى أن يقول لهم انما أنذركم بالوحى أى أعلمكم بما تخافون منه بوحى من الله لا من تلقاء نفسى وما كان من جهة الله فهو الصدق الواقع لامحالة كما رأيتم بالعيان من نقصان الارض من أطرافها * ثم أخبر أنهم مع انذارهم معرضون عما أنذروا به والانذار لا يجدى فيهم ادهم صم عن سماعه ولما كان الوحى من المسموعات كان ذكر الصم مناسبا والصم هم المنذرون فأل فيه للعهد وناب الظاهر مناب المضمر لان فيه التصريح بتصامهم وسد أسماعهم اذا أنذروا ونفى السماع هنا هو نفى جدواه ثم أخبر تعالى أن هؤلاء الذين صموا عن سماع ما أنذروا به إذا نالهم شئ مما أنذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك وأقروا بأنهم كانوا ظالمين نبهوا على العلة التى أوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا وأذعنوا قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذى نزل بمكة ولما ذكر حالهم فى الدنيا اذا أصيبوا بشئ استطرد لما يكون فى الآخرة التى هى مقر الثواب والعقاب فأخبر تعالى عن عدله وأسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال

يمنعهم من العذاب بل تأتيهم بغتة أى تفجؤهم * قال ابن عطية بل تأتيهم استدراك مقدر قبله نفى تقديره ان الآيات لا تأتى بحسب اقتراحهم انتهى والظاهر ان الضمير فى تأتيهم عائد على النار * وقيل على الساعة التى تصيرهم الى العذاب * وقيل على العقوبة * وقال الزمخشرى فى عود الضمير الى النار أو الى الوعد لأنه فى معنى النار وهى التى وعدوها أو على تأويل العدة والموعدة أو الى الحين لأنه فى معنى الساعة أو الى البغتة انتهى * وقرأ الاعمش بل يأتيهم بالياء بغتة بفتح الغين فيبهتهم بالياء والضمير عائد الى الوعد أو الحين قاله الزمخشرى * وقال أبو الفضل الرازى لعله جعل النار بمعنى العذاب فذكر ثم ردردها الى ظاهر اللفظ * ولاهم ينظرون أى يؤخرون عما حل بهم ولما تقدم قوله ان يتخذونك الاهزوا سلاه تعالى بأن من تقدمه من الرسل وقع من أممهم الاستهزاء بهم وان ثمرة استهزائهم جنوها هلاكا وعقابا فى الدنيا والآخرة فكذلك حال هؤلاء المستهزئين وتقدم تفسير مثل هذه الآية فى الانعام ثم أمره تعالى أن يسألهم من الذى يحفظكم فى أوقاتكم من بأس الله أى لا أحد يحفظكم منه وهو استفهام تقريع وتوبيخ وفى آخر الكلام تقدير محذوف كأنه ليس لهم مانع ولا كالئ وعلى هذا النفى تركيب بل فى قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم انتهى * وقرأ أبو جعفر والزهرى وشيبة يكلوكم بضمة خفيفة من غير همز * وحكى الكسائى والفراء يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو * أم لهم آلهة أم بمعنى بل والهمزة كأنه قيل بل ألهم آلهة فأضرب ثم استفهم تمنعهم من العذاب * وقال الحوفى من دوننا متعلق بتمنعهم انتهى * قيل والمعنى ألهم آلهة تجعلهم فى منعة وعز من أن ينالهم مكروه من جهتنا * وقال ابن عباس فى الكلام تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم تقول منعت دونه كففت أذاه فمن دوننا هو من صلة آلهة أى أم لهم آلهة دوننا أو من صلة تمنعهم أى أم لهم مانع من سوانا ثم استأنف الاخبار عن آلهتهم فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * وقال ابن عباس يصحبون يمنعون * وقال مجاهد ينصرون * وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير * وقال الشاعر

ينادى بأعلى صوته متعوذا * ليصحب منا والرماح دوان

* وقال مجاهد يحفظون * وقال السدى لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم والظاهر عود الضمير فى ولاهم على الاصنام وهو قول قتادة * وقيل على الكفار وهو قول ابن عباس وفى التحرير مدار هذه الكلمة يعنى يصحبون على معنيين أحدهما انه من صحب يصحب والثانى من الاصحاب أصحب الرجل منعه من الآفات ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعا

﴿ ونضع الموازين ﴾ وتقدم الكلام على الموازين في أول الاعراف والقسط مصدر قسط وصفت به الموازين مبالغة فكأنها جعلت في أنفسها القسط أو على حذف مضاف أي ذوات القسط ويجوز أن يكون مفعولا من أجله أي لأجل القسط وقرئ ﴿ مثقال ﴾ بالرفع فاعل لكان وهي تامة ومثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره وان كان هو أي العمل أو الشئ والجملة دالة على جميع ما يفعل الانسان من صغير وكبير وتفسيره ب﴿ حبة من خردل ﴾ مبالغة في التقليل وأنث الضمير في بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مؤنث ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ فيه توعد وبنا فاعل والباء زائدة نحو كفى بالله وهو اشارة الى ضبط أعمالهم من الحساب وهو العد والاحصاء والظاهر أن حاسبين تمييز لقبوله

من ويجوز أن يكون حالا ﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ﴾ لما ذكر ما آتى رسوله وحال مشركي العرب معه ذكر ما أوتي موسى وهرون باشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا من الفرقان والضياء والذكر ثم نبه على ما آتى رسوله من الذكر المبارك ثم استفهم على سبيل الانكار على انكارهم ما آتى رسوله والفرقان التورة وهو الضياء والذكر أي كتابا هو فرقان وضياء وذكرى ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس ضياء بغير واو ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ [illegible] عليهم وأن يكون معطوفا على صلة الذين ويكون الصلة الأولى مشعرة بالتجدد [illegible]

[illegible] ما بذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ هؤلاء اشارة الى المخاطبين قبل وهم كفار قريش ومن اتخذ آلهة من دون الله أخبر تعالى انه متع هؤلاء الكفار وآباءهم من قبلهم بما رزقهم من حطام الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة وتدعسوا في الضلالة بامهاله تعالى اياهم وتأخيرهم الى الوقت الذي يأخذهم فيه أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون تقدم تفسير هذه الجملة في آخر الرعد واقتصر الزمخشري من تلك الاقوال على معنى أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام [illegible] (فان قلت) أي فائدة في قوله نأتي الارض (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها انتهى وفي ذلك تبشير للمؤمنين بفتح الله عليهم وأكثر المفسرين على أنها نزلت في كفار مكة وفي قوله أفهم الغالبون دليل على ذلك [illegible] الغالبون فهو استفهام فيه تقريع وتوبيخ حيث [illegible] يجري عليهم ثم أمره تعالى أن يقول انما أنذركم بالوحي أي أعلمكم [illegible] تخافون منه بالوحي من الله لا من تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق [illegible] العيان من نقصان الارض من أطرافها ثم أخبر أنهم مع انذارهم معرضون عما أنذروا به فلا [illegible] لا يجدي فيهم اذ هم صم عن سماعه ولما كان الوحي من المسموعات كان ذكر الصمم مناسبا لعدم [illegible] الانذار [illegible] [illegible]

[illegible]

يسمع بضم الياء وكسر الميم الصم نصبا الدعاء رفعا يسمع أسند الفعل الى الدعاء اتساعا والمفعول الثاني محذوف كأنه قيل ولا يسمع النداء الصم شيأ ثم أخبر تعالى ان هؤلاء الذين صموا عن سماع ما أنذروا به اذا نالهم شئ مما أنذروا به ولو كان يسيرا نادوا بالهلاك وأقروا بأنهم كانوا ظالمين نبهوا على العلة التي أوجبت لهم العذاب وهو ظلم الكفر وذلوا وأذعنوا * قال ابن عباس نفحة طرف وعنه هو الجوع الذي نزل بمكة * وقال ابن جريج نصيب من قولهم نفح له من العطاء نفحة اذا أعطاه نصيبا وفي قوله ولئن مستهم نفحة ثلاث مبالغات لفظ المس وما في مدلول النفح من القلة إذ هو الريح اليسير أو ما يرضخ من العطية و بناء المرة منه ولم يأت نفح فالمعنى انه بأدنى اصابة من أقل العذاب أذعنوا وخضعوا وأقروا بأن سبب ذلك ظلمهم السابق ولما ذكر حالهم في الدنيا اذا أصيبوا بشئ استطرد لما يكون في الآخرة التي هي مقر الثواب والعقاب فأخبر تعالى عن عدله وأسند ذلك الى نفسه بنون العظمة فقال ونضع الموازين وتقدم الكلام في الموازين في أول الاعراف واختلاف الناس في ذلك هل ثم ميزان حقيقة وهو قول الجمهور أو ذلك على سبيل التمثيل عن المبالغة في العدل التام وهو قول الضحاك وقتادة قالا ليس ثم ميزان ولكنه العدل والقسط مصدر وصفت به الموازين مبالغة كأنها جعلت في أنفسها القسط أو على حذف مضاف أي ذوات القسط و يجوز أن يكون مفعولا لأجله أي لاجل القسط * وقرئ القصط بالصاد * واللام في ليوم القيامة قال الزمخشري مثلها في قولك جئت لخمس ليال خلون من الشهر * ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

انتهى وذهب الكوفيون الى أن اللام تكون بمعنى في ووافقهم ابن قتيبة من المتقدمين وابن مالك من أصحابنا المتأخرين وجعل من ذلك قوله القسط ليوم القيامة أي في يوم وكذلك لا يجليها لوقتها الا هو أي في وقتها وأنشد شاهدا على ذلك لمسكين الدارمي

أولئك قومي قد مضوا لسبيلهم * كما قد مضى من قبل عاد وتبع

﴿ وقول الآخر ﴾

وكل أب وابن وان عمرا معا * مقيمين مفقود لوقت وفاقد

* وقيل اللام هنا للتعليل على حذف مضاف أي لحساب يوم القيامة وشيأ مفعول ثان أو مصدر * وقرأ الجمهور مثقال بالنصب خبر كان أي وان كان الشئ أو وان كان العمل وكذا في لقمان * وقرأ زيد بن علي وأبو جعفر وشيبة ونافع مثقال بالرفع على الفاعلية وكان تامة * وقرأ الجمهور أتينا من الاتيان أي جئنا بها وكذا قرأ أبي أعني جئنا وكأنه تفسير لأتينا * وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير وابن أبي اسحق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد وابن شريح الاصبهاني آتينا بمده على وزن فاعلنا من المواتاة وهي المجازاة والمكافأة فمعناه جزينا بها ولذلك تعدى بحرف جر ولو كان على أفعلنا من الايتاء بالمد على ما توهمه بعضهم لتعدى مطلقا دون جار قاله أبو الفضل الرازي * وقال الزمخشري مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء انتهى * وقال ابن عطية على معنى واتينا من المواتاة ولو كان آتينا أعطينا لما تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراءة أن بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة انتهى * وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وأنث الضمير في بها وهو عائد على مذكر وهو مثقال لاضافته الى مؤنث وكفى بنا حاسبين فيه توعد وهو اشارة الى ضبط أعمالهم من الحساب وهو

العدّ والاحصاء والمعنى انه لا يغيب عنا شيء من أعمالهم * وقيل هو كناية عن المجازاة والظاهر أن
حاسبين تمييز لقبوله من ويجوز أن يكون حالا ولما ذكر ما أتى به رسوله صلى الله عليه وسلم من
الذكر وحال مشركي العرب معه وقال قل إنما أنذركم بالوحي أتبعه بأنه عادة الله في أنبيائه فذكر
ما آتى موسى وهارون اشارة الى قصتهما مع قومهما مع ما أوتوا من الفرقان والضياء والذكر ثم نبه
على ما آتى رسوله من الذكر المبارك ثم استفهم على سبيل الذكر على انكارهم ثم نبه على ما آتى
رسوله صلى الله عليه وسلم * والفرقان التوراة وهو الضياء والذكر أي كتابا هو فرقان وضياء وذكر
ويدل على هذا المعنى قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك ضياء وذكرا بغير واو في ضياء * وقالت
فرقة الفرقان ما رزقه الله من نصره وظهور حجته وغير ذلك مما فرق بين أمره وأمر فرعون
والضياء التوراة والذكر التذكرة والموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم أو
الشرف والعطف بالواو يؤذن بالتغاير * وعن ابن عباس الفرقان الفتح لقوله يوم الفرقان * وعن
الضحاك فلق البحر * وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات والذين صفة تابعة أو مقطوعة برفع
أو نصب أو بدل ولما ذكر التقوى ذكر ما أنتجته وهو خشية الله والاشفاق من عذاب يوم القيامة
والساعة القيامة وبالغيب * قال الجمهور يخافونه ولم يروه * وقال مقاتل يخافون عذابه ولم يروه
* وقال الزجاج يخافونه من حيث لا يراهم أحد ورجحه ابن عطية * وقال أبو سليمان الدمشقي
يخافونه اذا غابوا عن أعين الناس والاشفاق شدة الخوف ويحتمل أن يكون قوله وهم من الساعة
مشفقون استئناف اخبار عنهم وأن يكون معطوفا على صلة الذين وتكون الصلة الأولى مشعرة
بالتجدد دائما كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية من مبتدأ وخبر عنه بالاسم المشعر بثبوت
الوصف كأنها حالتهم فيما يتعلق بالآخرة ولما ذكر ما آتى موسى وهارون عليهما السلام أشار الى
ما آتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال وهذا أي القرآن ذكر مبارك أي كثير منافعه غزير خيره وجاء
هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جريا على الأشهر وتقدم الكلام على قوله في الأنعام وهذا كتاب أنزلناه
مبارك وبينا هنالك حكمة تقديم الجملة على الاسم * أفأنتم له منكرون استفهام انكار وتوبيخ وهو
خطاب للمشركين والضمير في له عائد على ذكر وهو القرآن وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه
وسلم اذ أنكر ذلك المشركون كما أنكر أسلاف اليهود ما أنزل الله على موسى عليه السلام * ولقد
آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت
من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين
وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا
من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على
أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على
رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم
ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا إلى الأرض
التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون

بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه
حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه
في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم
ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان
إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا
آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي
باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا
لهم حافظين وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس
وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا
فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية
للعالمين إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون
فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون وحرام على قرية
أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون
واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول
خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها
عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى
إلي أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم
بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى
حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ التمثال الصورة المصنوعة مشبهة
بخلق من مخلوقات الله تعالى مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به * قال الشاعر

ويا رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كأنها خط تمثال

* الجذ القطع * قال الشاعر

بنو المهلب جذ الله دابرهم * أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

* نكس قلب الشيء بحيث يصير أعلاه أسفل ونكس رأسه بالتشديد والتخفيف طأطأه حتى صار
أعلاه أسفل * البرد ضد الحر يقال برد الماء حرارة الجوف يبردها * قال الشاعر

﴿ولقد آتينا ابراهيم﴾ الآية لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اتبع ذلك بذكر أنبياء وما جرى لهم كل ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه وقرئ ﴿رشده﴾ ورشده والرشد الظاهر أنها النبوة والمضاف اليه من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بني قبل أي من قبل موسى وهرون والضمير في به الظاهر أنه عائد على ابراهيم وعلمه تعالى به أنه علم منه أحوالا عجيبة وأسرارا بديعة فأهله لخلته كقوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وهذا من أعظم المدح وأبلغه اذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد وأنه عالم بما آتاه به صلى الله عليه وسلم ثم استطرد من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعاء الى توحيد الله تعالى ورفض ما عبد من دونه واذ معمولة لآتينا وبدأ أولا بذكر أبيه لانه الاهم عنده في النصيحة وانقاذه من الضلالة ثم عطف عليه قومه كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وفي قوله ﴿ما هذه التماثيل﴾ تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله أنتم استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم والتمثال الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله ومنه مثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به * وقال امرؤ القيس

وما رب يوم قد لهوت وليلة * بآنسة كأنها خط تمثال

والعكوف تعدى بعلى كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم فقيل لها بمعنى عليها كما قيل في قوله وان أسأتم فلها

والظاهر أن اللام في لها لام التعليل أي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة أي على عبادتها وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فعدى باللام ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت وأنهم رأوا آباءهم فقلدوهم من غير برهان [illegible] ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ أي حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين والمقلدين وجعل الضلال مستقرا لهم وأكد بالتوكيد المصدر [illegible] وهو معنى [illegible] كأنه [illegible] فيها جملة محذوفة تقديرها ليست هذه التماثيل [illegible] ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن [illegible] على السموات والأرض وحكى ابن عطية [illegible] فطرهن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أصنامكم [illegible] [illegible] والكيد الاحتيال في وصول الضرر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وفي حينية [illegible]

وعطل قلوصي في الركاب فانها * ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

* النفش رعي الماشية بالليل بغير راع والهمل بالنهار بلا راع * الغوص الدخول تحت الماء لاستخراج ما فيه * قال الشاعر

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

* اللبوس [illegible] ويجمع على لبس [illegible] [illegible] على [illegible] مقابل الحرو على الدرع * قال الشاعر

وأنت اذا استدبرته سد فرجه * بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

* الحدب المسنم من الأرض كالجبل والكدية والقبر ونحوه [illegible] [illegible] الاسراع * قال الشاعر [illegible] [illegible] [illegible]

* الحصب [illegible] [illegible] [illegible] وقيل [illegible] ما توقد به النار * السجل الصحيفة ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون﴾ لما تقدم الكلام في دلائل التوحيد

الاصنام أو على عباده والكبر هنا عظم الجثة أو كبيرا عندهم في المنزلة لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين مضيئتين بالليل والنهار والضمير في اليه عائد على ابراهيم أي فعل ذلك ترجيا منه بعقب ذلك رجعة اليه والى شرعه

(الدر)

(ش) وأنتم من التأكيد الذى لايصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة (ح) ليس هذا حكما مجمعا عليه ولا يصح الكلام مع الاخلال لان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل فتنظيره ذلك باسكن أنت وزوجك الجنة لمذهب في اسكن أنت وزوجك الجنة لانه يزعم أن وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل قوله وزوجك مرتفع على اضمار فلتسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا مخالف لمذهب سيبويه رحمه الله

والنبوة والمعاد أتبع ذلك بثلاثة عشر نبيا غير مراعى في ذكرهم الترتيب الزماني وذكر بعض ما نال كثيرا منهم من الابتلاء كل ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وليتأسى بهم فيما جرى عليه من قومه * وقرأ الجمهور رشده بضم الراء وسكون الشين * وقرأ عيسى الثقفي رشده بفتح الراء والشين وأضاف الرشد الى ابراهيم بمعنى أنه رشد مثله وهو رشد الأنبياء وله شأن أي شأن والرشد النبوة أو الاهتداء الى وجوه الصلاح في الدين والدنيا أو هما داخلان تحت الرشد أو الصحف والحكمة أو التوفيق للخير صغيرا أقوال خمسة والمضاف اليه من قبل محذوف وهو معرفة ولذلك بنى قبل أي من قبل موسى وهارون قاله الضحاك كقوله في الانعام ونوحا هدينا من قبل أي من قبل ابراهيم واسحاق ويعقوب وأبعد من ذهب الى أن التقدير من قبل بلوغه أو من قبل نبوته يعني حين كان في صلب آدم وأخذ ميثاق الانبياء أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانها محذوفات لا يدل على حذفها دليل بخلاف من قبل موسى وهارون لتقدم ذكرهما وقربه والضمير في به الظاهر انه عائد على ابراهيم * وقيل على الرشد وعلمه تعالى أنه علم منه أحوالا عجيبة وأسرارا بديعة فأهله لخلته كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وهذا من أعظم المدح وأبلغه اذ أخبر تعالى أنه آتاه الرشد وأنه عالم بما آتاه به عليه السلام ثم استطرد من ذلك الى تفسير الرشد وهو الدعاء الى توحيد الله ورفض ما عبد من دونه * واذ معمولة لآتينا أو رشده أو عالمين أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت وبدأ أولا بذكر أبيه لانه الاهم عنده في النصيحة وانقاده من الضلال ثم عطف عليه قومه كقوله وأنذر عشيرتك الاقربين وفي قوله ماهذه التماثيل تحقير لها وتصغير لشأنها وتجاهل بها مع علمه بها وبتعظيمهم لها وفي خطابه لهم بقوله أنتم استهانة بهم وتوقيف على سوء صنيعهم وعكف يتعدى بعلى كقوله يعكفون على أصنام لهم فقيل لها هنا بمعنى عليها كما قيل في قوله وان أسأتم فلها والظاهر ان اللام في لها لام التعليل أي لتعظيمها وصلة عاكفون محذوفة أي على عبادتها * وقيل ضمن عاكفون معنى عابدين فعداه باللام * وقال الزمخشري لم ينو للعاكفين محذوفا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقوله فاعلون العكوف لها أو واقفون لها انتهى ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت وأنه فعل آبائهم اقتدوا به من غير ذكر برهان وما أقبح هذا التقليد الذي أدى بهم الى عبادة خشب وحجر ومعدن ولجاجهم في ذلك وبصرة تقليدهم وكان سؤاله اياهم عن عبادة التماثيل وغايته أن يذكروا شبهة في ذلك فيبطلها فاذ أجابوه بما لاشبهة لهم فيه وبدا ضلالهم قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي في حيرة واضحة لا التباس فيها وحكم بالضلال على المقلدين والمقلدين وجعل الضلال مستقرا لهم وأنتم توكيد للضمير الذي هو اسم كان * قال الزمخشري وأنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة انتهى وليس هذا حكما مجمعا عليه فلا يصح الكلام مع الاخلال به لان الكوفيين يجيزون العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصل وتنظيره ذلك باسكن أنت وزوجك الجنة مخالف لمذهبه في اسكن أنت وزوجك لانه يزعم ان وزوجك ليس معطوفا على الضمير المستكن في اسكن بل قوله وزوجك مرتفع على اضمار وليسكن فهو عنده من عطف الجمل وقوله هذا مخالف لمذهب سيبويه ولما جرى هذا السؤال وهذا الجواب تعجبوا من تضليله اياهم اذ كان قد نشأ بينهم وجوزوا ان ما قاله هو على سبيل المزاح لا الجد فاستفهموه أهذا جد منه أم لعب والضمير في قالوا عائد على أبيه وقومه وبالحق متعلق بقولهم أجئتنا ولم يريدوا حقيقة المجيء لانه لم

(الدر) (ع) فطرهن عبارة عنها كأنها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل (ح) وقال غيره (ع) أيضا فطرهن أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الاحوال التي تدل على انها من قبيل من يعقل فان الله تعالى أخبر بقوله قالتا أتينا طائعين وقوله عليه السلام (٣٢١) أطت السماء وحق لها ان تئط انتهى وكأن (ع) وهذا القائل تخيلا أن هن من الضمائر التي تخص من يعقل من المؤنثات وليس كذلك بل هو مشترك بين من يعقل ومن لا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم والضمير عائد على الاربعة الحرم عرفه (ش) فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدل منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا مقنوطا منه لتعذره [illegible] وصعوبته ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه [illegible] على نصرة دينه ولكن [illegible] (ح) [illegible] أوسع حروف القسم [illegible]

يكن عنهم غائبا لجاءهم وهو نظير قال أولو جئتك بشيء مبين * والحق هنا ضد الباطل وهو الجد ولذلك قابلوه باللعب وجاءت الجملة اسمية لكونها أثبت كأنهم حكموا عليه بأنه لاعب هازل في مقالته لهم ولكونها فاصلة ثم أضرب عن قولهم وأخبر عن الجد وأن المالك لهم والمستحق العبادة هو ربهم ورب هذا العالم العلوي والعالم السفلي المندرج فيه أنتم ومعبوداتكم نبه على الموجب للعبادة وهو منشئ هذا العالم ومخترعه من العدم الصرف * والظاهر ان الضمير في فطرهن عائد على السموات والأرض ولما لم تكن السموات والأرض تبلغ في العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير القلة * وقيل في فطرهن عائد على التماثيل * قال الزمخشري وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم انتهى * وقال ابن عطية فطرهن عبارة عنها كأنها تعقل وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل * وقال غيره فطرهن أعاد ضمير من يعقل لما صدر منهن من الأحوال التي تدل على أنها من قبيل من يعقل فان الله أخبر بقوله قالتا أتينا طائعين وقوله صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط انتهى وكأن ابن عطية وهذا القائل تخيلا أن هن من الضمائر التي تخص من يعقل من المؤنثات وليس كذلك بل هو لفظ مشترك بين من يعقل وما لا يعقل من المؤنث المجموع ومن ذلك قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم والضمير عائد على الأربعة الحرم والاشارة بقوله ذلكم الى ربوبيته تعالى ووصفه بالاختراع لهذا العالم ومن للتبعيض أي من الذين يشهدون بأن ربوبيته كثيرون وأنا بعض منهم أي ما قلته أمر مفروغ منه عليه شهود كثيرون فهو قال منه صحيح بالشهود * وعلى ذلكم متعلق بمحذوف تقديره وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين أو على جهة البيان أي أعني على ذلكم أو باسم الفاعل وان كان في صلة أل لاتساعهم في الظرف والمجرور أقوال تقدمت في إني لكما لمن الناصحين وبابه [illegible] أولا بالقول المنبه على دلالة العقل [illegible] الفعل الدال على الفعل [illegible] الى الدلالة [illegible] بالكسر والتقطيع وهو لا يدفع ولا يضر ولا يسمع ولا يشعر [illegible] وتالله لأكيدن أصنامكم * وقرأ الجمهور وتالله بالتاء [illegible] بالباء واحدة من أسفل * قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدل منها [illegible] زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه [illegible] صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه [illegible] على نصرة دينه ولكن [illegible] أصلا لا [illegible] أوسع حروف القسم [illegible]

 [illegible]

[illegible]

وأما ان التاء بدل من واو القسم الذي أبدل من باء القسم فشيء قاله كثير من النحاة ولا يقوم على ذلك دليل وقد رد هذا القول السهيلي والذي يقتضيه النظر انه ليس شيء منها أصلا لآخر وأما قوله ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة ان التاء يجوز أن يكون معها تعجب و يجوز أن لا يكون واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم والكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد والظاهر ان هذه الجملة خاطب بها أباه وقومه وانها مندرجة تحت القول من قوله قال بل ربكم * وقيل قال ذلك سرا من قومه وسمعه رجل واحد * وقيل سمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس يوم خرجوا الى العيد وكانت الاصنام سبعين * وقيل اثنين وسبعين * وقرأ الجمهور تولوا مدبرين مضارع ولى * وقرأ عيسى بن عمر تولوا بحذف احدى التاءين وهي الثانية على مذهب البصريين والاولى على مذهب هشام وهو مضارع تولى وهو موافق لقوله فتولوا عنه مدبرين ومتعلق تولوا محذوف أي الى عيدكم * و روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا لن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا فلما كان في الطريق ثنى عزمه عن المسير معهم فقعد وقال اني سقيم * وقال الكلبي كان ابراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا إلا مريضا فأتاهم ابراهيم بالذي هم فيه فنظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لأصحابه اني أشتكي غدا وأصبح معصوب الرأس فخرجوا ولم يتخلف أحد غيره وقال وتالله لأكيدن الى آخره وسمعه رجل فحفظه ثم أخبر به فانتشر انتهى وفي الكلام حذف تقديره فتولوا الى عيدهم فأتى ابراهيم الاصنام فجعلهم جذاذا * قال ابن عباس حطاما * وقال الضحاك أخذ من كل عضوين عضوا * قيل وكانت الأصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان فكسرها بفأس إلا ذلك الصنم وعلق الفأس في عنقه * وقيل علقه في يده * وقرأ الجمهور جذاذا بضم الجيم والكسائي وابن محيصن وابن مقسم وأبو حيوة وحميد والاعمش في رواية بكسرها وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها وهي لغات أجودها الضم كالحطام والرفات قاله أبو حاتم * وقال اليزيدي جذاذا بالضم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة * وقيل بالكسر جمع جذيذ ككريم وكرام * وقيل الفتح مصدر كالحصاد بمعنى المحصود فالمعنى مجذوذين * وقال قطرب في لغاته الثلاث هو مصدر لا يثنى ولا يجمع * وقرأ يحيى بن وثاب جذذا بضمتين جمع جذيذ كجديد وجدد * وقرئ جذذا بضم الجيم وفتح الذال مخففا من فعل كسرر في سرر جمع سرير وهي لغة لكلب أو جمع جذة كقبة وقبب وأتى بضمير من يعقل في قوله فجعلهم اذ كانت تعبد وقوله إلا كبيرا لهم استثناء من الضمير في فجعلهم أي فلم يكسره والضمير في لهم يحتمل أن يعود على الاصنام وأن يعود على عباده والكبير هنا عظم الجثة أو كبيرا في المنزلة عندهم لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين تضيئان بالليل والضمير في اليه عائد على ابراهيم أي فعل ذلك ترجيا منه أن يعقب ذلك رجعهم اليه والى شرعه * قال الزمخشري وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم * وقال ابن عطية يحتمل أن يعود الى الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهى وهو قول الكلبي * قال الزمخشري ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء

﴿قالوا من فعل هذا﴾ الآية في الكلام محذوف تقديره فلما رجعوا من عيدهم الى آلهتهم ورأوا ما فعل بها استفهموا على سبيل البحث والانكار فقالوا من فعل هذا التكسير والتحطيم انه لظالم لاجترائه على الآلهة المستحقة للتعظيم والتوقير ﴿قالوا﴾ أي سمعوا قوله وتالله لأكيدن أصنامكم يذكرهم بسوء ﴿يقال له ابراهيم﴾ يحتمل أن يكون جوابا لسؤال مقدر لما قالوا سمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على أنه مقدر بجملة محكية بيقال اما على النداء أي يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدا محذوف أي هو ابراهيم أو على أنه مفرد مفعول ما لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا لمدلوله أي يطلق عليه هذا اللفظ ﴿على أعين الناس﴾ أي أحضروه بمرأى منهم فعلى أعين الناس في موضع الحال وعلى معناها الاستعلاء المجازي كأنهم لتحديقهم اليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم ﴿لعلهم يشهدون﴾ جوابه اذا سألوه عن تلك الاصنام ﴿قالوا أأنت فعلت هذا﴾ أي الكسر والهشم ﴿بآلهتنا﴾ وارتفاع أنت المختار أنه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير ويجوز أن يكون مبتدأ واذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل كان الفعل صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل كان الفاعل مشكوكا فيه فاستفهم عنه أوقع ذلك أو لم يقع والظاهر أن بل للاضراب عن جملة محذوفة أي قال لم أفعله انما الفاعل حقيقة هو الله تعالى ﴿بل فعله كبيرهم﴾ (٣٢٣) وأسند الفعل الى كبيرهم على جهة المجاز

لما كان سببا في كسر هذه الاصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الاصنام كان ذلك حاملا على تحطيمها وكسرها فأسند الفعل الى الكبير اذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيم ما دونه ﴿فسألوهم﴾ لا يريد حقيقة السؤال بل ذلك على سبيل التعجيز والاستهزاء بهم كأنه قال ﴿إن كانوا ينطقون﴾ فسألوهم وهم لا ينطقون فيصح السؤال ﴿فرجعوا

على طمعهم لما حرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أوقاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قاس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع اليه في حل المشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا (قلت) اذا رجعوا [illegible]

[illegible]

لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك انتهى وأما قوله هما صفتان فلا يتعين ذلك لما أذكره اما سمع فاما أن يدخل على مسموع أو غيره ان دخلت على مسموع فلا خلاف أنها تتعدى الى واحد نحو سمعت كلام زيد ومقالة خالد وان دخلت على غير مسموع فاختلف فيها * فقيل انها تتعدى الى اثنين وهو مذهب الفارسي ويكون الثاني مما يدل على صوت فلا يقال سمعت زيدا يركب ومذهب غيره أن سمع يتعدى الى واحد والفعل بعده ان كان معرفة في موضع الحال منها أو نكرة في موضع الصفة وكلا المذهبين يستدل لهما في علم النحو فعلى هذا المذهب الآخر يتمشى قول الزمخشري انه صفة لفتى وأما على مذهب أبي علي فلا يكون الا في موضع المفعول الثاني لسمع وأما يقال له ابراهيم فيحتمل أن يكون جوابا لسؤال مقدر لما قالوا اسمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على انه مقدر بجملة تحكى بيقال اما على النداء أي يقال له حين يدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدا محذوف أي هو ابراهيم أو على انه مفرد مفعول لما لم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا للمدلوله أي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الآخر هو اختيار الزمخشري وابن عطية وهو مختلف في اجازته فذهب الزجاجي والزمخشري وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله

* اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * ولا مفردا معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين من منع ذلك وهو الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الأعلم الى ان ابراهيم ارتفع بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه إذ القول لا يؤثر الا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقي مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان اذا عدّوا ولم يدخلوا عاملا لا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض والكلام على مذهب الأعلم وابطاله مذكور في النحو * قالوا فأتوا أي أحضروه على أعين الناس أي معاينا بمرأى منهم فعلى أعين الناس في موضع الحال وعلى معناها الاستعلاء المجازي كأنه لتحدبقهم اليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه أو بما صدر منه من تكسير أصنامهم أو يشهدون مايحل به من عذابنا أو علينا له المؤدي الى عذابه * وقيل الناس هنا خواص الملك وأولياؤه وفي الكلام حذف تقديره فأتوا به على تلك الحالة من نظر الناس اليه قالوا أأنت فعلت هذا أي الكسر والتهشيم بآلهتنا وارتفاع أنت المختار انه بفعل محذوف يفسره فعلت ولما حذف انفصل الضمير ويجوز أن يكون مبتدأ واذا تقدم الاسم في نحو هذا التركيب على الفعل كان الفعل صادرا واستفهم عن فاعله وهو المشكوك فيه واذا تقدم الفعل كان الفعل مشكوكا فيه فاستفهم عنه أوقع أم لم يقع والظاهر أن بل للاضراب عن جملة محذوفة أي قال لم أفعله انما الفاعل حقيقة هو الله بل فعله كبيرهم وأسند الفعل الى كبيرهم على جهة المجاز لما كان سببا في كسر هذه الأصنام هو تعظيمهم وعبادتهم له ولما دونه من الاصنام كان ذلك حاملا على

بجوابا لسؤال مقدر لما قالوا اسمعنا فتى يذكرهم وأتوا به منكرا قيل من يقال له فقيل يقال له ابراهيم وارتفع ابراهيم على انه مقدر بجملة تحكى بيقال اما على النداء أي يقال له حتى تدعى يا ابراهيم واما على خبر مبتدأ محذوف أي هو ابراهيم واما على انه مفرد مفعول مالم يسم فاعله ويكون من الاسناد للفظ لا لمدلوله أي يطلق عليه هذا اللفظ وهذا الاخير هو اختيار (ش) و (ع) وهو مختلف في اجازته فذهب الزجاج و (ش) وابن خروف وابن مالك الى تجويز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعا من جملة نحو قوله اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * ولا مفردا معناه معنى الجملة نحو قلت خطبة ولا مصدرا نحو قلت قولا ولا صفة له نحو قلت حقا بل لمجرد اللفظ نحو قلت زيدا ومن النحويين مع منع ذلك وهو الصحيح اذ لا يحفظ من لسانهم قال فلان زيدا ولا قال ضرب ولا قال ليت وانما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل وذهب الاعلم الى ان ابراهيم رتفع بالاهمال لانه لم يتقدمه عامل يؤثر في لفظه اذ القول لا يؤثر الا في المفرد المتضمن لمعنى الجملة فبقي مهملا والمهمل اذا ضم الى غيره ارتفع نحو قولهم واحد واثنان اذا عدوا ولم يدخلوا عاملا في اللفظ ولا في التقدير وعطفوا بعض أسماء العدد على بعض والكلام على مذهب الاعلم وابطاله مذكور في النحو

تعظيمها وكسرها فأسند الفعل الى الكبير اذ كان تعظيمهم له أكثر من تعظيمهم مادونه وقال قريبا من هذا الزمخشري ويحتمل أن يكون فعل الكبير متقيدا بالشرط فيكون قد علق على ممتنع أي فلم يكن وقع أي ان كان هؤلاء الأصنام ينطقون ويخبرون من الذي صنع بهم ذلك فالكبير هو الذي صنع ذلك وأشار الى نحو من هذا ابن قتيبة * وقال الزمخشري هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الأذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما قال لك صاحبك وقد كتبت اليه كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط أو لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك ولا اثباته للأمي أو المخرمش لان اثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء واثبات للقادر ويجوز أن يكون حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا وأشد منه * ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن يعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها انتهى ومن جعل الفاعل بفعله ضميرا يعود على قوله فتى أو على ابراهيم أو على آخر بغير [illegible] لمصلحة دينية و[illegible] بما روي في الحديث أو وقف على بل فعله أي فعله من فعله وجعل كبيرهم هذا مبتدأ وخبرا وهو للكسائي أو أصله فعله بمعنى لعله وخفف اللام وهو لفراء [illegible] [illegible] فعله بمعنى لعله مشدد اللام فهم [illegible] عن طريق الفصاحة فرجعوا الى أنفسهم أي الى عقولهم حين ظهر لهم ما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من ان الأصنام التي أهلوها للعبادة ينبغي أن تسأل وتستفسر قبل ويحتمل أن يكون فرجعوا أي رجع بعضهم الى بعض فقالوا انكم أنتم الظالمون في سؤالكم ابراهيم حين سألتموه ولم تسألوها ذكره ابن جرير أو حين عبدتم ما لا ينطق قاله ابن عباس أو حين لم تحفظوا آلهتكم قاله وهب أو في عبادة الاصاغر مع هذا الكبير قاله وهب أيضا أو حين [illegible] ابراهيم والفأس في عنق الكبير قاله مقاتل و ابن اسحاق أو الظالمون حقيقة حيث نسبتم ابراهيم الى الظلم في قولكم انه لمن الظالمين [illegible] الاصنام مستحقة لما فعل بها * ثم نكسوا على رؤسهم أي ارتبكوا في ضلالهم وعلموا أن الاصنام لا تنطق [illegible] حين [illegible] على قيام الحجة عليهم وهي استعارة للذي يرتطم في [illegible] كأنه منكوس على رأسه [illegible] منكوس أي مقلوب لانقلاب [illegible] [illegible] [illegible] فكرهم ونكسهم كناية عن [illegible] [illegible] نكسوا على رؤسهم كناية عن [illegible] رؤسهم ونكسها الى الارض [illegible] [illegible] قول حق [illegible] في موضع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ قالوا حرقوه أي قال بعضهم لبعض وقيل أشار بإحراقه نمرود ولما انبهم على قبيح من تكبيبهم وإعلامهم بإقامة الحجة عليهم لاذوا بالإيذاء له والتعصب لآلهتهم واختاروا أشد العذاب وهو الإحراق بالنار التي هي سبب للإعدام المحض قال ابن عطية روي أن الذي أشار بإحراقه رجل من الأكراد من أعراب فارس أي باديتها فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وروي أنهم اتخذوا منجنيقا قيل بتعليم إبليس إذ كان لم يصنع فشدوا إبراهيم رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي به فوقع في النار وروي أن جبريل عليه السلام جاءه وهو في الهواء فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعن ابن عباس إنما نجا إبراهيم عليه السلام بقوله حسبي الله ونعم الوكيل ﴿قلنا يا نار كوني﴾ الآية لما كانت النار تنفعل لما أراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر ﴿كوني بردا وسلاما﴾ المعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام ﴿وأرادوا به كيدا﴾ قيل هو إلقاؤه في النار ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ أي المبالغين في الخسران وهو إبطال ما راموه به ﴿والضمير في ونجيناه عائد على إبراهيم وضمن معنى أخرجناه بنجاتنا إلى الأرض ولذلك تعدى نجيناه بإلى ويحتمل أن يكون إلى متعلقا بمحذوف تقديره منتهيا إلى الأرض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في ونجيناه على هذا والأرض التي خرجا منها هي كوثى من أرض العراق والتي صار إليها هي أرض الشام ﴿وبركتها ما فيها من الخصب والأنهار والأشجار وبعث أكثر الأنبياء منها وقيل أرض مصر وبركتها نيلها وكثرة زرعها وعمارة مواضعها وروي أن إبراهيم عليه السلام خرج مهاجرا إلى ربه ومعه لوط وكان ابن أخيه فآمنت به سارة (٣٢٦) وهي ابنة عمه هاران الأكبر وأخرجها معه فارا بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام أخذها منه فنزل حران ومكث بها زمانا ثم قدم مصر ثم خرج منها إلى الشام ونزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع أو أقرب فبعثه الله نبيا ... والنافلة العطية وكلا يحتمل ... ذكر ... إبراهيم

لكان مبنيا للفاعل أي نكسوا أنفسهم ولما ظهرت الحجة عليهم أخذ يقرعهم ويوبخهم بعبادة تماثيل ما لا يسمع ولا يبصر ثم أبدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم وتقدم الخلاف في قراءة أف واللغات فيها واللام في لكم لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ثم نبههم على ما به يدرك حقائق الأشياء وهو العقل فقال أفلا تعقلون أي قبح ما أنتم عليه وهو استفهام توبيخ وإنكار ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ونوحا إذ نادى

ولوط وإسحق ويعقوب يهدون بأمرنا يرشدون الناس إلى الدين وأئمة قدوة لغيرهم وقرئ أئمة بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية والمد لظاهرة محضة ﴿وأوحينا إليهم﴾ أي خصصناهم بشرف النبوة لأن الإيحاء هو التنبئة وفعل الخيرات بدأ أولا في الإيحاء بعام وهو فعل الخيرات ثم بخاص وهو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحذف تاء الصلاة بغير تاء أنيب والقياس إقامة بالتاء كما تقول أطال إطالة قال ابن عطية والإقام مصدر وفي هذا نظر نهي وأي نظر في هذا وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر أفعل إذا اعتلت عينه وحسن حذف التاء هنا مقابلته لقوله وإيتاء بغير تاء التأنيث وانتصب ﴿ولوطا﴾ على الاشتغال تقديره وآتينا لوطا آتيناه الحكم النبوة ﴿ونجيناه من القرية﴾ أي من عذاب أهل القرية والقرية سدوم وكانت قراهم سبعا عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة ووصف القرية بعمل الخبائث لما كان أهلها وهو لأهلها وانتصب الخبائث على معنى يعمل الأعمال أو الفعلات الخبيثة وهي ما ذكر تعالى في غير هذه السورة وأضاف إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ أي في أهل رحمتنا أو في جنتنا ... رحمة ... ولما ذكر تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وهو أبو العرب ونجيته من أعدائه ذكر قصة أبي العالم الثاني وهو نوح ... آدم لأنه ليس أحد إلا من نسله من حام وسام ويافث وانتصب ونوحا على إضمار اذكر أي واذكر نوحا أي قصته إذ نادى ومعنى نادى دعا مجملا بقوله أني مغلوب فانتصر ومفصلا بقوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فاستجبنا له ... الكرب ... الغرق

﴿وداود وسليمان﴾ عطفا على ونوحا وكان داود ملكا نبيا يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه [illegible] قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب ويخرجون من آخر فتخاصم إليه رجلان في زرع وقيل كرم والحرث يقال فيهما وهو في الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فأفسدته عليه فرأى داود دفعها لصاحب الحرث فعلى أنه كرم رأى أن الغنم تقاوم ما أفسدت من ثمن الغلة وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال يا نبي الله اني أرى ما هو أرفق بالجميع أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الى حاله صرف كل مال صاحبه إليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك والنفش رعي الماشية بالليل بغير راع والهمل رعيها بالنهار بغير راع ﴿وكنا لحكمهم﴾ المعنى وكنا للحكم الذي صدر في هذه القضية ﴿شاهدين﴾ فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة والضمير في ﴿ففهمناها﴾ عائد على الحكومة أو الفتوى ﴿وسخرنا مع داود الجبال﴾ ذكر ما امتاز به داود عن سليمان والظاهر أن يسبحن جملة حالية من الجبال أي مسبحات والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله تعالى فيها الكلام كتسبيح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وانتصب والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح وقيل هو مفعول معه أي يسبحن مع الطير ﴿وكنا فاعلين﴾ أي فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا قال الزمخشري فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق انتهى قوله حيوان ناطق إن عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حد الإنسان إنه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير إنسانا وإن عنى أنه يتكلم كما يتكلم الإنسان فليس بصحيح وإن عنى به أنه يصوت أي له صوت ووصف الصوت بالنطق مجاز لا نها في الحقيقة لا نطق لها ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ [illegible] كركوب بمعنى المركوب وهو يدرعها واللبوس ما يلبس وقال الشاعر [illegible]

[illegible] تعالى عليه بآياته حكما وعلما [illegible] صنعة لبوس [illegible] ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ أي [illegible]

وقرئ [illegible]

[illegible] الأمر أي [illegible]

[illegible] داود [illegible]

[illegible] السلام [illegible]

تجري بأمره وذلك [illegible]

[illegible] في طاعته وتحت أمره [illegible]

[illegible]

[illegible] وقت [illegible]

[illegible]

[illegible] لا يعقل ولا [illegible]

[illegible]

(٣٢٧)

من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من

يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ﴾ ولما نبههم على قبيح مرتكبهم وغلبهم باقامة الحجة عليهم لاذوا بالايذاء له والغضب لآلهتهم واختار واأشد العذاب وهو الاحراق بالنار التى هى سبب للاعدام المحض والاتلاف بالكلية وكذا كل من أقيمت عليه الحجة وكانت له قدرة يعدل الى المناصبة والاذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دمغهم بالحجة وعجزوا عن معارضة ما آتاهم به عدلوا الى الانتقام وايثار الاغتيال فعصمه الله والظاهر ان قول قالوا حرقوه أى قال بعضهم لبعض * وقيل أشار باحراقه نمروذ * وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من اعراب العجم * قال الزمخشرى يريد الاكراد * وقال ابن عطية روى انه رجل من الاكراد من اعراب فارس أى باديتها خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وذكروا لهذا القائل اسما مختلفا فيه لا يوقف منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطا بالشكل والنقط وهكذا تقع أسماء كثيرة أعجمية فى التفاسير لا يمكن الوقوف منها على حقيقة لفظ لعدم الشكل والنقط فينبغى اطراح نقلها وروى أنهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى واختلفوا فى عدة حبسه وفى عرض الحظيرة وطولها ومدة جمع الحطب ومدة الايقاد ومدة سنه إذ ذاك ومدة اقامته فى النار وكيفية ما صار به النار اختلافا متعارضا تركنا ذكره واتخذوا منجنيقا * قيل بتعليم ابليس إذ كان لم يصنع قبل فشدا براهيم رباطا ووضع فى كفه المنجنيق ورمى به فوقع فى النار وروى ان جبريل عليه السلام جاءه وهو فى الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذكر المفسرون أشياء صدرت من الورغ والبغل والخطاف والضفدع والعضرفوط الله أعلم بذلك * وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل * قيل وأطل نمروذ من الصرح فاذا ابراهيم فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى مقرب الى آلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وقد أكثر الناس فى حكاية ما جرى لابراهيم والذى صح هو ما ذكره تعالى من أنه ألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما فكانت أعظم آية والظاهر ان القائل قلنا يانار هو الله تعالى * وقيل جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى * وعن ابن عباس لو لم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من بردها ولو لم يقل على ابراهيم لما أحرقت نار بعدها ولا اتقدت انتهى ومعنى وسلاما سلامة وأبعد من ذهب الى أنها تحية من الله ولو كانت تحية لكان الرفع أولى بها من النصب والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام ولما كانت النار تنفعل لما أراده الله منها كما ينفعل من يعقل عبر عن ذلك بالقول لها والنداء والأمر * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاسراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم انتهى وروى انهم قالوا هى نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق وأرادوا به كيدا * قيل هو القاؤه فى النار فجعلناهم الاخسرين أى المبالغين فى الخسران وهو ابطال ما راموه جدلوا ابراهيم بجدلهم وبكتهم وأظهر لهم وأقرعقولهم وتقووا عليه بالأخذ والالقاء فخلصه الله * وقيل سلط عليهم ما هو من أحقر خلقه وأضعفه وهو البعوض يأكل من لحومهم ويشرب من دمائهم وسلط الله على نمرود بعوضه واختلف فى كيفية اذايتها له وفى مدة اقامتها تؤذيه الى أن مات منها والضمير فى ونجيناه عائد على ابراهيم وضمن معنى أخرجناه بنجاتنا الى الارض

رفع على الابتداء والخبر فى الجار والمجرور قبله وجمع الضمير فى يغوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله ومعنى يغوصون أى فى البحار لاستخراج اللآلئ ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص لاستخراجه وهو الجوهر ومعنى له أى لسليمان لان الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره فذكر أن الغوص ليس لأنفسهم انما هو لأجل سليمان وامتثالهم أمره والاشارة بذلك الى الغوص أى دون الغوص من بناء المدائن والقصور وغير ذلك كما قال تعالى يعملون له ما يشاء الآية وقيل الحمام والنورة والطاحون والقوارير والصابون من استخراجهم ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ أى من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد فيما هم فيه مسخرون

ولذلك تعدى نجيناه بإلى ويحتمل أن يكون إلى متعلقاً بمحذوف أي منتهياً إلى الأرض فيكون في موضع الحال ولا تضمين في ونجيناه على هذا والأرض التي خرجا منها هي كوثى من أرض العراق والأرض التي صارا إليها هي أرض الشام وبركتها ما فيها من الخصب والأشجار والأنهار وبعث أكثر الأنبياء منها * وقيل مكة قاله ابن عباس كما قال إن أول بيت الآية * وقيل أرض مصر وبركتها نيلها وزكاة زروعها وعمارة مواضعها * وروي أن إبراهيم خرج مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وكان ابن أخيه فآمنت به سارة وهي ابنة عمه فأخرجها معه فاراً بدينه وفي هذه الخرجة لقي الجبار الذي رام أخذها منه فنزل حران ومكث زماناً بها * وقيل سارة ابنة ملك حران تزوجها إبراهيم وشرط عليه أبوها أن لا يغيرها والصحيح أنها ابنة عمه هاران الأكبر ثم قدم مصر ثم خرج منها إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السبع أو أقرب فبعثه الله نبياً * والنافلة لعطية قاله مجاهد وعطاء أو الزيادة كالمتطوع به إذ كان إسحق ثمرة دعائه رب هب لي من الصالحين وكان يعقوب زيادة من غير دعاء * وقيل النافلة ولد الولد فعلى الأول يكون مصدراً كالعاقبة والعافية وهو من غير لفظ وهب بل من معناه وعلى الآخرين يراد به يعقوب فينتصب على الحال وكلا يشمل من ذكر إبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب * يهدون بأمرنا يرشدون الناس إلى الدين * وأئمة قدوة لغيرهم * وأوحينا إليهم أي خصصناهم بشرف النبوة لأن الإيحاء هو التنبئة * قال الزمخشري فعل الخيرات أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة انتهى وكان الزمخشري لما رأى أن فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليس من الأحكام المختصة بالموحى إليهم بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافاً من حيث المعنى إلى ضمير الموحى فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات وإقامهم الصلاة وإيتاؤهم الزكاة ولا يلزم ذلك إذ الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز أن يكون مضافاً من حيث المعنى إلى ظاهر محذوف يشمل الموحى إليهم وغيرهم أي فعل المكلفين الخيرات ويجوز أن يكون ذلك مضافاً إلى الموحى إليهم أي أن يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وإذا كانوا هم قد أوحي إليهم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله مختلف فيه أجاز ذلك الأخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره الزمخشري مختاراً * وقال ابن عطية والإقام مصدر وفي هذا نظر انتهى وأي نظر في هذا وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر أفعل إذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا أنه قابل وإيتاء وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة * وقال الزجاج حذفت الهاء من إقامة لأن الإضافة عوض عنها انتهى وهذا قول الفراء زعم أن التاء تحذف للإضافة وهو مذهب مرجوح ولما ذكر تعالى ما أنعم به على إبراهيم ذكر ما أنعم به على لوط [illegible] وهو لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم وانتصب ولوطاً على الاشتغال والحكم الذي أوتيه النبوة وقيل حسن الفصل بين الخصوم في القضاء وقيل حفظ صحف إبراهيم [illegible] والقرية سدوم وكانت قراهم سبعاً [illegible] قلب منها ستاً وأبقى منها [illegible] كانت محل لوط وأهله ومن آمن به

(ش) لما رأى أن فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليس من الأحكام المختصة بالموحى إليهم بل هم وغيرهم في ذلك مشتركون بنى الفعل للمفعول حتى لا يكون المصدر مضافاً من حيث المعنى إلى ضمير الموحى إليهم فلا يكون التقدير فعلهم الخيرات وإقامهم الصلاة وإيتاؤهم الزكاة ولا يلزم ذلك إذ الفاعل مع المصدر محذوف ويجوز أن يكون المصدر مضافاً من حيث المعنى إلى ظاهر محذوف يشمل الموحى إليهم وغيرهم أي فعل المكلفين الخيرات ويجوز أن يكون ذلك مضافاً إلى الموحى إليهم أي أن تفعلوا الخيرات وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وإذا كانوا هم قد أوحي إليهم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله مختلف فيه أجاز ذلك الأخفش والصحيح منعه فليس ما اختاره (ع) والإقام مصدر وفي هذا نظر (ح) وأي نظر في هذا وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر أفعل إذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا أنه قابل وإيتاء وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

ونجيناه من أهل القرية أي خلصناه منهم أو من العذاب الذي حل بهم ونسب عمل الخبائث الى القرية مجازا وهو لأهلها وانتصب الخبائث على معنى تعمل الاعمال أو الفعلات الخبيثة وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السورة مضافا الى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه وقوله انهم يدل على أن التقدير من أهل القرية * وأدخلناه في رحمتنا أي في أهل رحمتنا أو في الجنة سماها رحمة اذ كانت أثر الرحمة ولما ذكر تعالى قصة ابراهيم وهو أبو العرب وتنجيته من أعدائه ذكر قصة أبي العالم الانسي كلهم وهو الاب الثاني لآدم لانه ليس أحد الا من نسله من سام وحام ويافث وانتصب نوحا على اضمار اذكر أي واذكر نوحا أي قصته اذ نادى ومعنى نادى دعا مجملا بقوله اني مغلوب فانتصر مفصلا بقوله رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا والكرب أقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الغريق وغرقت في بحر النيل ووصلت الى قرار الارض ولحقني من الغم والكرب ما أدركت أن نفسي صارت أصغر من البعوضة وهو أول أحوال مجيء الموت * ونصرناه من القوم عداه بمن لتضمنه معنى نجيناه بنصرنا من القوم أو عصمناه ومنعناه أي من مكروه القوم لقوله فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا * وقال الزمخشري هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه وهذا معنى في نصر غير المتبادر الى الذهن * وقال أبو عبيدة من بمعنى على أي ونصرناه على القوم * فأغرقناهم أي أهلكناهم بالغرق * وأجمعين تأكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد بأجمعين غير تابع لكلهم في القرآن فكان ذلك حجة على ابن مالك في زعمه أن التأكيد بأجمعين قليل وأن الكثير استعماله تابعا لكلهم * وداود وسليمان عطف على ونوحا * قال الزمخشري واذ بدل منهما انتهى والأجود أن يكون التقدير واذكر داود وسليمان أي قصتهما وحالهما اذ يحكمان وجعل ابن عطية وداود وسليمان معطوفين على قوله ونوحا ونوحا معطوفا على قوله ولوطا فيكون ذلك مشتركا في العامل الذي هو آتينا المقدرة الناصبة للوط المفسرة بآتينا فالتقدير وآتينا نوحا وداود وسليمان أي آتيناهم حكما وعلما ولا يبعد ذلك وتقدير اذكر قاله جماعة وكان داود ملكا نبيا يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب آخر فتخاصم اليه رجل له زرع وقيل كرم والحرث يقال فيهما وهو في الزرع أكثر وأبعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فأفسدت عليه فرأى داود دفعها الى صاحب الحرث فعلى انه كرم رأى أن الغنم تقاوم ما أفسدت من الغلة وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال يانبي الله اني أرى ما هو أرفق بالجميع أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل فاذا عاد الحرث الى حاله صرف كل مال صاحبه اليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يابني وقضى بينهما بذلك والظاهر أن كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له وهو متوجه عنده فحكمهما باجتهاد وهو قول الجمهور واستدل بهذه الآية على جواز الاجتهاد * وقيل حكم كل واحد منهما بوحي من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمان وإن معنى ففهمناها سليمان أي فهمناه القضاء الفاصل الناسخ الذي أراد الله أن يستقر في النازلة * وقرأ عكرمة فأفهمناها عدى بالهمزة كما عدى في قراءة الجمهور بالتضعيف والضمير في ففهمناها للحكومة أو الفتوى والضمير في لحكمهم عائد على الحاكمين

والمحكوم لهما وعليهما وليس المصدر هنا مضافا الا الى فاعل ولا مفعول ولا هو عامل في التقدير فلا ينحل بحرف مصدري والفعل بل هو مثل له ذكاء الحكماء وذهن الاذكياء وكان المعنى وكنا للحكم الذي صدر في هذه القضية شاهدين فالمصدر هنا لا يراد به العلاج بل يراد به وجود الحقيقة * وقرأ ابن عباس لحكمهما بالضمير لداود وسليمان ومعنى شاهدين لا يخفى علينا منه شيء ولا يغيب * قال الزمخشري (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل والنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي يوجب الضمان انتهى والظاهر ان كلا من الحكمين صواب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما * والظاهر أن يسبحن جملة حالية من الجبال أي مسبحات * وقيل استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن * قيل كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه * وقيل كانت تسير معه حيث سار والظاهر وقوع التسبيح منها بالنطق خلق الله فيها الكلام كما سبح الحصى في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك وكان داود وحده يسمعه قاله يحيى بن سلام * وقيل كل واحد * قال قتادة يسبحن يصلين * وقيل يسرن من السباحة * وقال الزمخشري كما خلقه يعني الكلام في الشجرة حين كلم موسى انتهى وهو قول المعتزلة يسمون صفة الكلام حقيقة عن الله تعالى * وقيل اسناد التسبيح اليهن مجاز لما كانت تسير بتسيير الله حملت من رآها على التسبيح وأسند اليها لا كرون على تسبيحهن هو قول سبحان الله * والطير عطفا على الجبال ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح * وقيل هو مفعول معه أي يسبحن مع الطير * وقرئ والطير مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف أي مسخر لدلالة سخرنا عليه أو على الضمير المرفوع في يسبحن على مذهب الكوفيين وهو توجيه قراءة شاذة * وقال الزمخشري (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق انتهى وقوله ناطق ان عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير انسانا وان عنى انه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت أي له صوت ووصف الطير بالنطق مجاز لأنه في الحقيقة لا نطق لها * وقوله وكنا فاعلين أي فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا * وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس الملبوس فعول بمعنى مفعول كالركوب بمعنى المركوب وهو هنا الدروع واللبوس ما يلبس * قال الشاعر

عليها أسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لا يخرقها النبل

* قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين * وقيل اللبوس كل آلة السلاح من سيف ورمح ودرع وبيضة وما يجري مجرى ذلك وداود أول من صنع الدروع التي تسمى الزرد * قيل نزل ملكان من السماء فمرا بداود فقال أحدهما للآخر نعم الرجل الا أنه

(الدر)

(ش) فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق (ح) قوله حيوان ناطق ان عنى به أنه ذو نفس ناطقة كما يقولون في حد الانسان انه حيوان ناطق فيلزم أن يكون الطير انسانا وان عنى انه متكلم كما يتكلم الانسان فليس بصحيح وانما عنى به مصوت أي له صوت ووصف الطير بالنطق مجاز لأنه في الحقيقة لا نطق لها

يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان له الحديد فصنع منه الدروع وامتن تعالى عليه بإيتائه حكماً وعلماً وتسخير الجبال والطير معه وتعليم صنعة اللبوس وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إليه تعالى ثم امتن علينا بها بقوله ليحصنكم من بأسكم أي ليكون وقاية لكم في حربكم وسبب نجاة من عدوكم * وقرئ لبوس بضم اللام والجمهور بفتحها * وقرأ الجمهور ليحصنكم بياء الغيبة أي الله فيكون التفاتاً إذ جاء بعد ضمير متكلم في وعلمناه ويدل عليه قراءة أبي بكر عن عاصم بالنون وهي قراءة أبي حنيفة ومسعود بن صالح ورويس والجعفي وهارون ويونس والمنقري كلهم عن أبي عمرو ليحصنكم داود واللبوس قيل أو التعليم * وقرأ ابن عامر وحفص والحسن وسلام وأبو جعفر وشيبة وزيد بن علي بالتاء أي لتحصنكم لصنعة أو اللبوس على معنى الدرع ودرع الحديد مؤنثة وكل هذه القراآت الثلاث بإسكان الحاء والتخفيف * وقرأ الفقيمي عن أبي عمرو وابن أبي حماد عن أبي بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد وابن وثاب والأعمش بالتاء من فوق والتشديد واللام في لكم يجوز أن تكون للتعليل فتتعلق بعلمناه أي لأجلكم وتكون لتحصنكم في موضع بدل أعيد معه لام الجر إذ الفعل منصوب بإضمار أن فتتقدر بمصدر أي لكم لإحصانكم من بأسكم ويجوز أن تكون لكم صفة للبوس فتتعلق بمحذوف أي كائن لكم واحتمل أن يكون ليحصنكم تعليلاً للتعليم فيتعلق بعلمناه وأن يكون تعليلاً للكون المحذوف المتعلق به لكم * فهل أنتم شاكرون استفهام يتضمن الأمر أي اشكروا الله على ما أنعم به عليكم كقوله فهل أنتم منتهون أي انتهوا عما حرم الله ولما ذكر تعالى ما خص به نبيه داود عليه السلام ذكر ما خص به ابنه سليمان عليه السلام فقال ولسليمان الريح وجاء التركيب هنا حين ذكر تسخير الريح لسليمان باللام وحين ذكر تسخير الجبال جاء بلفظ مع فقال وسخرنا مع داود الجبال وكذا جاء يا جبال أوبي معه وقال فسخرنا له الريح تجري بأمره وذلك أنه لما اشتركا في التسبيح ناسب ذكر مع الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان أضيفت إليه بلام التمليك لأنها في طاعته وتحت أمره * وقرأ الجمهور الريح مفرداً بالنصب * وقرأ ابن هرمز وأبو بكر في رواية بالرفع مفرداً * وقرأ الحسن وأبو رجاء الرياح بالجمع والنصب * وقرأ بالجمع والرفع أبو حيوة فالنصب على إضمار سخرنا والرفع على الابتداء وعاصفة حال العامل فيها سخرنا في قراءة من نصب الريح وما يتعلق به الجار في قراءة من رفع ويقال عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ولغة أسد أعصفت فهي معصف ومعصفة ووصفت هذه الريح بالعصف وبالرخاء والعصف الشدة في السير والرخاء اللين * فقيل كان ذلك بالنسبة إلى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحد الوصفين فلم يتحد الزمان * وقيل الجمع بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر * وقيل الرخاء في البداءة والعصف بعد ذلك في التقول على عادة السير في الإسراع إلى الوطن وهذا القول راجع إلى اختلاف الزمان وجريها بأمره طاعتها له على حسب ما يريد ويأمر والأرض أرض الشام وكانت مسكنه ومقر ملكه * وقيل أرض فلسطين * وقيل بيت المقدس * قال الكلبي كان يركب عليها من اصطخر إلى الشام * قيل ويحتمل أن تكون الأرض التي يسير إليها سليمان كائنة ما كانت ووصفت بالبركة لأنه إذا حل أرضاً أصلحها بقتل كفارها وثبات الإيمان فيها وبث العدل ولا بركة أعظم من هذا * والظاهر أن التي باركنا صفة للأرض * وقال سعيد بن سعيد الكلام تام عند قوله إلى الأرض والتي باركنا فيها صفة لمرثه وفي الآية تقديم وتأخير يعني أن أصل التركيب ولسليمان الريح

التي باركنا فيها عاصفة تجري بأمره الى الأرض * وعن وهب كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان لا يقعد عن الغزو فيأمر بخشب فيمد والناس عليه والدواب وآلة الحرب ثم يأمر العاصف فيقله ثم يأمر الرخاء فتمر به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه * وعن مقاتل نسجت له الشياطين بساطا ذهبا في ابريسم فرسخا في فرسخ ووضعت له في وسطه منبرا من ذهب يقعد عليه وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الأنبياء وكراسي من فضة يقعد عليها العلماء وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان ولا ينبغي أن يعتقد الا على ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كانت هذه الاختصاصات في غاية الغرابة من المعهود أخبر تعالى ان علمه محيط بالأشياء يجريها على ما سبق به علمه ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر ذكر تسخير الشياطين له وهم أجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما أيضا سرعة الانتقال ألا ترى الى قوله قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ومن في موضع نصب أي وسخرنا من الشياطين من يغوصون أو في موضع رفع على الابتداء والخبر في الجار والمجرور قبله والظاهر أن من موصولة * وقال أبو البقاء هي نكرة موصوفة وجمع الضمير في يعوصون حملا على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع قبله كما قال الشاعر

ون من الشياطين من هي روضة * يهيج [illegible] قمها وتصوح

[illegible] تقدم لفظ الشياطين حمل على معنى من فأنث ولما قال من هو روضة ولمعنى يغوصون له في البحار لاستخراج [illegible] ودل [illegible] على الغوص فيه وهي المغاص لاستخراجه [illegible] لم يذكر أو قوله [illegible] لأن الغائص [illegible] يغوص لنفسه ولغيره [illegible] الغوص ليس [illegible] انما هو لأجل [illegible] ومثله لهم أمرهم [illegible] الغوص أي دون الغوص من [illegible] والقصور كما يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية * وقال [illegible] [illegible]

[illegible]

﴿وأيوب اذ نادى ربه﴾ [illegible]

[illegible]

وكثر أهله وماله فابتلاه الله بالمرض في بدنه ﴿وذا الكفل﴾ قيل كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا * وقال الأكثرون هو نبي ﴿وذا النون﴾ النون الحوت وذا بمعنى صاحب كما قال تعالى ان والقلم وانتصب ﴿مغاضبا﴾ على الحال فقيل معناه غضبانا وقيل مغاضبا لقومه أغضبهم بمفارقته وبخوفهم حلول العذاب وغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء [illegible] قبل أن يأذن الله له في خروج ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي نضيق عليه من [illegible] ﴿فنادى في الظلمات﴾ [illegible]

عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له و ﴿الغم﴾ ما كان ناله حين التقمه الحوت ومدة بقائه في بطنه ﴿وزكريا﴾ تقدم الكلام عليه في آل عمران ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ روى أنها كانت سيئة الخلق فحسن الله خلقها والضمير في انهم عائد على زكريا ويحيى والزوجة ﴿رغبا ورهبا﴾ أي وقت الرغبة والرهبة ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام والظاهر أن الفرج هنا حياء المرأة أحصنته أي منعته من الحلال والحرام وقيل الفرج أيضا جيب قيصها وأضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف وأفرد آية لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادة مريم عيسى عليه السلام من غير فحل وان كان في مريم آيات وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر وذلك هو آية واحدة *قال الزمخشري فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم *قلت معناه فخنا الروح في عيسى فيها أي احييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المرمار في بيته انتهى لا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه فخنا الروح في عيسى فيها استعمل فخ متعديا والمحفوظ أنه لا يتعدى فيحتاج في تعديته الى سماع وغير متعدا ستعمله هو في قوله نفخ في المرمار في بيته وقوله للعالمين أي لمن اعتبر بها من عالمي زمانهم فمن بعدهم وناسب ذكر قصص زكريا ويحيى للقرابة التي بينهما ... ولدا ليس له أب ... ولدا لم يلده أبوان يريد عيسى وآدم صلى الله عليهما وسلم

الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ طوّل الأخباريون في قصة أيوب وكان أيوب روميا من ولد اسحق بن يعقوب استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة * وقيل دون ذلك فقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم* وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا وذكروا كيفية في ذهاب ماله وأهله وتسليط ابليس عليه في ذلك الله أعلم بصحتها * وقرأ الجمهور أني بفتح الهمزة وعيسى بن عمر بكسرها اما على اضمار القول أي قائلا اني واما على اجراء نادى مجرى قال وكسر اني بعدها وهذا الثاني مذهب الكوفيين والأول مذهب البصريين والضر بالفتح الضرر في كل شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين وقد ألطف أيوب في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ولم يعين الضر الذي مسه * واختلف المفسرون في ذلك على سبعة عشر قولا أمثلها انه نهض ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه أنس مرفوعا والألف واللام في الضر للجنس تعم الضر في البدن والأهل والمال *وايتاء أهله ظاهره ان ما كان له من أهل رده عليه وأحياهم له بأعيانهم وآتاه مثل أهله مع أهله من الاولاد والأتباع وذكر نه جعل له مثلهم عدة في الآخرة *وانتصب رحمة على انه مفعول من أجله أي لرحمتنا اياه وذكرى منا بالاحسان لمن عبدنا أو رحمة منا لأيوب وذكرى أي موعظة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب *وقال أبو موسى الاشعري ومجاهد كان ذو الكفل عبدا صالحا ولم يكن نبيا *وقال الاكثرون هو نبي فقيل هو الياس * وقيل زكريا * وقيل يوشع والكفل النصيب والحظ أي ذو الحظ من الله المجدود على الحقيقة *وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم * وقيل في تسميته ذا الكفل أقوال مضطربة لا تصح *وانتصب مغاضبا على الحال *فقيل معناه غضبان وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا كنحو عاقبت اللص وسافرت *وقيل مغاضبا لقومه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب وأغضبوه حين دعاهم الى الله مدة فلم يجيبوه فأوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على

عادة الانبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج * وقيل مغاضبا للملك حزقيا حين عينه لغزو ملك كان قد عاث في بني اسرائيل فقال له يونس آلله أمرك باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال ههنا غيري من الانبياء فألح عليه فخرج مغاضبا للملك وقول من قال مغاضبا لربه وحكى في المغاضبة لربه كيفيات يجب اطراحها اذ لا يناسب شيء منها منصب النبوة وينبغي أن يتأول لمن قال ذلك من العلماء كالحسن والشعبي وابن جبير وغيرهم من التابعين وابن مسعود من الصحابة بان يكون معنى قولهم مغاضبا لربه أي لاجل ربه ودينه واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به *وقرأ أبو شرف مغضبا اسم مفعول *فظن أن لن نقدر عليه أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة وقيل من القدرة بمعنى أن لن نقدر عليه الابتلاء *وقرأ الجمهور نقدر بنون العظمة مخففا* وقرأ ابن أبي ليلى وأبو شرف والكلبي وحميد بن قيس ويعقوب بضم الياء وفتح الدال مخففا وعيسى والحسن بالياء مفتوحة وكسر الدال وعلي بن أبي طالب واليماني بضم الياء وفتح القاف والدال مشددة والزهري بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشددة * فنادى في الظلمات في الكلام جمل محذوفة قد أوضحت في سورة والصافات وهنالك نذكر قصته ان شاء الله تعالى وجمع الظلمات لشدة تكاثفها فكأنها ظلمة مع ظلمة * وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل * وقيل ابتلع حوته حوت آخر فصار في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر *وروي أن يونس سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر أن لا اله الا أنت تفسيرية لانه سبق فنادى وهو في معنى القول ويجوز أن يكون التقدير بانه فتكون مخففة من الثقيلة حصر الالوهية فيه تعالى ثم نزهه عن سمات النقص ثم أقر بما بعد ذلك * وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ولعل ما كان له حين التقمه الحوت ومدة اقامته في بطنه * وقرأ الجمهور ننجي مضارع أنجى والجحدري مشددا مضارع نجى * وقرأ ابن عامر وأبو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة وياء ساكنة وكذلك هي في مصحف الامام ومصاحف الامصار بنون واحدة واختارها أبو عبيد لموافقة المصحف فقال الزجاج والفارسي هي لحن * وقيل هي مضارع أدغمت النون في الجيم ورد بأنه لا يجوز ادغام النون في الجيم التي هي فاء الفعل لاجتماع المثلين كما حذفت في قراءة من قرأ ونزل الملائكة يريد وننزل الملائكة وعلى هذا أخرجه أبو الفتح *وقيل هو فعل ماض مبني للمفعول وسكنت الياء كما سكنها من قرأ وذروا ما بقي من الربا وأقيم مقام الفاعل ضمير المصدر أي نجي هو أي النجاء المؤمنين كقراءة أبي جعفر ليجزي قوما أي وليجزي هو أي الجزاء وقد أجاز اقامة غير المفعول به من مصدر أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو مجرور الأخفش والكوفيون وأبو عبيد وذلك مع وجود المفعول به وجاء السماع في اقامة المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله

أتيح لي من العدا نذيرا * به وقيت الشر مستطيرا

وقال الأخفش في المسائل ضرب الضرب الشديد زيد وضرب اليومان زيدا وضرب مكانك زيدا وأعطي اعطاء حسن أخاك درهما مضروب عبد الله وقيل ضمير المصدر أقيم مقام الفاعل والمؤمنين منصوب باضمار فعل أي وكذلك نجي هو أي النجاء نجي المؤمنين وهذا مذهب البصريين لانه متى وجد المفعول به لم يقم غيره لان صاحب اللباب حكى الخلاف في ذلك عن البصريين وأن بعضهم أجاز ذلك ولا ندري فرد أي وجهين ...

تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أمرهم والضمير في تقطعوا عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات أي وتقطعتم ولما كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدل عن الخطاب الى الغيبة كأن هذا الفعل ما صدر من المخاطب لأن في الاخبار عنهم بذلك نعيا عليهم ما أفسدوه وكأنه يخبر غيرهم بما صدر عنهم من قبيح فعلهم ويقول ألا ترى ما ارتكب هؤلاء في دين الله جعلوا أمر دينهم قطعا كما تتوزع الجماعة الشيء لهذا نصيب ولهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه ﴿فلا

ثم رد أمره الى الله فقال وأنت خير الوارثين أي ان لم ترزقني من يرثني فأنت خير وارث * واصلاح زوجه بحسن خلقها وكانت سيئة الخلق قاله عطاء ومحمد بن كعب وعون بن عبد الله * وقيل اصلاحها للولادة بعد أن كانت عقرا قاله قتادة * وقيل اصلاحها رد شبابها اليها والضمير في انهم عائد على الأنبياء السابق ذكرهم أي ان استجابتنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم الخير ولدعائهم لنا رغبا ورهبا أي وقت الرغبة ووقت الرهبة كما قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه * وقيل الضمير يعود على زكريا وزوجه وابنهما يحيى * وقرأت فرقة يدعونا حذفت نون الرفع وطلحة بنون مشددة أدغم نون الرفع في نا ضمير النصب * وقرأ ابن وثاب والاعمش ووهيب بن عمرو والنحوي وهارون وأبو معمر والأصمعي واللؤلؤي ويونس وأبو زيد سبعتهم عن أبي عمرو رغبا ورهبا بالفتح واسكان الهاء والاشهر عن الأعمش بضمتين فيهما * وقرأت فرقة بضم الراءين وسكون الغين والهاء وانتصب رغبا ورهبا على انهما مصدران في موضع الحال أو مفعول من أجله * والتي أحصنت فرجها هي مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام والظاهر ان الفرج هنا حياء المرأة أحصنته أي منعته من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * وقيل الفرج هنا جيب قميصها منعته من جبريل لما قرب منها لينفخ حيث لم يعرف والظاهر ان قوله فنفخنا فيها من روحنا كناية عن ايجاد عيسى حيا في بطنها ولا نفخ هناك حقيقة وأضاف الروح اليه تعالى على جهة التشريف * وقيل هناك نفخ حقيقة وهو ان جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها وأسند النفخ اليه تعالى لما كان ذلك من جبريل بأمره تعالى تشريفا * وقيل الروح هنا جبريل كما قال فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها والمعنى فنفخنا فيها من جهة جبريل وكان جبريل قد نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها * قال الزمخشري * فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم * قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع وغير متعد استعمله هو في قوله أي نفخت في المزمار في بيته انتهى ولا اشكال في ذلك وأفرد آية لان حالهما لمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل وان كان في مريم آيات وفي عيسى آيات لكنه هنا لحظ أمر الولادة من غير ذكر وذلك هو آية واحدة وقوله للعالمين أي لمن اعتبر بها من عالمي زمانها فمن بعدهم وذكر مريم مع الأنبياء في هذه السورة على انها كانت نبية اذ قرنت معهم في الذكر ومن منع تنبؤ النساء قال ذكرت لاجل عيسى وناسب ذكرهما هنا قصة زكريا وزوجه ويحيى للقرابة التي بينهم ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا

(الدر)

(س) فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك ان قول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته (ح) لا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف أي فنفخنا في ابنها من روحنا وقوله قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ انه لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع من العرب وغير متعد استعمله هو في قوله أي نفخت في المزمار في بيته

كفران لسعيه ﴾ ذكر حال المحسن وأنه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه اذ قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو أبلغ من قوله فلا نكفر سعيه والكتابة عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الاعمال ليثاب عليه ولا يضيع ﴿ وحرام على قرية ﴾ استعير الحرام للممتنع وجوده ومعنى أهلكناها قدرنا اهلاكها على ماهي عليه من الكفر فالاهلاك هنا اهلاك عن كفر ولا في لا يرجعون زائدة أي لا يرجعون الى الايمان كقوله ما منعك أن لا تسجد والمعنى وممتنع على أهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوع في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا وغيا بما اقرب من مجيء الساعة وهو فتح يأجوج ومأجوج وتقدم الكلام على يأجوج والضمير في وهم عائد على يأجوج ومأجوج ﴿ من كل حدب ﴾ أي من الاماكن (٣٣٧) المرتفعة ﴿ ينسلون ﴾ يتساقطون ويسرعون ﴿ واقترب الوعد ﴾ أي الوعد بالبعث ﴿ الحق ﴾ الذي لا شك فيه والفاء جواب اذا السابقة واذا الفجائية وهي ضمير القصة مبتدأ وأبصار مبتدأ وشاخصة خبره والجملة خبر عن ضمير القصة وقال الزمخشري هي ضمير [illegible] الابصار [illegible] فسر [illegible] وأسرو [illegible] [illegible] توجه وتوقون لقرء ﴿ في غفلة من هذا ﴾ أي مما وجدنا الآن وتبينا من الحق [illegible] [illegible] [illegible] كنا في [illegible] كانوا في [illegible] الكفر ولا [illegible] عن لا [illegible] ﴿ إن كـ

[illegible] ﴿ وحصب جهنم ﴾ [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا [illegible] ﴿ [illegible] لها ﴾ أي [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ أي [illegible] ﴿ وكل فيها ﴾ أي كل من [illegible] والظاهر أن [illegible] يكون [illegible] كانوا [illegible] ﴿ وهم فيها لا يسمعون ﴾ [illegible] من وجوه [illegible] كون.

كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ والظاهر ان قوله أمتكم خطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى ملة الاسلام أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها [illegible] غير مختلفة ويحتمل أن تكون هذه اشارة الى الطريقة التي كان عليها الانبياء المذكورون من توحيد الله تعالى هي طريقتكم وملتكم طريقة واحدة لا اختلاف فيها في أصول العقائد [illegible] الانبياء من ذلك هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل معنى أمة واحدة مخلوقة له تعالى مملوكة له فالمراد بالأمة الناس كلهم * وقيل الكلام يحتمل أن يكون متصلا [illegible] آية للعالمين بأن بعث لهم ملة وكتاب وقيل لهم ان هذه أمتكم أي [illegible] الجميع [illegible] الايمان [illegible] ثم أخبر تعالى انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا أمرهم * وقرأ الجمهور أمتكم بالرفع [illegible] واحدة بالنصب على الحال وقيل بدل من هذه * وقرأ الحسن أمتكم بالنصب بدل من هذه [illegible] وقرأ [illegible] [illegible] العقيلي وأبو حيوة [illegible] بن أبي عبلة [illegible] وهارون عن أبي عمرو [illegible] أمتكم أمة واحدة برفع الثلاثة على أن أمتكم [illegible] بدل من أمتكم [illegible] معرفة أو خبر [illegible] المحذوف أي هي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دين الله جعلوا أمر دينهم قطعا [illegible]

ثم توعدهم برجوع هذه الفرقة المختلفة الى جزائه * وقيل كل من الثابت على دينه الحق والزائغ عنه الى غيره * وقرأ الأعمش زبرا بفتح الباء جمع زبرة ثم ذكر حال المحسن وانه لا يكفر سعيه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور ولا لنفي الجنس فهو أبلغ من قوله فلا يكفر سعيه والكتابة عبارة عن اثبات عمله الصالح في صحيفة الأعمال ليثاب عليه ولا يضيع والكفران مصدر كالكفر * قال الشاعر

رأيت أناسا لاتنام جدودهم * وجدي ولا كفران لله نائم

وفي حرف عبد الله لا كفر ولسعيه متعلق بمحذوف أي نكفر لسعيه ولا يكون متعلقا بكفران اذ لو كان متعلقا به لكان اسم لا مطولا فيلزم تنوينه * وقرأ الجمهور وحرام * وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة والأعمش وأبو حنيفة وأبو عمرو في رواية وحرم بكسر الحاء وسكون الراء * وقرأ قتادة ومطر الوراق ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الحاء وسكون الراء * وقرأ عكرمة وحرم بكسر الراء والتنوين * وقرأ ابن عباس وعكرمة أيضا وابن المسيب وقتادة أيضا بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المضي بخلاف عنهما وأبو العالية وزيد بن علي بضم الراء وفتح الحاء والميم على المضي * وقرأ ابن عباس أيضا بفتح الحاء والراء والميم على المضي * وقرأ اليماني وحرّم بضم الحاء وكسر الراء مشددة وفتح الميم * وقرأ الجمهور أهلكناها بنون العظمة * وقرأ السلمي وقتادة بتاء المتكلم واستعير الحرام للمتنع وجوده ومنه ان الله حرمهما على الكافرين * ومعنى أهلكناها قدرنا اهلاكها على ماهي عليه من الكفر فالاهلاك هنا اهلاك عن كفر ولا في لا يرجعون صلة وهو قول أبي عبيد كقولك مامنعك أن لا تسجد أي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على أهل قرية قدرنا عليهم اهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون و يقولون ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا وغيا بما قرب من مجيء الساعة وهو فتح يأجوج ومأجوج * وقرىء انهم بالكسر فيكون الكلام قد تم عند قوله أهلكناها و بقدر محذوف تصير به وحرام على قرية أهلكناها جملة أي ذلك وتكون اشارة الى العمل الصالح المذكور في قسم هؤلاء المهلكين والمعنى وحرام على أهل قرية قدرنا اهلاكهم لكفرهم عمل صالح ينجون به من الاهلاك ثم أكد ذلك وعلله بأنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك فالمحذوف مبتدأ والخبر وحرام وقدره بعضهم متقدما كأنه قال والافالة والتوبة حرام * وقراءة الجمهور بالفتح تصح على هذا المعنى وتكون لا نافية على بابها والتقدير لانهم لا يرجعون * وقيل أهلكناها أي وقع اهلاكنا اياهم ويكون رجوعهم الى الدنيا فيتوبون بل هم صائرون الى العذاب * وقيل الاهلاك بالطبع على القلوب والرجوع هو الى التوبة والايمان * وقال الزجاج وحرام على قرية أهلكناها حكمنا باهلاكها أن نتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون ودل على هذا المعنى قوله قبل فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقيبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله * وقال أبو مسلم بن بحر حرام ممتنع وانهم لا يرجعون انتفاء الرجوع الى الآخرة واذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع فالمعنى انه يجب رجوعهم الى الحياة في الدار الآخرة ويكون الغرض انكار قول من ينكر البعث وتحقيق ما تقدم من انه لا كفران لسعي أحد وانه يجزى على ذلك يوم القيامة * وقيل الحرام يجيء بمعنى الواجب يدل عليه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا وترك الشرك واجب * وقالت الخنساء

حرام على أن لا أرى الدهر باكيا * على شجوه الا بكيت على صخر

وأيضا فمن الاستعمال اطلاق الضمير على ضده وعلى هذا فقال مجاهد والحسن لا يرجعون عن الشرك * وقال قتادة ومقاتل الى الدنيا * قال ابن عطية و يتجه في الآية معنى ضمنه وعيد بين وذلك أنه ذكر من عمل صالحا وهو مؤمن ثم عاد الى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب ولا يرجعون الى معاد فهم يظنون بذلك انه لا عقاب ينالهم فجاءت الآية مكذبة لظن هؤلاء أي وممتنع على الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الى عقاب الله وأليم عذابه فيكون لا على بابها والحرام على بابه وكذلك الحرم فتأمله انتهى * وحتى قال أبو البقاء متعلقة في المعنى بحرام أي يستقر الامتناع الى هذا الوقت ولا عمل لها في اذا * وقال الحوفي حتى غاية والعامل فيها مادل عليه المعنى من تأسفهم على مافرطوا فيه من الطاعة حين فاتهم الاستدراك * وقال الزمخشري (فان قلت) بم تعلقت حتى واقعة غاية له وأية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني اذا وما في حيزها انتهى * وقال ابن عطية هي متعلقة بقوله وتقطعوا و يحتمل على بعض التأويلات المتقدمة أن تتعلق بيرجعون و يحتمل أن تكون حرف ابتداء وهو الأظهر بسبب اذا لأنها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره انتهى وكون حتى متعلقة بتقطعوا فيه بعد من حيث كثرة الفصل لكنه من جهة المعنى جيد وهو انهم لا يزالون مختلفين غير مجتمعين على دين الحق الى قرب مجيء الساعة فاذا جاءت الساعة انقطع ذلك الاختلاف وعلم الجميع أن مولاهم الحق وان الدين المنجي هو كان دين التوحيد وجواب اذا محذوف تقديره قالوا يا ويلنا قاله الزجاج وجماعة أو تقديره فحينئذ يبعثون واذا هي شاخصة أو مذكور وهو واقترب على زيادة الواو قاله بعضهم وهو مذهب الكوفيين وهم يجيزون زيادة الواو ... فاذا هي قاله الحوفي وقال الزمخشري واذا هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة كان سديدا * وقال ابن عطية [illegible]

[illegible]

(الدر)

(ش) هي ضمير مبهم يوضحه الابصار و يفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا (ح) ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول الفراء قال الفراء هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها وأنشد على ذلك قول الشاعر

*فلا وأبيها لا تقول خليلتي * الا فر عني مالك بن أبي كعب*

وذكر أيضا الفراء ان هي عماد يصلح في موضعها هو وأنشد

* بثوب ودينار وشاة ودرهم *

فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس * وهذا لا يتمشى الا على أحد قولي الكسائي في جوازه تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ [illegible]

انتهى ولم يذكر غير هذا الوجه وهو قول الفراء * قال الفراء هي ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها وأنشد على ذلك قول الشاعر

فلا وأبيها لا تقول خليلتي * الا فرّ عني مالك بن أبي كعب

وذكر أيضا الفراء ان هي عماد يصلح في موضعها هو وأنشد

بثوب ودينار وشاة ودرهم * فهل هو مرفوع بما ههنا رأس

وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي في اجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدا أجاز هو القائم زيد على أن زيد هو المبتدا والقائم خبره وهو عماد وأصل المسئلة زيد هو القائم ويقول أصله هذه فاذا أبصار الذين كفروا هي شاخصة فشاخصة خبر عن أبصار وتقدم مع العماد ويجيء على مذهب من يجيز العماد قبل خبره نكرة وذكر الثعلبي وجها آخر وهو أن الكلام تم عند قوله فاذا هي أي بارزة واقعة يعني الساعة ثم ابتدأ فقال شاخصة أبصار الذين كفروا وهذا وجه متكلف متنافر التركيب وروى حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة يعني في مجيء الساعة اثر خروجهم * يا ويلنا معمول لقول محذوف * قال الزمخشري تقديره يقولون وهو في موضع الحال من الذين كفروا وتقدم قول الزجاج ان هذا القول جواب اذا والشخوص احداد النظر دون أن يطرف في غفلة من هذا انتهى أي مما وجدنا الآن وتبينا من الحقائق ثم أضربوا عن قولهم قد كنا في غفلة وأخبروا بما قد كانوا تعمدوه من الكفر والاعراض عن الايمان فقالوا بل كنا ظالمين والخطاب بقوله انكم وما تعبدون من دون الله للكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما أهل مكة ومعبوداتهم هي الاصنام * وقرأ الجمهور حصب بالحاء والصاد المهملتين وهو ما يحصب به أي يرمى به في نار جهنم وقبل أن يرمى به لا يطلق عليه حصب الا مجازا * وقرأ ابن السميفع وابن أبي عبلة ومحبوب وأبو حاتم عن ابن كثير باسكان الصاد ورويت عن ابن عباس وهو مصدر يراد به المفعول أي المحصوب * وقرأ ابن عباس بالضاد المعجمة المفتوحة وعنه اسكانها وبذلك قرأ كثير عزة والحضب ما يرمى به في النار والمحضب العود أو الحديدة أو غيرهما مما يحرك به النار * قال الشاعر

فلا تك في حربنا محضبا * وتجعل قومك شتى شعوبا

* وقرأ أبي وعلي وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطاء وجمع الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها إذ عذبوا بسببهم وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولأنهم صاروا لهم أعداء ورؤية العدو مما يزيد في العذاب * كما قال الشاعر

واحتمال الأذى ورؤية جانيه * غذاء تضنى به الأجسام

* أنتم لها أي للنار واردون الورود هنا ورود دخول * لو كان هؤلاء أي الاصنام التي تعبدونها آلهة ما وردوها أي ما دخلوها ودل على أنه ورود دخول قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * وقرأ الجمهور آلهة بالنصب على خبر كان * وقرأ طلحة بالرفع على أن في كان ضمير الشأن * وكل فيها أي كل من العابدين ومعبوداتهم * لهم فيها زفير وهو صوت نفس المغموم يخرج من القلب والظاهر أن الزفير انما يكون ممن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الالهية كفرعون وكعلاء الاسمعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد الله أول ملوكهم ويجوز أن يجعل الله للاصنام التي عبدت حياة فيكون لها زفير * وقال الزمخشري اذا كانوا هم وأصنامهم في

﴿ ان الذين سبقت لهم ﴾ الآية سبب نزولها قول ابن الزبعرى حين سمع انكم وما تعبدون الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله الآية و ﴿ الحسنى ﴾ الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الأحسن إما السعادة وإما البشرى بالثواب * والحسيس الصوت الذى يحس من حركة الاجرام والشهوة طلب النفس اللذة * والفزع الأكبر عام فى كل هول يكون فى القيامة ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ بالسلام عليهم وعن ابن عباس تتلقاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم ﴿ هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ بالكرامة والثواب والنعيم فيه ﴿ يوم نطوى السماء ﴾ المعنى طيا مثل طى السجل قال الزمخشرى العامل فى يوم من قوله يوم نطوى الفزع انتهى هذا ليس بجائز لأن الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ما ذكر والعامل فيه اذكر مقدرة التقدير اذكر يوم نطوى وطى مصدر مضاف الى المفعول أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة والظاهر أن الكاف ليست مكفوفة بل هى جارة وما بعدها مصدرية ينسبك منها مع الفعل مصدر هو فى موضع جر بالكاف * وأول خلق مفعول بدأنا والمعنى نعيد أول خلق اعادة مثل بدأته أى كما أبرزناه من العدم الى الوجود كذلك نعيده من العدم الى الوجود وانتصب ﴿ وعدا ﴾ على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾ تأكيد لتحتم الخبر أى نحن قادرون على أن نفعل * والزبور الظاهر أنه زبور داود وقيل الزبور اسم الكتب المنزلة * والذكر اللوح المحفوظ * والارض قال ابن عباس هى أرض الجنة قال تعالى وأورثنا الأرض

قرن واحد مجازا أن يقال لهم فيها زفير ان لم يكن الزافرين الا هم وهم فيها لا يسمعون وروى عن ابن مسعود انهم يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وفى سماع الاشياء روح فمنع الله الكفار ذلك فى النار * وقيل لا يسمعون ما يسرهم من كلام الزبانية ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل إنما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل

نتبوأ والاشارة فى قوله إن فى هذا لبلاغا الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة ﴿ لبلاغ ﴾ كفاية يبلغ بها الى الخير وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاء بما يسعدهم و ﴿ للعالمين ﴾

قيل خاص بمن آمن به وقيل عام وكونه رحمة للكافرين حيث أخر عقوبتهم ولم يستأصل الكفار بالعذاب [illegible] أصناف [illegible] من الأمم من مسخ وخسف وغرق [illegible] وأخر [illegible] ويجوز أن يكون [illegible] وما أرسلناك للعالمين الا رحمة [illegible] [illegible] من [illegible] أعرض [illegible] لا يعوز [illegible]

[illegible] أن يتعلق [illegible] قال الزمخشرى [illegible] القصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك [illegible] إنما يوحى [illegible] مع [illegible] وحى للرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] مقصور على [illegible] [illegible] وقد [illegible]

لا يكون [illegible] ولا الحصر فى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأمر بالاخلاص [illegible]

عن تولى من العذاب وغلبة الاسلام ولكن لا ادرى متى يكون ذلك وان تأخيره وادرى معلقة * والجملة الاستفهامية في موضع نصب بأدرى وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان التركيب ﴿أقريب ما توعدون أم بعيد﴾ لم تكن فاصلة وكثيرا ما يرجح الحكم في الشيء لكونه فاصلة آخر آية والمعنى انه تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني

آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ سبب نزول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قول ابن الزبعرى حين سمع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية * وقيل لما اعترض ابن الزبعرى قيل لهم ألستم قوما عربا أو ما تعلمون ان من لمن يعقل وما لما لا يعقل فعلى القول الأول يكون ابن الزبعرى قد فهم من قوله وما تعبدون العموم فلذلك نزل قوله ان الذين سبقت لهم الآية تخصيصا لذلك العموم وعلى هذا القول الثانى يكون ابن الزبعرى رام مغالطة فأجيب بأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل فبطل اعتراضه والحسنى الخصلة المفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة والظاهر من قوله مبعدون فابعده ان من سبقت له الحسنى لا يدخل النار * وروى أن عليا كرم الله وجهه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذى يحس من حركة الاجرام وهذا الابعاد وانتفاء سماع صوتها قيل هو قبل دخول الجنة * وقيل بعد دخولهم واستقرارهم فيها والشهوة طلب النفس اللذة * وقال ابن عطية وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لأن الحديث يقتضى انه فى الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبى ولا ملك الا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر عام فى كل هول يكون فى يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر وان خصص بشئ فيجب أن يقصد لاعظم هو له انتهى * وقيل الفزع الاكبر وقوع طبق جهنم عليها قاله الضحاك * وقيل النفخة الاخيرة * وقيل الأمر بأهل النار الى النار روى عن ابن جبير وابن جريج والحسن * وقيل ذبح الموت * وقيل اذا نودى اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقيل يوم نطوى السماء ذكره مكى * وتتلقاهم الملائكة بالسلام عليهم * وعن ابن عباس تتلقاهم الملائكة بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون بالكرامة والثواب والنعيم * وقرأ أبو جعفر لا يحزنهم مضارع أحزن وهى لغة تميم وحزن لغة قريش والعامل فى يوم لا يحزنهم وتتلقاهم وأجاز أبو البقاء ان يكون بدلا من العائد المحذوف فى توعدون فالعامل فيه توعدون أى توعدونه أو مفعولا باذكر أو منصوبا بأعنى * وأجاز الزمخشرى ان يكون العامل فيه الفزع وليس بجائز لأن الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز

عليه والله هو العالم الذى لا يخفى عليه شئ وما فى قوله ما توعدون فاعل بقريب تقديره أيقرب ما توعدون أم يبعد ﴿وان أدرى لعله فتنة لكم﴾ أى لعل تأخير هذا الوعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو متاع لكم الى حين ليكون ذلك حجة وليقع الموعد فى وقت هو حكمه وأدرى هى هنا معلقة أيضا وجملة الترجى هى مصب الفعل والكوفيون يجرون لعل مجرى هل فكما يقع التعليق عن هل فكذلك عن لعل وقد ذهب الى ذلك أبو على الفارسى وان كان ذلك ظاهرا فيها كقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وقيل الى حين أى الى يوم القيامة ﴿قل رب احكم بالحق﴾ قرئ قل على الأمر وقال على الخبر وهو من باب الالتفات انتقل من ضمير المتكلم فى أدرى الى ضمير الغائب فى قال ورب منادى مضاف تقديره يارب وقرئ احكم على الأمر وقرئ باسكان الباء فى رب أحكم جعله أفعل التفضيل فرب احكم مبتدأ وخبر وقرئ احكم فعلا ماضيا وقرأ الجمهور تصفون بتاء الخطاب وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على أبى ما يصفون بياء الغيبة

(الدر) (س) لعامل فى يوم فى قوله يوم نطوى الفزع شتهى بالمعنى (ح) ليس بجائز لان الفزع مصدر وقد وصف قبل أخذ معموله فلا يجوز ذلك انتهى باذكر

(الدر) (ش) أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء * فان قلت وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه * قلت أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم * فان قلت ما بال خلق منكرا قلت (٣٤٣) هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده * وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى (اح) الظاهر أن الكاف ليست مكفوفة [illegible]

ذكر * وقرأ الجمهور نطوي بنون العظمة * وفرقة منهم شيبة بن نصاح يطوي بياء أي الله وأبو جعفر وفرقة بالتاء مضمومة وفتح الواو والسماء رفعا والجمهور السجل على وزن الطمر وأبو هريرة وصاحبه وأبو زرعة بن عمرو بن جرير بضمتين وشد اللام والاعمش وطلحة وأبو السمال السجل بفتح السين والحسن وعيسى بكسرهما والجيم في هاتين القراءتين ساكنة واللام مخففة * وقال أبو عمرو وقراءة أهل مكة مثل قراءة الحسن * وقال مجاهد السجل الصحيفة * وقيل هو مخصوص من الصحف بصحيفة العهد والمعنى طيا مثل طي السجل وطي مصدر مضاف الى المفعول أي ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة والاصل كطي الطاوي السجل فحذف الفاعل وحذفه يجوز مع المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول أي كما يطوى السجل * وقال ابن عباس وجماعة السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه * وقالت فرقة هو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذين القولين يكون المصدر مضافا للفاعل * وقال أبو الفضل الرازي الاصح أنه فارسي معرب انتهى * وقيل أصله من المساجلة وهي من السجل وهو الدلو الملأى ماء * وقال الزجاج هو رجل بلسان الحبش * وقرأ الجمهور للكتاب مفردا وحمزة والكسائي وحفص للكتب جمعا وسكن التاء الاعمش * وقال الزمخشري أول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه (قلت) أوله ايجاده من العدم فكما أوجده أولا من عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى والظاهر أن الكاف ليست مكفوفة [illegible] المفعول وقطعه عن [illegible] محمه في كتاب الله [illegible] وهو ضعيف [illegible] الاخفش وكونهما [illegible] الا في الشعر [illegible]

[illegible] وهو ضعيف [illegible] وكونهما [illegible] الا في الشعر مخصوص بالشعر

هيئته التى تحرج بها الى الدنيا و يؤيده يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده انتهى وانتصب وعدا على انه مفعول مصدر مؤكدا لمضمون الجملة الخبرية قبله * انا كنا فاعلين تأكيد لتحتم الخبر أى نحن قادرون على أن نفعل والزبور الظاهر انه زبور داود وقاله الشعبى ومعنى هذه الآية موجود فى زبور داود وقرأناه فيه والذكر التوراة قاله ابن عباس * وقيل الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ * والارض قال ابن عباس أرض الجنة * وقيل الارض المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة فى قوله ان فى هذا الى المذكور فى هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا كفاية يبلغ بها الى الخير * وقيل الاشارة الى القرآن جملة وكونه عليه السلام رحمة لكونه جاءهم بما يسعدهم * وللعالمين * قيل خاص بمن آمن به * وقيل عام وكونه رحمة للكافر حيث أخر عقوبته ولم يستأصل الكفار بالعذاب قال معناه ابن عباس * قال عوفى مما أصاب غيرهم من الأمم من مسخ وخسف وغرق وقذف وأخر أمره الى الآخرة * قال ابن عطية و يحتمل ان يكون معناه وما أرسلناك للعالمين الارحمة أى هو رحمة فى نفسه وهدى بين أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض انتهى ولا يجوز على المشهور أن يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الأن كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد * وقال الزمخشرى انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لأن انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية انتهى وأما ماذكره فى انما انها لقصر ماذكر فهو مبنى على انما للحصر وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وانما مع ان كهى مع كان ومع لعل فكما انها لا تفيد الحصر فى التشبيه ولا الحصر فى الترجى فكذلك لا تفيده مع ان وأما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدل على القصر فلا نعلم الخلاف الا فى انما بالكسر واما الفتح فحرف مصدرى ينسبك منه مع ما بعدها مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم أن يقال انه لم يوح اليه شئ الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد وفى الآية دليل على تظافر المنقول للمعقول وان النقل أحد طريقى التوحيد ويجوز فى ما من انما أن تكون موصولة * فهل أنتم مسلمون استفهام يتضمن الأمر باخلاص التوحيد والانقياد الى الله تعالى * آذنتكم أعلمتكم وتتضمن معنى التحذير والنذارة * على سواء لم أخص أحدا دون أحد وهذا الايذان هو اعلام بما يحل بمن تولى من العقاب وغلبة الاسلام ولكنى لا أدرى متى يكون ذلك وان نافية وأدرى معلقة والجملة الاستفهامية فى موضع نصب بأدرى وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة اذ لو كان التركيب أقريب ما توعدون أم بعيد لم تكن فاصلة وكثيرا ما يرجح الحكم فى الشئ لكونه فاصلة آخر آية * وعن ابن عامر فى رواية وان أدرى بفتح الياء فى الآيتين تشبيها بياء الاضافة لفظا وان كانت لام الفعل ولا تفتح الا بعامل وأنكر ابن مجاهد فتح هذه الياء والمعنى أنه تعالى لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله هو العالم الذى لا يخفى عليه شئ * وان أدرى لعله فتنة أى لعل تأخير هذا

أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض (ح) لا يجوز على المشهور ان يتعلق الجار بعد الا بالفعل قبلها الا ان كان العامل مفرغا له نحو ما مررت الا بزيد (ش) انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما إلهكم إله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية (ح) أما ماذكره فى انما انها لقصر ماذكر فهو مبنى على ان انما للحصر وقد قررنا أنها لا تكون للحصر وان ما مع أن كهى مع كان ومع لعل فكما أنها لا تفيد الحصر فى التشبيه ولا الحصر فى الترجى فكذلك لا تفيده مع ان وأما جعله انما المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها تدل على القصر فلا نعلم الخلاف الا فى انما بالكسر وأما بالفتح فحرف مصدرى ينسبك منه مع ما بعده مصدر فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ولو كانت انما دالة على الحصر لزم ان يقال انه لم يوح اليه شئ الا التوحيد وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد أوحى اليه أشياء غير التوحيد.

الموعد امتحان لكم لننظر كيف تعملون أو يمتنع لكم الى حين ليكون ذلك حجة وليقع الموعد
في وقت هو حكمة ولعل هنا معلقة أيضا وجملة الترجي هي مسبب الفعل والكوفيون يجرون
لعل مجرى هل فكما يقع التعليق عن هل كذلك عن لعل ولا أعلم أحدا ذهب الى أن لعل من أدوات
التعليق وان كان ذلك ظاهرا فيها كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب وما يدريك لعله يزكى
* وقيل الى حين الى يوم القيامة * وقيل الى يوم بدر * وقرأ الجمهور قل رب أمرا وبكسر الباء
* وقرأ حفص قال وأبو جعفر رب بالضم * قال صاحب اللوامح على أنه منادى مفرد وحذف
حرف النداء فيما جاز أن يكون وصفا لأي بعيد بابه الشعر انتهى وليس هذا من نداء النكرة المقبل
عليها بل هذا من اللغات الجائزة في ياغلامي وهي أن تبنيه على الضم وأنت تنوي الاضافة لما قطعته
عن الاضافة وأنت تريدها بنيته فمعنى رب يا ربي * وقرأ الجمهور احكم على الأمر من حكم * وقرأ ابن
عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن ربي باسكان الياء أحكم جعله أفعل التفضيل فربي أحكم
مبتدأ وخبر * وقرأت فرقة أحكم فعلا ماضيا * وقرأ الجمهور تصفون بتاء الخطاب وروي أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ على أبي على ما يصفون بياء الغيبة ورويت عن ابن عامر وعاصم

﴿ سورة الحج سبع وسبعون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى
عذاب السعير يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن
الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن
سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس
بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب
على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير إن الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان
يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء
شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل

مايشاء هـذان خصمان اختصموا فى ربهـم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خيرله عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم إله واحد فله أسلموا و بشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم و بشر المحسنين ﴾ * ذهل عن الشئ ذهولا اشتغل عنه قاله قطرب وقال غيره غفل لطريان شاغل من هم أو وجع أوغيره * وقيل مع دهشة * المضغة اللحمة الصغيرة قدر مايمضغ * المخلقة المسواة الملساء لانقص ولاعيب فيها يقال خلق السواك والعود سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء أى ملساء * الطفل يقال من وقت انفصال الولد الى البلوغ و يقال لولد الوحشية طفل و يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد و يقال أيضا طفل وطفلان وأطفال وأطفلت المرأة صارت ذا طفل والطفل بفتح الطاء الناعم و جارية طفلة ناعمة و بنان طفل وقد طفل الليل أقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل أيضا مطر * وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل يقع على الواحد والجمع * همدت الأرض يبست ودرست والثوب بلى انتهى * وقال الأعشى

قالت قتيلة مالجسمك شاحبا * وأرى ثيابك بالبلاء همدا

* البهيج الحسن السار للناظر يقال فلان ذو بهجة أى حسن وقد بهج بالضم بهاجة و بهجة فهو بهيج وأبهجنى أعجبنى بحسنه * العطف الجانب وعطفا الرجل يمينه وشماله وأصله من العطف وهو الميل ويسمى الرداء العطاف * المجوس قوم يعبدون النار والشمس والقمر * وقيل يعبدون النار * وقيل قوم اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح * وقيل قوم أخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون العالم أصلان نور وظلمة * وقيل الميم فى المجوس بدل من النون لاستعمالهم النجاسات * صهرت الشحم بالنار أذبته والصهارة الالية المذابة * وقيل ينضج

﴿سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ الآية هذه السورة مكية الا هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر حال الاشقياء والسعداء وذكر الفزع الكبر وهو ما يهول يوم القيامة وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم فنزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما أعد لمنكريها وتنبيههم على البعث بتطورهم في خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر أن قوله يا أيها الناس عام ونبه تعالى على سبب تقائه وهو ما يؤول إليه من أهوال الساعة وهو على حذف مضاف أي اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهي عند النفخة الأولى وأضيفت الى الساعة لأنها من أشراطها [illegible] المصدر مضاف الى الفاعل والمحذوف المفعول وهو الارض ويدل عليه قوله إذا زلزلت الارض زلزالها [illegible]

قال الشاعر * تصهره الشمس ولا ينصهر * المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب * اللؤلؤ الجوهر * وقيل صغاره وكباره * الضامر المهزول * العميق البعيد وأصله البعد سفلا يقال بئر عميق أي بعيدة الغور والفعل عمق وعمق * قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمدبها في السير أشعث شاحب

ويقال غميق بالغين * وقال الليث يقال عميق ومعيق لتميم وأعمقت البئر وأمعقتها وقد عمقت ومعقت عماقة ومعاقة وهي بعيدة العمق والمعق والأمعاق والأعماق أطراف المفازة قال

* وقاتم الأعماق خاوي المخترق * التفث أصله الوسخ والقذر يقال لمن يستقذر ما تفثك * وعن قطرب تفث الرجل كثر وسخه في سفره * وقال أبو محمد البصري التفث من التف وهو وسخ الأظفار وقلبت الفاء ثاء كمغثور * السحيق البعيد * وجب الشيء سقط ووجبت الشمس جبة قال أوس بن حجر

ألم يكسف الشمس شمس النهار * والبدر للجبل الواجب

* القانع السائل قنع قنوعا سأل وقنع قناعة تعفف واستغنى ببلغته * قال الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني * مفاقره أعف من القنوع

* لون من حمر كل تمثال من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها ويطلق على الصليب قال الأعشى

يطوف العفاة بأبوابه * كطوف النصارى ببيت الوثن

[illegible]

[illegible]

في الدنيا وقيل الضمير يعود على الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا وضع هنالك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء بلفظ مرضعة دون مرضع لأنه أريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع وقال الشاعر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بني بطنها هذا الضلال عن القصد

والظاهر أن ما في قوله عما أرضعت بمعنى الذي والعائد محذوف أي أرضعته ويقويه تعدي وتضع الى المفعول به في قوله حملها الا الى المصدر ﴿وترى الناس سكارى﴾ قرئ سكارى وهو جمع سكران كعجلان وعجالى وقرئ سكرى والصحيح أنه جمع حكى سيبويه رجل سكر فيجمع على سكرى كزمن وزمنى أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل وجاء هذا الاستدراك بالاخبار عن عذاب الله أنه شديد لما تقدم ماهو بالنسبة الى العذاب كالحالة الهينة اللينة وهو الذهول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى فكأنه قيل هذه أحوال هينة ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ ليس بهين ولا لين لان لكن لا بد أن تقع بين متنافيين بوجه ما ﴿ومن الناس من يجادل﴾ الآية أي في قدرته وصفاته قيل نزلت في أبي جهل وقيل في النضر وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا يقدر الله على احياء من بلي وصار ترابا والآية عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى ومالا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا برهان ولا نصفة والظاهر أن قوله ﴿كل شيطان مريد﴾ هو من الجن كقوله وان يدعون إلا شيطانا مريدا والظاهر أن الضمير في عليه عائد على من لأنه المحدث عنه وفي أنه وتولاه وفي فانه عائد عليه أيضا والفاعل في تولى ضمير من وكذلك الهاء في يضله قال الزمخشري في أنه من تولاه فانه يضله ويهديه من فتح فلان الاول فاعل كتب يعني به مفعولا لم يسم فاعله قال والثاني عطف عليه انتهى هذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على أنه بقيت انه بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأ وان قدرتها (٣٤٨) موصولة فلا خبر لها حتى تستقل خبرا لانه وان جعلتها شرطية

> وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا

فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على وانه ومثل قول الزمخشري قال ابن عطية وانه في موضع رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه الظاهر أن ذلك من اسناد كتب إلى الجملة إسنادا لفظيا أي كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل * قال الزمخشري أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول انتهى أما الأول وهو على تقدير قيل يعني فيكون عليه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لكتب والجملة من أنه من تولاه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لقيل مقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله وأما الثاني فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لأنه لا تكسر أن بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه فاعرفه * ولما ذكر تعالى من يجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك أحدهما في نفس الانسان وابتداء خلقه وتطوره في مراتب سبع وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا وبلوغ الاشد والتوفي ورد الى أرذل العمر والثاني في الارض التي يشاهدون تنقلها من حال الى حال فاذا اعتبر العاقل بذلك ثبت عنده وعلم أنه واقع لا محالة * العلقة قطعة من الدم الجامد والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء لا نقص ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء أي ملساء ﴿لنبين لكم﴾ بهذا التدرج قدرتنا وأن من قدر على البشر أولا من تراب ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة قدر على اعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة ﴿الى أجل مسمى﴾ وهو وقت الوضع ومالم يشأ اقراره مجته الأرحام وأسقطته ومعنى يخرجكم يخرج كل واحد منكم كقولك الرجال يشبعهم رغيف أي يشبع كل واحد منهم رغيف واللام في ﴿لتبلغوا﴾ يتعلق بمحذوف تقديره يستمر مركم لتبلغوا الاشد تقدم الكلام عليه في يوسف ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أي يستوفي أجله أي بعد الأشد وقبل الهرم وهو أرذل العمر

والظرف لكيلا يتعلق بيردوكى ناصبة بنفسها أى ليصير نساء بحيث اذا اكتسب علما فى شئ لم يلبث أن ينساه ويزل عنه علمه حتى
يسأل عنه من ساعته ﴿وترى الأرض هامدة﴾ هذا هو الدليل الثانى الذى تضمنته والدليل الاول الآية ولما

وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله
هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث
من فى القبور ﴾ هذه السورة مكية إلا هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس
ومجاهد وعن ابن عباس أيضا انهن أربع آيات الى قوله عذاب الحريق * وقال الضحاك
هي مدنية * وقال قتادة الا من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الى عذاب مقيم * وقال
الجمهور منها مكى ومنها مدنى * ومناسبة أول هذه السورة لما قبلها انه ذكر تعالى حال الاشقياء
والسعداء وذكر الفزع الأكبر وهو ما يكون يوم القيامة وكان مشركو مكة قد أنكروا
المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم * نزلت هذه السورة تحذيرا لهم وتخويفا لما
انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدة هولها وذكر ما أعد لمنكرها وتنبيههم على البعث
بتطويرهم فى خلقهم وبهمود الارض واهتزازها بعد بالنبات والظاهر ان قوله يا أيها الناس عام
* وقيل المراد أهل مكة ونبه تعالى على سبب اتقائه وهو ما يؤول اليه من أهوال الساعة وهو على
حذف مضاف أى اتقوا عذاب ربكم والزلزلة الحركة المزعجة وهى عند النفخة الاولى * وقيل
عند الثانية * وقيل عند قول الله يا آدم ابعث بعث النار * وقال الجمهور فى الدنيا آخر الزمن
ويتبعها طلوع الشمس من مغربها * وعن الحسن يوم القيامة * وعن علقمة والشعبى عند طلوع
الشمس من مغربها وأضيفت الى الساعة لأنها من أشراطها والمصدر مضاف للفاعل والمفعول
محذوف وهو الارض يدل عليه اذا زلزلت الارض زلزالها أو الناس ونسبة الزلزلة الى الساعة مجاز
ويجوز أن يضاف الى المفعول به على طريقة الاتساع فى الظرف فتكون الساعة مفعولا بها وعلى
هذه التقادير يكون ثم زلزلة حقيقة * وقال الحسن انه الزلزال يكون مع قيام الساعة * وقيل
الزلزلة استعارة والمراد شدة الساعة وهول يوم القيامة ويبعد هذا القول اطلاقه على المعدوم لأن
الزلزلة لا تقع بعد ومن منع اطلاقه على المعدوم قال جعل الزلزلة شيأ لتيقن وقوعها وصيرورتها الى
الوجود وذكر تعالى أهول الصفات فى قوله ترونها الآية ليتصور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

كان الدليل الأول بعض
مراتب الخلقة فيه غير
مرئى قال ان كنتم فى
ريب من البعث فانا
خلقناكم فلم يحصل فى
جميع رتبه على الرؤية
ولما كان هذا الدليل
الثانى مشاهدا للابصار
أحال على الرؤية فقال
وترى الأرض أى أيها
السامع أو المجادل هامدة
أى يابسة لا نداوة فيها ولا
رطوبة فى شئ منها
[illegible]

[illegible]

الساعة فيكون الذهول والوضع عبارة عن شدة الهول في ذلك اليوم ولا ذهول ولا وضع هنالك كقولهم يوم يشيب فيه الوليد وجاء لفظ مرضعة دون مرضع لانه أريد به الفعل لا النسب بمعنى ذات رضاع * وكما قال الشاعر كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بني بطنها هذا الضلال عن القصد والظاهر ان ما في قوله عما أرضعت بمعنى الذي والعائد محذوف أي أرضعته ويقويه تعدي وضع الى المفعول به في قوله حملها الا الى المصدر * وقيل ما مصدرية أي عن ارضاعها * وقال الزمخشري المرضعة هي التي في حال الارضاع تلقم ثديها الصبي والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به * فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة وخص بعض نحاة الكوفة أم الصبي بمرضعة والمستأجرة بمرضع وهذا باطل بقول الشاعر * كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * البيت فهذه مرضعة بالتاء وليست أما للتي ترضع وقول الكوفيين ان الوصف الذي يختص بالمؤنث لا يحتاج فيه الى التاء لانها انما تجيء بها للفرق مردود بقول العرب مرضعة وحائضة وطالقة * وقرأ الجمهور تذهل كل بفتح التاء والهاء ورفع كل وابن أبي عبلة واليماني بضم التاء وكسر الهاء أي تذهل الزلزلة أو الساعة كل بالنصب والحمل بالفتح ما كان في بطن أو على رأس شجرة * وقرأ الجمهور وترى بالتاء مفتوحة خطاب المفرد وزيد بن علي بضم التاء وكسر الراء أي وترى الزلزلة أو الساعة * وقرأ الزعفراني وعباس في اختياره بضم التاء وفتح الراء ورفع الناس وأنث على تأويل الجماعة * وقرأ أبو هريرة وأبو زرعة بن عمرو بن جرير وأبو نهيك كذلك الا انهم نصبوا الناس عدى ترى الى مفاعيل ثلاثة أحدها الضمير المستكن في ترى وهو ضمير المخاطب مفعول لم يسم فاعله والثاني والثالث الناس سكارى أثبت انهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل * وقرأ الجمهور سكارى فيهما على وزن فعالى وتقدم ذكر الخلاف في فعالى بضم الفاء أهو جمع أو اسم جمع * وقرأ أبو هريرة وأبو نهيك وعيسى بفتح السين فيهما وهو جمع تكسير واحده سكران * وقال أبو حاتم هي لغة تميم * وقرأ الاخوان وابن سعدان ومسعود بن صالح سكرى فيهما وروت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ورواها عمران ابن حصين وأبو سعيد الخدري وهي قراءة عبد الله وأصحابه وحذيفة * وقال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى لأنهما شيئان يدخلان على الانسان ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب * قال أبو علي الفارسي ويصح ان يكون جمع سكر كزمنى وزمن * وقد حكى سيبويه رجل سكر بمعنى سكران فيجيء سكرى حينئذ لتأنيث الجمع * وقرأ الحسن والاعرج وأبو زرعة وابن جبير والاعمش سكرى بضم السين فيهما * قال أبو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا أفتاني أبو علي انتهى * وقال الزمخشري هو غريب * وقال أبو الفضل الرازي فعلى بضم الفاء من صفة الواحد من الاناث لكنها لما جعلت من صفات الناس وهم جماعة أجريت الجماعة بمنزلة المؤنث الموحد * وعن أبي زرعة أيضا سكرى بفتح السين بسكرى بضمها * وعن ابن جبير أيضا سكرى بالفتح من غير ألف بسكارى بالضم والألف * وعن الحسن أيضا سكارى بسكرى وقال أولا ترونها على خطاب الجمع جعلوا جميعا رائين لها ثم قال وترى على خطاب الواحد لان الرؤية معلقة بكون الناس على حال السكر فجعل كل واحد رائيا لسائرهم غشيهم من خوف عذاب الله ما أذهب عقولهم وردهم في حال من يذهب السكر عقله وتمييزه وجاء هذا الاستدراك

 فلان الاول فاعل كتب يعنى به مفعولا لم يسم فاعله

بالاخبار عن عذاب الله انه شديد لما تقدم يعلم بالنسبة الى العذاب كالحالة المتقدمة وهو القول والوضع ورؤية الناس أشباه السكارى وكأنه قيل وهذه أحوال هينة ولكن عذاب الله شديد وليس بهين ولا لين لان لكن لا بد أن تقع بين متنافيين بوجه ما وتقدم الكلام فيها ومن الناس من يجادل فى الله أى فى قدرته وصفاته * قيل نزلت فى أبى جهل * وقيل فى أبى بن خلف والنضر بن الحارث * وقيل فى النضر وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا يقدر الله على إحياء من بلى وصار ترابا والآية عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع الى علم ولا برهان ولا نصفة * والظاهر أن قوله كل شيطان مريد هو من الجن كقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا * وقيل يحتمل أن يكون من الانس كقوله شياطين الانس والجن لما ذكر تعالى أهوال يوم القيامة ذكر من غفل عن الجزاء فى ذلك اليوم وكذب به * وقرأ زيد بن على ويتبع خفيفا والظاهر أن الضمير فى عليه عائد على من لأنه المحدث عنه وفى أنه وتولاه وفى فانه عائد عليه أيضا والفاعل بتولى ضمير من وكذلك الهاء فى يضله ويجوز أن تكون الهاء فى هذا الوجه انه ضمير الشأن والمعنى ان هذا المجادل لكثرة جداله بالباطل واتباعه الشيطان صار اماما فى الضلال لمن يتولاه فشأنه أن يضل من يتولاه * وقيل الضمير فى عليه عائد على كل شيطان مريد قاله قتادة ولم يذكر الزمخشرى غيره وأورد ابن عطية القول الأول احتمالا * وقال ابن عطية ويظهر لى ان الضمير فى انه الأولى للشيطان والثانية لمن الذى هو المتولى * قال الزمخشرى والكتبة عليه مثل أى انما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله * وقرأ الجمهور كتب مبنيا للمفعول * وقرئ كتب مبنيا للفاعل أى كتب الله * وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله فانه بفتحها أيضا والفاء جواب من الشرطية أو الداخلة فى خبر من ان كانت موصولة وفانه على تقدير فشأنه انه يضله أى اضلاله أوفله أن يضله * وقال الزمخشرى فمن فتح فلان الأول فاعل كتب يعنى به مفعولا لم يسم فاعله قال والثانى عطف عليه انتهى وهذا لا يجوز لأنك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأة فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبرا لأنه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها اذ جعلت فانه عطفا على انه ومثل قول الزمخشرى قال ابن عطية قال وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الأولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه * وقرأ الأعمش والجعفى عن أبى عمرو انه فانه بكسر الهمزتين * وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو انه من تولاه فانه يضله بالكسر فيهما انتهى وليس مشهورا عن أبى عمرو والظاهر ان ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا أى كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل * وقال الزمخشرى أو على تقدير قيل أو على المفعول الذى لم يسم فاعله الكتب والجملة من أنه من تولاه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله وأما الثانى فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لأنه لا تكسر ان بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه ومعنى ويهديه ويسوقه وعبر بلفظ الهداية على سبيل التهكم ولما ذكر تعالى من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى الحشر والمعاد ذكر دليلين واضحين على ذلك أحدهما فى نفس الانسان وابتداء خلقه وتطوره فى

قال والثانى عطف عليه (ح) هذا لا يجوز لانك اذا جعلت فانه عطفا على انه بقيت انه بلا استيفاء خبر لان من تولاه من فيه مبتدأة فان قدرتها موصولة فلا خبر لها حتى يستقل خبر الانه وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ان جعلت فانه عطفا على انه ومثل قول (ش) قال (ع) قال وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وهذا خطأ لما بيناه (ح) الظاهر ان ذلك من اسناد كتب الى الجملة اسنادا لفظيا كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتب ان الله يأمر بالعدل (ش) أو عن تقدير قيل أو على ان معنى كتب فيه معنى القول (ح) اما الاول وهو على تقدير قيل فيكون عليه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لكتب والجملة من أنه من تولاه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لقيل المقدرة وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاعل عندهم لا يكون جملة فلا يكون ذلك مفعولا لم يسم فاعله وأما الثانى فلا يجوز أيضا على مذهب البصريين لانه لا تكسر ان بعد ما هو بمعنى القول بل بعد القول صريحه فاعرفه

(الدر)

(ش) الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاشدة والقيود وغير ذلك وكأنها مشدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع

(ح) تقدم الكلام فى الاشد ومقداره من الزمان وأن من الناس من قال انه جمع شدة كانعم جمع نعمة وأما القتود فعن أبى عمرو الشيبانى ان واحده قتد

مراتب سبع وهى التراب والنطفة والعلقة والمضغة والاخراج طفلا وبلوغ الأشد والتوفى أو الرد الى الهرم والثانى فى الأرض التى تشاهدون تنقلها من حال الى حال فاذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده جوازه عقلا فاذا ورد خبر الشرع بوقوعه وجب التصديق به وانه واقع لامحالة * وقرأ الحسن من البعث بفتح العين وهى لغة فيه كالحلب والطرد فى الحلب والطرد والكوفيون اسكان العين عندهم تخفيف يقيسونه فيما وسطه حرف حلق كالنهر والنهر والشعر والشعر والبصريون لا يقيسونه وما ورد من ذلك هو عندهم مما جاء فيه لغتان والمعنى ان ارتبتم فى البعث فزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم من تراب أى أصلكم آدم وسلط الفعل عليهم من حيث هم من ذريته أو باعتبار وسائط التولد لأن المنى ودم الطمث يتولدان من الأغذية والأغذية حيوان ونبات والحيوان يعود الى النبات والنبات من الأرض والماء والنطفة المنى * وقيل نطفة آدم قاله النقاش والعلقة قطعة الدم الجامدة ومعنى وغير مخلقة أى ليست كاملة ولا ملساء فالمضغ متفاوتة لذلك تفاوتوا طولا وقصرا وتماما ونقصانا * وقال مجاهد غير مخلقة هى التى تستسقط وقاله قتادة والشعبى وأبو العالية ولما كان الانسان فيه أعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرة * وقرأ ابن أبى عبلة مخلقة بالنصب وغير بالنصب أيضا نصبا على الحال من النكرة المتقدمة وهو قليل وقاسه سيبويه * قال الزمخشرى ولنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبداه بل هذا أدخل فى القدرة وأهون فى القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الفكر ولا يحيط به الوصف انتهى * ولنبين متعلق بخلقناكم * وقيل لنبين لكم أمر البعث * قال ابن عطية وهو اعتراض بين الكلامين * وقال الكرمانى يعنى رشدكم وضلالكم * وقيل لنبين لكم أن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار ولولاه ما صار بعضه غير مخلق * وقرأ ابن أبى عبلة ليبين لكم ويقر بالياء * وقرأ يعقوب وعاصم فى رواية ونقر بالنصب عطفا على لنبين * وعن عاصم أيضا ثم يخرجكم بنصب الجيم عطفا على ونقر اذا نصب * وعن يعقوب ونقر بفتح النون وضم القاف والراء من قر الماء صبه * وقرأ أبو زيد النحوى ويقر بفتح الياء والراء وكسر القاف وفى الكلام لابن جبارة لنبين ونقر ونخرجكم بالنصب فيهن * المفضل وبالياء فيهما مع النصب أبو حاتم وبالياء والرفع عمر بن شبة انتهى * قال الزمخشرى والقراءة بالرفع اخبار بأنه تعالى يقر فى الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك الى أجل مسمى وهو وقت الوضع وما لم يشأ اقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل والمعنى خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثانى أن نقر فى الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم انتهى * وقرأ يحيى بن وثاب ما نشاء بكسر النون والأجل المسمى مختلف فيه بحسب جنين جنين فساقط وكامل أمره خارج حيا ووحد طفلا لأنه مصدر فى الأصل قاله المبرد والطبرى أو لان الغرض الدلالة على الجنس أو لان معنى يخرجكم كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد * وقال الزمخشرى الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاشدة والقيود وغير ذلك وكأنها شدة فى غير شئ واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع انتهى

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ الآية الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في الآية التي قبلها فعن محمد بن كعب أنها نزلت في الاخنس بن شريق وعن ابن عباس أنها نزلت في أبي جهل * قال ابن عطية وكررهذه على جهة التوبيخ فكأنه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكأن الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو عطف عطفت جملة الكلام على ماقبلها والآية على معنى الاخبار وهي هنا مكررة للتوبيخ انتهى لايتخيل أن الواو في ومن الناس من يجادل واو حال على تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم تتقدر باذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف * قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لكل شيطان مريد ومجادل أيضا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وعابد ربه على حرف والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل [illegible] [illegible] هذا [illegible] على عطفه [illegible] متكبر في جداله قال ابن عباس متكبر وقال [illegible] لاويا عنقه [illegible] معرضا عن [illegible] وجرى في [illegible] من [illegible] الاسر [illegible] وقيل [illegible] [illegible]

وتقدم الكلام في الأشد ومقداره من الزمان وان من الناس من قال انه جمع شدة كأنعم جمع نعمة وأما القيود * فعن أبي عمرو الشيباني ان واحده قيد * ومنكم من يتوفى * وقرئ يتوفى بفتح الياء أي يستوفي أجله والجمهور بالضم أي بعد الأشد وقبل الهرم وهو أرذل العمر والخرف فيصير الى حالة الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل ولا زمان لذلك محدود بل ذلك بحسب مايقع في الناس وقد نرى من علت سنه وقارب المائة أو بلغها في غاية جودة الذهن والادراك مع قوة ونشاط ونرى من هو في سن الاكتهال وقد ضعفت بنيته أوضح تعالى انه قادر على انهائه الى حالة الخرف كما انه كان قادرا على تدريجه الى حالة التمام فكذلك هو قادر على اعادة الاجساد التي درجها في هذه المنازل وانشائها النشأة الثانية * ولكيلا يتعلق بقوله يرد * قال الكلبي لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيأ * وقيل لكيلا يستفيد علما وينسى ما علمه * وقال الزمخشري أي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه * وروي عن أبي عمرو ونافع تسكين الميم لعمر * وترى الأرض هامدة هذا هو دليل ثاني على نصة [illegible] دليل الأول [illegible] كان الدليل الأول بعض مراتب الخلقة [illegible] كنتم في ريب من البعث [illegible] في جميع رتبه على الرؤية [illegible] الدليل الثاني مشاهد [illegible] [illegible] فقال وترى أيها السامع أو المجادل الأرض هامدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خروج [illegible] [illegible] جعفر [illegible] جعفر [illegible] وأبو عمرو [illegible] بالهمز هنا وفي فصلت [illegible] [illegible] ابن عطية ووجهها أن تكون من [illegible] الأرض [illegible] الأرض [illegible] [illegible]

[illegible]

ذلك [illegible] [illegible] [illegible] وهو حقيقته تعالى [illegible] وهو قادر [illegible]

[illegible] قوله [illegible] [illegible] على تقدير [illegible]

* ومن الناس من يجادل [illegible]

[illegible]

([illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن يعبد الله على حرف﴾ نزلت في أعراب من أسلم وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فلا يقرونا ولا يؤونا وقال ابن عطية على حرف أي انحراف منه على العقيدة البيضاء ﴿يدعو من دون الله﴾ نفي هنا الضرر والنفع وأثبتهما في قوله لمن ضره أقرب من نفعه وذلك لاختلاف المتعلق وذلك أن قوله ما لا ينفعه هو الاصنام والاوثان ولذلك أتى التعبير عنها بما التي لا تكون لآحاد من يعقل وفي الثاني بمن التي هي لمن يعقل وعلى هذا فتكون الجملتان من اخبار الله عمن يدعو إلها غير الله وذكروا في إعراب يدعو وجوها ذكرت في البحر والذي نختاره أن مفعول يدعو محذوف تقديره يدعو الاصنام عمن يعقل ثم أخبر عن هذا المدعو بقوله لمن ضره فاللام لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ وضره أقرب من نفعه مبتدأ وخبر صلة لمن ومن خبره والجملة الدالة على الذم (٣٥٤) وهي قوله ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ تقديره هو فهو هذا عائد على من الموصولة المبتدأ والمولى الناصر والعشير المخالط والظاهر أن الضمير في ينصره عائد على من لانه المذكور وحق الضمير أن يعود على المذكور وثم محذوف تقديره اذا كان طالبا للنصر محتاجا إليه ﴿فليمدد﴾ بحبل ﴿الى السماء﴾ المظلة ﴿ثم ليقطع﴾ أي ذلك الحبل وهذا كله كناية عن التحيل في طلب النصر وهو لا يقع الآن أراده الله ﴿هل يذهبن﴾ جمله استفهام في موضع نصب وفلينظر معلق عنها ومعنى قوله كيده أي ما يتحيل وهو فاعل يذهبن وما في قوله ما يغيظ مفعول والمعنى أن غيظه لا يزول باظهار

ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ﴿الظاهر أن المجادل في هذه الآية غير المجادل في الآية قبلها فعن محمد بن كعب أنها نزلت في الاخنس بن شريق * وعن ابن عباس في أبي جهل * وقيل الأولى في المقلدين وهذه في المقلدين والجمهور على أنها والتي قبلها في النضر كررت مبالغة في الذم ولكون كل واحدة اشتملت على زيادة ليست في الأخرى * وقد قيل فيه انه نزلت فيه بضع عشرة آية * وقال ابن عطية وكرر هذه على وجه التوبيخ فكأنه يقول هذه الأمثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والآية على معنى الاخبار وهي ههنا مكررة للتوبيخ انتهى ولا يتخيل أن الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم يسغ أن تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لشيطان مريد ومجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى آخره وعابد ربه على حرف والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة * وانتصب ثاني عطفه على الحال من الضمير المستكن في يجادل * قال ابن عباس متكبرا ومجاهد لاويا عنقه بفتح والضحاك شامخا بأنفه وابن جريج معرضا عن الحق * وقرأ الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي تعطفه وترحمه وليضل متعلق بيجادل * وقرأ مجاهد وأهل مكة وأبو عمرو في رواية ليضل بفتح الياء أي ليضل في نفسه والجمهور بضمها أي ليضل

كيده ﴿وكذلك أنزلناه﴾ أي مثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات أي لا تفاوت في إنزال بعضه ولا إنزال كله والهاء في أنزلناه للقرآن أضمر للدلالة عليه والتقدير والامر أن الله يهدي من يريد أي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته لا خالق للهداية الا هو تعالى

(الدر) (ع) وكرر هذه على جهة التوبيخ فكأنه يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو الحال والآية المتقدمة الواو فيها واو العطف عطفت جملة الكلام على ما قبلها والآية على معنى الاخبار وهي هاهنا مكررة للتوبيخ انتهى (ح) لا يتخيل ان الواو في ومن الناس من يجادل واو حال وعلى تقدير الجملة التي قدرها قبله لو كان مصرحا بها لم تتقدر بإذ فلا تكون للحال وانما هي للعطف قسم المخذولين الى مجادل في الله بغير علم متبع لشيطان مريد ومجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير الى آخره وعابد ربه على حرف والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بغير واحد من هذه الثلاثة

غيره وهو يترتب على اضلاله كثرة العذاب إذ عليه وزر من عمل به ولما كان مآل جداله الى الاضلال كان كأنه علة له وكذلك لما كان معرضا عن الهدى مقبلا على الجدال بالباطل كان كالخارج من الهدى الى الضلال * والخزى فى الدنيا ما لحقه يوم بدر من الأسر والقتل والهزيمة وقد أسر النضر * وقيل يوم بدر بالصفراء * والحريق قيل طبقة من طباق جهنم وقد يكون من اضافة الموصوف الى صفته أى العذاب الحريق أى المحرق كالسميع بمعنى المسمع * وقرأ زيد بن على فأذيقه بهمزة المتكلم ذلك اشارة الى الخزى والاذاقة وجوزوا فى اعراب ذلك هذا ما جوزوا فى اعراب ذلك بأن الله هو الحق وتقدم المراد فى بما قدمت يداك أى باجترامك وبعدل الله فيك اذ عصيته ويحتمل أن يكون وان الله مقتطعا ليس داخلا فى السبب والتقدير والأمر ان الله * قال ابن عطية والعبيد هنا ذكروا فى معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جاءت هذه الصيغة انتهى وهو يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا عليه تفرقته فى أواخر آل عمران فى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وشرحنا هنالك قوله بظلام * من يعبد الله [illegible] فى أعراب من أسلم وغطفان [illegible] عن الاسلام وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فلا يقروننا ولا يؤووننا * وقيل فى أعراب لا يقين لهم يسلم أحدهم فيتفق [illegible] فرسه وولادة [illegible] كرومه [illegible] من الخير فيقول [illegible] جيد أو ينعكس حاله فيتشاءم [illegible] قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة [illegible] وعن ابن عباس فى شيبة بن ربيعة أسلم [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] وقيل فى يهودى أسلم [illegible] رسول الله [illegible] الاسلام لا اقال [illegible] فنزلت ومن الناس [illegible] قال أبو عبيدة على حرف على شك [illegible] وقال أبو عبيدة على حرف [illegible] وقال الزمخشرى على حرف [illegible] كالذى يكون على طرف من العسكر [illegible] وجهه [illegible] وخسر [illegible]

[illegible]

(لغة)

(ع) والعبيد هنا ذكروا فى معنى مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جاءت هذه الصيغة انتهى وهو يفرق بين العبيد والعباد وقد رددنا عليه تفرقته فى أواخر آل عمران فى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وشرحنا هنالك قوله بظلام

نفعه للعابديهم في دار الدنيا فضررهم أعظم وأقرب من نفعهم إذهم في الدنيا مملوكون للكفار
وعابدون لغير الله وفي الآخرة معذبون العذاب الدائم ولهذا كان التعبير هنا بمن التي هي لمن يعقل
وعلى هذا فتكون الجملتان من اخبار الله تعالى عمن يدعو الها غير الله * وقال الزمخشري (فان
قلت) الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه بجهله وضلالته أنه سينتفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره أقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره وما
لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى انتهى فجعل
الزمخشري المدعو في الآيتين الاصنام وأزال التعارض باختلاف القائلين بالجملة الأولى من قول
الله تعالى اخبارا عن حال الاصنام والجملة الثانية من كلام عباد الاصنام يقولون ذلك في الآخرة
وحكى الله عنهم ذلك وانهم أثبتوا ضرا بكونهم عبدوه وأثبتوا نفعا بكونهم اعتقدوه شفيعا فالنافي
هناك غير المثبت هنا فزال التعارض على زعمه والذي أقول ان الصنم ليس له نفع ألبتة حتى يقال
ضره أقرب من نفعه * وأجاب بعضهم عن زعم من زعم ان ظاهر الآيتين يقتضي التعارض بأنها لا
تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر اليها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس
أضاف الاضلال اليهن إذ كانوا سبب الضلال فكذا هنا نفى الضرر عنهم لكونها ليست فاعله ثم
أضافه اليها لكونها سبب الضرر * وقال آخرون هي في الحقيقة لا تضر ولا تنفع بين ذلك في الآية
الأولى ثم أثبت لها الضر والنفع في الثانية على طريق التسليم أي ولو سلمنا كونها ضارة نافعة لكان
ضرها أكثر من نفعها وتكلف المعربون وجوها فقالوا يدعو اما ان يكون لها تعلق بقوله لمن ضره
أولا ان لم يكن لها تعلق فوجوه * أحدها ان يكون توكيدا لفظيا ليدعو الأولى فلا يكون لها معمول
* الثاني ان تكون عاملة في ذلك من قوله ذلك هو الضلال وقدم المفعول الذي هو ذلك وجعل
موصولا بمعنى الذي قاله أبو علي الفارسي وهذا لا يصح الا على قول الكوفيين إذ يجيزون في اسم
الاشارة أن يكون موصولا والبصريون لا يجيزون ذلك الا في ذا بشرط أن يتقدمها الاستفهام بما
أو من * الثالث أن يكون يدعو في موضع الحال وذلك مبتدأ وهو فصل أو مبتدأ وحذف الضمير
من يدعو أي يدعوه وقدره مدعوا وهذا ضعيف لأن يدعوه لا يقدر مدعوا انما يقدر داعيا فلو كان
يدعى مبنيا للمفعول لكان تقديره مدعوا جاريا على القياس وقال بنحوه الزجاج وان كان له تعلق بقوله
لمن ضره فوجوه * أحدها ما قاله الاخفش وهو ان يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ موصول صلته
الجملة بعده وهي ضره أقرب من نفعه وخبر المبتدأ محذوف تقديره اله والهي والجملة في موضع نصب
محكية بيدعو التي هي بمعنى يقول قيل وهو فاسد المعنى لأن الكافر لم يعتقد قط أن الاوثان ضرها
أقرب من نفعها * وقيل في هذا القول يكون لبئس مستأنفا لأنه لا يصح دخوله في الحكاية لأن
الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى * الثاني أن يدعو بمعنى يسمي والمحذوف آخرا هو
المفعول الثاني ليسمي تقديره الها وهذا لا يتم الا بتقدير زيادة اللام أي يدعو من ضره * الثالث ان
يدعو شبه أفعال القلوب لأن الدعاء لا يصدر الا عن اعتقاد والاحسن أن يضمن معنى يزعم و يقدر
لمن ضره خبره والجملة في موضع نصب ليدعو وأشار الى هذا الوجه الفارسي * الرابع ما قاله الفراء وهو ان

اللام دخلت في غير موضعها والتقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه وهذا بعيد لأن ما كان في صلة الموصول لا يتقدم على الموصول * الخامس ان تكون اللام زائدة للتوكيد ومن مفعول يدعو وهو ضعيف لأنه ليس من مواضع زيادة اللام لكن يقويه قراءة عبد الله يدعو من ضره باسقاط اللام وأقرب التوجيهات أن يكون يدعو توكيدا ليدعو الأول واللام في لمن لام الابتداء والخبر الجملة التي هي قسم محذوف وجوابه لبئس المولى والظاهر ان يدعو يراد به النداء والاستغاثة * وقيل معناه يعبد والمولى هنا الناصر والعشير الصاحب المخالط ولما ذكر تعالى حالة من يعبده على حرف وسفه رأيه وتوعده بخسرانه في الآخرة عقبه بذكر حال مخالفيهم من أهل الايمان وما وعدهم به من الوعد الحسن ثم أخذ في توبيخ أولئك الأولين كأنه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونحن انما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا معنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر ولهم دونك الحبل فاختنق يقال ذلك للذي يريد من الأمر ما لا يمكنه فعلى هذا تكون الهاء في ينصره للرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختاره الفراء والزجاج فالمعنى ان لن ينصر الله محمدا في الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول وان لم يجر له ذكر في الآية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وظن ذلك قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يستبطئون ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم فتباطؤا عن الاسلام ولعل من ... في نصره عليه ... من أنه المذكور وحق الضمير أن يعود على المذكور وهو قول مجاهد ونحوه بعض ... هذا القول النصر هنا على الرزق كما تقول أرض منصورة أي ممطورة وقال الشاعر

وإنك لا تعطي امرأ فوق حقه ... ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

أي ممطره * وقد وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله فالمعنى من كان يظن أن لن يرزقه الله ... قوله ... وجهه ... ولا يجعله ...

[illegible]

[illegible] ذكر قبل ان الله يهدى من يريد أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه والمجوس
هم عبدة النار ويقال انهم كان لهم نبي اسمه زرادشت ويجوز أن يحذف منه أل فلا ينصرف كما إذا حذفت أل من اليهود
لا ينصرف أيضا وفي منع صرف مجوس قال الشاعر أجار ترى بريقا هب وقنا * كنار مجوس تستعر استعارا وقال الشاعر
في منع صرف يهود أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم يؤنب ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة ﴿والذين
أشركوا﴾ هم عبدة الأوثان والاصنام وخبر ان قوله ان الله يفصل بينهم وحسن ذلك طول الفصل بين إن وخبرها بالمعاطيف
ويقل أن تقول ان زيدا إن عمرا ضاربه بلا فصل ﴿ولله يسجد﴾ الظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر الله
والانقياد لما يريده تعالى وهذا معنى يشمل من يعقل ومن لا ومن يسجد سجود التكليف ومن لا وعطف على من ما عبد من دون
الله ففي السموات الملائكة عبدتها (١) والشمس عبدتها حمير وعبد القمر كنانة قاله ابن عباس والدبران تميم والشعرى لخم
والثريا طي وعطارد أسد والمرزم ربيعة وفي الارض من عبد من البشر والاصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر وما عبد
من الحيوان والاحسن على أن بين من يعقل وما يعقل قدرا مشتركا وهو الانفعال والطواعية لما يريد الله
تعالى منه ومن مفعول
يهن تقديره أي شخص
والفاء في قوله فما جواب
الشرط ومن مكرم مبتدأ
ومن زائدة خبره له
﴿هذان خصمان﴾ لما
ذكر تعالى أهل السعادة
وأهل الشقاوة ذكر ما دار
بينهم من الخصومة في دينه
فقال هذان خصمان * قال
قيس بن عباد وهلال بن
يساف نزلت في المتبارزين
يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة
ابن الحرث برزوا لعتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد
ابن عتبة وقال ابن عباس
الاشارة الى المؤمنين وأهل الكتاب وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن أقدم دينا منكم فنزلت وخصم مصدر أريد به هنا الفريق
فلذلك جاء اختصموا مراعاة للمعنى اذ تحت كل خصم منهم أفراد ومعنى في ربهم والظاهر أن هذا الاختصام هو في الآخرة ولذلك جاء
بعد قوله اختصموا التقسيم بالفاء الدالة على التعقيب في قوله ﴿فالذين كفروا﴾ ولهذا قال علي كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم
القيامة للخصومة بين يدي الله [illegible] وأقسم [illegible] على هذا ﴿ثياب من نار﴾ كأنه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشمل
عليهم ﴿يصهر به﴾ الآية [illegible] والصهارة الألية المذابة وقيل ينضج وما موصولة مفعوله يصهر ﴿والجلود﴾
معطوف على ما ﴿ولهم مقامع﴾ المقمعة بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب و ﴿من غم﴾ بدل من قوله منها أعيد معه حرف الجر
والظاهر تعليق الاعادة [illegible] محذوف يصح به المعنى أي من أماكنهم المعدة لتعذيبهم ﴿اعيدوا فيها﴾
أي في الاماكن وقيل أعيدوا فيها بضرب الزبانية إياهم بالمقامع ﴿وذوقوا﴾ أي يقال لهم ذوقوا والظاهر أن من في من أساور
﴿ ١ ﴾ بياض بالأصل للتبعيض ومن في من ذهب لابتداء الغاية أي أنشئت من ذهب ﴿وهدوا الى الطيب﴾ هذا إخبار

ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظه * وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع
الوحي أن ينزل عليه وهذا قول ابن زيد * وقيل الضمير في ينصره عائد على الدين والاسلام * قال
ابن عطية وأبين وجوه هذه الآية أن يكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق والسماء
الارتفاع في الهواء سقف أو شجرة أو نحوه فتأمله وما في ما يغيظ بمعنى الذي والعائد محذوف أو
مصدرية * وكذلك أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات أي لا تفاوت في انزال بعضه
ولا انزال كله والهاء في أنزلناه للقرآن أضمر للدلالة عليه كقوله حتى توارت بالحجاب والتقدير
والأمر ان الله يهدي من يريد أي يخلق الهداية في قلب من يريد هدايته لا خالق للهداية الا هو ﴿ ان
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله
فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما
أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ﴾ لما ذكر قبل ان الله يهدي من

يريد أعقب ببيان من يهديه ومن لا يهديه لأن ما قبله يقتضي أن من لا يريد هدايته لا يهديه يدل اثبات الهداية لمن يريد على نفيها عمن لا يريد والذين أشركوا هم عبدة الأوثان والأصنام ومن عبد غير الله * قال الزمخشري ودخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وظاهر هذا انه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية لأن البيت يحتمل أن يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله سربال ملك جملة اعتراضية بين اسم ان وخبرها بخلاف الآية فانه يتعين قوله ان الله يفصل وحسن دخول ان على الجملة الواقعة خبرا طول الفصل بينهما بالمعاطيف والظاهر ان الفصل بينهم يوم القيامة هو بصيرورة المؤمنين الى الجنة والكافرين الى النار وناسب الختم بقوله شهيد الفصل بين الفرق * وقال الزمخشري الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد * وقيل يفصل بينهم يقضي بين المؤمنين والكافرين والظاهر أن السجود هنا عبارة عن طواعية ما ذكر تعالى والانقياد لما يريد الله تعالى وهذا معنى يشمل من يعقل وما لا يعقل ومن يسجد سجود التكليف ومن لا يسجد [illegible] من دون الله في السموات للملائكة كانت تعبدها (١) والشمس [illegible] * كنانة قاله ابن عباس * [illegible] والشعرى [illegible] وفي الأرض من عبد من البشر [illegible] الحجر [illegible] من الحيوان * وقرأ الزهري [illegible]

[illegible]

الى الجنة * والظاهر أن الحميد وصف لله تعالى وناسب هذا الوصف لكثرة ما يحمده أهل الجنة

(الدر)

(ش) وأدخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

(ح) ظاهر هذا أنه شبه البيت بالآية وكذلك قرنه الزجاج بالآية ولا يتعين أن يكون البيت كالآية لأن البيت يحتمل أن يكون خبر ان الخليفة قوله به ترجى الخواتيم ويكون ان الله سربله [illegible]

[illegible]

الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * ولما ذكر تعالى أهل
السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في دينه فقال هذان قال قيس بن عباد وهلال
ابن يساف نزلت في المتبارزين يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث برزوا والعتبة وشيبة ابني
ربيعة والوليد بن عتبة * وعن علي أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى وأقسم
أبو ذر على هذا ووقع في صحيح البخاري ان الآية فيهم * وقال ابن عباس الاشارة الى المؤمنين وأهل
الكتاب وقع بينهم تخاصم قالت اليهود نحن أقدم دينا منكم فنزلت * وقال مجاهد وعطاء بن أبي
رباح والحسن وعاصم والكلبي الاشارة الى المؤمنين والكفار على العموم وخصم مصدر وأريد
به هنا الفريق فلذلك جاء اختصموا مراعاة للمعنى اذ تحت كل خصم أفراد وفي رواية عن الكسائي
خصمان بكسر الخاء ومعنى في ربهم في دين ربهم * وقرأ ابن أبي عبلة اختصما راعى لفظ التثنية
ثم ذكر تعالى ما أعد للكفار * وقرأ الزعفراني في اختياره قطعت بتخفيف الطاء كأنه تعالى
يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة والظاهر ان هذا المقطع لهم
يكون من النار * وقال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس شيء اذا حمي أشد حرارة منه
فالتقدير من نحاس محمي بالنار * وقيل الثياب من النار استعارة عن احاطة النار بهم كما يحيط
الثوب بلابسه * وقال وهب يكسى أهل النار والعري خير لهم ويحيون والموت خير لهم ولما ذكر
ما يصب على رؤسهم اذ يظهر في المعروف ان الثوب انما يغطى به الجسد دون الرأس فذكر ما يصيب
الرأس من العذاب * وعن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا لاذابتها
ولما ذكر ما يعذب به الجسد ظاهره وما يصب على الرأس ذكر ما يصل الى باطن المعذب وهو الحميم
الذي يذيب ما في البطن من الحشا ويصل ذلك الذوب الى الظاهر وهو الجلد فيؤثر في الظاهر
تأثيره في الباطن كما قال تعالى فقطع أمعاءهم * وقرأ الحسن وفرقة يصهر بفتح الصاد وتشديد
الهاء وفي الحديث ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلب
ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والظاهر عطف والجلود على ما من
قوله يصهر به ما في بطونهم وان الجلود تذاب كما تذاب الاحشاء * وقيل التقدير وتحرق
الجلود لأن الجلود لا تذاب انما تجتمع على النار وتنكمش وهذا كقوله
* علفتها تبنا وماء باردا * أي وسقيتها ماء والظاهر ان الضمير في ولهم عائد على الكفار واللام
للاستحقاق * وقيل بمعنى على أي وعليهم كقوله ولهم اللعنة أي وعليهم * وقيل الضمير يعود على
ما يفسره المعنى وهو الزبانية * وقال قوم منهم الضحاك المقامع المطارق * وقيل سياط من نار
وفي الحديث لو وضع مقمع منها في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض * ومن غم بدل
من منها بدل اشتمال أعيد معه الجار وحذف الضمير لفهم المعنى أي من غمها ويحتمل ان تكون من
للسبب أي لأجل الغم الذي يلحقهم والظاهر تعليق الاعادة على الارادة للخروج فلا بد من محذوف
يصح به المعنى أي من أماكنهم المعدة لتعذيبهم أعيدوا فيها أي في تلك الأماكن * وقيل أعيدوا فيها
بضرب الزبانية اياهم بالمقامع وذوقوا أي ويقال لهم ذوقوا ولما ذكر تعالى ما أعد لأحد الخصمين من
العذاب ذكر ما أعد من الثواب للخصم الآخر * وقرأ الجمهور يحلون بضم الياء وفتح الحاء
وتشديد اللام * وقرئ بضم الياء والتخفيف وهو بمعنى المشدد * وقرأ ابن عباس يحلون بفتح
الياء واللام وسكون الحاء من قولهم حلي الرجل وحليت المرأة اذا صارت ذات حلي والمرأة ذات

﴿ إن الذين كفروا ويصدون ﴾ الآية المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن (٣٦١) وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام والظاهر أنه نفس المسجد وقيل الحرم كله ومن صد عن الوصول إليه فقد صد عنه وقرئ سواء بالنصب مفعول ثان لجعلنا فارتفع به العاكف وسواء أصله مصدر بمعنى مستو فعلى هذا يكون العاكف مبتدأ وفيه متعلق بالعاكف وسواء خبر والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا وخبر إن محذوف يدل عليه جزاء الشرط تقديره يجزون على كفرهم وصدهم بالعذاب الأليم ومفعول يرد [illegible] [illegible] [illegible] والأحسن [illegible] [illegible] من معنى يرد [illegible]

حلي والمرأة حال * وقال أبو الفضل الرازي يجوز ان يكون من حلي بعيني يحلى اذا استحسنته قال فتكون من زائدة فيكون المعنى يستحسنون فيها الاساورة الملبوسة انتهى وهذا ليس بجيد لأنه جعل حلي فعلا متعديا ولذلك حكم بزيادة من في الواجب وليس مذهب البصريين وينبغي على هذا التقدير أن لا يجوز لأنه لا يحفظ لازما فان كان بهذا المعنى كانت من للسبب أي بلباس أساور الذهب يحلون بعين من رآهم أي يحلى بعضهم بعين بعض * قال أبو الفضل الرازي ويجوز ان تكون من حليت به اذا ظفرت به فيكون المعنى يحلون فيها بأساور فتكون من بدلا من الباء والحلية من ذلك فاما اذا أخذته من حليت به فانه من الحلية وهو من الياء وان أخذته من حلي بعيني فانه من الحلاوة من الواو انتهى ومن معنى الظفر قولهم لم يحل فلان بطائل أي لم يظفر والظاهران من في من أساور للتبعيض وفي من ذهب لابتداء الغاية أي أنشئت من ذهب * وقال ابن عطية من في من أساور لبيان الجنس ويحتمل ان تكون للتبعيض وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في الكهف * وقرأ ابن عباس من أسور بفتح الراء من غير ألف ولا هاء وكان قياسه ان يصرفه لأنه نقص بناؤه فصار كجندل لكنه قدر المحذوف موجودا فمنعه الصرف * وقرأ عاصم ونافع والحسن والجحدري والاعرج وأبو جعفر وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب ولؤلؤا هنا وفي فاطر بالنصب وحمله أبو الفتح على اضمار فعل وقدره الزمخشري ويؤتون لؤلؤا ومن جعل من في من أساور زائدة جاز ان يعطف ولؤلؤا على موضع أساور * وقيل يعطف على موضع من أساور لأنه تقدير ويحلون حليا من أساور * وقرأ باقي السبعة والحسن أيضا وطلحة وابن وثاب والأعمش وأهل مكة ولؤلؤ بالخفض عطفا على أساور أو على ذهب لأن السوار يكون من ذهب ولؤلؤ يجمع بعضه إلى بعض * قال الجحدري الألف ثابتة بعد الواو في الامام * وقال الأصمعي ليس فيها ألف وروى يحيى عن أبي بكر همز الآخرة وابدال الأولى * وروى المعلى بن منصور عنه ضد ذلك * وقرأ الفياض ولوليا قلب الهمزتين واوا صارت الثانية ياء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

* وقرأ ابن عباس وليليا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

 [illegible]

[illegible]

[illegible] والركع السجود ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ أي ناد وروي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم ﴿يأتوك﴾ جواب الامر والكاف في يأتوك خطاب لابراهيم صلى الله عليه وسلم جعل اتيان البيت إتيانا له صلى الله عليه وسلم لانه المعلم باتيان الناس ﴿ورجالا﴾ جمع راجل وهو الماشي على قدميه ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي وركبانا على كل ضامر وهي الابل التي ضمرت أحشاؤها من طول السير والضمير في ﴿تأتين﴾ عائد على كل ضامر ﴿العميق﴾ البعيد وأصله البعد سفلا يقال بئر عميق أي بعيدة الغور والفعل عمق وعمق قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها في السير أشعث شاحب

﴿ليشهدوا﴾ متعلق بيأتوك ونكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات ﴿ويذكروا اسم الله﴾ كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه عليه * والايام المعلومات أيام العشر قاله ابن عباس وجماعة * وبهيمة الانعام تقدم الكلام عليها في المائدة ﴿فكلوا منها﴾ الظاهر وجوب الاكل والاطعام وقيل باستحبابهما وقيل باستحباب الاكل ووجوب الاطعام والبائس الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿والتفث﴾ ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعثه ونحوه من اقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث والنذور هنا ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم ﴿وليطوفوا﴾ هذا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج وبه تمام التحلل * والعتيق القديم كما قال تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة وقال الشاعر اذا دقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما يجيء به التجر يعني معتقة أي قديمة ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾ ذلك اشارة الى الطواف وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره تمام الحج والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمة وضمير فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظم خير له عند ربه أي قربة ممن يزداد في طاعته يثيبه عليها والظاهر عمومه في جميع التكاليف والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل ﴿وأحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ دفعا لما كانت العرب تعتاده من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ ما نص في كتابه على تحريمه والمعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر أن تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وجمعا في قران واحد لان الشرك من أعظم الزور لان المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا

وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار ومنه ويصدون عن سبيل الله كقوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله * وقيل هو مضارع أريد به الماضي عطفا على كفروا * وقيل هو على اضمار مبتدأ أي وهم يصدون وخبر ان محذوف قدره ابن عطية بعد والباد خسروا أو هلكوا وقدره الزمخشري بعد قوله الحرام نذيقهم من عذاب أليم ولا يصح تقديره بعده لان الذي صفة المسجد الحرام فموضع التقدير هو بعد والباد لكن مقدر الزمخشري أحسن من مقدر ابن عطية لانه يدل عليه الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ وابن عطية لحظ من جهة المعنى لان من أذيق العذاب خسر وهلك * وقيل الواو في ويصدون زائدة وهو خبر ان تقديره ان الذين كفروا يصدون * قال ابن عطية وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى ولا يجيز البصريون زيادة الواو وانما هو قول كوفي مرغوب عنه وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك بجمع الا أن يراد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والظاهر انه نفس المسجد ومن صد عن الوصول اليه فقد صد عنه * وقيل الحرم كله لانهم صدوه وأهله عليه السلام فنزلوا خارجا عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصود من الحرم * وقرأ الجمهور سواء بالرفع على أن الجملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني والأحسن أن يكون العاكف والبادي هو المبتدأ وسواء

الخبر وقد أجيز العكس * وقال ابن عطية والمعنى الذى جعلناه للناس قبلة أو متعبدا انتهى ولا يحتاج الى هذا التقدير الا ان كان أراد تفسير المعنى لا الاعراب فيسوغ لان الجملة فى موضع المفعول الثانى فلا يحتاج الى هذا التقدير * وقرأ حفص والاعمش سواء بالنصب وارتفع به العاكف لانه مصدر فى معنى مستو اسم الفاعل ومن كلامهم مررت برجل سواء هو والعدم فان كانت جعل تتعدى الى اثنين فسواء الثانى أو الى واحد فسواء حال من الهاء * وقرأت فرقة منهم الاعمش فى رواية القطعى سواء بالنصب العاكف فيه بالجر * قال ابن عطية عطفا على الناس انتهى وكأنه يريد عطف البيان والاولى أن يكون بدل تفصيل * وقرئ والبادى وصلا ووقفا وبتركها فيهما وباثباتها وصلا وحذفها وقفا والعاكف المقيم فيه والبادى الطارئ عليه وأجمعوا على الاستواء فى نفس المسجد الحرام واختلفوا فى مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة الى أن الامر كذلك فى دور مكة وان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى وقال به الثورى وكذلك كان الامر فى الصدر الاول [illegible] وكانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فأنكر عليه عمر وقال أتغلق بابا فى وجه حاج بيت الله فقال انما أردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب [illegible] خلاف [illegible] فى فتح مكة أكان عنوة أو صلحا وهى مسألة [illegible] ومفعول يرد [illegible]

[illegible]

رأس الزور ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ كله ومن فى من الأوثان لبيان الجنس وتقدر بالموصول عندهم أى الرجس الذى هو الأوثان ﴿ومن يشرك بالله﴾ شبه المشرك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطاوح البعيدة

([illegible])

[illegible] الذين كفروا ويصدون [illegible] الآية [illegible] خبر ان محذوف [illegible]

[illegible]

وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول و بوأنا ليس فيه معنى القول والاولى عندى أن تكون أن الناصبة للمضارع اذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهى كالامر * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله * وقرأ عكرمة وأبو نهيك أن لايشرك بالياء على معنى أن يقول معنى القول الذى قيل له * قال أبو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى أن لاتشرك والقائمون هم المصلون ذكر من أركانها أعظمها وهو القيام والركوع والسجود * وقرأ الجمهور وأذن بالتشديد أى ناد * روى انه صعد أباقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وتقدم قول من قال انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن قال أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع * وقرأ الحسن وابن محيصن وآذن بمدة وتخفيف الذال * قال ابن عطية وتصحف هذا على ابن جنى فانه حكى عنهما وأذن على فعل ماض وأعرب على ذلك بأن جعله عطفا على بوأنا انتهى وليس بتصحيف بل قد حكى أبو عبد الله الحسين بن خالويه فى شواذ القرا آت من جمعه وصاحب اللوامح أبو الفضل الرازى ذلك عن الحسن وابن محيصن * قال صاحب اللوامح وهو عطف على و إذ بوأنا فيصير فى الكلام تقديم وتأخير و يصير يأتوك جزما على جواب الأمر الذى هو وطهر انتهى * وقرأ ابن أبى اسحق بالحج بكسر الحاء حيث وقع والجمهور بفتحها * وقرأ الجمهور رجالا وابن أبى اسحق بضم الراء والتخفيف وروى كذلك عن عكرمة والحسن وأبى مجلز وهو اسم جمع كظؤار وروى عنهم وعن ابن عباس ومجاهد وجعفر بن محمد بضم الراء وتشديد الجيم * وعن عكرمة أيضا رجالى على وزن النعامى بألف التأنيث المقصورة وكذلك مع تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابن حدير ورجال جمع راجل كتاجر وتجار * وقرأ الجمهور يأتين فالظاهر عود الضمير على كل ضامر لأن الغالب أن البلاد الشاسعة لايتوصل منها الى مكة بالركوب وقد يجوز أن يكون الضمير يشمل رجالا وكل ضامر على معنى الجماعات والرفاق * وقرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبى عبلة يأتون غلب العقلاء الذكور فى البداءة برجال تفضيلا للمشاة الى الحج * وعن ابن عباس ما آسى على شئ فاتنى أن لاأكون حججت ماشيا والاستدلال بقوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر على سقوط فرض الحج على من يركب البحر ولا طريق له سواه لكونه لم يذكر فى هذه الآية ضعيف لأن مكة ليست على بحر و إنما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين مشى أو ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به اليها * وقرأ ابن مسعود فج معيق * قال ابن عباس وغيره من المنافع التجارة * وقال الباقر الأجر * وقال مجاهد وعطاء كلاهما واختاره ابن العربى * قال الزمخشرى ونكر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لاتوجد فى غيرها من العبادات * وعن أبى حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لاينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلى فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله عليه وقوله على ما رزقهم ولو قال لينحروا فى أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيأ من ذلك الحسن والروعة انتهى واستدل من قال ان المقصود بذكر اسم الله هو على الذبح والنحر على أن الذبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله فى

أيام وهو مذهب مالك وأصحاب الرأي * وقيل الذكر هنا حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق
ويؤيده قوله عليه السلام إنها أيام أكل وشرب وذكر اسم الله والأيام المعلومات أيام العشر قاله
ابن عباس والحسن وإبراهيم وقتادة وأبو حنيفة والمعدودات أيام التشريق الثلاثة * وقالت فرقة
منهم مالك وأصحابه المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق الثلاثة فيوم النحر
معلوم لا معدود واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود لا معلوم ويوم النحر ويومان
بعده هي أيام النحر عند علي وابن عباس وابن عمر وأنس وأبي هريرة وسعيد بن جبير وسعيد بن
المسيب وأبي حنيفة والثوري وعند الحسن وعطاء والشافعي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وعند النخعي
النحر يومان وعند ابن سيرين النحر يوم واحد وعن أبي سلمة وسليمان بن يسار الأضحى إلى هلال
المحرم * وقال ابن عطية ويظهر أن تكون المعلومات والمعدودات بمعنى أن تلك الأيام الفاضلة
كلها ويبقى أمر الذبح وأمر الاستعجال لا يتعلق بمعدود ولا معلوم ويكون فائدة قوله معلومات
ومعدودات التحريض على هذه الأيام وعلى اغتنام فضلها أي ليست كغيرها فكأنه قال هي
مخصوصات فلتغتنم انتهى والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل
والبقر والضأن والمعز وتقدم الخلاف في مدلول بهيمة الأنعام في أول المائدة والظاهر وجوب الأكل
والإطعام * وقيل باستحبابهما * وقيل باستحباب الأكل ووجوب الإطعام * والبائس الذي أصابه
بؤس أي شدة * والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه من إقامة
خمس الفطرة حسب الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه إذ لا يقضى التفث إلا بعد
ذلك * وقال ابن عمر التفث ما عليهم من الحج وعنه المناسك كلها والمنذورة ما ينذرونه من أعمال
البر في حجهم * وقيل أمروا بالخروج عما وجب عليهم نذروا أو لم ينذروا * وقرأ شعبة عن
عاصم وليوفوا مشددا والجمهور مخففا وليطوفوا هو طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو
من أركان الحج وبه تمام التحلل * وقيل هو طواف الصدر وهو طواف الوداع * وقال الطبري
لا خلاف بين المتأولين أنه طواف الإفاضة * قال ابن عطية ويحتمل بحسب الترتيب أن يكون
طواف الوداع انتهى * والعتيق القديم قاله الحسن وابن زيد أو المعتق من الجبابرة قاله ابن الزبير
وابن أبي نجيح وقتادة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله * قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج فأشار الأحبار
عليه أن يكف عنه ويعظمه ففعل وكساه وهو أول من كساه * وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه
وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه
[illegible] أو المعتق من الغرق قاله مجاهد [illegible] ابن جبير أو حسن من
قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير أو الذي يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب * قال ابن عطية وهذا
يرده التصريف انتهى ولا يرده التصريف لأنه فسره تفسير معنى وأما من حيث الإعراب فلأن
العتيق فعيل بمعنى مفعل أي معتق رقاب المذنبين ونسب الإعتاق إليه مجازا [illegible]
يحصل الإعتاق وينشأ عن كونه معتقا أن يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(الدر)

(ح) في تفسير العتيق هنا أقوال منها أنه يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب
(ع) وهذا يرده التصريف
(ح) ولا يرده التصريف لأنه فسره تفسير معنى وأما من حيث الإعراب فلأن العتيق فعيل بمعنى مفعل أي معتق رقاب المذنبين ونسب الإعتاق إليه مجاز لأنه بزيارته والطواف به يحصل الإعتاق وينشأ عن كونه معتقا أن يقال فيه يعتق فيه رقاب المذنبين

هذا وليس كن يعيا بخطبته * وسط الندى اذا مانا طق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال هذا خلقه وليس كن يعيا بخطبته والحرمات مالا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه والظاهر عمومه في جميع التكاليف ويحتمل الخصوص بما يتعلق بالحج وقاله الكلبي قال ما أمر به من المناسك وعن ابن عباس هي جميع المناهي في الحج فسوق وجدال و جماع وصيد وعن ابن زيد هي خمس المشعر الحرام والمسجد الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل * وضمير فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظيم خير له عند ربه أي قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل * وأحلت لكم بهيمة الأنعام دفعا لما كانت عليه من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ويعني بقوله الامايتلى عليكم مانص في كتابه على تحريمه والمعنى مايتلى عليكم آية تحريمه ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر ان تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وجمعا في قران واحد لأن الشرك من باب الزور لان المشرك يزعم ان الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ومن في من الأوثان لبيان الجنس ويقدر بالموصول عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان ومن أنكر أن تكون من لبيان الجنس جعل من لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم ادعبادة الوثن جامعه لكل فساد ورجس وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الارجاس من موضع غيرهذا * قال ابن عطية ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده انتهى وقد يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روى ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لان المحرم من الاوثان انما هو العبادة ألا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكأن للوثن جهات منها عبادتها وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها ولما كان قول الزور معادلا للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناء باجتنابه وفي الحديث عدلت شهادة الزور بالشرك ولما أمر باجتناب عبادة الاوثان وقول الزور ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله الآية * قال الزمخشري يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى * وقرأ نافع وتخطفه بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء * وقرأ الحسن وأبو رجاء والاعمش بكسر التاء والخاء والطاء مشددة وعن الحسن كذلك الا انه فتح الطاء مشددة * وقرأ الاعمش أيضا تخطفه بغير فاء واسكان الخاء وفتح الطاء مخففة * وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء الرياح ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى

أولى المائدة وأما هنا فقال ابن عباس وجماعة هي البدن الهدايا وتعظيمها تسمينها والاهتبال بها والمغالاة فيها والضمير في فانها عائد على الشعائر على حذف مضاف أي فان تعظيمها * وأضاف التقوى الى القلوب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره قال الزمخشري فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع الى الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى الذي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء انتهى وما

(الدر)

(ع) ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده (ح) قد يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الاوثان وقد روى ذلك عن ابن عباس وابن جريج فكأنه قال فاجتنبوا من الاوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الاوثان انما هو العبادة ألا ترى انه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع فكأن للوثن جهات منها عبادتها وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها

قدّره هل من راجع الى الجزاء الى من ألا ترى أن قوله فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى أداته من واصلاح ماقاله أن يكون التقدير فان تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا الى من فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه * والضمير فى فيها عائد على البدن والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها ﴿ الى أجل مسمى ﴾ وهو أن يسمها ويوجبها هديا فليس له شئ من منافعها قاله ابن عباس ﴿ ثم محلها ﴾ وثم للتراخى فى الوقت فاستعيرت للتراخى فى الأفعال ثم محلها ﴿ الى البيت العتيق ﴾ أى وجوب نحرها أووقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت ﴿ منسكا ﴾ قال الفراء عيدا ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وأن يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم رجع الى الحاضرين فقال ﴿ والهكم إله (٣٦٧) واحد فله أسلموا ﴾ أى انقادوا وكما أن الاله واحد يجب

أن يخلص له فى الذبيحة ولا يشرك فيها بغيره وتقدم شرح الاخبات ... [illegible]

القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ [illegible]

فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هى البدن الهدايا وتعظيمها [illegible]

* وقال زيد بن أسلم الشعائر ست الصفا والمروة والبدن والجمار والمشعر الحرام وعرفة والركن وتعظيمها اتمام ما يفعل فيها * وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد مواضع الحج كلها ومعالمه منى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك [illegible]

[illegible]

فيها * ونصب البدن على الاشتغال أى وجعلنا [illegible]

[illegible]

بلحومها و بجلالها و يعتقد أن طاعة الله فى التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لابد أن يقام به و يسارع فيه وذكر القلوب لان المنافق يظهر التقوى وقلبه خال عنها فلا يكون مجدا فى اداء الطاعات والمخلص التقوى بالله فى قلبه فيبالغ فى ادائها على سبيل الاخلاص * وقال الزمخشرى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الاعضاء انتهى وماقدره عار من راجع الى الجزاء الى من ألا ترى ان قوله فان تعظيمها من أفعال القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى اداته من واصلاح ماقاله أن يكون التقدير فأى تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا على من فيرتبط الجزاء بالشرط * وقرئ القلوب بالرفع على الفاعلية بالمصدر الذى هو تقوى والضمير فى فيها عائد على البدن على قول الجمهور والمنافع درها ونسلها وصوفها وركوب ظهرها الى أجل مسمى وهو أن يسميها و يوجبها هديا فليس له شئ من منافعها * قاله ابن عباس فى رواية مقسم ومجاهد وقتادة والضحاك * وقال عطاء منافع الهدايا بعد ايجابها وتسميتها هديا بأن تركب و يشرب لبنها عند الحاجة الى أجل مسمى أى الى أن تنحر * وقيل الى أن تشعر فلا تركب الا عند الضرورة * وروى أبو رزين عن ابن عباس الاجل المسمى الخروج من مكة * وعن ابن عباس الى أجل مسمى أى الى الخروج والانتقال من هذه الشعائر الى غيرها * وقيل الاجل يوم القيامة * وقال الزمخشرى الى أن تنحر و يتصدق بلحومها و يؤكل منها وثم للتراخى فى الوقت فاستعير للتراخى فى الافعال والمعنى ان لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا فى النفع محلها الى البيت أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده * وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه انتهى * وقال القفال الهدى المتطوع به اذا عطب قبل بلوغ مكة فان محله موضعه فاذا بلغ منى فهى محله وكل فجاج مكة * وقال ابن عطية وتكرر ثم لترتيب الجمل لأن المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هاتين الفريقين يعنى من قال بقول مجاهد ومن وافقه ومن قال بقول عطاء ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى وغيره والاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة وقوله ثم محلها مأخوذ من احلال المحرم معناه ثم آخر هذا كله الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه قاله مالك فى الموطأ انتهى والمنسك مفعل من نسك واحتمل أن يكون موضعا للنسك أى مكان نسك واحتمل أن يكون مصدرا واحتمل أن يراد به مكان العبادة مطلقا أو العبادة واحتمل أن يراد مكان نسك خاص أو نسكا خاصا وهو موضع ذبح أو ذبح وحمله الزمخشرى على الذبح يقال شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على المناسك انتهى وقياس بناء مفعل مما مضارعه يفعل بضم العين مفعل بفتحها فى المصدر والزمان والمكان وبالفتح قرأ الجمهور * وقرأ بكسرها الاخوان وابن سعدان وأبو حاتم عن أبى عمرو و يونس ومحبوب وعبد الوارث الا القصبى عنه * قال ابن عطية والكسر فى هذا من الشاذ ولا يسوغ فيه القياس ويشبه أن يكون الكسائى

(الدر)

(ش) فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الأعضاء (ح) وماقدره عار من راجع من الجزاء الى من ألا ترى ان قوله فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ليس فى شئ منه ضمير يعود الى من يربط جملة الجزاء بجملة الشرط الذى أداته من واصلاح ماقاله أن يكون التقدير فان تعظيمها منه فيكون الضمير فى منه عائدا على من فيرتبط الجزاء بالشرط فاعرفه

سمعه من العرب * وقال الأزهري منسك ومنسك لغتان * وقال مجاهد المنسك الذبح وإراقة الدماء
يقال نسك اذا ذبح والذبيحة نسيكة وجمعها نسك * وقال الفراء المنسك في كلام العرب المعتاد في خير
وبر * وقال ابن عرفة منسكا أي مذهبا من طاعة الله يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم * وقال
الفراء منسكا عيدا وقال قتادة حجا * ليذكروا اسم الله معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان
يكون الذبح له لأنه رازق ذلك ثم رجع الى الحاضرين فقال فالهكم اله واحد فله أسلموا أي انقادوا
وكما أن الاله واحد يجب أن يخلص له في الذبيحة ولا يشرك فيها لغيره وتقدم شرح الاخبات * وقال
عمرو بن أوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الجمهور والمقيمي الصلاة
بالخفض على الاضافة وحذفت النون لأجلها * وقرأ ابن أبي اسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية
الصلاة بالنصب وحذفت النون لأجلها * وقرأ ابن مسعود والاعمش والمقيمين بالنون الصلاة
بالنصب * وقرأ الضحاك والمقيم الصلاة وناسب تبشير من تصف بالاخبات هنا لأن أفعال الحج من
نزع الثياب والتجرد من المخيط وكشف الرأس والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة والتلبس
بأفعال شاقة لا يعلم معناها الا الله تعالى مؤذن بالاستسلام المحض والتواضع المفرط حيث يخرج
الانسان عن مألوفه الى أفعال غريبة ولذلك وصفهم بالاخبات وبالوجل اذا ذكر الله تعالى والصبر
على ما أصابهم من المشاق واقامة الصلاة في مواضع لا يقيمها الا المؤمنون المصطفون والانفاق مما
رزقهم ومنها الهدايا التي يغالون فيها * وقرأ الجمهور والبدن بسكان الدال * وقرأ الحسن وابن أبي
اسحاق وشيبة وعيسى بضمها وهي الأصل وروت عن أبي جعفر ونافع * وقرأ ابن أبي اسحاق
أيضا بضم الباء والدال وتشديد النون فاحتمل أن يكون اسما مفردا بني على فعل كعتل واحتمل أن
يكون التشديد من التضعيف الجاري في الوقف وأجرى الوصل مجرى الوقف والجمهور على نصب
والبدن على الاشتغال أي وجعلنا البدن * وقرئ بالرفع على الابتداء ولكم أي لأجلكم ومن شعائر
في موضع المفعول الثاني ومعنى من شعائر الله من أعلام الشريعة التي شرعها الله وأضافها الى اسمه
تعالى تعظيما لها * لكم فيها خير * قال ابن عباس نفع في الدنيا وأجر في الآخرة * وقال السدي أجر * وقال
النخعي من احتاج الى ظهرها ركب والى لبنها شرب * عليها صواف أي على نحرها * قال مجاهد معقولة
* وقال ابن عمر قد صفت أيديها بالقيود * وقال ابن عيسى مصطفة * وذكر اسم الله أن يقول عند
النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك ولك * وقرأ أبو موسى الأشعري والحسن ومجاهد
وزيد بن أسلم وشقيق وسليمان التيمي والأعرج صوافي جمع صافية ونون الياء عمرو بن عبيد *
قال الزمخشري التنوين عوض من حرف الاطلاق عند الوقف انتهى والأولى أن يكون على لغة من صرف
ما لا ينصرف ولا سيما الجمع المتناهي ولذلك قال بعضهم والصرف في الجمع أتى كثيرا حتى ادعى قوم به
التخيير أي خوالص لوجه الله تعالى لا يشرك فيها بشيء كما كانت الجاهلية تشرك * وقرأ الحسن
أيضا صواف مثل عوار وهو على قول من [illegible] وقولهم أعط القوس
باريها * وقرأ عبد الله وابن عمرو وابن عباس [illegible] وقتادة ومجاهد وعطاء [illegible] والكلبي
والأعمش بخلاف عنه صوافن [illegible] على طرف رجل بعد تمكن
الثلاث قوائم وأكثر ما يستعمل في الخيل * وجبت جنوبها [illegible] سقطت على الأرض عند
نحرها * قال محمد بن كعب ومجاهد وابراهيم والحسن والكلبي القانع السائل والمعتر المعترض من
غير سؤال وعكست فرقة هذا * وحكى الطبري عن ابن عباس القانع المستغني بما أعطيه والمعتر

المعترض من غير سؤال وحكى عنه القانع المتعفف والمعتر السائل وعن مجاهد القانع الجار وان كان غنيا * وقال قتادة القانع من القناعة والمعتر المعترض للسؤال * وقيل المعتر الصديق الزائر * وقرأ أبو رجاء القنع بغير ألف أي القانع بحذف الالف كالحذر والحاذر * وقرأ الحسن والمعترى اسم فاعل من اعترى * وقرأ عمرو واسماعيل والمعتر بكسر الراء دون ياء هذا نقل ابن خالويه * وقال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح أبو رجاء بخلاف عنه وابن عبيد والمعترى على مفتعل * وعن ابن عباس برواية المقرى والمعتر أراد المعترى لكنه حذف الياء تخفيفا واستغناء بالكسرة عنها وجاء كذلك عن أبي رجاء * قال ابن مسعود الهدى اثلاث * وقال جعفر بن محمد أطعم القانع والمعتر ثلثا والبائس الفقير ثلثا وأهلي ثلثا * وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدى منه الا الربع وهذا كله على جهة الاستحباب لا الفرض قاله ابن عطية * كذلك سخرها لكم أي مثل ذلك التسخير سخرناها لكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها فتطعنون في لباتها منّ علیهم تعالى بذلك ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة * وقال ابن عطية كما أمرنا كم فيها بهذا كله سخرنا لكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها * قال مجاهد أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح الكعبة حواليها بالدم تقربا الى الله فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس قريب منه والمعنى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتياط بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم قاله الزمخشري وهو تكثير في اللفظ * وقرأ مالك بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهري واسحاق الكوفي عن عاصم والزعفراني ويعقوب * وقال ابن خالويه تناله التقوى بالتاء يحيى بن يعمر والجحدري * وقرأ زيد بن علي لحومها ولا دماءها بالنصب * ولكن يناله بضم الياء وكرر ذكر النعمة بالتسخير * قال الزمخشري لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته انتهى * وبشر المحسنين ظاهر في العموم * قال ابن عباس وهم الموحدون وروى أنها نزلت في الخلفاء الأربعة ﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب
الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو
غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله
هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني
الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان
لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى
مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون
ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في
وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم
النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي
هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * هدم معروف وهو نقيض البناء * قال الشاعر

وكل بيت وإن طالت إقامته * على دعائمه لا بد مهدوم

الصومعة موضع العبادة وربما قعروه وهي بناء مرتفع منفرد حديد الأعلى والأصمع من الرجال
الحديد القول وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل
في مئذنة المسلمين * البيع كنائس النصارى واحدها بيعة * وقيل كنائس اليهود * البئر من
بأر أي حفرت وهي مؤنثة على وزن فعل بمعنى مفعول وقد تذكر على معنى القليب * تعطيل
الشيء إبطال منفعته * العقيم الممتنع من الولادة يقال امرأة عقيم ورجل عقيم لا يولد له وجمع عقم
وأصله من القطع ومنه ملك عقيم أي يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقيم التي قد منعت ولادتها * وقال

﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ روى أن المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى أرض الحبشة أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار و يحتال و يغدر فنزلت الى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة وخص المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشرة للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم وآذنة لهم في القتال وتمكنهم في الارض بردهم الى ديارهم وفتح مكة وأن عاقبة الأمور راجعة الى الله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ لما هاجر المؤمنون الى المدينة أذن الله لهم في القتال وقرئ أذن وأذن و يقاتلون بكسر التاء وفتحها ﴿الذين أخرجوا﴾ في موضع جر نعت للذين أو بدل أو في موضع نصب بأعني أو في موضع رفع على اضمارهم و ﴿إلا أن يقولوا﴾ استثناء منقطع فان يقولوا في موضع نصب لانه منقطع لا يمكن توجه العامل اليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لانك لو قلت الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح وقال الزمخشري أن يقولوا في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله وهل تنقمون منا الآية انتهى اتبع الزمخشري في هذا الزجاج وما أجازاه من البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد إلا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل (٣٧٢) لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن أخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا لا إله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل أن يكون الا أن يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق وأما أن يكون بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لانه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا أن يقولوا وهذا لا يصح ولو قدر الا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت باحد الا زيد فيجعله بدلا لم يصح لانه يصير التركيب بغير غير كقولهم ربنا الله فتكون قد أضيفت غير الى غير وهي هي فصار بغير غير و يصح في ما مررت باحد الا زيد أن تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا التمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى و يصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل و يجوز أن تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل ﴿ولولا دفع الله﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة * الهدم معروف * الصومعة موضع العبادة و وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول فكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى و بعباد الصابئين ثم استعمل في مئذنة المسلمين والاظهر في تعداد هذه المواضع ان ذلك بحسب متعبدات الأمم فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود وهو على حذف مضاف أي ومواضع صلوات والمساجد للمسلمين وأخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر عود الضمير في قوله يذكر فيها على المواضع جميعها فيكون يذكر في موضع الصفة لها و يجوز ان يعود على قوله ومساجد فيكون يذكر صفة للمساجد ﴿الذين ان مكناهم﴾ يجوز في اعرابه ما يجوز في اعراب الذين أخرجوا ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ توعد للمخالف ما رتب على التمكين ﴿وان يكذبوك﴾ فيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب من سبق من الأمم السالفة لأنبيائهم و وعيد لقريش إذ مثلهم بالأمم المكذبة المعذبة وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الامة والقبيلة و بني الفعل

أبو عبيد العقم السد يقال امرأة معقومة الرحم أي مسدودة الرحم * السطو القهر * وقال ابن عيسى السطوة اظهار ما يهول للاخافة * الذباب الحيوان المعروف يجمع على ذباب بكسر الذال وضمها وعلى ذب والمذبة ما يطرد به الذباب وذباب السيف طرفه والعين انسانها وأسنان الابل * سلبت الشئ اختطفته بسرعة * استنقذ استفعل بمعنى أفعل أي أنقذ نحو أبل واستبل ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد

للمفعول في وكذب موسى لأن قومه لم يكذبوه انما كذبه القبط ﴿فأمليت للكافرين﴾ أي أمهلت لهم وأخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي قوله فأمليت للكافرين ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك قريش أملى لهم الله تعالى ثم أخذهم في غزوة بدر وفتح مكة وغيرها والاخذ كناية عن العذاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى فكيف انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالاهلاك ومعمورهم بالخراب وهذا الاستفهام يصحبه معنى التعجب كأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم وفي الجملة ارهاب لقريش ﴿وكأين﴾ للتكثير وتقدم الكلام عليها واحتمل ان يكون في موضع رفع على الابتداء وفي موضع نصب على الاشتغال ﴿وهي ظالمة﴾ جملة حالية ﴿فهي خاوية﴾ تقدم تفسيرها في البقرة * وقال الزمخشري * فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب أعني

وهي ظالمة فهي خاوية * قلت الأولى في محل نصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا الذي قاله ليس بجيد لأن وكأين لا يجوز في اعرابها ان تكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتمشى قول الزمخشري على الوجه القليل وهو أعرب فكأين منصوبة بفعل مضمر على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لا محل [illegible] خاوية المفسرة والمعطوف عليها لا محل له

وقرئ وبئر بالهمز وبغير همز * يقال عطلت البئر وعطلت فعطلت بفتح الطاء وعطلت المرأة من الحلي بكسر الطاء ووصف القصر بمشيد ولم يوصف بمشيدة كما في بروج مشيدة لأن ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد [illegible] وقال الشاعر [illegible] للتكثير [illegible] حنظلة بن صفوان [illegible] عليهم [illegible] ابن عباس أنها كانت لأهل عدن من اليمن وهي الرس [illegible]

وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * روي أن المؤمنين لما كثروا بمكة آذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى أرض الحبشة أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويحتال ويغدر فنزلت الى قوله كفور ووعد فيها بالمدافعة ونهى عن الخيانة وخص المؤمنين بالدفع عنهم وبالنصرة لهم وعلل ذلك بأنه لا يحب أعداءهم الخائنين الله والرسول الكافرين نعمه * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة مما يفعل في الحج وكان المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وآذوا من كان بمكة من المؤمنين أنزل الله تعالى هذه الآيات مبشرة للمؤمنين بدفعه تعالى عنهم ومشيرة الى نصرهم واذنه لهم في القتال وتمكينهم في الارض بردهم الى ديارهم وفتح مكة وان عاقبة الامور راجعة الى الله تعالى وقال تعالى والعاقبة للمتقين * وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع يدافع ولولا دفاع الله * وقرأ أبو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع * وقرأ الكوفيون وابن عامر يدافع ولولا دفع ويدافع هنا تعني لتجرد الفعل نحو جاوزت وجزت * وقال الأخفش دفع أكثر من دافع * وحكى الزهراوي أن دفاعا مصدر دفع كحسب حسابا * وقال ابن عطية يحسن يدافع لأنه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فيجيء مقاومته ودفعه عنهم انتهى يعني فيكون على القسمة الفاعلية والمفعولية لفظا ولا تشترك فيهما معنى * وقال الزمخشري ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ انتهى ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم * [illegible] هاجر المؤمنون الى المدينة أذن الله لهم في القتال * وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو بضم همزة أذن وفتح باقي السبعة * وقرأ نافع وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء والباقون بكسرها والمأذون فيه محذوف أي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر وهي

وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد الا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا ليضرب القوم الا زيد على البدل لأن البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن أخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا لا إله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل أن يكون الا أن يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق وأما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه (ش) فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا أن يقولوا وهذا لا يصح وقدرت الا بغير كما يقدر في النفي ما مررت بأحد الا

أول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية * وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم * وان الله على نصرهم لقدير وعد بالنصر والاخبار بكونه يدفع عنهم * الذين أخرجوا في موضع جر نعت للذين أو بدل أو في موضع نصب باعني أو في موضع رفع على اضمارهم * والا أن يقولوا استثناء منقطع فان يقولوا في موضع نصب لأنه منقطع لا يمكن توجه العامل عليه فهو مقدر بلكن من حيث المعنى لأنك لو قلت الذين أخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله لم يصح بخلاف ما في الدار أحد الا حمار فان الاستثناء منقطع و يمكن ان يتوجه عليه العامل فتقول ما في الدار الا حمار فهذا يجوز فيه النصب والرفع النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب مجمعون على نصبه وأجاز أبو اسحق فيه الجر على البدل واتبعه الزمخشري فقال ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتبشير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا انتهى وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون الا اذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي نحو ما قام أحد الا زيد ولا يضرب أحد الا زيد وهل يضرب أحد الا زيد وأما اذا كان الكلام موجبا أو أمرا فلا يجوز البدل لا يقال قام القوم الا زيد على البدل ولا يضرب القوم الا زيد على البدل لان البدل لا يكون الا حيث يكون العامل يتسلط عليه ولو قلت قام الا زيد وليضرب الا عمرو لم يجز ولو قلت في غير القرآن اخرج الناس من ديارهم الا بأن يقولوا الا إله الا الله لم يكن كلاما هذا اذا تخيل ان يكون الا ان يقولوا في موضع جر بدلا من غير المضاف الى حق واما ان يكون بدلا من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه ان يكون البدل يلي غيرا فيصير التركيب بغير الا ان يقولوا وهذا لا يصح ولو قدر الا بغير كما يقدر في النفي في ما مررت بأحد الا زيد فتجعله بدلا لم يصح لأنه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله فتكون قد أضفت غيرا الى غير وهي هي فصار بغير غير و يصح في ما مررت بأحد الا زيد ان تقول ما مررت بغير زيد ثم ان الزمخشري حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى و يصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل و يجوز ان تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل * ولولا دفع الله الناس الآية فيها تحريض على القتال المأذون فيه قبل وانه تعالى أجرى العادة بذلك في الامم الماضية بأن ينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات وكأنه لما قال اذن للذين يقاتلون قيل فليقاتل المؤمنون فلولا القتال لتغلب على الحق في كل أمة وانظر الى مجيء قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اثر قتال طالوت لجالوت وقتل داود جالوت وأخبر تعالى انه لولا ذلك الدفع لفسدت الارض فكذلك هنا * وقال علي بن أبي طالب ولولا دفع الله بأصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم وأخذ الزمخشري قول علي وحسنه وذيل عليه فقال دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليط المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى

زيد فتجعله بدلا لم يصح لأنه يصير التركيب بغير غير قولهم ربنا الله فتكون قد أضفت غيرا الى غير وهي هي فصار بغير غير ويصح في ما مررت بأحد الا زيد أن تقول ما مررت بغير زيد ثم ان (ش) حين مثل البدل قدره بغير موجب سوى التوحيد وهذا تمثيل للصفة جعل الا بمعنى سوى ويصح على الصفة فالتبس عليه باب الصفة بباب البدل ويجوز أن تقول مررت بالقوم الا زيد على الصفة لا على البدل

متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين
مساجد ولغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين
في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين انتهى * وقال مجاهد ولولا دفع الله ظلم قوم بشهادات العدول
ونحو هذا * وقال قوم دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة * وقالت فرقة دفع العذاب بدعاء الأخيار
* وقال قطرب بالقصاص عن النفوس * وقيل بالنبيين عن المؤمنين * وقال الحسن لولا أمان
الاسلام لخربت متعبدات أهل الذمة ومعنى الدفع بالقتال أليق بالآية وأمكن في دفع الفساد
* وقرأ الحرميان وأيوب وقتادة وطلحة وزائدة عن الأعمش والزعفراني لهدمت مخففا
وباقي السبعة وجماعة مشددة لما كانت المواضع كثيرة ناسب مجيء التضعيف لكثرة المواضع
فتكرر الهدم لتكثيرها * وقرأ الجمهور وصلوات جمع صلاة * وقرأ جعفر بن محمد وصلوات
بضم الصاد واللام * وحكى عنه ابن خالويه صلوات بسكون اللام وكسر الصاد وحكيت عن
الجحدري والجحدري صلوب بضم الصاد وفتح اللام وحكيت عن الكلبي وأبي العالية بفتح الصاد
وسكون اللام صلوات والحجاج بن يوسف والجحدري أيضا وصلوت وهي مساجد النصارى
بضمتين من غير ألف ومجاهد كذلك إلا أنه فتح الثاء وألف بعدها والضحاك والكلبي وصلوث
بضمتين من غير ألف وبثاء منقوطة بثلاث وجاء كذلك عن أبي رجاء والجحدري وأبي العالية
ومجاهد كذلك إلا أنه بعد الثاء ألف * وقرأ عكرمة وصلويثا بكسر الصاد وسكون اللام وواو
مكسورة بعدها ياء بعدها ثاء منقوطة بثلاث بعدها ألف والجحدري أيضا صلوات بضم الصاد
وسكون اللام وواو مفتوحة بعدها ألف بعدها تاء مثناة النقط * وحكى ابن مجاهد أنه قرئ كذلك
إلا أنه بكسر الصاد * وحكى ابن خالويه وابن عطية عن الجحدري صلوب بالباء واحدة
على وزن كعوب جمع صليب كصريف وظروف وآسية وأسوق وهو جمع شاذ أعني جمع فعيل على
فعول فهذه ثلاث عشرة قراءة والتي بالثاء المثلثة النقط * قيل هي مساجد اليهود وهي بالسريانية
مما دخل في كلام العرب * وقيل عربية وينبغي أن تكون قراءة الجمهور يراد بها الصلوات
المعهودة في الملل وأما غيرها مما تلاعبت فيه العرب بتحريف وتغيير فينظر مدلوله في لسان [illegible]
نقل منه فيفسر به * وروى هرون عن أبي عمرو وصلوت [illegible] لا ينون [illegible]
كأنه جعله اسم موضع كالمواضع التي قبله [illegible] وتعجمة وتمت
القراآت بهذه أربع عشرة قراءة والأظهر [illegible] المواضع [illegible]
فالصوامع للرهبان * وقيل للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد [illegible]
خصيف * قال ابن عطية والأظهر أنه قصد بها المتعبدات [illegible]
في مسمياتها لا لبيعة فيها [illegible]
كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه [illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible] حمايته ولا يوجد ذكر [illegible]
[illegible] على الموضع [illegible]
[illegible] على لأنه [illegible]
[illegible]
مساجد [illegible]

ينصر من ينصره أي ينصر دينه وأولياءه ونصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائهم جلادا وجدالا وفي ذلك حض على القتال ثم أخبر تعالى انه قوي على نصرهم عزيز لا يغالب والظاهر انه يجوز في اعراب الذين ان مكناهم في الارض ما جاز في اعراب الذين أخرجوا * وقال الزجاج هو منصوب بدل ممن ينصره والتمكين السلطنة ونفاذ الامر على الخلق والظاهر انه من وصف المأذون لهم في القتال وهم المهاجرون وفيه اخبار بالغيب عما يكون عليه سيرتهم ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين * وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يجعل التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للأنصار والطلقاء وفي الآية أخذ العهد على من مكنه الله أن يفعل ما رتب على التمكين في الآية * وقيل نزلت في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وعن الحسن وأبي العالية هم أمته عليه السلام * وعن عكرمة هم أهل الصلوات الخمس وهو قريب مما قبله * وقال ابن أبي نجيح هم الولاة * وقال الضحاك هو شرط شرطه الله من آتاه الملك * وقال ابن عباس المهاجرون والانصار والتابعون ولله عاقبة الامور توعد للمخالف ما رتب على التمكين وان يكذبوك الآية فيها تسلية للرسول بتكذيب من سبق من الامم المذكورة لانبيائهم ووعيد لقريش اذ مثلهم بالامم المكذبة المعذبة وأسند الفعل بعلامة التأنيث من حيث أراد الامة والقبيلة وبني الفعل للمفعول في وكذب موسى ان قومه لم يكذبوه وانما كذبه القبط * فأمليت للكافرين أي أمهلت لهم وأخرت عنهم العذاب مع علمي بفعلهم وفي قوله وأمليت للكافرين ترتيب الاملاء على وصف الكفر فكذلك قريش أملى تعالى لهم ثم أخذهم في غزوة بدر وفي فتح مكة وغيرهما والاخذ كناية عن العقاب والاهلاك والنكير مصدر كالنذير المراد به المصدر والمعنى فكيف كان انكاري عليهم وتبديل حالهم الحسنة بالسيئة وحياتهم بالهلاك ومعمورهم بالخراب وهذا استفهام يصحبه معنى التعجب كأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم وفي الجملة ارهاب لقريش فكأين للتكثير واحتمل أن يكون في موضع رفع على الابتداء وفي موضع نصب على الاشتغال * وقرأ أبو عمرو وجماعة أهلكتها بتاء المتكلم والجمهور بنون العظمة وهي ظالمة جملة حالية فهي خاوية على عروشها تقدم تفسير هذه الجملة في البقرة في قوله أو كالذي مر على قرية * وقال الزمخشري (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الاولى في محل نصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل انتهى وهذا الذي قاله ليس بجيد لان وكأين الاجود في اعرابها أن تكون مبتدأة والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول الزمخشري على الوجه القليل وهو اعراب فكأين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك الفعل وعلى هذا لا محل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لا محل له * وقرأ الجحدري والحسن وجماعة معطلة مخففا يقال عطلت البئر وأعطلتها فعطلت هي بفتح الطاء وعطلت المرأة من الحلي بكسر الطاء * قال الزمخشري ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه انتهى وبئر وقصر معطوفان على من قرية

(الدر)

(ش) فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب أعني فهي ظالمة فهي خاوية قلت الاولى في محل نصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل (ح) هذا الذي قاله ليس بجيد لان فكأين الاجود في اعرابها أن تكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله أهلكناها فهي في موضع رفع والمعطوف على الخبر خبر فيكون قوله فهي خاوية في موضع رفع لكن يتجه قول (ش) على الوجه القليل وهو اعراب فكأين منصوبا باضمار فعل على الاشتغال فتكون الجملة من قوله أهلكناها مفسرة لذلك وعلى هذا لا محل لهذه الجملة المفسرة فالمعطوف عليها لا محل له

﴿أفلم يسيروا في الارض﴾ الاية تقدم الكلام عليه واسناد العقل الى القلب يدل على انه محله ولا ننكر أن للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل اذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون بها محذوف أي ما حل بالامم السالفة حين كذبوا أنبياءهم وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون أخبار تلك الامم الماضية والضمير في فانها ضمير القصة ﴿ولكن تعمى القلوب﴾ ووصف القلوب بالتي في الصدور مبالغة كقوله يقولون بأفواههم والضمير في ويستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم عقاب الله تعالى ويتوعدهم ذلك دنيا وآخرة وهم لا يصدقون بذلك ويستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء وأن ما وعدتنا به لا يقع وأن لا بعث وفي قوله ولن يخلف الله وعده أي ان ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه أجل لا يتعداه وأضاف الوعد إليه تعالى لان رسوله صلى الله عليه وسلم هو مخبر به عن الله تعالى وقيل [illegible] وقع في الطول [illegible] والشدة أي وان يوما من [illegible] [illegible] [illegible] وطوله كألف سنة من عددكم [illegible] مستقصة وأنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في القرى [illegible] [illegible] [illegible]

ومن قرية تمييز لكائن وكأين تقتضي التكثير فدل ذلك على انه لا يراد بقرية وبئر وقصر معين وان كان الاهلاك انما يقع في معين لكن من حيث الوقوع لا من حيث دلالة اللفظ وينبغي أن يكون وبئر وقصر من حيث عطفا على من قرية أن يكون التقدير أهلكهما كما كان أهلكتها خبرا به عن كأين الذي هو القرية من حيث المعنى والمراد أهل القرية والبئر والقصر وجعل وبئر معطلة وقصر مشيد معطوفين على عروشها جهل الفصاحة ووصف القصر بمشيد ولم يوصف بمشيدة كما في قوله في بروج مشيدة لان ذلك جمع ناسب التكثير فيه وهذا مفرد وأيضا مشيد فاصلة آية وقد عين بعض المفسرين هذه البئر فعن ابن عباس انها كانت لأهل عدن من اليمن [illegible] وعن كعب الاحبار أن القصر بناه عاد الثاني [illegible] وعن [illegible] أن البئر بحضرموت من أرض الشحر والقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى [illegible] لا يعبر الريح شيأ يسقط فيها [illegible] [illegible] [illegible] ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعدوا وأرسل اليهم حنظلة بن صفوان [illegible] [illegible] السوق فأهلكهم الله عن آخرهم وعطل بئرهم وخرب قصرهم [illegible] [illegible] رأيت قصرا شامخا [illegible] [illegible] [illegible] الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها [illegible] القلوب التي في الصدور [illegible] [illegible] مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة [illegible] [illegible] [illegible] أولئك أصحاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

على مصدر متوهم ومذهب الكوفيين انه منصوب على الصرف اذ معنى الكلام الخبر صرفوه عن
الجزم على العطف على يسير واوردوه الى أخي الجزم وهو النصب هذا معنى الصرف عندهم
ومذهب الجرمي أن النصب بالفاء نفسها واسناد العقل الى القلب يدل على أنه محله ولا ينكر ان
للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل اذا فسد الدماغ ومتعلق يعقلون بها محذوف أي ما حل بالأمم
السابقة حين كذبوا أنبياءهم و يعقلون ما يجب من التوحيد وكذلك مفعول يسمعون أي يسمعون
أخبار تلك الأمم أو ما يجب سماعه من الوحي والضمير في فانها ضمير القصة وحسن التأنيث هنا
ورجحه كون الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث وهي التاء في لا تعمى و يجوز في الكلام التذكير
وقرأ به عبد الله فانه لا تعمى * وقال الزمخشري و يجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي
تعمى راجع اليه انتهى وما ذكره لا يجوز لان الذي يفسره ما بعده محصور وليس هذا واحدا منها
وهو في باب رب وفي باب نعم و بئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدا والخبر على خلاف
في هذه الاربعة على ما قرر ذلك في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن
ويفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره الزمخشري ليس واحدا من هذه الستة
فوجب اطراحه والمعنى ان أبصارهم سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم ومعلوم ان الأبصار قد
تعمى لكن المنفي فيها ليس العمى الحقيقي وانما هو ثمرة البصر وهو التأدية الى الفكرة فيما يشاهد
البصر لكن ذلك متوقف على العقل الذي محله القلب ووصف القلوب بالتي في الصدور * قال ابن
عطية مبالغة كقوله يقولون بأفواههم وكما تقول نظرت اليه بعيني * وقال الزمخشري الذي قد
تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكان البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله
في القلب استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف لتقرر ان مكان العمى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين
فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن
السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا انتهى وقوله ولكن تعمدت
به اياه بعينه تعمدا فصل الضمير وليس من مواضع فصله والصواب ولكن تعمدته به كما تقول السيف
ضربتك به ولا تقول ضربت به اياك وفصله في مكان اتصاله عجمة * وقال أبو عبد الله الرازي وعندي
فيه وجه آخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر والتدبر كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وعند قوم ان محل الفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو الصدر والضمير
في و يستعجلونك لقريش وكان صلى الله عليه وسلم يحذرهم نقمات الله و يوعدهم بذلك دنيا وآخرة
وهم لا يصدقون بذلك و يستبعدون وقوعه فكان استعجالهم على سبيل الاستهزاء وأن ما توعدتنا به
لا يقع وانه لا بعث وفي قوله ولن يخلف الله وعده أي ان ذلك واقع لا محالة لكن لوقوعه أجل
لا يتعداه وأضاف الوعد اليه تعالى لان رسوله عليه الصلاة والسلام هو المخبر به عن الله تعالى * وقال
الزمخشري أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كأنه قال ولم يستعجلون به
كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف
الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل انتهى وفي قوله وانما يجوز ذلك على
ميعاد من يجوز عليه الخلف دسيسة الاعتزال * وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه (ح) وما ذكره لا يجوز لأن الذي يفسره ما بعده محصور في مواضع وليس هذا واحدا منها وهي في باب رب وفي باب نعم وبئس وفي باب الاعمال وفي باب البدل وفي باب المبتدأ والخبر على خلاف في هذه الاربعة على ما قرر ذلك في أبوابه وهذه الخمسة يفسر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن ويفسر بالجملة على خلاف فيه أيضا وهذا الذي ذكره (ش) ليس واحدا من هذه الستة فوجب اطراحه (س) بعد كلام وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا (ح) قوله ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا فصل الضمير وليس من مواضع فصله والصواب ولكن تعمدته به كما تقول السيف ضربتك به ولا تقول ضربت به اياك وفصله في مكان اتصاله عجمة

واختلفوا في هذا التشبيه * فقيل في العدد أي اليوم عند الله ألف سنة من عددكم وفي الحديث
الصحيح يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام فالمعنى وإن طال
الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله * وقيل التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة أي وإن
يوما من أيام عذاب الله لشدة العذاب فيه وطوله كألف سنة من عددكم إذ أيام الترحة مستطالة وأيام
الفرحة مستقصرة وكان ذلك اليوم الواحد كألف سنة من سني العذاب والمعنى أنهم لو عرفوا حال
الآخرة ما استعجلوه وهذا القول قريب من قول أبي مسلم * وقيل التشبيه بالنسبة إلى علمه تعالى
وقدرته وإنفاذ ما يريد كألف سنة واقتصر على ألف سنة وإن كان اليوم عنده كما لا نهاية له من العدد
لكون الألف منتهى العدد دون تكرار وهذا القول لا يناسب مورد الآية إلا أن أريد أنه القادر
الذي لا يعجزه شيء فإذا لم يستبعدوا إمهال يوم فلا يستبعدوا أيضا إمهال ألف سنة * وقال ابن عباس
أراد باليوم من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض * وقال ابن عيسى يجتمع لهم عذاب
ألف سنة في يوم واحد ولأهل [illegible] سرور ألف سنة في يوم واحد * وقال الفراء [illegible] الآية عذاب
الدنيا والآخرة وأريد بالعذاب في الدنيا أي لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا وإن
يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا فكيف تستعجلون العذاب * [illegible]

[illegible]

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ الآية ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم وأنه ما منهم أحد الا وكان الشيطان براغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم والقائه في نفوسهم كما أنه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هداية قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومهم وللوافدين عليهم شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لانه هو المغوى والمحرك لشياطين الانس للاغواء كما قال لاغوينهم وقيل ان الشياطين هنا هو جنس براد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشياطين أي في أمنيته نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول التي محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقى الخير ومعنى ﴿فينسخ الله﴾ أي يزيل تلك الشبهة شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴿يحكم الله آياته﴾ أي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان﴾ من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم أن ما تمنى الرسول (٣٨٠) والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآية ليس فيها اسناد شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل والانبياء اذا تمنوا * وذكر المفسرون أشياء ذكرت في البحر ﴿من قبلك﴾ من لابتداء الغاية وفي ﴿من رسول﴾ زائدة تفيد استغراق الجنس وهو مفعول تقديره رسولا وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة وتقدم الكلام عليها وحمل بعض المفسرين قوله

في معاجزين معاندين وأما معجزين بالتشديد فانه بمعنى مثبطين الناس عن الاسلام ويقال مثبطين * وقال الزمخشري عاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه فالمعنى سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم انتهى * وقال أبو علي الفارسي معجزين معناه ناسبين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى العجز كما تقول فسقت فلانا اذا نسبته الى الفسق وتقدم شرح أخرى هاتين الجملتين الواردتين تقسيما ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه و إن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ لما ذكر تعالى انه يدفع عن

اذا تمنى على تلاوة في أمنيته على تلاوته والجملة بعد الا في موضع الحال أي وما أرسلناه الا وحاله هذه والظاهر أن تمنى من التمني أي تمنى هداية قومه واتباعهم لما جاء به ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في عنيه ضلالة تابع الرسول أو النبي لتعارض الحق بالباطل * والمرية الشك * والظاهر أن الساعة يوم القيامة * واليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن * والتنوين في يومئذ تنوين العوض والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد إلغائه أي الملك اذ تأتيهم الساعة ﴿والذين هاجروا﴾ هذا ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت مسوية بينهم في أن الله يرزقهم رزقا حسنا وظاهر والذين هاجروا العموم ﴿ليدخلنهم مدخلا﴾ لما ذكر الرزق ذكر المسكن وهو الجنة ﴿يرضونه﴾ اذ فيه رضاهم كما قال تعالى لا يبغون عنها حولا ﴿ذلك ومن عاقب﴾ قيل نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم الكفار في الشهر الحرام فأبى المؤمنون من قتالهم وأبى المشركون الا القتال فلما قاتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله * ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو أنه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل أو مات في سبيل الله أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم ﴿يولج الليل في النهار﴾ الآية تقدم الكلام عليه في أوائل آل عمران

(الدر) (ح) قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو أنهم كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه وانه ما منهم أحد الا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم والقائه في نفوسهم كما انه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لأنه هو المغوي والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال لاغوينهم وقيل ان الشيطان هنا هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أي في أمنية (٣٨١) نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقي الخير ومعنى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويحكم الله آياته أي معجزاته يظهرها لا لبس فيها ليجعل ما يلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم أن ما تمنى الرسول والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآيات ليس فيها تعبد ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] ما تتضمنه من كل قسلة من الرسل

الذين آمنوا وانه تعالى أذن للمؤمنين في القتال وانهم كانوا أخرجوا من ديارهم وذكر مسلاة رسوله صلى الله عليه وسلم بتكذيب من تقدم من الأمم لانبيائهم وما آل اليه أمرهم من الاهلاك اثر التكذيب وبعد الامهال وأمره أن ينادي الناس ويخبرهم أنه نذير لهم بعد أن استعجلوا بالعذاب وانه ليس له تقديم العذاب ولا تأخيره ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والانبياء وهو أنهم كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه وانه ما منهم أحد الا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك اليهم والقائه في نفوسهم كما أنه صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الناس على هدى قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحرث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية والذين سعوا في آياتنا معاجزين وسعيهم بالقاء الشبه في قلوب من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لانه هو المغوي والمحرك شياطين الانس للاغواء كما قال لاغوينهم * وقيل ان الشيطان هنا هو جنس يراد به شياطين الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أي في أمنية نفسه أي بسبب أمنية نفسه ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر ومخالفة ذلك الرسول أو النبي لان الشيطان ليس يلقي الخير * ومعنى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * ويحكم الله آياته أي معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقي الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتي العلم أن ما تمنى الرسول والنبي من هداية قومه وايمانهم هو الحق وهذه الآيات ليس فيها تعبد ما نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ما تتضمنه من كل قسلة من الرسل والانبياء اذا تمنوا وذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري في قصة [illegible] ومن عصمة ملائكته [illegible] وقوعه من أحد المؤمنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه [illegible] وهي قصة سئل عنها الامام محمد بن اسحق جامع السيرة النبوية فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك

والانبياء اذا تمنوا وذكر المفسرين في كتبهم (ع) [illegible] ومن عصمة ملائكته [illegible] وقوعه من أحد المؤمنين منسوبا الى المعصوم صلوات الله عليه [illegible] فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من جهة المعقول ولم يكن ذلك

كتابا*وقال الامام الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال ما معناه ان رواتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شئ مما ذكروه فوجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى وقال الله تعالى آمر النبيه قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع إلا ما يوحى إلي" وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم الآية فالتثبيت واقع والمقاربة منفية وقال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وهذه نصوص تشهد بعصمته وأما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك لان تجويزه يطرق الى تجويزه في جميع الاحكام والشريعة فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير واستحالة ذلك معلومة ولنرجع الى تفسير بعض ألفاظ الآية اذ قد قررنا ما لاح لنا فيها من المعنى فقوله من قبلك من فيه لابتداء الغاية ومن في من رسول زائدة تفيد استغراق الجنس وعطف ولا نبي على من رسول دليل على المغايرة وقد تقدم لنا الكلام على مدلولهما فأغنى عن اعادته هنا وجاء بعد الا جملة ظاهرها الشرط وهو اذا تمنى ألقى الشيطان وقاله الحوفي ونصوا على أنه يليها في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط فتقول ما زيد الا يفعل كذا وما رأيت زيدا الا يفعل كذا وماض بشرط أن يتقدمه فعل كقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا أو يكون الماضي مصحوبا بقد نحو ما زيد الا قد قام وما جاء بعد الا في الآية جملة شرطية ولم يلها ماض مصحوب بقد ولا عار منها فان صح ما نصوا عليه تؤول على ان اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين الا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل جائز فتكون الا قد وليها ماض في التقدير ووجد شرطه وهو تقدم فعل قبل الا وهو وما أرسلنا وعاد الضمير في تمنى مفردا وذكروا أنه اذا كان العطف بالواو عاد الضمير مطابقا للمتعاطفين وهذا عطف بالواو وما جاء غير مطابق أولوه على الحذف فيكون تأويل هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فحذف من الاول لدلالة الثاني عليه وتمنى تفعل من المنية * قال أبو مسلم التمني نهاية التقدير ومنه المنية وفاة الانسان للوقت الذي قدره الله ومنى الله لك أي قدر * وقال رواة اللغة الامنية القراءة واحتجوا ببيت حسان وذلك راجع الى الاصل الذي ذكر فان التالي مقدر للحروف فذكرها شيأ فشيأ انتهى * وبيت حسان

تمنى كتاب الله أول ليله * وآخره لاقى حمام المقادر

﴿ وقال آخر ﴾

تمنى كتاب الله أول ليله * تمني داود الزبور على رسل

وجعل بعض المفسرين قوله اذا تمنى على تلا وفي أمنيته على تلاوته والجملة بعد الا في موضع الحال أي وما أرسلناه الا وحاله هذه * وقيل الجملة في موضع الصفة وهو قول الزمخشري في نحو ما مررت بأحد الا زيد خير منه والصحيح ان الجملة حالية لاصفة لقبولها واو الحال واللام في ليجعل متعلقة بيحكم قاله الحوفي * وقال ابن عطية بينسخ * وقال غيرهما بألقى والظاهر انها للتعليل * وقيل هي لام العاقبة وما في ما يلقي الظاهر انها بمعنى الذي وجوز أن تكون مصدرية * والفتنة الابتلاء والاختبار * والذين في قلوبهم مرض عامة الكفار * وقال الزمخشري المنافقون والشاكون * والقاسية قلوبهم خواص من الكفار عتاة كأبي جهل والنضر وعتبة * وقال الزمخشري

(الدر)

لان تجويزه يطرق الى تجويزه في جميع الأحكام والشريعة فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير واستحالة ذلك معلومة والله الموفق

المشركون المكذبون * وان الظالمين يريدون هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم * والشقاق المشاقة أي في شق غير شق الصلاح ووصفه بالبعيد مبالغة في انتهائه وانهم غير مرجو رجعتهم منه * والضمير في انه * قال ابن عطية عائد على القرآن * والذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم من قولنا في الآية ما يعود الضمير اليه * فتخبت أي تتواضع وتتطامن بخلاف من في قلبه مرض وقسا قلبه * وقرأ الجمهور لهاد الذين آمنوا بالاضافة وأبو حيوة وابن أبي عبلة بتنوين لهاد * المرية الشك * والضمير في منه * قيل عائد على القرآن * وقيل على الرسول * وقيل ما ألقى الشيطان ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين والظاهر ان الساعة يوم القيامة * وقيل واليوم العقيم يوم بدر * وقيل ساعة موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر وليوم العقيم يوم القيامة * وقال الزمخشري اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز * وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا * وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه * وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير انتهى * وقال ابن عطية ومعنى يوم القيامة ويوم لا [illegible] عقيم لأنه لا ليلة بعده ولا يوم والايام كلها نتائج يجيء واحد اثر واحد وكان هذا اليوم قد عقم وهذه استعارة وجملة هذه الآية توعد انتهى [illegible]

والميت في سبيل الله شهيدان * والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء في البرزخ ويحتمل انه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها * وقال الكلبي هو الغنيمة * وقال الاصم هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف هذان القولان لأنه تعالى جعل الرزق الحسن جزاء على قتلهم في سبيل الله أو موتهم بعد هجرتهم وبعد ذلك لا يكون الرزق في الدنيا والظاهر ان خير الرازقين أفعل تفضيل والتفاوت انه تعالى مختص بأن يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى وبأنه الاصل في الرزق وغيره انما يرزق بماله من الرزق من جهة الله ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة يرضونه يختارونه إذ فيه رضاهم كما قال لا يبغون عنها حولا وتقدم الخلاف في القراءة بضم الميم أو فتحها في النساء والأولى أن يكون يراد بالمدخل مكان الدخول أو مكان الادخال ويحتمل أن يكون مصدرا * ذلك ومن عاقب الآية قيل نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في الاشهر الحرم فأبى المؤمنون من قتالهم وأبى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله * ومناسبتها لما قبلها واضحة وهو انه تعالى لما ذكر ثواب من هاجر وقتل أو مات في سبيل الله أخبر أنه لا يدع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم * وقال ابن جريج الآية في المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوه والتقدير الامر ذلك * قال الزمخشري تسمية الابتداء بالجزاء للابستة له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة (فان قلت) كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع (قلت) المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور فان الله لعفو غفور أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي فيعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والانتصار وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون وتقدم في أوائل آل عمران شرح هذا الايلاج * ذلك أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت الالهية وأن كل ما يدعي الهادونه باطل الدعوة وأنه لا شئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا * وقرأ الجمهور وأن ما بفتح الهمزة * وقرأ الحسن بكسرها * وقرأ الاخوان وأبو عمرو وحفص يدعون بياء الغيبة هنا وفي لقمان * وقرأ باقي السبعة بتاء الخطاب وكلاهما الفعل فيه مبني للفاعل * وقرأ مجاهد واليماني وموسى الاسواري يدعو بالياء مبنيا للمفعول والواو عائدة على ما على معناها وما الظاهر أنها أصنامهم * وقيل الشياطين والأولى العموم في كل مدعو دون الله تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وان الله لهو الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ لما ذكر تعالى ما دل على قدرته الباهرة من ايلاج الليل في النهار وهما مرئيان مشاهدان بمجيء الظلمة والنور ذكر أيضا ما هو مشاهد من العالم العلوي والعالم السفلي وهو نزول المطر وانبات الأرض ونسبة الانزال الى الله مدرك بالعقل وقوله ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ قال سيبويه فيه وسألته يعني الخليل عن ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا ولابن عطية والزمخشري فيه كلام في البحر ﴿ وما في الارض ﴾ يشمل الحيوان والمعادن والمرافق الفلك * تقدم الكلام عليه والظاهر أن أن تقع في موضع نصب بدل اشتمال أي ويمنع وقوع السماء على الارض الا باذنه متعلق بتقع أي الا باذنه فتقع

﴿وهو الذى أحيا كم﴾ تقدم الكلام عليه ﴿لكفور﴾ لجحود بنعم الله يعبد غير من أنعم عليه بهذه النعم المذكورة و بغيرها ﴿لكل أمة جعلنا منسكا﴾ روى أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما فى الذبائح وقولهم للمؤمنين تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ما قتل الله تعالى فنزلت بسبب هذه المنازعة ﴿وان جادلوك﴾ آية موادعة نسختها آية السيف أى وان أبوا اللجاج الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك و بينهم تنازع فادفعهم بان الله أعلم بأعمالكم و بقبحها و بما تستحقون عليها من الجزاء وهذا وعيد وانذار لكن برفق ولين ﴿الله يحكم بينكم﴾ خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم

(الدر) (ش) فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهى افادة بقاء المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان عام كذا فاروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع * فان قلت ما باله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى عكس ما هو الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم ترأنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب اليه من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله (ع) وقوله فتصبح عبارة عن استعجالها اثر نزول المطر واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله فتصبح من حيث الآية خبرا (٣٨٥)

ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون [illegible] على قدرته [illegible] والنور [illegible] ونزل المطر واخضرار الأرض [illegible] الله الرازى [illegible] الزمخشرى فان قلت هلا قيل فاصبحت وتصبح [illegible] بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان [illegible] فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت [illegible]

ونعمة عقيبة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله [illegible] (ح) [illegible] (ش) فان قيل كيف يكون النصب [illegible] الحصر ولا يكون [illegible]

(١٩٤ – تفسير بحر محيط لابى حيان – سادس) [illegible]

[illegible]

ليس [illegible]

لأعطى ماهو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم ترأني أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه وان رفعته فأنت مثبت للشكر هذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله * وقال ابن عطية وقوله فتصبح الارض بمنزلة قوله فتضحى أو تصير عبارة عن استعجاله اثر نزول الماء واستمرارها كذلك عادة ووقع قوله فتصبح من حيث الآية خبرا والفاء عاطفة وليست بجواب لان كونها جوابا لقوله ألم تر فاسد المعنى انتهى ولم يبين هو ولا الزمخشري كيف يكون النصب نافيا للاخضرار ولا كون المعنى فاسدا * وقال سيبويه وسألته يعني الخليل عن ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا * قال ابن خروف وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الكلام بأتسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه ووقع في الشرقية عوض أتسمع انتبه انتهى ومعنى في الشرقية في النسخة الشرقية من كتاب سيبويه * وقال بعض شراح الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لان الكلام واجب ألا ترى ان المعنى أن الله أنزل فالارض هذا حالها * وقال الفراء ألم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم أن الله يفعل كذا فيكون كذا انتهى ويقول انما امتنع النصب جوابا للاستفهام هنا لان النفي اذا دخل عليه الاستفهام وان كان يقتضي تقريرا في بعض الكلام هو معامل معامله النفي المحض في الجواب ألا ترى الى قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكذلك في الجواب بالفاء اذا أجبت النفي كان على معنيين في كل منهما ينتفي الجواب فاذا قلت ما تأتينا فتحدثنا بالنصب فالمعنى ما تأتينا محدثا انما يأتي ولا يحدث ويجوز أن يكون المعنى انك لا تأتي فكيف تحدث فالحديث منتف في الحالتين والتقرير بأداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته الهمزة وينتفي الجواب فيلزم من هذا الذي قررناه اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وأيضا فان جواب الاستفهام ينعقد منه مع الاستفهام السابق شرط وجزاء فقوله * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * بتقدير أن تسأل فتخبرك الرسوم وهنا لا يتقدر أن ترى انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان اخضرارها ليس مترتبا على علمك أو رؤيتك انما هو مترتب على الانزال وانما عبر بالمضارع لان فيه تصويرا للهيئة التي الارض عليها والحالة التي لابست الارض والماضي يفيد انقطاع الشئ وهذا كقول جحدر بن معونة العكلي يصف حاله مع أشد نازلة في قصة جرت له مع الحجاج بن يوسف

يسمو بناظرتين تحسب فيهما * لما أجالهما شعاع سراج
لما نزلت بحصن أزبر مهصر * للقرن أرواح العدا مجاج
فأكر أحمل وهو يقعي باسته * فاذا يعود فراجع أدراجي
وعلمت أني ان أبيت نزاله * أني من الحجاج لست بناجي

فقوله فأكر تصوير للحالة التي لابسها * والظاهر تعقب اخضرار الارض انزال المطر وذلك موجود بمكة وتهامة فقط قاله عكرمة وأخذ تصبح على حقيقتها أي تصبح من ليلة المطر وذهب الى أن الاخضرار في غير مكة وتهامة يتأخر * وقال ابن عطية وقد شاهدت هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فأصبحت تلك الارض الرملة التي قد نسفتها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف انتهى واذا جعلنا فتصبح بمعنى فتصير لا يلزم أن يكون ذلك الاخضرار في وقت الصباح

واذا كان الاخضرار متأخرا عن انزال المطر فثم جمل محذوفة التقدير فتهتز وتربو فتصبح بيبين ذلك قوله تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت * وقرئ مخضرة على وزن مفعلة ومسبعة أي ذات خضر وخص تصبح دون سائر أوقات النهار لان رؤية الأشياء المحبوبة أول النهار أبهج وأسر للرائي * ان الله لطيف أي باستخراج النبات من الأرض بالماء الذي أنزله خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وغيره * وقيل خبير بلطيف التدبير خبير بالصنع الكثير * وقيل خبير بمقادير مصالح عباده فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان * وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط * وقال الكلبي لطيف بأفعاله خبير بأعمال خلقه * وقال الزمخشري لطيف واصل علمه أو فضله الى كل شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم * وقال ابن عطية واللطيف المحكم للأمور برفق * ما في الأرض يشمل الحيوان والمعادن والمرافق * وقرأ الجمهور والفلك بالنصب وضم اللام ابن مقسم والكسائي عن الحسن وانتصب عطفا على ما ونبه عليها وان كانت مندرجة في عموم ما تنبيها على غرابة تسخيرها وكثرة منافعها وهذا هو الظاهر وجوز أن يكون معطوفا على الجلالة بتقدير وان الفلك وهو اعراب بعيد عن الفصاحة وتجري حال على الاعراب الظاهر وفي موضع الخبر على الاعراب الثاني * وقرأ السلمي والأعرج وطلحة وأبو حيوة والزعفراني بضم الكاف مبتدأ وخبر ومن أجاز العطف على موضع اسم ان أجاز هنا فيكون تجري حالا * والظاهر أن تقع في موضع نصب بدل اشتمال أي ويمنع وقوع السماء على الأرض * وقيل هو مفعول من أجله فقدره البصريون كراهة أن تقع والكوفيون لان لا تقع * وقوله الا باذنه أي يوم القيامة كان طي السماء بعض هذه الهيئة لوقوعها ويجوز أن يكون ذلك وعيدا لهم في انه ان أذن في سقوطها كسفا عليكم سقطت كما في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا والا باذنه متعلق بان تقع أي الا باذنه فتقع * وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكأنه أراد الا باذنه فيه نمسكها انتهى ولو كان على ما قاله ابن عطية لكان التركيب باذنه دون أداة الاستثناء أي يكون التقدير ويمسك السماء باذنه * وهو الذي أحياكم أي بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة وهي الموتة الاولى المذكورة في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم * ان الانسان * قال ابن عباس هو الكافر * وقال أيضا هو الاسود بن عبد الأسد وأبو جهل والعاص بن وائل وأبي بن خلف وهذا على طريق التمثيل * لكفور لجحود لنعم الله عليه مع ظهورها * لكل أمة جعلنا منسكا روي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما في الذبائح وقولهم للمؤمنين تأكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ما قتل الله فنزلت بسبب هذه المنازعة * وقال ابن عطية هم ناسكوه يعطي أن المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه انتهى ولا يتعين ما قاله لانه قد يتسع في معمول اسم الفاعل كما يتسع في معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع في ظرف المكان قوله

ومشرب أشربه رسيل * لا آجن الماء ولا وبيل

مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير وكان أصله أشرب فيه فاتسع فيه فتعدى الفعل الى ضميره ومن الاتساع غير ما ذكرنا * وقرئ فلا ينازعنك أي فلا تنازعهم فيه لانهم لا يطمعون أن يجادلوك ومثله ولا يصدنك عن آيات الله وهذا نهي لهم عن المنازعة من باب

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكأنه أراد الا باذنه فيه يمسكها (ح) ولو كان على ما قاله (ع) لكان التركيب باذنه دون اداة أي يكون التقدير ويمسك السماء باذنه (ع) هم ناسكوه يعطي أن المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه (ح) لا يتعين ما قاله قد يتسع في معمول اسم الفاعل كما لا يتسع في معمول الفعل فهو موضع اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به على السعة ومن الاتساع في ظرف المكان قوله

*ومشرب أشربه رسيل * لا آجن الماء ولا وبيل*

مشرب مكان الشرب عاد عليه الضمير وكان أصله أشرب فيه فاتسع فيه فتعدى الفعل الى ضميره ومن الاتساع غير ما ذكرنا

السماء والأرض فلا تخفى عليه أعمالكم وأن ذلك في كتاب وهو أم الكتاب الذي كتبه قبل خلق السموات والأرض كتب فيه ماهو كائن الى يوم القيامة والاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير قيل الى الحكم السابق والظاهر أنه اشارة الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته ﴿ يسطون ﴾ قال ابن عباس يبسطون اليهم أيديهم ﴿ قل أفأنبئكم ﴾ وعيد وتقريع والاشارة بذلكم الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم وروى أنهم قالوا محمد وأصحابه شر خلق قال الله تعالى قل لهم يا محمد أفأنبئكم بشر من ذكرتم على زعمكم أهل النار فهم أنتم شر خلق الله *والنار خبر مبتدا محذوف تقديره هو النار والذين كفروا المفعول الاول والضمير في وعدها المفعول الثاني وبئس المصير مخصوص بالذم محذوف تقديره الناس

(الدر)

(ش) ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لايتعذر عليه ولايمتنع تعلق بمعلوم (ح) في قوله العالم الذات دسيسة الاعتزال لان من مذهبهم نفي الصفات فهو عالم لذاته لابعلم عندهم

لا أرينك ههنا والمعنى فلا بد لهم بمنازعتك فينازعونك * وقرأ أبو مجلز فلا ينازعنك من النزع بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك الى أديانهم من نزعته من كذا والامر هنا الدين وما جئت به وعلى ماروى في سبب النزول يكون في الامر بمعنى في الذبح *لعلى هدى أي ارشاد *وجاء ولكل أمة بالواو وهنا لكل أمة لان تلك وقعت مع مايدانيها ويناسبها من الآى الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا قاله الزمخشرى *وان جادلوك آية موادعة نسختها آية السيف أي وان أبوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين *الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقى منهم ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وماليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ لما تقدم ذكر الفصل بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة أعقب تعالى انه عالم بجميع ما في السماء والارض فلا تخفى عليه أعمالكم *وان ذلك في كتاب *قيل هو أم الكتاب الذي كتبه الله قبل خلق السموات والارض كتب فيه ماهو كائن الى يوم القيامة * وقيل الكتاب اللوح المحفوظ *والاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير *قيل الى الحكم السابق والظاهر انه اشارة الى حصر المخلوقات تحت علمه واحاطته * وقال الزمخشرى ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لايتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم انتهى وفي قوله لان العالم الذات فيه دسيسة الاعتزال لان من مذهبهم نفي الصفات فهو عالم لذاته لابعلم عندهم *ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا أي حجة وبرهانا سماويا من جهة الوحي والسمع *وماليس لهم به علم أي دليل عقلي ضروري أو غيره *وما للظالمين أي المجاوزين الحد في عبادة مالا يمكن عبادته *من نصير ينصرهم فيما ذهبوا اليه أو اذا حل بهم العذاب *واذا تتلى عليهم آياتنا أي يتلوه الرسول أو غيره آياتنا الواضحة في رفض آلهتهم ودعائهم الى توحيد الله وعبادته *تعرف في وجوه الذين كفروا أي الذين ستروا الحق وغطوه وهو واضح بين والمنكر مصدر بمعنى الانكار ونبه على موجب المنكر وهو الكفر وناب الظاهر مناب المضمر كأنه قيل تعرف في وجوههم لكنه نبه على العلة الموجبة لظهور المنكر في وجوههم والمنكر المساءة والجهم والبسور والبطش الدال ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة لان الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب *يكادون يسطون أي هم دهرهم بهذه الصفة وهم يقاربون ذلك طول زمانهم وان كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة في شاذ من الاوقات * قال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم *وقال محمد بن كعب يقعون بهم *وقال الضحاك يأخذونهم أخذا باليد والمعنى واحد *وقرأ عيسى بن عمر يعرف مبنيا للمفعول المنكر ووقع *قل هل أنبئكم بشر من ذلكم وعيد وتقريع والاشارة الى غيظهم على التالين وسطوهم عليهم أو الى

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل ﴾ الآية الخطاب عام يشمل من نظر في عبادة غير الله تعالى فانه يظهر له قبح ذلك * وضرب مبني للمفعول والظاهر أن ضارب المثل هو الله ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم * وتدعون بتاء الخطاب لكفار مكة والضمير العائد على الذين محذوف تقديره تدعونهم آلهة ﴿ فاستمعوا له ﴾ أي لهذا المثل وبدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات من حيث ان الاختراع صفة ثابتة له تعالى مختصة به لا يشركه فيها أحد وثنى بالامر الذي بلغ بهم غاية التعجيز وهو سلب الذباب وعدم استنقاذ شيء مما سلبهم وكان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب وكان الذباب يذهب بذلك وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ الواو للعطف على حال مقدرة تقديره على كل حال ولو في هذه الحالة التي كانت تقتضي أن يخلقوا والأجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك والضمير في له عائد على الخلق المفهوم من يخلقوا ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ قال ابن عباس الصنم والذباب ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والغلبة ﴿ الله يصطفي ﴾ نزلت بسبب قول الوليد ابن المغيرة أأنزل عليه الذكر من بيننا وأنكروا أن يكون الرسول من البشر فرد الله تعالى عليهم بأن رسله تعالى ملائكة وبشر ثم ذكر أنه عالم بأحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شيء ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا ﴾ أمروا بالصلاة وهي نوع من [illegible] ﴿ وجاهدوا في الله ﴾ [illegible] ﴿ حق جهاده ﴾ أي [illegible] جهدكم وطاقتكم في ذلك وأضاف الجهاد إليه [illegible] ﴿ من حرج ﴾ من ضيق بل هي حنيفية سمحة [illegible] ﴿ ملة أبيكم ﴾ [illegible] بفعل محذوف تقديره [illegible] ملة أبيكم [illegible] لانه أبو الرسول [illegible] ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل ظهور [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] قوله وفي هذا وتكونوا [illegible] ليكون الرسول شهيدا عليكم ﴾ [illegible] ﴿ وتكونوا [illegible] ولا تعصوا [illegible]

ما أصابهم من الكراهة والبسور بسبب ما تلي عليهم * وقرأ الجمهور النار رفعا على اضمار مبتدأ كأن قائلا يقول قال وما هو قال النار أي نار جهنم وأجاز الزمخشري أن تكون النار مبتدأ ووعدها الخبر وأن يكون وعدها حالا على الاعراب الأول وأن تكون جملة اخبار مستأنفة وأجيز أن تكون خبرا بعد خبر وذلك في الاعراب الأول وروي انهم قالوا محمد وأصحابه شر خلق فقال الله قل لهم يا محمد أفأنبئكم بشر ممن ذكرتم على زعمكم أهل النار وهم أنتم شر خلق الله * وقرأ ابن أبي عبلة وابراهيم بن يوسف عن الأعشى وزيد بن علي النار بالنصب * قال الزمخشري على الاختصاص ومن أجاز في الرفع أن تكون النار مبتدأ فقياسه أن يجيز في النصب أن يكون من باب الاشتغال * وقرأ ابن أبي اسحاق وابراهيم بن نوح عن قتيبة النار بالجر على البدل من شر والظاهر ان الضمير في وعدها هو المفعول الأول على انه تعالى وعد النار بالكفار أن يطعمها اياهم ألا ترى الى قولها هل من مزيد ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو الأول كما قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا ﴾

فهو بحسبهم مولى وناصر سبحانه وتعالى

الز كاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * لما ذكر تعالى ان الكفار يعبدون مالا دليل على عبادته لامن سمع ولا من عقل و يتركوا عبادة من خلقهم ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء بل على ردّ ما أخذه ذلك الأقل منه وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله ان الذين تدعون بتاء الخطاب * وقيل خطاب للمؤمنين أراد الله أن يبين لهم خطأ الكافرين فيكون تدعون خطابا لغيرهم الكفار عابدي غير الله * وقيل الخطاب عام يشمل من نظر في أمر عبادة غير الله فانه يظهر له قبح ذلك * وضرب مبني للمفعول والظاهر ان ضارب المثل هو الله تعالى ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم * وقيل ضارب المثل هم الكفار جعلوا مثلا لله تعالى أصنامهم وأوثانهم أي فاسمعوا أنتم أيها الناس لحال هذا المثل ونحوه ما قال الاخفش قال ليس ههنا مثل وانما المعنى جعل الكفار لله مثلا * وقيل هو مثل من حيث المعنى لانه ضرب مثل من يعبد الاصنام بمن يعبد مالا يخلق ذبابا * وقال الزمخشري (فان قلت) الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى * وقرأ الجمهور تدعون بالتاء * وقرأ الحسن و يعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن أبي عمرو بالياء وكلاهما مبني للفاعل * وقرأ اليماني وموسى الاسواري بالياء من أسفل مبنيا للمفعول * وقال الزمخشري لن أخت لا في نفي المستقبل الا أن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا انتهى وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه ان لن للنفي على التأبيد ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي ألا ترى الى قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق كيف جاء النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو بدأ تعالى بنفي اختراعهم وخلقهم أقل المخلوقات من حيث أن الاختراع صفة له تعالى ثابتة مختصة به لا يشركه فيها أحد وثنى بالامر الذي لم يهم غاية التعجيز وهو أمر سلب الذباب وعدم استنقاذ شئ مما يسلبهم وكان الذباب كثيرا عند العرب وكانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك * وعن ابن عباس كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل و يغلقون عليها فيدخل الذباب من الكوى فيأكله * وموضع ولو اجتمعوا له قال الزمخشري نصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه انتهى وتقدم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرران الواو فيه للعطف على حال محذوفة كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا الاجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك * ضعف الطالب والمطلوب * قال ابن عباس الصنم والذباب أي ينبغي أن يكون الصنم طالبا لما سلب من طيبهم على معهود الانفة في الحيوان * وقيل المطلوب الآلهة والطالب الذباب فضعف الآلهة أن لا منعة لهم وضعف الذباب في استلابه ما على الآلهة * وقال الضحاك العابد والمعبود فضعف العابد في طلبهم الخير من غير جهته وضعف المعبود في ايصال ذلك لعابده * وقال الزمخشري وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب والظاهر انه اخبار بضعف الطالب والمطلوب * وقيل معناه التعجب أي ما أضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته حيث عبدوا من هو منسلخ عن صفاته وسموه باسمه ولم يؤهلوا خالقهم للعبادة ثم ختم بصفتين منافيتين لصفات آلهتهم من القوة والعلبة * الله يصطفي الآية نزلت بسبب قول

(الدر)

(ش) لن أخت لا في نفي المستقبل الا أن لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (ح) هذا الذي قاله في لن هو المنقول عنه أن لن للنفي على التأبيد ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي ألا ترى الى قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق كيف جاء النفي بلا وهو الصحيح والاستدلال عليه مذكور في النحو

(ش) وموضع ولو اجتمعوا له نصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه (ح) تقدّم لنا الكلام على نظير ولو هذه وتقرران الواو فيه للعطف على حال محذوفة كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقوا لأجل اجتماعهم ولكنه ليس في مقدورهم ذلك

الوليد بن المغيرة أأنزل عليه الذكر من بيننا الآية وأنكروا أن يكون الرسول من البشر فرد الله عليهم بأن رسله ملائكة وبشر ثم ذكر انه عالم بأحوال المكلفين لا يخفى عليه منهم شئ واليه مرجع الامور كلها * ولما ذكر تعالى انه اصطفى رسلا من البشر الى الخلق أمرهم باقامة ما جاءت به الرسل من التكاليف وهو الصلاة قيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود واتفقوا على مشروعية السجود فى آخر آية ألم تر أن الله يسجد له وأما فى هذه الآية فمذهب مالك وأبى حنيفة انه لا يسجد فيها ومذهب الشافعى وأحمد انه يسجد فيها وبه قال عمر وابنه عبد الله وعثمان وأبو الدرداء وأبو موسى وابن عباس * واعبدوا ربكم أى افردوه بالعبادة * وافعلوا الخير * قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق ويظهر فى هذا الترتيب انهم أمروا أولا بالصلاة وهى نوع من العبادة وثانيا بالعبادة وهى نوع من فعل الخير وثالثا بفعل الخير وهو أعم من العبادة فبدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم * وجاهدوا فى الله أمر بالجهاد فى دين الله وعزة كلمته يشمل جهاد الكفار والمبتدعة وجهاد النفس * وقيل أمر بجهاد الكفار خاصة * حق جهاده أى استفرغوا جهدكم وطاقتكم فى ذلك [illegible] الجهاد نية [illegible] كل محتمل [illegible] مفعول لوجهه ومن أجله [illegible] الزمخشرى ويجوز أن يتسع فى الطرف كقوله * [illegible] لا حق جهاده فيه [illegible]

[illegible]

النصرة والولاية الامنه فهو خير مولى وناصر * وعن قتادة أعطيت هذه الأمة مالم يعطه الانبي * قيل للنبي أنت شهيد على أمتك * وقيل له ليس عليك حرج * وقيل له سل تعط * وقيل لهذه الأمة وتكونوا شهداء على الناس * وقيل لهم ماجعل عليكم فى الدين من حرج * وقيل لهم أدعونى أستجب لكم * واعتصموا * قال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره * وقال الحسن تمسكوا بدين الله

﴿ سورة المؤمنون مائة وتسع عشرة آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين إن هو الارجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ان هو الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لايؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا

وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفساً الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون * السلالة فعالة من سللت الشيء من الشيء اذا استخرجته منه * وقال أمية

خلق البرية من سلالة منتن * والى السلالة كلها ستعود

والولد سلالة أبيه كأنه انسل من ظهر أبيه * قال الشاعر

فجاءت به عصب الاديم غضنفراً * سلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنحاتة * سيناء وسينون بكسر السين لغتان وجمهور العرب على فتح سين سيناء فالالف فيه للتأنيث كصحراء فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تكسر السين ويمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضاً عند الكوفيين لأنهم يثبتون أن همزة فعلاء تكون للتأنيث وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة أو العلمية والتأنيث لأن ألف فعلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للالحاق كعلباء ودرحاء * قيل وهو جبل فلسطين * وقيل بين مصر وأيلة * الدهن عصارة الزيتون والموزون وأشبههما مما فيه دسم ودهن يدهن اذا مسح الشيء بالدهن * هيهات اسم فعل بعيد للاستبعاد وجاءت بعد وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل وتأتي مها ما قرئ به ان شاء الله * الغثاء الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله أبو عبيد * وقال الأخفش الغثاء والجفاء واحد وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد * وقال الزجاج البالي من ورق الشجر اذا جرى السيل خالط زبده [illegible] وتشدد ثاؤه وتخفف ويجمع على غثاء [illegible] وروى بيت امرئ القيس من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد جمع * تترى واحد بعد واحد [illegible] الاصمعي [illegible] وقال غيره المواترة التتابع بغير مهلة وتاؤه مبدلة من واو وعن غيره [illegible] والاصل وتري [illegible] الالف [illegible] يمتنع الصرف للتأنيث اللازم

﴿سورة المؤمنين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات * ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا الآية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد أفلح المؤمنون اخبار بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح وقوله أو ما ملكت أريد بما النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم وهو مختص بالاناث باجماع وفي الجمع بين الاختين من ملك اليمين وبين المملوكة وعمتها وخالتها خلاف ومعنى وراء ذلك وراء هذا الحد الذي حد من الازواج ومملوكات النساء وانتصابه على أنه مفعول بابتغى أي خلاف ذلك ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهائم والجمهور على تحريم الاستمناء وكان

أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة وقد ذكر عن بعض العرب فعل ذلك وأنشدلهم فيه أبيات ذكر بعض ذلك في النوادر لابي على *والظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتروك وما ائتمنه الانسان والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالافعال البدنية وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من

وكنانة تنونه وينبغي أن تكون الالف فيه للالحاق كهي في علقى المنون وكتبه بالياء يدل على ذلك ومن زعم ان التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطئ لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الاعراب في الراء فتقول تتر في الرفع وتتر في الجر لكن ألف الالحاق في المصدر نادر ولا يلزم وجود النظير * وقيل تترى اسم جمع كاسرى وشتى * المعين الميم فيه زائدة ووزنه مفعول كمخيط وهو المشاهد جريه بالعين تقول عانه أدركه بعينه كقولك كبده ضرب كبده وأدخله الخليل في باب ع ى ن * وقيل الميم أصلية من باب معن الشئ معانة كثر فوزنه فعيل وأجاز الفراء الوجهين * وقال جرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك ما يزال معينا

* الغمرة الجهالة رجل غمر غافل لم يجرب الامور وأصله الستر ومنه الغمر للحقد لأنه يغطي القلب والغمر للماء الكثير لأنه يغطي الارض والغمرة الماء الذي يغمر القامة والغمرات الشدائد ورجل غامر اذا كان يلقي نفسه في المهالك ودخل في غمار الناس أي في زحمتهم * الجؤار مثل الخوار جأر الثور يجأر صاح وجأر الرجل الى الله تضرع بالدعاء قاله الجوهري * وقال الشاعر

يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جؤارا

* وقيل الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه * السامر مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السمار أيضا ويقال لا أفعله ما أسمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار * نكب عن الطريق ونكب بالتشديد اذا عدل عنه * اللجاج في الشئ التمادي عليه ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين *

طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيآتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت ﴿ أولئك ﴾ أي الجامعون لهذه الأوصاف ﴿ هم الوارثون ﴾ الاحقاء أن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف ﴿ هم فيها ﴾ يدل على تأنيث الفردوس ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ لما ذكر تعالى ان المتصفين بتلك الأوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي ذكر النشأة الاولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة ﴿ من طين ﴾ قال ابن عباس هو آدم لانه انسل من الطين ﴿ ثم جعلناه ﴾ عائد على ابن آدم وان كان لم يذكر لشهرة الامر ﴿ نطفة ﴾ هو المني ﴿ في قرار مكين ﴾ هي الرحم وتقدم تفسير العلقة والمضغة ﴿ عظاما ﴾ دليل على أن المضغة تصير بنفسها عظاما وقرئ عظما

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات * ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا الآية وفيها لعلكم تفلحون وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله قد أفلح المؤمنون اخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح * وقرأ طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد قد أفلح المؤمنون بضم الهمزة وكسر اللام مبنيا للمفعول ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل أن يكون من فلح لازما أو يكون أفلح يأتي متعديا ولازما * وقرأ طلحة أيضا بفتح الهمزة واللام وضم الحاء * قال عيسى بن عمر سمعت طلحة بن مصرف يقرأ قد أفلحوا المؤمنون فقلت له أتلحن قال نعم كما لحن أصحابي انتهى يعني ان مرجوعه في القراءة الى ما روي وليس بلحن لأنه على لغة أكلوني البراغيث وقال الزمخشري أو على الابهام والتفسير * وقال ابن عطية وهي قراءة مردودة وفي كتاب ابن خالويه مكتوبا بواو بعد الحاء وفي اللوامح وحذفت واو الجمع بعد الحاء لالتقائهما في الدرج وكانت الكتابة عليها محمولة على الوصل نحو ويمح الله الباطل * وقال الزمخشري وعنه أي عن طلحة أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * فلو أن الاطباء كان حولي * انتهى وليس بجيد لأن الواو في أفلح حذفت لالتقاء الساكنين وهاهنا حذفت للضرورة فليست مثلها * وقال الزمخشري قد تقتضيه لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه انتهى والخشوع لغة الخضوع والتذلل وللمفسرين فيه هنا أقوال * قال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة * وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح * وقال مسلم بن يسار وقتادة تنكيس الرأس * وقال الحسن الخوف * وقال الضحاك وضع اليمين على الشمال * وعن علي ترك الالتفات في الصلاة * وعن أبي الدرداء اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده ومن الخشوع أن تستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى * وفي التحرير اختلف في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو أول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت * وقال الزمخشري (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * واللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة اطراحه يعني أن بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف انتهى وتقدم معمول اسم الفاعل جاء ليتقوى تعديته باللام كأنه ... التأخر لكنه مع التقديم أكثر فلذلك جاء للزكاة باللام ... مصدر ... الزكاة ... اسم ... نسبة الفعل اليها اذ كل ما يصدر يصح أن يقال فيه فعل ... المخرج من النصاب للفقير

﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ قال ابن عباس وجماعة هو نفخ الروح فيه وقيل خروجه الى الدنيا وتبارك فعل ماض لا يتصرف ومعناه تعالى وتقدس و﴿ أحسن الخالقين ﴾ أفعل التفضيل والخلاف فيها اذا أضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة أم غير محضة فمن قال محضة أعرب أحسن صفة ومن قال غير محضة أعربه بدلا والاشارة بقوله بعد ذلك الى هذا التطوير والانشاء خلقا آخر وانقضاء مدة حياتكم ﴿ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد

فيكون على حذف أي لأداء الزكاة * فاعلون إذ لا يصح فعل الأعيان من المزكي أو يضمن فاعلون معنى مؤدون وبه شرحه التبريزي * وقيل للزكاة للعمل الصالح كقوله خيرا منه زكاة أي عملا صالحا قاله أبو مسلم * وقيل الزكاة هنا النماء والزيادة واللام لام العلة ومعمول فاعلون محذوف التقدير والذين هم لأجل تحصيل النماء والزيادة فاعلون الخير * وقيل المصروف لا يسمى زكاة حتى يحصل بيد الفقير * وقيل لا تسمى العين المخرجة زكاة فكان التعبير بالفعل عن اخراجه أولى منه بالاداء وفيه رد على بعض زنادقة الاعاجم الاجانب عن ذوق العربية في قوله ألا قال مؤدون قال في التحرير والتعبير وهذا كما قيل لا عقل ولا نقل والكتاب العزيز نزل بأفصح اللغات وأصحها بلا خلاف * وقد قال أمية بن أبي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة * والفاعلون للزكوات

ولم يرد عليه أحد من فصحاء العرب ولا طعن فيه علماء العربية بل جميعهم يحتجون به ويستشهدون انتهى * وقال الزمخشري وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة يعني على أن الزكاة يراد بها العين وهو على حذف مضاف أي لأداء الزكوات وعلل ذلك بجمعها يعني أنها اذا أريد بها العين صح جمعها واذا أريد بها التزكية لم تجمع لأن التزكية مصدر والمصادر لا تجمع وهذا غير مسلم بل قد جاء منها مجموعا ألفاظ كالعلوم والحلوم والاشغال وأما اذا اختلفت فالأكثرون على جواز جمعها وهنا اختلفت بحسب متعلقاتها فاخراج النقد غير اخراج الحيوان وغير اخراج النبات والزكاة في قول أمية مما جاء جمعا من المصادر فلا يتعدى حمله على المخرج لجمعه * وحفظ لا يتعدى بعلى * فقيل على بمعنى من أي الامن أزواجهم كما استعملت من بمعنى على في قوله ونصرناه من القوم أي على القوم قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره والأولى أن يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون أو قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى كقوله أمسك عليك زوجك وتكلف الزمخشري هنا وجوها * فقال على أزواجهم في موضع الحال أي الاوالين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلانا ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلان تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو يجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك الله الافعلت بمعنى ماطلبت منك الافعلك انتهى يعني أن يكون حافظون صورته صورة المثبت وهو منفي من حيث المعنى أي والذين هم لم يحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم فيكون استثناء مفرغا متعلقا فيه على بما قبله كما مثل بنشدتك الذي صورته صورة مثبت ومعناه النفي أي ماطلبت منك وهذه التي ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة وقوله أو ما ملكت أريد بما النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم * وقال الزمخشري أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث انتهى وقوله وهم الاناث ليس بجيد لأن لفظ هم مختص بالذكور فكان ينبغي أن يقول وهو الاناث على لفظ ما أوهن الاناث على معنى ما وهذا الاستثناء حد يجب الوقوف عنده والتسري خاص بالرجال ولا يجوز للنساء باجماع فلو كانت المرأة متزوجة بعبد فلكته فاعتقته حالة الملك انفسخ النكاح عند فقهاء الأمصار * وقال النخعي والشعبي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يبقيان على نكاحهما وفي قوله أو ما ملكت أيمانهم دلالة على تعميم وطء ما ملك باليمين وهو مختص

بالاناث باجماع فكأنه قيل أو ما ملكت أيمانهم من النساء وفي الجمع بين الاختين من ملك اليمين وبين المملوكة وعمتها أو خالتها خلاف ويخص أيضا في الآية بتحريم وطء الحائض والأمة اذا زوجت والمظاهر منها حتى يكفر ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء ومعنى وراء ذلك سوى هذا الحد الذي حد من الأزواج ومملوكات النساء وانتصابه على أنه مفعول بابتغى أي خلاف ذلك * وقيل لا يكون وراء هنا الا على حذف تقديره ما وراء ذلك والجمهور على تحريم الاستمناء ويسمى الخضخضة وجلد عميرة يكنون عن الذكر بعميرة وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لانه فضلة في البدن فجاز اخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة وسأل حرملة بن عبد العزيز مالكا عن ذلك فتلا هذه الآية وكان جرى في ذلك كلام مع قاضي القضاة أبي الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري ابن دقيق العيد فاستدل على منع ذلك بما استدل مالك من قوله فمن ابتغى وراء ذلك فقلت له ان ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر بذلك في أشعارها وكان ذلك كثيرا فيها بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك وأما جلد عميرة فلم يكن معهودا فيها ولا ذكره أحد منهم في أشعارهم فيما علمناه فليس بمندرج في قوله وراء ذلك ألا ترى أن محل ما أبيح وهو نساؤهم بنكاح أو تسر فالذي وراء ذلك هو من جنس ما أحل لهم وهو النساء فلا يحل لهم شيء منهن الا بنكاح أو تسر والظاهر أن نكاح المتعة لا يندرج تحت قوله فمن ابتغى وراء ذلك لانها ينطلق عليها اسم زوج وسأل الزهري القاسم بن محمد عن المتعة فقال هي محرمة في كتاب الله وتلا والذين هم لفروجهم حافظون الآية ولا يظهر التحريم في هذه الآية * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو في رواية لاماناتهم بالافراد وباقي السبعة بالجمع والظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتروك وما ائتمنه الانسان قبل ويحتمل الخصوص في أمانات الناس والامانة هي الشيء المؤتمن عليه ومراعاتها القيام عليها لحفظها الى أن تؤدى والامانة أيضا المصدر وقال تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها والمؤدى هو العين المؤتمن عليه أو القول ان كان المؤتمن عليه لا المصدر * وقرأ الاخوان على صلاتهم بالتوحيد وباقي السبعة بالجمع والخشوع والمحافظة متغايران بدأ أولا بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالأفعال البدنية وثنى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيئاتها ويكون ذلك دأبه في كل وقت * قال الزمخشري وحد أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أولئك أي الجامعون لهذه الأوصاف هم الوارثون الاحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انتهى وتقدم الكلام في الفردوس في آخر الكهف * ولقد خلقنا الانسان الآية لما ذكر تعالى أن المتصفين بتلك الأوصاف هم الذين يرثون الفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي ذكر النشأة الأولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة * وقال ابن عطية هذا ابتداء كلام والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة وان تباينت في المعاني انتهى وقد بينا المناسبة بينهما ولم تتباين في المعاني من جميع جهاتها * والانسان هنا

نادة وغيره ورواه عن سلمان وابن عباس آدم لانه انسل من الطين * ثم جعلناه عائد على ابن
آدم وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان المعنى لا يصلح الا له ونظيره حتى توارت بالحجاب أو على
حذف مضاف أي ثم جعلنا نسله * وعن ابن عباس أيضا أن الانسان ابن آدم وسلالة من طين صفوة
الماء يعني المني وهو اسم جنس والطين يراد به آدم اذ كانت نشأة من الطين كما سمي عرق الثرى
وجعل من الطين لكونه سلالة من أبويه وهما متغذيان بما يكون من الطين * وقال الزمخشري
خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة انتهى فجعل الانسان جنسا
باعتبار حالتيه لا باعتبار كل فرد منه ومن الأولى لابتداء الغاية ومن الثانية قال الزمخشري
للبيان كقوله من الأوثان انتهى ولا تكون للبيان الا على تقدير أن تكون السلالة هي الطين أما اذا
قلنا انه ما انسل من الطين فتكون لابتداء الغاية * والقرار مكان الاستقرار والمراد هنا الرحم
* والمكين المتمكن وصف القرار به لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال أو لتمكن من يحل
فيه فوصف بذلك على سبيل المجاز كقوله طريق سائر لكونه يسار فيه وتقدم تفسير النطفة والعلقة
والمضغة * وقرأ الجمهور عظاما والعظام الجمع فيهما * وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبان
والمفضل والحسن وقتادة وهارون والجعفي ويونس عن أبي عمرو وزيد بن علي بالافراد فيهما
* وقرأ السلمي وقتادة أيضا والأعرج والأعمش ومجاهد وابن محيصن بافراد الأول وجمع
الثاني * وقرأ أبو رجاء وابراهيم بن أبي بكر ومجاهد أيضا بجمع الأول وافراد الثاني فالافراد يراد به
الجنس * وقال الزمخشري وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة
انتهى وهذا لا يجوز عند سيبويه وأصحابنا الا في الضرورة وأنشدوا

* كلوا في بعض بطنكم تعفوا * ومعلوم ان هذا لا يلبس لانهم كلهم ليس لهم بطن واحد
ومع هذا خصوا مجيئه بالضرورة * ثم أنشأناه خلقا آخر * قال ابن عباس والشعبي وأبو العالية
والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه * وقال ابن عباس أيضا خروجه الى الدنيا * وقالت فرقة
نبات شعره * وقال مجاهد كمال شبابه * وقال ابن عباس أيضا تصرفه في أمور الدنيا * قال ابن عطية
وهذا التخصيص لا وجه له وانما هو عام في هذا وغيره من وجود النطق والادراك وأول رتبه من
كونه آخر نفخ الروح وآخره تحصيله المعقولات الى أن يموت انتهى ملخصا وهو قريب مما رواه
العوفي عن ابن عباس ويدل عليه قوله بعد ذلك ثم انكم بعد ذلك لميتون * وقال الزمخشري
ما ملخصه خلقا آخر مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا ناطقا سميعا بصيرا
وأودع كل عضو وكل جزء منه عجائب وغرائب لا تدرك بوصف ولا تبلغ بشرح وقد احتج أبو حنيفة
بقوله خلقا آخر على ان غاصب بيضة أفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ وقال أنشأناه جعل
انشاء الروح فيه واتمام خلقه انشاء له * قيل وفي هذا رد على النظام في زعمه ان الانسان هو الروح
فقط وقد بين تعالى انه مركب من هذه الأشياء ورد على الفلاسفة في زعمهم ان الانسان شيء لا ينقسم
وتبارك فعل ماض لا يتصرف ومعناه تعالى وتقدس وأحسن الخالقين أفعل التفضيل والخلاف
فيها اذا أضيفت الى معرفة هل اضافتها محضة أم غير محضة فمن قال محضة أعرب أحسن صفة ومن قال
غير محضة أعربه بدلا * وقيل خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أحسن الخالقين ومعنى الخالقين
المقدرين وهو وصف يطلق على غير الله تعالى كما قال زهير

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

* قال الأعلم هذا مثل ضربه يعني زهيرا والخالق الذي يقدر الاديم ويهيئه لان يقطعه ويخرزه

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ لما ذكر ابتداء خلق الانسان وانتهاء أمره ذكره بنعمه وسبع طرائق قيل لها طرائق لتطارق بعضها فوق بعض يقال طارق النعل جعله على نعل وطارق بين ثوبين لبس أحدهما على الآخر ﴿ فاسكناه في الأرض ﴾ أي جعلنا مقره في الارض وعن ابن عباس أنزل الله من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فاسكناه دليل على أن مقر ما نزل من السماء هو في الارض فمنه الأنهار والعيون والآبار وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على ذهابه والباء في به للتعدية أي على اذهابه كان الفعل لازما فصار بالباء متعديا كما قال تعالى لذهب بسمعهم أي لأذهب سمعهم ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال ﴿ وأنشأنا لكم به جنات ﴾ وخص هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لانها أكثر الشجر وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله لكم فيها الى آخره لان ثمرها جامع بين أمرين أحدهما أنه فاكهة يتفكه بها والآخر أنه طعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وتمرا وعنبا وزبيبا والزيتون دهنه صالح للاصطباح والاصطباغ جميعا والضمير في ولكم عائد على جنات وهو أعم لسائر الثمرات وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ الطور جبل أضيف الى سيناء والظاهر أنه علم اسم بقعة امتنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بفتح السين وكسرها وقرئ ﴿ تنبت ﴾ بفتح التاء وضم الباء ويكون بالدهن حالا أي ملتبسة بالدهن وقرئ تنبت فالباء في بالدهن زائدة أي تنبت الدهن فيكون مفعولا به

والفرى القطع والمعنى انك اذا تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه * وقال ابن عطية معناه الصانعين يقال لمن صنع شيأ خلقه وأنشد بيت زهير قال ولا تنفي هذه اللفظة عن البشر في معنى الصنع انما هي منفية بمعنى الاختراع * وقال ابن جريج قال الخالقين لانه أذن لعيسى في أن يخلق وتمييز أفعل التفضيل محذوف لدلالة الخالقين عليه أي أحسن الخالقين خلقا أي المقدرين تقديرا * وروى أن عمر لما سمع ولقد خلقنا الانسان الى آخره قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت وروى ان قائل ذلك معاذ * وقيل عبد الله بن أبي سرح وكانت سبب ارتداده ثم أسلم وحسن اسلامه * وقرأ زيد ابن علي وابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون بالالف يريد حدوث الصفة فيقال أنت مائت عن قليل وميت ولا يقال مائت للذي قد مات * قال الفراء انما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال ابن مالك واذا قصد استقبال المصوغ من ثلاثي على غير فاعل رد اليه ما لم يقدر الوقوع يعني انه لا يقال لمن مات مائت * وقال الزمخشري والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوها ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك انتهى والاشارة بقوله بعد ذلك الى هذا التطوير والانشاء خلقا آخر أي وانقضاء مدة حياتكم * ثم انكم يوم القيامة تبعثون ونبه تعالى على عظيم قدرته بالاختراع أولا ثم بالاعدام ثم بالايجاد وذكر الموت والبعث لا يدل على انتفاء الحياة في القبر لان المقصود ذكر الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة في القبر من جنس الاعادة ومعنى تبعثون للجزاء (فان قلت) الموت مقطوع به عند كل أحد والبعث قد أنكره طوائف واستبعدته وان كان مقطوعا به من جهة الدليل لامكانه في نفسه ومجيء السمع به فوجب القطع به فما بال جملة الموت جاءت مؤكدة بان وباللام ولم تؤكد جملة البعث بان (فالجواب) انه بولغ في تأكيد ذلك تنبيها للانسان أن يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان مآله اليه فكأنه أكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى لان الانسان في الحياة الدنيا يسعى فيها غاية السعي ويؤكد ويجمع حتى كأنه مخلد فيها فنبه بذكر الموت مؤكدا مبالغة فيه ليقصر وليعلم ان آخره الى الفناء فيعمل لما بعده ولم تؤكد جملة البعث الا بان لانه أبرز في صورة المقطوع به حتى لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا و [illegible] فلم يحتج الى توكيد ثان وكنت سئلت لم دخلت اللام في قوله لميتون ولم تدخل في تبعثون فأجبت بان اللام مخلصة المضارع للحال غالبا فلا تجامع يوم القيامة لان عمل تبعثون في الظرف المستقبل تخلصه للاستقبال فتنافي الحال وانما قلت غالبا لانه قد جاءت قليلا مع الظرف المستقبل كقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة على انه يحتمل تأويل هذه الآية وقرر اللام مخلصة المضارع للحال بان يقدر عامل في يوم القيامة ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ [illegible] وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء [illegible]

بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة
ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ لما ذكر تعالى ابتداء خلق الانسان وانتهاء أمره
ذكر بنعمه وسبع طرائق السموات قيل لها طرائق لتطارق بعضها فوق بعض طارق النعل
جعله على نعل وطارق بين ثوبين لبس أحدهما على الآخر قاله الخليل والفراء والزجاج كقوله طباقا
* وقيل لانها طرائق الملائكة في العروج * وقيل لانها طرائق في الكواكب في مسيرها *
وقيل لان لكل سماء طريقة وهيئة غير هيئة الاخرى * قال ابن عطية و يجوز أن تكون الطرائق
بمعنى المبسوطات من طرقت الشئ * وما كنا عن الخلق غافلين نفى تعالى عنه الغفلة عن خلقه
وهو ما خلقه تعالى فهو حافظ السموات من السقوط وحافظ عباده بما يصلحهم أي هم بمرأى منا
ندبرهم كما نشاء * بقدر بتقدير منا معلوم لا يزيد ولا ينقص بحسب حاجات الخلق ومصالحهم * فأسكناه
في الارض أي جعلنا مقره في الارض * وعن ابن عباس أنزل الله من الجنة خمسة أنهار جيحون
وسيحون ودجلة والفرات والنيل وفي قوله فأسكناه في الارض دليل على ان مقر ما نزل من السماء
هو في الارض فمنه الأنهار والعيون والآبار وكما أنزله تعالى بقدرته هو قادر على اذهابه * قال
الزمخشري على ذهاب به من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به
وطريق من طرقه انتهى وذهاب مصدر ذهب والباء في به للتعدية مرادفة للهمزة كقوله لذهب
بسمعهم أي لأذهب سمعهم وفي ذلك وعيد وتهديد أي في قدرتنا اذهابه فتهلكون بالعطش أنتم
ومواشيكم وهذا أبلغ في الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين * وقال
مجاهد ليس في الأرض ماء الا وهو من السماء * قال ابن عطية و يمكن أن يقيد هذا بالعذب والا
فالاجاج ثابت في الارض مع القحط والعذب يقل مع القحط وأيضا فالأحاديث تقتضي الماء الذي
كان قبل خلق السموات والارض ولا محالة أن الله قد جعل في الارض ماء وأنزل من السماء انتهى
* وقيل ما نزل من السماء أصله من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السماء حتى
طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم أنزله الى الارض لينتفع به ولو كان باقيا على حاله ما انتفع به من ملوحته
ولما ذكر تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال فأنشأنا لكم به جنات وخص هذه الأنواع الثلاثة
من النخل والعنب والزيتون لانها أكرم الشجر وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بقوله
لكم فيها الى آخره لان ثمرهما جامع بين أمرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا و يابسا رطبا
وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا و يحتمل أن يكون قوله
ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون
انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها
ترتزقون وتتعيشون قاله الزمخشري * وقال الطبري وذكر النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز
بالطائف والمدينة وغيرهما والضمير في ولكم فيها عائد على الجنات وهو أعم لسائر الثمرات و يجوز أن
يعود على النخيل والاعناب وعطف وشجرة على جنات وهي شجرة الزيتون وهي كثيرة بالشام
* وقال الجمهور سيناء اسم الجبل كما تقول جبل أحد من اضافة العام الى الخاص * وقال مجاهد معنى
سيناء مبارك * وقال قتادة معناه الحسن والقولان عن ابن عباس * وقيل الحسن بالحبشة * وقيل
بالنبطية * وقال معمر عن فرقة معناه ذو شجر * وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل
لها لوجودها عنده قاله مجاهد أيضا * وقرأ الحرميان وأبو عمرو و الحسن بكسر السين وهي لغة

﴿ وان لكم في الأنعام ﴾ تقدم الكلام عليه في النحل ﴿ ولكم فيها منافع ﴾ من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها ونبه على أغزر فوائدها والزمها وهو الشرب والأكل وأدرج باقي المنافع في قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما يكاد يختص به بعض الأنعام وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدي زمامها

يريد صيدح ناقته الفلك معطوف على قوله وعليها أعيد معه حرف الجر

لبني كنانة * وقرأ عمر بن الخطاب وباقي السبعة بالفتح وهي لغة سائر العرب * وقرأ سيني مقصورا و بفتح السين والاصح ان سيناء اسم بقعة وانه ليس مشتقا من السناء لاختلاف المادتين على تقدير أن يكون سيناء عربي الوضع لان نون السناء عين الكلمة وعين سيناء ياء * وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء والباء في بالدهن على هذا باء الحال أي تنبت مصحوبة بالدهن أي ومعها الدهن * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسلام وسهل ورويس والجحدري بضم التاء وكسر الباء فقيل بالدهن مفعول والباء زائدة التقدير تنبت الدهن * وقيل المفعول محذوف أي تنبت جناها وبالدهن في موضع الحال من المفعول المحذوف أي تنبت جناها ومعه الدهن * وقيل أنبت لازم كنبت فتكون الباء للحال وكان الاصمعي ينكر ذلك ويتهم من روى في بيت زهير * قطينا بها حتى اذا أنبت البقل * بلفظ أنبت * وقرأ الحسن والزهري وابن هرمز بضم التاء وفتح الباء مبنيا للمفعول وبالدهن حال * وقرأ زر بن حبيش بضم التاء وكسر الباء الدهن بالنصب * وقرأ سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان بالالف وما رووا من قراءة عبد الله يخرج الدهن وقراءة أبي تثمر بالدهن محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف المجمع عليه ولان الرواية الثابتة عنهما كقراءة الجمهور والصبغ الغمس والائتدام * وقال مقاتل الصبغ الزيتون والدهن الزيت جعل تعالى في هذه الشجرة أدما ودهنا * وقال الكرماني القياس أن يكون الصبغ غير الدهن لأن المعطوف غير المعطوف عليه * وقرأ الاعمش وصبغا بالنصب * وقرأ عامر بن عبد الله وصباغ بالالف فالنصب عطف على موضع بالدهن كان في موضع الحال أو في موضع المفعول والصباغ كالدبغ والدباغ وفي كتاب ابن عطية * وقرأ عامر بن عبد قيس ومتاعا للآكلين كأنه يريد تفسير الصبغ ذكر تعالى شرف مقر هذه الشجرة وهو الجبل الذي كلم الله فيه نجيه موسى عليه السلام ثم ذكر ما فيها من الدهن والصبغ ووصفها بالبركة في قوله من شجرة مباركة زيتونة * قيل وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان * وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها تقدم تفسير نظير هذه الجملة في النحل * ولكم فيها منافع من الحمل والركوب والحرث والانتفاع بجلودها وأوبارها ونبه على غزارة فوائدها وألزامها وهو الشرب والاكل وأدرج باقي المنافع في قوله ولكم فيها منافع كثيرة ثم ذكر ما تكاد تختص به بعض الانعام وهو الحمل عليها وقرنها بالفلك لانها سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر * قال ذو الرمة

* سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد صيدح ناقته ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك

﴿ولقد أرسلنا نوحا﴾ الآية لما ذكر أولا بدأ الانسان وتطوره في تلك الأطوار وما امتن به عليه مما جعله سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر أمثالا لكفار قريش من الأمم السالفة المنكرة لارسال الله تعالى رسلا المكذبة بما جاءتهم به الانبياء عن الله وابتدأ بقصة نوح صلى الله عليه وسلم لانه أبو البشر الثاني كما ذكر أولا آدم في قوله من سلالة من طين ولقصته أيضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك أولا وأنه كان سبب نجاة من آمن وهلاك من لم يكن فيه فالفلك من نعمة الله كل هذه القصص يحذر بها قريشا نقم الله تعالى ويذكرهم نعمه ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله ويكون لكما الكبرياء في الارض والاشارة في بهذا الى افراد الله بالالوهية وترك الاصنام ﴿به جنة﴾ معلوم عندهم أنه ليس بمجنون ﴿فتربصوا به﴾ أي انتظروا حاله حين يتجلى أمره وعاقبة خبره فدعا ربه بأن ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه وتقدم تفسير أكثر الالفاظ التي في هود ونهاه تعالى أن يخاطبه في قومه بدعاء نجاة أو غيره وبين علة أنجاه الله تعالى فحكم عليهم بالاغراق وأمره تعالى بأن يحمده على نجاته وهلاك كفرهم اذ أمره وحده وان كان الشرط فسلك ومن معه لأنه نبيهم وامامهم وهم متبعوه في ذلك ثم أمره أن يدعوه أن ينزله منزلا مباركا قيل قال ذلك عند الركوب في السفينة وقيل عند الخروج منها ﴿ان في ذلك﴾

لآيات وان كنا لمبتلين ﴾ لما ذكر أولا بدء الانسان وتطوره في تلك الاطوار وما امتن به عليه مما جعله تعالى سببا لحياتهم وادراك مقاصدهم ذكر امثالا لكفار قريش من الأمم السابقة المنكرة لارسال الله رسلا المكذبة بما جاءتهم به الأنبياء عن الله فابتدأ قصة نوح لانه أبو البشر الثاني كما ذكر أولا آدم في قوله من سلالة من طين ولقصته أيضا مناسبة بما قبلها اذ قبلها وعلى الفلك تحملون فذكر قصة من صنع الفلك أولا وانه كان سبب نجاة من آمن وهلاك من لم يكن فيه الفلك من نعمة الله كل هذه القصص يحذر بها قريشا نقم الله ويذكرهم نعمه * مالكم من اله غيره جملة مستأنفة منبهة على أن يفردوا بالعبادة من كان منفردا بالالهية فكأنها تعليل لقوله اعبدوا الله أفلا تتقون أي أفلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملأ أي كبراء الناس وعظماؤهم وهم الذين هم أعصى الناس وأبعدهم لقبول الخير * ما هذا الا بشر مثلكم أي مساويكم في البشرية * فأنى تؤفكون له اختصاص بالرسالة * يريد أن يتفضل عليكم أي يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله وتكون لكما الكبرياء في الارض * ولو شاء الله لأنزل ملائكة هذا يدل على انهم كانوا مقرين بالملائكة وهذه شنشنة قريش ودأبها في استبعاد ارسال الله البشر والاشارة في هذا تحتمل ان تكون لنوح عليه السلام وان تكون الى ما كلمهم به من الامر بعبادة الله ورفض أصنامهم وأن يكون الى ما أتى به من أنه رسول الله وهو بشر وأعجب بضلال هؤلاء استبعدوا رسالة البشر واعتقدوا الهية الحجر * وقولهم ماسمعنا بهذا الظاهر انهم كانوا مباهتين والا فنبوة ادريس وآدم لم تكن المدة بينها وبينهم متطاولة بحيث تنسى فدافعوا الحق بما أمكنهم دفاعه ولهذا قالوا ان هو الا رجل به جنة ومعلوم عندهم انه ليس بمجنون * فتربصوا به أي انتظروا حاله حتى يجلى أمره وعاقبة خبره فدعا ربه تعالى بأن ينصره ويظفره بهم بسبب ما كذبوه * وقال الزمخشري بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم انتهى * وقرأ أبو جعفر وابن محيصن قال رب بضم الباء وتقدم توجيهه في قوله قل رب احكم بضم الباء وتقدم الكلام على أكثر تفسير ألفاظ هذه الآية في سورة هود ونهاه تعالى ان يخاطبه في قومه بدعاء نجاة أو غيره وبين علة النهي بأنه تعالى قد حكم عليهم بالاغراق وأمره تعالى بأن يحمده على نجاته وهلاكهم وكان الامر له وحده وان كان الشرط قد شمله ومن معه لأنه نبيهم وامامهم وهم متبعوه في ذلك إذ هو قدوتهم قال مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي انتهى ثم أمره أن يدعوه بأنه ينزله منزلا مباركا * قيل وقال ذلك عند الركوب في السفينة * وقيل عند الخروج منها * وقرأ الجمهور منزلا بضم الميم وفتح الزاي فجاز أن يكون مصدرا ومكانا أي انزالا أو موضع انزال * وقرأ أبو بكر والمفضل وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبان بفتح الميم وكسر الزاي أي مكان نزول * ان في ذلك خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أي ان في ماجرى على هذه أمة نوح لدلائل وعبرا وان كنا لمبتلين أي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم

كنا لمبتلين ﴾ أي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو لمختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ الآية ذكر هذه القصة عقيب قصة قوم نوح فظهر أن هؤلاء هم قوم هود وهو قول الاكثرين ﴿ بلقاء الآخرة ﴾ أي بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها ﴿ وأترفناهم ﴾ أي بسطنا لهم الآمال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعرا بعلية التكذيب والكفر أي الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم وأحسنا إليهم وكان ينبغي أن يكون الامر بخلاف ذلك وأن يقابلوا نعمنا بالايمان وتصديق من أرسلته إليهم وأن يكون جملة حالية أي وقد أترفناهم أي كذبوا في هذه الحال ويؤل هذا المعنى الى المعنى الاول أي كذبوا في حال الاحسان اليهم وكان ينبغي أن لا يكفروا وأن يشكروا النعمة بالايمان بي والتصديق لرسلي ﴿ مما تأكلون منه ﴾

تحقيق البشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم وأن لا مزية له عليهم والظاهر أن ما موصولة في قوله مما تشربون وأن العائد محذوف تقديره مما تشربون منه فحذف منه لوجود من الداخلة على الموصول قال الزمخشري اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم انتهى ليس اذن واقعا في جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة ولو كانت انكم والخبر جوابا للشرط لزمت الفاء في أنكم بل لو كانت بالفاء في تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ واختلف المعربون في تخريج انكم الثانية فالمنقول عن سيبويه أن انكم بدل من الاولى وفيها معنى التأكيد وخبر انكم الاولى محذوفة لدلالة خبر الثانية عليه تقديره أنكم تبعثون اذا متم

وهذا الخبر المحذوف هو العامل في اذا و ﴿هيهات﴾

انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ﴾ ذكر هذه القصة عقيب قصة نوح يظهر ان هؤلاء هم قوم هود والرسول هو هود عليه السلام وهو قول الاكثرين * وقال أبو سليمان الدمشقي والطبري هم ثمود والرسول صالح عليه السلام هلكوا بالصيحة وفي آخر القصة فأخذتهم الصيحة ولم يأت ان قوم هود هلكوا بالصيحة وقصة قوم هود جاءت في الاعراف وفي هود وفي الشعراء بإثر قصة قوم نوح وقال تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح والاصل في أرسل أن يتعدى بالى كأخواته وجه وأنفذ وبعث وهنا عدي بفي جعلت الامة موضعا للارسال كما قال رؤبة * أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام * وجاء بعث كذلك في قوله ويوم نبعث في كل أمة ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا وان في أن اعبدوا الله يجوز أن تكون مفسرة وان تكون مصدرية وجاء هنا وقال الملأ بالواو وفي الاعراف وسورة هود في قصته بغير واو وقصد في الواو العطف على ما قاله أي اجتمع قوله الذي هو حق وقولهم الذي هو باطل كأنه اخبار بتباين الحالين والتي بغير واو وقصد به الاستئناف وكأنه جواب لسؤال مقدر أي فما كان قولهم له قال قالوا كيت وكيت * بلقاء الآخرة أي بلقاء الجزاء من الثواب والعقاب فيها * وأترفناهم أي بسطنا لهم الآمال والارزاق ونعمناهم واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة الذين وكان العطف مشعرا بغلبة التكذيب والكفر أي الحامل لهم على ذلك كوننا نعمناهم وأحسنا اليهم وكان ينبغي أن يكون الامر بخلاف ذلك وان يقابلوا نعمتنا بالايمان وتصديق من أرسلته اليهم وان تكون جملة حالية أي وقد أترفناهم أي كذبوا في هذه الحال ويؤول هذا المعنى الى المعنى الأول أي كذبوا في حال الاحسان اليهم وكان ينبغي أن لا يكفروا وان يشكروا النعمة بالايمان والتصديق لرسلي وقوله يأكل مما تأكلون منه تحقيق للبشرية وحكم بالتساوي بينه وبينهم وان لا

اسم فعل لا يتعدى يرفع الفاعل ظاهرا أو مضمرا مثال رفع الظاهر قول الشاعر

فهيهات هيهات العقيق واهله
وهيهات خل بالعقيق نواصله

ومثال المضمر قوله في هذه الآية هيهات هو أي اخراجكم وفي هيهات لغات قال الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر الى آخره انتهى ليس هذا بواضح لانهم قد نونوا أسماء الافعال ولا نقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر * قال ابن عطية طورا تلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد أي بعد وأحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد

الوجود لما توعدون انتهى هذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه أنه مصدر حذف وأبقى معموله ولا يجيز البصريون شيئا من هذا وقالوا ان هي إن نافية وهي مبتدأ معناه ان الحياة الا حياتنا خبر فسر الضمير بسياق المعنى * افترى نسبوه الى افتراء الكذب على الله تعالى في أنه نبأه وأرسله اليهم وأخبره انهم يبعثون ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ أي بمصدقين والضمير في قال عائد على الرسول ﴿عما قليل﴾ ما زائدة للتوكيد وقيل نعت لمنعوت محذوف تقديره عن زمن قليل وعن تحتمل وجهين أحدهما أن تتعلق بفعل محذوف تقديره عما قليل نصرت والثاني أن يكون متعلقا بيصبحن وفيه دليل على أن معمول اللام المتلو به القسم يجوز أن يتقدم على اللام تقول والله لأضربن زيدا ويجوز تقديم المعمول على اللام فيقول والله زيدا لأضربن ونادمين خبر ليصبحن والصيحة تقدم الكلام عليها وهي في هلاكهم العذاب وهو حيث [illegible] ثمود [illegible] والصيحة [illegible] وتنصب بعد الفعل متروك اظهاره أي بعدوا بعدا [illegible] والقوم الظالمون [illegible]

مزية له عليهم والظاهر ان ما موصولة فى قوله مما تشربون وان العائد محذوف تقديره مما تشربون منه لوجود شرائط الحذف وهو اتحاد المتعلق والمتعلق كقوله مررت بالذى مررت وحسن هذا الحذف ورجحه كون تشربون فاصلة ولدلالة منه عليه فى قوله مما تأكلون منه وفى التحرير وزعم الفراء أن معنى قوله ويشرب مما تشربون على حذف أى مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف ألبتة لأن ما اذا كانت مصدرا لم تحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذى حذفت المفعول ولم تحتج الى اضمار من انتهى يعنى انه يصير التقدير مما تشربونه فيكون المحذوف ضميرا متصلا وشروط جواز الحذف فيه موجودة وهذا تخريج على قاعدة البصريين الا أنه يفوت فصاحة معادلة التركيب ألا ترى انه قال مما تأكلون منه فعداه بمن التبعيضية فالمعادلة تقتضى أن يكون التقدير مما تشربون منه فلو كان التركيب مما تأكلونه لكان تقدير تشربونه هو الراجح * وقال الزمخشرى حذف الضمير والمعنى من مشربكم أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه انتهى فقوله حذف الضمير معناه مما تشربونه وفسره بقوله مشربكم لأن الذى تشربونه هو مشربكم * وقال الزمخشرى اذا واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم انتهى وليس اذا واقعا فى جزاء الشرط بل واقعا بين انكم والخبر وانكم والخبر ليس جزاء للشرط بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل ان الموطئة ولو كانت انكم والخبر جوابا للشرط للزمت الفاء فى انكم بل لو كان بالفاء فى تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزا الا عند الفراء والبصريون لا يجيزونه وهو عندهم خطأ واختلف المعربون فى تخريج انكم الثانية والمنقول عن سيبويه ان انكم بدل من الأولى وفيها معنى التأكيد وخبر انكم الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره انكم تبعثون اذا متم وهذا الخبر المحذوف هو العامل فى اذا وذهب الفراء والجرمى والمبرد الى ان انكم الثانية كررت للتأكيد لما طال الكلام حسن التكرار وعلى هذا يكون مخرجون خبر انكم الأولى والعامل فى اذا هو هذا الخبر وكان المبرد يأبى البدل لكونه من غير مستقبل إذ لم يذكر خبر ان الأولى وذهب الاخفش الى أن انكم مخرجون مقدر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديره يحدث اخراجكم فعلى هذا التقدير يجوز أن تكون الجملة الشرطية خبرا لأنكم ويكون جواب اذا ذلك الفعل المحذوف ويجوز أن يكون ذلك الفعل المحذوف هو خبر انكم ويكون عاملا فى اذا وذكر الزمخشرى قول المبرد بادئا به فقال ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الأول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول وهذا قول المبرد * قال الزمخشرى أو جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن انكم انتهى وهذا تخريج سهل لا تكلف فيه * قال أو رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم انتهى وهذا قول الاخفش الا أنه حتم أن تكون الجملة الشرطية خبرا عن انكم ونحن جوزنا فى قول الاخفش هذا الوجه وأن يكون خبر انكم ذلك الفعل المحذوف وهو العامل فى اذا وفى قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم باسقاط انكم الاولى * وقرأ الجمهور هيهات هيهات بفتح التاءين وهى لغة الحجاز * وقرأ هرون عن أبى عمرو بفتحهما منونتين ونسبها ابن عطية لخالد بن إلياس * وقرأ أبو حيوة بضمهما من غير تنوين وعنه وعن الاحمر بالضم والتنوين وافقه أبو السمال فى الاول وخالفه فى الثانى * وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين وروى هذا عن عيسى وهى فى تميم وأسد وعنه أيضا وعن خالد بن الياس بكسرهما

والتنوين * وقرأ خارجة بن مصعب عن أبي عمرو والاعرج وعيسى أيضا باسكانهما وهذه الكلمة تلاعبت بها العرب تلاعبا كبيرا بالحذف والابدال والتنوين وغيره وقد ذكرنا في التكميل لشرح التسهيل ماينيف على أربعين لغة فالذي اختاره انها اذا نونت وكسرت أو كسرت ولم تنون لاتكون جمعا لهيهات ومذهب سيبويه انها جمع لهيهات وكان حقها عنده أن تكون هيهات الآن ضعفها لم يقتض إظهار الياء قال سيبويه هي مثل بيضات يعني في انها جمع فظن بعض النحاة أنه أراد في اتفاق المفرد * فقال واحد هيهات هيهة وتحريرهذا كله مذكور في علم النحو ولا تستعمل هذه الكلمة غالبا الا مكررة وجاءت غير مكررة في قول جرير * وهيهات خل بالعقيق نواصله * * وقول رؤبة * هيهات من متخرق هيهاؤه * وهيهات اسم فعل لايتعدى برفع الفاعل ظاهرا أو مضمرا وهنا جاء التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب أن يعتقد اضمار تقديره هو أي اخراجكم وجاءت اللام للبيان أي أعني لما توعدون كهي بعد بعد سقيا لك فتتعلق بمحذوف وبنيت المستبعد ماهو بعد اسم الفعل الدال على البعد كما جاءت في هيت لك لبيان المهيت به * وقال الزجاج البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون وينبغي أن يجعل كلامه تفسير معنى لاتفسير اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات وقول الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر ليس بواضح لأنهم قد نونوا أسماء الافعال ولانقول انها اذا نونت تنزلت منزلة المصدر * وقال ابن عطية طورا تلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد أي بعد وأحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون انتهى وهذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه أنه مصدر حذف وأبقى معموله ولايجيز البصريون شيأ من هذا * وقال ابن عطية أيضا في قراءة من ضم ونون انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون أي البعد لوعدكم كما تقول النجح لسعيك * وقال صاحب اللوامح فأما من قال هيهات فرفع ونون احتمل أن يكونا اسمين متمكنين مرتفعين بالابتداء ومابعدهما خبرهما من حروف الجر بمعنى البعد * لما توعدون والتكرار للتأكيد ويجوز أن يكونا اسمين للفعل والضم للبناء مثل حوب في زجر الابل لكنه نون لكونه نكرة انتهى * وقرأ ابن أبي عبلة هيهات هيهات ماتوعدون بغير لام وتكون ما فاعلة بهيهات وهي قراءة واضحة وقالوا ان هي هذا الضمير يفسره سياق الكلام لانهم قبل أنكروا المعاد فقالوا أيعدكم انكم الآية فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف واستهزاء فتضمن أن لاحياة الاحياتهم * وقال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم مايعني به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة لاحياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها و يبينها ومنه هي النفس تحمل ماحملت وهي العرب تقول ماشاءت والمعنى لاحياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت مابعدها نفي الجنس * نموت ونحيا أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن انتهى ثم أكدوا الحصر وهو أن لاحياة الا حياتهم وجزموا بانتفاء بعثهم من قبورهم للجزاء وهذا هو كفر الدهرية ثم نسبوه الى افتراء الكذب على الله في انه نبأه وأرسله اليهم وأخبره أنا نبعث * ومانحن له بمؤمنين أي بمصدقين ولما يئس من ايمانهم ورأى اصرارهم على الكفر دعا عليهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم قال عما قليل أي عن زمن قليل وما توكيد للقلة وقليل صفة زمن محذوف وفي معناه قريب * فيه أي عما قليل تصيرون نادمين * وقيل عما قليل أي وقت نزول العذاب بهم ... ظهور علامته ... على ... قول ... حيث لا ينفع

(الدر)
اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توعدون (ح) هذا ليس بجيد لان فيه حذف الفاعل وفيه انه مصدر حذف وأبقى معموله ولا يجيز البصريون شيأ من هذا

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ قال ابن عباس هم بنو اسرائيل ﴿ماتسبق﴾ الى آخر الآية تقدّم الكلام عليه فى الحجر ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ أى لأمم آخرين أنشأناهم بعد أولئك والتاء الأولى فى تترى بدل من الواو وأصله وترى كما أبدلوا التاء من الواو فى تخمة أصله وخمة ووزن الكلمة فعلى فقرئ منونا فتكون الألف فيه للالحاق كهى فى أرطا منونا وقرئ بغير تنوين فتكون الألف للتأنيث اللازمة كهى فى أرطى فى لغة من لم ينون وانتصب على الحال أى متواترين واحدا بعد واحد وأضاف الرسل اليه تعالى وأضاف رسولا الى ضمير الأمة المرسل اليها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل والثانى كانت الاضافة الى الأمة حيث كذبته فلم ينجح فيهم ارساله اليهم فناسب الاضافة اليهم ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ فى الهلاك الناشئ من التكذيب ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ الظاهر أنه جمع أحدوثة وهو مايتحدث به الناس على جهة الغرابة والتعجب قال الزمخشرى الاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه بأنه جمع تكسير لا اسم جمع وهو لم يلفظ له بواحد فأحرى أحاديث قد لفظ له بواحد وهو حديث فالصحيح أنه جمع تكسير لما ذكرنا ﴿بآياتنا﴾ قال ابن عباس هى التسع * والسلطان المبين قيل هى العصا واليد وعمّا اللتان اقترن بهما التحدى ﴿قوما عالين﴾ أى رفيعى الحال فى الدنيا ﴿وقومهما﴾ أى بنو اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ أى خاضعون متذللون ﴿موسى الكتاب﴾ أى قوم موسى والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف فى قوله لعلهم ولا يصح عود هذا الضمير فى لعلهم على فرعون وقومه لأن الكتاب لم يؤته موسى الا بعد هلاك فرعون لقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى ﴿لعلهم يهتدون﴾ ترج بالنسبة اليهم يهتدون بشرائعها ومواعظها ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه﴾ أى قصتهما وهى آية عظمى بمجموعهما وهى آيات مع التفصيل ﴿والربوة﴾ هنا قال ابن عباس الغوطة بدمشق وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال

الرجوع واللام فى ليصبحن لام القسم وعما قليل متعلق بما بعد اللام اما بيصبحن واما بنادمين وجاز ذلك لانه جار ومجرور ويتسامح فى المجرورات والظروف مالا يتسامح فى غيرها ألا ترى أنه لو كان مفعولا به لم يجز تقديمه لو قلت لأضربن زيدا لم يجز زيدا لأضربن وهذا الذى قررناه من أن عما قليل يتعلق بما بعد لام القسم هو قول بعض أصحابنا وجمهورهم على أن لام القسم لا يتقدم شئ من معمولات ما بعدها عليها سواء كان ظرفا أو مجرورا أو غيرهما فعلى قول هؤلاء يكون عما قليل يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله تقديره عما قليل تنصر لان قبله قال رب انصرنى وذهب الفراء وأبو عبيدة الى جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقا وفى اللوامح عن بعضهم لتصبحن بتاء على المخاطبة فلو ذهب ذاهب الى أن يصير القول من الرسول الى الكفار بعدما أجيب دعاؤه لكان جائزا والله أعلم انتهى * فأخذتهم الصيحة * قال الزمخشرى صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم * بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه شبههم بالغثاء فى دمارهم وهو حميل السيل مما بلى واسودّ من الورق والعيدان انتهى * وعن ابن عباس الصيحة الرجفة * وقيل هى نفس العذاب والموت * وقيل العذاب المصطلم * قال الشاعر

صاح الزمان بآل زيد صيحة * خروا لشدتها على الاذقان

* وقال المفضل بالحق بما لا مدفع له كقولك وجاءت سكرة الموت بالحق * وانتصب بعدا بفعل متروك اظهاره أى بعدوا بعدا أى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا * وقال الحوفى للقوم متعلق ببعدا * وقال الزمخشرى وللقوم الظالمين بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون انتهى فلا تتعلق ببعدا بل بمحذوف ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما

﴿وان هذه أمتكم﴾ تقدم تفسيرها في الأنبياء ويدل على أن النداء للرسل نودي كل واحد منهم في زمانه بقوله وان هذه أمتكم وقوله فتقطعوا وجاء هنا فاتقون وهي أبلغ في التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء فاعبدون لان هذه جاءت عقب اهلاك طوائف كثيرين قوم نوح والأمم الذين من بعدهم وفي الانبياء وان تقدمت أيضا قصة نوح وماقبلها فانه جاء بعدها مايدل على الاحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء ايذانا أن التقطيع اعتقب الأمر بالتقوى وذلك مبالغة في عدم قبولهم ونفارهم عن توحيد الله وعبادته وجاء في الانبياء بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل تأخر تقطعهم عن الأمر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على تعمقه في ضلاله وأنه هو الذي ينبغي أن يعتقد وكانه لاريب عنده في أنه الحق ﴿غمرتهم﴾ هذا وعيد لهم حيث تقطعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقائل هو شاعر وقائل ساحر وقائل به جنة كما تقطع من قبلهم من الأمم والغمرة الماء الذي يغمر القامة فضرب مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم ﴿حتى حين﴾ ينزل بهم الموت وما في قوله [illegible] موصولة بمعنى الذي وهي اسم أن وخبرها [illegible] والعائد على ما الموصولة [illegible] [illegible] وتوضيح [illegible] في ما الموصولة وخبر أن قوله نسارع [illegible] في خيرات [illegible] والمعنى [illegible] [illegible]

تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون

﴿قرونا﴾ قال ابن عباس هم بنو اسرائيل * وقيل قصة لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله عليهم * مانسبق الى آخر الآية تقدم الكلام عليها في الحجر * ثم أرسلنا رسلنا تترى أي لأمم آخرين أتاهم بعد أولئك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتادة وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن والشافعي تترى منونا وباقي السبعة بغير تنوين وانتصب على الحال أي متواترين واحدا بعد واحد وأضاف الرسل اليه تعالى وأضاف رسولا الى ضمير الامة المرسل اليها لأن الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه فالاول كانت الاضافة لتشريف الرسل والثاني كانت الاضافة الى الامة حيث كذبته ولم ينجع فيهم رسالته اليهم فناسب الاضافة اليهم * فأتبعنا بعضهم بعضا أي بعض القرون أو بعض الامم بعضا في الاهلاك الناشئ عن التكذيب * وأحاديث جمع حديث وهو جمع شاذ أو جمع أحدوثة وهو جمع قياسي والظاهر أن المراد الثاني أي صاروا يتحدث بهم وبحالهم في الاهلاك على سبيل التعجب والاعتبار وضرب المثل بهم * وقال الاخفش لايقال هذا الا في الشر ولايقال في خير * قيل ويجوز أن يكون جمع حديث والمعنى انه لم يبق منهم عين ولا أثر الا الحديث عنهم * وقال الزمخشري الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه أنه جمع تكسير وهو لم ينطق له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له بواحد وهو حديث فالصحيح أنه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكرناه * بآياتنا * قال ابن عباس هي التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنون ونقص من الثمرات * وسلطان مبين * قيل هي العصا واليد وهما اللتان قرن بهما التحدي ويدخل في عموم اللفظ سائر آياتهما كالبحر [illegible] الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني اسرائيل * وقال الحسن بآياتنا أي بديننا * وسلطان مبين هو المعجز ويجوز أن يراد بالآيات نفس المعجزات وبسلطان مبين كيفية دلالتها لانها وان شاركت آيات الانبياء فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام * وقيل ويجوز أن يراد بالسلطان المبين العصا لانها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة [illegible] [illegible]

(قوله) (ش) الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره أصحابنا فيما شذ من الجموع كقطيع وأقاطيع واذا كان عباديد قد حكموا عليه أنه جمع تكسير وهو لم يلفظ له بواحد فأحرى أحاديث وقد لفظ له بواحد وهو حديث فالصحيح أنه جمع تكسير لا اسم جمع لما ذكره

الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة فاستكبروا عن الايمان بموسى وأخيه نفة * قوما عالين أي رفيعي الحال في الدنيا أي متطاولين على الناس قاهرين بالظلم أو متكبرين كقوله ان فرعون علا في الارض أي وكان من شأنهم التكبر * والبشر يطلق على المفرد والجمع كقوله فاما ترين من البشر أحدا ولما أطلق على الواحد جاز تثنيته فلذلك جاء لبشرين * ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولا يؤنث وقد يطابق تثنية وجمعا * وقومهما أي بنو اسرائيل لنا عابدون أي خاضعون متذللون أو لأنه كان يدعي الالهية فادعى الناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة * وقال أبو عبيد العرب تسمي كل من دان للملك عابدا ولما كان ذلك الاهلاك كالمعلول للتكذيب أعقبه بالفاء أي فكانوا ممن حكم عليهم بالغرق اذ لم يحصل الغرق عقيب التكذيب * موسى الكتاب أي قوم موسى والكتاب التوراة ولذلك عاد الضمير على ذلك المحذوف في قوله لعلهم ولا يصح عود هذا الضمير في لعلهم على فرعون وقومه لان الكتاب لم يؤته موسى الا بعد هلاك فرعون لقوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * لعلهم ترج بالنسبة اليهم لعلهم يهتدون لشرائعها ومواعظها * وجعلنا ابن مريم وأمه أي قصتهما وهي آية عظمى بمجموعها وهي آيات مع التفصيل ويحتمل أن يكون حذف من الاول آية لدلالة الثاني أي وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية * والربوة هنا * قال ابن عباس وابن المسيب الغوطة بدمشق وصفتها أنها ذات قرار ومعين على الكمال * وقال أبو هريرة رملة فلسطين * وقال قتادة وكعب بيت المقدس وزعم أن في التوراة ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء وأنه يزيد على أعلى الارض ثمانية عشر ميلا * وقال ابن زيد ووهب الربوة بأرض مصر وسبب هذا الايواء أن ملك ذلك الزمان عزم على قتل عيسى ففرت به أمه الى أحد هذه الاماكن التي ذكرها المفسرون * وقرأ الجمهور ربوة بضم الراء وهي لغة قريش والحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم وابن عامر بفتحها وأبو اسحاق السبيعي بكسرها وابن أبي اسحاق رباوة بضم الراء وبالالف وزيد بن علي والاشهب العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالالف * وقرئ بكسرها وبالالف * ذات قرار أي مستوية تمكن القرار فيها للحرث والغراسة والمعنى أنها من البقاع الطيبة * وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني أنها لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ونداء الرسل وخطابهم بمعنى نداء كل واحد وخطابه في زمانه اذ لم يجتمعوا في زمان واحد فينادون ويخاطبون فيه واعا أتى بصورة الجمع ليعتقد السامع ان أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه * وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بلفظ الجمع لقيامه مقام الرسل * وقيل ليفهم بذلك أن هذه طريقة كل رسول كما تقول تخاطب تاجرا يا تجار اتقوا الربا * وقال الطبري الخطاب لعيسى وروي أنه كان يأكل من غزل أمه والمشهور من نقل البرية * وقال الزمخشري ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا الذي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا وكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل والطيبات الحلال لذيذا كان أو غير لذيذ * وقيل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له ذات قرار ومعين وقدم الاكل من الطيبات على العمل الصالح دلالة على أنه لا يكون صالحا الا مسبوقا بأكل الحلال * انى بما تعملون عليم تحذير في الظاهر والمراد اتباعهم وان هذه أمتكم الآية تقدم تفسير مثلها في أواخر الانبياء * وقرأ الكوفيون وان بكسر الهمزة والتشديد على الاستئناف والحرميان وأبو عمرو بالفتح والتشديد أي

ولأن وابن عامر بالفتح والتخفيف وهي المخففة من الثقيلة ويدل على أن النداء للرسل نودي كل
واحد منهم في زمانه قوله وإن هذه أمتكم وقوله فتقطعوا وجاء هنا وأنا ربكم فاتقون وهو أبلغ في
التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء فاعبدون لأن هذه جاءت عقيب إهلاك طوائف كثيرين
من قوم نوح والأمم الذين من بعدهم وفي الأنبياء وإن تقدمت أيضا قصة نوح وما قبلها فإنه جاء بعدها
ما دل على الإحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم فناسب الأمر بالعبادة
لمن هذه صفته تعالى وجاء هنا فتقطعوا بالفاء إيذانا بأن التقطيع اعتقب الأمر بالتقوى وذلك مبالغة
في عدم قبولهم وفي نفارهم عن توحيد الله وعبادته وجاء في الأنبياء بالواو فاحتمل معنى الفاء واحتمل
تأخر تقطعهم عن الأمر بالعبادة وفرح كل حزب بما لديه دليل على نعمته في ضلاله وأنه هو الذي
ينبغي أن يعتقد وكأنه لا ريبة عنده في أنه الحق ولما ذكر تعالى من ذكر من الأمم وما آل أمرهم من
الإهلاك حين كذبوا الرسل كان ذلك مثالا لقريش فخاطب رسوله في شأنهم بقوله فذرهم في
غمرتهم حتى حين وهذا وعيد لهم حيث تقطعوا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقائل هو
شاعر وقائل ساحر وقائل به جنة كما تقطع من قبلهم من الأمم كما قال أتواصوا به بل هم قوم طاغون
* قال الكلبي في غمرتهم في جهالتهم * وقال ابن بحر في حيرتهم * وقال ابن سلام في غفلتهم * وقيل
في ضلالتهم حتى حين حتى ينزل بهم الموت * وقيل حتى يأتي ما وعدوا به من العذاب * وقيل هو
يوم بدر * وقيل هي منسوخة بآية السيف * وقرأ الجمهور في غمرتهم وعلي بن أبي طالب وأبو
حيوة والسلمي في غمراتهم على الجمع لأن لكل واحد غمرة وعلى قراءة الجمهور فغمرة تعم إذا
أضيفت إلى عام * وقال الزمخشري الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون
فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال الشاعر

كأنني ضارب في غمرة لعب * سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال
بعذابهم والجزع من تأخره انتهى ثم وقفهم تعالى على خطأ رأيهم في أن نعمة الله عليهم بالمال والبنين
إنما هي لرضاه عن حالهم وبين تعالى أن ذلك إنما هو إملاء واستدراج إلى المعاصي واستجرار إلى
زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالإحسان * وقرأ ابن وثاب إنما نمدهم
بكسر الهمزة * وقرأ ابن كثير في رواية يمدهم بالياء وما في إنما بمعنى الذي أو مصدرية أو كافة
مهيئة إن كانت بمعنى الذي فصلتها نمدهم به وخبر أن هي جملة من قوله نسارع لهم في الخيرات والرابط
لهذه الجملة ضمير محذوف تقديره نسارع لهم به في الخيرات وحسن حذفه استطالة الكلام
مع أمن اللبس وتقدم نظيره في قوله أن ما نمدهم به وقال هشام بن معاوية تقدير الرابط هو الظاهر
وهو في الخيرات وكأن المعنى نسارع لهم فيه ثم أظهر فقال في الخيرات ولا حذف على هذا التقدير
وهذا يتمشى على مذهب الأخفش في إجازته نحو زيد قام أبو عبد الله إذا كان أبو عبد الله كنية
لزيد وخيرات من حيث المعنى [illegible] وإن كانت ما مصدرية فالمسبوك
منها ومما عملت فيه هو اسم أن وخبر أن هو نسارع [illegible] فيكون الأصل أن نسارع
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

﴿من خشية ربهم مشفقون﴾ لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بأبلغ صفاتهم والاشفاق أبلغ التوقع والخوف ﴿أولئك يسارعون﴾ مبتدأ وخبر والجملة خبر ان و ﴿لا نكلف نفسا﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة ﴿ولدينا كتاب﴾ أي كتاب فيه احصاء أعمال الخلق مشيرا الى الصحف التي يقرؤن فيها ما ثبت لهم ﴿بل قلوبهم﴾ أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء ﴿من هذا﴾ أي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون ﴿من دون ذلك﴾ أي من دون الغمرة والضلال

المحيط بهم والمعنى أنهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك لهم سعايات فساد فوصفهم الله تعالى بحالتي شر والضمير في اذاهم عائد على مترفيهم واذا الفجائية جواب لاذا الشرطية يجأرون يجزعون عبر عن الصراخ بالجزع اذ الجزع بسببه ﴿انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي﴾ هي آيات القرآن ﴿تنكصون﴾ ترجعون استعارة للاعراض عن الحق والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه تنكصون أي بالنكوص والتباعد عن سماع الآيات أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى بالباء أو تكون الباء للسبب أي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو ﴿سامرا﴾ السامر مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سامر وسمر ومعناه سمر الليل

ينسبك من ان وما بعدها مصدر * وقرأ السلمي وعبد الرحمن بن أبي بكرة يسارع بالياء وكسر الراء فان كان فاعل نسارع ضمير يعود على ما بمعنى الذي أو على المصدر المنسبك من ما نمد فنسارع خبر لان ولا ضمير ولا حذف أي يسارع هو أي الذي يمد و يسارع هو أي امدادنا * وعن ابن أبي بكرة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيا للمفعول * وقرأ الحر النحوي نسرع بالنون مضارع أسرع * بل لا يشعرون اضراب عن قوله أيحسبون أي بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور فيتأملوا ويتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه تهديد ووعيد * ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون * لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم بأبلغ صفاتهم والاشفاق أبلغ التوقع والخوف ومنهم من حمل الخشية على العذاب والمعنى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل * ومن خشية متعلق بمشفقون قاله الحوفي * وقال ابن عطية ومن في من خشية هي لبيان جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله والآيات تعم القرآن والعبر والمصنوعات التي لله وغير ذلك مما فيه نظر * وفي كل شيء له آية * ثم ذكر نفي الاشراك وهو عبادتهم آلهتهم التي هي الأصنام إذ لكفار قريش أن تقول نحن نؤمن بآيات ربنا ونصدق بانه المخترع الخالق * وقيل ليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشرك لله لان ذلك داخل في قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون المراد نفي الشرك للحق وهو أن يخلصوا في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله وطلب رضوانه * وقرأ الجمهور يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات * وقلوبهم وجلة أي خائفة أن لا يقبل منهم لتقصيرهم انهم أي وجلة لأجل رجوعهم الى الله أي خائفة لأجل ما يتوقعون من لقاء الجزاء * قال ابن عباس وابن جبير هو عام في جميع أعمال البر كأنه قال والذين يفعلون من أنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم * وقرأت عائشة وابن عباس وقتادة والاعمش والحسن والنخعي يأتون ما أتوا من الاتيان أي يفعلون ما فعلوا قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك

مأخوذ من السمر وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر والسمير الرفيق بالليل في السمر ويقال له السمار أيضا ويقال لا أفعله ما سمر ابنا سمير والسمير الدهر وابناه الليل والنهار وكانوا يسمرون حول البيت بذكر القرآن وغيره وقرئ تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر وقرئ تهجرون بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر وهو الفحش وفي قراءة التاء التفات من غيبة الى خطاب وقرئ بالياء فلا التفات

يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه هو الذي يصلي و يصوم و يتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل * قيل وجل العارف من طاعته أكثر من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة والطاعة تطلب التصحيح * وقال الحسن المؤمن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة وأمنا * وقرأ الاعمش انهم بالكسر * وقال أبو عبد الله الرازي ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الاولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله والثالثة على ترك الرياء في الطاعة والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين انتهى * أولئك يسارعون جملة في موضع خبر ان * قال ابن زيد الخيرات المخافة والايمان والكف عن الشرك * قال الزمخشري يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات مانفي عن الكفار للمؤمنين انتهى * وقرأ الحر النحوي يسرعون مضارع أسرع يقال أسرعت الى الشئ وسرعت اليه بمعنى واحد وأما المسارعة فالمسابقة أي يسارعون غيرهم * قال الزجاج يسارعون أبلغ من يسرعون انتهى ووجهة المبالغة أن المفاعلة تكون من اثنين فتقتضي حث النفس على السبق لان من عارضك في شئ تشتهي أن تغلبه فيه * وهم لها سابقون الظاهر ان الضمير في لها عائد على الخيرات أي سابقون اليها تقول سبقت لكذا وسبقت الى كذا ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس وتكون الجملة تأكيدا للتي قبلها مفيدة تجدد الفعل بقوله يسارعون وثبوته بقوله سابقون * وقيل اللام للتعليل أي لأجلها سابقون الناس اى رضا الله * وقال الزمخشري لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها انتهى وهذان القولان عندي واحد * قال أيضا أو اياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا انتهى ولا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشئ الشئ يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقال لهم وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح * وقال أيضا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله أنت لها انتهى وهذا مروي عن ابن عباس قال المعنى سبقت لهم السعادة في الأزل فهم لها ورجحه الطبري بأن اللام متمكنة في المعنى انتهى والظاهر القول الأول وباقيها متعسف وتحميل للفظ غير ظاهره * وقيل الضمير في لها عائد على الجنة * وقيل على الأمم * ولا نكلف نفسا الا وسعها تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في آخر البقرة ولدينا كتاب ينطق بالحق أي كتاب فيه احصاء أعمال الخلق يشير الى الصحف التي يقرؤن فيها ما ثبت لهم في اللوح المحفوظ * وقيل القرآن بل قلوبهم أي قلوب الكفار في ضلال قد غمرها كما يغمر الماء من هذا أي من هذا العمل الذي وصف به المؤمنون ومن الكتاب الذي لدينا ومن القرآن والمعنى من اطراحه اوتركه ويشير الى الدين بجملته أو الى محمد صلى الله عليه وسلم أقوال خمسة ولهم أعمال من دون ذلك أي من دون الغمرة والضلال المحيط بهم والمعنى انهم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك لهم سعايات فساد وصفهم تعالى بحالتي شره هذا المعنى قتادة وأبو العالية وعلى هذا التأويل الاخبار عما سلف من أعمالهم وعما هم فيه * وقيل الاشارة بذلك الى قوله من هذا وكأنه قال لهم أعمال من دون الحق أو

(الدر)

(ش) لها سابقون أي فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها (ح) هذان القولان عندي واحد (ش) أو اياها سابقون أي ينالوا بها في الدنيا قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا (ح) لا يدل لفظ لها سابقون على هذا التفسير لان سبق الشئ الشئ يدل على تقدم السابق على المسبوق فكيف يقال وهم يسبقون الخيرات هذا لا يصح

القرآن ونحوه * وقال الحسن ومجاهد انما أخبر بقوله ولهم أعمال عما يستأنف من أعمالهم أي انهم لهم أعمال من الفساد * وعن ابن عباس أعمال سيئة دون الشرك * وقال الزمخشري ولهم أعمال متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون ولا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية انتهى * وقيل الضمير في قوله بل قلوبهم يعود الى المؤمنين المشفقين في غمرة من هذا وصف لهم بالحيرة كأنه قال وهم مع ذلك الخوف والوجل كالمتحيرين في أعمالهم أهي مقبولة أم مردودة * ولهم أعمال من دون ذلك أي من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه ويريد بالاعمال الأول الفرائض وبالثاني النوافل * حتى اذا أخذنا مترفيهم رجوع الى وصف الكفار قاله أبو مسلم * قال أبو عبدالله الرازي وهو أولى لأنه اذا أمكن رد الكلام الى ما اتصل به كان أولى من رده الى ما بعده خصوصا وقد رغب المرء في الخير بأن يذكر ان أعمالهم محفوظة كما يحذر بذلك من الشر وان يوصف بشدة فكرة في أمر آخرته بأن قلبه في غمرة ويراد انه قد استولى عليه الفكر في قبوله أو رده وفي انه هل أداه كما يجب أو قصر (فان قيل) فما المراد بقوله من هذا (قلنا) اشارة الى اشفاقهم ووجلهم بين استيلاء ذلك على قلوبهم انتهى وتقدم قول الزمخشري في حتى انها التي يبتدأ بعدها الكلام وانها غاية لما قبلها وقدر ذلك انهم معتادون لها حتى يأخذهم الله بالعذاب * وقال الحوفي حتى غاية وهي عاطفة اذا ظرف يضاف الى ما بعده فيه معنى الشرط اذا الثانية في موضع جواب الاولى ومعنى الكلام عامل في اذا والتقدير جأروا فيكون جأروا العامل في اذا الاولى والعامل في الثانية أخذنا انتهى وهو كلام مخبط لبس أهلا أن يرد * وقال ابن عطية وحتى حرف ابتداء لا غير واذا والثانية التي هي جواب يمنعان من أن تكون حتى غاية لعاملون انتهى * وقال مكي أي لكفار قريش أعمال من الشر دون أعمال أهل البر لها عاملون الى أن يأخذ الله أهل النعمة والبطر منهم * بالعذاب اذا هم يضجون ويستغيثون والمترفون المنعمون والرؤساء والعذاب القحط سبع سنين والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد * وقيل العذاب قتلهم يوم بدر * وقيل عذاب الآخرة والظاهر ان الضمير في أذاهم عائد على مترفيهم اذهم المحدث عنهم صاحوا حين نزل بهم العذاب * وقيل يعود على الباقين بعد المعذبين * قال ابن جريج المعذبون قتلى بدر والذين يجأرون أهل مكة لأنهم ناحوا واستغاثوا * لا تجأروا اليوم أي يقال لهم اما حقيقة تقول لهم الملائكة ذلك واما مجازا أي لسان الحال يقول ذلك هذا ان كان الذين يجأرون هم المعذبون وعلى قول ابن جريج ليس القائل الملائكة * وقال قتادة يجأرون يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم * وقال الربيع بن أنس تجأرون تجزعون عبر بالصراخ بالجزع اذ الجزع سببه * انكم منا لا تنصرون أي لا تمنعون من عذابنا أو لا يكون لكم نصر من جهتنا فالجؤار غير نافع لكم ولا مجد * قد كانت آياتي هي آيات القرآن * تنكصون ترجعون استعارة للاعراض عن الحق * وقرأ علي بن أبي طالب تنكصون بضم الكاف والضمير في به عائد على المصدر الدال عليه تنكصون أي بالنكوص والتباعد من سماع الآيات أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب وضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي بالباء أو تكون الباء للسبب أي يحدث لكم بسبب سماعه استكبار وعتو والجمهور على ان الضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يجر له ذكر وسوغ هذا الاضمار شهرتهم

﴿أفلم يدبروا القول﴾ ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم فرعهم أولا بترك الانتفاع بالقرآن ثم ثانيا بأن ما جاءهم جاء آباءهم الأولين ثم ثالثا بأنهم يعرفون محمدا صلى

بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم معجزة الا انهم ولاته والقائمون به وذكر منذر بن سعيد ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسنه ان فى قوله تتلى عليكم دلالة على التالى وهو الرسول عليه السلام وهذه أقوال تتعلق فيها بمستكبرين * وقيل تتعلق بسامرا أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب من أتى به * وقرأ الجمهور سامرا وابن مسعود وابن عباس وأبو حيوة وابن محيصن وعكرمة والزعفرانى ومحبوب عن أبى عمرو سمرا بضم السين وشد الميم مفتوحة جمع سامر وابن عباس أيضا وزيد بن على وأبو رجاء وأبو نهيك كذلك وبزيادة ألف بين الميم والراء جمع سامر أيضا وهما جمعان مقيسان فى مثل سامر * وقرأ الجمهور تهجرون بفتح التاء وضم الجيم * وروى ابن أبى عاصم بالياء على سبيل الالتفات * قال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر * وقال ابن زيد وأبو حاتم من هجر المريض اذا هذى أى يقولون اللغو من القول * وقرأ ابن عباس وابن محيصن ونافع وحميد بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر أى يقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش * قال ابن عباس اشارة الى السب للصحابة وغيرهم * وقرأ ابن مسعود وابن عباس أيضا وزيد بن على وعكرمة وأبو نهيك وابن محيصن أيضا وأبو حيوة كذلك الا أنهم فتحوا الهاء وشددوا الجيم وهو تضعيف من هجر مضى الهجر بالفتح بمعنى مقابل الوصل أو الهذيان أو ماض الهجر وهو الفحش * وقال ابن جنى لو قيل ان المعنى انكم مبالغون فى المهاجرة حتى انكم ان كنتم سمرا بالليل فكأنكم تهجرون فى الهاجرة على الافتضاح لكان وجها ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون﴾ ذكر تعالى توبيخهم على اعراضهم عن اتباع الحق والقول القرآن الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم أى أفلم يتفكروا فيما جاءهم [illegible] فيعلموا أنه المعجز الذى لا يمكن معارضته فيصدقوا به وبمن جاء به ووقفهم على [illegible] قال بعضهم [illegible] وهو أعظم الدلائل [illegible] قرعهم أولا [illegible] الانتفاع بالقرآن [illegible] رسل [illegible] أمم [illegible] وعرفوا [illegible] وقحطان [illegible] ولا [illegible] بن كعب [illegible] ولا تميم بن مر ولا قس [illegible]

الله عليه وسلم وصحة نسبه وأمانته وصدقه ثم رابعا نسبوه الى الجن وقد علموا أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ أوقع التناقض باختلاف أهوائهم واضطرابها واختل نظام العالم بذكرهم أى بوعظهم والبيان لهم ﴿أم تسألهم خرجا﴾ هذا استفهام توبيخ أيضا المعنى بل أتسألهم مالا فقلوا لذلك واستثقلوك من أجله وتقدم الكلام على قوله خرجا فى آخر الكهف ولما عيب طريقة الكفار أتبع ذلك ببيان صحة ما جاء به الرسول فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام ثم أخبر أن من أنكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لأنه لا يسلكه الا من كان راجيا للثواب خائفا من العقاب وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم مائلون عنه [illegible] من ضر وقيل هو الأسر بالعذاب [illegible] قيل هو الأسر والقتل ﴿[illegible] عذاب شديد﴾ روى [illegible] أن ثمامة بن [illegible] وخلق [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

وبخهم ثالثاً بأنهم يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله وانتسامه بأنه خير فتيان قريش وكفى بخطبة أبي طالب حين تزوج خديجة وأنها احتوت على صفات له صلى الله عليه وسلم طرقت آذان قريش فلم تنكر منها شيأ أي قد سبقت معرفتهم له جملة وتفصيلاً فلا يمكن انكار شيء من أوصافه ثم وبخهم رابعاً بأنهم نسبوه الى الجن وقد علموا أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهناً وان الفرق بين الحكمة وفصل الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي الجنة غير خاف على من له مسكة من عقل وهذه التوبيخات الاربع كان يقتضي ما وبخوا به منها أن يكون سبباً لانقيادهم الى الحق لأن التدبير لما جاء به والنظر في سير الماضين وارسال الرسل اليهم ومعرفة الرسول ذاتاً وأوصافاً وبراءته من الجنون هاد لمن وفقه الله للهداية ولكنه جاءهم بما حال بينهم وبين أهوائهم ولم يوافق ما نشؤا عليه من اتباع الباطل ولما لم يجدوا له مدفعاً لأنه الحق عاملوا بالبهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر * بل جاءهم بالحق أي بالقرآن المشتمل على التوحيد وما به النجاة في الآخرة والسودد في الدنيا * وأكثرهم للحق كارهون يدل على أن فيهم من لا يكره الحق وذلك من يترك الايمان أنفة واستكباراً من توبيخ قومه أن يقولوا صبأ وترك دين آبائه * ولو اتبع الحق أهواءهم * قرأ ابن وثاب ولو اتبع بضم الواو والظاهر انه الحق الذي ذكر قبل في قولهم بل جاءهم بالحق أي لو كان ما جاء به الرسول من الاسلام والتوحيد متبعاً أهواءهم لانقلب شركاً وجاء الله بالقيامة وأهلك العالم ولم يؤخر قال معناه الزمخشري وبعضه بلفظه وقال أيضاً دل بهذا على عظم شأن الحق فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلاً ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام * وقيل لو كان ما جاء به الرسول بحكم هوى هؤلاء من اتخاذ شريك لله وولد وكان ذلك حقاً لم يكن لله الصفات العلية ولم تكن له القدرة كما هي وكان في ذلك فساد السموات والارض * وقيل كانوا يرون الحق في اتخاذ الآلهة مع الله لكنه لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والارض على ما قرر في دليل التمانع في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وقيل كانت آراؤهم متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض واختل نظام العالم * وقال قتادة الحق هنا الله تعالى * فقال الزمخشري معناه ولو كان الله يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الهاً ولما قدر على أن يمسك السموات والارض * وقال ابن عطية ومن قال ان الحق في الآية هو الله تعالى وكان قد حكاه عن ابن جريج وأبي صالح تشعب له لفظه اتبع وصعب عليه ترتيب الفساد المذكور في الآية لأن لفظة الاتباع انما هي استعارة بمعنى ان يكون أهواؤهم يقررها الحق فنحن نجد الله تعالى قد قرر كفر أمم وأهواءهم وليس في ذلك فساد سموات وأما نفسه الذي هو الصواب فلو كان طبق أهوائهم لفسد كل شيء فتأمله انتهى * وقرأ الجمهور بنون العظمة وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمرو يونس عن أبي عمرو بياء المتكلم وابن أبي اسحاق وعيسى أيضاً وأبو البرهسيم وأبو حيوة والجحدري وابن قطيب وأبو رجاء بتاء الخطاب للرسول عليه السلام وأبو عمرو في رواية آتيناهم بالمد أي أعطيناهم والجمهور بذكرهم أي بوعظهم والبيان لهم قاله ابن عباس * وقرأ عيسى بذكراهم بألف التأنيث وقتادة نذكرهم بالنون مضارع ذكر ونسبة الاتيان الحقيقي الى الله لا تصح وانما هو مجاز أي بل آتاهم كتابنا أو رسولنا * وقال الزمخشري بذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين * أم تسألهم خرجاً هذا استفهام توبيخ

أيضا المعنى بل أتسألهم مالا فغلبوا الذلك واستثقلوك من أجله قاله ابن عطية وخطب الزمخشري بأحسن كلام فقال أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير فقد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر انتهى وتقدم الكلام في قوله خرجا فخراج في قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا في الكهف قراءة ومدلولا * وقرأ الحسن وعيسى خراجا فخرج فكملت بهذه القراءة أربع قراآت وفي الحرفين فخراج ربك أي ثوابه لأنه الباقي وما يؤخذ من غيره فان * وقال السكاي فعطاؤه لأنه يعطي لا لحاجة وغيره يعطي لحاجة * وقيل فرزقه ويؤيده خير الرازقين * قال الجبائي خير الرازقين دل على أنه لا يساويه أحد في الافضال على عباده ودل على أن العباد قد يرزق بعضهم بعضا انتهى وهذا مدلول خير الذي هو أفعل التفضيل ومدلول الرازقين الذي هو جمع أضيف اليه أفعل التفضيل ولما زيف طريقة الكفار أتبع ذلك ببيان صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام ثم أخبر أن من أنكر المعاد ناكب عن هذا الصراط لأنه لا يسلكه الا من كان راجيا للثواب خائفا من العقاب وهؤلاء غير مصدقين بالجزاء فهم مائلون عنه وأبعد من زعم أن الصراط الذي هم ناكبون عنه هو طريق الجنة في الآخرة ومن زعم أن الصراط هو في الآخرة ناكبون عنه بأخذهم يمنة ويسرة الى النار * قال ابن عباس لناكبون لعادلون * وقال الحسن تاركون له * وقال قتادة حائرون * وقال الكلبي معرضون وهذه أقوال متقاربة المعنى * ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر * قيل هو الجوع * وقيل القتل والسبي * وقيل عذاب الآخرة أي بلغوا من التمرد والعناد انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ولجوا فيما هم عليه من العمه وهذا القول بعيد بل الظاهر ان هذا التعليق كان يكون في الدنيا ويدل على ذلك قوله ولقد أخذناهم بالعذاب الى آخر الآية فانه يدل على شدة شكيمتهم في الكفر ولججهم على تقدير رحمتهم بأنه أخذهم بالسيوف أولا وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم وما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل فأبلسوا وخضعت رقابهم والظاهر من هذا ان الضمير في قحطهم والجوع الذي أصابهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس وابن جريج * وسبب نزول الآية دليل على ذلك روى انه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم وحصل لهم الخصب لما تمادوا على ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة الرسول والمؤمنين والافراط فيهما * وقيل المعنى ولقد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رئي فيهم استكانة ولا تضرع حتى اذا عذبوا بنار جهنم أبلسوا كقوله

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون فعلى هذا القول يكون الفتح لباب العذاب الشديد في الآخرة وعلى الأول كان في الدنيا وزن استكان استفعل أي انتقل من كون الى كون كما تقول استحال انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الألف اشباع ضعيف لان الاشباع بابه الشعر كقوله

أعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الاذناب

ولان الاشباع لا يكون في تصاريف الكلمة ألاترى ان من أشبع في قوله * ومن ذم الزمان بمنتزاح * لاتقول انتزاح ينتزيح فهو منتزيح وأنت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان ومجيء مصدره استكانة يدل على أن الفعل وزنه استفعل كاستقام استقامة وتخالف استكانوا ويتضرعون في الصيغة فلم يكونا ماضيين ولا مضارعين * قال الزمخشري لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة ومامن عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد * والمبلس الآيس من الشر الذي ناله * وقرأ السلمي مبلسون بفتح اللام ﴿ وهو الذي أنشألكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلاتعقلون بل قالوا مثل ماقال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الاأساطير الأولين قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلاتتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون مااتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب إما تريني مايوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك مانعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولاتكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الاقليلا لو انكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لااله الاهو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ * الهمز النخس والدفع بيد وغيرها ومنه مهمار الرائض وهمز الناس باللسان * البرزخ الحاجز بين المسافتين * وقيل الحجاب بين الشيئين يمنع أحدهما أن

(الدر)

(ح) استكان استفعل أي انتقل من كون الى كون كما تقول استحال انتقل من حال الى حال وقول من زعم ان استكان افتعل من السكون وان الالف اشباع ضعيف لان الاشباع بابه الشعر كقوله

* أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب *

ولأن الاشباع لا يكون في تصاريف الكلمة ألاترى ان من أشبع في قوله

* ومن ذم الرجال بمنتزاح * لايقول انتزاح ينتزيح فهو منتزيح وأنت تقول استكان يستكين فهو مستكين ومستكان ومجيء مصدره استكانة يدل على ان الفعل وزنه استفعل كاستقام استقامة

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ الآية تقدم الكلام على نظيرها ﴿ما تشكرون﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿بل قالوا﴾ بل اضراب أي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا والضمير لأهل مكة ومن يجري مجراهم في انكار البعث مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون إليهم من الكفار ﴿قل لمن الارض﴾ لما اتخذوا من دونه آلهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم مقرين بأنه تعالى له الأرض ومن فيها ملك له وأنه رب العالم العلوي وأنه مالك كل شئ وهم مع ذلك ينسبون إليه الولد ويتخذون له شركاء * قوله لله جواب مطابق لقوله لمن الأرض كما تقول لمن الدار فتقول لزيد ﴿سيقولون الله﴾ الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وقرئ لله فيهما بلام الجر فالقراءة الاولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية جاءت على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الاول انه باللام وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الارض ومن فيها بالتذكر أي أفلا تذكرون فتعلمون أن من له ملك الارض ومن فيها حقيق أن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية وختم ما بعدها بالتقوى وهي أبلغ من التذكر وفيها وعيد شديد أي أفلا تخافونه فلا تشركون به وختم ما بعد هذه بقوله ﴿فأنى تسحرون﴾ مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم ما يقع عليهم به الاحتجاج وأنى بمعنى كيف

يصل الى الآخر * النسب القرابة من جهة الولادة * اللفح اصابة النار الشئ بوهجها واحراقها * وقال الزجاج اللفح أشد من النفح تأثيرا * الكلوح تسمر السفتين عن الاسنان ومنه كلوح الكلب والأسد * وقيل الكلوح بسور الوجه وهو تقطيبه وكلح لرجل كلوحا وكلاحا ودهر كالح وبرد كالح شديد * العبث اللعب الخالي عن فائدة ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا إلا أساطير الأولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ مناسبة وهو الذي أنشأ لكم لما قبله أنه لما بين اعراض الكفار عن سماع الأدلة ورؤية العبر والتأمل في الحقائق خاطب قيل المؤمنين والظاهر العالم بأسرهم تنبيها على أن من لم يعمل هذه الاعضاء في ما خلقت لله تعالى وتدبر ما أودعه فيها

قرر أنهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سحروا بها أي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما ينسبون اليه من اتخاذ الولد والشركاء وغير ذلك [illegible] كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهو نفي استحالة

[illegible] وما كان معه من إله [illegible] كان معه شريك في خلق العالم و [illegible] في الالوهية تنبيها على من قال [illegible] ﴿إذا لذهب كل إله﴾ [illegible] لتركيب [illegible] بعضهم [illegible] شرط ولا سؤال سائل ولا عادة فلو [illegible] شرط محذوف تقديره [illegible] قوله وما كان معه من إله [illegible] في سورة سبحان [illegible] موجودين [illegible] وجود [illegible] وجوده [illegible] لولد والشريك

من الدلائل على وحدانيته وباهر قدرته فهو كعادم هذه الاعضاء وممن قال تعالى فيهم فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ فمن أنشأ هذه الحواس وأنشئت هي له وأحيا وأمات وتصرف في اختلاف الليل والنهار هو قادر على البعث وخص هذه الاعضاء بالذكر لانه يتعلق بها منافع الدين والدنيا من اعمال السمع والبصر في آيات الله والاستدلال بفكر القلب على وحدانية الله وصفاته ولما كان خلقها من أتم النعم على العبد قال قليلا ما تشكرون أي تشكرون قليلا وما زائدة للتأكيد ومن شكر النعمة الاقرار بالمنعم بها ونفي الند والشريك له وذرأكم خلقكم وبثكم فيها * واليه أي والى حكمه وقضائه وجزائه تحشرون يريد البعث والجمع في الآخرة بعد التفرق في الدنيا والاضمحلال * وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به ومتوليه وله القدرة التي ذلك الاختلاف عنها والاختلاف هنا التعاقب أي يخلف هذا هذا * أفلا تعقلون من هذه تصرفات قدرته وآثار قهره فتوحدونه وتنفون عنه الشركاء والأنداد اذهم ليسوا بقادرين على شئ من ذلك * وقرأ أبو عمرو في رواية يعقلون بياء الغيبة على الالتفات * بل قالوا بل اضراب أي ليس لهم عقل ولا نظر في هذه الآيات بل قالوا والضمير لأهل مكة ومن جرى مجراهم في انكار البعث مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون اليهم من الكفار ولما اتخذوا من دون الله تعالى آلهة ونسبوا اليه الولد نبههم على فرط جهلهم بكونهم يقرون بأنه تعالى له الارض ومن فيها ملك وأنه رب العالم العلوي وأنه مالك كل شئ وهم مع ذلك ينسبون له الولد ويتخذون له شركاء * وقرأ عبد الله والحسن والجحدري ونصر بن عاصم وابن وثاب وأبو الأشهب وأبو عمرو من السبعة سيقولون الله الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعا وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام * وقرأ باقي السبعة لله فيهما بلام الجر فالقراءة الأولى فيها المطابقة لفظا ومعنى والثانية جاءت على المعنى لأن قولك من رب هذا ولمن هذا في معنى واحد ولم يختلف في الأول انه باللام * وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم نعتا للرب وتقول أجرت فلانا على فلان اذا منعته منه أي وهو يمنع من يشاء ممن يشاء ولا يمنع أحد منه أحدا ولا تعارض بين قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي عنهم و بين ما حكى عنهم من قولهم سيقولون الله لأن قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الاحتجاج على وجه التأكيد لعلمهم وختم كل سؤال بما يناسبه فختم ملك الأرض ومن فيها بحقيق أن لا يشرك به بعض خلقه ممن في الارض ملكا له الربوبية وختم ما بعدها بالتقوى وهي أبلغ من التذكر وفيها وعيد شديد أي أفلا تخافونه فلا تشركوا به وختم ما بعد هذه بقوله فأنى تسحرون مبالغة في التوبيخ بعد اقرارهم والتزامهم ما يقع عليهم به في الاحتجاج وأنى بمعنى كيف قررانهم مسحورون وسألهم عن الهيئة التي سحروا بها أي كيف تخدعون عن توحيده وطاعته والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ووضع الافعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك * وقرئ بل آتيتهم بتاء المتكلم وابن أبي اسحاق بتاء الخطاب وانهم لكاذبون فيما ينسبون الى الله تعالى من اتخاذ الولد ومن الشركاء وغير ذلك مما هم فيه كاذبون ثم نفى اتخاذ الولد وهو نفي استحالة ونفى الشريك بقوله وما كان معه من إله أي وما كان معه شريك في خلق العالم واختراعهم ولا في غير ذلك مما يليق به من الصفات العلى فنفي الولد تنبيه على من قال الملائكة بنات الله ونفي الشريك في الالوهية تنبيه على من قال الاصنام آلهة ويحتمل أن يراد به ابطال قول النصارى والثنوية ومن ولد ومن اله نفي عام يفيد

﴿قل رب إما تريني﴾ الآية لما ذكر تعالى ما كان عليه الكفار من ادعاء الولد والشريك لله وكان تعالى قد أعلم نبيه أنه ينتقم منهم ولم يبين أذلك في حياته أم بعد موته أمره بأن يدعو بهذا الدعاء أي ان تريني ما تعدهم واقعابهم في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم معصوم مما يكون سببا لجعله معهم ولكنه أمره أن يدعو بذلك إظهار العبودية وتواضعا لله *على أن نريك متعلق بقادرون ثم أمره تعالى بمحسن الاخلاق والتي هي أحسن أبلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها أفعل التفضيل وجاء في صلة التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف والتي هي أحسن شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك * ثم أمره تعالى أن يستعيذ من نخسات الشيطان والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء ثم أمره أن يستعيذ من حضورهم عنده لانهم اذا

حضروا وتوقع الهمز وفسر همز الشيطان بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت﴾ قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين يهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر *

فيا عجبا حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع

أي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها * حتى اذا جاء أحدهم الموت أي حضر وعاينه الانسان فحينئذ يسأل الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله وأما الكافر فيقول ارجعون لعلي أعمل صالحا ومعنى فيما تركت في الدنيا التي تركتها ﴿كلا﴾ كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد فقيل هي من قول الله له وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قائلها لا يسكت ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه ولا يجدي لها جدوى ولا يجاب لها ولا يغاث ﴿ومن ورائهم﴾ أي الكفار ﴿برزخ﴾ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي أن لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان وبعثه ﴿فلا أنساب﴾ أي لا تواصل بينهم حين افترقوا ... وعقاب ... لتواصل بالاعمال ولا تعارض بين انتفاء التساؤل هنا وبين اثباته في قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان يوم القيامة مواطن ومواقف وتقدم الكلام في الموازين في الاعراف ... الزمخشري في ... الذين خسروا أنفسهم ولا محل لبدل والمبدل منه لان الصلة

استغراق الجنس ولهذا جاء اذا لذهب كل اله ولم يأت التركيب اذا لذهب الاله ومعنى لذهب أي لانفرد كل اله بخلقه الذي خلق واستبد به وتميز ملك كل واحد عن ملك الآخر وغلب بعضهم بعضا كحال ملوك الدنيا واذا لم يقع الانفراد والتغالب فاعلموا أنه اله واحد واذا لم يتقدمه في اللفظ شرط ولا سؤال سائل ولا عدة قالوا فالشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهذا قول الفراء زعم أنه اذا جاء بعدها اللام كانت لو وما دخلت عليه محذوفة وقد قررنا تحرير مجالها على غير هذا في قوله واذا لاتخذوك خليلا في سورة الاسراء والظاهر ان ما في بما خلق بمعنى الذي وجوز أن تكون مصدرية *سبحان الله عما يصفون تنزيه عن الولد والشريك * وقرئ عما تصفون بتاء الخطاب * وقرأ الابنان وأبو عمرو وحفص عالم بالجر * قال الزمخشري صفة لله * وقال ابن عطية اتباع للمكتوبة * وقرأ باقي السبعة وابن أبي عبلة وأبو حيوة وأبو بحرية بالرفع * قال الأخفش الجر أجود ليكون الكلام من وجه واحد * قال أبو علي الرفع ان الكلام قد انقطع يعني أنه خبر مبتدا محذوف أي هو عالم * وقال ابن عطية والرفع عندي أبرع * والفاء في فتعالى عاطفة فالمعنى كأنه قال عالم الغيب والشهادة فتعالى كما تقول زيد شجاع فعظمت منزلته أي شجع فعظمت ويحتمل أن يكون المعنى فأقول تعالى عما يشركون على اخبار مؤتنف * والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما شاهدوه انتهى ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ لما ذكر ما كان عليه الكفار

لامحل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدإ محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما المسمى واحد على سبيل المجاز لأن من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتا لاولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن تكون خبرا لاولئك لانعتا وخالدون خبرا ثانيا وفي جهنم متعلقا به * اللفح أشد من النفخ تأثيرا والكلوح تشمر الشفتين عن الاسنان ومنه كلوح الكلب والاسد وخص الوجه باللفح لانه أشرف ما في الانسان والانسان أحفظ له من الآفات من غيره من الاعضاء فاذا لفح الاشرف فادونه ملفوح ولما ذكر إصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض أعضاء الوجه وفي الترمذي تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح

من ادعاء الولد والشريك له وكان تعالى قد أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ينتقم منهم ولم يبين اذ ذاك في حياته أم بعد موته أمره بأنه يدعو بهذا الدعاء أي ان ترني ما تعدهم وافعابهم في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله معهم ولكنه أمره أن يدعو بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لله واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة من هذا القبيل * وقال أبو بكر وليتكم ولست بخيركم * قال الحسن كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وجاء الدعاء بلفظ الرب قبل الشرط وقبل الجزاء مبالغة في الابتهال الى الله تعالى والتضرع ولأن الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد * وقرأ الضحاك وأبو عمران الجوني ترئني بالهمز بدل الياء وهذا كقراءة فاماترئن ولترؤن بالهمز وهو ابدال ضعيف ثم أخبر تعالى أنه قادر على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلبون ذلك وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام ولكن تأخيره لأجل يستوفونه والجمهور على أن هذا العذاب في الدنيا * فقيل يوم بدر * وقيل فتح مكة * وقيل هو عذاب الآخرة ثم أمره تعالى بحسن الاخلاق والتي هي أحسن شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك * وقال الحسن الصفح والاغضاء * وقال عطاء والضحاك السلام اذا أفحشوا * وحكى الماوردي ادفع بالموعظة المنكر والأجود العموم في الحسنى وفيما يسوء والتي هي أحسن أبلغ من الحسنة للمبالغة الدال عليها أفعل التفضيل وجاء في صلة التي ليدل على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن * قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف * وقيل هي محكمة لأن المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة * نحن أعلم بما يصفون يقتضي أنها آية موادعة والمعنى بما يذكرون ويصفونك به مما أنت بخلافه ثم أمره تعالى أن يستعيذ من نخسات الشياطين والهمز من الشيطان عبارة عن حثه على العصيان والاغراء به كما يهمز الرائض الدابة لتسرع ثم أمره أن يستعيذ بسورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه * وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون والظاهر أنه أمر بالاستعاذة من حضور الشياطين في كل وقت * وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن * حتى اذا جاء أحدهم الموت * قال الزمخشري حتى يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون انتهى * وقال ابن عطية حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل أن تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول أبين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره انتهى فتوهم ابن عطية أن حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر * وقال أبو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة

(الدر)

(ع) حتى في هذا الموضع حرف ابتداء ويحتمل أن تكون غاية مجردة بتقدير كلام محذوف والاول أبين لان ما بعدها هو المعنى به المقصود ذكره (ح) توهم (ع) ان حتى اذا كانت حرف ابتداء لا تكون غاية وهي اذا كانت حرف ابتداء لا تفارقها الغاية ولم يبين الكلام المحذوف المقدر * وقال أبو البقاء حتى غاية في معنى العطف والذي يظهر لي ان قبلها جملة محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر

* فيا عجبا حتى كليب تسبني *

أي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها

محذوفة تكون حتى غاية لها يدل عليها ما قبلها التقدير فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى اذا جاء أحدهم الموت ونظير حذف هذه الجملة قول الشاعر

* فيا عجبا حتى كليب تسبني * أي يسبني الناس حتى كليب فدل ما بعد حتى على الجملة المحذوفة وفي الآية دل ما قبلها عليها * وقال القشيري احتج تعالى عليهم وذكرهم قدرته ثم قال هم مصرون على الانكار حتى اذا حضر أحدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملائكة ندم ولا ينفعه الندم انتهى وجمع الضمير في ارجعون اما مخاطبة له تعالى مخاطبة الجمع تعظيما كما أخبر عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع * وقال الشاعر * فان شئت حرمت النساء سواكم *

* وقال آخر * * ألا فارحموني يا اله محمد *

واما استغاث أولا بربه وخاطب ملائكة العذاب وقاله ابن جريج والظاهر ان الضمير في أحدهم راجع الى الكفار ومساق الآيات الى آخرها يدل على ذلك * وقال ابن عباس من لم يزك ولم يحج سأل الرجعة * فقيل له ذلك الكفار فقرأ مستدلا لقوله وأنفقوا مما رزقناكم آية سورة المنافقين * وقال الأوزاعي هو مانع الزكاة وجاء الموت أي حضر وعاينه الانسان فحينئذ يسأل الرجعة الى الدنيا وفي الحديث اذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والأحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي أعمل صالحا ومعنى فيما تركت في الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس يريد أؤسس أسا وأبني عليه * وقيل في ما تركت من المال على ما فسره ابن عباس كلا كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد * فقيل هي من قول الله لهم * وقيل من قول من عاين الموت يقول ذلك لنفسه على سبيل التحسر والندم ومعنى هو قائلها لا يسكت عنها ولا ينزع لاستيلاء الحسرة عليه أو لا يجدي جدوى ولا يجاب لما سأل ولا يغاث * ومن ورائهم أي الكفار برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى وقت البعث وفي هذه الجملة اقناط كلي أن لا رجوع الى الدنيا وانما الرجوع الى الآخرة استعير البرزخ للمدة التي بين موت الانسان وبعثه * وقرأ ابن عباس والحسن وابن عياض في الصور بفتح الواو جمع صورة وأبو رزين بكسر الصاد وفتح الواو وتقدم فأحسن صوركم وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسر الفاء شاذ .. فلا أنساب بينهم يومئذ فقال ابن عباس هي النفخة الأولى يموت الناس فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أموات [illegible] حول الحشر . وقال ابن مسعود وغيره عند قيام الناس من القبور فلهول المطلع اشتغل كل امرئ بنفسه فانقطعت الوسائل وارتفع التفاخر والتعاون بالأنساب * وعن قتادة ليس أحد أبغض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف أن يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * وقيل فلا أنساب أي لا تواصل بينهم حين افترقهم الى مستقر ثواب وعقاب وانما التواصل بالأعمال * وقرأ عبد الله ولا يساءلون بتشديد السين أدغم التاء في السين [illegible] ولا تناقض بين انتفاء التساؤل هنا واثباته في قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن يوم القيامة مواطن ومواقف ويمكن أن يكون انتفاء ذلك عند النفخة الأولى واثباته بعد النفخة الثانية [illegible] وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في أوائل الأعراف * وقال الزمخشري في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف انتهى جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن

(الدر)

(ش) في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدإ محذوف (ح) جعل في جهنم بدلا من خسروا وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم فكأنه من بدل الشئ من الشئ وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتا لاولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن يكون خبر الاولئك لا نعتا

﴿ألم تكن آياتي﴾ الآية يقول الله تعالى لهم على لسان من يشاء من ملائكته ألم تكن آياتي وهي القرآن ولما سمعوا هذا التقرير أذعنوا وأقروا على أنفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة ﴿وكنا قوما ضالين﴾ أي عن الهدى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك أنهم أقروا والاقرار بالذنب اعتذار فقالوا ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ أي من جهنم ﴿فان عدنا﴾ الى التكذيب واتخاذ آلهة وعبادة غيرك ﴿فانا ظالمون﴾ أي متجاوزون الحد في العدوان حيث ظلمنا أنفسنا أولا ثم سوّمنا فظلمنا ها ثانيا ﴿قال اخسؤا فيها﴾ أي ذلوا فيها وانزجروا كما تزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ هو بنفسه يكون متعديا ولازما ﴿ولا تكلمون﴾ أي في رفع العذاب أو تخفيفه قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون

يكون البدل الفعل الذي يتعلق به في جهنم أي استقروا في جهنم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمى واحد على سبيل المجاز لان من خسر نفسه استقر في جهنم وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتا لأولئك وخبر أولئك في جهنم والظاهر أن يكون خبرا لأولئك لا نعتا وخص الوجه باللفح لأنه أشرف ما في الانسان والانسان أحفظ له من الآفات من غيره من الأعضاء فاذا لفح الأشرف فما دونه ملفوح ولما ذكر اصابة النار للوجه ذكر الكلوح المختص ببعض أعضاء الوجه وفي الترمذي تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث حسن صحيح * وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة كلحون بغير ألف ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول الله لهم على لسان من يشاء من ملائكته ألم تكن آياتي وهي القرآن ولما سمعوا هذا التقرير أذعنوا وأقروا على أنفسهم بقولهم غلبت علينا شقوتنا من قولهم غلبني فلان على كذا اذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة * وقيل الشقوة الهوى وقضاء اللذات لان ذلك يؤدي الى الشقوة أطلق اسم المسبب على السبب قاله الجبائي * وقيل ما كتب علينا في اللوح المحفوظ وسبق به علمك * وقرأ عبد الله والحسن وقتادة وحمزة والكسائي والمفضل عن عاصم وأبان والزعفراني وابن مقسم شقاوتنا بوزن السعادة وهي لغة فاشية وقتادة أيضا والحسن

﴿انه كان فريق من عبادي﴾ الفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين وهذه الآية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر ﴿سخريا﴾ أي تسخرون منهم ومن اتباعهم للحق * قال الزمخشري في قراءة من قرأ أنهم بالفتح هو المفعول الثاني أي جزيتهم فوزهم انتهى الظاهر أنه تعليل أي جزيتهم لأنهم والكسر على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوح الى عامل و ﴿الفائزون﴾ الناجون من هلكة الى نعمة ﴿قال كم لبثتم﴾ سألهم سؤال توقيف وهو تعالى يعلم عدد ما لبثوا ولما سئلوا عن المدة التي أقاموا فيها في الأرض أجابوا قولهم لبثنا يوما أو بعض يوم ترددوا فيما لبثوا ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما أو بعض يوم ... العبث اللعب الخالي عن الفائدة وانتصب على أنه مصدر في موضع الحال تقديره عابثين وعلى أنه مفعول من أجله والمعنى في هذا ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم للتكاليف والعبادة ﴿وأنكم الينا﴾ معطوف على أنما فهو داخل في الحسبان والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه أو لنسبته الى أكرم الأكرمين ومن شرطية وجوابه فانما حسابه ولا برهان له به صفة لازمة لا للاحتراز من أن يكون ثم آخر يقوم عليه برهان فهي مؤكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز أن يكون جملة اعتراض بين الشرط وجزائه فلا موضع لها من الاعراب وافتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الافتتاح والاختتام ثم أمر رسوله أن يدعو بالغفران والرحمة

فى رواية خالد بن حوشب عنه كذلك الا انه بكسر الشين وباقى السبعة والجمهور بكسر الشين وسكون القاف وهى لغة كثيرة فى الحجاز * قال الفراء أنشدنى أبو ثروان وكان فصيحا

علق من عنائه وشقوته * بنت ثمانى عشرة من حجته

* وقرأ شبل فى اختياره بفتح الشين وسكون القاف * وكنا قوما ضالين أى عن الهدى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك انهم أقروا والاقرار بالذنب اعتذار فقالوا ربنا أخرجنا منها أى من جهنم فان عدنا أى الى التكذيب واتخاذ آلهة وعبادة غيرك فانا ظالمون أى متجاوز والحد فى العدوان حيث ظلمنا أنفسنا أولا ثم سوء محافظتنا منها ثانيا وحكى الطبرى حديثا طويلا فى مقاولة تكون بين الكفار وبين مالك خازن النار ثم بينهم وبين ربهم جل وعز وآخرها قال اخسؤا فيها ولا تكلمون قال وتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس ويبقون ينبح بعضهم فى وجه بعض * قال ابن عطية واختصرت ذلك الحديث لعدم صحته لكن معناه صحيح ومعنى اخسؤا أى ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأت الكلب وخسأ هو بنفسه يكون متعديا ولازما * ولا تكلمون أى فى رفع العذاب أو تخفيفه * قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون * انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * قرأ أبى وهارون العتكى انه بفتح الهمزة أى لأنه والجمهور بكسرها والهاء ضمير الشأن وهو محذوف مع ان المفتوحة الهمزة والفريق هنا هم المستضعفون من المؤمنين وهذه الآية مما يقال للكفار على جهة التوبيخ ونزلت فى كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هى عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر * وقرأ حمزة والكسائى ونافع سخريا بضم السين وباقى السبعة بالكسر * قال الزمخشرى مصدر سخر كالسخر الا أن فى ياء النسب زيادة قوة فى الفعل كما قيل الخصوصية فى الخصوص وهما بمعنى الهزء فى قول الخليل وأبى زيد الانصارى وسيبويه * وقال أبو عبيدة والكسائى والفراء ضم السين من السخرة والاستخدام والكسر من السخر وهو الاستهزاء * ومنه قول الاعشى

انى أتانى حديث لا أسر به * من علو لا كذب فيه ولا سخر

* وقال يونس اذا أريد التخديم فضم السين لا غير واذا أريد الهزء فالضم والكسر * وقال ابن عطية * وقرأ أصحاب عبد الله وابن أبى اسحاق والاعرج بضم السين كل ما فى القرآن * وقرأ الحسن وأبو عمرو بالكسر الا التى فى الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس ثم وكان قال عن أبى على يعنى الفارسى ان قراءة كسر السين أوجه لأنه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه أكثر وهو أليق بالآية ألا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون انتهى قول أبى على ثم قال ابن عطية ألا ترى الى اجماع القراء على ضم السين فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الأمر للتخديم انتهى وليس ما ذكر من اجماع القراء على ضم السين فى الزخرف صحيحا لأن ابن محيصن وابن مسلم كسرا فى الزخرف ذكر ذلك أبو القاسم بن جبارة الهذلى فى كتابه الكامل * حتى أنسوكم ذكرى أى ... [illegible] ... ذكرى ... [illegible] ... أوليائى وأسند النسيان الى فريق المؤمنين من حيث كانوا سببه * وقرأ زيد بن على وحمزة والكسائى وخارجة عن نافع انهم بكسر الهمزة وباقى السبعة بفتحها مفعول جزيتهم ... محذوف تقديره الجنة أو رضوانى * وقال الزمخشرى فى قراءة من قرأ انهم بالفتح هو المفعول الثانى أى جزيتهم

(ع) وقرأ أصحاب عبد الله وابن أبى اسحق والأعرج بضم السين كل ما فى القرآن وقرأ الحسن وأبو عمرو بالكسر الا التى فى الزخرف فانهما ضما السين كما فعل الناس ثم قال بعد نقل كلام عن أبى على الفارسى ألا ترى الى اجماع القراء على ضم السين فى قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا لما تخلص الامر للتخديم (ح) ليس ما ذكره من اجماع القراء على ضم السين فى الزخرف صحيحا لأن ابن محيصن وابن مسلم كسرا فى الزخرف ذكر ذلك أبو القاسم بن جبارة الهذلى فى كتابه الكامل (ش) فى قراءة من قرأ انهم بالفتح هو المفعول الثانى أى جزيتهم فوزهم (ح) الظاهر انه تعليل أى جزيتهم لأنهم والكسر على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لا من حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل

فوزهم انتهى والظاهر انه تعليل أى جزيتهم لأنهم والكسر هو على الاستئناف وقد يراد به التعليل فيكون الكسر مثل الفتح من حيث المعنى لامن حيث الاعراب لاضطرار المفتوحة الى عامل والفائزون الناجون من هلكة الى نعمة * وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير قل كم والمخاطب ملك يسألهم أو بعض أهل النار فلذا قال عبر عن القوم * وقرأ باقى السبعة قال والقائل الله تعالى أو المأمور بسؤالهم من الملائكة * وقال الزمخشرى قال فى مصاحف أهل الكوفة وقل فى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام * وقال ابن عطية وفى المصاحف قال فيهما الا فى مصحف الكوفة فان فيه قل بغير ألف وتقدم ادغام باب لبثت فى البقرة سألهم سؤال توقيف على المدة * وقرأ الجمهور عدد سنين على الاضافة وكم فى موضع نصب على ظرف الزمان وتمييزها عدد * وقرأ الاعمش والمفضل عن عاصم عددا بالتنوين * فقال أبو الفضل الرازى صاحب كتاب اللوامح سنين نصب على الظرف والعدد مصدر أقيم مقام الاسم فهو نعت مقدم على المنعوت ويجوز أن يكون معنى لبثتم عددتم فيكون نصب عددا على المصدر وسنين بدل منه انتهى وكون لبثتم بمعنى عددتم بعيد ولما سئلوا عن المدة التى أقاموا فيها فى الارض ويعنى فى الحياة الدنيا قاله الطبرى وتبعه الزمخشرى فنسوا الفرط هول العذاب حتى قالوا يوما أو بعض يوم أجابوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم ترددوا فيما لبثوا قاله ابن عباس * وقيل أريد بقوله فى الارض فى جوف التراب أمواتا وهذا قول جمهور المتأولين * قال ابن عطية وهذا هو الاصوب من حيث أنكروا البعث وكانوا قولهم انهم لا يقومون من التراب قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله آخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضى ما قلناه انتهى فاسأل العادين خطاب للذى سألهم * قال مجاهد العادين الملائكة أى هم الذين يحفظون أعمال بنى آدم ويحصون عليهم ساعاتهم * وقال قتادة أهل الحساب والظاهر أنهم من يتصف بهذه الصفة ملائكة أو غيرهم لأن النائم والميت لا يعد فيتقدر له الزمان * وقال الزمخشرى والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان يعدكم بقى فسئل من فيه أن يعدومن يقدر ان يلقى اليه فكره انتهى * وقرأ الحسن والكسائى فى رواية العادين بتخفيف الدال أى الظلمة فانهم يقولون كما تقول * قال ابن خالويه ولغة أخرى العاديين يعنى بياء مشددة جمع عادى يعنى للقدماء * وقال الزمخشرى وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم * وقرأ الاخوان قل ان لبثتم على الامر وباقى السبعة قال وان نافية أى ما لبثتم الا قليلا أى قليل القدر فى جنب ما تعذبون فيه ان كان اللبث فى الدنيا وان كان فى القبور فقلت ان كل آت قريب ولكنكم كذبتم به إذ كنتم لا تعلمون أى لم ترغبوا فى العلم والهدى وانتصب عبثا على الحال أى عابثين أو على انه مفعول من أجله والمعنى فى هذا ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم للتكليف والعبادة * وقرأ الاخوان لا ترجعون مبنيا للفاعل وباقى السبعة مبنيا للمفعول والظاهر عطف وانكم على انما فهو داخل فى الحسبان * وقال الزمخشرى يجوز أن يكون على عبثا أى للعبث ولترككم غير مرجوعين انتهى فتعالى الله أى تعاظم وتنزه عن الصاحبة والولد والشريك والعبث وجميع النقائص بل هو الملك الحق الثابت هو وصفاته العلى والكريم صفة للعرش لتنزل الخيرات منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين * وقرأ أبان بن تغلب وابن محيصن وأبو جعفر واسماعيل عن ابن كثير الكريم بالرفع صفة لرب العرش أو العرش ويكون مقطوعا على معنى المدح ومن شرطية والجواب فانما * ولا برهان له به صفة لازمة لا للاحتراز من أن يكون ثم آخر يقوم عليه

﴿سورة النور﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سورة أنزلناها﴾ الآية هذه السورة مدنية بلا خلاف ولما ذكر تعالى في مشركي قريش ولهم أعمال من دون ذلك أي أعمال سيئة هم لها عاملون واستطرد بعد ذلك الى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك والى ما لهم في النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوار بغايا يستحسنون عليهن ويأكلون من كسبهن من الزنا فانزل الله تعالى هذه السورة تغليظا في أمر الزنا وكان فيما ذكر ناس من المسلمين هموا بنكاحهن ﴿سورة﴾ مرفوع بالابتداء أو خبر مبتدإ محذوف تقديره فيما أنزلنا سورة أو هذه سورة وقرئ سورة انتهى جعله بالنصب على الاشتغال أي أنزلنا سورة أنزلناها قال الزمخشري أو على دونك سورة انتهى جعله منصوبا على الاغراء ولا يجوز حذف أداة الاغراء * وكان الابتداء بقوله سورة وان كان نكرة لتقدير صفة محذوفة تسوغ الابتداء بالنكرة كانه قيل سورة معظمة أنزلناها وقرئ ﴿وفرضناها﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وأنزلنا فيها آيات﴾ أي أمثالا ومواعظ وأحكاما ليس فيها مشكل يحتاج الى تأويل ﴿الزانية﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقوله فاجلدوا بيان (٤٢٥) لذلك الحكم هذا مذهب سيبويه وقدمت الزانية على الزاني لان داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولكون زناها أفحش وأكثر عارا وللعلوق بولد الزنا وحال النساء الحجبة والصيانة وأل في الزانية والزاني للعموم في جميع الزناة والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول رأسه وبطنه وظهره أي ضرب رأسه وبطنه وظهره والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم ﴿كل واحد منهما﴾ الظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن في هذا العموم وهو لا يندرج فيه الصبي ولا المجنون والظاهر الاقتصار على جلد أحصنا أو لم يحصنا وهو مذهب الخوارج واتفق فقهاء الأمصار على أن المحصن يرجم ولا يجلد وجلد علي رضي الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﴿رأفة﴾ أي لين وهوادة في استيفاء الحدود وقرئ ﴿تأخذكم﴾ بالتاء والياء رأفة بسكون الهمزة وفتحها ﴿إن كنتم تؤمنون بالله﴾ تثبيت وحض وتهييج للغضب لله ولدينه وأمر تعالى بحضور جلدهما طائفة [illegible] على الزناة [illegible] بحضرة الناس وسمى الجلد عذابا [illegible] وهو عقوبة على ذلك الفعل والطائفة [illegible] شهودهم [illegible] أقل ما يتصور فيه [illegible] وهي صفة [illegible] جماعة ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ الظاهر أنه خبر قصد به تشنيع الزنا وأمره ومعنى لا ينكح لا يطأ وزاد المشركة في التقسيم والمعنى أن الزاني في وقت زناه لا يجامع الا زانية من المسلمين أو أخس منها وهي المشركة والنكاح بمعنى الجماع ﴿والذين يرمون﴾ القذف والرمي بالزنا وغيره والمعتبر الرمي بالزنا لأنه [illegible] يقول [illegible] ﴿المحصنات﴾ الظاهر أن المراد النساء العفائف وخص النساء بذلك وإن كان الرجال يشركونهن في الحكم

برهان فهي مؤكدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز أن تكون جملة اعتراض إذ فيها تشديد وتأكيد فتكون لا موضع لها من الاعراب كقولك من أساء اليك لا أحق بالاساءة منه فأسئ اليه ومن ذهب الى أن جواب الشرط هو لا برهان له به فهو هارب من دليل الخطاب من أن يكون ثم داع له برهان فلا يصح لأنه يلزم منه حذف الفاء في جواب الشرط ولا يجوز الا في الشعر وقد خرجناه على الصفة اللازمة أو على الاعتراض وكلاهما تخريج صحيح * وقرأ الحسن وقتادة انه لا يفلح بفتح الهمزة أي هو فوضع الكافرون موضع الضمير حملا على معنى من والجمهور بكسر الهمزة وخبر حسابه الظرف وانه استئناف * وقرأ الحسن يفلح بفتح الفاء واللام وافتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فانظر تفاوت ما بين الافتتاح والاختتام ثم أمر رسوله عليه السلام بأن يدعو بالغفران والرحمة * وقرأ ابن محيصن رب بضم الباء

﴿سورة النور أربع وستون آية مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم

أمنع وأشكل للنفوس ومن حيث هن هوى الرجال ففيه ايذاء لهن ولأزواجهن وقراباتهن وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتى أحصنت فرجها ويكون اللفظ شاملا للنساء والرجال * ولما كانت معصية الزنا كبيرة من أمهات الكبائر وكان متعاطيها كثيرا مايتستر بها وقلما يطلع عليها أحد شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة شهداء رحمة للعباد وسترا والمعنى ثم لم يأتوا الحكام والجمهور على اضافة أربعة الى شهداء وقرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهى قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة قال ابن عطية وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز فى الشعر انتهى ليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه فى العدد الذى بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما فى الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذى ذكرنا واذا نونت أربعة فشهداء بدل اذ هو وصف جرى مجرى الاسماء أو صفة لأنه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال أو تمييز ﴿فاجلدوهم﴾ الأمر للامام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف وبه قال ابن أبى ليلى وقال أبو حنيفة وأصحابه والاوزاعى والشافعى لايجلد الا بمطالبته قال مالك الا أن يكون الامام سمعه يقذفه فيحده اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر أن العبد القاذف الحر اذا لم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين لاندراجه فى عموم والذين وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعى وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثورى وعثمان البتى والشافعى يجلد أربعين ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ الظاهر أنه لاتقبل شهادته أبدا وان أكذب نفسه وتاب وهو نهى جاء بعد أمر وكما أن حكمه الجلد كذلك حكم رد شهادته ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل فى خبر والذين

يرمون كأنه اخبار بحال الرامين بعد انقضاء

ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم * هذه السورة مدنية بلاخلاف ولما ذكر تعالى مشركى قريش ولهم أعمال من دون ذلك أى أعمال سيئة هم لها عاملون واستطرد بعد

الموصول المتضمن معنى الشرط وماترتب فى خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا ﴿الا الذين تابوا﴾ الآية هذا الاستثناء تعقب جملا ثلاثة جملة الأمر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهى عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف فى قبول شهادتهم اذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع الى جملة النهى وجملة الحكم بالفسق اوهو راجع الى الجملة الأخيرة وهى الثالثة وهى الحكم بفسقهم والذى يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملا يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أى يجعل تخصيصا فى الجملة الأخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها فى أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهابادى وابن مالك واختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار المهابادى أن يعود الى الجملة الأخيرة وهو الذى نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك فى شرح التسهيل * ولما ذكر تعالى قذف المحصنات وكان الظاهر أنه يتناول الأزواج وغيرهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن أمية حين رمى زوجته بشريك بن سحماء فنزلت ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ والمعنى بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ ولم يقيد بعدد اكتفاء بالتقييد فى قذف غير الزوجات والمعنى شهداء على صدق قولهم وأزواجهم يعم سائر الأزواج من المؤمنات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من الحمل وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر وارتفع فشهادة خبرا على اضمار مبتدإ أى فالحكم أو الواجب أو مبتدأ على اضمار الخبر متقدما أى فعليه أن يشهد أو مؤخرا أى كافية أو واجبة وقرئ ﴿والخامسة﴾ بالرفع فيهما وهو مبتدأ وقرئ ﴿أن لعنة الله﴾ وأن لعنة مخففة من الثقيلة وينسبك من القراءتين مصدر وهو خبر عن قوله والخامسة والتقدير والخامسة كينونة لعنة الله عليه وقرئ ﴿أن غضب الله عليها﴾ بالشد والتخفيف ﴿ويدرأ﴾ أى يدفع * والعذاب قال الجمهور الحد وقال أصحاب الرأى لاحد عليها ان لم تلاعن ولا يوجبه عليها قول الزوج والظاهر الاكتفاء فى اللعان بهذه الكيفية المذكورة فى الآية ﴿ولولا فضل الله﴾ جواب لو محذوف تقديره لهلكتم

ذلك الى أحوالهم واتخاذهم الولد والشريك والى ما لهم فى النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوار بغايا يحسنون عليهن و يأكلون من كسبهن من الزنا فأنزل الله أول هذه السورة تغليظا فى أمر الزنا وكان فيما ذكر وكأنه لا يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن * وقرأ الجمهور سورة بالرفع فجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة أو مبتدأ محذوف الخبر أى فيما أوحينا اليك أو فيما يتلى عليكم * وقال ابن عطية و يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الزانية والزانى وما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا اذ السورة عبارة عن آيات مسرودة لها بدء وختم الا أن يكون المبتدأ ليس بالبين انه الخبر الا أن يقدر الخبر فى السورة كلها وهذا بعيد فى القياس وأنزلناها فى هذه الأعاريب فى موضع الصفة انتهى * وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وعيسى ابن عمر الثقفى البصرى وعيسى بن عمر الهمدانى الكوفى وابن أبى عبلة وأبو حيوة ومحبوب عن أبى عمرو وأم الدرداء سورة بالنصب فخرج على اضمار فعل أى اتلو سورة وأنزلناها صفة * قال الزمخشرى أو على دونك سورة فنصب على الاغراء ولا يجوز حذف أداة الاغراء وأجازوا أن يكون من باب الاشتغال أى أنزلنا سورة أنزلناها فأنزلناها مفسر لأنزلنا المضمرة فلا موضع له من الاعراب الا أنه فيه الابتداء بالنكرة من غير مسوغ الا ان اعتقد حذف وصف أى سورة معظمة أو موضحة أنزلناها فيجوز ذلك * وقال الفراء سورة حال من الهاء والألف والحال من المكنى يجوز أن يتقدم عليه انتهى فيكون الضمير المنصوب فى أنزلناها ليس عائدا على سورة وكان المعنى أنزلنا الأحكام وفرضناها سورة أى فى حال كونها سورة من سور القرآن فليست هذه الاحكام ثابتة بالسنة فقط بل بالقرآن والسنة * وقرأ الجمهور وفرضناها بتخفيف الراء أى فرضنا أحكامها وجعلناها واجبة متطوعا بها * وقيل وفرضنا العمل بما فيها * وقرأ عبد الله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة وأبو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة فى الايجاب واما لان فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم * قيل وكل أمر ونهى فى هذه السورة فهو فرض وأنزلنا فيها آيات بينات أمثالا ومواعظ وأحكاما ليس فيها مشكل يحتاج الى تأويل * وقرأ الجمهور الزانية والزانى بالرفع وعبد الله والزان بغير ياء ومذهب سيبويه أنه مبتدأ والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى وقوله فاجلدوا بيان لذلك الحكم وذهب الفراء والمبرد والزجاج الى أن خبره فاجلدوا وجوزه الزمخشرى وسبب الخلاف هو أنه عند سيبويه لا بد أن يكون المبتدأ الداخل الفاء فى خبره موصولا بما يقبل أداة الشرط لفظا أو تقديرا واسم الفاعل واسم المفعول لا يجوز أن يدخل عليه أداة الشرط وغير سيبويه ممن ذكرنا لم يشرط ذلك وتقرير المذهبين والترجيح مذكور فى النحو * وقرأ عيسى الثقفى و يحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وشيبة وأبو السمال ورويس الزانية والزانى بنصبهما على الاشتغال أى واجلدوا الزانية والزانى كقولك زيدا فاضربه ولدخول الفاء تقرير ذكر فى علم النحو والنصب هنا أحسن منه فى سورة أنزلناها لأجل الأمر وتضمنت السورة أحكاما كثيرة فيما يتعلق بالزنا ونكاح الزوانى وقذف المحصنات والتلاعن والحجاب وغير ذلك فبدئ بالزنا لقبحه وما يحدث عنه من المفاسد والعار وكان قد نسئ فى العرب وصار من منهم أصحاب رايات وقدمت الزانية على الزانى لأن داعيتها أقوى لقوة شهوتها ونقصان عقلها ولأن زناها أفحش وأكثر عارا وللعلوق بولد الزنا وحال النساء الحجبة والصيانة * وقال الزمخشرى (فان قلت) قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهم على ما جنيا

(الدر)

﴿سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(س) أو على دونك سورة

(ح) جعله منصوبا على الاغراء ولا يجوز حذف اداة الاغراء

والمرأة على المادة التي منها نشأت الجناية فانها لو لم تطمع الرجل ولم تربض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب انتهى ولا يتم هذا الجواب في الثانية الا اذا حمل النكاح على العقد لا على الوطء وأل في الزانية والزاني للعموم في جميع الزناة * وقال ابن سلام وغيره هو مختص بالبكرين والجلد اصابة الجلد بالضرب كما تقول رأسه وبطنه وظهره أي ضرب رأسه وبطنه وظهره وهذا مطرد في أسماء الاعيان الثلاثية العضوية والظاهر اندراج الكافر والعبد والمحصن في هذا العموم وهو لا يندرج فيه المجنون ولا الصبي باجماع * وقال ابن سلام وغيره واتفق فقهاء الأمصار على أن المحصن يرجم ولا يجلد * وقال الحسن واسحاق وأحمد يجلد ثم يرجم وجلد علي رضي الله عنه شراحة الهمدانية ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجة في كون مرجومة أنيس والغامدية لم ينقل جلدهما الا ان ذلك معلوم من أحكام القرآن فلا ينقل الا ما كان زائدا على القرآن وهو الرجم فلذلك ذكر الرجم ولم يذكر الجلد ومذهب أبي حنيفة ان من شرط الاحصان الاسلام ومذهب الشافعي انه ليس بشرط واتفقوا على أن الامة تجلد خمسين وكذا العبد على مذهب الجمهور وقال أهل الظاهر يجلد العبد مائة ومنهم من قال تجلد الامة مائة الا اذا تزوجت فخمسين والظاهر اندراج الذميين في الزانية والزاني فيجلدان عند أبي حنيفة والشافعي واذا كانا محصنين يرجمان عند الشافعي * وقال مالك لا حد عليهما والظاهر أنه ليس على الزانية والزاني حد غير الجلد فقط وهو مذهب الخوارج وقد ثبت الرجم بالسنة المستفيضة وعمل به بعد الرسول خلفاء الاسلام أبو بكر وعمر وعلي ومن الصحابة جابر وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وزيد بن خالد واختلفوا في التغريب بنفي البكر بعد الجلد * وقال الثوري والأوزاعي والحسن بن صالح والشافعي ينفي الزاني * وقال الأوزاعي ومالك ينفي الرجل ولا تنفى المرأة قال مالك ولا ينفي العبد نصف سنة والظاهر ان هذا الجلد انما هو على من ثبت عليه الزنا فلو وجدا في ثوب واحد فقال اسحق يضرب كل واحد منهما مائة جلدة وروى ذلك عن عمر وعلي * وقال عطاء والثوري ومالك وأحمد يؤدبان على مذاهبهم في الأدب وأما الاكراه فالمكرهة لا حد عليها وفي حد الرجل المكره خلاف وتفصيل بين أن يكرهه سلطان فلا يحد أو غيره فيحد وهو قول أبي حنيفة وقول أبي يوسف ومحمد والحسن بن صالح والشافعي لا يحد في الوجهين وقول زفر يحد فيهما جميعا والظاهر انه لا يندرج في الزنا من أتى امرأة من دبرها ولا ذكرا ولا بهيمة * وقيل يندرج والمأمور بالجلد أئمة المسلمين ونوابهم واختلفوا في اقامة الخارجي المتغلب الحدود * فقيل له ذلك * وقيل لا وفي اقامة السيد على رقيقه * فقال ابن مسعود وابن عمر وعائشة وفاطمة والشافعي له ذلك * وقال أبو حنيفة ومحمد وزفر لا وقال مالك والليث له ذلك الا في القطع في السرقة فانما يقطعه الامام والجلد كما قلنا ضرب الجلد ولم تتعرض الآية لهيئة الحالد ولا هيئة المجلود ولا لمحل الجلد ولا لصفة الآلة المجلود بها وذلك مذكور في كتب الفقه * وقال الزمخشري (فان قلت) هذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم (فان قلت) اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناوله المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم

(الدر)

(ش) فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناوله المحصن وغير المحصن * قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين بجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك (ح) ليست دلالة اللفظ على الجنسين كما ذكر دلالة مطلقة لان دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم البدل وهو الاطلاق وليست كدلالة المشترك لان دلالة العموم هي كل فرد فرد على سبيل الاستغراق ودلالة المشترك تدل على فرد فرد على سبيل الاستغراق أعني في الاستعمال وان كان في ذلك خلاف في أصول الفقه لكن ما ذكرته هو الذي يصح في النظر واستعمال كلام العرب

المشترك انتهى وليست دلالة اللفظ على الجنسين كما ذكر دلالة مطلقة لان دلالة عموم الاستغراق مباينة لدلالة عموم البدل وهو الاطلاق وليست كدلالة المشترك لان دلالة العموم هي كل فرد فرد على سبيل الاستغراق ودلالة المشترك تدل على فرد فرد على الاستغراق أعني في الاستعمال وان كان في ذلك خلاف في أصول الفقه لكن ما ذكرته هو الذي يصح في النظر واستعمال كلام العرب * وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي وابن مقسم وداود بن أبي هند عن مجاهد ولا يأخذكم بالياء لان تأنيث الرأفة مجاز وحسن ذلك الفصل * وقرأ الجمهور بالتاء لتأنيث الرأفة لفظا * وقرأ الجمهور رأفة بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وابن جريج بألف بعد الهمزة * وروى هذا عن عاصم وابن كثير وكلها مصادر أشهرها الأول والرأفة المنهي أن تأخذ المتولين اقامة الحد * قال أبو مجلز ومجاهد وعكرمة وعطاء هي في اسقاط الحد أي أقيموه ولا بد وأخذ تأويل ابن عمر وابن جبير وغيرهما ومن مذهبهم ان الحد في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد * وقال قتادة وابن المسيب وغيرهما الرأفة المنهي عنها هي في تخفيف الضرب على الزناة ومن رأيهم أن يخفف ضرب الفرية والخمر ويشدد ضرب الزنا * وقال الزمخشري والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده انتهى فهذا تحسين قول أبي مجلز ومن وافقه * وقال الزهري يشدد في الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب * وقال مجاهد والشعبي وابن زيد في الكلام حذف تقديره ولا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها والنهي في الظاهر للرأفة والمراد ما تدعو اليه الرأفة وهو تعطيل الحدود أو نقصها ومعنى في دين الله في الاخلال بدين الله أي بشرعه * قيل ويحتمل أن يكون الدين بمعنى الحكم * ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تثبيت وحض ويهيج للغضب لله ولدينه كما تقول ان كنت رجلا فافعل وأمر تعالى بحضور جلدهما طائفة اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم بحضرة الناس وسمي الجلد عذابا اذ فيه ايلام وافتضاح وهو عقوبة على ذلك الفعل ولطائفة المأمور بشهودها ذلك يدل الاشتقاق على ما يكون يطوف بالشيء وأقل ما يتصور ذلك فيه ثلاثة وهي صفة غالبة لانها الجماعة الحافة بالشيء * وعن ابن عباس وابن زيد في تفسيرها أربعة الى أربعين * وعن الحسن عشرة * وعن قتادة والزهري ثلاثة فصاعدا * وعن عكرمة وعطاء رجلان فصاعدا وهو مشهور قول مالك * وعن مجاهد الواحد فوقه واستعمال الضمير الذي للجمع عائد على الطائفة في كلام العرب دليل على أن يراد بها جمع وذلك كثير في القرآن * الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة الظاهر أنه خبر قصد به تشنيع الزنا وأمره ومعنى لا ينكح لا يطأ وأريد بالمشركة في التقسيم والمعنى ان الزاني في وقت زناه لا يجامع الا زانية من المسلمين أو أخس منها وهي المشركة والنكاح بمعنى الجماع مروي عن ابن عباس هنا * وقال الزمخشري وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما ان هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم يرد بها الا معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان انتهى وما ذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بمعنى الوطء وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع أمره وانه محرم على المؤمنين * وقال الزمخشري وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية أن الفاسق الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة

(الدر)

(ش) وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما ان هذه أي الكلمة اينما وردت في القرآن لم يرد بها الا معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان (ح) ما ذكره من الأمر الأول أخذه من الزجاج قال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى تنكح زوجا غيره وبين الرسول انه بمعنى الوطء وأما الأمر الثاني فالمقصود به تشنيع الزنا وتشنيع أمره وانه محرم على المؤمنين

من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب واقدامه على ذلك انتهى * وعن ابن عمر وابن عباس وأصحابه انها في قوم مخصوصين كانوا يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات فلما جاء الاسلام وأسلموا لم يمكنهم الزنا فأرادوا لفقرهم زواج أولئك النسوة إذ كن من عادتهن الانفاق على من ارتسم بزواجهن فنزلت الآية بسببهن والاشارة بالزاني الى أحد أولئك أطلق عليه اسم الزنا الذي كان في الجاهلية وقوله لا ينكح أي لا يتزوج وعلى هذين التأويلين فيه معنى التفجع عليهم وفيه توبيخ كأنه يقول الزاني لا يريد أن يتزوج إلا زانية أو مشركة أي تنزع نفوسهم الى هذه الخسائس لقلة انضباطهم ويرد على هذين التأويلين الاجماع على أن الزانية لا يجوز أن يتزوجها مشرك في قوله وحرم ذلك على المؤمنين أي نكاح أولئك البغايا فيزعم أهل هذين التأويلين ان نكاحهن حرمه الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن المراد الزاني المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود أن يتزوج الا زانية * وقد روي ان محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن أبي طالب نكاحها * وحرم ذلك على المؤمنين يريد الزنا * وروى الزهراني في هذا حديثا من طريق أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينكح الزاني المحدود الا مثله * قال ابن عطية وهذا حديث لا يصح وقول فيه نظر وادخال المشرك في الآية برده وألفاظ الآية تأباه وان قدرت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في لفظ المشرك انتهى * وقال ابن المسيب هذا حكم كان في الزناة عام أن لا يتزوج زان الا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله وأنكحوا الأيامى منكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وروي ترتيب هذا النسخ عن مجاهد الا انه قال حرم نكاح أولئك البغايا على أولئك النفر * قال ابن عطية وذكر الاشراك في الآية يضعف هذه المناحي انتهى * وعن الجبائي انها منسوخة بالاجماع وضعف بأنه ثبت في أصول الفقه أن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به وتلخص من هذه الأقوال ان النكاح ان أريد به الوطء فالآية ورد مبالغة في تشنيع الزنا وان أريد به التزويج فاما أن يراد به عموم في الزناة ثم نسخ أو عموم في الفساق الخبيثين لا يرغبون الا فيمن هو شكل لهم والفواسق الخبائث لا يرغبن الا فيمن هو شكل لهن ولا يجوز التزويج على ما قرره الزمخشري أو يراد به خصوص في قوم كانوا في الجاهلية زناة ببغايا فأرادوا تزويجهن لفقرهم وايسارهن مع بقائهن على البغاء فلا يتزوج عفيفة ولو زنا رجل بامرأة ثم أراد تزوجها فأجاز ذلك أبو بكر الصديق وابن عمر وابن عباس وجابر وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة ومالك والثوري والشافعي ومنعه ابن مسعود والبراء ابن عازب وعائشة وقالا لا يزالان زانيين ما جتمعا ومن غريب النقل انه لو تزوج معروف بالزنا أو بغيره من الفسوق ثبت الخيار في البقاء معه أو فراقه وهو عيب من العيوب التي يترتب الخيار عليها وذهب قوم الى أن الآية محكمة وعندهم ان من زنى من الزوجين فسد النكاح بينهما * وقال قوم منهم لا ينفسخ ويؤمر بطلاقها اذا زنت فان أمسكها أثم قالوا ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني فان ظهرت التوبة جاز * وقال الزمخشري (فان قلت) أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية

(قلت) معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفتها بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع فيه معنى النهي ولكن هو أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك الله أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها انتهى * وقرأ أبو البرهسم وحرم مبنيا للفاعل أي الله وزيد بن علي وحرم بضم الراء وفتح الحاء والجمهور وحرّم مشددا مبنيا للمفعول والقذف الرمي بالزنا وغيره والمراد به هنا الزنا لاعتقابه إياه ولاشتراط أربعة شهداء وهو مما يختص القذف بالزنا اذ في غيره يكفي شاهدان * قال ابن جبير ونزلت بسبب قصة الافك * وقيل بسبب القذفة عاما واستعير الرمي للشتم لأنه اذاية بالقول * كما قال * وجرح اللسان كجرح اليد * وقال

رماني بأمر كنت منه ووالدي * بريئا ومن أجل الطوى رماني

* والمحصنات الظاهر ان المراد النساء العفائف وخص النساء بذلك وان كان الرجال يشركونهن في الحكم لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هن هوى الرجال ففيه إيذاء لهن ولأزواجهن وقراباتهن * وقيل المعنى الفروج المحصنات كما قال والتي أحصنت فرجها * وقيل الأنفس المحصنات وقاله ابن حزم وحكاه الزهراوي فعلى هذين القولين يكون اللفظ شاملا للنساء والرجال ويدل على الثاني قوله والمحصنات من النساء وثم محذوف أي بالزنا وخرج بالمحصنات من ثبت زناها أو زناه واستلزم الوصف بالاحصان الاسلام والعقل والبلوغ والحرية * قال أبو بكر الرازي ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا المعنى والمراد بالمحصنات [illegible] حكم بأنه بعد ذلك والرمي بالزنا الموجب للحد هو التصريح بأن يقول يا زانية أو يا زاني أو يا ابن الزاني وابن الزانية يا ولد الزنا لست لأبيك لست لرشدة وما أشبه ذلك من التصريح ولو عرض كأن يقول ما أنا بزان ولا أمي بزانية لم يحد في مذهب أبي حنيفة وزفر وأبي يوسف ومحمد وابن شبرمة والثوري والحسن بن صالح والشافعي ويحد في مذهب مالك وثبت الحد فيه عن عمر بعد مشاورته الناس وقال أحمد واسحق هو قذف في حال الغضب دون الرضا فلو قذف كتابيا [illegible] كان المقذوف ولد مسلم * وقيل اذا قذف الكتابية تحت المسلم حد واتفقوا على أن قاذف الصبي لا يحد وان كان مثله يجامع واختلفوا في قاذف الصبية * فقال مالك يحد اذا كان مثلها يجامع * وقال مالك والليث يحد اذا كان مثلها يجامع * وقال مالك والليث يحد قاذف المجنون * وقال غيرهم لا يحد والذين يرمون ظاهره المذكور وحكم الراميات حكمهم ولو قذف الصبي أو المجنون زوجته أو أجنبية فلا حد عليه أو أخرس وله كناية معروفة أو اشارة مفهومة حد عند الشافعي * وقال أبو حنيفة لا يصح قذفه ولا لعانه ولما كانت معصية الزنا كبيرة من أمهات الكبائر وكان متعاطيها [illegible] بطلع أحد عليها شدد الله تعالى على القاذف حيث شرط فيه أربعة شهداء [illegible] والمعنى ثم لم يأتوا الحكام [illegible] والجمهور على اضافة أربعة [illegible] وقرأ أبو زرعة [illegible] بأربعة بالتنوين وهي قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة ولذلك رجح ابن جني هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث أخذ مطلق الصفة وليس كذلك لأن الصفة اذا جرت مجرى الأسماء وباشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره مجرى الأسماء ومن ذلك شهيد ألا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله [illegible]

(ح) قرأ أبو زرعة وعبد الله بن مسلم بأربعة بالتنوين وهي قراءة فصيحة لأنه اذا اجتمع اسم العدد والصفة كان الاتباع أجود من الاضافة ولذلك رجح ابن جني هذه القراءة على قراءة الجمهور من حيث أخذ مطلق الصفة وليس كذلك لان الصفة اذا جرت مجرى الاسماء وباشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره مجرى الاسماء ومن ذلك شهيد ألا ترى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله واستشهدوا شهيدين وكذلك عبد فثلاثة شهداء بالاضافة أفصح من التنوين والاتباع وكذلك ثلاثة أعبد (ع) وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر (ح) ليس كما ذكر بل يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده صفة نحو ثلاثة رجال [illegible] الصحيح [illegible] ذكره [illegible] أربعة فشهداء [illegible] أو هو وصف جرى مجرى الاسماء وصفة لانه صفة حقيقية ويضعف قول من قال نعت أو تمييز

فثلاثة شهداء بالاضافة أفصح من التنوين والاتباع وكذلك ثلاثة أعبد * وقال ابن عطية وسيبويه يرى أن تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر انتهى وليس كما ذكر انما يرى ذلك سيبويه في العدد الذي بعده اسم نحو ثلاثة رجال وأما في الصفة فلا بل الصحيح التفصيل الذي ذكرناه واذا نونت أربعة فشهداء بدل اذ هو وصف جرى مجرى الاسماء أو صفة لانه صفة حقيقية ويضعف قول من قال انه حال أو تمييز وهذه الشهادة تكون بالمعاينة البليغة كالمرود في المكحلة والظاهر انه لا يشترط شهادتهم أن تكون حالة اجتماعهم بل لو أتى بهم متفرقين صحت شهادتهم * وقال أبو حنيفة شرط ذلك أن يشهدوا مجتمعين فلو جاؤا متفرقين كانوا قذفة والظاهر انه يجوز أن يكون أحد الشهود زوج المقذوفة لاندراجه في أربعة شهداء ولقوله فأشهدوا عليهن أربعة منكم ولم يفرق بين كون الزوج فيهم وبين أن يكونوا أجنبيين وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وتحد المرأة وروى ذلك عن الحسن والشعبي * وقال مالك والشافعي يلاعن الزوج ويحد الثلاثة وروى مثله عن ابن عباس * فاجلدوهم أمر للامام ونوابه بالجلد والظاهر وجوب الجلد وان لم يطالب المقذوف وبه قال ابن أبي ليلى * وقال أبو حنيفة وأصحابه والاوزاعي والشافعي لا يحد الا بمطالبته * وقال مالك كذلك الا أن يكون الامام سمعه يقذفه فيحده اذا كان مع الامام شهود عدول وان لم يطالب المقذوف والظاهر أن العبد القاذف حر اذا لم يأت بأربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه في عموم والذين يرمون وبه قال عبد الله بن مسعود والاوزاعي * وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي والشافعي يجلد أربعين وهو قول علي وفعل أبي بكر وعمر وعلي ومن بعدهم من الخلفاء قاله عبد الله بن ربيعة ولو قذف واحد جماعة بلفظ واحد أو أفرد لكل واحد حد حدا واحدا وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والثوري والليث * وقال عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد * وقال الشعبي وابن أبي ليلى ان كان بلفظ واحد نحو يا زناة فحد واحد أو قال لكل واحد يا زاني فلكل انسان حد والظاهر من الآية انه لا يجلد الا القاذف ولم يأت جلد الشاهد اذا لم يستوف عدد الشهود وليس من جاء للشهادة للقاذف بقاذف وقد أجراه عمر مجرى القاذف * وجلد أبا بكرة وأخاه نافعا وشبل بن معبد البجلي لتوقف الرابع وهو زيادة في الشهادة فلم يؤدها كاملة ولو أتى بأربعة شهداء فساق * فقال زفر يدرأ الحد عن القاذف والشهود * وعن أبي يوسف يحد القاذف ويدرأ عن الشهود * وقال مالك وعبيد الله بن الحسن يحد الشهود والقاذف * ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الظاهر أنه لا يقبل شهادته أبدا وان أكذب نفسه وتاب وهو نهي جاء بعد أمر فكما ان حكمه الجلد كذلك حكمه رد شهادته وبه قال شريح القاضي والنخعي وابن المسيب وابن جبير والحسن والثوري وأبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف وان تاب وتقبل شهادته في غير القذف اذا تاب * وقال مالك تقبل في القذف بالزنا وغيره اذا تاب وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والقاسم بن محمد وسالم والزهري وقال لا تقبل شهادة محدود في الاسلام يعني مطلقا وتوبته عما اذا تقبل باكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي وكذا فعل عمر بنافع وشبل أكذبا أنفسهما فقبل شهادتهما وأصر أبو بكرة فلم تقبل شهادته حتى مات * وأولئك هم الفاسقون الظاهر انه كلام مستأنف غير داخل في حيز الذين يرمون كأنه اخبار بحال الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا * الا الذين تابوا هذا الاستثناء يعقب جملا ثلاثة جملة الامر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حد القذف وجملة النهي

عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم اذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع الى جملة النهي وجملة الحكم بالفسق أو هو راجع الى الجملة الاخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم والذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط واختار المهاباذي أن يعود الى الجملة الاخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل * وقال الزمخشري وجعل يعني الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة النصب لأنه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط كأنه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه أي اجمعوا له الحد والرد والفسق * الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله غفور رحيم فينقلبون غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين انتهى وليس يقتضى ظاهر الآية عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها والقول بأنه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة ولما ذكر تعالى قذف المحصنات وكان الظاهر انه يتناول الازواج وغيرهن ولذلك قال سعد بن عبادة يا رسول الله ان وجدت مع امرأتي رجلا أمهله حتى آتي بأربعة شهداء والله لأضربنه بالسيف غير مصفح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم على حد هلال بن أمية حين رمى زوجته بشريك بن سحماء فنزلت والذين يرمون أزواجهم واتضح أن المراد بقوله والذين يرمون المحصنات غير الزوجات والمشهور ان نازلتها هلال قبل نازلة عويمر * وقيل نازلة عويمر قبل والمعنى بالزنا ولم يكن لهم شهداء ولم يقيد بعدد اكتفاء بالتقييد في قذف غير الزوجات والمعنى شهداء على صدق قولهم * وقرئ ولم تكن بالتاء * وقرأ الجمهور بالياء وهو الفصيح لأنه اذا كان العامل مفرغا لما بعد الا وهو مؤنث فالفصيح أن يقول ما قام الا هند وأما قامت الا هند فأكثر أصحابنا يخصه بالضرورة وبعض النحويين يجيزه في الكلام على قلة * وأزواجهم يعم سائر الازواج من المؤمنات والكافرات والاماء فكلهن يلاعن الزوج للانتفاء من العمل * وقال أبو حنيفة وأصحابه بأحد معنيين أحدهما أن تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد وان كان أجنبيا نحو أن تكون الزوجة مملوكة أو ذمية وقد وطئت وطأ حراما في غير ملك والثاني أن يكون أحدهما ليس من أهل الشهادة بأن يكون محدودا في قذف أو كافرا أو عبدا فأما اذا كان أعمى أو فاسقا فله أن يلاعن * وقال الثوري والحسن بن صالح لا لعان اذا كان أحد الزوجين مملوكا أو كافرا ويلاعن المحدود في القذف * وقال الاوزاعي لا لعان بين أهل الكتاب ولا بين المحدود في القذف وامرأته * وقال الليث يلاعن العبد امرأته الحرة والمحدود في القذف * وعن مالك الامة المسلمة والحرة الكتابية يلاعن الحر المسلم والعبد يلاعن زوجته الكتابية وعنه ليس بين المسلم والكافرة لعان الا من يقول رأيتها تزني فيلاعن ظهر الحمل أو لم يظهر ولا يلاعن المسلم الكافرة ولا زوجته الامة الا في نفي الحمل ويتلاعن المملوكان المسلمان لا الكافران * وقال الشافعي

بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة النصب لانه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن يكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه أي اجمعوا له الحد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله غفور لهم فينقلبون غير محدودين ولا مردودين ولا مفسقين (ح) ليس يقتضى ظاهر الآية عود الاستثناء الى الجمل الثلاث بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى الجملة التي تليها وذلك ان الذي يقتضيه النظر ان الاستثناء اذا تعقب جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الاخيرة وهذه المسئلة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود الى الجمل كلها كالشرط

واختار المهاباذي أن يعود الى الجملة الأخيرة وهو الذي نختاره وقد استدللنا عليه في كتب النحو والقول انه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار اليه الا عند الحاجة

كل زوج جاز طلاقه ولزمه الفرض يلاعن والظاهر العموم في الرامين وزوجاتهم المرميات بالزنا والظاهر اطلاق الرمي بالزنا سواء قال عاينتها تزني أم قال زنيت وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وكان مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزنين أو ينفي حملا بها أو ولدا منها والاعمى يلاعن * وقال الليث لا يلاعن الا أن يقول رأيت عليها رجلا أو يكون استبرأها فيقول ليس هذا الحمل مني ولم تتعرض الآية في اللعان الا لكيفيته من الزوجين وقد أطال المفسرون الزمخشري وابن عطية وغيرهما في ذكر كثير من أحكام اللعان مما لم تتعرض له الآية وينظر ذلك في كتب الفقه * وقرأ الجمهور أربع شهادات بالنصب على المصدر * وارتفع فشهادة خبرا على اضمار مبتدإ أي فالحكم أو الواجب أو مبتدأ على اضمار الخبر متقدما أي فعليه أن يشهد أو مؤخرا أي كافيه أو واجبه * وبالله من صلة شهادات ويجوز أن يكون من صلة فشهادة قاله ابن عطية وفرغ الحوفي ذلك على الاعمال فعلى رأي البصريين واختيارهم يتعلق بشهادات وعلى اختيار الكوفيين يتعلق بقوله فشهادة * وقرأ الاخوان وحفص والحسن وقتادة والزعفراني وابن مقسم وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو بحرية وأبان وابن سعدان أربع بالرفع خبرا للمبتدإ وهو فشهادة وبالله من صلة شهادات على هذه القراءة ولا يجوز أن يتعلق بفشهادة للفصل بين المصدر ومعموله بالجر ولا يجوز ذلك * وقرأ الجمهور والخامسة بالرفع فيهما * وقرأ طلحة والسلمي والحسن والأعمش وخالد بن اياس ويقال ابن الياس بالنصب فيهما * وقرأ حفص والزعفراني بنصب الثانية دون الأولى فالرفع على الابتداء وما بعده الخبر ومن نصب الأولى فعطف على أربع في قراءة من نصب أربع وعلى اضمار فعل يدل عليه المعنى في قراءة من رفع أربع أي وتشهد الخامسة ومن نصب الثانية فعطف على أربع وعلى قراءة النصب في الخامسة يكون ان بعده على اسقاط حرف الجر أي بأن وجوّز أن يكون ان وما بعده بدلا من الخامسة * وقرأ نافع ان لعنة بتخفيف أن ورفع لعنة وان غضب بتخفيف ان وغضب فعل ماض والجلالة بعده مرفوعة وهي ان المخففة من الثقيلة لما خففت حذف اسمها وهو ضمير الشأن * وقرأ أبو رجاء وقتادة وعيسى وسلام وعمرو بن ميمون والاعرج ويعقوب بخلاف عنهما والحسن أن لعنة كقراءة نافع وأن غضب بتخفيف أن وغضب مصدر مرفوع وخبر ما بعده وهي ان المخففة من الثقيلة * وقرأ باقي السبعة أن لعنة الله وأن غضب الله بتشديد أن ونصب ما بعدهما اسما لها وخبر ما بعد * قال ابن عطية وان الخفيفة على قراءة نافع في قوله ان غضب قد وليها الفعل * قال أبو علي وأهل العربية يستقبحون أن يليها الفعل الا أن يفصل بينها وبينه بشيء نحو قوله علم أن سيكون وقوله أفلا يرون أن لا يرجع وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فذلك لعلة تمكن ليس في الأفعال وأما قوله أن بورك من في النار فبورك على معنى الدعاء فلم يجر دخول الفواصل لئلا يفسد المعنى انتهى ولا فرق بين أن غضب الله وأن بورك في كون الفعل بعد ان دعاء ولم يبين ذلك ابن عطية ولا الفارسي ويكون غضب دعاء مثل النحاة انه اذا كان الفعل دعاء لا يفصل بينه وبين أن بشيء وأورد ابن عطية أن غضب في قراءة نافع مورد المستغرب * ويدرأ عنها العذاب أي يدفع والعذاب قال الجمهور الحد * وقال أصحاب الرأي لا حد عليها ان لم يلاعن ولا يوجبه عليها قول الزوج * وحكى الطبري عن آخرين ان العذاب هو الحبس والظاهر الا كتفاء في اللعان بهذه الكيفية المذكورة في الآية وبه قال الليث ومكان ضمير الغائب ضمير المتكلم في شهادته مطلقا وفي شهادتها في قوله عليها تقول عليّ * فقال الثوري وأبو حنيفة ومحمد وأبو يوسف يقول بعد من

﴿إن الذين جاؤا بالافك﴾ الآية سبب نزول هذه الآيات مذكور في حديث عائشة في الصحيح والافك الكذب والافتراء * والعصبة الجماعة وتقدم الكلام عليها في يوسف ﴿منكم﴾ أي من أهل ملتكم في موضع الصفة و ﴿لا تحسبوه﴾ مستأنف والضمير في لا تحسبوه الظاهر أنه عائد على الافك بل هو خير لكم لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الاذى وانكشاف كذب القاذفين ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ أي جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه (٤٣٥) لأن بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم واكتسب مستعمل في المآثم ونحوها لأنها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ في التكذيب وكسب مستعمل في الخير لأن حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد تستعمل كسب في الوجهين ﴿والذي تولى كبره﴾ المشهور أنه عبد الله بن أبي ابن سلول * والعذاب العظيم هو عذاب يوم القيامة وقيل هو ما أصاب حسان من ذهاب بصره وشل يده وقرئ كبره بكسر الكاف وضمها والعذاب الأليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على رأسه وقال

توق ذباب السيف عني فانني ... غلام اذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأتقي ... من الباهت الرامي البرئ الظواهر

وأنشد حسان أبياتا يثني فيها على أم المؤمنين [illegible] وهي هذه

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فان كان ما قد قيل عني قلته ... فلا رفعت سوطي الي أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

الصادقين فيما رماها به من الزنا وكذا بعد من الكاذبين وكذا هي بعد من الكاذبين ومن الصادقين فان كان هناك ولد ينفيه زاد بعد قوله فيما رماها به من الزنا في نفي الولد * وقال مالك يقول أشهد بالله اني رأيتها تزني وهي أشهد بالله ما رآني أزني والخامسة تقول ذلك أربعا والخامسة لفظ الآية * وقال الشافعي يقول أشهد بالله اني لصادق فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة أربع مرات ثم يقعد الامام ويذكره الله تعالى فان رآه يريد أن يمضي أمر من يضع يده على فيه ويقول ان قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا فان قذفها بأحد يسميه بعينه واحدا أو اثنين في كل شهادة وان نفى ولدها زاد وان هذا الولد ما هو مني والظاهر أنه اذا طلقها بائنا فقذفها وولدت قبل انقضاء العدة فنفى الولد أنه يحد ويلحقه الولد لأنه لا ينطلق عليها زوجة الا مجازا * وعن ابن عباس اذا طلقها تطليقة أو تطليقتين ثم قذفها حد * وعن ابن عمر يلاعن * وعن الليث والشافعي اذا أنكر حملها بعد البينونة لاعن * وعن مالك ان أنكره بعد الثلاث لاعنها * ولو قذفها ثم بانت منه بطلاق أو غيره فقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه لا حد ولا لعان * وقال الأوزاعي والليث والشافعي يلاعن وهذا هو الظاهر لأنها كانت زوجته حالة القذف والظاهر من قوله فشهادة أحدهم أنه يلزم ذلك فان نكل حبس حتى يلاعن وكذلك هي وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه * وقال مالك والحسن بن صالح والليث والشافعي أيهما نكل حد هو للقذف وهي للزنا * وعن الحسن اذا لاعن وأبت حبست * وعن مكحول والضحاك والشعبي ترجم ومشروعية اللعان دليل على أن الزنا والقذف ليسا بكفر من فاعلهما خلافا للخوارج في قولهم ان ذلك كفر من الكاذب منهما لاستحقاق اللعن من الله والغضب * قال الزمخشري (فان قلت) لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظا عليها لأنها هي أصل الفجور ومنبعه باطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة والرجم أهون عليك من غضب الله * ولولا فضل الله الى آخره * قال السدي فضله منته ورحمته نعمته * وقال ابن سلام فضله الاسلام ورحمته الستر * ولما بين تعالى حكم الرمي للمحصنات والأزواج كان في فضله ورحمته أن جعل اللعان سبيلا الى الستر والى درء الحد وجواب لولا محذوف * قال التبريزي تقديره لهلكتم أو لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة أو لتبين الكاذب * وقال ابن عطية لكشف الزناة بأيسر من هذا أو لأخذهم بعقاب من عنده ونحو هذا من المعاني التي أوجب تقديرها ابهام الجواب ﴿إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾

له ترتب حال على الناس قتلها * تقاصر عنها سورة المتطاول ﴿لولا اذ سمعتموه﴾ لولا حرف تحضيض بمعنى هلا وفيه تعريض على ظن الخير وزجر وأدب والظاهر أن الخطاب للمؤمنين حاشا من تولى كبره قيل ويحتمل دخولهم في الخطاب وفيه عتاب أي كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يجئ التركيب ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخير وان يقول بناء على ظنه هذا إفك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ الآية أي في الدنيا بالنعم التي منها الامهال للتوبة ﴿ورحمته﴾ عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة ﴿لمسكم﴾ العذاب فيما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض ﴿اذ تلقونه﴾ العامل في اذ لمسكم تلقونه أي يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه والأصل وتلقفه تتلقونه ومعنى بأفواهكم أي تلوكونه وتديرونه فيها من غير علم لأن الشيء المعلوم يكون في القلب ثم يعبر عنه باللسان وهذا الافك ليس محله الا الأفواه كما قال يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿وتحسبونه هينا﴾

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم * سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح والافك الكذب والافتراء * وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك * والعصبة الجماعة وقد تقدم الكلام عليها في سورة يوسف عليه السلام * منكم أي من أهل ملتكم وممن ينمى الى الاسلام ومنهم منافق ومنهم مسلم والظاهر ان خبر ان هو عصبة منكم ومنكم في موضع الصفة وقاله الحوفي وأبو البقاء * ولا تحسبوه مستأنف * وقال ابن عطية عصبة رفع على البدل من الضمير في جاؤا وخبر ان في قوله ولا تحسبوه التقدير ان فعل الذين وهذا أنسق في المعنى وأكثر فائدة من أن يكون عصبة خبر ان انتهى والعصبة عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ممن لم يردد كراسمه ولا تحسبوه خطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخصوصا أصحاب القصة والضمير في لا تحسبوه الظاهر أنه عائد على الافك وعلى اعراب ابن عطية يعود على ذلك المحذوف الذي قدره اسم ان * قيل ويجوز أن يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم من جاؤا وعلى ما نال المسلمين من الغم والمعنى لا تحسبوه ينزل بكم منه عار بل هو خير لكم لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الأذى وانكشاف كذب القاذفين * وقيل الخطاب بلا تحسبوه للقاذفين وكينونة ذلك خيرا لهم حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة وحيث تاب بعضهم وهذا القول ضعيف لقوله بعد لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم أي جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلموا كسب مستعمل في المآثم ونحوها لانها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ في الترتيب وكسب مستعمل في الخير لأن حصوله معن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب في الوجهين * والذي تولى

أي ذنبا صغيرا ﴿وهو عند الله﴾ من الكبائر وعلق من العذاب بثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم به واستصغاره ثم أخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه أن لا يفوهوا به ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ قال مجاهد هذه الاشارة الى عبد الله بن أبي ومن أشبهه ﴿في الذين آمنوا﴾ لعداوتهم لهم والعذاب الأليم في الدنيا الحد وفي الآخرة النار والظاهر في الذين يحبون العموم في كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على أن ارادة الفسق فسق والله يعلم أي البريء من المذنب وسرائر الأمور ووجه الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد ﴿والله يعلم﴾ كذبهم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ لأنه غيب وجواب لولا محذوف أي لعاقبكم ﴿وأن الله رؤف﴾ بالبرية ﴿رحيم﴾ بقبول توبة من تاب من قذف

كبره المشهور انه عبدالله بن أبي والعذاب العظيم عذاب يوم القيامة * وقيل هو ما أصاب حسان من ذهاب بصره وشل يده وكان ذلك من عبد الله بن أبي لامعانه في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وروي عنه كلام قبيح في ذلك نزهت كتابي عن ذكره وقلمي عن كتابته قبحه الله * وقيل الذي تولى كبره حسان والعذاب الأليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على رأسه وقال له

توقَّ ذباب السيف عني فانني * غلام اذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأتقي * من الباهت الرامي البرىء الظواهر

وأنشد حسان أبياتا يثني فيها على أم المؤمنين ويظهر براءته مما نسب اليه وهي

حصان رزان ما تزنّ بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلغت عني قلته * فلا رفعت سوطي الىّ أناملي
وكيف وودي ماحييت ونصرتي * بآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المتطاول

قال ابن عباس والخطاب لحسان ومسطح وحمنة والظاهر العموم

والمشهور انه حد حسان ومسطح وحمنة * قيل وعبد الله بن أبي وقد ذكره بعض شعراء ذلك العصر في شعر * وقيل لم يحد مسطح * وقيل لم يحد عبد الله * وقيل لم يحد أحد في هذه القصة وهذا مخالف النص * فاجلدوهم ثمانين جلدة وقابل ذلك بقول انما يقام الحد باقرار أو بينة ولم يتقيد باقامته بالاخبار كما لم يتقيد بقتل المنافقين وقد أخبر تعالى بكفرهم * وقرأ الجمهور كبره بكسر الكاف * وقرأ الحسن وعمرة بنت عبد الرحمن والزهري وأبو رجاء ومجاهد وأبو البرهسم والأعمش وحميد وابن أبي عبلة وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب والزعفراني وابن مقسم وسورة عن الكسائي ومحبوب عن أبي عمرو بضم الكاف والكبر والكبر مصدران لكبر الشيء عظم لكن استعمال العرب الضم ليس في السن هذا كبر القوم أي كبيرهم سنا أو مكانة وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة الكبر الكبر * وقيل كبره بالضم معظمه وبالكسر البداءة بالافك * وقيل بالكسر الاثم * لولا إذ سمعتموه هذا تحريض على ظن الخير وزجر وأدب والظاهر ان الخطاب للمؤمنين حاشا من تولى كبره * قيل ويحتمل دخولهم في الخطاب وفيه عتاب أي كان الانكار واجبا عليهم وعدل بعد الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر فلم يجئ التركيب ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيه على ظن الخير وأن يقول بناء على ظنه هذا إفك مبين هكذا باللفظ الصريح ببراءة أخيه كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن ومعنى بأنفسهم أي كان يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات هذا الأمر على أنفسهم فاذا كان ذلك يبعد عليهم فضوانا انه في حق من هو خير منهم أبعد * وقيل معنى بأنفسهم أمهاتهم * وقيل بأنحو نهم * وقيل بأهل دينهم وقال ولا تلمزوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم أي لا يلمز بعضكم بعضا وليسلم

بعضكم على بعض *لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء جعل الله فصلا بين الرمي الكاذب والرمي الصادق ثبوت أربعة شهداء وانتفاؤها *فاذ لم يأتوا فهم في حكم الله وشريعته كاذبون وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك ولم يجدّوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل * ولولا فضل الله أي في الدنيا بالنعم التي منها الامهال للتوبة ورحمته عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة *لمسكم العذاب فيما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض *إذ تلقونه العامل في إذ لمسكم *وقرأ الجمهور تلقونه بفتح الثلاث وشد القاف وشد التاء البزي وأدغم ذال اذ في التاء النحويان وحمزة أي يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه والأصل تتلقونه وهي قراءة أبي * وقرأ ابن السميفع تلقونه بضم التاء والقاف وسكون اللام مضارع ألقى وعنه تلقونه بفتح التاء والقاف وسكون اللام مضارع لقي * وقرأت عائشة وابن عباس وعيسى وابن يعمر وزيد بن علي بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف من قول العرب ولق الرجل كذب حكاه أهل اللغة * وقال ابن سيده جاؤا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه أراد يلقون فيه فحذف الحرف ووصل الفعل للضمير * وحكى الطبري وغيره ان هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذي هو الاسراع بالشئ بعد الشئ كعدد في أثر عدد وكلام في أثر كلام يقال ولق في سيره اذا أسرع قال

* جاءت به عيس من الشام يلق * وقرأ ابن أسلم وأبو جعفر تألقونه بفتح التاء وهمزة ساكنة بعدها لام مكسورة من الالق وهو الكذب * وقرأ يعقوب في رواية المازني تيلقونه بتاء مكسورة بعدها ياء ولام مفتوحة كأنه مضارع ولق بكسر اللام كما قالوا تيجل مضارع وجلت * وقال سفيان سمعت أمي تقرأ اذ تثقفونه يعني مضارع ثقف قال وكان أبوها يقرأ بحرف ابن مسعود ومعنى بأفواهكم وتديرونه فيها من غير علم لان الشئ المعلوم يكون في القلب ثم يعبر عنه اللسان وهذا الافك ليس محله الا الأفواه كما قال يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم * وتحسبونه هينا أي ذنبا صغيرا وهو عند الله من الكبائر وعلق مس العذاب بثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم به واستصغاره ثم أخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه أن لا يفوهوا به * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها انتهى وما ذكره من أدوات التحضيض يوهم ان ذلك مختص بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت *قال الزمخشري (فان قلت) فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة بيان انه كان الواجب عليهم أن ينقادوا حال ما سمعوه بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه ما ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وسبحانك تعجب من عظم الأمر (فان قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح (قلت) الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية المتعجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله عن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم كما قيل فيها انتهى *يعظكم الله أن تعودوا أي في أن تعودوا تقول وعظت فلانا في كذا فتركه *ان كنتم مؤمنين حث لهم على الاتعاظ وتهييج لان من شأن المؤمن الاحتراز مما يشينه من القبائح * وقيل ان

(الدر)

(ش) فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم *قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (ح) ما ذكره في أدوات التحضيض يوهم ان ذلك مختص بالظرف وليس كذلك بل يجوز تقديم المفعول به على الفاعل فتقول لولا زيدا ضربت وهلا عمرا قتلت

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا ﴾ الآية تقدم الكلام على خطوات الشيطان في البقرة والضمير في فانه عائد على من الشرطية أي فان متبع خطوات الشيطان ﴿ يأمر بالفحشاء ﴾ وهو ما أفرط قبحه ﴿ والمنكر ﴾ وهو ما تنكره العقول السليمة أي يصير رأسا في الضلال بحيث يكون آمرا تطيعه أصحابه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بالتوبة الممحصة ما طهر أحد منكم ما زكى يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة

على سبقها أو من يشاء بقبول التوبة النصوح ﴿ والله سميع ﴾ لأقوالكم عليم بضمائركم ﴿ ولا يأتل ﴾ هو مضارع ائتلى افتعل من الألية وهي الحلف وقيل معناه يقصر بني افتعل من ألوت بمعنى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا وقال الشاعر

وما المرء ما دامت حشاشة نفسه
بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

* وسبب نزولها المشهور أنه حلف أبي بكر على مسطح أن لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمن قال في الافك وقالوا لا نصل من تكلم به فنزلت في جميعهم والآية تتناول من هو بهذا الوصف ﴿ الغافلات ﴾ أي السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولا يفطن لما يفطن له المجربات ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ جاء في قذف المحصنات قبل هذا الاستثناء بالتوبة وهنا لم يجئ الآية لمجيء استثناء ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر فيه أو حمزة لجماله ويؤيده قوله ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ والناصب ليومئذ بما تعلق به الجار والمجرور وهو لهم ﴿ يومئذ يوفيهم ﴾ يومئذ بدل من يوم والتنوين في إذ للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم إذ تشهد عليهم ومن هذا هو الجزاء أي جزاءهم ... من بكم في قلبه اذاية الناس حتى يمكر بهم ﴿ أولئك ﴾ اشارة للطيبين والطيبات والضمير في يقولون عائد على ذوي الخبث

تعودوا مفعول من أجله أي كراهة أن تعودوا * و يبين الله لكم الآيات أي الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع و يعلمكم من الآداب و يعظكم من المواعظ الشافية * ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة * قال مجاهد وابن زيد الاشارة الى عبد الله بن أبي ومن أشبهه * في الذين آمنوا العداوة لهم والعذاب الأليم في الدنيا الحد وفي الآخرة النار والظاهر في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة العموم في كل قاذف منافقا كان أو مؤمنا وتعليق الوعيد على محبة الشياع دليل على ان ارادة الفسق فسق والله يعلم أي البريء من المذنب وسرائر الأمور ووجه الحكمة في ستركم والتغليظ في الوعيد * وقال الحسن عنى بهذا الوعيد واللعن المنافقين وانهم قصدوا وأحبوا اذاية الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وملعون فاعله * وقال أبو مسلم هم المنافقون أوعدهم الله بالعذاب في الدنيا على يد الرسول بالمجاهدة كقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * وقال الكرماني والله يعلم كذبهم وأنتم لا تعلمون لأنه غيب وجواب لولا محذوف أي لعاقبكم وان الله رؤف بالتبرئة رحيم بقبول توبة من تاب ممن قذف * قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والظاهر العموم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ تقدم الكلام على خطوات الشيطان تفسيرا وقراءة في البقرة والضمير في فانه عائد على من الشرطية أي فان متبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء وهو ما أفرط قبحه والمنكر وهو ما تنكره العقول السليمة أي يصير رأسا في الضلال بحيث يكون آمرا يطيعه أصحابه * ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة الممحصة ما طهر أحد منكم * وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف وأماله حمزة والكسائي وأبو حيوة والحسن والأعمش وأبو جعفر في رواية وروح تشديدها وأماله الأعمش وكتب زكي بخفف بالياء وهو من ذوات الواو على سبيل الشذوذ لأنه قد يمال أو على قراءة من شد الكاف * ولكن الله يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبقها أو من يشاء بقبول

التوبة النصوح والله سميع لأقوالهم عليم بضمائرهم * ولا يأتل هو مضارع ائتلى افتعل من الالية وهي الحلف * وقيل معناه يقصر من افتعل ألوت قصرت ومنه لا يألونكم * وقول الشاعر

وما المرء مادامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

وهذا قول أبي عبيدة واختاره أبو مسلم * وسبب نزولها المشهور انه حلف أبي بكر على مسطح أن لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة * وقال ابن عباس والضحاك قطع جماعة من المؤمنين منافعهم عمن قال في الافك وقالوا لا نصل من تكلم فيه فنزلت في جميعهم والآية تتناول من هو بهذا الوصف * وقرأ الجمهور يأتل * وقرأ عبد الله بن عياش بن ربيعة وأبو جعفر مولاه وزيد بن أسلم والحسن يتأل مضارع تألى بمعنى حلف * قال الشاعر

تألى ابن أوس حلفة ليردّني * الى نسوة كأنهن معائد

والفضل والسعة يعني المال وكان مسطح ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من المهاجرين وممن شهد بدرا وكان مانسب اليه داعيا أبا بكر أن لا يحسن اليه فأمر هو ومن جرى مجراه بالعفو والصفح وحين سمع أبو بكر ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا * وقرأ أبو حيوة وابن قطيب وأبو البرهشيم ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويناسبه ألا تحبون وأن يؤتوا نصب الفعل المنهي فان كان بمعنى الحلف فيكون التقدير كراهة أن يؤتوا وأن لا يؤتوا لحذف لا وان كان بمعنى يقصر فيكون التقدير في أن يؤتوا أو عن أن يؤتوا * وقرأ عبد الله والحسن وسفيان بن الحسين وأسماء بنت يزيد ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء أمر خطاب للحاضرين * ان الذين يرمون عام في الرامين واندرج فيه الراميان تغليبا للذكر على المؤنث * والمحصنات ظاهره انه عام في النساء العفائف * وقال النحاس من أحسن ماقيل فيه انه عام لجميع الناس من ذكر وأنثى وان التقدير يرمون الأنفس المحصنات فيدخل فيه المذكر والمؤنث * وقيل هو خاص بمن تكلم فيها في حديث الافك * وقيل خاص بأمهات المؤمنين وكبراهن منزلة وجلالة تلك فعلى أنه خاص بها جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بتلك الصفات من الاحصان والعقل والايمان كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * يعني عبد الله بن الزبير وأشياعه * والغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولا يفطن لما يفطن له المجربات كما قال الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله أكثر أهل الجنة البله * لعنوا في الدنيا والآخرة في قذف المحصنات * قيل هذا الاستثناء بالتوبة وفي هذه لم يجئ استثناء * وعن ابن عباس ان من خاض في حديث الافك وتاب لم تقبل توبته والصحيح ان الوعيد في هذه الآية مشروط بعدم التوبة ولا فرق بين الكفر والفسق وان من تاب غفر له * ويناسب أن تكون هذه الآية كما قيل نزلت في مشركي مكة كانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا خرجت لتفجر قاله أبو حمزة اليماني ويؤيده قوله يوم تشهد عليهم * وعن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فاذا كان يوم القيامة علم حيث لا ينفعه * والناصب ليوم تشهد ماتعلق به الجار والمجرور وهو ولهم * وقال الحوفي العامل فيه عذاب ولا يجوز لأنه موصوف الا على رأي الكوفيين * وقرأ الاخوان والزعفراني وابن مقسم وابن سعدان يشهد بياء من تحت لأنه تأنيث مجازي ووقع

الفصل وباقي السبعة بالتاء ولما كان قلب الكافر لا يريد ما يشهد به أنطق الله الجوارح والالسنة والايدي والارجل بما عملوا في الدنيا وأقدرها على ذلك وليست الحياة شرطا لوجود الكلام وقالت المعتزلة يخلق في هذه الجوارح الكلام وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون تلك الشهادة من الله في الحقيقة الا أنه تعالى أضافها الى الجوارح توسعا وقالوا أيضا انه تعالى ينشيء هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه ويلجئها أن تشهد على الانسان وتخبر عنه بأعماله * قال القاضي وهذا أقرب الى الظاهر لأن ذلك يفيد أنها بفعل الشهادة وانتصب يومئذ بيوفيهم والتنوين في إذ عوض من الجملة المحذوفة والتقدير يوم إذ تشهد * وقرأ زيد بن علي يوفيهم مخففا والدين هنا الجزاء أي جزاء أعمالهم * وقال

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

ومنه كما تدين تدان * وقرأ الجمهور الحق بالنصب صفة لدينهم * وقرأ عبد الله ومجاهد وأبو روق وأبو حيوة بالرفع صفة لله ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصول وصفته ويعلمون الى آخره يقوي قول من قال ان الآية في عبد الله بن أبي لأن كل مؤمن يعلم أن الله هو الحق المبين * قال الزمخشري ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في الافك وما أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما نزل فيه على طرق مختلفة وأساليب متقنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا به وانه يوفيهم جزاء الحق الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة انتهى وهو كلام حسن ثم قال بعد كلام (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق المبين العادل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله أن يتقى وتجتنب محارمه انتهى وفي قوله لم تسقط عنده اساءة مسيء دسيسة الاعتزال والظاهر أن الخبيثات وصف للنساء وكذلك الطيبات أي النساء الخبيثات للرجال الخبيثين ويرجحه مقابلته بالذكور فالمعنى ان الخبيثات من النساء ينزعن للخبثاء من الرجال فيكون قريبا من قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ويدل على هذا التأويل قول عائشة حين ذكرت التسع التي ما أعطيتهن امرأة غيرها وفي آخرها ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وهذا التأويل نحا اليه ابن زيد فهو تفريق بين عبد الله وأشباهه والرسول وأصحابه فلم يجعل الله الا كل طيبة وأولئك خبيثون فهم أهل النساء الخبائث * وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة هي الاقوال والافعال ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم الكلمات والفعلات الخبيثة لا يقولها ولا يرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وقال بعضهم الكلمات والفعلات لا تليق وتلصق عند رمي رام وقذف قاذف الا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه * أولئك اشارة للطيبين أو اشارة لهم وللطيبات اذ عني بهن النساء مبرؤن مما يقولون أي يقول الخبيثون من خبيثات الكلم أو القاذفون الرامون المحصنات

ووعد الطيبين المغفرة عند الحساب والرزق الكريم في الجنة ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وماتكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أوأبنائهن أوأبناء بعولتهن أواخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أونسائهن أوماملكت أيمانهن أوالتابعين غير أولى الاربة من الرجال أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ＊ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مماملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و يضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أوكظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شئ قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم و يقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم

المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء التى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ✻ غض البصر أطبق جفن على جفن بحيث تمتنع الرؤية * قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

* الخمر جمع خمار وهو المقنعة التى تغطى المرأة على رأسها وهو جمع كثرة مقيس فيه ويجمع في القلة على أخمرة وهو مقيس فيها أيضا * قال الشاعر

وترى الشجراء في ريقه * كرؤوس قطعت فيها الخمر

* الجيب فتح يكون في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد * والعورة ما يحرم الاطلاع عليه ويغلب في سوأة الرجل * والمرأة الأيم من لا نصير من تميم يقال لكل ذكر لا أنثى معه ولكل أنثى لا ذكر معها ووزنه فيعل كلين ويقال آمت تئيم * وقال الشاعر

كل امرئ ستئيم منه * العرس أو منها يئيم

أي سيفرد وسيصير أيما وقياس جمعه أيائم كسيائد في جمع سيد وجمعه على فعالى شذوذ لا مقيس

* البغاء الزنا يقال بغت المرأة تبغي بغاء فهي بغي وهو مختص بزنا النساء * المشكاة الكوة غير

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا﴾ الآية جاءت امرأة من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أكون في بيتي على حال لا أحب أحدا يرانى عليها فلا يزال حتى يدخل على رجل من أهلي فنزلت فقال أبو بكر بعد نزولها يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الآية * ومناسبتها لما قبلها هو أن أهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنها طريقة للتهمة فأوجب الله أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لأن في الدخول على غير هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا يخفى والظاهر

أنه يجوز للانسان أن يدخل بيت نفسه بغير استئذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وغيا النهى عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت والظاهر أن الاستئناس خلاف الاستيحاش ﴿غير مسكونة﴾ هي الفنادق التي في طرق المسافرين وقيل الخرب التي تدخل للتبرز وقيل الربط وقيل حوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والشراء والبيع وغير ذلك ﴿قل للمؤمنين يغضوا﴾ الآية تقدم مثل هذا

النافلة * قال الكلبي حبشي معرب * الزجاجة جوهر مصنوع معروف وضم الزاى لغة الحجاز وكسرها وفتحها لغة قيس * الزيت الدهن المعتصر من حب شجرة الزيتون * قال الكرماني السراب بخار يرتفع من قعور القيعان فيكيف فاذا اتصل به ضوء الشمس أشبه الماء من بعيد فاذا دنا منه الانسان لم يره كما كان يراه بعيدا * وقال الفراء السراب ما لصق بالارض * وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار عند اشتداد الحر في البر يخيل للناظر أنه الماء السارب أي الجاري * وقال الشاعر

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمع سراب في الفلا متألق

* وقال * أمر الطول لماع السراب * وقيل السراب ما يرقرق من الهواء في الهجير في فيافي الأرض المنبسطة * اللجى الكثير الماء ولجة البحر معظمه وكان لجيا منسوب الى اللجة * الودق المطر شديده وضعيفه قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

* وقال أبو الأشهب العقيلي هو البرق * ومنه قول الشاعر

أثرن عجاجة وخرجن منها * خروج الودق من خلل السحاب

والودق مصدر ودق السحاب يدق ودقا ومنه استودقت الفرس * البرد معروف وهو قطع متجمدة يذوب منه ماء بالحرارة * السنا مقصور من ذوات الواو وهو الضوء * قال الشاعر

* يضيء سناه أو مصابيح راهب * يقال سنا يسنو سنا والسنا أيضا نبت يتداوى به والسناء بالمد الرفعة والعلو قال * وسن كسنيق سناء وسنما * أذعن للشيء انقاد له * وقال الزجاج الادعان الاسراع مع الطاعة * الحيف الميل في الحكم يقال حاف في قضيته أي جار * اللواذ الروغان من شيء الى شيء في خفية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني

التركيب في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا ومن لابتداء الغاية ﴿ذلك﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم ﴿خبير بما يصنعون﴾ من إجالة النظر وانكشاف العورات فيجازى على ذلك والمؤمنات عام في الزوجات المملوكات ﴿ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها﴾ وهو الكحل والخضاب والخاتم ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ الخمر جمع خمار وهو المقنعة التي تلقي المرأة على رأسها وهو جمع كثرة مفيس ويجمع في القلة على أخمرة وهو مقيس فيه أيضا قال وترى الشجرا في ريقه * كرؤوس قطعت فيها الخمر وكان النساء يغطين رؤسهن بالأخمرة ويسدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان

لاستر عليهن وضمن وليضربن معنى وليضعن وليلقين فلذلك عداه بعلى و بدأتعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم فى ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم فى الحرمة بحسب مافى نفوس البشر فالأب والأخ ليسا كابن الزوج فقد تبدى للاب مالاتبدى لابن الزوج ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال وقال الحسن هما كسائر المحارم فى جواز النظر ﴿ أونسائهن ﴾ مخصوص بمن كان على دينهن قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولاتبدى للكافرة الا ماتبدى للاجانب الا أن تكون أمة لقوله تعالى ﴿ أوماملكت أيمانهن ﴾ وكتب عمر الى أبى عبيدة أن امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات والظاهر العموم فى قوله أوماملكت أيمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد أن ينظر من سيدته ماينظر أولئك المستثنون وهومذهب عائشة وأم سلمة وقال سعيد بن المسيب لاتغرنكم آية النور فانما المراد بها الاماء * قال الزمخشرى وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يامعاوية أترى المثلة تحلل ماحرم الله وعن أبى حنيفة لايحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم ﴿ الاربة ﴾ الحاجة الى الوطء لأنهم بله لايعرفون شيأ من أمر النساء ويدخل فى هذه الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفانى والزمن الموقود برمانته وقسم التابعين غير أولى الحاجة الى الوطء قسمين رجال وأطفال والمفرد المحلى بأل يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع فى قوله ﴿ الذين لم يظهروا ﴾ ومن ذلك قول العرب أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم الابيض يريد الدنانير والدراهم فكأنه قال والاطفال والطفل ماله يراهق الحلم ﴿ ولايضربن بأرجلهن ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وزعم حضرمى أن امرأة اتخذت خلخالا من فضة و اتخذت جزعا فجعلته فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية ﴿ وتوبوا الى الله ﴾ [illegible] وكان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاة ماتهاه عنه [illegible] فلابد من تقصير فرغب فى التوبة وترجى الفلاح اذا تابوا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة وقرئ ﴿ أيه المؤمنون ﴾ وأيه الساحر وأيه الثقلان [illegible]

اخوانهن أو بنى أخواتهن أونسائهن أوماملكت أيمانهن أوالتابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى أكون فى بيتى على حال لاأحب أن يرانى عليها أحد فلا يزال يدخل على رجل من أهلى فنزلت ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا الآية فقال أبو بكر بعد نزولها يارسول الله أرأيت الخانات والمساكن التى ليس فيها ساكن فنزل ليس عليكم جناح الآية * ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن أهل الافك انما وجدوا السبيل الى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنها طريق للتهمة فأوجب الله تعالى أن لايدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان والسلام لأن فى الدخول لاعلى هذا الوجه وقوع التهمة وفى ذلك من المضرة مالاخفاء به والظاهر أنه يجوز للانسان أن يدخل بيت نفسه من غير استئذان ولا سلام لقوله غير بيوتكم وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها والظاهر النهى عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت والظاهر أن الاستئناس هوخلاف الاستيحاش لأن الذى يطرق باب غيره لايدرى أيؤذن له أم لافهو كالمستوحش من خفاء الحال اذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكنايات والارداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن وقد روى عن ابن عباس أنه قال تستأنسوا معناه تستأذنوا ومن روى عن ابن عباس أن قوله تستأنسوا خطأ أو وهم من الكاتب وأنه قرأ حتى تستأذنوا فهو طاعن فى الاسلام ملحد فى الدين وابن عباس برىء من هذا القول وتستأنسوا

مقسكنة في المعنى بنية الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم استأنس يارسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي أنه طلب الانس به صلى الله عليه وسلم * وقيل هو من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة

كان رحلي وقد زال النهار بنا * يوم الجليل على مستأنس وحد

ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل ثم انسان * وعن أبي أيوب قال قلنا يارسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصدّ الله عن ذلك وعلم الأحسن الأكمل وذهب الطبري في تستأنسوا الى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم * قال ابن عطية وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس انتهى * وقال عطاء الاستئذان واجب على كل محتلم والظاهر مطلق الاستئذان فيكفي فيه المرة الواحدة * وفي الحديث الاستئذان ثلاث يعني كاله فان أذن له والا فليرجع ولا يزيد على ثلاث الا أن يحقق ان من في البيت لم يسمع والظاهر تقديم الاستئذان على السلام * وفي حديث أبي داود وقل السلام عليكم أأدخل والواو في وتسلموا لا تقتضي ترتيبا فشرع النداء بالسلام على الاذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة * ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من تستأنسوا وتسلموا أي ذلكم الاستئناس والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية * لعلكم تذكرون أي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم من الستر وعدم الاطلاع على ما تكرهون الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اعتناء بهذا الحكم * فان لم تجدوا فيها أحدا أي يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم حتى يؤذن لكم اذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب أن يطلع عليه * وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا عائد الى من استأذن في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه من يأذن أم لم يكن أي لا تلحوا في طلب الاذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين * هو أزكى أي الرجوع أطهر لكم وأنمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة * ثم أخبر أنه تعالى بما تعملون عليم أي بما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه وفي ذلك توعد لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غيره والنظر لما لا يحل * ليس عليكم جناح قال الزمخشري استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع انتهى وماذكره الزمخشري من انه استثناء من البيوت كما ذكر هو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثناء لان الآية الأولى في البيوت المسكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الآية الثانية هي في البيوت المباحة وقد مثل لعلماء لهذه البيوت أمثلة * فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي في الفنادق التي في طرق المسافرين * قال مجاهد لا يسكنها أحد بل هي موقوفة يأوي اليها كل ابن سبيل * وفيها متاع لهم أي استمتاع بمنفعتها ومثل عطاء بالخرب التي تدخل للتبرز * وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت

(الدر)

(ش) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ماليس بمسكون منها نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد الى آخره (ح) ماذكره (ش) من انه استثنى من البيوت كما ذكر هو مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن ولا يظهر انه استثناء لان الآية الاولى في البيوت المسكونة والمملوكة ولذلك قال بيوتا غير بيوتكم وهذه الآية الثانية في البيوت المباحة

القيسارية والسوق * قال ابن الحنفية أيضا هي دور مكة وهذا لا يسوغ إلا على القول بأن دور مكة غير مملوكة وان الناس فيها شركاء وان مكة فتحت عنوة * والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون البيوت غير المسكونة من أهل الريب * ومن في من أبصارهم عند الأخفش زائدة أي يغضوا أبصارهم عما يحرم وعند غيره للتبعيض وذلك ان أول نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك ويؤيده قوله لعلي كرم الله وجهه لا تتبع النظرة النظرة فان الأولى لك وليست لك الثانية * وقال ابن عطية يصح أن تكون من لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية انتهى ولم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على أن الصحيح ان من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس * ويحفظوا فروجهم أي من الزنا ومن التكشف ودخلت من في قوله من أبصارهم دون الفرج دلالة على ان أمر النظر أوسع ألا ترى ان الزوجة ينظر زوجها الى محاسنها من الشعر والصدر والعضد والساق والقدم وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الأجنبية الى وجهها وكفيها وأما أمر الفرج فضيق * وعن أبي العالية وابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا الا هذا فهو من الاستتار ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين * ذلك أي غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم ان الله خبير بما يصنعون من اجالة النظر وانكشاف العورات فيجازي على ذلك وقدم غض البصر على حفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه وهو الباب الأكبر الى القلب وأعمر طرق الحواس اليه ويكثر السقوط من جهته * وقال بعض الأدباء

وما الحب إلا نظرة اثر نظرة * تزيد نموا ان تزده لجاجا

* ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الأبصار وفي الحفظ للفروج * ثم قال ولا يبدين زينتهن واستثنى ما ظهر من الزينة والزينة ما تتزين به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثنى وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الأمر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر لا يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل النظر اليها غير ملابسة لها وسومح في الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفيفة * أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك * وقال ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب ونص على ذلك أحمد قال الزينة الظاهرة الثياب وقال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وفسرت الزينة بالثياب * وقال ابن عباس الكحل والخاتم * وقال الحسن في جماعة الوجه والكفان * وقال ابن جريج الوجه والكحل والخاتم والخضاب والسوار * وقال الحسن أيضا الخاتم والسوار * وقال ابن عباس الكحل والخاتم فقط * وقال

(الدر)

(ع) ويصح أن تكون من لبيان الجنس ويصح أن تكون لابتداء الغاية (ح) لم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على ان الصحيح ان من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس

المسور بن مخرمة هما والسوار * وقال الحسن أيضا الخاتم والسوار * وقال ابن بحر الزينة تقع على محاسن الخلق التى فعلها الله وعلى مايتزين به من فضل لباس فنهاهن الله عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى مالا يمكن اخفاؤه فى بعض الأوقات كالوجه والأطراف على غير التلذذ وأنكر بعضهم اطلاق الزينة على الخلقة والأقرب دخوله فى الزينة وأى زينة أحسن من خلق العضو فى غاية الاعتدال والحسن * وفى قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن دليل على أن الزينة مايعم الخلقة وغيرها منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار وقد يقال لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة فى الصلاة والحج حسن أن يكون الاستثناء راجعا اليهما وفى السنن لأبى داود انه عليه السلام قال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفيه * وقال ابن خويزمنداد اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وكان النساء يغطين رؤسهن بالأخمرة ويسدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان لاستر عليهن وضمن وليضربن معنى وليلقين وليضعن فلذلك عداه بعلى كما تقول ضربت بيدى على الحائط اذا وضعتها عليه * وقرأ عياش عن أبى عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهن بسكون الميم وأبو عمرو ونافع وعاصم وهشام جيوبهن بضم الجيم وباقى السبعة بكسر الجيم وبدأ تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينه ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم فى ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم فى الحرمة بحسب مافى نفوس البشر فالأب والأخ ليس كابن الزوج فقد يبدى للاب مالا يبدى لابن الزوج ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال * وقال الحسن هما كسائر المحارم فى جواز النظر قال لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال فى سورة الاحزاب لاجناح عليهن فى آبائهن ولم يذكر فيها البعوله وذكرهم هنا والاضافة فى نسائهن الى المؤمنات تقتضى تعميم ما أضيف اليهن من النساء من مسلمة وكافرة كتابية ومشركة من اللواتى يكن فى صحبة المؤمنات وخدمتهن وأكثر السلف على ان قوله أو نسائهن مخصوص بمن كان على دينهن * قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ماتبدى للاجانب الا ان تكون أمة لقوله أو ماملكت أيمانهن وكتب عمر الى أبى عبيدة ان امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات والظاهر العموم فى قوله أو ماملكت أيمانهن فيشمل الذكور والاناث فيجوز للعبد ان ينظر من سيدته ماينظر أولئك المستثنون وهو مذهب عائشة وأم سلمة * وعن مجاهد كان أمهات المؤمنين لايحتجبن عن مكاتبهن مابقى عليه درهم وروى ان عائشة كانت تمتشط وعبدها ينظر اليها * وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه * وقال ابن مسعود والحسن وابن المسيب وابن سيرين لاينظر العبد الى شعر مولاته وهو قول أبى حنيفة وفى الحديث لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع ذى محرم والعبد ليس بذى محرم * وقال سعيد بن المسيب لايغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء * قال الزمخشرى وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا * وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصى فتقنعت منه فقال هو خصى فقالت يامعاوية أترى المثلة تحلل ماحرم الله وعند أبى حنيفة لايحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف امساكهم انتهى والاربة الحاجة الى الوطء لأنهم بله لايعرفون شيأ من أمر النساء ويتبعون لأنهم يصيبون من فضل الطعام * قال ابن عطية ويدخل فى هذه

الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشيخ الفانى والزمن الموقوذ بزمانته * وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالنصب على الحال أو الاستثناء وباقى السبعة بالجر على النعت وعطف أو الطفل على من الرجال قسم التابعين غير أولى الحاجة للوطء الى قسمين رجال وأطفال والمفرد المحكى بأل يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع فى قوله الذين لم يظهروا ومن ذلك قول العرب أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدراهم فكأنه قال أو الأطفال والطفل ما لم يبلغ الحلم وفى مصحف حفصة أو الأطفال جميعا * وقال الزمخشرى وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلا انتهى ووضع المفرد موضع الجمع لا ينقاس عند سيبويه وانما قوله الطفل من باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقوله ان الانسان لفى خسر ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لا بالواو وقوله ونحوه ليس نحوه لأن هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذى لا يقيسه سيبويه لأنه يجوز أن يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل فى قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ أى لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد منهم رغيف وقوله لم يظهروا اما من قولهم ظهر على الشئ اذا اطلع عليه أى لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرن أخذه ومنه فأصبحوا ظاهرين أى غالبين قادرين عليه فالمعنى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء * وقرأ الجمهور عورات بسكون الواو وهى لغة أكثر العرب لا يحركون الواو والياء فى نحو هذا الجمع وروى عن ابن عباس تحريك واو عورات بالفتح والمشهور فى كتب النحو أن تحريك الواو والياء فى مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه فى كتاب شواذ القرا آن ان ابن أبى اسحق والأعمش قرآ عورات بالفتح قال وسمعنا ابن مجاهد يقول هو لحن وانما جعله لحنا وخطأ من قبل الرواية والا فله مذهب فى العربية بنو تميم يقولون روضات وجوزات وعورات وسائر العرب بالاسكان * وقال الفراء العرب على تخفيف ذلك الا هذيلا فتثقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو * وأنشدنى بعضهم

أبو بيضات رائح متأوب * رفيق بمسح المنكبين سبوح

*ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال * وقال ابن عباس هو قرع الخلخال بالاحجار وتحريك الخلاخل عند الرجال وزعم حضرمى ان امرأة اتخذت خلخالا من فضة واتخذت جزعا فجعلته فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية * وقال الزجاج وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها انتهى * وقال أبو محمد بن حزم ما معناه انه تعالى نهاهن عن ذلك لأن المرأة اذا مرت على الرجال قد لا يلتفت اليها ولا يشعر بها وهى تكره ان لا ينظر اليها فاذا فعلن ذلك نبهن على أنفسهن ودلت بحبهن فى تعلق الرجال بهن وهذا من خفايا الاعلام بحالهن * وقال مكى ليس فى كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع * وقال الزمخشرى وانما نهى عن اظهار صوت الحلى بعد ما نهى عن اظهار الحلى علم بذلك ان النهى عن اظهار مواقع الحلى أبلغ *وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لما سبقت أوامره تعالى ونواهيه وكان الانسان لا يكاد يقدر على مراعاتها وان ضبط

(ش) وضع الواحد موضع الجمع لا يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلا (ح) وضع المفرد موضع الجمع لا ينقاس عند سيبويه وانما قوله الطفل من المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقولك ان الانسان لفى خسر ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لا بالواو وقوله ونحوه ليس نحوه لان هذا معرف بلام الجنس وطفلا نكرة ولا يتعين حمل طفلا هنا على الجمع الذى لا يقيسه سيبويه لأنه يجوز أن يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل فى قوله تعالى وأعتدت لهن متكأ أى لكل واحدة منهن وكما تقول بنو فلان يشبعهم رغيف أى يشبع كل واحد منهم رغيف (ح) روى عن أبى عامر تحريك واو عورات بالفتح والمشهور فى كتب النحو أن تحريك الواو والياء فى مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة ونقل ابن خالويه فى كتاب شواذ القرآن ان بنى تميم يقولون روضات وجوزات وعورات يعنى بتحريك الواو بالفتح وسائر العرب بالاسكان

﴿ وأنكحوا الأيامى ﴾ لما تقدمت أوامر ونواه في غض البصر وحفظ الفرج واخفاء الزينة وغير ذلك قال بعده وأنكحوا والظاهر أن الأمر في وأنكحوا للوجوب وبه قال أهل الظاهر وأكثر العلماء على أنها للندب وتقدم في المفردات أن الايم من لازوج له من ذكر وأنثى ووزنه فعيل يقال منه آم يئيم وقال كل امرئ ستئيم منه العرس أو منها يئيم ﴿ وامائكم ﴾ جمع أمة أصلها أموة حذفت منه لام الكلمة وهي الواو ﴿ وليستعفف ﴾ أي ليجتهد في العفة وصون النفس وهو استفعل بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها وجاء الفك في لغة الحجاز ﴿ لايجدون نكاحا ﴾ قيل النكاح هنا اسم لما يمهر به وينفق في الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس أمر أولا بما يعصم عن الفتنة ويبعد عن مواقعة العصيان وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوات عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء رغبهم في أن يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا أحرارا فيتصرفون في أنفسهم ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أي المكاتبة كالعتاب والمعاتبة ﴿ مما ملكت أيمانكم ﴾ يعم المماليك الذكور والاناث * والذين يحتمل أن يكون مبتدأ خبره الجملة والفاء دخلت في الخبر لما تضمن الموصول من معنى اسم الشرط * والخير المال قاله ابن عباس ﴿ وآتوهم ﴾ أمر للمكاتبين ﴿ من مال الله ﴾ لايدل على مقدار معين من المال ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن عبد الله بن أبي كان له ست جوار * معاذة * ومسيكة وأميمة * وعمرة * وأروى * وقتيلة جاءت إحداهن ذات يوم بدينار وأخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لانفعل ذلك قد جاءنا الله بالاسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكتا اليه ذلك فنزلت * والفتاة المملوكة وهذا خطاب للجميع ويؤكد أن يكون وآتوهم خطابا للجميع والنهي عن الاكراه على الزنا مشروط بارادة التعفف منهن لأنه لايمكن الاكراه الا مع ارادة التحصن أما اذا كانت مريدة للزنا فانه لايتصور الاكراه ﴿ فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ﴾ جواب للشرط والصحيح أن التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء عن هذا الحكم وقدروا فان الله غفور رحيم لهن أي المكرهات فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط * ومثلا أي قصة غريبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما وقال الضحاك المثل مافي التوراة والانجيل من اقامة الحدود وأنزل في القرآن مثله ﴿ وموعظة ﴾ أي ماوعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة لولا اذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله وخص المتقين لأنهم المنتفعون بالموعظة

نفسه واجتهد فلابد من تقصير أمر بالتوبة وبترجي الفلاح اذا تابوا * وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة * وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون ويا أيه الساحر ياأيه الثقلان بضم الهاء ووجهها انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف بالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها وضمها التي للتنبيه بعد أي لغة لبني مالك رهط شقيق ابن سلمة ووقف بعضهم بسكون الهاء لانها كتبت في المصحف بلا ألف بعدها ووقف بعضهم بالألف ﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴾ لما تقدمت أوامر ونواه في غض البصر وحفظ الفرج واخفاء الزينة وغير ذلك وكان الموجب للطموح من الرجال الى النساء ومن النساء الى الرجال هو عدم التزوج غالبا لان في تكاليف النكاح ومايجب لكل واحد من الزوجين مايشغل أمر تعالى بانكاح الايامى وهم الذين لاأزواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه فلا يلتفت الى غيره والظاهر ان الامر في قوله وانكحوا للوجوب وبه قال أهل الظاهر وأكثر العلماء على انه هنا للندب ولم يحل عصر من

لاعصار من وجود الايامى ولم ينكر ذلك ولأمر الاولياء بالنكاح * وقال الزمخشري الايامى
واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا انتهى وفي التحرير قال أبو عمرو وأيامى مقلوب أيائم وغيره من
النحويين ذكر ان أيما ويتيما جمعا على أيامى ويتامى شذوذا يحفظ ووزنه فعالى وهو ظاهر كلام
سيبويه * قال سيبويه في أواخر هذا باب تكسيرك ما كان من الصفات وقالوا وج ووجيا كما
قالوا زمن وزمنى فاجروه على المعنى كما قالوا يتيم ويتامى وأيم وأيامى فأجروه مجرى رجاعى انتهى
وتقدم في المفردات الأيم من لا زوج له من ذكر أو أنثى وفي شرح كتاب سيبويه لأبي بكر الخفاف
الأيم التي لا زوج لها وأصله في التي كانت متزوجة ففقدت زوجها برزء طرأ عليها فهو من البلايا ثم
قيل في البكر مجازا لأنها لا زوج لها انتهى * منكم خطاب للمؤمنين أمر تعالى بانكاح من تأيم من
الأحرار والحرائر ومن فيه صلاح من العبيد والاماء واندرج المؤنث في المذكر في قوله والصالحين
وخص الصالحين ليحصن لهم دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين
يشفق مواليهم عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للاهتمام بشأنهم وتقبل
الوصية فيهم والمفسدون منهم حالهم عند مواليهم على عكس ذلك * وقيل معنى والصالحين أي
للنكاح والقيام بحقوقه * وقرأ مجاهد والحسن من عبيدكم بالياء مكان الألف وفتح العين وأكثر
استعماله في المماليك * وان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله هذا مشروط بالمشيئة المذكورة في قوله
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء * والله واسع أي ذو سعة يبسط الله لمن يشاء
* عليم بحاجات الناس فيجري عليهم ما قدر من الرزق وليستعفف أي ليجتهد في العفة وصون النفس
وهو استفعل بمعنى طلب العفة من نفسه وحملها عليها وجاء الفك على لغة الحجاز ولا يعلم أحد قرأ
وليستعف بالادغام * الذين لا يجدون نكاحا * قيل النكاح هنا اسم ما يمهر وينفق في الزواج
كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس ويؤيده قوله حتى يغنيهم الله من فضله فالمأمور بالاستعفاف
هو من عدم المال الذي يتزوج به ويقوم بمصالح الزوجية والظاهر انه أمر ندب لقوله قبل ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * ومعنى لا يجدون نكاحا أي لا يتمكنون من الوصول اليه والمعنى
انه أمر بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر ثم أغلب الموانع عن النكاح
عدم المال وحتى يغنيهم ترجئة للمستعففين وتقدمة للوعد بالتفضل عليهم فالمعنى ليكون انتظار ذلك
وتأميله لطفا في استعفافهم وربطا على قلوبهم وما أحسن ما رتبت هذه الأوامر حيث أمر أولا بما
يعصم عن الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين
ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى
الشهوة عند العجز عن النكاح الى أن يرزق القدرة عليه انتهى وهو من كلام الزمخشري وهو
حسن ولما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء رغبهم في أن يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك
ليصيروا أحرارا فيتصرفون في أنفسهم والذين يبتغون الكتاب أي المكاتبة كالعتاب والمعاتبة
* مما ملكت أيمانكم المماليك الذكور والاناث والذين يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره الجملة والفاء
دخلت في خبره لتضمن الموصول معنى اسم الشرط ويحتمل أن يكون منصوبا كما تقول
زيدا فاضربه لأنه يجوز أن تقول زيدا فاضرب وزيدا اضرب فاذا دخلت الفاء كان التقدير تنبه
فاضرب زيدا فالفاء في جواب أمر محذوف وهذا موضح في النحو [illegible] قال الأزهري
وسمي هذا العقد كتابا لما يكتب بعضهم على نفسه من العتق اذا أدى ما تراضيا عليه من المال وهو

(الدر)

(ش) الايامى واليتامى أصلها أيائم ويتائم فقلبا انتهى (ح) غيره من النحويين ذكر ان أيما ويتيما جمعا على أيامى ويتامى شذوذا يحفظ ووزنه فعلى وهو ظاهر كلام سيبويه قال (س) في أواخر هذا باب تكسيرك ما كان من الصفات وقالوا وجى ووجيا كما قالوا زمن وزمنى وأجروه على المعنى كما قالوا يتيم ويتامى وأيم وأيامى فأجروه مجرى رجاعى انتهى والأيم من لا زوج له من ذكر أو أنثى

يكتب السيد على العبد من النجوم التي يؤديها والظاهر وجوب المكاتبة لقوله فكاتبوهم وهذا
مذهب عطاء وعمرو بن دينار والضحاك وابن سيرين وداود وظاهر قول عمر لانه قال لأنس حين
سأل سيرين المكاتبة فتلكأ أنس كاتبه أو لأضربنك بالدرة وذهب مالك وجماعة الى انه أمر ندب
وصيغتها كاتبتك على كذا او يعين ما كاتبه عليه وظاهر الأمر يقتضي انه لا يشترط تنجيم ولا حلول
بل يكون حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وهذا مذهب أبي حنيفة * وقال الشافعي لا يجوز على أقل
من ثلاثة أنجم * وقال أكثر العلماء يجوز على نجم واحد * وقال ابن خويز منداد اذا كاتب على
مال معجل كان عتقا على مال ولم تكن كتابة وأجاز بعض المالكية الكتابة الحالية وسماها قطاعة
والخير المال قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك أو الحيلة التي تقتضي الكسب قاله ابن عباس
أيضا أو الدين قاله الحسن أو اقامة الصلاة قاله عبيدة السلماني أو الصدق والوفاء والامانة قاله الحسن
وابراهيم أو ارادة خير بالكتابة قاله سعيد بن جبير * وقال الشافعي الامانة والقوة على الكسب
والذي يظهر من الاستعمال انه الدين يقول فلان فيه خير فلا يتبادر الى الذهن الا الصلاح والأمر
بالكتابة مقيد بهذا الشرط فلو لم يعلم فيه خيرا لم تكن الكتابة مطلوبة بقوله فكاتبوهم والظاهر
في وآتوهم انه أمر للمكاتبين وكذا قال المفسرون وجمهور العلماء واختلفوا أهل هو على الوجوب
أو على الندب واستحسن ابن مسعود والحسن أن يكون ثلث الكتابة وعلي ربعها وقتادة عشرها
* وقال عمر من أول نجومه مبادرة الى الخير * وقال مالك من آخر نجم * وقال بريدة والحسن والنخعي
وعكرمه والكلبي والمقاتلان أمر الناس جميعا بمواساة المكاتب واعانته * وقال زيد بن أسلم
الخطاب لولاة الأمور أن يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حقهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب
* وقال صاحب النظم لو كان المراد الايتاء الحط لوجب أن تكون العبارة العربية ضعوا عنهم
أو قاصوهم فلما قال وآتوهم دل على انه من الزكاة اذ هي مناولة واعطاء وتوكده انه أمر باعطاء وما
أطلق عليه الاعطاء كان سبيله الصدقة * وقوله من مال الله الذي آتاكم هو ما ثبت ملكه للمالك أمر
باخراج بعضه ومال الكتابة ليس بدين صحيح لأنه على عبده والمولى لا يثبت له على عبده دين صحيح
وأيضا ما آتاه الله هو الذي يحصل في يده ويملكه وما يسقطه عقب العقد لا يحصل له عليه ملك فلا
يستحق الصفة بأنه من مال الله الذي آتاه ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء في صحيح مسلم عن جابر ان
جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * وقيل كانت له ست معاذه ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى
وقتيلة جاءته احداهن ذات يوم بدينار وأخرى ببرد فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل ذلك
وقد جاءنا الله بالاسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا فنزلت والفتاة المملوكة
وهذا خطاب للجميع ويؤكد أن يكون وآتوهم خطابا للجميع والنهي عن الاكراه على الزنا
مشروط بارادة التعفف منهن لأنه لا يمكن الاكراه الا مع ارادة التحصن أما اذا كانت مريدة للزنا
فانه لا يتصور الاكراه وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة
وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر وقد ذهب هذا النظر على كثير
من المفسرين فقال بعضهم ان أردن راجع الى قوله وأنكحوا الأيامى منكم وهذا فيه بعد وفصل
كثير وأيضا فالأيامى تشمل الذكور والاناث فكان لو أريد هذا المعنى لكان التركيب ان أرادوا
تحصنا فيغلب المذكر على المؤنث * وقال بعضهم هذا الشرط ملغى * وقال الكرماني هذا شرط

(الله نور السموات والارض) الآية النور الضوء المدرك بالبصر واسناده الى الله مجاز كما تقول زيد كرم وجود واسناده على اعتبارين اما على أنه اسم فاعل أي منور السموات والارض واما على حذف مضاف أي ذو نور ويؤيده

في الظاهر وليس بشرط كقوله ان علمتم فيهم خيرا ومع انه وان كان لم يعلم خيرا صحت الكتابة * وقال ابن عيسى جاء بصيغة الشرط لتفحيش الاكراه على ذلك وقال لأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة انتهى وعرض الحياة الدنيا هو ما يكسبه بالزنا وقوله فان الله جواب للشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة ولما غفل الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء عن هذا الحكم قدروا فان الله غفور رحيم لهن أي للمكرهات فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط وقد ضعف ما قلناه أبو عبد الله الرازي فقال فيه وجهان أحدهما فان الله غفور رحيم لهن لأن الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثاني فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لأنه على التفسير الاول لا حاجة لهذا الاضمار وعلى الثاني يحتاج اليه انتهى وكلامهم كلام من لم يمعن في لسان العرب (فان قلت) قوله اكراههن مصدر أضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسئلة (قلت) لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف تقول هند عجبت من ضربها زيدا فتجوز المسئلة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد لم تجز ولما قدر الزمخشري في أحد تقديراته لهن أورد سؤالا فقال (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة انتهى وهذا السؤال والجواب مبنيان على تقديرهن * وقرأ مبينات بفتح الياء الحرميان وأبو عمرو وأبو بكر أي بين الله في هذه السورة وأوضح آيات تضمنت أحكاما وحدودا وفرائض فهذه آيات هي المبينة ويجوز أن يكون المراد [illegible] فيكون [illegible] وهي ظرف [illegible] * وقرأ باقي السبعة والحسن وطلحة والأعمش بكسر الياء [illegible] غيرها من الاحكام والحدود [illegible] لا تتعدى [illegible] تحتاج الى موضح [illegible] ومثلا معطوف على آيات [illegible] قصصهم كقصة يوسف ومريم في براءتهما [illegible] وصنعه فيه [illegible] * وقال الضحاك والمراد [illegible] القرآن [illegible] * وقال مقاتل أي شبها من حالهم [illegible] لتزدجروا [illegible] * وموعظة للمتقين أي مواعظ في الآيات والمثل [illegible] يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا [illegible] نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري

قوله مثل نوره وأضاف النور للسموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والارض * المشكاة الكوة غير النافذة قال الكلبي وهو حبشي معرب وهو على حذف مضاف أي صفة نوره كنور مشكاة *(فيها مصباح)* المصباح آلة يستصبح بها كالمفتاح آلة للفتح وقال أبو موسى المشكاة الحديدة والرصاصة التي يكون فيها الفتيلة في جوف الزجاجة وزجاجة ظرف لمصباح لقوله المصباح في زجاجة *(كأنها)* أي كأن الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهي أبلغ في الانارة ولما احتوت عليه من نور المصباح كأنها *(كوكب دري)* قرئ دري بضم الدال وتشديد الياء نسبة الى الدر لصفائه وقرئ دريء بهمزة على وزن فعيل وقرئ دريء بكسر الدال والهمز

(ح) فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم جواب الشرط والصحيح ان التقدير غفور رحيم لهم ليكون جواب الشرط فيه ضمير يعود على من الذي هو اسم الشرط ويكون ذلك مشروطا بالتوبة [illegible] أي للمكرهات

وهما مشتقان من درأ أى دفع كأنهما يدفعان الظلمة وقرئ يوقد أى المصباح وتوقد بالتاء أى الزجاجة ونسب الاتقاد إليها لتوقد المصباح فيها ﴿ من شجرة ﴾ أى من زيت شجرة ﴿ مباركة ﴾ قيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلى الله عليه وسلم والزيتون من أعظم الشجر ثمرا ونماء ﴿زيتونة﴾ بدل من شجرة وأجاز الكوفيون والفارسى أن يكون عطف بيان ولا يجيز البصريون ذلك لأنهم شرطوا فى عطف البيان أن يكون معرفة لمعرفة ﴿ لاشرقية ولاغربية ﴾ هى من شجر الشام فليست من شرق الارض ولا من غربها لأن شجر الشام أفضل الشجر ﴿ يكاد زيتها يضئ ﴾ مبالغة فى صفاء الزيت وانه لاشراقه وجودته يكاد يضئ من غير نار والجملة من قوله ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ حالية معطوفة على حال محذوفة أى يكاد زيتها يضئ فى كل حال ولو فى هذه الحال التى تقتضى أنه لايضئ لانتفاء مس النار له ﴿نور على نور ﴾ أى متضاعف تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوى النور ويزيده اشراقا شئ لأن المصباح اذا كان فى مكان ضيق كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فانه ينشر النور والقنديل أعون شئ على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاؤه وهنا تم المثال وما أحسن ما جاء فى التركيب فى قوله تعالى المصباح فى زجاجة حيث ذكر الاصباح مرتين نكرة ومعرفة وكذلك قوله الزجاجة ذكرها نكرة ومعرفة فدل ذلك على تفخيم هذا التركيب وحسنه ولو كان فى غير القرآن لاكتفى بقوله كمصباح فى مشكاة فى زجاجة وهذا التشبيه كله انما جاء باعتبار ما يتخيله الناس من انتشار هذا النور والا فالنور المنسوب الى الله أعظم من كل نور يتخيل ولقد أحسن أبو تمام فى قوله وقد مدح ملكا فشبهه بعمرو فى اقدامه وحاتم فى كرمه وأحنف فى حلمه واياس فى ذكائه فقال

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

فقيل له شبهت ذلك الملك بأجلاف من العرب فقال مرتجلا

لاتنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

(٤٥٤)

يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ النور فى كلام العرب الضوء المدرك بالبصر فاسناده الى

والنبراس المصباح ثم قال ﴿يهدى الله لنوره﴾ أى يهدى من يشاء هدايته ويصطفيه لها ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال ليقع لهم العبرة والنظر المؤدى الى الايمان ﴿فى بيوت﴾ الظاهر أن يتعلق فى بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر أنه يهدى لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم الله تعالى عن النقائص واظهار ذلك بالتلفظ به فى مساجد الجماعات ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوفهم مما يكون فى البعث ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار فى قوله والذين كفروا وكأنه لما ذكرت الهداية للنور جاء التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدئ بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافرين وقرئ يسبح بكسر الباء ورجال فاعل وقرئ بفتح الباء ورجال فاعل بفعل محذوف ولما قال يسبح له قيل من يسبحه فقيل رجال وحذف لدلالة يسبح عليه وفيها بدل

(الدر) فعريت جملة جواب الشرط من ضمير يعود على اسم الشرط وقد ضعف ما قلنا أبو عبد الله الرازى فقال فيه وجهان أحدهما فان الله غفور رحيم لهن لان الاكراه يزيل الاثم والعقوبة من المكره فيما فعل والثانى فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لأنه على التفسير الأول لا حاجة لهذا الاضمار وعلى الثانى يحتاج اليه انتهى وكلامهم كلام من لم يمعن فى لسان العرب فان قلت قوله اكراههن مصدر أضيف الى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف والمحذوف كالملفوظ به والتقدير من بعد اكراههم اياهن والربط يحصل بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسئلة قلت لم يعدوا فى الروابط الفاعل المحذوف نحو هند عجبت من ضربها زيدا فتجوز المسئلة ولو قلت هند عجبت من ضرب زيد لم يجز ولما قدر (ش) فى أحد تقديراته لهن أورد سؤالا فقال فان قلت لاحاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه فى أنها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف وغيره حتى يسلم من الاثم الى آخر السؤال وهذا السؤال والجواب مبنيان على تقديره لهن

الله تعالى مجاز كما تقول زيد كرم وجود واسناده على اعتبار ين اما على انه بمعنى اسم الفاعل أى منوّر السموات والارض ويؤيد هذا التأويل قراءة على بن أبى طالب وأبى جعفر وعبد العزيز المكى وزيد بن على وثابت بن أبى حفصة والقورصى ومسلمة بن عبد الملك وأبى عبد الرحمن السلمى وعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة نور فعلا ماضيا والارض بالنصب واما على حذف أى ذو نور ويؤيده قوله مثل نوره ويحتمل أن يجعل نورا على سبيل المدح كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبائل وقمرها وهذا مستفيض فى كلام العرب وأشعارها * قال الشاعر

* كأنك شمس والملوك كواكب * وقال * قمر القبائل خالد بن يزيد * وقال

اذا سار عبد الله من مرو ليلة * فقد سار منها بدرها وجمالها

وروى نورها وأضاف النور الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى يضىء له السموات والارض أو براد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به * وقال ابن عباس نور السموات أى هادى أهل السموات * وقال مجاهد مدبر أمور السموات * وقال الحسن منور السموات * وقال أبى الله به نور السموات أو منه نور السموات أى ضياؤها * وقال أبو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالأنبياء والعلماء * وقيل المنزه من كل عيب امرأة نوار بريئة من الريبة والفحشاء * وقال الكرمانى هو الذى يرى ويرى به مجاز وصف الله به لأنه يرى ويرى بسببه مخلوقاته لأنه خلقها وأوجدها والظاهر ان الضمير فى مثل نوره عائد على الله تعالى * واختلفوا فى هذا القول ما المراد بالنور المضاف اليه تعالى * فقيل الآيات البينات فى قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات * وقيل الايمان المقذوف فى قلوب المؤمنين * وقيل النور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل النور هنا المؤمن * وقال كعب وابن جبير الضمير فى نوره عائد على محمد صلى الله عليه وسلم أى مثل نور محمد * وقال أبى هو عائد على المؤمنين وفى قراءته مثل نور المؤمن وروى أيضا فيها مثل نور من آمن به * وقال الحسن يعود على القرآن والايمان وهذه الأقوال الثلاثة عاد فيها الضمير على غير مذكور ونقلت المعنى المقصود بالآية بخلاف عوده على الله تعالى ولذلك قال مكى يوقف على والارض فى تلك الأقوال الثلاثة * واختلفوا فى هذا التشبيه أهو تشبيه جملة بجملة لا يقصد فيها الى تشبيه جزء بجزء ومقابلة شئ بشئ أو مما قصد به ذلك أى مثل نور الله الذى هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذى تتخذونه أنتم على هذه الصفة التى هى أبلغ صفات النور الذى بين أيدى الناس أى مثل نور الله فى الوضوح كهذا الذى هو منتها كم أيها البشر * وقيل هو من التشبيه المفصل المقابل جزأ بجزء وقرروه على تلك الأقوال الثلاثة أى مثل نوره فى محمد أو فى المؤمن أو فى القرآن والايمان كمشكاة فالمشكاة هو الرسول أو صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة الوحى والملائكة رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التى تضمنها الوحى وعلى قول المؤمن فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التى تضمنها * قال أبى فهو على أحسن الحال يمشى فى الناس كالرجل الحى يمشى فى قبور الأموات وعلى قول الايمان والقرآن أى مثل الايمان والقرآن فى صدر المؤمن فى قلبه كمشكاة وهذا القول ليس فى مقابله التشبيه كالأول لان المشكاة ليست تقابل الايمان * وقال الزمخشرى أى صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة

من قوله فى بيوت ثم ذكر تعالى وصف المسبحين بأنهم لمراقبتهم أمر الله تعالى وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله * واحتمل قوله لا تلهيهم وجهين أحدهما أنهم لا تجارة لهم تلهيهم عن ذكر الله كقوله
على لاحب لا يهتدى بمناره
أى لا منار له فيهتدى به والثانى أنهم ذوو تجارة وبيع ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله وعما فرض عليهم * واللام فى ليجزيهم متعلقة بمحذوف تقديره فعلوا ذلك ليجزيهم * أحسن هو على حذف مضاف أى ثواب أحسن ما عملوا وما فى ما عملوا يحتمل أن تكون موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف تقديره عملوه ويحتمل أن تكون مصدرية أى أحسن عملهم

كمشكاة أى كصفة مشكاة انتهى ويظهر لى ان قوله كمشكاة هو على حذف مضاف أى مثل نور
مثل نور مشكاة وتقدم فى المفردات أن المشكاة هى الكوة غير النافذة وهو قول ابن جبير
وسعيد بن عياض والجمهور * وقال أبو موسى المشكاة الحديدة والرصاصة التى تكون فيها الفتيل
فى جوف الزجاجة * وقال مجاهد المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه وقال أيضا الحدائد
التى تعلق فيها القناديل * فيها مصباح أى سراج ضخم والظاهر ان الزجاجة ظرف للمصباح
المصباح فى زجاجة وقدره الزمخشرى فى زجاج شامى وكان عنده أصفى الزجاج هو الشامى
فى الآية * وقرأ أبو رجاء ونصر بن عاصم فى زجاجة الزجاجة بكسر الزاى فيهما وابن أبى
ابن عاصم فى رواية ابن مجاهد بفتحها * كأنها أى كان الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها
الانارة ولما احتوت عليه من نور المصباح * كوكب درى قال الضحاك هو الزهرة شبه
فى زهرتها بأحد الدرارى من الكواكب المشاهير وهى المشترى والزهرة والمريخ
ونحو ذلك * وقرأ الجمهور من السبعة نافع وابن عامر وحفص وابن كثير درى بضم الدال وتشديد
الراء والياء والظاهر نسبة الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه ويحتمل أن يكون أصله الهمز فأبدل
وأدغم * وقرأ قتادة وزيد بن على والضحاك كذلك الا أنهما فتحا الدال وروى ذلك عن نصر بن
عاصم وأبى رجاء وابن المسيب * وقرأ الزهرى كذلك الا أنه كسر الدال * وقرأ حمزة كذلك
الا أنه همز من الدرء بمعنى الدفع أى يدفع بعضها بعضا أو يدفع ضوؤها خفاءها ووزنها فعيل * قيل
ولا يوجد فعيل الا قولهم مريق للعصفر ودرىء فى هذه القراءة * قيل وسرية اذا قيل انها مشتقة
من السر وروأبدل من أحد المضعفات الياء فأدغمت فيها ياء فعيل وسمع أيضا مريخ للذى فى داخل
القرن اليابس بضم الميم وكسرها * وقيل منه علية * وقيل درى ووزنه فى الاصل فعول كسبوح
فاستثقل الضم فرد الى الكسر وكذا قيل فى سرته ودرته * وقرأ أبو عمرو والكسائى كذلك الا
أنه كسر الدال وهو بناء كثير فى الأسماء نحو سكين وفى الاوصاف سكير * وقرأ قتادة أيضا وأبان بن
عثمان وابن المسيب وأبو رجاء وعمرو بن فائد والأعمش ونصر بن عاصم كذلك الا أنه بفتح الدال * قال
ابن جنى وهذا عزيز لم يحفظ منه الا السكينة بفتح السين وشد الكاف انتهى وفى الابنية حكى
الاخفش كوكب درىء من درأته ودرية وعليك بالسكينة والوقار عن أبى زيد * وحكى الفراء
بكسر السين * وقرأ الاخوان وأبو بكر والحسن وزيد بن على وقتادة وابن وثاب وطلحة وعيسى
والاعمش توقد بضم التاء أى الزجاجة مضارع أوقدت مبنيا للمفعول ونافع وابن عامر وحفص كذلك
الا أنه بالياء أى المصباح وابن كثير وأبو عمرو توقد بفتح الاربعة فعلا ماضيا أى المصباح والحسن
والسلمى وقتادة وابن محيصن وسلام ومجاهد وابن أبى اسحاق والمفضل عن عاصم كذلك الا أنه بضم
الدال مضارع توقد وأصله تتوقد أى الزجاجة * وقرأ عبد الله وقد بغير تاء وشدد القاف جعله فعلا
ماضيا أى وقد المصباح * وقرأ السلمى وقتادة وسلام أيضا كذلك الا أنه بالياء من تحت وجاء كذلك
عن الحسن وابن محيصن وأصله يتوقد أى المصباح الا أن حذف الياء فى يتوقد مقيس لدلالة ما أبقى
على ما حذف وفى يوقد شاذ جدا لان الياء الباقية لا تدل على التاء المحذوفة وله وجه من القياس وهو
حمله على يعد اذ حمل يعد وتعد وأعد فى حذف الواو كذلك هذا لما حذفوا من تتوقد بالتاءين حذفوا
التاء مع الياء وان لم يكن اجتماع التاء والياء مستثقلا * من شجرة أى من زيت شجرة وهى شجرة
الزيتون * مباركة كثيرة المنافع أو لانها تنبت فى الارض التى بارك فيها للعالمين * وقيل بارك فيها

للعالمين * وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام والزيتون من أعظم الشجر ثمرا ونماء واطراد أفنان ونضارة أفنان * وقال أبو طالب

بورك الميت الغريب كما * بورك نضر الرمان والزيتون

* لا شرقية ولا غربية * قال ابن زيد هي من شجر الشام فهي ليست من شرق الأرض ولا من غربها لأن شجر الشام أفضل الشجر * وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم هي في منكشف من الأرض تصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية * وقال الحسن هذا مثل وليست من شجر الدنيا إذ لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية * وعن ابن عباس أنها في درجة أحاطت بها فليست منكشفة لا من جهة الشرق ولا من جهة الغرب وهذا لا يصح عن ابن عباس لأنها إذا كانت بهذه الصفة فسد جناها * وقال ابن عطية إنها في وسط الشجر لا تصيبها الشمس طالعة ولا غاربة بل تصيبها بالغداة والعشي * وقال عكرمة هي من شجر الجنة * وقال ابن عمر الشجرة مثل أي أنها ملة إبراهيم ليست بيهودية ولا نصرانية * وقيل ملة الإسلام ليست بشديدة ولا لينة * وقيل لا مضحى ولا مفيأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها * وزيتونة بدل من شجرة وجوز بعضهم فيه أن يكون عطف بيان ولا يجوز على مذهب البصريين لأن عطف البيان عندهم لا يكون إلا في المعارف وأجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي أنه يكون في النكرات * ولا شرقية ولا غربية على قراءة الجمهور بالخفض صفة لزيتونة * وقرأ الضحاك بالرفع أي لا هي شرقية ولا غربية والجملة في موضع الصفة * يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغة في صفاء الزيت وأنه لإشراقه وجودته يكاد يضيء من غير نار والجملة من قوله ولو لم تمسسه نار حالية معطوفة على حال محذوفة أي يكاد زيتها يضيء في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مس النار له وتقدم لنا أن هذا العطف إنما يأتي مرتبا لما كان لا ينبغي أن يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصاء حتى يدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو أعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل ولو بظلف محرق * وقرأ الجمهور تمسسه بالتاء وابن عباس والحسن بالياء من تحت وحسنه الفصل وأن تأنيث النار مجازي وهو مؤنث بغير علامة * نور على نور أي متضاعف تعاون عليه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت فلم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا شيء لأن المصباح إذا كان في مكان ضيق كان أجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فإنه ينشر النور والقنديل أعون شيء على زيادة النور وكذلك الزيت وصفاؤه وهنا تم المثال * ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء أي لهداه والإيمان من يشاء هدايته ويصطفيه له ومن فسر النور في مثل نوره بالنبوة قدر يهدي الله إلى نبوته * وقيل إلى الاستدلال بالآيات ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال للناس ليقع لهم العبرة والنظر المؤدي إلى الإيمان ثم ذكر إحاطة علمه بالأشياء فهو يضع هداه عند من يشاء * في بيوت متعلق بيوقد قاله الرماني أو في موضع الصفة لقوله كمشكاة أي كمشكاة في بيوت قاله الحوفي وتبعه الزمخشري قال كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد قال مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت انتهى وقوله كأنه في آخره تفسير معنى لا تفسير إعراب أو في موضع الصفة لمصباح أي مصباح في بيوت قاله بعضهم أو في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف على قوله عليم * وقيل في بيوت مستأنف والعامل فيه يسبح حكاه أبو حاتم وجوزه الزمخشري * فقال وقد ذكر تعلقه

بكمشكاة قال أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت انتهى وعلى هذه الاقوال الثلاثة يوقف على قوله عليم والذي أختاره أن يتعلق في بيوت بقوله يسبح وان ارتباط هذه بما قبلها هو انه تعالى لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ثم ذكر أشرف عباداتهم القلبية وهو تنزيههم الله عن النقائص واظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وخوفهم ما يكون في البعث ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا وكأنه لما ذكرت الهداية للنور جاء في التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها فبدئ بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافر والظاهر ان قوله في بيوت أريد به مدلوله من الجمعية * وقال الحسن أريد به بيت المقدس وسمي بيوتا من حيث فيه مواضع يتميز بعضها عن بعض ويؤثر ان عادة بني اسرائيل في وقيده في غاية النهم والزيت مختوم على ظروفه وقد صنع صنعة وقدس حتى لا يجري أو قيد بغيره فكان أضوأ بيوت الارض والظاهر ان في بيوت مطلق فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم * وقال مجاهد بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس والحسن أيضا ومجاهد هي المساجد التي من عادتها أن تنور بذلك النوع من المصابيح * وقيل الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسجد قباء * وقيل بيوت الانبياء ويقوي أنها المساجد قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال واذنه تعالى وأمره بان ترفع أي يعظم قدرها قاله الحسن والضحاك * وقال ابن عباس ومجاهد تبنى وتعلى من قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * وقيل ترفع تطهر من الأنجاس والمعاصي * وقيل ترفع أي ترفع فيها الحوائج الى الله * وقيل ترفع الأصوات بذكر الله وتلاوة القرآن * ويذكر فيها اسمه ظاهره مطلق الذكر فيعم كل ذكر عموم البدل * وعن ابن عباس توحيده وهو لا اله الا الله * وعنه يتلى فيها كتابه * وقيل أسماؤه الحسنى * وقيل يصلى فيها * وقرأ الجمهور يسبح بكسر الباء وبالياء من تحت وابن وثاب وأبو حيوة كذلك الا انه بالتاء من فوق وابن عامر وأبو بكر والبحتري عن حفص ومحبوب عن أبي عمرو والمنهال عن يعقوب والمفضل وأبان بفتحها وبالياء من تحت واحد المجرورات في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله والاولى الذي يلي الفعل لان طلب الفعل للمرفوع أقوى من طلبه للمنصوب الفضلة * وقرأ أبو جعفر تسبح بالتاء من فوق وفتح الباء * قال الزمخشري ووجهها أن تسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما انتهى ويجوز أن يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه تسبح أي تسبح له هي أي التسبيحة كما قالوا ليجزى قوما في قراءة من بناه للمفعول أي ليجزى هو أي الجزاء * وقرأ أبو مجلز والايصال وتقدم نظيره وارتفع رجال على هاتين القراءتين على الفاعلية باضمار فعل أي يسبح أو يسبح له رجال * واختلف في اقتياس هذا فعلى اقتياسه نحو ضربت هند زيد أي ضربها زيد ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي المسبح رجال وتقدم الكلام في تفسير الغدو والآصال والمراد بهما * ثم ذكر تعالى وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم أمر الله وطلبهم رضاه لا يشتغلون عن ذكر الله واحتمل قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع وجهين * أحدهما أنهم لا تجارة لهم ولا بيع فيلهيهم عن ذكر الله كقوله * على لا حب لا يهتدى بمناره * أي لا منار له فيهتدى به * والثاني

(الدر)

(ش) وقرأ أبو جعفر تسبح بالتاء من فوق وفتح الباء ووجهها ان تسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما (ح) ويجوز أن يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير التسبيحة الدال عليه يسبح أي يسبح له هي أي التسبيحة كما قالوا ليجزى قوما في قراءة من بناه للمفعول أي ليجزى هو أي الجزاء

انهم ذوو تجارة وبيع ولكن لايشغلهم ذلك عن ذكر الله وعما فرض عليهم والظاهر مغايرة التجارة والبيع ولذلك عطف فاحتمل أن تكون تجارة من اطلاق العام ويراد به الخاص فأراد بالتجارة الشراء ولذلك قابله بالبيع أو يراد تجارة الجلب ويقال تجر فلان في كذا اذا جلبه وبالبيع البيع بالأسواق ويحتمل أن يكون ولا بيع من ذكر خاص بعد عام لان التجارة هي البيع والشراء طلبا للربح ونبه على هذا الخاص لانه في الالهاء أدخل من قبل أن التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته ألهته مالا يلهيه شيء يتوقع فيه الربح لان هذا يقين وذاك مظنون * قال الزمخشري التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه *وأخلفوك عدا الامر الذي وعدوا* انتهى وهذا الذي ذكر من ان التاء سقطت لاجل الاضافة هو مذهب الفراء ومذهب البصريين ان التاء من نحو هذا لاتسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام على وإقام الصلاة في الانبياء وصدر البيت الذي أنشد عجزه قوله * ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وقد تأول خالد ابن كلثوم قوله عدا الامر على انه جمع عدوة والعدوة الناحية كأن الشاعر أراد نواحي الامر وجوانبه* يخافون يوما هو يوم القيامة والظاهر ان معنى تتقلب تضطرب من هول ذلك اليوم كما قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فتقلبها هو قلقها واضطرابها فتتقلب من طمع في النجاة الى طمع ومن حذر هلاك الى هلاك وهذا المعنى تستعمله العرب في الحروب كقوله

* بل كان قلبك في جناحي طائر * ويبعد قول من قال تتقلب على جمر جهنم لان ذلك ليس في يوم القيامة بل بعده وقول من قال ان تقلبها ظهور الحق لها أي فتتقلب عن معتقدات الضلال الى اعتقاد الحق على وجهه فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد أن كانت عميا والقول الاول أبلغ في التهويل* وقرأ ابن محيصن تقلب بادغام التاء في التاء *واللام في ليجزيهم متعلقة بمحذوف أي فعلوا ذلك ليجزيهم ويجوز أن تتعلق بيسبح وهو الظاهر * وقال الزمخشري والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم انتهى والظاهر ان قوله يخافون صفة لرجال كما أن لاتلهيهم كذلك* أحسن هو على حذف مضاف أي ثواب أحسن ما عملوا أو أحسن جزاء ما عملوا *ويزيدهم من فضله على ماتقتضيه أعمالهم فأهل الجنة أبدا في مزيد* وقال الزمخشري ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض* والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله حسنات لكونه على حسب الاستحقاق انتهى * وفي قوله على حسب الاستحقاق دسيسة اعتزال ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ﴾ الآية لما ذكر تعالى حال المؤمنين ذكر حال الكافرين فمثل لهم ولأعمالهم مثلين أحدهما بطلان أعمالهم في الآخرة وانهم لاينتفعون بها والثاني يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة شبه أعمالهم أولا في اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب في مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه في الوصول اليه ﴿حتى إذا جاءه﴾ أي جاء موضعه الذي الذي تخيله فيه ﴿لم يجده شيئا﴾ أي فقده لأنه مع الدنو لايرى شيئا كذلك الكافر يظن أن عمله في الدنيا نافعه حتى اذا أفضى الى الآخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالا عليه *والقيعة المكان المنخفض من الارض وجمعها قيعان *والظمآن العطشان * والسراب الضباب المنعقد كأنه سحاب وهو لاحقيقة له والظاهر أنه تعالى شبه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا وأن الضمير في بعده الظمآن له والمعنى في

(الدر)

(ش) التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما أضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض ونحوه *وأخلفوك عدا الامر الذي وعدوا *(ح) هذا الذي ذكر من أن التاء سقطت لأجل الاضافة هو مذهب الفراء ومذهب البصريين ان التاء من نحو هذا لاتسقط للاضافة وتقدم لنا الكلام على واقام الصلاة في الانبياء وصدر البيت الذي أنشد عجزه قوله * ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وقد تأول خالد بن كلثوم قوله عدا الامر على انه جمع عدوة والعدوة الناحية كأن الشاعر أراد نواحي الأمر وجوانبه

﴿ووجد الله عنده﴾ أى ووجد مقدور الله عليه فى هلاكه بالظمأ عنده أى عند موضع السراب ﴿فوفاه﴾ ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله تعالى معجل حسابه لا يؤخره عنه فيكون الكلام متناسقا آخذا بعضه بعنق بعض وذلك باتصال الضمائر لشئ واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لأعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم ينفعهم وحصل لهم الهلاك بأثر ما حوسبوا ﴿أو كظلمات﴾ هذا التشبيه الثانى لأعمالهم (٤٦٠) والأول فيما تؤول إليه أعمالهم فى الآخرة وهذا الثانى فيما هم عليه فى حال الدنيا وبدأ بالتشبيه الأول لأنه آكد فى الاخبار لما فيه من ذكر ما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السرمد ثم أتبعه بهذا التمثيل الذى نبههم على ماهى أعمالهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ الى الايمان ويتفكرون فى نور الله تعالى الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ ﴿سحاب ظلمات﴾ على الاضافة وسحاب منونا ظلمات مجرور بدلا من ظلمات المتقدمة ويكون بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر فى موضع الصفة بظلمات وقرئ سحاب منونا ظلمات منونا بدل من قوله سحاب والضمير فى يده عائد على محذوف يدل عليه المعنى تقديره اذا أخرج من استقر فى الظلمات يده لم يكد يراها أى لم يقارب رؤيتها لتكاثف الظلمة واذا انتفت المقاربة انتفت الرؤية

ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴿ لما ذكر تعالى حالة الايمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم ووصفهم بما وصفهم من الأعمال النافعة فى الآخرة أعقب ذلك بذكر مقابلهم الكفرة وأعمالهم فمثل لهم ولأعمالهم مثلين أحدهما يقتضى بطلان أعمالهم فى الآخرة وانهم لا ينتفعون بها والثانى يقتضى حالها فى الدنيا من ارتباكها فى الضلال والظلمة شبه أولا أعمالهم فى اضمحلالها وفقدان ثمرتها بسراب فى مكان منخفض ظنه العطشان ماء فقصده وأتعب نفسه فى الوصول اليه * حتى اذا جاءه أى جاء موضعه الذى تخيله * فيه لم يجده شيئا أى فقده لأنه مع الدنو لا يرى شيئا كذلك الكافر يظن ان عمله فى الدنيا نافعه حتى اذا أفضى الى الآخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالا عليه * وقرأ مسلمة بن محارب بقيعات بتاء ممطوطة جمع قيعة كديمات وقيمات فى ديمة وقيمة وعنه أيضا بتاء شكل الهاء ويقف عليها بالهاء فيحتمل أن يكون جمع قيعة ووقف بالهاء على لغة طى كما قالوا البناه والأخواه فى الوقف على البنات والاخوات * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يريد قيعة كالعامة أى كالقراءة العامة لكنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف مثل مخرنبق لينباع * وقال الزمخشرى وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء ممدودة كرجل عزهاة * وقال صاحب اللوامح ويجوز انه جعله مثل سعلة وسعلاة وليلة وليلاة والقيعة مفرد مرادف للقاع أو جمع قاع كنار ونيرة فتكون على هذا قراءة قيعات جمع صحة تناول جمع تكسير مثل رجالات قريش وجمالات صفر * وقرأ شيبة وأبو جعفر ونافع بخلاف عنهما الظمان بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الميم والظاهر ان قوله يحسبه الظمآن هو من صفات السراب ولا يعنى الا مطلق الظمآن لا الكافر الظمآن وقال الزمخشرى شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها ان تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه يوم القيامة ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ماقدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه ويعتلونه ويسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا * وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام انتهى فجعل الظمآن هو الكافر حتى تطرد الضمائر فى جاءه ولم يجده ووجده وعنده وفوفاه لشخص واحد وغيره غاير بين الضمائر فالضمير فى جاءه ولم يجده للظمآن وفى ووجد للكافر الذى ضرب له مثلا بالظمآن أى ووجد هذا

(الدر) (ش) شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه يوم القيامة ثم يخيب فى العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه العطش الى آخره (ح) جعل الظمآن هو الكافر حتى تطرد الضمائر فى جاءه ولم يجده و وجد وعنده وفوفاه لشخص واحد وهو وان جعل الضمائر للظمآن لكنه جعل الظمآن هو الكافر كما قلنا فيؤول التشبيه فيه الى ان شبه أعمال الكفار بعمل الكافر وهو تشبيه الشئ بنفسه كما قال * وشبه الماء بعد الجهد بالماء * قال جامعه هذا العجز من بيت هو احسن بيت قيل فى بعض شعراء المصريين وقد قال

الكافر وعد الله بالجزاء على عمله بالمرصاد فوفاه حسابه عمله الذي جازاه عليه وهذا معنى قول أبي وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأفرد الضمير في ووجد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار * وقال ابن عطية يحتمل أن يعود الضمير في جاءه على السراب ثم في الكلام متروك كثير يدل عليه الظاهر تقديره وكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ويحتمل الضمير أن يعود على العمل الذي يدل عليه قوله أعمالهم ويكون تمام المثل في قوله ماء ويستغني الكلام عن متروك على هذا التأويل لكن يكون في المثل ايجاز واقتضاب لوضوح المعنى المراد به * ووجد الله عنده أي بالمجازاة والضمير في عنده عائد على العمل انتهى والذي يظهر لي أنه تعالى شبه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا وان الضمائر فيما بعد الظمآن له والمعنى في ووجد الله عنده أي ووجد مقدور الله عليه من هلاك بالظمأ عنده أي عند موضع السراب فوفاه ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله معجل حسابه لا يؤخره عنه فيكون الكلام متناسقا آخذا بعضه بعنق بعض وذلك باتصال الضمائر لشيء واحد ويكون هذا التشبيه مطابقا لأعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم وحصل لهم الهلاك بأثر ما حوسبوا وأما في قول الزمخشري فانه وان جعل الضمائر للظمآن لكنه جعل الظمآن هو الكافر وهو تشبيه الشيء بنفسه كما قال * وشبه الماء بعد الجهد بالماء * وأما في قول غيره ففيه تفكيك الكلام اذ غاير بين الضمائر واقتطع ترصيف الكلام بجعل بعضه فلتا من بعض * أو كظلمات هذا التشبيه الثاني لأعمالهم فالاول فيما يؤول اليه أعمالهم في الآخرة وهذا الثاني فيما هم عليه في حال الدنيا وبدأ بالتشبيه الاول لانه آكد في الاخبار لما فيه من ذكر ما يؤول اليه أمرهم من العقاب الدائم والعذاب السرمدي ثم أتبعه بهذا التمثيل الذي نبههم على ما هي أعمالهم عليه لعلهم يرجعون الى الايمان ويفكرون في نور الله الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر انه تشبيه لاعمالهم وضلالهم بالظلمات المتكاثفة * وقال أبو علي الفارسي التقدير أو كذي ظلمات قال ودل على هذا المضاف قوله اذا أخرج يده فالكناية تعود الى المضاف المحذوف فالتشبيه وقع عند أبي علي للكافر لا للاعمال وهو خلاف الظاهر ويتحيل في تقرير كلامه أن يكون التقدير أو هم كذي ظلمات فيكون التشبيه الاول لاعمالهم والثاني لهم في حال ضلالهم * وقال أبو البقاء في التقدير وجهان أحدهما أو كأعمال ذي ظلمات فيقدر ذي ظلمات ليعود الضمير من قوله اذا أخرج يده اليه ويقدر أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمات والثاني لا حذف فيه والمعنى أنه شبه أعمال الكفار بالظلمة في حيلولتها بين القلب وبين ما يهتدي اليه فأما الضمير في قوله اذا أخرج يده فيعود الى مذكور حذف اعتمادا على المعنى تقديره اذا أخرج من فيها يده * وقال الجرجاني الآية الاولى في ذكر أعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على أعمالهم لان الكفر أيضا من أعمالهم وقد قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور من الكفر الى الايمان فيكون تمثيل قد وقع لاعمالهم بكفر الكافر وأعمالهم هما كفرهم فيكون قد شبه أعمالهم بالسراب والعطف. أو هنا لا لقصد التنويع والتفصيل لا أنها للشك * وقال الكرماني أو للتخيير على تقدير شبه أعمال الكفار بأيهما شئت * وقرأ سفيان بن حسين أو كظلمات بفتح الواو وجعلها واو عطف تقدمت عليها الهمزة التي للتقرير التشبيه الخالي عن محض الاستفهام والظاهر أن الضمير في يغشاه عائد على بحر لجي أي يغشى ذلك البحر أي يعلو بعضه بعضا يعني أن يجيء موجة تتبعها أخرى فهو متلاطم لا يسكن وأخوف

(الدر)

* لله يوم غمام نعمت به والماء من حوضه ما بيننا جار *
* كأنه فوق سقات الرخام ضحى ماء يسيل على أثواب قصار *
وصدر البيت الذي أنشد شيخنا عجزه
* أقام يعمل أياما رويته *

ما يكون اذا توالت أمواجه وفوق هذا الموج سحاب وهو أعظم للخوف لاخفائه النجوم التي يهتدى بها وللريح والمطر الناشئين مع السحاب ومن قدر أو كذى ظلمات أعاد الضمير في يغشاه على ذى المحذوف أى يغشى صاحب الظلمات * وقرأ الجمهور سحاب بالتنوين ظلمات بالرفع على تقدير خبر لمبتدأ محذوف أى هذه أو تلك ظلمات وأجاز الحوفى ان تكون مبتدأ و بعضها فوق بعض مبتدأ وخبره فى موضع خبر ظلمات والظاهر انه لايجوز لعدم المسوغ فيه للابتداء بالنكرة الا ان قدرت صفة محذوفة أى ظلمات كثيرة أو عظيمة بعضها فوق بعض * وقرأ البزى سحاب ظلمات بالاضافة * وقرأ قنبل سحاب بالتنوين ظلمات بالجر بدلا من ظلمات و بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر فى موضع الصفة لظلمات * قال الحوفى و يجوز على رفع ظلمات ان يكون بعضها بدلا منها وهو لايجوز من جهة المعنى لأن المراد والله أعلم الاخبار بأنها ظلمات وان بعض تلك الظلمات فوق بعض أى هى ظلمات متراكمة وليس على الاخبار بأن بعض ظلمات فوق بعض من غير اخبار بأن تلك الظلمات السابقة ظلمات متراكمة وتقدم الكلام فى كاد اذا دخل عليها حرف نفى مشبعا فى البقرة فى قوله وما كادوا يفعلون فأغنى عن اعادته والمعنى هنا انتفاء مقاربة الرؤية و يلزم من ذلك انتفاء الرؤية ضرورة وقول من اعتقد زيادة يكد أو انه يراها بعد عسر ليس بصحيح والزيادة قول ابن الانبارى وانه لم يرها الا بعد الجهد قول المبرد والفراء * وقال ابن عطية ما معناه اذا كان الفعل بعد كاد منفيا دل على ثبوته نحو كاد زيد لا يقوم أو مبثا دل على نفيه كاد زيد يقوم واذا تقدم النفى على كاد احتمل أن يكون منفيا تقول المفلوج لا يكاد يسكن فهذا تضمن نفى السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا تضمن ايجاب السكون بعد جهد انتهى والظاهر ان هذا التشبيه الثانى هو تشبيه أعمال الكفار بهذه الظلمات المتكاثفة من غير مقابلة فى المعنى باجزائه لاجزاء المشبه * قال الزمخشرى وشبهها يعنى أعماله فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفى خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لجج البحر والامواج والسحاب ومنهم من لاحظ التقابل فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجى صدر الكافر وقلبه والموج الضلال والجهالة التى غمرت قلبه والفكر المعوجة والسحاب شهوته فى الكفر واعراضه عن الايمان * وقال الفراء هذا مثل لقلب الكافر أى انه لا يعقل ولا يبصر * وقيل الظلمات أعماله والبحر هواه * القيعان القريب الغرق فيه الكثير الخطر والموج ما يغشى قلبه من جهل وغفلة والموج الثانى ما يغشاه من شك وشبهة والسحاب ما يغشاه من شرك وحيرة فيمنعه من الاهتداء على عكس ما فى مثل نور الدين انتهى والتفسير بمقابلة الاجزاء شبيه بتفسير الباطنية وعدول عن منهج كلام العرب ولما شبه أعمال الكفار بالظلمات المتراكمة وذكر انه لا يكاد يرى اليد من شدة الظلمة قال ومن لم يجعل الله له نورا أى من لم ينور قلبه بنور الايمان ويهده اليه فهو فى ظلمة ولا نور له ولا يهتدى أبدا وهذا النور هو فى الدنيا * وقيل هو فى الآخرة أى من لم ينوره الله بعفوه و يرحمه برحمته فلا رحمة له وكونه فى الدنيا أليق بلفظ الآية وأيضا فذلك متلازم لأن نور الآخرة هو لمن نور الله قلبه فى الدنيا * وقال الزمخشرى ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو فى ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الالطاف انما تردف الايمان والعمل الصالح أو كونهما مرتقبين ألا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله و يضل

﴿ألم تر أن الله يسبح له﴾ الآية لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وان الايمان والضلال أمرهما راجع إليه أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله من الثقلين وقيل من عام لكل موجود وغلب من يعقل على مالا يعقل فادرج مالا يعقل فيه ولما ذكر انقياد من في السموات والأرض والطير إليه وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم إليه أكد ذلك بشيء عجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال الى حال وكان عقب قوله واليه المصير فاعلم بانتقال الى معاد فعطف عليه مايدل على تصرفه في نقل الأشياء من حال الى حال * ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب

والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة * ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه لأنه سحابة تتصل بسحابة فيجعل ذلك ملتئما بتأليف بعضه إلى بعض * فيجعله ركاما أي متكاثفا يحمل بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر لتراكم السحاب بعضه على بعض وانعصاره بذلك ﴿من خلاله﴾ أي من فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار * والخلال قيل مفرد وقيل جمع خلل كجبال وجبل والظاهر أن في السماء جبالا من برد قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين خلقها الله تعالى كما خلق في الأرض جبالا من حجارة وجبال على معنى الكثرة وقرئ * سنا مقصور * برقه مفرد وقرئ سناء ممدودا برقه بضم الباء وفتح الراء جمع برقة كالقمة وهي المقدار من البرق ﴿يذهب بالابصار﴾ الباء للتعدية تقديره يذهب الأبصار ﴿كل دابة من ماء﴾ والظاهر أن من متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية أي ابتدأ خلقها من الماء واندرج في كل دابة المميز وغيره فسهل التفصيل بمن التي لمن يعقل ومالا يعقل اذ كان مندرجا في العموم فحكم له بحكمه فكان قد ذكر المميزون والماشي على بطنه الحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره و ﴿على رجلين﴾ الانسان والطير و ﴿على أربع﴾ لسائر الحيوان الأرضي من البهائم وغيرها فان وجد من له أكثر من أربع فقيل اعتماده انما هو على الأربع ولا يفتقر في مشيه الى جميعها وقدم ماهو أعرف في القدرة وأعجب وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم على أربع

الله الظالمين انتهى وهو على طريقة الاعتزال ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار * يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وان الايمان والضلال أمرهما راجع اليه أعقب بذكر الدلائل على قدرته وتوحيده والظاهر حمل التسبيح على حقيقته وتخصيص من في قوله ومن في الارض بالمطيع لله تعالى من الثقلين * وقيل من عام لكل موجود غلب من يعقل على مالا يعقل فأدرج مالا يعقل فيه ويكون المراد بالتسبيح دلالته بهذه الاشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بنعوت الكمال * وقيل المراد بالتسبيح التعظيم فمن ذوي الدين بالنطق والصلاة ومن غيرهم من مكلف وجماد بالدلالة فيكون ذلك قدرا مشتركا بينهما وهو التعظيم * وقال سفيان تسبيح كل شيء بطاعته وانقياده * والطير صافات أي صفت أجنحتها في الهواء للطيران وانما خص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء والارض اذا طارت فهي خارجة من جملة من في السموات والارض حالة طيرانها * وقرأ الجمهور والطير مرفوعا عطفا على من وصافات نصب على الحال * وقرأ الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه * وقرأ الحسن وخارجة عن نافع والطير صافات برفعهما مبتدأ وخبر تقديره يسبحن * قيل وتسبيح الطير حقيقي قاله الجمهور * قال الزمخشري ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون لها * وقال الحسن وغيره هو تجوز انما تسبيحه ظهور الحكمة فيه فهو لذلك يدعو الى التسبيح * كل أي كل ممن ذكر فيشمل الطير والظاهر أن الفاعل المستكن في علم وفي صلاته وتسبيحه عائد على كل وقاله الحسن قال فهو مثابر عليهما يؤديهما * وقيل يرجع الضمير في علم وفي صلاته وتسبيحه لكل * وقيل الضمير في علم لكل وفي صلاته وتسبيحه لله أي صلاة الله وتسبيحه اللذين أمر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق * وقال مجاهد الصلاة للبشر

والتسبيح لما عداهم * وقرأ الحسن وعيسى وسلام وهارون عن أبي عمرو وتفعلون بتاء الخطاب وفيه وعيد وتخويف * ولله ملك السموات والارض اخبار بأن جميع المخلوقات تحت ملكه يتصرف فيهم بما يشاء تصرف القاهر الغالب * واليه المصير أي الى جزائه من ثواب وعقاب وفي ذلك تذكير وتخويف ولما ذكر انقياد من في السموات والارض والطير اليه تعالى وذكر ملكه لهذا العالم وصيرورتهم اليه أكد ذلك بشئ عجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال الى حال وكان عقب قوله واليه المصير فاعلم بانتقال الى المعاد فعطف عليه مايدل على تصرفه في نقل الاشياء من حال الى حال ومعنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة * ثم يؤلف بينه أي بين أجزائه لأنه سحابة تتصل بسحابة فجعل ذلك ملتئما بتأليف بعض الى بعض * وقرأ ورش يولف بالواو وباقي السبعة بالهمز وهو الأصل * فيجعله ركاما أي متكاثفا يجعل بعضه الى بعض وانعصاره بذلك من خلاله أي فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار * والخلال * قيل مفرد * وقيل جمع خلل كجبال وجبل * وقرأ ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري عن أبي عمرو والزعفراني من خلله بالافراد والظاهر ان في السماء جبالا من برد قاله مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين خلقها الله كما خلق في الارض جبالا من حجر * وقيل جبال مجاز عن الكثرة لاان في السماء جبالا كما تقول فلان يملك جبالا من ذهب وعنده جبال من العلم يريد الكثرة * قيل أو هو على حذف حرف التشبيه * والسماء السحاب أي من السماء التي هي جبال أي كجبال كقوله حتى اذا جعله نارا أي كنار قاله الزجاج فجعل السماء هو السحاب المرتفع سمي بذلك لسموه وارتفاعه وعلى القول الأول المراد بالسماء الجسم الازرق المخصوص وهو المتبادر للذهن ومن استعمال الجبال في الكثرة مجازا قول ابن مقبل

ادامت عن ذكر القوافي فلن * ترى لها شاعرا مني أطب وأشعرا
وأكثر بيتا شاعرا ضربت له * بطون جبال الشعر حتى تيسرا

واتفقوا على ان من الأولى لابتداء الغاية * وأما من جبال * فقال الحوفي هي بدل من السماء ثم قال وهي للتبعيض وهذا خطأ لأن الأولى لابتداء الغاية في مادخلت عليه واذا كانت الثانية بدلا لزم أن يكون مثلها لابتداء الغاية لو قلت خرجت من بغداد من الكرخ لزم أن يكونا معا لابتداء الغاية * وقال الزمخشري وابن عطية هي للتبعيض فيكون على قولهما في موضع المفعول لينزل * قال الحوفي والزمخشري والثالثة للبيان انتهى فيكون التقدير وينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد فالمنزل برد لأن بعض البرد برد فمفعول ينزل من جبال * قال الزمخشري أولا ولان للابتداء والاخيرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها انتهى فيكون من جبال بدلا من السماء * وقيل من الثانية والثالثة زائدتان وقاله الاخفش وهما في موضع نصب عنده كأنه قال وينزل من السماء جبالا فيها أي في السماء بردا وبردا بدل أي برد جبال * وقال الفراء هما زائدتان أي جبالا فيها برد لاحصى فيها ولاحجر أي يجتمع البرد فيصير كالجبال على التهويل فبرد مبتدأ وفيها خبره والضمير في فيها عائد على الجبال أو فاعل بالجار والمجرور لأنه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال * وقيل من الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة أي وينزل من السماء من جبال السماء بردا * وقال الزجاج معناه وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي وانما جئت في هذا وفي الآية بمن لما فرقت ولأنك اذا

قلت هذا خاتم من حديد كان المعنى واحدا انتهى فعلى هذا يكون من برد في موضع الصفة لجبال كما كان من في من حديد صفة لخاتم فيكون في موضع جر ويكون مفعول ينزل هو من جبال وإذا كانت الجبال من برد لزم أن يكون المنزل بردا والظاهر إعادة الضمير في به على البرد ويحتمل أن يكون أريد به الودق والبرد وجرى في ذلك مجرى اسم الإشارة وكأنه قال فيصيب بذلك والمطر هو أعم وأغلب في الإصابة والصرف أبلغ في المنفعة والامتنان * وقرأ الجمهور سنا مقصورا برقه مفردا * وقرأ طلحة بن مصرف سناء ممدودا برقه بضم الباء وفتح الراء جمع برقة بضم الباء وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وعنه بضم الباء والراء اتبع حركة الراء لحركة الباء كما اتبعت في ظلمات وأصلها السكون والسناء بالمد ارتفاع الشأن كأنه شبه المحسوس من البرق لارتفاعه في الهواء بغير المحسوس من الإنسان فإن ذلك صيب لا يحس به بصر * وقرأ الجمهور يذهب بفتح الياء والهاء وأبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء وذهب الأخفش وأبو حاتم إلى تخطئة أبي جعفر في هذه القراءة قالا لأن الباء تعاقب الهمزة وليس بصواب لأنه لم يكن ليقرأ إلا بما روى وقد أخذ القراءة عن سادات التابعين الآخذين عن جلة الصحابة أبي وغيره ولم ينفرد بها أبو جعفر بل قرأها شيبة كذلك وخرج ذلك على زيادة الباء أي يذهب الأبصار وعلى أن الباء بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار كما قال * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج * يريد من برد * وتقليب الليل والنهار آتيان أحدهما بعد الآخر أو زيادة هذا وعكسه أو بتغير النهار بظلمة السحاب مرة وضوء الشمس أخرى وبتغير الليل باشتداد ظلمته مرة وضوء القمر أخرى أو باختلاف ما يقدر فيهما من الخير والنفع والشدة والنعمة والأمن ومقابلاتها ونحو ذلك أقوال أربعة إن في ذلك إشارة إلى ما تقدم من الدلائل الدالة على وحدانيته من تسبيح من ذكر وتسخير السحاب وما يحدثه تعالى فيه من أفعاله حتى ينزل المطر فيقسم رحمته بين خلقه وإراءتهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف الأبصار ويقلب الليل والنهار * لعبرة أي اتعاظا وخص أولو الأبصار بالاتعاظ لأن البصر والبصيرة إذا استعملا وصلا إلى إدراك الحق كقوله إنما يتذكر أولو الألباب * وقرأ الجمهور خلق فعلا ماضيا * كل نصب * وقرأ حمزة والكسائي وابن وثاب والأعمش خالق اسم فاعل مضاف إلى كل [illegible] ما يحرك أمامه قدما ويدخل فيه الطير * قال الشاعر [illegible] وفي الحديث دابة من البحر مثل الظرب [illegible] في كل دابة [illegible] لمن يعقل وما لا يعقل إذا كان [illegible] أن من ماء متعلق بخلق ومن لابتداء الغاية أي ابتداء خلقها من الماء وقيل [illegible] مخلوقا من الماء لتولده من النطفة أو لكونه لا يعيش إلا بالماء [illegible] الطعام ويخرج عما خلق من ماء [illegible] الملائكة [illegible] وخلق عيسى من الروح وكثير من حيوان لا يتولد من نطفة [illegible] الأشياء كلها وأن أصل جميع المخلوقات الماء [illegible] فصارت ماء ثم خلق من ذلك الماء [illegible] الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء [illegible] وما هو في موضع الصفة لكل دابة [illegible] متولدة من الماء مخلوقة لله تعالى ونكر الماء هنا وعرف في وجعلنا من الماء كل شيء حي [illegible]

[illegible] ﴾ الآية الى قوله الا البلاغ المبين نزلت في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودى في خصومة بينهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهو الى كعب بن الأشرف فنزلت * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم ﴿ ثم يتولى فريق منهم ﴾ عن الايمان بعد ذلك أى بعد قولهم آمنا ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ اشارة الى القائلين فينتفى عن جميعهم الايمان أو الى الفريق المتولى فيكون ماسبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة بالقلب وأفرد الضمير في ليحكم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لأن حكم الرسول عن الله تعالى وقسم تعالى جهات تولهم عن حكومته فقال ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ أى نفاق وعدم الاخلاص

﴿ أم ارتابوا ﴾ أى عرضت لهم الريبة والشك فى نبوته بعد أن كانوا مخلصين ﴿ أم يخافون ﴾ أى يعرض لهم الخوف من الحيف فى حكومته فيكون ذلك ظلما لهم ثم استدرك ببل أنهم هم الظالمون ﴿ وأقسموا بالله ﴾ لما بلغ المنافقين ما أنزل الله فيهم أتوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقسموا الى آخره أى ليخرجن عن ديارهم ونسائهم وأموالهم أولئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن * وتقدم الكلام فى جهد أيمانهم فى الانعام ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى أنه ليس حقا * وطاعة مبتدأ ومعروفة صفة والخبر محذوف أى أمثل وأولى أو خبر مبتدإ محذوف أى أمرنا والمطلوب طاعة معروفة ﴿ فان تولوا فانما عليه ﴾ أى على الرسول ﴿ ما حمل ﴾ وهو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة واعمال الجهاد فى انذارهم ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ وهو السمع والطاعة واتباع الحق ثم علق هدايتهم على طاعته فلا تقع الا بطاعته ﴿ وما على الرسول الا البلاغ ﴾ تقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى المائدة * والخطاب فى منكم للرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه ومن للبيان أى الذين هم أنتم ﴿ وعد الله ﴾ أن ينصر الاسلام على الكافرين ويورثهم الارض ويجعلهم خلفاء ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ أى بنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة * واللام فى ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أى وأقسم ليستخلفنهم أو أجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم فجوب بما يجاب به القسم وعلى تقدير حذف القسم يكون معمول وعد محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف

خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بهذه الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة هوام وبهائم وناس كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وهنالك قصد ان أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينها وبينه وسائط كما قيل ان أصل النور والنار والتراب الماء وسمى الزحف على البطن مشيا لمشا كلته مابعده من ذكر الماشين أو استعارة كما قالوا قد مشى هذا الامر وما يتمشى لفلان أمر كما استعاروا المشفر للشفة والشفة للجحفلة والماشى على بطنه الحيات والحوت ونحو ذلك من الدود وغيره * وعلى رجلين الانسان والطير والاربع لسائر حيوان الارض من البهائم وغيرها فان وجد من له أكثر من أربع * فقيل اعتماده انما هو على أربع ولا يفتقر فى مشيه الى جميعها وقدم ما هو أعرف فى القدرة وأعجب وهو الماشى بغير آلة مشى من له رجل وقوائم ثم الماشى على رجلين ثم الماشى على أربع وفى مصحف أبى ومنهم من يمشى على أكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان لكنه لم يثبت قرآنا ولعله ما أورده مورد قرآن بل تنبيها على أن الله خلق من يمشى على أكثر من أربع كالعنكبوت والعقرب والرتيلا وذى أربع وأربعين رجلا وسمى الاذن وهذا النوع لندوره لم يذكر * يخلق الله ما يشاء اشارة الى أنه تعالى ما تعلقت به ارادة خلقه أنشأه واخترعه وفى ذلك تنبيه على كثرة الحيوان وانها كما اختلفت بكيفية المشى اختلفت بأمور أخر ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم

﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ أي يثبته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله ﴿الذي ارتضى﴾ لهم صفة مدح جليلة وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى بما أظهره الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم صلى الله عليه وسلم الى زمان هذه الملة المحمدية ﴿لا تحسبن﴾ قال صاحب النظم لا يحتمل أن يكون ومأواهم متصلا بقوله لا تحسبن ذلك نهي وهذا إيجاب فهو إذن معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض بل هم مقهورون ﴿ومأواهم النار﴾ انتهى واستبعد العطف من حيث ان لا تحسبن نهي ومأواهم جملة خبرية فلم تناسب عنده أن تعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولذا حسن الزمخشري هنا قال كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة والصحيح أن ذلك لا يشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضها على بعض وإن لم تتحد في النوعية وهو مذهب سيبويه قال الزمخشري يكون الأصل لا تحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكأن [illegible] الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت [illegible] فاقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى [illegible] [illegible] في [illegible] قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير * نزلت الى قوله الا البلاغ المبين في المنافقين بسبب منافق اسمه بشر دعاه يهودي في خصومة بينهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهو الى كعب بن الاشرف فنزلت ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون عقائدهم * ثم يتولى فريق منهم عن الايمان * بعد ذلك أي بعد قولهم آمنا * وما أولئك اشارة الى القائلين فينتفي عن جميعهم الايمان أو الى الفريق المتولي فيكون ما سبق لهم من الايمان ليس ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة بالقلب وأفرد الضمير في ليحكم بينهم وقد تقدم قوله الى الله ورسوله لان حكم الرسول هو عن الله * قال الزمخشري كقولك أعجبني زيد وكرمه يريد كرم زيد ومنه

ومنهل من الفلا في أوسطه * غلسته قبل القطا وفرطه

أراد قبل فرط القطا انتهى أي قبل تقدم القطا اليه * وقرأ أبو جعفر ليحكم في الموضعين مبنيا للمفعول وإذا الثانية للمفاجأة جواب إذا الأولى الشرطية وهذا أحد الدلائل على أن الجواب لا يعمل في إذا الشرطية خلافا للأكثرين من النحاة لان إذا الفجائية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقد أحكم ذلك في علم النحو والظاهر ان اليه متعلق بيأتوا والضمير في اليه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم وأجاز الزمخشري أن يتعلق اليه بمذعنين قال لانه بمعنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في منهج تهيئة العامل للعمل وقطعه عن العمل وهو مما يسمع ومعنى [illegible] لعرفتهم انه ليس معه الا الحق المر والعدل [illegible] [illegible] عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنزعه من [illegible] بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك [illegible] في قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون [illegible] مقصعة والتقدير بل ارتابوا بل يخافون وهو استفهام توقيف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على عيبهم في الأمور [illegible] [illegible] التوقيف يستعمل في الأمور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يمدح به وهو [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] قول [illegible]

ألست من [illegible] [illegible] [illegible] * [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ومن المبالغة في المدح قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حكومته [illegible] في قلوبهم مرض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ارتابوا أي عرض لهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخوف من حيف في حكومة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقرأ

على وابن أبي اسحق والحسن انما كان قول بالرفع والجمهور بالنصب * قال الزمخشري والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لاسبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا انتهى ونص سيبويه على أن اسم كان وخبرها اذا كانتا معرفتين فأنت بالخيار في جعل ماشئت منهما الاسم والآخر الخبر من غير اعتبار شرط في ذلك ولا اختيار * وقرأ أبو جعفر والجحدري وخالد بن الياس ليحكم بينهم مبنيا للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير المصدر أي ليحكم هو أي الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم ومثله قولهم جمع بينهما وألف بينهما وقوله تعالى وحيل بينهم * قال الزمخشري ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم انتهى ولا يتعين ماقاله في الآية اذ يجوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على شئ قبله وتقدم الكلام في ذلك في موضعه * أن يقولوا سمعنا أي قول الرسول وأطعنا أي أمره * وقرئ ويتقه بالاسباع والاختلاس والاسكان * وقرئ ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء من غير اشباع أجرى خبر كان المنفصل مجرى المتصل فكما يسكن علم فيقال علم كذلك سكن ويتقه لانه تقه كعلم وكما قال السالم

* قالت سليمى اشتر لنا سويقا * يريد اشتر لنا ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخشى الله على مامضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل * وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه ولما بلغ المنافقين ما أنزل تعالى فيهم أتوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقسموا الى آخره أي ليخرجن عن ديارهم وأموالهم ونسائهم ولئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن اليه وتقدم الكلام في جهد أيمانهم في الانعام ونهاهم تعالى عن قسمهم لعلمه تعالى انه ليس حقا * طاعة معروفة أي معلومة لاشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين المطابق باطنهم لظاهرهم لا أيمان تقسموا بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة قاله الزمخشري * وقال ابن عطية يحتمل معاني * أحدها النهي عن القسم الكاذب إذ قد عرف أن طاعتهم دغلة رديئة فكأنه يقول لا تغالطوا فقد عرف ماأنتم عليه * والثاني لا تتكلفوا القسم طاعة معروفة متوسطة على قدر الاستطاعة أمثل وأجدى عليكم وفي هذا الوجه ابقاء عليهم * والثالث لا تقنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم هو المطلوب منكم * والرابع لاتقنعوا لأنفسكم بارضائنا بالقسم طاعة الله معروفة وجهاد عدوه مهيع لائح انتهى * وطاعة مبتدأ ومعروفة صفة والخبر محذوف أي أمثل وأولى أو خبر مبتدأ محذوف أي أمرنا أو المطلوب طاعة معروفة * وقال أبو البقاء ولو قرئ بالنصب لكان جائزا في العربية وذلك على المصدر أي أطيعوا طاعة انتهى وقد قراه بالنصب زيد بن علي واليزيدي وتقدير بعضهم الرفع على اضمار ولتكن طاعة معروفة ضعيف لانه لا يحذف الفعل ويبقى الفاعل الا اذا كان ثم مشعر به نحو رجال بعد يسبح مبنيا للمفعول أي يسبحه رجال أو يجاب به نفي نحو بلى زيد لمن قال ماجاء أحد أو استفهام نحو قوله

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل * بلى خالد ان لم تعقه العوائق

أي أتاها خالد * ان الله خبير بما تعملون أي مطلع على سرائركم ففاضحكم والتفت من الغيبة الى الخطاب لانه أبلغ في تبكيتهم ولما كتمهم بانه مطلع على سرائرهم تلطف بهم فأمرهم بطاعة الله والرسول وهو أمر عام للمنافقين وغيرهم * فان تولوا أي فان تتولوا * فانما عليه أي على الرسول ماحمل وهو التبليغ

(النهر)

(ش) والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لانه لاسبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا انتهى (ح) نص سيبويه على أن اسم كان وخبرها اذا كانتا معرفتين فأنت بالخيار في جعل ماشئت منهما الاسم والآخر الخبر من غير اعتبار شرط في ذلك ولا اختيار (ش) ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم (ح) لايتعين ماقاله في الآية اذ يجوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على شئ قبله وتقدم الكلام في ذلك في موضعه وأما هنا فالمفعول الذي لم يسم فاعله ضمير المصدر أي ليحكم هو أي الحكم والمعنى ليفعل الحكم بينهم ومثله قولهم جمع بينهما وألف بينهما وقوله وحيل بينهم

ومكافحة الناس بالرسالة وإعمال الجهد في إنذارهم * وعليكم ما حملتم وهو السمع والطاعة واتباع الحق
ثم علق هدايتهم على طاعته فلا يقع إلا بطاعتـه وما على الرسول إلا البلاغ المبين تقـدم الكلام على
مثل هـذه الجملة في المائدة * روي أن بعض الصحابة شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيـه من
الخوف وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزل وعد الله الذين آمنوا منكم * وروي أنه عليه الصلاة والسلام
لما قال بعضهم ما أتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا حتى
يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة * قال ابن عباس وهذا الوعد وعده الله
أمة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والخطاب في منكم للرسول وأتباعه ومن للبيان أي
الذين هم أنتم وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء وقوله في
الأرض هي البلاد التي تجاورهم وهي جزيرة العرب ثم افتتحوا بلاد الشرق والغرب ومزقوا
ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا * وفي الصحيح زويت لي الأرض فأريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها * قال بعض العلماء وكذلك اتسع نطاق الإسلام
في الشرق والغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال (قلت) ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظم العالم
في المشرق كقبائل الترك وفي المغرب كبلاد السودان كالتكرور والحبشة وبلاد الهند * كما استخلف
الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة * وقيل هو ما كان
في زمان داود وسليمان عليهما السلام وكان الملك على الأرض مؤمنون * وقرئ كما استخلف
مبنيا للمفعول واللام في ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أي وأقسم ليستخلفنهم أو أجرى وعد الله
لتحققه مجرى القسم فجووب بما يجاوب به القسم وعلى التقدير حذف القسم يكون معمول وعد
محذوفا تقديره استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف * وقال الضحاك
هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لأنهم أهل الإيمان وعمل الصالحات وقال
صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون [illegible] جرى مجراهم في العدل من
استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز [illegible] والمهتدي بالله في العباسيين وتمكينهم
دينهم أي [illegible] أهله ودلالة الذي ارتضى لهم صفة مدح
جليلة وقد [illegible] الفتوح
والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم [illegible] وقرأ الجمهور وليبدلنهم
بالتشديد وابن كثير وأبو بكر والحسن [illegible] بالتخفيف * [illegible] أظهر الله تعالى
وعد رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible]
السلام [illegible]
بالله [illegible]
من [illegible]
يعبدونني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

من الفاعل في يعبدونني موحدين انتهى والظاهر انه متى أطلق الكفر كان مقابل الاسلام والايمان وهو ظاهر قول حذيفة قال كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب ولم يبق الا كفر بعد ايمان * قال ابن عطية يحتمل ان يريد كفر هذه النعم اذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة * قيل ظهر في قتلة عثمان * وقال الزمخشري ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله *فاولئك هم الفاسقون أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة والظاهر ان قوله وأقيموا التفات من الغيبة الى الخطاب وبحسنه الخطاب في منكم * وقال الزمخشري وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول توكيدا لوجوبها انتهى * وقرأ الجمهور لاتحسبن بتاء الخطاب والتقدير لاتحسبن أيها المخاطب ولايندرج فيه الرسول وقالوا هو خطاب للرسول وليس بجيد لأن مثل هذا الحسبان لايتصور وقوعه فيه عليه السلام * وقرأ حمزة وابن عامر لايحسبن بالياء للغيبة والتقدير لايحسبن حاسب والرسول لايندرج في حاسب وقالوا يكون ضمير الفاعل للرسول لتقدم ذكره في وأطيعوا الرسول قاله أبو علي والزمخشري وليس بجيد لما ذكرناه في قراءة التاء * وقال النحاس ماعلمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطىء قراءة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يأت الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا أبو حاتم انتهى * وقال الفراء هو ضعيف وأجازه على حذف المفعول الثاني وهو قول البصريين تقديره أنفسهم ومعجزين المفعول الثاني * وقال علي بن سليمان الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون المعنى ولايحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض * وقال الكوفيون معجزين المفعول الاول وفي الارض الثاني قيل وهو خطأ وذلك لان ظاهر في الارض تعلقه بمعجزين فلا يكون مفعولا ثانيا وخرج الزمخشري ذلك متبعا قول الكوفيين * فقال معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لايحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا لهم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد انتهى * وقال أيضا يكون الاصل لايحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشيء الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث انتهى وقد رددنا هذا التخريج في آل عمران في قوله لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه أنه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها مابعدها فلا يتقدر لايحسبنهم اذ لايجوز ظنه زيد قائما على تقدير رفع زيد بظنه * ومأواهم النار * قال الزمخشري عطف على لاتحسبن كأنه قيل الذين كفروا لايفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم انتهى * وقال صاحب النظم لايحتمل ان يكون ومأواهم متصلا بقوله لايحسبن الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون ومأواهم النار انتهى واستبعد العطف من حيث إن لاتحسبن نهي ومأواهم النار جملة خبرية فلم يناسب عنده ان يعطف الجملة الخبرية على جملة النهي لتباينهما وهذا مذهب قوم ولما أحس الزمخشري بهذا قال كأنه قيل الذين كفروا لايفوتون الله فتأول جملة النهي بجملة خبرية حتى تقع المناسبة والصحيح أن ذلك لايشترط بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضا على بعض وان لم تتحد في النوعية وهو

(الدر)

(ش) يكون الأصل لاتحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كالشيء الواحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث (ح) قد رددنا هذا التخريج في أواخر آل عمران في قوله لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا في قراءة من قرأ بياء الغيبة وجعل الفاعل الذين يفرحون وملخصه أنه ليس هذا من الضمائر التي يفسرها مابعدها فلا يتقدر لايحسبنهم اذ لايجوز ظنه زيد قائما على تقدير رفع زيد بظنه

﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ الآية روى أن عمر بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج وكان نائما فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ وجلس فانكشف منه شئ فقال عمر وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعة الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا لله ﴿وليستأذنكم﴾ أمر والظاهر حمله على الوجوب وقيل على الندب والظاهر عموم ﴿الذين ملكت أيمانكم﴾ في العبيد والاماء ﴿والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاث استئذانات ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ماينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ لأنه وقت وضع الثياب للقائلة لأن النهار اذذاك يشتد حره في ذلك الوقت ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثلاث عورات لكم﴾ سمي كل واحدة منها عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين وقرىء ثلاث بالرفع أي ثلاث وقرىء بالنصب وقرأ الأعمش عورات بفتح الواو وهي لغة تميم وهذيل بن مدركة ﴿طوافون عليكم﴾ أي يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم طوافون أي المماليك والصغار طوافون عليكم (٤٧١) يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا

مذهب سيبويه ﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ روى أن عمر بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلج وكان نائما فدق عليه الباب ودخل فاستيقظ

في ثلاث الأوقات ﴿كذلك﴾ الاشارة الى ماتقدم ذكره من استئذان المماليك وغير البلغ ولما أمر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال والأطفال غير البلغ في الأوقات التي هي مظنة كشف عورتهن استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن وقعدن عن طلب النكاح ولا افتتان بهن فقال والقواعد جمع قاعد من صفات الاناث وقال

ابن السكيت امرأة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة سمين بذلك لأنهن بعد الكبر يكثرن القعود ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ عن ابن عباس لما نزل لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة الأعمى لأنه لايبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لانه لايستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لأنه لايستطيع استيفاء الطعام فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل وتحرجوا عن أكل طعام القرابات فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة أن تلك في التعدي والقمار ومايأكله المؤمن من مال من يكره أهله ﴿أو ماملكتم مفاتحه﴾ قيل نزلت في مسكون التصرف في بيوت من سمت ... مفاتيحه وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ماقال تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومفاتحه ... ﴿أو صديقكم﴾ وقرن الله تعالى الصديق بالقرابة المحضة قيل لبعضهم من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخي الا اذا كان صديقي وقال ابن عباس الصديق آكد من القرابة ألا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات ... ﴿جميعا أو أشتاتا﴾ أي مجتمعين أو متفرقين ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ قال ابن عباس ... فسلموا على من فيها فان لم يكن فيها أحد فقل السلام على رسول الله وقيل يقول السلام علينا يعني الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل اذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فيها فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿تحية من عند الله﴾ أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه وانتصب تحية لقوله فسلموا لان معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا

وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر وددت ان الله نهى أبناءنا ونساءنا عن الدخول علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى الرسول فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا * وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا حالا نكرهها * ليستأذنكم أمر والظاهر حمله على الوجوب والجمهور على الندب * وقيل بنسخ ذلك اذ صار للبيوت أبواب روى ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر عموم الذين ملكت أيمانكم في العبيد والاماء وهو قول الجمهور وقال ابن عمر وآخرون العبيد دون الاماء وقال السلمي الاماء دون العبيد * والذين لم يبلغوا الحلم منكم عام في الاطفال عبيدا كانوا أو أحرارا وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية وطلحة الحلم بسكون اللام وهي لغة تميم وقيل منكم أي من الاحرار ذكورا كانوا أو اناثا والظاهر من قوله ثلاث مرات ثلاث استئذانات لانك اذا ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث والذي عليه الجمهور ان معنى ثلاث مرات ثلاثة أوقات وجعلوا ما بعده من ذكر تلك الاوقات تفسيرا لقوله ثلاث مرات ولا يتعين ذلك بل تبقى ثلاث مرات على مدلولها * من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم * وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة لانه وقت وضع الثياب للقائلة لان النهار اذ ذاك يشتد حره في ذلك الوقت * ومن في من الظهيرة قال أبو البقاء لبيان الجنس أي حين ذلك هو الظهيرة قال أو بمعنى من أجل حر الظهيرة وحين معطوف على موضع من قبل ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلاث عورات لكم سمى كل واحد منها عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين وقرأ حمزة والكسائي ثلاث بالنصب قالوا بدل من ثلاث عورات وقدره الحوفي والزمخشري وأبو البقاء أوقات ثلاث عورات وقال ابن عطية انما يصح يعني البدل بتقدير أوقات عورات فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرأ باقي السبعة بالرفع أي هن ثلاث عورات وقرأ الاعمش عورات بفتح الواو وتقدم انها لغة هذيل بن مدركة وبني تميم وعلى رفع ثلاث قال الزمخشري يكون ليس عليكم الجملة في محل رفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة * بعدهن أي بعد استئذانهم فيهن حذف الفاعل وحرف الجر بقي بعد استئذانهن ثم حذف المصدر وقيل ليس على العبيد والاماء ومن لم يبلغ الحلم في الدخول عليكم بغير استئذان جناح بعد هذه الاوقات الثلاث طوافون عليكم يمضون ويجيئون وهو خبر مبتدا محذوف تقديره هم طوافون أي المماليك والصغار طوافون عليكم أي يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير اذن الا في تلك الاوقات وجوز وا في بعضكم على بعض ان يكون مبتدا وخبرا لكن الجر قدره طائف على بعض وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه * قال الزمخشري وحذف لان طوافون يدل عليه وان يكون مرفوعا بفعل محذوف تقديره يطوف بعضكم * وقال ابن عطية بعضكم بدل من قوله طوافون ولا يصح لانه ان أراد بدلا من طوافون نفسه فلا يجوز لانه يصير التقدير هم بعضكم على بعض وهذا معنى لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير في طوافون فلا يصح أيضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدا هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم على بعض

(الدر)

(ع) بعضكم بدل من قوله طوافون (ح) هذا لا يصح لانه ان أراد بدلا من طوافون نفسه فلا يجوز لانه يصير التقدير بعضكم على بعض وهذا معنى لا يصح وان جعلته بدلا من الضمير في طوافون فلا يصح أيضا ان قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدأ هم لانه يصير التقدير هم يطوف بعضكم على بعض وهو لا يصح فان جعلت التقدير أنتم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على أنهم هم المطوف عليهم وأنتم طوافون يدل على انهم طائفون فتعارضا

وهو لا يصح فان جعلت التقدير أنتم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه ان قوله عليكم يدل على انهم هم المطوف عليهم وأنتم طوافون يدل على انهم طائفون فتعارضا وقرأ ابن أبي عبلة طوافين بالنصب على الحال من ضمير عليهم وقال الحسن اذا بات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه ولا في هذه الاوقات الثلاثة *واذا بلغ الاطفال أي من أولادكم وأقربائكم *فليستأذنوا أي في كل الاوقات فانهم قبل البلوغ كانوا يستأذنون في ثلاث الاوقات *كما استأذن الذين من قبلهم يعني البالغين وقيل الكبار من أولاد الرجل وأقربائه ودل ذلك على ان الابن والأخ البالغين كالأجنبي في ذلك وتكلموا هنا فيما به البلوغ وهي مسئلة تذكر في الفقه * كذلك الاشارة الى ما تقدم ذكره من استئذان المماليك وغير البلغ *ولما أمر تعالى النساء بالتحفظ من الرجال ومن الاطفال غير البلغ في الاوقات التي هي مظنة كشف عوراتهن استثنى القواعد من النساء اللاتي كبرن وقعدن عن الميل اليهن والافتتان بهن فقال والقواعد وهو جمع قاعد من صفات الاناث وقال ابن السكيت امرأة قاعد قعدت عن الحيض وقال ابن قتيبة سمين بذلك لانهن بعد الكبر يكثرن القعود وقال ربيعة لقعودهن عن الاستمتاع بهن فايسن ولم يبق لهن طمع في الازواج وقيل قعدن عن الحيض والحبل *وثيابهن الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار والملاء الذي فوق الثياب أو الخمر أو الرداء والخمار أقوال و يقال للمرأة اذا كبرت امرأة واضع أي وضعت خمارها *غير متبرجات بزينة أي غير متظاهرات بالزينة لينظر اليهن وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاؤه أو غير قاصدات التبرج بالوضع و رب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر بها جمال *وأن يستعففن عن وضع الثياب و يتسترن كالشباب أفضل لهن * والله سميع لما يقول كل قائل عليم بالمقاصد وفي ذكر هاتين الصفتين توعد وتحذير *عن ابن عباس لما نزل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض لانه لا يستطيع استيفاء الطعام فأنزل الله هذه الآية قيل وتحرجوا عن أكل طعام القرابات فنزلت مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة أن تلك انما هي في التعدي والقمار وما يأكله المؤمن من مال من يكره أهله أو بصفقة فاسدة ونحوه وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وابن المسيب كانوا اذا نهضوا الى الغزو وخلفوا أهل العذر في منازلهم وأموالهم تحرجوا من أكل مال الغائب فنزلت مبيحة لهم ما تمس اليه حاجتهم من مال الغائب اذ كان الغائب قد بنى على ذلك وقال مجاهد كان الرجل اذا ذهب باهل العذر الى بيته ولم يجد فيه شيأ ذهب بهم الى بيوت قراباته فتحرج أهل الاعذار من ذلك فنزلت وقيل كانت العرب ومن بالمدينة قبل البعث تجتنب الاكل مع أهل هذه الاعذار فبعضهم تقذرا لمكان جولان يد الاعمى ولانبساط الجلسة مع الاعرج ولرائحة المريض وهي أخلاق جاهلية وكبر فنزلت واستبعد هذا لانه لو كان هذا لسبب لكان التركيب ليس عليكم حرج أن تأكلوا معهم ولم يكن ليس على الاعمى حرج وأجاب بعضهم بان على في معنى في أي في مواكلة الاعمى وهذا بعيد جدا وفي كتاب الزهراوي عن ابن عباس ان أهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من أجل عذرهم فنزلت وعلى هذه الاقوال كلها يكون نفي الحرج عن أهل العذر ومن بعدهم في المطاعم وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد الحرج المنفي عن أهل العذر هو في القعود عن الجهاد وغيره مما رخص لهم فيه والحرج المنفي عمن عطف عليهم في الاكل مما ذكر وهو مقطوع مما قبله اذ متعلق الحرجين مختلف وان كانا قد جمعا في انتفاء الحرج وهذا القول

هو الظاهر ولم يذكر بيوت الاولاد اكتفاء بذكر بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه و بيته بيته وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه * ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم والولد أقرب من عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى وقرأ طلحة إمهاتكم بكسر الهمزة * أو ما ملكتم مفاتحه * قال ابن عباس هو وكيل الرجل أن يتناول من التمر و يشرب من اللبن * وقال قتادة العبد لان ماله لك * وقال مجاهد والضحاك خزائن بيوتكم اذا ملكتم مفاتيحها * وقال ابن جرير الزمنى ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت اليهم مفاتيحها * وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال تعالى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومفاتحه بيده * وقرأ الجمهور ملكتم بفتح الميم واللام خفيفة * وقرأ ابن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة والجمهور مفاتحه جمع مفتح وابن جبير مفاتيحه جمع مفتاح وقتادة وهارون عن أبي عمرو مفتاحه مفردا * أو صديقكم قرئ بكسر الصاد اتباعا لحركة الدال حكاه حميد الخزاز قرن الله الصديق بالقرابة المحضة * قيل لبعضهم من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخي الا اذا كان صديقي * وقال معمر قلت لقتادة ألا أشرب من هذا الحب قال أنت لي صديق فما هذا الاستئذان * وقال ابن عباس الصديق أوكد من القرابة ألا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات ومعنى أو صديقكم أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون للواحد والجمع كالخليط والقطين وقد أكل جماعة من أصحاب الحسن من بيته وهو غائب فجاء فسر بذلك وقال هكذا وجدناهم يعني كبراء الصحابة وكان الرجل يدخل بيت صديقه فيأخذ من كيسه فيعتق جاريته التي مكنته من ذلك * وعن جعفر الصادق من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وترك الحشمة بمنزلة النفس والأب والابن والأخ * وقال هشام بن عبد الملك نلت ما نلت حتى الخلافة وأعوزني صديق لا أحتشم منه * وقال أهل العلم اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح * وانتصب جميعا أو أشتاتا على الحال أي مجتمعين أو متفرقين * قال الضحاك وقتادة نزلت في حي من كنانة تحرجوا أن يأكل الرجل وحده فربما قعد والطعام بين يديه لا يجد من يؤاكله حتى يمسي فيضطر الى الأكل وحده * وقال بعض الشعراء

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي

* وقال عكرمة في قوم من الأنصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه * وقيل في قوم تحرجوا أن يأكلوا جميعا مخافة أن يزيد أحدهم على الآخر في الأكل * وقيل أو صديقكم هو اذا دعاك الى وليمة فحسب * وقيل هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام ألا ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام و بقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن أحد ماشية أحد الا باذنه و بقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم * قال ابن عباس والنخعي المساجد فسلموا على من فيها فان لم يكن فيها أحد قال السلام على رسول الله * وقيل يقول السلام عليكم يعني الملائكة ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وقال جابر وابن عباس وعطاء البيوت المسكونة وقالوا يدخل فيها غير المسكونة فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وقال ابن عمر بيوتا خالية * وقال السدي على أنفسكم على أهل دينكم * وقال قتادة على أهاليكم في بيوت أنفسكم * وقيل بيوت الكفار فسلموا على أنفسكم * وقال الزمخشري فاذا دخلتم بيوتا

﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا ﴾ الآية لما افتتح السورة بقوله سورة أنزلناها وذكر أنواعا من الأوامر والحدود مما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم اختتمها بما يجب له صلى الله عليه وسلم على أمته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الاسلام ومن طلب استئذانه ان عرض لأحد منهم عارض ومن توقيره في دعائهم اياه والمؤمنون مبتدأ والموصول خبره وهو قوله الذين آمنوا ومعنى على أمر جامع نحو مقاتلة عدو وتشاور في أمر مهم أو تضام لارهاب مخالف يحتاج فيه الى اجتماع ذوي الآراء فاذا ذلك لايحل ذهاب أحد ممن يحتاج اليه الا بعد استئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك غيا الذهاب بقوله حتى يستأذنوه ثم أكد الاستئذان بقوله ان الذين يستأذنونك بلفظ ان وبالاشارة في قوله أولئك وبالخبر بعده * ثم أمره تعالى بان يأذن لمن يستأذن لبعض شأنه وأمره باستغفار الله له على طاعته باستئذانه ﴿ لاتجعلوا ﴾ (٤٧٥) خطاب لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان التداعي بالاسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير الرسول صلى الله عليه وسلم بان يدعوه باحسن مايدعى به نحو يارسول الله يانبي الله ألا ترى الى بعض جفاة من أسلم كان يقول يامحمد وفي قوله كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى جواز ذلك مع بعضهم لبعض اذ لم يؤمر بالتوقير والتعظيم في دعائه صلى الله عليه وسلم الا من دعاه لا من دعا غيره وكانوا يقولون ياأبا القاسم يامحمد فنهوا عن ذلك ومعنى ﴿ يتسللون ﴾ ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة في خفية ﴿ لواذا ﴾ يلوذ بعضهم ببعض هذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواذ مصدر لاوذ وصحت الواو فيه وان كان قبلها كسرة لصحتها في الفعل في قولهم لاوذ بخلاف قام قياما فانها اعتلت في الفعل فاعتلت في المصدر وقيل في حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير اذن ويستأذن المؤمنون اذا عرضت لهم حاجة وخالف يتعدى بنفسه يقول خالفت أمر زيد وبالى تقول خالفت الى كذا فقوله عن أمره ضمن خالف معنى صد وأعرض فعداه بعن والضمير في أمره عائد الى الرسول صلى الله عليه وسلم وظاهر الامر الوجوب ولذلك جعل في مخالفته اصابة الفتنة أو اصابة العذاب ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أي من مخالفة أمر الله وأمر رسوله وفيه تهديد ووعيد وأتى بالمضارع وهو يعلم كناية عن المجازاة والظاهر أن الخطاب في أنتم للمنافقين ولغيرهم وعامة في الاعمال التي يعملها المكلفون ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ ويوم معطوف على ما أي علم الذي أنتم عليه ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ [illegible] ما أنتم عليه [illegible] ويوم يرجعون اليه والتفت من ضمير الخطاب في أنتم الى ضمير الغيبة في يرجعون

من هذه البيوت لتأكلوا فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم فيها منكم دينا وقرابة وتحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب السلامة وحياة للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق انتهى * وقال مقاتل مباركة بالأجر * وقيل بورك فيها بالثواب * وقال الضحاك في السلام عشر حسنات ومع الرحمة عشرون ومع البركات ثلاثون * وانتصب تحية بقوله فسلموا لأن معناه فحيوا كقولك قعدت جلوسا ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ﴾ لما افتتح السورة بقوله سورة أنزلناها وذكر أنواعا من الأوامر والحدود مما أنزله على الرسول عليه السلام اختتمها بما يجب له عليه السلام على أمته من التتابع والتشايع على ما فيه مصلحة الاسلام ومن طلب استئذانه ان عرض لأحد منهم عارض ومن توقيره في دعائهم اياه * وقال الزمخشري أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه * اذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وارتفاع المؤمنين مبتدأ ومخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا بحيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى

يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الامر بعد وجود استئذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب أن
يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف بالجمع على المجاز وذلك نحو مقابلة عدو وتشاور
في أمرهم أو تضام لارهاب مخالف أو ماينتج في حلف وغير ذلك والامر الذي يعم بضرره أو بنفعه
وفي قوله واذا كانوا معه على أمر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من
ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته
فمفارقة أحدهم في مثل هذه الحالة مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق الامر
في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعراض مايهمهم ويعنيهم وذلك قوله
لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاحسن الافضل أن لا يحدثوا أنفسهم
بالذهاب ولا يستأذنوا فيه * وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن لذلك ينبغي أن
يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا
يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء أذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه
رأيه انتهى وهو تفسير حسن ويجري هذا المجرى امام الامرة اذا كان الناس معه مجتمعين لمراعاة
مصلحة دينية فلا يذهب أحدهم عن المجمع الا باذن منه اذ قد يكون له رأي في حضور ذلك
الذاهب * وقال مكحول والزهري الجمعة من الامر الجامع فاذا عرض للحاضر ما يمنعه الحضور من
سبق رعاف فليستأذن حتى يذهب عنه سوء الظن به * وقال ابن سيرين كانوا يستأذنون
الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على أنفه فليخرج دون اذن وقد كان هذا
بالمدينة حتى ان سهيل بن أبي صالح رعف يوم الجمعة فاستأذن الامام * وقال ابن سلام هو كل صلاة
فيها خطبة كالجمعة والعيدين والاستسقاء * وقال ابن زيد في الجهاد * وقال مجاهد الاجتماع في طاعة
الله * قيل في قوله فأذن لمن شئت منهم أريد بذلك عمر بن الخطاب * وقرأ اليماني على أمر جميع
* لا تجعلوا خطاب لمعاصري الرسول عليه السلام لما كان التداعي بالاسماء على عادة البداوة أمروا
بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحسن ما يدعى به نحو يا رسول الله يانبي الله ألا ترى الى بعض
جفاة من أسلم كان يقول يا محمد وفي قوله كدعاء بعضكم بعضا اشارة الى جواز ذلك مع بعضهم لبعض
إذ لم يؤمر بالتوقير والتعظيم في دعائه عليه السلام الا من دعاه لا من دعا غيره وكانوا يقولون ياأبا
القاسم يا محمد فنهوا عن ذلك * وقيل نهاهم عن الابطاء والتأخر اذا دعاهم واختاره المبرد والقفال
ويدل عليه فليحذر الذين يخالفون عن أمره وهذا القول موافق لمساق الآية ونظمها * وقال
الزمخشري اذا احتاج الى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه
على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي انتهى وهو قريب مما قبله * وقال أيضا
ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما
أجابه وربما رده وان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة انتهى * وقال ابن
عباس انما هو لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض أي دعاؤه عليكم مجاب
فاحذروه * قال ابن عطية ولفظ الآية يدفع هذا المعنى انتهى * وقرأ الحسن ويعقوب في رواية
نبيكم بنون مفتوحة وباء مكسورة وياء مشددة بدل قوله بينكم ظرفا قراءة الجمهور * قال صاحب
اللوامح وهو النبي عليه السلام على البدل من الرسول فانما صار بدلا لاختلاف تعريفهما باللام مع
الاضافة يعني أن الرسول معرفة باللام ونبيكم معرفة بالاضافة الى الضمير فهو في رتبة العلم فهو أكثر

تعريفا من ذي اللام فلا يصح النعت به على المذهب المشهور لأن النعت يكون دون المنعوت أو مساويا له في التعريف ثم قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نعتا لكونهما معرفتين انتهى وكأنه مناقض لما قرر من اختياره البدل وينبغي أن يجوز النعت لأن الرسول قد صار علما بالغلبة كالبيت للكعبة اذ ما جاء في القرآن والسنة من لفظ الرسول انما يفهم منه أنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك فقد تساويا في التعريف ومعنى يتسللون ينصرفون قليلا قليلا عن الجماعة في خفية ولواذا بعضهم ببعض أي هذا يلوذ بهذا وهذا بذاك بحيث يدور معه حيث دار استتارا من الرسول * وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد * وقيل في حفر الخندق ينصرف المنافقون بغير اذن ويستأذن المؤمنون اذا عرضت لهم حاجة * وقال مجاهد لواذا خلافا * وقال أيضا يتسللون من الصف في القتال * وقيل يتسللون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وعلى ذكره * وانتصب لواذا على انه مصدر في موضع الحال أي متلاوذين ولواذا مصدر لاوذ وصحت العين في الفعل فصحت في المصدر ولو كان مصدر لاذ لكان لياذا كقام قياما * وقرأ يزيد بن قصيب لواذا بفتح اللام فاحتمل أن يكون مصدر لاذ ولم يقبل لأنه لا كسرة قبل الواو فهو كطاف طوافا واحتمل أن يكون مصدر لاوذ وكانت فتحة اللام لأجل فتحة الواو وخالف يتعدى بنفسه تقول خالفت أمر زيد وبالى تقول خالفت الى كذا فقوله عن أمره ضمن خالف معنى صد وأعرض فعداه بعن * وقال ابن عطية معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول كان المطر عن ريح وعن هي لما عدا الشيء * وقال أبو عبيدة والاخفش عن زائدة أي أمره والظاهر ان الامر بالحذر للوجوب وهو قول الجمهور وان الضمير في أمره عائد على الله * وقيل على الرسول * وقرئ يخلفون بالتشديد أي يخلفون أنفسهم بعد أمره والفتنة القتل قاله ابن عباس أيضا أو بلاء قاله مجاهد أو كفر قاله السدى ومقاتل أو اسباغ النعم استدراجا قاله الجرجاني أو قسوة القلب عن معرفة المعروف والمنكر قاله الجنيد أو طبع على القلوب قاله بعضهم وهذه الاقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر وهي في الدنيا * أو عذاب أليم * قيل عذاب الآخرة * وقيل هو القتل في الدنيا * ألا ان لله ما في السموات والارض هذا كالدلالة على قدرته تعالى عليهما وعلى المكلف فيما يعامله به من المجازاة من ثوابه وعقابه * قد يعلم ما أنتم عليه أي من مخالفة أمر الله وأمر رسوله وفيه تهديد ووعيد والظاهر انه خطاب للمنافقين * وقال الزمخشري دخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما ۞ أقام به بعد الوفود وفود

ونحو من ذلك قول زهير

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله

انتهى وكون قد اذا دخلت على المضارع أفادت التكثير قول بعض النحاة وليس بصحيح وانما التكثير مفهوم من سياق الكلام في المدح والصحيح في رب انها لتقليل الشيء وتقليل نظيره فان فهم تكثير فليس ذلك من رب ولا قد انما هو من سياق الكلام وقد بينت ذلك في علم النحو * وقرأ الجمهور يرجعون مبنيا للمفعول * وقرأ ابن يعمر وابن أبي اسحق وأبو عمرو مبنيا للفاعل والتفت من ضمير الخطاب في أنتم الى ضمير الغيبة في يرجعون ويجوز أن يكون ما أنتم عليه خطابا عاما ويكون يرجعون للمنافقين والظاهر عطف ويوم على ما أنتم عليه فهو منصوب نصب المفعول * وقال ابن

﴿ سورة الفرقان ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾

هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الى قوله وكان الله غفورا رحيما * ومناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لما ذكر من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستئذان وتوقيره عليه الصلاة والسلام في أن لا يكون دعاؤهم له عليه الصلاة والسلام كدعاء بعضهم بعضا بل بالاجلال والتعظيم والتوقير ورتب على مخالفة أمره اصابة الفتنة أو العذاب ناسب افتتاح هذه السورة بتعظيمه عليه الصلاة والسلام بنسبته إليه وانزاله القرآن عليه وجعله نذيرا للعالمين كلهم وناسب قوله لله ما في السموات والأرض قوله في هذه السورة الذي له ملك السموات والارض وتنزيهه تعالى عن الولد والشريك * والضمير في ليكون عائد على عبده لانه أقرب مذكور والفرقان القرآن ﴿ وخلق كل شئ ﴾ عام في الخلق ﴿ فقدره تقديرا ﴾ تقدير الأشياء هو حدها بالامكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والاتقان والضمير في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لأن في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك اذ لم ينتف الا وقد قيل به ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص بذلك عباد الأوثان ولا عباد الكواكب ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ قال ابن عباس هو النضر بن الحارث وأتباعه والافك أسوأ الكذب ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ قال مجاهد قوم من اليهود ألقوا أخبار الامم اليه وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤن التوراة أسلموا وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتعهدهم والظاهر أن الضمير في فقد جاؤا عائد على الذين كفروا والمعنى ان هؤلاء الكفار وردوا ظلما كما تقول جئت المكان فيكون جاء متعديا بنفسه ويجوز أن يحذف الجار أي جاؤا بظلم وزور ويصل الفعل بنفسه

عطية ويجوز أن يكون التقديم والعلم الظاهر لكم أو نحو هذا يوم فيكون النصب على الظرف

﴿ مفردات سورة الفرقان ﴾

* الهباء قال أبو عبيدة والزجاج مثل الغبار يدخل الكوة مع ضوء الشمس * وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب الدقيق * وقال الجوهري يقال منه اذا ارتفع هبا يهبو هبوا وأهبيته أنا إهباء * وقيل هو الشرر الطائر من النار اذا أضرمت * النثر التفريق * العض وقع الاسنان على المعضوض بقوة وفعله على وزن فعل بكسر العين وحكى الكسائي عضضت بفتح عين الكلمة * فلان كناية عن علم من يعقل * الجملة من الكلام هو المجمع غير المفرق * الترتيل سرد اللفظ بعد اللفظ يتخلل بينهما زمن يسير من قولهم ثغر مرتل أي مفلج الاسنان * السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت العادة من الاستراحة فيه ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت قاله أبو مسلم * وقال الزمخشري السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة * مرج قال ابن عرفة خلط ومرج الامر اختلط واضطرب * وقيل مرج وأمرج أجرى ومرج لغة الحجاز وأمرج لغة نجد * العذب الحلو * والفرات البالغ في الحلاوة * الملح المالح * والاجاج البالغ في الملوحة * وقيل المر * وقيل الحار * الصهر قال الخليل لا يقال لأهل بيت المرأة الا اصهار ولأهل بيت الرجل الا اختان ومن العرب من يجعلهم أصهارا كلهم * السراج الشمس * الهون الرفق واللين * الغرفة العلية وكل بناء عال فهو غرفة * عباء من العب ء وهو الثقيل يقال عبأ الجيش بالتخفيف والتثقيل هيأته للقتال ويقال ما عبأت به أي ما اعتددت به كقولك ما اكترثت به

﴿ سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا

﴿اكتتبها﴾ أي جمعها من قولهم كتب الشيء أي جمعه أو من الكتابة أي كتبها بيده فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون أنه لا يكتب شيئا و﴿أساطير﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو وهذه أساطير واكتتبها خبر ثان وأساطير تقدم الكلام عليه قال الزمخشري قرأ طلحة اكتتبها مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه أمي لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى لا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لأن اكتتبها له كاتب وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الأساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه الصلاة والسلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها إياه كاتب فإذا بني هذا للمفعول إنما ينوب عن المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبه لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع من العرب في هذا النوع الذي أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا إذا هب الرياح الزعازع

ولو جاء على ما قرره الزمخشري لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لأن اختار تعدى إلى الرجال على إسقاط حرف الجر إذ تقديره اختير من الرجال ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ أي كل سر خفي ورد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم لأن هذا القرآن لم يكن ليصدر إلا من عالم بكل المعلومات ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن إسحاق في السير فقالوا عتبة وغيره إن كنت تحب الرئاسة وليناك علينا (٤٧٩) أو المال جمعنا لك فلما أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا مالك وأنت رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق لالتماس الرزق سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقي إليك كنزا تنفق منه أو يرد لك جبال مكة ذهبا وتزل عنك جبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه وأشاعوا هذه المحاجة ونزلت وهذا استفهام يصحبه استهزاء ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره ﴿فضلوا﴾ أي أخطؤا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم والإشارة بذلك الظاهر أنه إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا والظاهر أنه خير كان يكون في الدنيا لو شاء الله وقيل في الآخرة ﴿ويجعل لك﴾ قرئ بالجزم معطوفا على قوله جعل لأنه في موضع جزم على جواب الشرط وقرئ بالرفع على الاستئناف أي وهو يجعل لك قال الزمخشري وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وإن أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

انتهى هذا الذي ذهب إليه الزمخشري ليس مذهب سيبويه وفي المسألة خلاف ذكر في النحو ﴿وأعتدنا﴾ جعلنا معدا ﴿سعيرا﴾ نارا كثيرة الإيقاد ﴿لمن كذب بالساعة﴾ عم في هؤلاء المكذبين وغيرهم ﴿إذا رأتهم﴾ أي صارت معهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقولهم دورهم تتراءى أي تتناظر وتتقابل ومنه لا تتراءى ناراهما وقيل هو على حذف مضاف أي إذا رأتهم خزنتها ﴿من مكان بعيد سمعوا لها﴾ صوت تغيظ لأن التغيظ لا يسمع وإذا كان على حذف مضاف كان المعنى تغيظ الزبانية وزفيرهم على الكفار غضبا ونهوضا للانتقام منهم وقيل هو صوت لهيبها واشتعالها وانتصب مكانا على الظرف أي في مكان ضيق وعن ابن عباس يضيق عليهم تضييق الزج في الرمح ﴿مقرنين﴾ قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد ﴿هنالك﴾ ظرف مكان أشير به لقوله مكانا ضيقا والظاهر دعاء الثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا﴾ أي يقال لهم لا تدعوا أو هم أحق أن يقال لهم ذلك

وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا

كثيرا . قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما * وقال الضحاك مدنية الا من أولها الى قوله ولا نشورا فهو مكي * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وانهم اذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على اذنه وحذر من يخالف أمره وذكر ان له ملك السموات والارض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التحذير والانذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرا لهم فكان في ذلك اطماع في خيره وتحذير من عقابه * وتبارك تفاعل مطاوع بارك وهو فعل لا يتصرف ولم يستعمل في غيره تعالى فلا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر * وقال الطرماح

تباركت لا معط لشئ منعته * وليس لما أعطيت يارب مانع

* قال ابن عباس لم يزل ولا يزول * وقال الخليل تمجد * وقال الضحاك تعظم * وحكى الاصمعي تباركت عليكم من قول عربي صعد رابية فقال لاصحابه ذلك أي تعاليت وارتفعت ففي هذه الاقوال تكون صفة ذات * وقال ابن عباس أيضا والحسن والنخعي هو من البركة وهو التزايد في الخير من قبله فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر وعلى هذا يكون صفة فعل وجاء الفعل مسندا الى الذي وهم وان كانوا لا يقرون بأنه تعالى هو الذي نزل الفرقان فقد قام الدليل على اعجازه فصار ب الصلة معلومة بحسب الدليل وان كانوا منكرين لذلك وتقدم في آل عمران لم سمي القرآن فرقانا * وقرأ الجمهور على عبده وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم * وقرأ ابن الزبير على عباده أي الرسول وأمته كما قال لقد أنزلنا اليكم وما أنزل الينا ويبعد أن يراد بالقرآن الكتب المنزلة وبعباده من نزلت عليهم فيكون اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها * والضمير في ليكون * قال ابن زيد عائد على عبده ويترجح بأنه العمدة المسند اليه الفعل وهو من وصفه تعالى كقوله انا كنا منذرين * والظاهر ان نذيرا بمعنى منذر وجوز أن يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه فكيف كان عذابي ونذر * وللعالمين عام للانس والجن ممن عاصره أو جاء بعده وهذا معلوم من الحديث المتواتر وظواهر الآيات * وقرأ ابن الزبير للعالمين للجن والانس وهو تفسير للعالمين ولما سبق في أواخر السورة ألا ان لله ما في السموات والارض فكان اخبارا بأن ما فيهما ملك له أخبر هنا أنه له ملكهما أي قهرهما وقهر ما فيهما فاجتمع له الملك والملك لهما ولما فيهما والذي مقطوع للمدح رفعا أو نصبا أو نعت أو بدل من الذي نزل وما بعد نزل من تمام الصلة ومعلق به فلا يعد فاصلا بين النعت أو البدل ومتبوعه * ولم يتخذ ولدا الظاهر نفي الاتخاذ أي لم ينزل أحدا منزلة الولد * وقيل المعنى لم يكن له ولد بمعنى قوله لم يلد لان التوالد مستحيل عليه وفي ذلك رد على مشركي قريش وعلى النصارى واليهود الناسبين لله الولد * ولم يكن له شريك في الملك تأكيد لقوله له ملك السموات والارض ورد على من جعل لله شريكا * وخلق كل شئ عام في خلق الذوات وأفعالها * قيل وفي

فهو متجدد دائما ولما لأنه أنواع وكل نوع منه يكون ثبورا لشدته وفظاعته والظاهر ان الاشارة بذلك الى النار وأحوال أهلها وخيرهنا ليست تدل على الافضلية بل هي على ما جرت عادة العرب من بيان فضل الشئ وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله * فشركما لخيركما الفداء * وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ * قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجئ لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير لأن الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما يشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أم بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل بين شيئين لا اشتراك بينهما في المعنى الذي فيه تفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ انتهى ما ذكره يخالفه قوله * فشركما لخيركما الفداء * وقوله رب السجن أحب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا أن يقيد الخبر بانه اذا كان واضح الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد أيهما أفضل فانه يجوز ﴿وعدا﴾ أي موعودا ﴿مسؤلا﴾ سألته الملائكة في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم

الكلام حذف تقديره وخلق كل شيء مما يصح خلقه لتخرج عنه ذاته وصفاته القديمة انتهى ولا يحتاج الى هذا المحذوف لأن من قال أكرمت كل رجل لا يدخل هو في العموم فكذلك لم يدخل في عموم وخلق كل شيء ذاته تعالى ولا صفاته القديمة * فقدره تقديرا ان كان الخلق بمعنى التقدير فكيف جاء فقدره اذ يصير المعنى وقدر كل شيء بقدره تقديرا * فقال الزمخشري المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له أو سمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت * فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة احداث الله وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في ايجاده متفاوتا * وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * وقال ابن عطية تقدير الاشياء هو حدها بالامكنة والازمان والمقادير والمصلحة والاتقان انتهى * واتخذوا من دونه آلهة الضمير في واتخذوا عائد على ما يفهم من سياق الكلام لان في قوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك دلالة على ذلك لم ينف الا وقد قيل به * وقال الكرماني الواو ضمير للكفار وهم مندرجون في قوله للعالمين * وقيل لفظ نذيرا ينبئ عنهم لانهم المنذرون ويندرج في واتخذوا كل من ادعى الها غير الله ولا يختص ذلك بعباد الاوثان وعباد الكواكب * وقال القاضي يبعد أن يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة على الجمع والاقرب ان المراد به عبدة الاصنام ويجوز أن يدخل فيه من عبد الملائكة لان لعبادها كثرة انتهى ولا يبرم ما قال لان واتخذوا جمع وآلهة جمع واذا قوبل الجمع بالجمع تقابل الفرد بالفرد ولا يلزم أن يقابل الجمع بالجمع فيندرج معبود النصارى في لفظ آلهة ووصف آلهة بانتفاء انشائهم شيأ من الاشياء اشارة الى انتفاء القدرة بالكلية وبأنهم مخلوقون [illegible] أو [illegible] بالنحت والتصوير على شكل مخصوص وهذا أبلغ في [illegible] خلق [illegible] * ومنه قول زهير ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

* وقال الزمخشري الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله وتخلقون افكا والمعنى [illegible] على عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع [illegible] وهم يستطيعون و[illegible] عن [illegible] النفع الذي يقدر عليه العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور [illegible] عجز * وقال الذين كفروا * قال ابن عباس هو النضر بن الحارث وأتباعه و[illegible] * وأعانه عليه قوم آخرون * قال مجاهد قوم من اليهود ألقوا أخبار الأمم [illegible] * وقيل [illegible] حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا كتابيين يقرؤن التوراة أسلموا وكان الرسول يتعهدهم * [illegible] للعرب من الفرس أبو فكيهة مولى الحضرميين [illegible] عنوا أبا فكيهة الرومي * وقال [illegible] آخرين [illegible] الاول انتهى وما قاله لا يلزم للاشتراك في [illegible] قوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة [illegible] والظاهر ان الضمير في فقد جاؤا عائد على الذين كفروا و[illegible] كما تقول جئت المكان فيكون جاء متعديا [illegible]

وزور ويصل الفعل بنفسه * وقال الزجاج اذا جاء يستعمل بهذين الاستعمالين وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه * وقيل الضمير عائد على قوم آخرين وهو من كلام الكفار والضمير في وقالوا للكفار وتقدم الكلام على أساطير الأولين * اكتتبها أي جمعها من قولهم كتب الشيء أي جمعه أو من الكتابة أي كتبها بيده فيكون ذلك من جملة كذبهم عليه وهم يعلمون انه لا يكتب ويكون كاستكب الماء واصطبه أي سكبه وصبه ويكون لفظ افتعل مشعرا بالتكلف والاعتمال أو بمعنى أمر أن يكتب كقولهم احتجم وافتصد اذا أمر بذلك * فهي تملى عليه أي تلقى عليه ليحفظها لان صورة الالقاء على المتحفظ كصورة الاملاء على الكاتب * وأساطير الأولين خبر مبتدا محذوف أي هو أو هذه أساطير واكتتبها خبر ثان ويجوز أن يكون أساطير مبتدا واكتتبها الخبر * وقرأ الجمهور اكتتبها مبنيا للفاعل * وقرأ طلحة مبنيا للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذف اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى انتهى وهو من كلام الزمخشري ولا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لان اكتتبها له كاتب وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الأساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني هذا الفعل للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع عن العرب في هذا النوع الذي أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا * قال الشاعر وهو الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا إذا هب الرياح الزعازع

ولو جاء على ما قرره الزمخشري لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار تعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال والظاهر ان قوله اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا من تمام قول الكفار * وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة في اكتتبها للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح ان أرزأ الكرام وان * آخذ ذودا شصائصا نبلا

وحق للحسن أن يقف على الأولين والظاهر تقييد الاملاء بوقت انتشار الناس وحين الايواء الى مساكنهم وهما البكرة والاصيل أو يكونان عبارة عن الديمومة * وقرأ طلحة وعيسى فهي تتلى بالتاء بدل الميم * قل أنزله الذي يعلم السر أي كل سر خفي ورد عليهم بهذا وهو وصفه تعالى بالعلم لان هذا القرآن لم يكن ليصدر الا من علام بكل المعلومات لما احتوى عليه من اعجاز التركيب الذي لا يمكن صدوره من أحد ولو استعان بالعالم كلهم ولاشتماله على مصالح العالم وعلى أنواع العلوم واكتفى بعلم السر لان ما سواه أولى أن يتعلق علمه به أو يعلم ما تسرون من الكيد لرسوله مع علمكم ببطل ما تقولون فهو مجازيكم * انه كان غفورا رحيما اطماع في انهم اذا تابوا غفر لهم ما فرط من كفرهم ورحمهم أو غفورا رحيما في كونه أمهلكم ولم يعاجلكم على ما استوجبتموه من العقاب بسبب

والمعنى اكتتبها لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام الاعجاز ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمائر فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى (ح) لا يصح ذلك على مذهب جمهور البصريين لأن اكتتبها له كاتب وصل فيه اكتتب لمفعولين أحدهما مسرح وهو ضمير الاساطير والآخر مقيد وهو ضميره عليه السلام ثم اتسع في الفعل فحذف حرف الجر فصار اكتتبها اياه كاتب فاذا بني للمفعول انما ينوب عن الفاعل المفعول المسرح لفظا وتقديرا لا المسرح لفظا المقيد تقديرا فعلى هذا كان يكون التركيب اكتتبته لا اكتتبها وعلى هذا الذي قلناه جاء السماع من العرب في هذا النوع الذي هو أحد المفعولين فيه مسرح لفظا وتقديرا والآخر مسرح لفظا لا تقديرا قال الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع * ولو جاء على ما قرره (ش) لجاء التركيب ومنا الذي اختيره الرجال لان اختار تعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره اختير من الرجال

مكابرتكم أولما تقدم مايدل على العقاب أعقبه بما يدل على القدرة عليه لان المتصف بالغفران والرحمة قادر على أن يعاقب * وقالوا الضمير لكفار قريش وكانوا قد جمعهم والرسول مجلس مشهور ذكره ابن اسحق في السير فقال عتبة وغيره ان كنت تحب الرئاسة وليناك علينا أو المال جمعنا لك فلما أبى عليهم اجتمعوا عليه فقالوا مالك وأنت رسول من الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق لالتماس الرزق سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقي اليك كنزا تنفق منه أو يرد لك جبال مكة ذهبا وتزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه وأشاعوا هذه المحاجة فنزلت الآية وكتب في المصحف لام الجر مفصولة من هذا وهذا استفهام يصحبه استهزاء أي مال هذا الذي يزعم انه رسول أنكروا عليه ما هو عادة للرسل كما قال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق أي حاله كحالنا أي كان يجب أن يكون مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم قالوا وهب انه بشر فهلا أرفد بملك ينذر معه أو يلقى اليه كنز من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم اقتنعوا بأن يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كالمياسير * وقرئ فتكون بالرفع حكاه أبو معاذ عطفا على أنزل لان أنزل في موضع رفع وهو ماض وقع موقع المضارع أي هلا ينزل اليه ملك أو هو جواب التحضيض على اضمار هو أي فهو يكون وقراءة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض وقوله أو يلقى أو يكون عطف على أنزل أي لولا ينزل فيكون المطلوب أحد هذه الامور أو مجموعها باعتبار اختلاف القائلين ولا يجوز النصب في أو يلقى ولا في أو يكون عطفا على فيكون لانهما في حكم المطلوب بالتحضيض لا في حكم الجواب لقوله لولا أنزل * وقرأ قتادة والاعمش أو يكون بالياء من تحت * وقرأ يأكل بياء الغيبة أي الرسول وزيد بن علي وحمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والاعمش بنون الجمع أي يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم * وقال الظالمون أي المؤمنين * قال الزمخشري وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوه انتهى وتركيبه وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم ليس تركيبا سائغا بل التركيب العربي ان يقول وأرادهم بأعيانهم بالظالمين مسحورا غلب على عقله السحر وهذا أظهر أو ذا سحر وهو الرئة أو يسحر بالطعام وبالشراب أي يغذى أو أصيب سحره كما تقول رأسته أصبت رأسه * وقيل مسحورا ساحرا عنوا به انه بشر مثلهم لا ملك وتقدم تفسيره في الاسراء وبهذين القولين قيل والقائلون ذلك النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم * انظر كيف ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أي فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * وقيل ضربوا لك الأمثال المسحور والكاهن والشاعر وغيره فضلوا أخطؤا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال * وقيل فلا يستطيعون سبيلا الى حجة وبرهان على ما يقولون مرة يقولون هو [illegible] يقول [illegible] من [illegible] ويفترون به ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور * وقال [illegible] لم يتركون [illegible] بقولهم هو مسحور [illegible] عن [illegible] السبيل فلا يجدون [illegible] حق [illegible] * وقال مجاهد لا يجدون مخرجا يخرجهم عن [illegible] ومعنى [illegible] تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ ما أرادوا * وقال [illegible] كيف

اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها الاجل انهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح سبيلا اذ الطعن عليه انما يكون فيما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول * وقال الفراء لا يستطيعون في أمرك حيلة * وقال السدي سبيلا الى الطعن ولما قال المشركون ما قالوا قيل فيما روي أن شئت ان نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم يعط ذلك أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك وليس ذلك بناقصك في الآخرة شيأ وان شئت جمعناه لك في الآخرة فقال يجمع لي ذلك في الآخرة فنزل تبارك الذي * وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال عرض على جبريل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وذلك أكثر لذكري ومسألتي * قال الزمخشري في تبارك أي تكاثر خيرا الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنان والقصور انتهى والاشارة بذلك الظاهر انه الى ما ذكره الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد و يبعد تأويل ابن عباس انه اشارة الى أكله الطعام ومشيه في الاسواق والظاهر ان هذا الجعل كان يكون في الدنيا لو شاء الله * وقيل في الآخرة ودخلت ان على المشيئة تنبيها انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيئته ليس لاحد من العباد على الله حق لا في الدنيا ولا في الآخرة والاول أبلغ في تبكيت الكفار والرد عليهم * قال ابن عطية و يرده قوله بعد ذلك بل كذبوا بالساعة انتهى ولا يرده لان المعنى به متمكن وهو عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتى بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة * وقرأ الجمهور و يجعل بالجزم قالوا عطفا على موضع جعل لان التقدير ان يشأ يجعل و يجوز ان يكون مرفوعا أدغمت لامه في لام لك لكن ذلك لا يعرف الا من مذهب أبي عمرو والذي قرأ بالجزم من السبعة نافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو وليس من مذهب الثلاثة ادغام المثلين اذا تحرك أولهما انما هو من مذهب أبي عمرو كما ذكرنا * وقرأ مجاهد وابن عامر وابن كثير وحميد وأبو بكر ومحبوب عن أبي عمرو بالرفع * قال ابن عطية والاستئناف ووجهه العطف على المعنى في قوله جعل لان جواب الشرط هو موضع استئناف ألا ترى ان الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط * وقال الحوفي من رفع جعله مستأنفا منقطعا مما قبله انتهى * وقال أبو البقاء وبالرفع على الاستئناف * وقال الزمخشري وقرئ و يجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع ليس مذهب سيبويه اذ مذهب سيبويه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به التقديم ولكون الجواب محذوفا لا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى انه هو الجواب وانه على حذف الفاء وذهب غير هؤلاء الى انه هو الجواب وليس على حذف الفاء ولا على التقديم ولما لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم تعمل فيه و بقي مرفوعا وذهب الجمهور الى ان هذا التركيب فصيح وانه جائز في الكلام وقال بعض أصحابنا هو ضرورة اذ لم يجئ الا في الشعر وهو على اضمار الفاء والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو * وقرأ عبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان و يجعل بالنصب على اضمار ان * وقال أبو الفتح هي على جواب الشرط بالواو وهي قراءة ضعيفة انتهى ونظيره هذه القراآت الثلاث قول النابغة

... بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

(ح) هذا الذي ذهب اليه من انه اذا كان فعل الشرط ماضيا جاز في جوابه الرفع ليس مذهب سيبويه اذ مذهب سيبويه ان الجواب محذوف وان هذا المضارع المرفوع النية به التقديم ولكون الجواب محذوفا لا يكون فعل الشرط الا بصيغة الماضي وذهب الكوفيون والمبرد الى أنه هو الجواب وانه على حذف الفاء وذهب غير هؤلاء الى انه هو الجواب وليس على حذف الفاء ولا على التقديم ولما لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضي اللفظ ضعف عن العمل في فعل الجواب فلم يعمل فيه و بقي مرفوعا وذهب الجمهور الى أن هذا التركيب فصيح وانه جائز في الكلام وقال بعض أصحابنا هو ضرورة اذ لم يجيء الا في الشعر وهو على اضمار الفاء والكلام على هذه المذاهب مذكور في علم النحو

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام

يروى بجزم نأخذ ورفعه ونصبه * بل كذبوا بالساعة * قال الكرمانى المعنى مامنعهم من الايمان أكلك الطعام ولامشيك فى السوق بل منعهم تكذيبهم بالساعة * وقيل ليس ماتعلقوا به شبهة بل الحامل على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها وقيل يجوز أن يكون متصلا بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وهم لايؤمنون بالآخرة انتهى وبل لترك اللفظ المتقدم من غير ابطال لمعناه وأخذ فى لفظ آخر وأعتدنا جعلناه معدا * سعيرا نارا كبيرة الايقاد * وعن الحسن اسم من أسماء جهنم * اذا رأتهم قيل هو حقيقة وان لجهنم عينين وروى فى ذلك أثر فان صح كان هو القول الصحيح والا كان مجازا أى صارت منهم بقدر مايرى الرائى من البعد كقولهم دورهم تتراءى أى تتناظر وتتقابل ومنه لاتتراءى ناراهما * وقال قوم النار اسم لحيوان نارى يتكلم ويرى ويسمع ويتغيظ ويزفر حكاه الكرمانى وقيل هو على حذف مضاف أى رأتهم خزنتها من مكان بعيد قيل مسيرة خمسمائة عام وقيل مائة سنة وقيل سنة سمعوا لها صوت تغيظ لان التغيظ لايسمع واذا كان على حذف المضاف كان المعنى تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وقيل سمعوا صوت لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل قول الشاعر

فياليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

وهذا مخرج على تخريجين أحدهما الحذف أى ومعتقلا رمحا والثانى تضمين ضمن متقلدا معنى متسلحا فكذلك الآية أى سمعوا لها ورأوا تغيظا وزفيرا وعاد كل واحد الى مايناسبه أوضمن سمعوا معنى أدركوا فيشمل التغيظ والزفير وانتصب مكانا على الظرف أى فى مكان ضيق * وعن ابن عباس تضيق عليهم ضيق الزج فى الرمح مقرنين قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى أرجلهم الاصفاد وقرأ ابن كثير وعبيد عن أبى عمرو ضيقا قال ابن عطية وقرأ أبو شيبة صاحب معاذ بن جبل مقرنون بالواو وهى قراءة شاذة والوجه قراءة الناس واسندها ابن خالويه الى معاذ بن جبل ووجهها ان يرتفع على البدل من ضمير ألقوا بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال والظاهر دعاء لثبور وهو الهلاك فيقولون واثبوراه أى يقال ياثبور فهذا أوانك * وقيل المدعو محذوف تقديره دعوا من لايجيبهم قائلين ثبرنا ثبورا والثبور قال ابن عباس هو الويل وقال الضحاك هو الهلاك ومنه قول ابن الزبعرى

اذ يجارى الشيطان فى سنن الغى * ومن مال ميله مثبور

* لاتدعوا اليوم قال لهم لاتدعوا أوهم أحق أن يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول أى لاتقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزنا كثيرا وكثرته اما لديمومة العذاب فهو متجدد دائما واما لانه أنواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدته وفظاعته وقرأ عمرو بن محمد ثبورا بفتح الثاء فى ثلاثتها وفعول بفتح الواو فى المصادر قليل نحو البتول وحكى على بن عيسى ماتبرك عن هذا الامر أى ماصرفك كأنهم دعوا بما فعلوا فقالوا واصرفاه عن طاعة الله كما تقول وندامتاه وروى ان أول مايسادى بذلك ابليس يقول واثبوراه حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وهو يقول اقول أتباعه فيقول لهم خزان جهنم لاتدعوا الآية وقيل نزلت فى ابن خطل وأصحابه والظاهر ان الاشارة

[illegible] نحشرهم [illegible] قال ابن عطية وقرأ الأعرج [illegible] بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي أقيس من يفعل بضم العين انتهى هذا ليس كما ذكر بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل و يفعل كثيرا فان شهر أحد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أو لم يسمعا * وقال الجمهور من عبد من يعقل ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير وهو الأظهر لقوله ﴿ أأنتم أضللتم عبادي ﴾ ومابعده من المحاورات التي ظاهرها انها لا تصدر الا من العقلاء جاء مايشبه ذلك (٤٨٦) خصوصا وفي قوله ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ وأأنت قلت للناس اتخذوني وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤل عنه ليجيبوا بما أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم وجاء الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل ولم يأت التركيب أضللتم ولا أم ضلوا لان كلا من الضلال والاضلال واقع والسؤال انما هو عن فاعله وتقدم نظير هذا في قوله أأنت فعلت هذا بآلهتنا و ﴿ سبحانك ﴾ تنزيه لله تعالى أن يشرك معه في العبادة أحد أو يفرد بعبادة ﴿ من أولياء ﴾ مفعول على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على أن يتخذ لأنه معمول لينبغي واذا انتفى الانبغاء لزم منه انتفاء متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا أنا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صلح أن يستدرك بلكن والمعنى لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النعمة وأطلت أعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والايمان بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله تعالى

بذلك الى النار وأحوال أهلها وقيل الى الجنة والكنز في قولهم وقيل الى الجنة والقصور المجعولة في الدنيا على تقدير المشيئة وخير هنا ليست تدل على الافضلية بل هي على ماجرت عادة العرب في بيان فضل الشئ وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله * فشركما لخيركما الفداء * وكقول العرب * الشقاء أحب اليك أم السعادة * وكقوله السجن أحب الي مما يدعونني اليه وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ قال ابن عطية ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجيء لفظه للتفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جائز له أن يوقف محاوره على ماشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أو بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ انتهى وماذكره يخالفه قوله * فشركما لخيركما الفداء * وقوله السجن أحب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا ان تقيد الخبر بانه اذا كان واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد أيهما أفضل فانه يجوز وضمير التي محذوف أي وعدها وضمير مايشاؤن كذلك أي مايشاؤنه وفي قوله مايشاؤنه دليل على ان حصول المرادات بأسرها لا تكون الا في الجنة وشمل قوله جزاء ومصيرا الثواب ومحله كما قال نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي ضده بئس الشراب وساءت مرتفقا لانه بطيب المكان يتضاعف النعيم كما أنه برداءته يتضاعف العذاب وعدا أي موعودا مسؤلا سألته الملائكة في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قاله محمد بن كعب والناس في قولهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال معناه ابن عباس وابن زيد وقال الفراء وعدا مسؤلا أي واجبا يقال لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا أي واجبا وان لم يسأل قيل وماقاله الفراء محال انتهى وليس محالا اذ يكون المعنى انه ينبغي ان يسأل هذا الوعد الذي وعدته أو بصدد ان يسأل أي من حقه ان يكون مسؤلا * وعلى ربك أي بسبب الوعد صار لا بد منه وقال الزمخشري كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسأل و يطلب لانه جزاء وأجر مستحق وهذا على مذهب المعتزلة ﴿ ويوم نحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر

(الدر) (ع) ومن حيث كان الكلام استفهاما جاز فيه مجيء لفظ للتفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جائز له أن يوقف محاوره على ماشاء ليرى هل يجيبه بالصواب أو بالخطأ وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل اذا كان الكلام خبرا لان فيه مخالفة وأما اذا كان استفهاما فذلك سائغ (ح) ماذكره يخالفه قوله * فشركما لخيركما الفداء * وقوله السجن أحب الي فان هذا خبر وكذلك قولهم العسل أحلى من الخل الا ان تقيد الخبر بأنه اذا كان واضحا الحكم فيه للسامع بحيث لا يختلج في ذهنه ولا يتردد أيهما أفضل فانه يجوز

﴿بورا﴾ البور مصدر يوصف به الواحد والجمع وقيل جمع بائر كعائذ وعوذ وقيل فسدى وهو لغة الأزد يقولون أمر بائر أي فاسد وبارت البضاعة فسدت ومنه قولهم أرض بوار أي متعطلة لا نبات فيها ﴿فقد كذبوكم﴾ هذا من قول الله تعالى بلا خلاف وهي مفاجأة بالاحتجاج والالزام والخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله أأنتم أضللتم أي كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ أي بقولهم انكم أضللتموهم وزعمهم انكم أولياؤهم من دون الله تعالى ﴿فما يستطيعون صرفا﴾ لأنفسهم عما هم عليه وما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه ﴿ولا نصرا﴾ لأنفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم ﴿ومن يظلم﴾ الظاهر أنه عام والظلم هنا الشرك ومفعول أرسلنا محذوف تقديره رسولا من المرسلين والجملة بعد إلا في موضع الحال ولما تقدم طعنهم على الرسول عليه الصلاة والسلام بأكل الطعام والمشي في الأسواق أخبر تعالى أن هذه عادة مستمرة في كل رسله عليهم السلام ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره وكذلك لعلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب والتوقيف بـ﴿أتصبرون﴾ خاص للمؤمنين المحققين فهو لأمة محمد عليه الصلاة والسلام كأنه جعل امهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختبارا ثم وقفهم هل تصبرون أم لا ثم أعرب قوله ﴿وكان ربك بصيرا﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ الآية لا يرجون أي لا يخافون ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فتخبرنا انك رسول حقا ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبر بذلك وهذا كله على سبيل التعنت والاقتراح وإلا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا ﴿لقد استكبروا﴾ أي تكبروا ﴿في أنفسهم﴾ أي عظموا أنفسهم بسؤال رؤية الله تعالى وهم لسوا بأهلها واللام في لقد جواب

وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴾ قرأ أبو جعفر والأعرج وابن كثير وحفص يحشرهم وفيقول بالياء فيهما ＊ وقرأ الحسن وطلحة وابن عامر بالنون فيهما ＊ وقرأ باقي السبعة في نحشرهم بالنون

قسم محذوف ﴿وعتوا﴾ تجاوزوا الحد في الظلم ووصف بكبيرا مبالغة في افراطه أي لم يجسروا على هذا القول الا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو وجاء عتوا على الأصل وفي مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل قال ابن عباس عتوا كفروا أشد الكفر وأفحشوا ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يوم منصوب باذكر وهو أقرب أو بفعل يدل عليه ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ أي يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا بشرى لأنه مصدر ولأنه منفي بلا التي لنفي الجنس لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ودخول لا على بشرى لا تفيد نوع البشرى وهذا اليوم الظاهر أنه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى ما عملوا من عمل والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء الذين تعنتوا فيهم والظاهر أن الضمير في ويقولون عائد على القائلين لأنهم المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ثم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولون عند لقاء العدو ونزول الشدة ﴿حجرا محجورا﴾ عوذا يستعيذون من الملائكة وقال أبو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر في حرم أو في شهر حرام إذا لقيه وبينهما ترة ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل﴾ القدوم الحقيقي مستحيل في حق الله تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وانفاذه قيل أو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا أسند ذلك إليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأنها تدل على من يقدم قدوم الآمر المعيد له ومذهب ومثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثرا ولا عينا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وانه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لأن الهباء تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب ﴿خير مستقرا﴾ المستقر مكان الاستقرار في أكثر الأوقات والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح الى الأزواج والتمتع ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور ﴿مقيلا﴾ على طريق التشبيه إذ المكان المتخير للقيلولة

وفي فيقول بالياء * وقرأ الأعرج يحشرهم بكسر الشين * وقال صاحب اللوامح في كل القرآن وهو القياس في الأفعال المتعدية الثلاثية لان يفعل بضم العين قد يكون من اللازم الذي هو فعل بضمها في الماضي * وقال ابن عطية وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي أقيس من يفعل بضم العين انتهى وهذا ليس كما ذكر بل فعل المتعدي الصحيح بجميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل و يفعل كثيرا فان شهر أحد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أولم يسمعا * وما يعبدون * قال الضحاك وعكرمة الاصنام التي لا تعقل يقدرها الله على هذه المقالة من الجواب * وقال الكلبي يحيي الله الأصنام يومئذ لتكذيب عابدها * وقال الجمهور من عبد ممن يعقل ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة وعيسى وعزير وهو الأظهر كقوله أأنتم أضللتم ومابعده من المحاورة التي ظاهرها انها لا تصدر الا من العقلاء وجاء مايشبه ذلك منصوصا في قوله ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤل عنه ليجيبوا بما أجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيزيد حسرتهم و يسر المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وجاء الاستفهام مقدما فيه الاسم على الفعل ولم يأت التركيب أأضللتم ولا أضلوا لان كلا من الاضلال والضلال واقع والسؤال انما هو من فاعله وتقدم نظير هذا في أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * وقال الزمخشري وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم أم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من ضلالهم و يستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا الرحمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا تبرأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منهم فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي أسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم انتهى وهو على طريقة المعتزلة والمعنى أأنتم أوقعتم هؤلاء وتسببتم لهم في اضلالهم عن الحق أم ضلوا بأنفسهم عنه وضل أصله أن يتعدى بعن كقوله من يضل عن سبيله ثم اتسع فحذف وأضله عن السبيل كما ان هدى يتعدى بالى ثم يحذف و يضل مطاوع أضل كما تقول أقعدته فقعد * وسبحانك تنزيه لله تعالى أن يشركه معه في العبادة أحد أو يفرد بعبادة فاني لهم ان يقع منهم اضلال أحد وهم المنزهون المقدسون أو يكون أحد منهم ندا وهو المنزه عن الند والنظير * وقال الزمخشري سبحانك تعجب منهم مما قيل لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه انتهى * وقرأ علقمة ماينبغي بسقوط كان وقراءة الجمهور بثبوتها أمكن في المعنى لانهم أخبروا عن حال كانت في الدنيا ووقت الاخبار لاعمل فيه * وقرأ أبو عيسى الاسود القاري ينبغي لنا مبنيا للمفعول * وقال ابن خالويه زعم سيبويه ان ينبغي لغة * وقرأ الجمهور أن نتخذ مبنيا للفاعل ومن أولياء مفعول على زيادة من وحسن زيادتها انسحاب النفي على نتخذ لانه معمول لينبغي واذا انتفى الابتغاء لزم منه انتفاء متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله ونظيره ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل

يكون أطيب المواضع وفي لفظ أحسن رمز الى ماتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين

(الدر)

(ع) وقرأ الاعرج يحشرهم بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر العين في المتعدي أقيس من يفعل بضم العين (ح) هذا ليس كما ذكر بل فعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فانه جاء على يفعل و يفعل كثيرا فان شهر أحد الاستعمالين اتبع والا فالخيار حتى ان بعض أصحابنا خير فيهما سمعا للكلمة أولم يسمعا

عليكم من خير أي خير والمعنى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولوا دونك * وقال أبو مسلم ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين تريد الكفر فنتولى الكفار قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت * وقرأ أبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي وأخوه الباقر ومكحول والحسن وأبو جعفر وحفص بن عبيد والنخعي والسلمي وشيبة وأبو بشر والزعفراني أن نتخذ مبنيا للمفعول واتخذ مما يتعدى تارة لواحد كقوله أم اتخذوا آلهة من الارض وعليه قراءة الجمهور وتارة الى اثنين كقوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه فقيل هذه القراءة منه فالاول الضمير في نتخذ والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وهذا قول الزمخشري * وقال ابن عطية ويضعف هذه القراءة دخول من في قوله من أولياء اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره * وقال أبو الفتح من أولياء في موضع الحال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول ما اتخذت زيدا من وكيل * وقيل من أولياء هو الثاني على زيادة من وهذا لا يجوز عند أكثر النحويين انما يجوز دخولها زائدة على المفعول الأول بشرطه * وقرأ الحجاج أن نتخذ من دونك أولياء فبلغ عاصما فقال مقت المخدج أو ما علم ان فيها من ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان صلح أن يستدرك بلكن والمعنى لكن أكثرت عليهم وعلى آبائهم النعم وأطلت أعمارهم وكان يجب عليهم شكرها والايمان بما جاءت به الرسل فكان ذلك سببا للاعراض عن ذكر الله * قيل ولكن متعتهم كالرمز الى ما صرح به موسى من قوله ان هي الا فتنتك أي أنت الذي أعطيتهم مطالبهم من الدنيا حتى صاروا غرقى في بحر الشهوات فكان صارفا لهم عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك والذكر ما ذكر به الناس على ألسنة الأنبياء أو الكتب المنزلة أو القرآن * والبور قيل مصدر يوصف به الواحد والجمع * وقيل جمع بائر كعائذ وعوذ * قيل معناه هلكى * وقيل فسدى وهي لغة الأزد يقولون أمر بائر أي فاسد وبارت البضاعة فسدت * وقال الحسن لاخير فيهم من قولهم أرض بور أي معطلة لا نبات فيها * وقيل بورا عميا عن الحق * فقد كذبوكم هذا من قول الله بلا خلاف وهي مفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا نضم اليها الالتفات وهو على اضمار القول كقوله يا أهل الكتاب الى قوله فقد جاءكم أي فقلنا قد جاءكم * وقول الشاعر

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

أي فقلنا قد جئنا وكذلك هذا أي فقلنا قد كذبوكم فان كان تحيب الاصنام فخطاب للكفار أي قد كذبتكم معبوداتكم من الاصنام في قولهم ما كان ينبغي لنا وان كان الخطاب للمعبودين من العقلاء عيسى والملائكة وعزير عليهم السلام وهو الظاهر لتناسق الخطاب مع قوله أأنتم أضللتم أي كذبكم المعبودون * بما تقولون أي بقولهم انكم أضللتموهم وزعمهم أنكم أولياؤهم من دون الله ومن قرأ بما تقولون بتاء الخطاب فالمعنى فيما تقولون أي سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء * وقيل الخطاب للكفار العابدين أي كذبكم المعبودون بما تقولون من انكم آلهة سبحانك ما كان ينبغي لنا أو فيما تقولون أنتم من الافتراء عليهم خوضوا على جهة التوبيخ والتقريع * وقيل هو خطاب للمؤمنين في الدنيا أي قد كذبكم أيها المؤمنون الكفار في الدنيا فيما تقولونه من التوحيد والشرع * وقرأ الجمهور بما تقولون بالتاء من فوق وأبو حيوة وابن الصلت عن قنبل بالياء من تحت * وقرأ حفص وأبو حيوة والاعمش وطلحة فما تستطيعون بتاء الخطاب ويقويه هذه القراءة

أن الخطاب في كذبوكم للكفار العابدين وذكر عن ابن كثير وأبي بكر انهما قرآ بما يقولون فما يستطيعون بالياء فيهما أي هم * صرفاً أي صرف العذاب أو توبة أو حيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال هذا ان كان الخطاب في كذبوكم للكفار فالتاء جارية على ذلك والياء التفات وان كان للمعبودين فالتاء التفات والياء جارية على ضمير كذبوكم المرفوع وان كان الخطاب للمؤمنين أمة الرسول عليه السلام في قوله فقد كذبوكم فالمعنى أنهم شديدو الشكيمة في التكذيب فما تستطيعون أنتم صرفهم عما هم عليه من ذلك وبالياء فما يستطيعون صرفاً لأنفسهم عما هم عليه أوما يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أنتم عليه * ولا نصراً لأنفسهم من البلاء الذي استوجبوه بتكذيبهم * ومن يظلم منكم الظاهر انه عام * وقيل خطاب للمؤمنين * وقيل خطاب للكافرين * والظلم هنا الشرك قاله ابن عباس والحسن وابن جريج ويحتمل دخول المعاصي غير الشرك في الظلم * وقال الزمخشري العذاب الكبير لاحق لكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقرئ يذقه بياء الغيبة أي الله وهو الظاهر * وقيل هو أي الظلم وهو المصدر المفهوم من قوله يظلم أي يذقه الظلم ولما تقدم الطعن على الرسول بأكل الطعام والمشي في الاسواق أخبر تعالى أنها عادة مستمرة في كل رسالة ومفعول أرسلنا عند الزجاج والزمخشري ومن تبعهما محذوف تقديره أحداً وقدره ابن عطية رجالاً أو رسلاً وعاد الضمير في انهم على ذلك المحذوف كقوله ومامنا الاله مقام أي ومامنا أحد والجملة عند هؤلاء صفة أعني قوله الا انهم كأنه قال الا آكلين وماشين وعند الفراء المفعول محذوف وهو موصول مقدر بعد الا أي الا من * انهم والضمير عائد على من على معناها فيكون استثناء مفرغاً وقيل انهم قبله قول محذوف أي الا قيل انهم وهذان القولان مرجوحان في العربية * وقال ابن الانباري التقدير الا وانهم يعني ان الجملة حالية وهذا هو المختار وقد رد على من قال ان ما بعد الا قد يجيء صفة واما حذف الموصول فضعيف وقد ذهب الى حكاية الحال أيضاً أبو البقاء قال وقيل لولم تكن اللام لكسرت لأن الجملة حالية إذ المعنى الا وهم يأكلون * وقرئ انهم بالفتح على زيادة اللام وان مصدرية التقدير الا انهم يأكلون أي ماجعلناهم رسلاً الى الناس الا لكونهم مثلهم * وقرأ الجمهور ويمشون مضارع مشى خفيفاً * وقرأ علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عبد الله يمشون مشدداً مبنياً للمفعول أي يمشيهم حوائجهم والناس قال الزمخشري ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية انتهى وقد قرأ كذلك أبو عبد الرحمن السلمي مشدداً مبنياً للفاعل وهي بمعنى يمشون قراءة الجمهور * قال الشاعر

ومشى بأعطان المباءة وابتغى * قلائص منها صعبة وركوب

* وجعلنا بعضكم * قال ابن عطية هو عام للمؤمن والكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس الكفار في عصره وكذلك العلماء وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الآية حين رأى أشهب انتهى وروى قريب من هذا عن ابن عباس والحسن * قال ابن عطية والتوقيف بأتصبرون خاص للمؤمنين المحقين فهو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه جعل امهال الكفار فتنة للمؤمنين أي اختباراً ثم وقفهم * هل تصبرون أم لا ثم أعرب قوله وكان ربك بصيراً عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين * وقال الزمخشري فتنة أي محنة وبلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه واستبعدوه

(الدر)

(ش) ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية (ح قد قرأ بذلك أبو عبد الرحمن السلمي مشدداً مبنياً للفاعل وهو بمعنى يمشون قراءة الجمهور قال الشاعر

* ومشى باعطان المباءة وابتغى
قلائص منها صعبة وركوب *

من أكله الطعام ومشيه فى الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول جرت عادتى وموجب حكمتى على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا * بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وبغيره فلا يضيقن صدرك ولا تستخفنك أقاويلهم فان فى صبرك عليهم سعادتك وفوزك فى الدارين * وقيل هو تسلية عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل تصبرون وانها حكمته ومشيئته يغنى من يشاء ويفقر من يشاء * وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك منهم خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى * وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ومن فى طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان فرفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض انتهى وفيه تكثير وهذا القول الاخير قول الكلبى والفراء والزجاج والأولى ان قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يشمل معانى هذه الالفاظ كلها لأن بين الجميع قدرا مشتركا * وقيل فى قوله أتصبرون انه استفهام بمعنى الامر أى اصبروا والظاهر حمل الرجاء على المشهور من استعماله والمعنى لا يأملون لقاءنا بالخير وثوابنا على الطاعة لتكذيبهم بالبعث لكفرهم بما جئت به * وقال أبو عبيدة وقوم معناه لا يخافون * وقال الفراء لا يرجون نشورا لا يخافون وهذه الكلمة تهامية وهى أيضا من لغة هذيل اذا كان مع الرجاء جحد ذهبوا به الى معنى الخوف فتقول فلان لا يرجو ربه يريدون لا يخاف ربه ومن ذلك مالكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون لله عظمة واذا قالوا فلان يرجو ربه فهذا معنى الرجاء لا على الخوف * وقال الشاعر

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عوامل

* وقال آخر *

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا * أسبعة لاقت معا أم واحدا

انتهى ومن لازم الرجاء ثواب الخوف من العقاب ومن كان مكذبا بالبعث لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ومن تأول لم يرج لسعها على معنى لم يرج دفعها ولا الانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد فى شغله فتأويله ممكن لكن الفراء وغيره نقلوا ذلك لغة لهذيل فى النفى والشاعر هذلى فينبغى أن لا يتكلف التأويل وان يحمل على لغته * لولا أنزل علينا الملائكة فتخبرنا انك رسول حقا * أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك قاله ابن جريج وغيره وهذه كما قالت اليهود لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقولهم أعنى المشركين أو تأتى بالله والملائكة قبيلا وهذا كله فى سبيل التعنت والا فما جاءهم به من المعجزات كاف لو وفقوا * لقد استكبروا أى تكبروا فى أنفسهم أى عظموا أنفسهم بسؤال رؤية الله وهم ليسوا بأهل لها والمعنى أن سؤال ذلك تعجرفوا صدروا فى أنفسهم من الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد الكامن فى قلوبهم الظاهر عنه ما لا يقع لهم كما كان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه واللام فى لقد جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا الحد فى الظلم ووصفه بكبير مبالغة فى افراطه أى لم يجسروا على هذا القول العظيم الا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو وجاء هنا

عتوا على الاصل وفى مريم عتيا على استثقال اجتماع الواوين والقلب لمناسبة الفواصل * قال ابن عباس عتوا كفروا وأشد الكفر وأفحشوا * وقال عكرمة تجبروا * وقال ابن سلام عصوا * وقال ابن عيسى أسرفوا * قال الزمخشرى هذه الجملة فى حسن استيفائها غاية فى أسلوبها * ونحوه قول القائل

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

فى نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى ان المعنى ما أشد استكبارهم وما أكثر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب * يوم يرون الملائكة يوم منصوب باذكر وهو أقرب أو بفعل يدل عليه لا بشرى أى يمنعون البشرى ولا يعمل فيه لا بشرى لأنه مصدر ولأنه منفى بلا التى لنفى الجنس لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وكذا الداخلة على الاسماء عاملة عمل ليس ودخول لا على بشرى لانتفاء أنواع البشرى وهذا اليوم الظاهر انه يوم القيامة لقوله بعد وقدمنا الى ما عملوا * وعن ابن عباس عند الموت والمعنى ان هؤلاء الذين اقترحوا نزول الملائكة لا يعرفون ما يكون لهم اذا رأوهم من الشر وانتفاء البشارة وحصول الخسار والمكروه واحتمل بشرى أن يكون مبنيا مع لا واحتمل أن يكون فى نية التنوين منصوب اللفظ ومنع من الصرف للتأنيث اللازم فان كان مبنيا مع لا احتمل أن يكون الخبر يومئذ وللمجرمين خبر بعد خبر أو نعت لبشرى أو متعلق بما تعلق به الخبر وان يكون يومئذ صفة لبشرى والخبر للمجرمين ويجىء خلاف سيبويه والاخفش هل الخبر لنفس لا أو الخبر للمبتدأ الذى هو مجموع لا وما بنى معها وان كان فى نية التنوين وهو معرب جاز أن يكون يومئذ معمولا لبشرى وأن يكون صفة والخبر من الخبر وأجاز أن يكون يومئذ وللمجرمين خبر وجاز أن يكون يومئذ خبرا وللمجرمين صفة والخبر اذا كان الاسم ليس مبنيا لنفس لا باجماع * وقال الزمخشرى ويومئذ للتكرير وتبعه أبو البقاء ولا يجوز أن يكون تكريرا سواء أريد به التوكيد اللفظى أم أريد به البدل لأن يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر أو من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة فى الاسم لا يعمل فيه ما قبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ما قبل الا والظاهر عموم المجرمين فيندرج هؤلاء القائلون فيهم * قيل ويجوز أن يكون من وضع الظاهر موضع الضمير والظاهر أن الضمير فى ويقولون عائد على القائلين لأن المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ثم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة وقال معناه مجاهد قال حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * وقال مجاهد وابن جريج كانت العرب اذا كرهت شيأ قالوا حجرا * وقال أبو عبيدة هاتان اللفظتان عوذة للعرب يقولها من خاف آخر فى الحرم أو فى شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة انتهى * ومنه قول المتلمس

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاليس

أى هذا الذى حنت اليه هو ممنوع وذكر سيبويه حجرا فى المصادر المنصوبة غير المتصرفة * وقال بعض الرجاز

قالت وفيها حيرة وذعر * عوذ بربى منكم وحجر

وأنه واجب اضمار ناصبها * قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول حجرا وهى من حجره اذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه لا يلحقه * وقرأ أبو رجاء والحسن

(الدر)

ش) ويومئذ للتكرير انتهى (ح) تبعه أبو البقاء فى ذلك ولا يجوز أن يكون تكريرا سواء أريد به التوكيد اللفظى أم أريد به البدل لان يوم منصوب بما تقدم ذكره من اذكر أو من يعدمون البشرى وما بعد لا العاملة فى الاسم لا يعمل فيه ماقبلها وعلى تقديره يكون العامل فيه ماقبل لا

﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ الظاهر ان السماء هي المظلة لنا والباء باء الحال أي متغيمة أو باء السبب أي بسبب طلوع الغمام منه كأنه الذي ينشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة ﴿ونزل الملائكة﴾ أي الى الارض لوقوع الجزاء والحساب والحق صفة للملك أي الثابت لأن كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه * وخبر ﴿الملك يومئذ﴾ وللرحمن متعلق بالحق أو للبيان أي أعني للرحمن وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمنين ففي الحديث انه يهون حتى يكون على المؤمن أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ قيل سبب نزولها هو عقبة وأبي وقيل كان عقبة خليلا لامية فاسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد لرضا أمية فنزلت وذكر من اساءة عقبة الى الرسول ما كان سببا ان قال له الرسول عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة لا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا فضرب عنقه وقتل أبي بن خلف يوم أحد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بندم الظالم وتمنيه انه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ضال لا وله في العادة خليل خاص به يعتبر بعضه عض وقيل كناية عن [illegible] كما ان فل كناية عن سكرة من يعض [illegible] تقول [illegible] يعض يديه [illegible] القرآن أو الموعظة و [illegible] شيطانا على ظهره [illegible] شيطانا لأنه أضل كما أضل الشيطان [illegible] للّه صلى اللّه عليه وسلم [illegible] بقوله [illegible]

والضحاك حجرا بضم الحاء * وقيل الضمير في ويقولون عائد على الملائكة أي تقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى ومحجورا صفة تؤكد معنى حجرا كما قالوا موت مائت وذيل ذائل والقدوم الحقيقي مستحيل في حق اللّه تعالى فهو عبارة عن حكمه بذلك وانفاذه * قيل أو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا وأسند ذلك اليه لأنه عن أمره وحسنت لفظة قدمنا لأن القادم على شيء مكروه لم يقرره ولا أمر به مغير له ومذهب فمثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد الى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثرا وفي أمثالهم أقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء لقلته وأنه لا ينتفع به ثم وصفه بمنثورا لأن الهباء تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب * وقال الزمخشري أو جعله يعني منثورا مفعولا ثالثا لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء انتهى وخالف ابن درستويه فخالف النحويين في منعه أن يكون لكان خبران وأزيد وقياس قوله في جعل أن يمنع أن يكون لها خبر ثالث * وقال ابن عباس الهباء المنثور ما تسفي به الرياح وتبثه وعنه أيضا الهباء الماء المهراق والمستقر مكان الاستقرار في أكثر الاوقات والمقيل المكان الذي يأوون اليه في الاسترواح الى الازواج والتمتع ولا نوم في الجنة فسمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه اذ المكان المتخير للقيلولة يكون أطيب المواضع وفي لفظ أحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين * وخير قيل ليست على بابها من استعمالها دالة على الأفضلية فيلزم من ذلك خير في مستقر أهل النار ويمكن ابقاؤها على بابها ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الذي وقع ذلك فيه والمعنى خير مستقرا في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا وأحسن مقيلا في الآخرة من أولئك في الدنيا * وقيل خير مستقرا منهم لو كان لهم مستقر فيكون التقدير وجود مستقر لهم فيه خير * وعن ابن مسعود وابن عباس والنخعي وابن جبير وابن جريج ومقاتل ان الحساب يكمل في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ويقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن [illegible]

الاقتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق قال الزمخشري نزل هاهنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لا يقتضي التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك في أول آل عمران وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والانجيل وقيل قائلو ذلك اليهود * والكاف في ﴿كذلك﴾ للتشبيه وذلك اشارة الى تنزيله مفرقا و ﴿لنثبت﴾ متعلق بنزلناه المحذوفة ﴿ورتلناه﴾ أي فصلناه ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في هذه بالتوراة والانجيل الا جاء القرآن بالحق في ذلك ثم هو أوضح بيانا وتفصيلا ﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾ الظاهر أنهم لما اعترضوا في حديث القرآن وانزاله مفرقا كان في ضمن كلامهم انهم ذو ورشد وخير وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فاخبر تعالى بحالهم وما يؤول اليه أمرهم في

الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا * قرأ الحرميان وابن عامر تشقق بادغام التاء من تتشقق في الشين هنا وفي ق وباقي السبعة بحذف تلك التاء ويعني يوم القيامة كقوله السماء منفطر به * وقرأ الجمهور ونزل ماضيا مشددا مبنيا للمفعول وابن مسعود وأبو رجاء ونزل ماضيا مبنيا للفاعل وعنه أيضا وأنزل مبنيا للفاعل وجاء مصدره تنزيلا وقياسه انزالا الا أنه لما كان معنى أنزل ونزل واحدا جاز مجيء مصدر أحدهما للآخر كما قال الشاعر * حتى تطويت انطواء الخصب * كأنه قال حتى انطويت * وقرأ الأعمش وعبد الله في نقل ابن عطية وأنزل ماضيا رباعيا مبنيا للمفعول مضارعه ينزل * وقرأ جناح بن حبيش والخفاف عن أبي عمرو ونزل ثلاثيا مخففا مبنيا للفاعل وهارون عن أبي عمرو وتنزل بالتاء من فوق مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل وأبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو ونزل الملائكة بضم النون وشد الزاي أسقط النون من ونزل وفي بعض المصاحف ونزل بالنون مضارع نزل مشددا مبنيا للفاعل ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده قال وهي قراءة أهل مكة وروبت عن أبي عمرو وعن أبي أيضا وتنزلت * وقرأ أبي ونزلت ماضيا مشددا مبنيا للمفعول بتاء التأنيث * وقال صاحب اللوامح عن الخفاف عن أبي عمرو ونزل مخففا مبنيا للمفعول الملائكة رفعا فان صحت القراءة فانه حذف منها المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وتقديره ونزل نزول الملائكة فحذف النزول ونقل اعرابه الى الملائكة بمعنى نزل نازل الملائكة لان المصدر يكون بمعنى الاسم وهذا مما يجيء على مذهب سيبويه في ترتيب اللازم للمفعول به لان الفعل يدل على مصدره انتهى * وقال أبو الفتح وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى الى مفعول فيبنى هنا للملائكة ووجهه أن يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا أزكمه الله وأجنه وهذا باب سماع لا قياس انتهى فهذه احدى عشرة قراءة والظاهر أن الغمام هو السحاب المعهود * وقيل هو الذي في قوله في ظلل من الغمام * وقال ابن جريج الغمام الذي يأتي الله فيه في الجنة زعموا * وقال الحسن سترة بين السماء والارض تعرج الملائكة فيه تنسخ أعمال بني آدم ليحاسبوا * وقيل غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم والظاهر ان السماء هي المظلة لنا * وقيل تتشقق سماء سماء قاله مقاتل والباء باء الحال أي متغيمة أو باء السبب أي بسبب طلوع الغمام منه كأنه الذي تتشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به أو بمعنى عن أقوال ثلاثة والفرق بين الباء السببية وعن ان انشق عن

الآخرة بكونهم شر مكانا وأضل سبيلا والظاهر أنه يحشر الكافر على وجهه بان يسحب على وجهه وفي الحديث ان الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وقيل هو مجاز للذلة المفرطة والهوان والخزي وأعربوا الذين مبتدأ والجملة من أولئك في موضع الخبر ويجوز عندي أن يكون الذين خبر مبتدأ محذوف لما تقدم ذكر الكافرين وما قالوا قال ايعادا لهم وتسميعا بما يؤول اليه حالهم هم الذين يحشرون ثم استأنف اخبارا آخر عنهم فقال أولئك شر مكانا

كذا تفتح عنه وانشق بكذا انه هو الشاق له * ونزل الملائكة أي الى الأرض لوقوع الجزاء والحساب * والحق صفة للملك أي الثابت لان كل ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى وخبر الملك يومئذ * والرحمن متعلق بالحق أو للبيان أعني للرحمن * وقيل الخبر للرحمن ويومئذ معمول للملك * وقيل الخبر الحق وللرحمن متعلق به أو للبيان وعسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النار وما في خلال ذلك من المخاوف ودل قوله على الكافرين على تيسيره على المؤمنين ففي الحديث انه يهون حتى يكون على المؤمن أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والظاهر عموم الظالم إذ اللام فيه للجنس قاله مجاهد وأبو رجاء وقالا فلان هو كناية عن الشيطان * وقال ابن عباس وجماعة الظالم هنا عقبة بن أبي معيط اذ كان جنح الى الاسلام وأبي بن خلف هو المكنى عنه بفلان وكان بينهما مخالة فنهاه عن الاسلام فقبل منه * وعن ابن عباس أيضا عكس هذا القول * قيل وسبب نزولها هو عقبة وأبي * وقيل كان عقبة خليلا لأمية فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد لرضا أمية فنزلت قاله الشعبي وذكر من سفاهة عقبة على الرسول ما كان سبب أن قال له الرسول عليه السلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا فضرب عنقه وقتل أبي بن خلف يوم أحد في المبارزة والمقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه انه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ظالم إلا وله في الغالب خليل خاص به يعبر عنه بفلان والظاهر ان العض هنا عض على يديه فعل النادم المتفجع * وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت ولا يزال كذلك كلما أكلها نبتت * وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع ونقل أئمة اللغة ان المتأسف المتحزن المتندم يعض على ابهامه ندما وقال الشاعر

لطمت خدها بحمر لطاف * نلن منها عذاب بيض عذاب

فتشكى العناب نور اقاح * وشكى لورد ناضر العناب

وفي المثل يأكل يديه ندما ويسيل دمعه دما * وقال الزمخشري عض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وفروتها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه [illegible] وقال الشاعر في حرق الناب

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

* يقول في موضع الحال أي قائلا ياليتني [illegible] كان [illegible] والمعنى يتمنى عقبة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] طريقا حتى [illegible] المعنى يتمنى [illegible] الطريق الرسول وهو الايمان ويكون الرسول للجنس لان كل ظالم [illegible] رسول من [illegible] الله المحمدية [illegible] جميع [illegible] والحسرة يقول ياويلتى أي يا هلكتي كقوله يا حسرتا على ما فرطت [illegible] والحسرة [illegible] وقرئ ياويلتي بكسر التاء وبياء الاضافة وهو الأصل لان الرجل [illegible] الكسائي [illegible] كقوله تعالى وهذا [illegible] أواثت [illegible] وقرئ [illegible] الاضافة ياء فأبدلت الكسرة فتحة والياء ألفا [illegible] فلان كناية

(الدر)

(ح) فلان كناية عن العلم وهو منصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يارجل وهو مختص بالنداء وفلة بمعنى يا امرأة كذلك ولام فل ياء أو واو وليس مرخما من فلان خلافا للفراء ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم فل كناية عن العلم كفلان في كتاب سيبويه ما قلناه بالنقل عن العرب

عن العلم. وهو متصرف وفل كناية عن نكرة الانسان نحو يارجل وهو مختص بالنداء، وفلة بمعنى يا امرأة كذلك ولام فل ياء أو واو وليس مرخما من فلان خلافا للفراء، ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم فل كناية عن العلم كفلان وفي كتاب سيبويه ماقلناه بالنقل عن العرب * والذكر ذكر الله أو القرآن أو الموعظة والظاهر حمل الشيطان على ظاهره لانه هو الذي وسوس اليه في مخالة من أضله سماه شيطانا لانه يضل كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة وتحتمل هذه الجملة أن تكون من تمام كلام الظالم ويحتمل أن تكون اخبارا من كلام الله على جهة الدلالة على وجه ضلالهم والتحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك المبلغ * وفي الحديث الصحيح تمثيل الجليس الصالح بالمسك والجليس السوء بنافخ الكير والظاهر أن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم به واخباره بهجر قومه قريش القرآن هو مما جرى له في الدنيا بدليل إقباله عليه مسليا مؤانسا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وانه هو الكافي في هدايته ونصره فهو وعد منه بالنصر وهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه * وقالت فرقة منهم أبو مسلم انه قوله عليه السلام في الآخرة كقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والظاهر ان مهجورا بمعنى متروكا من الايمان به بعيدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وقاله مجاهد والنخعي وأتباعه * وقيل من الهجر والتقدير مهجورا فيه بمعنى انه باطل * وأساطير الأولين انهم اذا سمعوه هجروا فيه كقوله وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه * قال الزمخشري ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمحلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا انتهى * وانتصب هاديا ونصيرا على الحال أو على التمييز * وقالوا أي الكفار على سبيل الاقتراح والاعتراض الدال على نفورهم عن الحق * قال الزمخشري نزل ههنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا انتهى وانما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو * وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لاتقتضي التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك في أول آل عمران وقائل ذلك كفار قريش قالوا لو كان هذا من عند الله لنزل جملة كما نزلت التوراة والانجيل * وقيل قائلوا ذلك اليهود وهذا قول لاطائل تحته لان أمر الاحتجاج به والاعجاز لايختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا بل الاعجاز في نزوله مفرقا أظهر اذ يطالبون بمعارضة سورة منه فلو نزل جملة واحدة وطولبوا بمعارضته مثل مانزل لكانوا أعجز منهم حين طولبوا بمعارضة سورة منه فعجزوا والمشار اليه غير مذكور * فقيل هو من كلام الكفار وأشاروا الى التوراة والانجيل أي تنزيلا مثل تنزيل تلك الكتب الالهية جملة واحدة ويبقى لنثبت به فؤادك تعليلا لمحذوف أي فرقناه في أوقات لنثبت به فؤادك * وقيل هو مستأنف من كلام الله تعالى لامن كلامهم ولما تضمن كلامهم معنى لم أنزل مفرقا أشير بقوله كذلك الى التفريق أي كذلك أنزل مفرقا * قال الزمخشري والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لكان يعيا في حفظه والرسول عليه السلام فارقت حاله حال داود وموسى وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لايكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة * وقيل في ثلاث وعشرين سنة وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجواب السائلين ولان

(الدر)

(ش) نزل ههنا بمعنى أنزل لاغير كخبر بمعنى أخبر والا كان متدافعا (ح) انما قال ان نزل بمعنى أنزل لان نزل عنده أصلها أن تكون للتفريق فلو أقره على أصله عنده من الدلالة على التفريق تدافع هو وقوله جملة واحدة وقد قررنا ان نزل لاتقتضي التفريق لان التضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة وقد بينا ذلك في أول آل عمران

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ الآية لما تقدم تكذيب قريش والكفار لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر تعالى ما فيه تسلية له عليه الصلاة والسلام وارهاب للمكذبين وتذكير أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة لما كذبوا رسلهم فناسب أولا أن ذكر من نزل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به (٤٩٧) فكذلك هؤلاء لو نزل عليه القرآن جملة واحدة لكفروا وكذبوا كما كذب قوم موسى * الكتاب هنا التوراة * وهرون بدل أو عطف بيان * ووزيرا مفعول ثان لجعلناه والمذهوب اليهم القبط وفرعون وفى الكلام حذف تقديره فذهبا وأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم والتدمير أشد الاهلاك ﴿وقوم نوح﴾ هو منصوب باضمار فعل تقديره وأهلكنا قوم نوح أو معطوف على ضمير نصب فى دمرناهم وأجاز أن يكون منصوبا على الاشتغال أى وأغرقنا قوم نوح وهو قد يجوز لان لما [illegible] كانت ظرفا [illegible] هم بعضهم [illegible] في موضع [illegible] وناصبه أغرقناهم [illegible] وجوب وهو [illegible] أغرقناهم جواب [illegible] وهو لا يجوز أن يفسر [illegible] أولئك المتقدمة [illegible] حسن دخول [illegible] عليه من [illegible]

بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا انتهى * واللام فى لنثبت به لام العلة * وقال أبو حاتم هى لام القسم والتقدير والله لنثبتن فحذفت النون وكسرت اللام انتهى وهذا قول فى غاية الضعف وكان ينحو الى مذهب الأخفش ان جواب القسم يتلقى بلام كى وجعل منه ولتصغى اليه أفئدة وهو مذهب مرجوح * وقرأ عبد الله ليثبت بالياء أى ليثبت الله ورتلناه أى فصلناه * وقيل بيناه * وقيل فسرناه * ولا يأتونك بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم فى هذه بالتوراة والانجيل الا جاء القرآن بالحق فى ذلك ثم هو أوضح بيانا وتفصيلا * وقال الزمخشرى ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا أو ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته انتهى * وقيل ولا يأتونك بشبهة فى ابطال أمرك الا جئناك بالحق الذى يدحض شبهة أهل الجهل ويبطل كلام أهل الزيغ والمفضل عليه محذوف أى وأحسن تفسيرا من مثلهم ومثلهم قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * والذين يحشرون * قال الكرمانى متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ الآية * قيل ويجوز أن يكون متصلا بقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين انتهى والذى يظهر [illegible] اعترضوا فى حديث القرآن وانزاله مفرقا كان فى ضمن كلامهم [illegible] وانهم على طريق مستقيم ولذلك اعترضوا فأخبر تعالى بحالهم وما يؤول اليه أمرهم فى الآخرة [illegible] وأضل سبيلا والظاهر انه يحشر الكافر على وجهه [illegible] على وجهه وفى [illegible] الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وهذا قول الجمهور * وقيل هو [illegible] والهوان والخزى * وقيل هو من قول العرب [illegible] على وجهه [illegible] على وجهه اذا أسرع متوجها القصد وتمر [illegible] مكانا أى مستقرا وهو مقابل لقوله خير مستقرا [illegible] المستقر وأعربوا الذين مبتدأ وخبره من أولئك فى موضع خبر ويجوز [illegible] أن يكون [illegible] خبر مبتدأ محذوف لما تقدم ذكر الكافرين [illegible] الذين يحشرون ثم استأنف [illegible] أخبر عنهم فقال أولئك شر مكانا * ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا [illegible] وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية [illegible]

[illegible] وتصب كلا الأول على الاشتغال [illegible] الأمثال أى بينا لهم القصص العجيبة من قصص [illegible] والصغير فى [illegible] لقريش [illegible] أى أمطرت عليهم من [illegible]

﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيعتبروا بما جرى لأهلها ثم أضرب ببل والمعنى أنهم حلهم على عدم الاعتبار كونهم لا يؤمنون بالبعث وهو النشور ﴿وإذا رأوك﴾ تقدم الكلام على نظير هذا الجملة في الأنبياء وبعث صلة للذي وضميره محذوف ورسولا منصوب على الحال ﴿إن كاد﴾ إن هي المخففة من الثقيلة واسم كاد ضمير يعود على الرسول واللام هي الفارقة بين إن النافية وإن المخففة وتقدم الكلام على هذا في أول البقرة في قوله وإن كانت لكبيرة ومذهب الكوفيين في ذلك ﴿أن صبرنا﴾ في موضع مبتدإ وخبره محذوف تقديره لولا صبرنا موجود وجواب لولا محذوف تقديره لأضلنا والظاهر أن من استفهامية مبتدأ وأضل خبره والجملة

في موضع نصب ليعلمون ويعلمون معلق ويجوز أن تكون من موصولة مفعولة بيعلمون وأضل خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أضل وهذه الجملة صلة لمن وجاز حذف هذا الضمير للاستطالة التي حصلت بالتمييز كما حصلت في قول العرب ما أنا بالذي قائل لك سوأ ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ هذا إياس عن إيمانهم وإشارة إليه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأسف عليهم وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم ثم ذكر أنهم أضل سبيلا من الأنعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله تعالى والأنعام لا سبيل لها إلى فهم المصالح وأرأيت استفهام تعجب من جهل من هذه حالته وآلهة المفعول

وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴿ لما تقدم تكذيب قريش والكفار لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر تعالى ما فيه تسلية للرسول وإرهاب للمكذبين وتذكير لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من هلاك الاستئصال لما كذبوا رسلهم فناسب أن ذكر أولا من نزل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به فكذلك هؤلاء لو نزل عليه القرآن دفعة لكذبوا وكفروا كما كذب قوم موسى * والكتاب هنا التوراة وهارون بدل أو عطف بيان واحتمل أن يكون معه المفعول الثاني لجعلنا وأن يكون وزيرا والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في الزمان الواحد أنبياء يوازر بعضهم بعضا والمذهوب إليهم القبط وفرعون وفي الكلام حذف أي فذهبا وأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم والتدمير أشد الإهلاك وأصله كسر الشيء على وجه لا يمكن إصلاحه وقصة موسى ومن أرسل إليه ذكرت منتهية في غير ما موضع وهنا اختصرت فأوجز بذكر أولها وآخرها لأنه بذلك يلزم الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم * وقرأ علي والحسن ومسلمة بن محارب فدمراهم على الأمر لموسى وهارون وعن علي أيضا كذلك إلا أنه مؤكدا بالنون الشديدة وعنه أيضا فدمرا أمر لهما بهم بباء الجر ومعنى الأمر كونا سبب تدميرهم * وانتصب وقوم نوح على الاشتغال وكان النصب أرجح لتقدم الجمل الفعلية قبل ذلك ويكون لما في هذا الإعراب ظرفا على مذهب الفارسي وأما إن كانت حرف وجوب لوجوب فالظاهر أن أغرقناهم جواب لما فلا يفسر ناصبا لقوم فيكون معطوفا على المفعول في فدمرناهم أو منصوبا على مضمر تقديره اذكر وقد جوز الوجوه الثلاثة الحوفي * لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله أو جعل تكذيبهم لنوح تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة والظاهر عطف وعادا على وقوم * وقال أبو إسحاق يكون معطوفا على الهاء والميم في وجعلناهم للناس آية * قال ويجوز أن يكون معطوفا على الظالمين لأن التأويل وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وثمودا * وقرأ عبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى وثمود غير مصروف * وأصحاب الرس * قال ابن عباس هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لأن العطف يقتضي التغاير * وقال قتادة أهل قرية من اليمامة يقال لها

الأول لاتخذ وهواه الثاني أي أقام مقام إلهه الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى أنه لم يتخذ إلها إلا هواه ومفعول أرأيت الأول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم لنا الكلام في أرأيت في أوائل الأنعام ومعنى ﴿وكيلا﴾ أي هل تستطيع أن تدعوه إلى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وأم منقطعة تتقدر ببل والهمزة كأنه قال بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى خفت بالإضراب عنها إليها وهو كونهم مسلوبي الأسماع كالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم انتقل إلى إضراب آخر بقوله بل هم أضل أي أشد في الضلال من الأنعام وحذف من الأنعام

الرس والفلج * قيل قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح * وقال كعب ومقاتل والسدي بئر بانطاكية الشام قتل فيها صاحب ياسين وهو حبيب النجار * وقيل قتلوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيه * وقال وهب والكلبي أصحاب الرس وأصحاب الأيكة قومان أرسل اليهما شعيب أرسل الى أصحاب الرس وكانوا قوما من عبدة الأصنام وأصحاب آبار ومواش فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينماهم حول الرس وهي البئر غير المطوية وعن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبدارهم * وقال علي فيما نقله الثعلبي قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت رسوا نبيهم في بئر حفروه وله في حديث طويل وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان صلى الله عليه وسلم كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فج وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا * وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود * وقال ابن عباس الرس بئر أذربيجان * وقيل الرس ما بين نجران الى اليمن الى حضرموت * وقيل قوم بعث الله اليهم أنبياء فقتلوهم ورسوا عظامهم في بئر * وقيل قوم بعث اليهم نبي فأكلوه * وقيل قوم نساؤهم سواحق * وقيل الرس ماء ونخل لبني أسد * وقيل الرس نهر من بلاد المشرق بعث الله اليهم نبيا من أولاد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكا الى الله منهم فحفروا له بئرا وأرسلوه فيها وقالوا نرجو أن يرضى عنا الهنا فكانوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم فدعا بتعجيل قبض روحه فمات وأظلتهم سحابة سوداء أذابتهم كما يذوب الرصاص * وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الرس أخذوا نبيهم فرسوه في بئر وأطبقوا عليه صخرة فكان عبد اسود قد آمن به يجيء بطعام الى تلك البئر فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها فيعطيه ما يغذيه به ثم يرد الصخرة الى ان ضرب الله يوما على اذن ذلك الاسود بالنوم أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل * قال الطبري فيمكن انهم كفروا بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية وكثر الاختلاف في أصحاب الرس فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه (وملخص هذه الاقوال) انهم قوم أهلكهم الله بتكذيب من أرسل اليهم * وقرونا بين ذلك هذا ابهام لا يعلم حقيقة ذلك الا الله وذلك اشارة الى أولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول بين عليه من غير أن يعطف عليه شيء كأنه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها [illegible] وانتصب كلا الاول على الاشتغال أي وأنذرنا كلا أو حذرنا كلا والثاني على انه معمول بتبرنا لانه لم يأخذ معمولا وهذا من واضح الاعراب ومعنى ضرب الامثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الاولين ووصف لهم ما أدى اليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره اياهم ليهتدوا بضرب الامثال فلم يهتدوا وأبعد من جعل الضمير في له للرسول صلى الله عليه وسلم قال والمعنى وكل الامثال ضربنا للرسول وعلى هذا وكلا منصوب بمضمر [illegible] من كلا والضمير في ولقد أتوا لقريش كانوا يمرون على سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم الى الشام وكانت قرى خمسة أهلك الله منها أربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس ومطر السوء الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا وكان ابراهيم عليه السلام ينادي [illegible] يا سدوم يوم لكم من الله [illegible] الله [illegible] ومعنى أتوا مروا [illegible] وأفرد لفظ [illegible] [illegible]

القرى وأعظمها * وقال مكي الضمير في أتوا عائد على الذين اتخذوا القرآن مهجورا انتهى وهم قريش وانتصب مطر على انه مفعول ثان لامطرت على معنى أوليت أو على انه مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء * أفلم يكونوا يرونها أي ينظرون الى مافيها من العبر والآثار الدالة على ماحل بها من النقم كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل * وقال وانهما لبامام مبين وهو استفهام معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا بروءيتها أن يحل بهم في الدنيا ماحل بأولئك بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة وضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم الى ثواب أعمالهم أولا يخافون على اللغة التهامية * وقرأ زيد بن علي مطرت ثلاثيا مبنيا للمفعول ومطر متعد * قال الشاعر * كمن بواديه بعد المحل ممطور * وقرأ أبو السمال مطر السوء بضم السين * واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا لم يقتصر المشركون على انكار نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وترك الايمان به بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار حتى يقول بعضهم لبعض أهذا الذي بعث الله رسولا وان نافية جواب اذا وانفردت اذا بانه اذا كان جوابها منفيا بما أو بلا لا تدخله الفاء بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء مع ما ومع لا اذا ارتفع المضارع فلو وقعت ان النافية في جواب غير اذا فلا بد من الفاء كما النافية ومعنى هزوا موضع هزء أو مهزوا به * أهذا قبله قول محذوف أي يقولون وقال جواب اذا ما أضمر من القول أي واذا رأوك قالوا أهذا الذي بعث الله رسولا وان يتخذونك جملة اعتراضية بين اذا وجوابها * قيل ونزلت في أبي جهل كان اذا رأى الرسول عليه الصلاة والسلام قال أهذا الذي بعث الله رسولا وأخبر بلفظ الجمع تعظيما لقبح صنعه أو لكون جماعة معه قالوا ذلك والظاهر ان قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار منهم أخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا زعم أو ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا * وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث اللفظ مجرى التقييد للحكم المطلق قاله الزمخشري * وقال أبو عبد الله الرازي الاستهزاء اما بالصورة فكان أحسن منهم خلقة أو بالصفة فلا يمكن لان الصفة التي تميز بها عنهم ظهور المعجز عليه دونهم وماقدروا على القدح في حجته ففي الحقيقة هم الذين يستحقون أن يهزأ بهم ثم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول عليه الصلاة والسلام انتهى * قيل وتدل الآية على أنهم صاروا في ظهور حجته عليه الصلاة والسلام عليهم كالمجانين استهزؤا به أولا ثم انهم وصفوه بانه كاد ليضلنا عن مذهبنا لولا انا قابلناه بالجحود والاصرار وهذا يدل على انهم سلموا له قوة الحجة وكمال العقل فكونهم جمعوا بين الاستهزاء به وبين هذه المكيدة دل على انهم كانوا كالمتحيرين في أمره تارة يستهزؤن منه وتارة يصفونه بما لا يليق الا بالعالم الكامل * وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال فلا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير ولما قالوا ان كاد ليضلنا قوله من أضل سبيلا أي سيظهر لهم من المضل ومن الضال بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه والظاهر ان من استفهامية وأضل خبره والجملة في موضع مفعول يعلمون ان كانت

﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل﴾ الآية لما بين تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقهم ذكر أنواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها فبدأ بأحوال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وان ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على ألم تر في البقرة والمعنى ألم تر الى صنع ربك وقدرته * وكيف سؤال عن حال في موضع نصب بمد والجملة في موضع متعلق ألم تر لأن تر معلقة والجملة الاستفهامية التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى ألم تر الى مد ربك الظل ﴿ولو شاء لجعله ساكنا﴾ مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخه بها قبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير وفيه التفات من خروج ضمير الغائب الى ضمير المتكلم في جعلناه وقبضناه ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا﴾ انتقل من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب ولباسا تشبيه بالثوب الذي يغطي البدن ويستره من حيث الليل يستر الاشياء * والسبات ضرب من الاغماء يعتري اليقظان مريضا فشبه النوم به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكونا ما * والنشور هنا الاحياء سبه اليقظة به ليطابق الاحياء مع الاماتة * بين يدي رحمته استعارة حسنة أي قدام المطر لأنها تجيء معلقة به والطهور نعوت [illegible] كشكور فهو معدول عن طاهر وإما أن يكون اسما لما يتطهر به كالسحور والفطور وإما مصدرا لتطهر حكاه سيبويه والظاهر في قوله ماء طهورا أن يكون مبالغة في طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه شيء [illegible] وبحوده [illegible] أرسلنا [illegible] [illegible] الاسم [illegible]

متعدية الى واحد أو في موضع مفعولين ان كانت تعدت الى اثنين و يجوز ان تكون من موصولة مفعولة بيعلمون وأضل خبر مبتدا محذوف أي هو أضل وصار حذف هذا المضمر للاستطالة التي حصلت في قول العرب ما أنا بالذي قائل لك سوءا * أفرأيت من اتخذ الهه هواه هذا يأس عن ايمانهم واشارة اليه عليه السلام أن لا يتأسف عليهم واعلام بأنهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم ثم ذكر أنهم أضل سبيلا من الانعام من حيث لهم فهم وتركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والانعام لا سبيل لها الى فهم المصالح وأرأيت استفهام تعجب من جهل من هذه حاله والهه المفعول الأول لاتخذ وهواه الثاني أي أقام مقام الاله الذي يعبده هواه فهو جار على ما يكون في هواه والمعنى انه لم يتخذ الها الا هواه وادعاء القلب ليس بجيد إذ يقدره من اتخذ هواه الهه وليست من ضرائر الشعر ونادر الكلام فينزه كلام الله عنه كان الرجل يعبد الصنم فاذا رأى أحسن منه رماه وأخذ الاحسن * قيل نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان اذا هوى شيأ عبده والهوى ميل القلب الى الشئ أفأنت تجبره على ترك هواه أو أفأنت تحفظه من عظيم جهله * وقرأ بعض أهل المدينة من اتخذ آلهة هواه منونة على الجمع وفيه تقديم جعل هواه أنواعا أسماء لأجناس مختلفة فجعل كل جنس من هواه الها آخر * وقرأ ابن هرمز إلاهة على وزن فعالة وفيه أيضا تقديم أي هواه إلاهة بمعنى معبود لأنها بمعنى المألوهة فالهاء فيها للمبالغة فلذلك صرفت * وقيل بل الالاهة الشمس ويقال لها ألاهة بضم الهمزة وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث لكنها لما كانت مما يدخلها لام المعرفة في بعض اللغات صارت بمنزلة ما كان فيه اللام ثم نزعت فلذلك صرفت وصارت بمنزلة النعوت فتنكرت قاله صاحب اللوامح ومفعول أرأيت الأول هو من والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني وتقدم الكلام في أرأيت في أوائل الانعام ومعنى وكيلا أي هل تستطيع أن تدعو الى الهدى فتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وأم منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المذهب الصحيح كأنه قال بل أتحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لأنهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفى ذلك عن أكثرهم لأن فيهم من سبقت له السعادة فأسلم وجعلوا أضل من الانعام لأنها تنقاد لأربابها وتعرف من يحسن لها ممن يسيء لها وتطلب منافعها وتجتنب مضارها وتهتدي الى مراعيها ومشاربها وهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم ولا يرغبون في الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولا يهتدون للحق ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو

ووصف البلدة بصفة المذكر لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وقدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياتهم بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ماهو السبب في ذلك ولأنهم اذا وجدوا مايسقي أرضهم ومواشيهم وجدوا سقياهم ونكر الانعام والاناسي ووصفا بالكثرة لان كثيرا منهم لايعيشهم الا ما أنزل الله من المطر وكذلك لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظان الماء بخلاف سكان المدن فانهم قريبون من الاودية والانهار والعيون فهم غنيون غالبا عن ماء المطر وخص الانعام من بين ماخلق من الحيوان الشارب لان الطيور والوحوش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم ﴿ وأناسي ﴾ جمع انسان في مذهب سيبويه وجمع انسي في مذهب الفراء والمبرد وحكى أناسين في جمع انسان كسرحان وسراحين ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ قال ابن عباس عائد على القرآن وان لم يجر له ذكر لوضوح الامر ويعضده وجاهدهم به ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ يقال مرج الأمر اختلط واضطرب وقيل مرج وأمرج ﴿ العذب الحلو ﴾ والفرات البالغ في الحلاوة ﴿ والملح المالح ﴾ والاجاج البالغ في الملوحة والظاهر انه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب (٥٠٢) والماء الكثير الملح والبرزخ والحجر ماحجز بينهما من الارض والسد ﴿ وحجرا محجورا ﴾ كلمة يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال تعالى لايبغيان أي لايبغي أحدهما على الآخر بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر ينطلق على الواحد والجمع والنسب والصهر يعماز كل قربى بين آدميين وأن الكافر اسم جنس فيعم وقيل هو أبو جهل والآية نزلت فيه ومعنى ظهيرا هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لاتلتفت إليه ﴿ قل ما أسئلكم ﴾ أمره تعالى أن يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله لا أسئلكم عليه أي على القرآن أجرا أي لا أطلب مالا ﴿ ولانفعا ﴾ يختص بي والضمير في عليه عائد على القرآن والظاهر في الامن شاء أنه استثناء منقطع تقديره لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل والظاهر تعلق به بقوله فاسأل وبقاء الباء غير مضمنة معنى عن وخبيرا من صفات الله كما تقول لقيت بزيد أسدا ولقيت بريد البحر تريد انه هو الأسد شجاعة والبحر كرما والمعنى انه تعالى اللطيف العليم الخبير والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء العالم بخفياتها وقال الشاعر فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب

﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ﴾ الظاهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكر الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لاينكر وضعها اظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم ووقاحة ﴿ فقالوا وما الرحمن ﴾ وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون ومارب العالمين حين قال له موسى اني رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال له موسى عليه السلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء [illegible] كما قال كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به [illegible] لما تأمرنا [illegible] ﴿ وزادهم ﴾ أي هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن ﴿ نفورا ﴾ أي فرارا

الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ لما بين تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم ذكر أنواعا من الدلائل الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلهم يتدبرونها ويؤمنون بمن هذه قدرته وتصرفه في عالمه فبدأ بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال وان ذلك جار على مشيئته وتقدم الكلام على ألم تر في البقرة في قصة الذي حاج ابراهيم والمعنى ألم تر الى صنع ربك وقدرته * وكيف سؤال عن حال في موضع نصب

بعدوا الجملة فى موضع متعلق ألم تر لأن تر معلقة والجملة الاستفهامية التى هى معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام فالمعنى ألم تر الى مد ربك الظل * وقال الجمهور الظل هنا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل ظل الجنة ظل ممدود لا شمس فيه ولا ظلمة واعترض بأنه فى غير النهار بل فى بقايا الليل ولا يسمى ظلا * وقيل الظل الليل لا ظل الارض وهو يغمر الدنيا كلها * وقيل من غيبوبة الشمس الى طلوعها وهذا هو القول الذى قبله ولكن أورده كذا * وقيل ظلال الأشياء كلها كقوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله * وقال أبو عبيدة الظل بالغداة والفىء بالعشى * وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفىء ما نسخ الشمس * وقيل ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه فزالت فىء * ولو شاء لجعله ساكنا * قال ابن عباس وقتادة وابن زيد كظل الجنة الذى لا شمس تذهبه * وقال مجاهد لا تصيبه الشمس ولا تزول * وقال الحسن لو شاء لتركه ظلا كما هو * وقيل لأدامه أبدا بمنع طلوع الشمس بعد غيبوبتها فاذا طلعت الشمس دلت على زوال الظل وبدا فيه النقصان فبطلوع الشمس يبدو النقصان فى الظل وبغروبها تبدو الزيادة فى الظل فبالشمس استدل أهل الارض على الظل وزيادته ونقصه وكلما علت الشمس نقص الظل وكلما دنت للغروب زاد وهو قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعنى فى وقت علو الشمس بالنهار ينقص الظل نقصانا يسيرا بعد يسير وكذلك زيادته بعد نصف النهار يزيد يسيرا بعد يسير حتى يعم الأرض كلها فأما زوال الظل كله فانما يكون فى البلدان المتوسطة فى وقت * وقال الزمخشرى ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس * ولو شاء لجعله ساكنا أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر وغير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه أنه ينسخه بظل الشمس يسيرا أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيأ بعد شئ من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ثم فى هذين الموضعين كيف موقعها (قلت) موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم من الثانى تشبيها لتباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو أنه بنى الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الارض لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعله على ذلك الظل سلطها عليه وجعلها دليلا متبوعا لهم كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير انتهى وقوله سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه لم يسم الله ذلك انما قال كيف مد الظل وقوله ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة يبعد احتماله لانه انما ذكر آثار صنعته وقدرته لتشاهد ثم قال مد الظل وعطف عليه ما شاهدوه فيبعد أن يكون التقدير ثم قبضه عند قيام الساعة مع ظهور كونه ماضيا مستندا الى ضميره وقال ابن عطية ولو شاء لجعله ساكنا أى ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخه بها

بطردها الله من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا الوجوده ولوجه العبرة فيه * وحكى الطبرى أنه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء اذ الأشياء انما تعرف بأضدادها * وقال ابن عباس يسيرا معجلا * وقال مجاهد لطيفا أى شيأ بعد شيء ويحتمل أن يريد سهلا قريب التناول * وقال أبو عبد الله الرازى أكثر الناس فى تأويل هذه الآية ويرفع الكلام فيها الى وجهين الأول ان الظل لا ضوء خالص ولا ظلمة خالصة وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأبنية الجدارات وهى أطيب الأحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الخالص يحير الحس البصرى ويحدث السخونة القوية وهى مؤذية ولهذا قيل فى الجنة وظل ممدود والناظر الى الجسم الملون كأنه يشاهد بالظل شيأ سوى الجسم وسوى اللون والظل ليس أمرا ثابتا ولا معرفة به الا أنه اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ثم مال عرف للظل وجود وماهية ولولاها ما عرف لأن الاشياء تدرك بأضدادها فظهر للعقل ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون ولذلك قال ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى جعلنا الظل أولا بما فيه من المنافع واللذات ثم هدينا العقول الى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجود الظل * ثم قبضناه أى أزلناه لا دفعة بل يسيرا يسيرا كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل من جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا كان زوال الاظلال كذلك * والثانى أنه لما خلق السماء والارض وقع ظل السماء على الارض فجعل الشمس دليلا لأنه بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال فهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما ازداد أحدهما ينقص الآخر فكما ان المهتدى يقتدى بالهادى والدليل ويلازمه فكذلك الأظلال ملازمة للاضواء ولذلك جعل الشمس دليلا عليه انتهى ملخصا وهو مأخوذ من كلام الزمخشرى ومحسن بعض تحسين والآية فى غاية الظهور ولا يحتاج الى هذا التكثير * وقال أيضا الظل ليس عدما محضا بل هو أضواء مخلوطة بظلام فهو أمر وجودى وفى تحقيقه دقيق يرجع فيه الى الكتب العقليه انتهى والآية فى غاية الوضوح ولا تحتاج الى هذا التكثير وقد تركت أشياء من كلام المفسرين مما لا تمس اليه الحاجه * جعل الليل لباسا تشبيها بالثوب الذى يغطى البدن ويستره من حيث الليل يستر الأشياء * والسبات ضرب من الاعماء يعترى اليقظان مرضا فشبه النوم به والسبت الاقامة فى المكان فكان السبات سكونا ما والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ليتطابق الاحياء مع الاماتة اللذين يتضمنهما النوم والسبات انتهى من كلام ابن عطية وقال غيره السبات الراحة جعل النوم سباتا أى سبب راحة * وقال الزمخشرى السبات الموت وهو كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) النشور فى مقابلته يأباه انتهى ولا يأباه الا لو تعين تفسير النشور بالحياة * وقال أبو مسلم نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعاش وابتغاء فضل الله والنهار نشورا وما قبله من باب ليل نائم ونهار صائم وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس فوائد دينية ودنيوية * وقال الشاعر

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

والنوم واليقظه وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيهما لمن اعتبر * وعن لقمان انه قال لابنه يابنى كما

(الدر)

(ش) السبات الموت وهو كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل * فان قلت هلا فسرته بالراحة * قلت النشور فى مقابلته يأباه (ح) لا يأباه الا لو تعين تفسير النشور بالحياة

تنام فتتوقظ فكذلك تهب فتنتشر وتقدم الخلاف في قراءة الريح بالافراد والجمع في البقرة * قال ابن عطية وقراءة الجمع أوجه لان عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فانما هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق وتأتي لينة ومن ههنا وههنا وشيأ اثر شيء وريح العذاب خرجت لا تتداءب وانما تأتي جسدا واحدا ألا ترى انها تحطم ما تجد وتهدمه * قال الرماني جمعت رياح الرحمة لانها ثلاثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وأفردت ريح العذاب لانها واحدة لا تلقح وهي الدبور قال أي ابن عطية يرد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا انتهى ولا يسوغ أن يقال هذه القراءة أوجه لان كلا من القراءتين متواتر والألف واللام في الريح للجنس فتعم وما ذكر من أن قول الرماني يرده الحديث فلا يظهر لانه يجوز أن يريد بقوله عليه السلام رياحا الثلاثة اللواقح وبقوله ولا تجعلها ريحا الدبور فيكون ما قاله الرماني مطابقا للحديث على هذا المفهوم * وتقدم الخلاف في قراءة نشرا وفي مدلوله في الأعراف بين يدي رحمته استعارة حسنة أي قدام المطر لانه يجيء معه * والطهور فعول إما للمبالغة كنؤوم فهو معدول عن طاهر وإما أن يكون اسما لما يتطهر به كالسحور والفطور وإما مصدر لتطهر جاء على غير المصدر حكاه سيبويه والظاهر في قوله ماء طهورا أن يكون للمبالغة في طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه فانه تشوبه أجزاء أرضية من مقره أو ممره أو مما يطرح فيه ويجوز أن يوصف بالاسم وبالمصدر * وقال ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان مقاله شرحا لمبالغته في الطهارة كان سديدا ويعضده ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا ففعول لا يكون بمعنى مفعل ومن استعمال طهور للمبالغة قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا * وقال الشاعر

الى رجح الأكفال غيد من الظبا · عذاب الثنايا ريقهن طهور

* وقرأ عيسى وأبو جعفر ميتا بالتشديد ووصف البلدة بميت لان البلدة تكون في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت ورجح الجمهور التخفيف لانه يشبه فعلا من المصادر فكما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر فكذلك بما أشبهه بخلاف المشدد فانه يشبه فاعلا من حيث قبوله للتاء الا فيما خص المؤنث نحو طامث * وقرأ عبد الله وأبو حيوة وابن أبي عبلة والأعمش وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهما ونسقيه بفتح النون ورويت عن عمر بن الخطاب * وقرأ يحيى بن الحرث الذماري وأناسي بتخفيف الياء ورويت عن الكسائي وأناسي جمع انسان في مذهب سيبويه وجمع انسي في مذهب الفراء والمبرد والزجاج والقياس انسية كما قالوا في مهلبي مهالبة وحكى أناسين في جمع انسان كسرحان وسراحين ووصف الماء بالطهارة وعلل انزاله بالاحياء والسقي لان ذلك [illegible] من جملة ما أنزل له الماء ووصفه بالطهور واكرامه وتتميم للنعمة عليهم وتتميم [illegible] شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير على فرس جواد [illegible] وقدم احياء الأرض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حياة [illegible] ولانهم اذا وجدوا ما يسقي أرضهم ومواشيهم [illegible] بالكثرة لان كثيرا منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من المطر [illegible] هؤلاء المتباعدين عن مظان الماء [illegible] من الأودية والأنهار [illegible] فهم غنيون غالبا عن سقي ماء المطر وخص [illegible] من الحيوان الشارب [illegible]

والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام فانها قنية الاناسي ومنافعهم متعلقة
بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام بسقيهم * والضمير في صرفناه عائد على الماء المنزل
من السماء أي جعلنا انزال الماء تذكرة بان يصرفه عن بعض المواضع الى بعض وهو في كل عام
بمقدار واحد قاله الجمهور منهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد فعلى هذا التأويل إلا كفورا هو
قولهم بالانواء والكواكب قاله عكرمة * وقيل كفورا على الاطلاق لما تركوا التذكر * وقال
ابن عباس أيضا عائد على القرآن وان لم يتقدم له ذكر لوضوح الأمر ويعضده وجاهدهم به لتوافق
الضمائر وعلى انه للمطر يكون به للقرآن * وقال أبو مسلم راجع الى المطر والرياح والسحاب وسائر
ما ذكر فيه من الادلة * وقال الزمخشري صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر
الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليتفكروا
ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة
الاكتراث بها * وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات
المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا امطرنا بنوء كذا
ولا يذكروا رحمته وصنعته * وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين
عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية * ويروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
لانه لا يختلف ولكن يختلف في البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي
كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير انتهى *
وقرأ عكرمة صرفناه بتخفيف الراء * ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا المعلم تعالى ما كابد الرسول
من أذى قومه أعلمه أنه تعالى لو أراد لبعث في كل قرية نذيرا فيخف عنك الامر ولكنه أعظم أجرك
وأجلك اذ جعل انذارك عاما للناس كلهم وخصك بذلك ليكثر ثوابك لانه على كثرة المجاهدة يكون
الثواب وليجمع لك حسنات من آمن بك إذ أنت مؤسسها * فلا تطع الكافرين يعني كفار قريش
فانهم كانوا استمعوا اليه ورغبوا أن يرجع الى دين آبائهم ويملكوه عليهم ويجمعون له مالا عظيما
فنهاه تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم أنه لا رغبة له في شئ من ذلك لكن رغبته في الدعاء الى الله
والايمان به * وجاهدهم به أي القرآن أو بالاسلام أو بالسيف أو بترك طاعتهم وجهادا مصدر وصف
بكبيرا لانه يلزمه عليه السلام مجاهدة جميع العالم فهو جهاد كبير * ومرج خلط بينهما أو أفاض
أحدهما في الآخر أو أجراهما أقوال والظاهر انه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير
الملح * وقيل بحران معينان * فقيل بحر فارس وبحر الروم * وقيل بحر السماء وبحر الارض
يلتقيان في كل عام قاله ابن عباس * وقال مجاهد مياه الانهار الواقعة في البحر الاجاج وهذا قريب
من القول الاول * قال ابن عطية والمقصد بالآية التنبيه على قدرة الله واتقان خلقه للاشياء في أن بث
في الارض مياها عذبة كثيرة من الانهار والعيون والآبار وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج
خلالها فترى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه ويلقى الماء البحر في الجزائر ونحوها قد
اكتنفه الماء الاجاج والبرزخ والحجر ما حجز بينهما من الارض والسد قاله الحسن ويمشي هذا
على قول من قال ان مرج بمعنى أجرى * وقيل البرزخ البلاد والقفار فلا يختلفان الا بزوال الحاجز
يوم القيامة * قال الاكثرون الحاجز مانع من قدرة الله * قال الزجاج فهما مختلطان في مرأى العين
منفصلان بقدرة الله وسواد البصرة ينحدر الماء العذب منه في دجلة نحو البحر ويأتي المد من البحر

فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر الى الخضرة الشديدة وماء دجلة الى الحمرة فالمستقى يغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء ونيل مصر في فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يبقى نهرا جاريا أحمر في وسط المالح ليستقي الناس منه وترى المياه قطعا في وسط البحر المالح فيقولون هذا ماء ثلج فيسقون منه من وسط البحر * وقرأ طلحة وقتيبة عن الكسائي ملح بفتح الميم وكسر اللام وكذا في فاطر * قال أبو حاتم وهذا منكر في القراءة * وقال أبو الفتح أراد مالحا وحذف الألف كما حذفت من برد أي بارد * وقال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح هي لغة شاذة قليلة * وقيل أراد مالح فقصره بحذف الالف فالمالح جائز في صفة الماء لان الماء يوجد في الضفيان بان يكون مملوحا من جهة غيره ومالحا لغيره وان كان من صفته ان يقال ماء ملح موصوف بالمصدر أي ماء ذو ملح فالوصف بذلك مثل حلف ونضو من الصفات قال الزمخشري (فان قلت) حجرا محجورا ما معناه (قلت) هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة انتهى والظاهر ان حجرا محجورا معطوف على برزخا عطف المفعول على المفعول وكذا أعربه الحوفي وعلى ماذكره الزمخشري يكون ذلك على اضمار القول المجازي أي ويقولان أي كل واحد منهما لصاحبه حجرا محجورا * والظاهر عموم البشر وهم بنو آدم والبشر ينطلق على الواحد والجمع * وقيل المراد بالنسب آدم وبالصهر حواء * وقيل النسب البنون والصهر البنات ومن الماء اما النطفة واما انه أصل خلقة كل حي والنسب والصهر يعمان كل قربى بين آدميين فالنسب ان يجتمع مع آخر في أب وأم قرب ذلك أو بعد والصهر هو نواشج المناكحة * وقال علي بن أبي طالب النسب ما لا يحل نكاحه والصهر قرابة الرضاع * وعن طاوس الرضاعة من الصهر وعن علي الصهر ما يحل نكاحه والنسب ما لا يحل نكاحه * وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع * وقال ابن سيرين نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي لانه جمعه معه نسب وصهر * قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة الى يوم القيامة * وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ولما ذكر دلائل قدرته وما امتن به على عباده من عرائب مصنوعاته بت بذلك انه المستحق لعبادة لنفعه وضره بين فساد عقول المشركين حيث يعبدون الاصنام * والظاهر ان الكافر اسم جنس فيعم * وقيل هو أبو جهل والآية نزلت فيه * وقال عكرمة الكافر هنا ابليس والظهير والمظاهر كالمعين والمعاون قاله مجاهد والحسن وابن زيد وفعيل بمعنى مفاعل كثير والمعنى أن الكافر يعاون الشيطان على ربه بالعداوة والشرك * وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا يلتفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم الآية قاله الطبري * وقيل على ربه أي معينا على أولياء الله * وقيل معينا للمشركين على أن لا يوحد الله * وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا تسلية له بذلك أي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وانما أنت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار ولست بمطلوب بايمانهم أجمعين ثم أمره تعالى أن يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله قل ما أسألكم عليه من أجر أي لا أطلب مالا ولا نفعا يختص بي والضمير في عليه عائد على التبشير والانذار وعلى القرآن أو على

ابلاغ الرسالة أقوال * والظاهر في الامن شاء انه استثناء منقطع وقاله الجمهور فعلى هذا قيل بعباده لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل * وقيل لكن من أنفق في سبيل الله ومجاهدة أعدائه فهو مسؤلي * وقيل هو متصل على حذف مضاف تقديره الا أجر من اتخذ الى ربه سبيلا أي الا أجر من آمن أي الاجر الحاصل لي على دعائه الى الايمان وقبوله لانه تعالى يأجرني على ذلك * وقيل الا أجر من آمن يعني بالاجر الانفاق في سبيل الله أي لا أسألكم أجرا الا الانفاق في سبيل الله فجعل الانفاق أجرا ولما أخبر انه فطم نفسه عن سؤالهم شيأ أمره تعالى بتفويض أمره اليه وثقته به واعتماده عليه فهو المتكفل بنصره واظهار دينه * ووصف تعالى نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل في قوله الحي الذي لا يموت لان هذا المعنى يختص به تعالى دون كل حي كما قال كل شئ هالك الا وجهه * وقرأ بعض السلف هذه الآية فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أمره بتنزيهه وتمجيده مقرونا بالثناء عليه لان التنزيه محله اعتقاد القلب والمدح محله اللسان الموافق للاعتقاد وفي الحديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وهي الكلمتان الخفيفتان على اللسان الثقيلتان في الميزان * وكفى به بذنوب عباده خبيرا أراد انه ليس اليه من أمور عباده شئ آمنوا أم كفروا وانه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم وفي هذه الجملة تسلية للرسول ووعيد للكافر وفي بعض الاخبار كفى بك ظفرا ان يكون عدولك عاصيا وهي كلمة يراد بها المبالغة تقول كفى بالعلم جمالا وكفى بالادب مالا أي حسبك لا تحتاج معه الى غيره لانه خبير بأحوالهم قادر على مكافأتهم ولما أمره بالتوكل والتسبيح وذكر صفة الحياة الدائمة ذكر ما دل على القدرة التامة وهو ايجاد هذا العالم وتقدم الكلام في نظير هذا الكلام واحتمل الذي أن يكون صفة للحي الذي لا يموت ويتعين على قراءة زيد بن علي الرحمن بالجر واما على قراءة الجمهور الرحمن بالرفع فانه يحتمل أن يكون الذي صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف ويحتمل أن يكون الذي مبتدا والرحمن خبره وان يكون الذي خبر مبتدا محذوف والرحمن صفة له أو يكون الذي منصوبا على اضمار أعني ويجوز على مذهب الاخفش أن يكون الرحمن مبتدا وفاسأل خبره تخريجه على حد قول الشاعر * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وجوزوا أيضا في الرحمن أن يكون بدلا من الضمير المستكن في استوى والظاهر تعلق به بقوله فاسأل وبقاء الباء غير مضمنة معنى عن وخبيرا من صفات الله كما تقول لقيت زيدا أسدا ولقيت بزيد البحر تريد انه هو الاسد شجاعة والبحر كرما والمعنى انه تعالى اللطيف العالم الخبير والمعنى فاسأل الله الخبير بالأشياء العالم بحقائقها * وقال ابن عطية وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا وليست هذه الحال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير انتهى وبنى هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت فلانا للقيت به البحر كرما أي لقيت منه والمعنى فاسأل الله عن كل أمر وكونه منصوبا على الحال المؤكدة على هذا التقدير لا يصح انما يصح أن يكون مفعولا به ويجوز أن تكون الباء بمعنى عن أي فاسأل عنه خبيرا كما قال الشاعر

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

وهو قول الأخفش والزجاج ويكون خبيرا ليس من صفات الله هنا كأنه قيل اسأل عن الرحمن الخبراء جبريل والعلماء وأهل الكتب المنزلة وان جعلت به متعلقا بخبيرا كان المعنى فاسأل عن الله الخبراء به * وقال الكلبي معناه فاسأل خبيرا به وبه يعود الى ما ذكر من خلق السموات والأرض

(الدر)

(ع) وخبيرا على هذا منصوب اما بوقوع السؤال واما على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا وليست هذه الحال منتقلة اذ الصفة العلية لا تتغير (ح) وبنى هذا الاعراب على انه كما تقول لو لقيت فلانا للقيت به البحر كرما أي لقيت منه والمعنى فاسأل الله عن كل أمر وكونه منصوبا على الحال المؤكدة على هذا التقدير لا يصح انما يصح أن يكون مفعولا به

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ الآية لما جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالا عن مجهول نزلت هذه الآية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بالوهيته ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انه خلق السموات والأرض وغير ذلك نبههم على مالهم به اعتناء تام من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسماء لها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وتقدم الكلام عليها والضمير في فيها الظاهر انه عائد على السماء وقيل على البروج فالمعنى وجعل في جملتها سراجا وهو الشمس وانتصب ﴿خلفة﴾ على الحال فقيل هو مصدر خلف خلفة أي خلف هذا لذاك وذاك لهذا وقيل خلفة في الزيادة والنقصان ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ قال ابن عباس مافاته من خير والصلاة ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي يليه ولما تقدم ذكر الكفار وذمهم وجعلهم لمن أراد أن يذكر وأراد شكورا ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال ﴿وعباد الرحمن﴾ وهو [illegible] صفة تشريف وتخصيص وهو جمع عبد أي الذين يعبدون الله حق عبادته والظاهر أن وعباد مبتدأ والذين يمشون خبر وقيل [illegible] وما بعده صفة وهونا رفق ولين [illegible] هو نعت لمصدر محذوف أي مشيا هونا أو على الحال أي يمشون هينين [illegible] الأرض ولا يحقون [illegible] وإذا خاطبهم الجاهلون [illegible] قالوا سلاما [illegible] عليك السلام لا نريد علمك [illegible] وقيل هو على [illegible]

والاستواء على العرش وذلك الخبير هو الله تعالى لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق ذلك فلا يعلمها الا الله * وعن ابن عباس الخبير جبريل وقدم لرؤس الآي * وقال الزمخشري الباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب كما يكون عن صلته في نحو ثم لتسألن يومئذ عن النعيم أو صلة خبيرا به فتجعل خبيرا مفعولا أي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أي رأيت برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا بجعله حالا عن به تريد فسل عنه عالما بكل شيء * وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه * فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون مانعرف الرحمن الا الذي في اليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة انتهى * واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن وكانت قريش لا تعرف هذا في أسماء الله غالطت قريش بذلك فقالت ان محمدا يأمر بالعبادة رحمن اليمامة نزلت واذا قيل لهم وما سؤال عن المجهول فيجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما يستعمل الرحيم والرحوم والراحم أولأنهم أنكروا اطلاقه على الله قاله الزمخشري والذي يظهر انهم لما قيل لهم اسجدوا للرحمن فذكرت الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا ينكر وضعها أظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة منهم ووقاحة فقالوا وما الرحمن وهم عارفون به وبصفته الرحمانية وهذا كما قال فرعون وما رب العالمين حين قال له موسى انى رسول من رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عالم برب العالمين كما قال موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر فكذلك كفار قريش استفهموا عن الرحمن استفهام من يجهله وهم عالمون به فعلى قول من قال لم يكونوا يعرفون الرحمن الا مسيلمة وعلى قول من قال من لا يعرفون الرحمن الا مسيلمة فالمعنى أنسجد لمسيلمة وعلى قول من قال لا يعرفون الرحمن بالكلية فالمعنى أنسجد لما تأمرنا من غير علم ببيانه والقائل اسجدوا الرسول أو الله على لسان رسوله وقرأ ابن مسعود والاسود بن يزيد وحمزة والكسائي يأمر بالياء من تحت أي يأمرنا محمد والمكانية عنه هو المسمى الرحمن ولا نعرفه * وقرأ باقي السبعة بالتاء خطابا للرسول ومفعول تأمر الثاني محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره يأمرنا بسجوده نحو قولهم أمرتك الخير وزادهم أي هذا القول وهو الأمر بالسجود للرحمن زادهم ضلالا يختص به مع ضلالهم السابق وكان حقه أن يكون باعثا على فعل السجود والقبول * وقال الضحاك سجد أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن عنبسة فرآهم المشركون فأخذوا في ناحية [illegible] يسخرون [illegible] وزادهم نفورا ومعنى نفورا [illegible] ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين

[...] الفلاول والطاول الاقامة بالنهار ولماذكر حالهم بالنهار بأنهم يتفرقون أحسن تصرف ذكر حالهم [...] احياء الليل بالصلاة أوأكثره ثم عقبه بذكر دعائهم هذا إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم * وساءت بمعنى بئست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم * ويتعين أن يكون مستقرا ومقاما تمييز والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة الواقعة خبر الان ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أحزنت فيكون المفعول محذوفا أي ساءتهم والفاعل ضمير مبهم وجاز في مستقرا ومقاما أن يكونا تمييزين وأن يكونا حالين قد عطف أحدهما على الآخر ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ الانفاق في غير طاعة الله تعالى اسراف والامساك عن طاعة الله اقتار وقرئ يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وضمها من قتر ويقتر بضم الياء وكسر التاء من اقتر واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله أنفقوا و ﴿بين ذلك﴾ أي بين الاسراف والاقتار و ﴿قواما﴾ معتدلا يجوز أن يكون خبر الكان وبين ذلك خبر وقواما حال ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ الآية سأل ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم فقال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون الآية وقيل الآثام الاثم ومعناه يلق جزاء آثام فاطلق اسم الشيء على جزائه ﴿ذلك﴾ اشارة الى كل فرد فرد مما تقدم * يضاعف ويخلد قرئ بالرفع فيهما على الاستئناف أو يكون في موضع الحال تقديره مضاعفا له العذاب وخالدا فيه مهانا وقرئ بالجزم فيهما على أن يكون يضاعف بدلا من يلق بدل فعل من فعل كما قال الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا (٥١٠) والظاهر ان توبة المؤمن القاتل النفس بغير حق مقبولة لعموم قوله تعالى إلا من تاب وسيآتهم هو المفعول الثاني وهو أصله أن يكون مقيدا بحرف الجر أي بسيآتهم وحسنات هو المفعول الأول وهو المسرح كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل عملا صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا

وقال الشاعر تضحك مني أخت ذات النحيين * أبدلها الله بلون الونين سواد وجه وبياض عينين ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ عاد الى ذكر أوصاف عباد الرحمن والظاهر ان المعنى لا يشهدون بالزور أو شهادة الزور واللغو كلما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عندهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴿بآيات ربهم﴾ هي القرآن ﴿لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ النفي متوجه الى القيد الذي هو صم وعميان لا للخرور الداخل عليه وهذا الأكثر في لسان العرب ان النفي يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها بآذان واعية وأعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الامر وكانوا صما وعميانا حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها ﴿قرة أعين﴾ كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ من القر وهو البرد يقال دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ويقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو وقال الشاعر فاما عيون العاشقين فاسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

وقال الزمخشري وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى غيرهم انتهى ليس بجيد لأن أعين ينطلق على العشرة فما دونها من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد وقرئ ذرية على الافراد وذريات على الجمع * أولئك * اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة * والغرفة اسم معرف بال فيعم أي الغرف كما جاء وهم في الغرفات آمنون وهي العلالي قال ابن عباس هي بيوت من زبرجد ودر وياقوت والباء في بما صبروا للسبب

ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ﴾ لما جعلت قريش سؤالها عن اسمه الذي هو الرحمن سؤالا عن مجهول نزلت هذه الآية مصرحة بصفاته التي تعرف به وتوجب الاقرار بألوهيته * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر انه خلق السموات والأرض وما بينهما ووصف نفسه بالرحمن وسألوا عنه فيه عما وضع في السماء من النيرات وما صرف من حال الليل والنهار ليبادروا بالسجود والعبادة للرحمن ثم نبههم على ما لهم به اعتناء تام من رصد الكواكب وأحوالها ووضع أسمائها والظاهر ان المراد بالبروج المعروفة عند العرب وهي منازل الكواكب السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وسميت بذلك لشبهها بما شبهت به وسميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره * وقيل البروج هنا القصور في الجنة * قال الأعمش وكان أصحاب عبد الله يقرؤنها في السماء قصورا * وقال أبو صالح البروج هنا الكواكب العظام * قال ابن عطية والقول بأنها قصور في الجنة يحط من غرض الآية في التنبيه على أشياء مدركات تقوم بها الحجة على كل منكر لله أو جاهل والضمير في فيها الظاهر انه عائد على السماء * وقيل على البروج فالمعنى وجعل في جانبها سراجا * وقرأ الجمهور سراجا على الافراد وهو الشمس * وقرأ عبد الله وعلقمة والأعمش والأخوان سرجا بالجمع مضموم الراء وهو يجمع الأنوار فيكون خص القمر بالذكر تشريفا * وقرأ الأعمش أيضا والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء * وقرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم وقمرا بضم القاف وسكون الميم والظاهر انه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب * وقيل جمع قمراء أي ليلة قمراء كأنه قال وذو قمر لان الليلة تكون قمراء بالقمر فأضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى * منير وصف لذلك المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ولو لم يراع المضاف لقال تصفق بالتاء وقال منيرا أي مضيئا ولم يجعله سراجا كالشمس لأنه لا توقد له * وانتصب خلفة على الحال . فقيل هو مصدر خلف خلفة * وقيل هو اسم هيئة كالركبة ووقع حالا اسم الهيئة في قولهم مررت به ماء بعده رجلين وهي حالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقب يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ومن هذا المعنى قول زهير

* بها العيس والآرام يمشين خلفة * وقول آخر * بعضهم [illegible] من منزل في الشتاء الى منزل في الصيف دأبا

ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذي جمعا

خلفة حتى اذا ارتفعت * سكنت من جلق بيعا

في بيوت وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

* وقيل خلفة في الزيادة والنقصان * وقال مجاهد وقتادة ولكسائي هذا أسود وهذا أبيض وهذا طويل وهذا قصير * لمن أراد أن يذكر * [illegible] عمر وابن عباس والحسن بعضهما من [illegible] كرمه فاته من الخير والعمل ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي بعده * وقرأ حمزة [illegible] مخففا

والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة أي تحييهم الملائكة أو يحيي بعضهم بعضا ﴿ حسنت مستقرا ومقاما ﴾ معادل لقوله في جهنم ساءت مستقرا ومقاما والظاهر ان قوله قل ما يعبأ بكم ربي خطاب لكفار قريش لقائلين أنسجد لما تأمرنا أي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم اليه واستغاثتكم اياه في الشدائد ﴿ فقد كذبتم ﴾ بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فستعلمون العقاب ﴿ فسوف يكون ﴾ العقاب وهو ما أنتجه تكذيبكم ومس لهم في حيزه عقبة فسوف يكون جزاء ﴿ لزاما ﴾ أي لازما لكم لا تنفكون منه

بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على نعمته عليه في العقل والفكر والفهم * وقال الزمخشرى وعن
أبى بن كعب يذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال الى حال
وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون
بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون أو ليكونا وقتين للمتذكر والشاكر من فاته في أحدهما ورده من العبادة أتى به في الآخر * وقرأ
النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة يذكر مضارع ذكر خفيفا ولما تقدم ذكر الكفار
وذمهم جاء لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال
وعباد الرحمن وهذه الاضافة تشريف وتفضيل وهو جمع عبد * وقال ابن بحر جمع عابد كصاحب
وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال أى الذين يعبدونه حق عبادته والظاهر أن وعباد مبتدأ
والذين يمشون الخبر * وقيل أولئك الخبر والذين صفة وقوم من عبد القيس يسمون العباد لأن
كسرى ملكهم دون العرب * وقيل لأنهم تألهوا مع نصارى الحيرة فصاروا عباد الله * وقرأ اليماني
وعباد جمع عابد كضارب وضراب * وقرأ الحسن وعبد بضم العين والباء * وقرأ السلمى واليماني
يمشون مبنيا للمفعول مشددا * والهون الرفق واللين وانتصب هونا على أنه نعت لمصدر محذوف أى
مشيا هونا أو على الحال أى يمشون هينين في تؤدة وسكينة وحسن سمت لا يضربون بأقدامهم ولا
يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق * وقال مجاهد بالحلم
والوقار * وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف والتواضع * وقال الحسن حلماء ان جهل عليهم لم
يجهلوا * وقال ابن عطية هونا عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر من ذلك المعظم
لا سيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال هونا بمعنى أمره كله هون أى ليس
بخشن وذهبت فرقة الى أن هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض أى ان المشى هو الهون ويشبه
أن يتأول هذا على أن يكون اخلاق ذلك الماشى هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو مابينا وأما
أن يكون المراد صفة المشى وحده فباطل لأن رب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيه كأنما يمشى في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه
الآية وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا أراد في عمر نفسه ولم يرد المشى وحده
ألا ترى أن المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشى فقط حتى قال فيهم الشاعر

كلهم يمشى رويدا * كلهم يطلب صيدا

* وقال الزهرى سرعة المشى تذهب ببهاء الوجه يريد الاسراع الخفيف لأنه يخل بالوقار والخير في
التوسط * وقال زيد بن أسلم انه رأى في النوم من فسر له الذين يمشون على الارض هونا بأنهم
الذين لا يريدون أن يفسدوا في الارض * وقال عياض بن موسى كان عليه السلام يرفع في مشيه
رجليه بسرعة وعدو خطوة خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما
قال انما ينحط من صبب وكان عمر يسرع جبلة لا تكلفا * واذا خاطبهم الجاهلون أى مما لا يسوغ
الخطاب به قالوا سلاما أى سلام توديع لا تحية كقول ابراهيم عليه السلام لأبيه سلام عليك قاله الاصم
* وقال مجاهد قولا سديدا فهو منصوب بقالوا * وقيل هو على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاما فهو
جزء من متعلق الجملة المحكية * قال ابن عطية والذى أقوله ان قالوا هو العامل في سلاما لأن المعنى
قالوا هذا اللفظ * وقال الزمخشرى تسلمنا منكم فأقيم السلام مقام التسليم * وقيل قالوا سدادا من

القول يسلمون فيه من الأذى والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرغبة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

انتهى * وقال الكلبي وأبو العالية نسختها آية القتال * وقال ابن عطية وهذه الآية كانت قبل آية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي حكمها في المسلمين الى يوم القيامة وذكره سيبويه في هذه الآية في كتابه وما تكلم على نسخ سواه ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والآية مكية فنسختها آية السيف وفي التاريخ ما معناه ان ابراهيم بن المهدي كان منحرفا عن علي بن أبي طالب فرآه في النوم قد تقدمه الى عبور قنطرة فقال له انما تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك وكان حكى ذلك للمأمون قال فما رأيت له بلاغة في الجواب كما يذكر عنه فقال له المأمون فما أجابك به قال كان يقول لي سلاما سلاما فنبهه المأمون على هذه الآية وقال يا عم قد أجابك بأبلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيا وكان ابراهيم لم يحفظ الآية أو ذهب عنه حالة الحكاية *والبيتوتة هو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وهو خلاف الظلول وبجيلة وأزد السراة يقولون بيات وسائر العرب يقولون بيبت ولما ذكر حالهم بالنهار بأنهم يتصرفون أحسن تصرف ذكر حالهم بالليل والظاهر أنه يعني احياء الليل بالصلاة أو أكثره * وقيل من قرأ شيأ من القرآن بالليل في صلاة فقد بات ساجدا وقائما * وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء * وقيل من شفع وأوتر بعد أن صلى العشاء فقد دخل في هذه الآية * وفي هذه الآية حض على قيام الليل في الصلاة * وقدم السجود وان كان متأخرا في الفعل لأجل الفواصل ولفضل السجود فانها حالة أقرب ما يكون العبد فيها من الله * وقرأ أبو البرهثيم سجودا على وزن قعودا ومدحهم تعالى بدعائه أن يصرف عنهم عذاب جهنم وفيه تحقيق ايمانهم بالبعث والجزاء * قال ابن عباس غراما فظيعا وجيعا * وقال الخدري لازما ملحا دائما * قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم * وقال السدي شديدا وأنشدوا على أن غراما لازما قول الشاعر وهو بشر بن أبي حاتم

ويوم اليسار ويوم الجفار * كانا عذابا وكانا غراما

﴿ وقال الاعشى ﴾

ان يعاقب يكن غراما * وان يعط جزيلا فانه لا يبالي

وصفهم باحياء الليل ساجدين ثم عقبه بذكر دعائهم هذا ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون يبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم * وساءت احتمل ان يكون بمعنى بئست والمخصوص بالذم محذوف وفي ساءت ضمير مبهم ويتعين أن يكون مستقرا ومقاما تمييز والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا المخصوص بالذم هو رابط الجملة الواقعة خبرا لان ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت فيكون المفعول محذوفا أي ساءتهم والفاعل ضمير جهنم وجاز في مستقر ومقاما أن يكونا تمييزين وأن يكونا حالين قد عطف أحدهما على الآخر والظاهر ان التعليلين غير مترادفين ذكر أولا لزوم عذابها وثانيا مساءة مكانها وهما متغايران وان كان يلزم من لزوم العذاب في مكان مساءة ذلك المكان * وقيل هما مترادفان والظاهر انه من كلام الداعين وحكاية لقولهم * وقيل هو من كلام الله ويصير نفوله ومقاما معطوف على سبيل التوكيد لأن الاستقرار والاقامة كأنهما مترادفان * وقيل المستقر للعصاة من أهل الايمان فانهم يستقرون فيها ولا يقيمون والاقامة للكفار * وقرأت فرقة ومقاما بفتح الميم أي مكان قيام والجمهور بالضم أي مكان اقامة ولم يسرفوا ولم يقتروا * قرأ أبو عبد الرحمن [illegible]

الانفاق فى غير طاعة اسراف والامساك عن طاعة اقتار وقال معناه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وسمع رجل رجلا يقول لاخير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير * وقال عون بن عبد الله بن عتبة الاسراف أن تنفق مال غيرك * وقال النخعى هو الذى لا يجيع ولا يعرى ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف * وقال يزيد بن أبى حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا يأكلون طعاما للذة وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمه ما نفقتك قال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية والاسراف مجاوزة الحد فى النفقة والقتر التضييق الذى هو نقيض الاسراف وعن أنس فى سنن ابن ماجه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف أن تأكل ما اشتهيته * وقال الشاعر

ولا تغل فى شئ من الامر واقتصد * كلا طرفى قصد الامور ذميم

﴿ وقال آخر ﴾

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت * ولم ينهها تاقت الى كل باطل
وساقت اليه الاثم والعار بالذى * دعته اليه من حلاوة عاجل

﴿ وقال حاتم ﴾

اذا أنت قد أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

* وقرأ الحسن وطلحة والاعمش وحمزة والكسائى وعاصم يقترون بفتح الياء وضم التاء ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء مشدده وكلها لغات فى التضييق وأنكر أبو حاتم لغة أقتر رباعيا هنا وقال اقتر اذا افتقر ومنه وعلى المقتر قدره وغاب عنه ما حكاه الاصمعى وغيره من اقتر بمعنى ضيق والقوام الاعتدال بين الحالتين * وقرأ حسان بن عبد الرحمن قواما بالكسر * فقيل هما لغتان بمعنى واحد * وقيل بالكسر ما يقام به الشئ يقال أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص * وقيل قواما بالكسر مبلغا وسدادا وملاك حال وبين ذلك وقواما يصح أن يكونا خبرين عند من يجيز تعداد خبر كان وان يكون بين هو الخبر وقواما حال مؤكدة وان يكون قواما خبرا وبين ذلك اما معمول لكان على مذهب من يرى ان كان الناقصة تعمل فى الظرف وان يكون حالا من قواما لأنه لو تأخر لكان صفه وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان وبنى لاضافته الى مبنى كقوله ومن خزى يومئذ فى قراءة من فتح الميم وقواما الخبر * قال الزمخشرى وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محاله فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائده فائدة انتهى ووصفهم تعالى بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله خوطب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الآيه * والذين لا يدعون الآيه سأل ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم فقال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون الآية * وقيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركون قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فقالوا ان الذى تقول وتدعو اليه لحسن أو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت الى غفورا رحيما * وقيل سبب نزولها قصة وحشى فى اسلامه فى حديث طويل * قال الزمخشرى نفى هذه التقبيحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم

مما أنتم عليه * وقال ابن عطية اخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا انتهى وتقدم تفسير نظير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق في سورة الانعام * وقرئ يلق بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة وابن مسعود وأبو رجاء يلقى بألف كأنه نوى حذف الضمة المقدرة على الالف فأقر الألف * والآثام في اللغة العقاب وهو جزاء الاثم * قال الشاعر

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له اثام

أي جزاء وعقوبة وبه فسره قتادة وابن زيد * وقال عبد الله بن عمرو ومجاهد وعكرمة وابن جبير آثام واد في جهنم هذا اسمه جعله الله عقابا للكفرة * وقال أبو مسلم الآثام الاثم ومعناه يلق جزاء آثام فأطلق اسم الشيء على جزائه * وقال الحسن الآثام اسم من أسماء جهنم * وقيل بئر فيها * وقيل جبل * وقرأ ابن مسعود يلق أياما جمع يوم يعني شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب وذلك في قوله ومن يفعل ذلك يظهر أنه اشارة الى المجموع من دعاء اله آخر وقتل النفس بغير حق والزنا فيكون التضعيف مرتبا على مجموع هذه المعاصي ولا يلزم ذلك التضعيف على كل واحد منها ولا شك ان عذاب الكفار يتفاوت بحسب جرائمهم * وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف له العذاب مبنيا للمفعول وبألف ويخلد مبنيا للفاعل والحسن وأبو جعفر وابن كثير كذلك الا أنهم شددوا العين وطرحوا الألف * وقرأ أبو جعفر أيضا وشيبة وطلحة بن سليمان نضعف بالنون مضمومة وكسر العين مشددة العذاب نصب وطلحة بن مصرف يضاعف بالياء مبنيا للفاعل العذاب نصبا * وقرأ طلحة بن سليمان وتخلد بتاء الخطاب على الالتفات مرفوعا أي وتخلد أيها الكافر * وقرأ أبو حيوة ويخلد مبنيا للمفعول مشدد اللام مجزوما ورويت عن أبي عمرو وعنه كذلك مخففا * وقرأ أبو بكر عن عاصم يضاعف ويخلد بالرفع عنهما وكذا ابن عامر والمفضل عن عاصم يضاعف ويخلد مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مرفوعا مخففا والاعمش بضم الياء مبنيا للمفعول مشددا مرفوعا فالرفع على الاستئناف أو الحال والجزم على البدل من يلق * كما قال الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

والضمير في فيه عائد على العذاب والظاهر ان توبة المسلم القاتل النفس بغير حق مقبولة خلافا لابن عباس وتقدم ذلك في النساء وتبديل سيئاتهم حسنات هو جعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة ويكون ذلك سبب رحمة الله اياهم قاله ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وردوا على من قال هو في يوم القيامة * وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط عمله وتثبت عليه السيئات وتأول ابن المسيب ومكحول أن ذلك يوم القيامة وهو بمعنى كرم العفو وفي كتاب مسلم ان الله يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة له من الموحدين بدل سيئات حسنات وهو لا تمحى السيئة وتثبت بدلها حسنة * وقال القفال والقاضي يبدل العقاب بالثواب وذكرهما وأراد ما يستحق بهما * الا من تاب استثناء متصل من الجنس ولا يظهر لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فالأولى عندي أن يكون استثناء منقطعا أي لكن من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة وسيأتيهم هو المفعول الثاني وهو أصله أن

يكون مقيدا بحرف الجر أى بسيئاتهم وحسنات هو المفعول الأول وهو المسرح كما قال تعالى و بدلناهم بجنتيهم جنتين * وقال الشاعر

تضحك مني أخت ذات النحيين * أبدلك الله بلون لونين -

* سواد وجه و بياض عينين *

* الظاهر ان ومن تاب أى أنشأ التوبة فانه يتوب الى الله أى يرجع الى ثوابه واحسانه * قال ابن عطية ومن تاب فانه قد تمسك بأمر وثيق كما تقول لمن يستحسن قوله فى أمر لقد قلت يا فلان قولا فكذلك الآية معناها مدح المتاب كأنه قال فانه يجد الفرج والمغفرة عظيما * وقال الزمخشرى ومن يترك المعاصى و يندم عليها و يدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله الذى يعرف حق التائبين و يفعل بهم ما يستوجبون والله يحب التوابين و يحب المتطهرين * وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب الى الله فليبادر اليها و يتوجه بها الى الله * وقيل من تاب من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات * وقيل ومن تاب استقام على التوبة فانه يتوب الى الله أى فهو التائب حقا عند الله * والذين لا يشهدون الزور عاد الى ذكر أوصاف عباد الرحمن والظاهر أن المعنى لا يشهدون بالزور أو شهادة الزور قاله على والباقر فهو من الشهادة * وقيل المعنى لا يحضرون من المشاهدة والزور الشرك والصنم أو الكذب أو آلة الغناء أو أعياد النصارى أو لعبة كانت فى الجاهلية أو النوح أو مجالس يعاب فيها الصالحون أقوال فالشرك قاله الضحاك وابن زيد والغناء قاله مجاهد والكذب قاله ابن جريج وفى الكشاف عن قتادة مجالس الباطل * وعن ابن الحنفية اللهو والغناء * وعن مجاهد أعياد المشركين واللغو كل ما ينبغى أن يلغى و يطرح والمعنى واذا مروا بأهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم لقوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه انتهى * بآيات ربهم هى القرآن * لم يخروا عليها صما وعميانا النفى متوجه الى القيد الذى هو صم وعميان لا للخرور الداخل عليه وهذا الاكثر فى لسان العرب ان النفى يتسلط على القيد والمعنى انهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها باذان واعيه وأعين راعية بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فانهم اذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها فى ظاهر الأمر وكانوا صما وعميانا حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها * قال ابن عطية بل يكون خرورهم سجدا و بكيا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا أى انما خرج جريأ معدما وكان المسمع المذكر قائم القناة قويم الأمر فاذا أعرض كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد أشبه الذى يخر ساجدا لكن أصله أنه على غير ترتيب انتهى * وقال السدى لم يخروا صما وعميانا هى صفة للكفار وهى عبارة عن اعراضهم وجهدهم فى ذلك وقرن ذلك بقولك قعد فلان يمنى وقام فلان يبكى وأنت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هى توطئات فى الكلام والعبارة * قرة أعين كناية عن السرور والفرح وهو مأخوذ من القر وهو البرد * يقال دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن و يقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو * وقال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

* وقيل هو مأخوذ من القرار أى مرالنظر ولا نظر الى غيره * وقال أبو عمرو وقرة العين النوم أى آمنا لأن الامن لا يأتى مع الخوف حكاه القفال وقرة العين فيمن ذكر وا رؤيتهم مطيعين لله

قاله ابن عباس والحسن وحضرمي كانوا في أول الاسلام يهتدي الأب والابن كافر والزوج والزوجة كافرة وكانت قرة عيونهم في ايمان أحبابهم * وقال ابن عباس قرة عين الولدان تراه يكتب الفقه والظاهر أنهم دعوا بذلك ليجابوا في الدنيا فيسروا بهم * وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أولئك في الجنة ليتم لهم سرورهم انتهى ويتضمن هذا القول الأول الذي هو في الدنيا لأن ذلك نتيجة ايمانهم في الدنيا ومن الظاهر انها لابتداء الغاية أي هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وجوز أن تكون للبيان قاله الزمخشري قال كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين من قولك رأيت منك أسدا أي أنت أسد انتهى وتقدم لنا أن من التي لبيان الجنس لا بد أن تتقدم المبين ثم يأتي بمن البيانية وهذا على مذهب من أثبت أنها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت لمن * وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص وذرياتنا على الجمع وباقي السبعة وطلحة على الافراد * وقرأ عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة قرات على الجمع والجمهور على الافراد ونكر القرة لتنكير الأعين كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أريد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قاله الزمخشري وليس بجيد لأن أعين تنطلق على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد * وأفرد اماما اما اكتفاء بالواحد عن الجمع وحسنه كونه فاصلة ويدل على الجنس ولا لبس واما لأن المعنى واجعل كل واحد اماما واما أن يكون جمع آم كحال وحلال واما لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا واجعلنا اماما واحدا دعوا الله أن يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرئاسة قاله النخعي * وقيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ونزلت في العشرة المبشرين بالجنة * أولئك اشارة الى الموصوفين بهذه الصفات العشرة * والغرفة اسم معرف بأل فيعم أي الغرف كما جاء وهم في الغرفات آمنون وهي العلالي * قال ابن عباس وهي بيوت من زبرجد ودر وياقوت * وقيل الغرفة من أسماء الجنة * وقيل السماء السابعة غرفة * وقيل هي أعلى منازل الجنة * وقيل المراد العلو في الدرجات والباء في بما صبروا للسبب * وقيل للبدل أي بدل صبرهم كما قال * فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * أي فليت لي بدلهم قوما ولم يذكر متعلق الصبر مخصصا ليعم جميع متعلقاته * وقرأ الحسن وشيبة وأبو جعفر والحرميان وأبو عمرو وأبو بكر ويلقون بضم الياء وفتح اللام والقاف مشددة * وقرأ طلحة ومحمد اليماني وباقي السبعة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة أي تحييهم الملائكة أو يحيي بعضهم بعضا * وقيل يحيون بالتحف جمع لهم بين المنافع والتعظيم * حسنت مستقرا ومقاما معادل لقوله في جهنم ساءت مستقرا ومقاما ولما وصف عباده العباد وعدد ما لهم من صالح الأعمال أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصرح للناس بأن لا اكتراث لهم عند ربهم بما هو العبادة والدعاء في قوله لولا دعاؤكم هو العبادة والظاهر ان ما نفي أي ليس يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ويجوز أن تكون استفهامية فيها معنى النفي أي أي عبء يعبأ بكم ودعاؤكم مصدر أضيف الى الفاعل أي لولا عبادتكم اياه أي لولا دعاؤكم وتضرعكم اليه أو ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم الأصنام آلهة * وقيل أصنام .. لمعوا أي لولا دعاؤه اياكم الى طاعته والذي يظهر ان قوله قل ما يعبأ بكم خطاب لكفار قريش القائلين

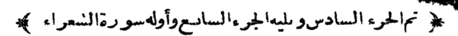
(الدر)

(ش) من من ذرياتنا للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين من قولك رأيت منك أسدا أي أنت أسد (ح) تقدم لنا أن من التي لبيان الجنس لا بد أن تتقدم المبين ثم تأتي بمن البيانية وهذا على مذهب من أثبت لها أنها تكون لبيان الجنس والصحيح ان هذا المعنى ليس بثابت لمن (ش) وجاء أعين بصيغة جمع القلة دون عيون الذي هو صيغة جمع الكثرة لأنه أريد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (ح) ليس بجيد لأن أعين تنطلق على العشرة فما دونه من الجمع والمتقون ليست أعينهم عشرة بل هي عيون كثيرة جدا وان كانت عيونهم قليلة بالنسبة الى عيون غيرهم فهي من الكثرة بحيث تفوت العد .

تسجد لما تأمرنا أي لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم اليه واستغاثتكم اياه في الشدائد * فقد كذبتم بما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فتستحقون العقاب فسوف يكون العقاب وهو ما أنتجه
تكذيبكم ونفس لهم في حلوله بلفظة فسوف يكون لزاما أي لازما لهم لا ينفكون منه * وقرأ عبد
الله وابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون وهو محمول على انه تفسير لا قرآن والأكثرون
على ان اللزام هنا هو يوم بدر وهو قول ابن مسعود وأبي * وقيل عذاب الآخرة * وقيل الموت
ولا يحمل على الموت المعتاد بل القتل ببدر * وقيل التقدير فسوف يكون هو أي العذاب وقد
صرح به من قرأ فسوف يكون العذاب لزاما والوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه
مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف * وعن ابن عباس فسوف يكون هو أي
التكذيب لزاما أي لازما لكم لا تعطون توبة ذكره الزهراوي * قال الزمخشري والخطاب الى
الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من
العبادة والتكذيب فقد كذبتم يقول اذا علمتكم ان حكمي اني لا أعتد الا بعبادتهم فقد خالفتم
بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول
الملك لمن عصى عليه ان من عادتي أن أحسن الى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى
ما أحل بك بسبب عصيانك * وقرأ ابن جريج فسوف تكون بتاء التأنيث أي فسوف تكون
العاقبة وقرأ الجمهور لزاما بكسر اللام * وقرأ المنهال وأبان بن ثعلب وأبو السمال بفتحها مصدر
لزم لزوما ولزاما مثل ثبت ثبوتا وثباتا وأنشد أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي

فاما ينج من حتف أرض * فقد لقيا حتوفهما لزاما

ونقل ابن خالويه عن أبي السمال انه قرأ لزام على وزن حذام
جعله مصدرا معدولا عن اللزمة كفجار
معدول عن الفجرة


* تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع وأوله سورة الشعراء *